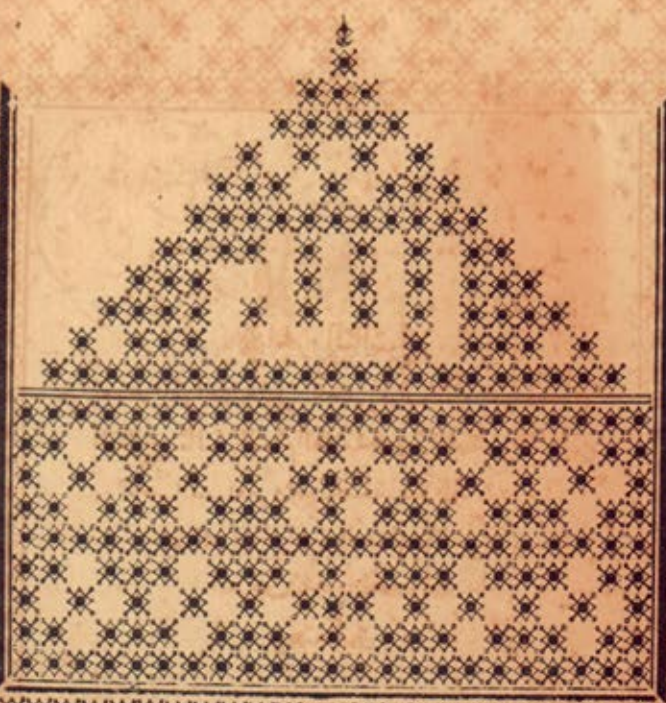


* سورة يوسف عليه السلام وهي مائة وأحدى عشرة آية شامى وإثننا عشرة مكي)*
 * (بسم الله الرحمن الرحيم)*
 (الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه السورة والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى العجاز العرب أو التى تبين لمن تدبره أنهم من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لا تشبه على العرب معانيها لنزولها لمسانمهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقدر وى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا نجدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (انا أنزلناه قرآنا عربيا) أى أنزلناه هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنا عربيا وسبى بعض القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على كاه وبعضه



بسم الله الرحمن الرحيم

* (تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)*

وهى مكية باجماعهم وهى مائة وأحدى عشرة آية وألف وست مائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وست وستون حرفا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى وفى سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثنا فنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الى نوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثانى رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة * (بسم الله الرحمن الرحيم)*
 قوله عز وجل (الر) تقدم تفسيره فى أول سورة نونس عليه الصلاة والسلام (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أى البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله بمرآته وهذا ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الأذلين وشرح أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) يعنى هذا الكتاب (قرآنا عربيا) أى أنزلناه بلغتك لى تعلمو معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود اشركى مكة سلوا نجدا صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدم وانا أنزلناه هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال فى القرآن شىء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن فى القرآن لسانا غير العربية فقد

أمه راحيل كانت قدمائت وقال قتادة وابن جرير القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر
 وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد
 بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان الخفية فيما
 بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جادلات تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل
 رأيتهم او قوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما أخبر عنها بفعل من يعقل وقول السجود كني عنها بكناية من
 يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمخبرين يزعمون ان الكواكب أحياء
 فواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح فان قلت قد قال اني
 رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد لفظ الرؤيا نائبا فقال رأيتهم لسا جادين مسافدة هذا التكرار
 قلت معنى الرؤيا الاولى انه رأى أجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها
 له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكأنه قيل له وكيف رأيت قال
 رأيتهم لي ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كان من جملة الكواكب للدلالة على فضاءهما
 وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديدا يحب ليوسف
 عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان
 تأويلها ان اخوته وأبويه يحضرون له فهذا (قال يعقوب) يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك (يعنى
 لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها) (فيكيدوا لك كيدا) أى فيحتالوا في اهلاكك فامرهم بكتمان
 رؤياهم عن اخوتهم لان رؤيا الانبياء وحق واللام في فيكيدوا لك كيدا تأويل كيدا لك كيدا لك كيدا لك
 ونصحت لك وشكرت لك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يعنى انه بين العداوة لان عداوته
 قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة قال كنت
 أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرزق السوء من
 الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليستقل عن يساره
 ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرفا فانهم ان نضره (خ) عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها ولا يحدث بها
 واذا رأى شيئا يكرهه فانها من الشيطان فايسئعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها الا لحد
 فانها ان نضره (م) عن جابر رضى الله عنه انه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا
 يكرهها فليصدق عن يساره ثلاثا وليسئعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه
 عن أبي رزبن العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعين وفي رواية جزء من ستة
 وأربعين جزءا من النبوة وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدثت بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث
 بها الا لبيبا أو جيبيا أخرجه الترمذي وولابي داود ونحوه قال الشيخ يحيى الدين النوري قال المازرى مذهب
 أهل السنة في حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات يكيفها في قلب اليقظان وهو سبحانه
 وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنع نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها على ما على أمور أخر يجعلها
 في نافي الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها على ما يسر بغير حضرة
 الشيطان فاذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل
 له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان
 يفعل شيئا والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة
 تشرىف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدينه واراثة ولا فعل للشيطان فيها ولكنه
 يحضركه ويروضها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره
 فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليستقل ثلاثا وليتحول الى جنبه الا تخرفا فان الا نضره

(قال يابني) بالفتح حيث
 كان حفص (لا تقصص
 رؤياك) هى بمعنى الرؤيا الا
 انها مختصة بما كان منها في
 المنام دون اليقظة وفسر
 بينهما بحر في التائيت كفى
 القرية والقرى (على
 اخوتك فيكيدوا لك) جواب
 النهى أى ان قصصتها عليهم
 كادوك عرف يعقوب عليه
 السلام ان الله يصطفيه
 للنبوة وينعم عليه بشرف
 الدارين نقاف عليه حسد
 الاخوة وانما لم يقل فيكيدوا
 لك قال فيكيدونى لانه ضمن
 معنى فعل يتعدى باللام
 ليفيد معنى فعل الكيد مع
 افادة معنى الفعل المضمن
 فيكون أكدوا بلغ في
 الخوف وذلك نحو فيحتالوا
 لك الأثرى الى تأ كيد
 بالصدر وهو (كيدا ان
 الشيطان للانسان عدو
 مبين) ظاهر العداوة
 فيجعلهم على الحسد والكيد

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتناب الذي دلت عليه رؤياك (يحييتك ربك) يطفئك والاجتناب والاصطفاء افعال من حيث الشيء اذا حصلته لنفسك وحييت الماء في الحوض جمعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) أي تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا وتأويل احاديث (هـ) الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع

للحديث وليس بجمع احدونه (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أي جعلهم أنبياء في الدنيا وملاو كانوا نقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة وآل يعقوب أهلهم ونسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهل الآخرة لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهلهم وإنما علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته أنبياء، تدللا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب كما أتمها على أوليك من قبل أراد الجد وأبا الجد (ابراهيم واسحق) عطف بيان لاويلك (ان ربك عالم) يعلم من يحق له الاجتناب (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في يوسف واخوته قصتهم وحدثهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء آية مكي (الساثلين) ان سأل عن قصتهم وعرفها وآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوهم اليهود عنها فاخبرهم من

فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكر وهكاجعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (وكذلك يحييتك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يحييتك ربك يعني بصافيتك ربك واجتماعه الله تعالى العبد تخصيصه بآية بفيض الهي تحصيله منه أنواع الكرامات بلاسي من العبد وذلك يختص بالانبياء أو ببعض من يقار بهم من الصديقين والشهداء الصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعني به تعبير الرؤيا باسمي تأويله لأنه يقول أمره إلى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل احاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب اولاده فانهم كانوا انبياء وهو المراد من تمام النعمة عليهم (كما أتمها على أوليك من قبل ابراهيم واسحق) بأن جعلها من انبياء وهو المراد من تمام النعمة عليهم ما قبل المراد من تمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذة خليلا والمراد من تمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشيء والقول الاول هو الاصح بان تمام النعمة عليهم بالنبوة لانه لأعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عالم) يعني بمصالح خلقه (حكيم) يعني انه تعالى لا يفعل شيئا الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف وهذه وبين تحقيقها عصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فاما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه ﴿قوله عز وجل﴾ (لقد كان في يوسف واخوته) يعني في خبره وخبر ابراهيم وأسماءهم ورويل وهو أكبرهم وشعمون ولاوي ويهوذا وزبولون ويشجر وأمههم ليان بنت ليان وهي ابنة طال يعقوب ووالد يعقوب من سرتين اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد وأسماءهم دان ونفتالي وجاد وآسر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها را حيل فولدت له يوسف وبنيامين فهو لآمن بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا (آيات للساثلين) وذلك ان اليهود لما سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولدي يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر ذكروا قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة ففجروا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئا فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوي وعلم قدسي أو جاءه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للساثلين أي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبالواهم مثل القاتن في الحب ويبيع عبدا ويخضع بعد ذلك وما آل اليه أمره من المال ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر وانعظ (اذ قالوا) يعني اخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين وهما من أم واحدة (أحب إلى أبنائنا

غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماءهم يهوذا وبنين وشعمون ولاوي وزبولون ويشجر وأمههم ليان بنت ليان ودان ونفتالي وجاد وآسر من سرتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها را حيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبنائنا) اللام لام الابتداء وفهاتما كبد وتحقيق الصمون الجله أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لاشبهته فيه وانما قالوا وأخوه وهم اخوته أيضا لان أمهما

كانت واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفعال من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقة ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف
واذا أضيف ساغ الامران وانوا في (٦) ونحن عصبه) للعال أي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كآية فيهما ونحن عشرة

رجال كفاة تقوم بمراقبته
فمن أحق بزيادة المحبة
منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهم ما (ان أبانا
لني ضلال مبين) غلط في
تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه
بالضلالة في الدين لكفروا
والعصبة العشرة فصاعدا
(اقتلوا يوسف) من جملة
ما حكى بعد قوله اذ قالوا
كانهم اطبقوا على ذلك الا
من قال لا تقتلوا يوسف وقيل
الامر بالقتل شعرون
والباقون كانوا راضين
بفعلوا أمرين (أو اطرحوه
أرضا) منكرة مجهولة
بعيدة عن العمران وهو
معنى تنكبرها واخلاؤها
عن الوصف ولهذا الإبهام
نصب نصب الطروف
المهممة (يحل لكم وجه
أيكم) يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم
الذغيركم والمراد سلامة
محبته لهم من يشاركونهم
فيها فكان ذلك الوجه
لتصوير معنى اقباله عليهم
لان الرجل اذا قبل على
الشيء أقبّل بوجهه وجاز
ان يراد بالوجه الذات كما
قال ويصق وجهه برك
(وتكونوا) مجزوم عطفًا
على يحل لكم (من بعده)
من بعد يوسف أي من بعد
كفايته بالقتل أو والتغريب

ونحن عصبه) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ايووسف وأخيه اساراً وامن ميل يعقوب اليه وكثرة شفقتة
عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبية هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة
وتيسل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال سبحانه هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل
الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبية والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهاط
والنفر (ان أبانا في ضلال مبين) يعني لني خطابين في اشارة حب يوسف علينا نفعه لان نفع فيه ونحن عصبية
ننفعه ونقوم بحمايته من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال
عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به وانما أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع
له من يوسف فهو خطئي في صرف محبته اليه لانا أكبر منه سننا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم
المصود والاعظام وهو أن يعتوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة
ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما يخص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه
ماتت وهو صغير ولانه رأى في نفسه من آيات الرشد والنجاة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة
يوسف يوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أيهم الى الضلال هو محض
العقوب وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك فادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت
من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا
وقت هذه الافعال مرهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قاذحة
في عصمة الانبياء قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يحل لكم وجه أيكم)
لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تباعد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا
باحد طريقين اما القتل مرة واحدة أو التغريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بان تفرسه
الاسد والسباع أو يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكر والعلة في ذلك وهي قوله يحل لكم وجه أيكم
والمعنى انه قد شغل حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف أقبّل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم
(وتكونوا من بعده) يعني من بعد قتل يوسف أو بعباده عن أبيه (قوما صالحين) يعني تائبين قلوبهم الى
الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبار قالوا
توب الى الله من هذا الفعل وتكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما
بينكم وبين أيكم فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهم انبياء قالت الجواب ما تقدم
انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قاذحة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه
الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان اجنبيا ساورا وفي ذلك فأشار عليهم بقتله قال
قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهودا وقال قتادة هو رويل وهو ابن خالته
وكان أكبرهم سنوا أحسنهم أيا فيه فهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح قائل هذه المقالة
هو يهودا لانه كان أقربهم اليه سنا (وألقوه في غيابة الجب) يعني ألقوه في أسفل الجب وطمته والغاية
كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية تسمى بذلك لانه جب أي قطع ولم يطلو
وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واختالفوا في
مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض
الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكرها وهي قولهم (يلتقطه
بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والانتقاط أخذ الشيء من

أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوه (قوما صالحين) تائبين الى الله عما
جنبتهم عليه أو يصلح حالكم عند أيكم (قال قائل منهم) هو يهودا وكان أحسنهم فيهم أيا (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه في غيابة
الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده من (يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسبون في الطريق

(ان كنتم فاعلين) به شيا (قالوا يا ابا ناملك لا تأمناعلى يوسف وانا له لناحقون) أى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاه عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه أحسن منهم بما أوجب ان لا يأمنهم عليه (أرسله معنا غدا ترع) نتبع في أكل الفواكه وغيرها والرعة السعة (وناب) تنفرج عما يباح كالصيد والرمي والرخص بالياء فهم ممدني وكوفي وبالنون فهم مامي وسامى وأوعروو بكسر العين بحجازى من ارتعى ارتعى استعمال من (٧) لرعى (واناله لحافظون) من ان يناله مكرهه (قال انى يحزننى أن تذهبوا به واللام لام الابتداء) وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عذوبة الذئب اذا غفلوا عنه وعيهم ولعبيهم (قالوا لئن أكله الذئب الام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو في) ونحن عصبه أى فرقة بجمعة مقنطرة على الدفع للعمال (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط أى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وأجابوا عن عذره الثانى دون الاول لان ذلك كان يغيظهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) أى عزموا على القائنة فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به

العارى أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذها بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستر بحون منه (ان كنتم فاعلين) فيه إشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لا تنفعلوا شيئا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوى كانوا يؤمنون بالعين ولم يكونوا أنبياء الابعده وقيل لم يكونوا بالعين وليس يصح دليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوماصالحين وقالوا يا ابا ناملك لا تأمناعلى يوسف وانا له لناحقون) أى لم تخافنا عليه اذا أرسلته معنا (واناله لناحقون) المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا العاطفون عليه فأنتم بصلحتهم وحفظهم وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لا يهيم أرسله معنا فقال يعقوب انى يحزننى ان تذهبوا به حينئذ قالوا ما لك لا تأمناعلى يوسف وانا له لناحقون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (ترع) الرع هو الاتساع فى الملاذ يقال ترع فلان فى ماله اذا أنفق فى شهوته والاصل فى الرع أكل البهائم فى الحصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أربده الاكل الكثير (ونلب) اللعب معروف قال الرايب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يؤمنون أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لخير رضى الله عنه هلا بكمرا نلاعها وتلاعك وأيضافان لعبيهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لسانه من المحاربة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل قوله نستبق وانما سوره ولعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنى ترع ونلب نشتم ونأكل ونلهو وننشط (واناله لحافظون) يعنى نجتهدنى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى يحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذر من أحدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثانى قوله (وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يعنى اذا غفلوا عنه وعيهم ولعبيهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى فى المنام ان ذئبا شدة على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب فى أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف محبين يعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبه) أى جماعة عشرة رجال (انا اذا لخاسرون) يعنى عجزه ضعفه وقيل أنهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذ لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فخن اذا خاسرون ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلما ذهبوا به فيه اضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (واجعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) يعنى وعزموا

مافعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية أظهر واله العداوة وضر به وكادوا يقتلوه فنعهم هوذا فلما أرادوا القاءه فى الجب تعلق بتيابهم ثم نزعوهما من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليأطخوه بالدم فحسبوا به على أبيهم ودلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى ضخرة فقام عليها وهو يبكى وكان هوذا يأتيه بالطعام وروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حر الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تيممة علقها فى عنق يوسف فاحرقه جبريل وألبسه اياه

علي ان يعقوب في غيابة الجب * (ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام)

قال وهب وغيره من أهل السير والخبار ان اخوة يوسف قالوا له امانت شاق ان تخرج معنا الى مواشينا فنصير ونستبق قال بلى قالوا له انسال اباك ان رسلك معنا قال يوسف افعالوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابا نانا يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب مات قول يا بني قال نعم يا ابي اني اري من اخوتي للابن والاطف فاحب ان تاخذني وكان يعقوب يكره مفارقتة ويحب مرضاته فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحمله لونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى العمراء القوه على الارض واظهر واله ما في أنفسهم من العداوة واغفلوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كل ارجاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عززوا عليه من قتله جعل ينادي يا ابتاه يا يعقوب ولو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لاجرتك ذلك وابكك يا ابتاه ما اسرع عانا وسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فآخذوه ويبل وجلده الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مه لا يا ابي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لروباك تخاصك من ايدينا ولوي عنقه فاستغاث يوسف به وذا ما على هذا عهدتوني الا ادلكم على ما هو اهن لكم وارفق به فقالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت او يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فعملوا يدونه في البئر فتعلق بشفير هافر بطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي لاسنتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخاصك وتونسك فقال اني لم ارشها قال القوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه ائذعوني فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه في دلو ثم ارسلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فخل يديه واخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رجعة ادر كته فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة لينة تلوه فنعهم به وذا من ذلك وقيل ان يعقوب ساء بعينه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين اتى في النار فجعله يعقوب في قصبه فضة وجعلها في عنق يوسف قال الله الملك اياه حين اتى في الجب فاضاه الجب وقال الحسن لما اتى يوسف في الجب عذب ما زه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما امسى ثم ض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رعبت شيئا فقل يا صريح المستصرخين وباغوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين وقد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستانس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما اتى يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غابا غير مغلوب اجعل لي فرجا ما اتا فيه فيما بات فيه واخذت القوا في قدر عمر يوسف يوم اتى في الجب فقال الضحالك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يبعون حوله وكان يموت يا تيمه بالطعام فذلك قوله تعالى (واوحينا اليه لتبينهم يا امرهم هذا) يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره انه سينبئهم بما فعلوا ويحاز بهم عليه هذا قول طائفة عظماء من المحققين ثم القائلون بهذا القول اخوتاه اهل كان بالغافي ذلك الوقت او كان صياها غير افعال بعضهم انه كان بالغافي وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن احد يبلغه رسالته لانه فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه قلت لا يمتنع ان الله بشره بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يا امره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان الادم من قوله واوحينا اليه وحى الهام كما في قوله تعالى واوحى ربك

(واوحينا اليه) قبل اوحى اليه في الصغرى اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذلك مدركا (لتبينهم يا امرهم هذا) أي لتخبرن اخوتك بما فعلوا بك

(وهم لا يشعرون) انك يوسف اعلموا شأنك وكبر يا سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه فمثار من ذعر فهم وهم له منكر وندع بالاصواع ذوضعه على يده ثم نقره فظن فقال انه يخبرني هذا الجمام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم القيمةوه في غيابة الحب وقتلم لايهه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس او يتعلق وهم لا يشعرون باوحينا اى آسناءه بالوحى وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) للاستئثار والتحصير على الاعتذار (يبيكون) حال عن الاعمش لاتصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فرزع وقال مالكم باني هبل اصابكم في غنمكم شئ قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف (قالوا يا اباانا انا ذهبنا نستبق) اى (٩) تتسابق في العدو ورفى الرى والافتعال

والنفاع على يشتر كان كالارتقاء والترامى وغير ذلك (وتركا يوسف عند متاعنا فاكاهه الذئب وما انت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كما صادقين) ولو كما عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سبى الظن بنا غير واتق بقولنا (وجاؤا على قبيصه بدم كذذب) ذى كذب ووصف بالصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام لما سمع يخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال ائن القميص فآخذوه واقفاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذنبا احلم من هذا كل ابني ولم يمزق عليه قبيصه وقيل كان في قبيص يوسف ثلاث آيات كان دليلة ليعقوب على كذبهم واقفاه على وجهه

الى النحل و اوحينا الى ام موسى والقول الاول اولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعنى بالحقا انا اليك وانت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحى عنهم انهم اذا عرفوه فر بما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى اوحى الى يوسف لتخبر اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستويا عليهم ويصبرون تحت امره وقهره ﴿قوله تعالى﴾ (وجاؤا اباهم عشاء يبيكون) قال المفسرون لما طرحو يوسف في الجبر جعلوا الى ابيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجترأ على الاعتذار بالكذب فلما قرى بامن منزل يعقوب جعلوا يبيكون ويصرخون فسمع اصواتهم ففرع من ذلك وخرج اليهم فاجاراهم قال بالله سالتكم باني هل اصابكم شئ في غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف (قالوا يا اباانا انا ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعنى ننضل وقال الزجاج يسابق بعضهم بعضا فى الرى والاصل فى السبق الرى بالسهم وهو التناضل ايضا وسبى المتراميان بذلك يقال تسابقوا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين أيهما ابعدهما وقال السدى يعنى نشدتو نعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين أينا أسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل تصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركا يوسف عند متاعنا) يعنى عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعنى فى حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما انت بمؤمن لنا) يعنى وما انت بمصدق لنا (ولو كما صادقين) يعنى فى قولنا والمعنى ان اراوان كما صادقين لكنك لاتصدق لنا قولنا لشدة محبتك ليوسف فانك تهتمنا فى قولنا هذا وقيل معناه ان اراوان كما صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك اماره تدل على صدقنا (وجاؤا على قبيصه) يعنى قبيص يوسف (بدم كذذب) اى مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قبيص يوسف ثم جاؤا اباهم وفى القصة انهم اطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذئب ولم يشق قبيصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم اتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايم الذئب انت اكلت ولدى وقره فزادى فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا ان نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصله الرحم وهى قرابة لى فآخذونى وآتوا بى اليك فاطلعه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم انفسكم امرا) يعنى بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل تقيد بمعنى فى النفس مع الطمع فى تمامه وقال صاحب الكشاف سولت من السؤل وهو الاسترخاء اى سهلت لكم انفسكم امرا اعطيتهم ركبتموه من يوسف وهو تنموه فى انفسكم واعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد القول لهم فأكله الذئب كانه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذئب بل سولت لكم انفسكم امرا آخر غير ما تصفون (فصبر جميل) اى فشأنى صبر جميل وقيل معناه فصبرى صبر جميل والصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لاتحدث بصيبتك ولا تزكين نفسك (والله المستعان على ما تصفون) يعنى من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حل ما تصفون ﴿قوله عز وجل﴾ (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون وهو اسيرة لمسيرهم فى الارض وكانوا رفقته من مدين يريدون مصر فآخطوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب

(٢ - خازن - ثالث) فارتد بصيرا ودليا على براءة يوسف حين قدم من دبره ومحل على قبيصه النصب على الطرف كانه قبيص و جاؤا فوق قبيصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت أو سهلت (لكم انفسكم امرا) عظيم الركبتموه (فصبر جميل) خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اى فامرى صبر جميل أو فصبر جميل أجل وهو الماشكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) اى استعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف فى الجب فآخطوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب فى قفيرة بعدة من العمران وكان مأزقه لمحاذق ذئب حين ألقي فيه يوسف

(فارسلوا واردهم) هو الذي يراد الماء (١٠) ليستقى للقوم معه مالك بن ذعر الخزاعي (فأدلى دلوه) أرسل الدلو ايلاً هاقثبث يوسف

الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه لمحا فلما أتى يوسف فيه
عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فذلك قوله
عز وجل (فارسلوا واردهم فأدلى دلوه) قال والوارد الذي هو يتقدم الرفقة إلى الماء فهي الارشبية والدلاء
يقال أدلى الدلو اذا أرسلته في البئر ودلوتها اذا أخرجهت قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال
وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من العلمان وذكر البغوي بسند متصل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال أعفنى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطت سدس
الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثاني الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف
حسناً الوجه جعد الشعر ضخيم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساعد والعضدين والساقين
خفيف البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه
ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه
الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر كحسناً ما يكون من العلمان
(قال) يعني الوارد وهو مالك بن ذعر (بابشراي) يعني يقول الوارد لأصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ
بابشري بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلاً من أصحابه اسمه بشري كما تقول يازيد ويقال ان جدران
البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأسر وهبضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار
الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعه استضعناه لبعض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا
منهم الشركة فيه وقبل ان اخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعني انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أحالهم بل قالوا
هو عبد لنا أبق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سران مالك بن ذعر وأصحابه والقول الاول
أصح لان مالك بن ذعر هو الذي أسره بضاعته وأصحابه (وانه عايم بما يعملون) يعني من ارادة اهلاك يوسف
فجعل ذلك سبباً لنجاته وتحقيقه قال زوايه ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبداً قال أصحاب الاخبار انهم اذا كان
يأتي يوسف بالعلم فأنه لم يجده في الحب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه تزولا
قر يمان البئر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا أبق مناو ويقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم
حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أي باعوه وقد يطلق لفظ
الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما يجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه
وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقبل ان الضمير في
وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على باه (بئس نجس) قال الحسن
والضحاك ومقاتل والسدي نجس أي حرام لان ثمن الحرام ويسمى الحرام نجس لانه نجس لانه نجس البركة يعني
منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس نجس أي زوف ناقصة العيار وقال قتادة نجس أي ظلم والقلم نقصان
الحق يقال ظلم اذا نقصه حقاً وقال عكرمة والشعبي نجس أي قليل وعلى الاقوال كلها فالنجس في اللغة هو
نقص الشيء على سبيل القلم والنجس والبائس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى قلة تلك
الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهماً كما كانوا يأخذون مادونها عدد اذا
بلغت أربعين درهماً وهي أوقية وزونها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة
كانت عشرين درهماً فاقسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذوا حراماً من أمه وأبيه شيئاً منها وقال
مجاهد كانت اثني وعشرين درهماً فعلى هذا أخذوا منه درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخاً وقال عكرمة
كانت أربعين درهماً (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل
الزهد له الرغبة يقال زهد فلان في كذا الم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه
يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن

بالدلو فترعوه (قال بابشري) كوفي نادى البشري كأنه يقول تعالى فهذا أو انك غيرهم بشراي على اضافتها الى نفسه أو هو اسم غلامه فتداه مضافاً الى نفسه (هذا غلام) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسره) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وأخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعه) حال أي أخفوه متاعاً للتجارة والبضاعه ما يوضع من المال للتجارة أي قطع (والله علم بما يعملون) بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخوتهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بئس نجس) نجس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً أو زيف (دراهم) بدل من عن (معدودة) قليلة تعدداً ولا توزن لانهم كانوا يعدون مادون الاربعين وزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهماً (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن رغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف أو معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه

(وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطف سير وهو العز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد امن بيوسف ومات في حياته واشتراه العز بزنته وورقا حرا ورومسا وكاهوا بن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزر زهر بن الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وانا لله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (١١) (لامرأته) راعيل أو زليخا واللام

متعلقة يقال لباشتره
(أ كرمي مشواه) اجعلي منزله ومقامه عندنا كرمي أي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي أحسن مشواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطئ فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم بحار جهان مستظهر به على بعض ما نحن بسبيبه (أو نتخذ ولدًا) أو نتبناه ونقبه مقام الولد وكان قطف سير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العز زعليه والكاف منصوب بتقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا ليوسف) أي كما أنجينا وعطفنا عليه العز برك ذلك مكناه (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أ كرمي الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) انتهى استعداد

وان قلنا ان قوله وشروه كانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليستتروا به من نخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابقى أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشترى يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوتقوا ومنه لا يأتق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العز يز وكان الملك بصير ونواحيها اسم الريان بن الوليد بن زوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات بيوسف عليه الصلاة والسلام حتى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارًا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبًا وزنه فضة وزنه مسكًا حرا وكان وزنه أربع مائة مثقال وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من أهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أ كرمي مشواه) يعني أ كرمي منزله ومقامه عندك والمثوي موضع الإقامة وقيل أ كرمي في الطعام والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعني ان أردنا بيعه بعنايه ربح أو يكفيننا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ (أو نتخذ ولدًا) يعني نتبناه وكان حضور اليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العز يز في يوسف حيث قال لامرأته أ كرمي مشواه عسى أن ينفعنا أو نتخذ ولدًا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لابنها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكناه في الارض) يعني كما مكنا على يوسف بان أعقدناه من القتل وأخر جنانه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (وانعلم من تأويل الاحاديث) أي مكناه في الارض ليعلم من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الحكاية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكمل الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أ كرمي الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال السكبي الاثني عشر سنة وثلاثون سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (آ تبناه حكما وعلما) يعني آ تبنا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة ووقفها في الدين وقيل حكما يعني اصابته في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجب العلم وقيل الحكمة تجس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري (وكذلك) يعني وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (ورادته التي هو في بيتها عن نفسه) يعني ان امرأة العز يز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسهها لواقعها (وغلقت الابواب) أي أطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية أو انها أغلقت الشدة خوفها (وقالت هيت لك) أي هلم وأقبل قال أبو عبيدة كان

قوته وهو ثمان عشرة سنة أو واحد وعشرون (آ تبناه حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكما بين الناس ووقفها (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيًا عنفوان أمره (ورادته التي هو في بيتها عن نفسه) أي طلبت يوسف أن يواقعها والمراد من مقابلة من راد برود اذا جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه أي فعات فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه يده بحيث لا أن يغلبه عليه ويأخذ منه وهي عبارة عن النعم لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك)

هو اسم لتعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيثمى ببناء على الضم هنت مدني وشاحي واللام للبيان كانه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك
(قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (انه) أي ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرى
مثواى فإسراؤه ان اخونه فى أهله (انه لا يفلح الظالمون) الخائنون أو الزناة أو أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه مسبب الاسباب (ولقد همت
به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع (١٢) الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد

فيما يخطر بالقلب ولا
مواخذة عليهم ولو كان همهم
كهمها لما مدحه الله تعالى
بانه من عباده المخلصين وقيل
وهم بها وأشار أن بهم
بها يقال هم بالامر اذا
قصده وعزم عليه وجواب
(لولا أن رأى برهان ربه)
محذوف أى لكان ما كان
وقيل وهم بها جوابه ولا
يصح لأن جواب لولا لا يتقدم
عليه الا أنه فى حكم الشرط
وله صدر الكلام والبرهان
المتصور يجوز أن يكون وهم
بها داخل فى حكم القسم فى
قوله ولقد همت به ويجوز
أن يكون خارجاً من حق
القارئ اذا قدر خروجه
من حكم القسم وجعله
كلاماً مراً سه أن يقف على
به ويبتدى بقوله وهم بها
وفيه أيضاً اشعار بالفارق
بين الهمين وفسرهم يوسف
بانه حصل تكة سراويله
وقعد بين شعها الاربع
وهى مستلقية على قفاها
وفسر البرهان بانه يسمع
صوتها بك واياها مرتين
فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم
يتنجس فيه حتى مثل به يعقوب
عاضاً على أظلمته وهو باطل
ويدل على بطلانه قوله هى

الكسائى يقول هى لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضاً بالحوران نسبة هلم وقال
بجاهد وغيره هى لغة عرب بيتوهى كلمة حدث واقبال على الشئ وقيل هى بالعبانية وأصلها هيتالج أى تعال
فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها
على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التنوير ولغة العرب
الترك فى الغساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها
وقرى هنت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها هنت لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله
وأعنيهم به وألجأ اليه فيما دعوتنى اليه (انه ربى) يعنى ان العز زقطفير سيدى (أحسن مثواى) أى
أكرم منزلى فلا أخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى أحسن مثواى
يعنى انه آوانى ومن بلاء الجب نجاني (انه لا يفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا الفعل فأناطم ولا يفلح
الظالمون وقيل معناها انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)
الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين الأول فى ذكر
أقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربه من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر
هممت بالشئ اذا أردته وحدت لك نفسك به وقاربه من غير دخول فيه فعنى قوله ولقد همت به أى أرادته
وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصدوه وعزم عليه قال الشاعر
وهو عمرو بن صابئ البرجى هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبى حلاله
وقوله ولقد همت به معناها ولقد همت بفعلها وهم بها أى وهم بفعلها لولا أن رأى برهان ربه جوابه
محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالفها قال البغوى وأما همم بها فرى عن ابن عباس انه قال حل
الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال بجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين
منهم سعيد بن جبيرة والحسن وقال الضحالك جرى الشيطان بينهما ف ضرب بيده الى جيبه يوسف ويده الانجرى
الى جيب المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوى والقول
ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا فى الانبياء من غير علم قال السدى وابن ابي عمير ما أردت
امرأة العز زمر اودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره بحاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف
ما أحسن شعرك قال هو اول ما يثير عن جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هى اول ما يسيل على خدي فى
قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراس الحر يرمس وسط قم فاقض
حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطعمه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجرد من شبق الشباب ما يجوده
الرجل وهى امرأة حسنة جميلة حتى لان لها ما يرى من كاهها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف
بالبرهان الذى ذكره وسبأنى الكلام على تفسير البرهان الذى رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله
المفسرون فى هذه الآية أما المقام الثانى فى تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان
عصمته من هذه الخطيئة التى يناسب اليها قال بعض المحققين الهم همت بها ثابت وهو ما كان معه عزم
وقصد و عقيدة رضامثل هم امرأة العز زمر اودة يوسف وهو ما عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس
من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فاعبده غير ما أخوذ به مالم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا

راودتنى عن نفسي ولو كان ذلك منه أيضاً ما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن ما
السوء مصر وفا عنه وقوله ذلك اعلم أى لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لكانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الا ان حصص الحق أنار اودته
عن نفسه وانه ان الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لا آدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام وقد سماه
الله تخلصاً فاعلم بالقطع انه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه بمجاهدة أولى العزم ناظر فى دلائل التحريم حتى استحق من الله الشان وحصل الكافى فى

ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم
 عبدى بسينة فلا تنكبوها علي فان عملها فاكثبوها عليه سينة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكثبوها
 حسنة فان عملها فاكثبوها عشرة لفقام مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن
 هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بمر او عملها كتبها الله عشر حسنات الى سبع مائة
 ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسينة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة وان هو هم بمر او عملها كتبها الله
 عليه سينة واحدة زاد في رواية او يحاها ولانهم كلفوا على الله الا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلي
 مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين انهم النفس لا يواخذونه وليس بسينة وذكروا الحديث المتقدم فلامعصية
 فيهم يوسف اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سينة
 واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف
 من هذا و يكون قوله وما برئ نفسي الآية أي ما أبرئهم من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع
 والاعتراف بمخالفة النفس لمازكي قبل وبرئ فكيف وقد حكي أبو حاتم عن أبي عبيدة ان يوسف عليه الصلاة
 والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأي برهان ربه لهم بها وقال تعالى
 حاكيا عن المرأة و قد رآه عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك انصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى
 وغلفت الابواب وقالت هيئت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها
 أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضرها ودفعا وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر
 بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة ولا يحتاج نبأ الله فالتقى عليه هيبه النبوة فشغلت هيبته كل من
 رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله واما الامام نجر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا
 مبسوطا وانا اذ كر بعضه ملخصا فاقول قال الامام نجر الدين الرازي ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان يرثا
 من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعن سنده نذب فان
 الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الأئمة
 المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدوت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باطنهار
 الندامة والتوبة والاستغفار كذا كره عن آدم عليه السلام في قوله ربنا طمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود
 عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وانا ب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحل عنه شيئا من
 ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لا تبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه
 كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحل عنه شيئا علمنا برأته مما قيل في قوله يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب
 الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب
 اليه وعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيديهن والمولود
 الذي شهد على القميص شهيدا وبرأته والله تعالى شهد ببرأته من الذنب أيضا ما بين ان يوسف ادعى
 براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وأما بيان ان
 المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف وزاهاهتة فقولها أنا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الآن
 ححصص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله
 انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وأما
 شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف
 عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله
 لاغو بينهم أجمعين الاعداد منهم المخلصين وبطل هذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهم حتى أخذ
 بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد أن يقول ذلك وأما ما روى عن ابن عباس انه

(كذلك) نصب أى مثل ذلك التثبيت ثمناه أو رفع أى الأمر مثل ذلك (لتصرف عنه سوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى أى الذين أخلصهم الله اطاعته وبكسر ها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار واىصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرع وتراه لتمنعه الخروج ووجد الباب وان كان جمعه فى قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البرافى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قبصه من دبر) اجتذبتة من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها لى الباب) وصادق بعلمها فظفر مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئته ساحتها عند زوجه من الزينة ولتخويف يوسف طمعا فى أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث

جلس منها مجلس الخائن فخاشى ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فلا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كما وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فأنذرت فيه أعظم القوائد ويانه من وجهين أحدهما انه تعالى أعلم يوسف أنه لوهم بدفعها لقاتله فالعلم بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صوتا لنفسه عن الهلاك الوجه الثانى أنه علمه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد فى ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان فى علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه يتمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت هى الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فثبت بذلك الشاهد حجة له لاعلمه وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون فى قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتعلم عمل السفهاء أنت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انه فرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدى نودى يا يوسف أواقعها فماتك ما لم تواقعها مثل الطيرى جوار السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعها كمثل اذ واقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يطاق ومثلك ان واقعها كمثل اذ مات ودخل النمل فى قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عايكم لحافان كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقر بو الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوم ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجريل عليه السلام أدرك عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أتعلم عمل السفهاء أنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا فى حائط فيه ولا تقر بو الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسن قال كان فى البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته ثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف استحيين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فانا أرى أن استحيى من ربى فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاقول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يستخط الله عز وجل الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يلىق فعله (كذلك) يعنى كما أرىناه البرهان كذلك (لتصرف عنه سوء) يعنى الاثم (والفحشاء) يعنى الزنا وقيل سوء مقدمات الفحشاء وقيل سوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عبادنا المخلصين وهو قوله (انه) يعنى يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واختارناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا اطاعتهم عز وجل قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا بمبادر الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب سبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقمصه من خلفه وجذبتة اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قبصه من دبر) يعنى شقته من خلف فعلم يوسف فرج وخرجت خلفه (وألفيا سيدها لى الباب)

(قالت ماجزاء من أراد باهلك سواء الآن يسجن أو عذاب أليم) مانافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم
أصرح بذلك يوسف وأنه أراد بها سواء لأنها قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سواء أخفه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت
من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي 15) راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتبت
عليها ولم يفضحها (وشهد

بمعنى فلما خرجوا جازوا زوج المرأة فظفير وهو العز يز عند الباب جالساً مع ابن عم المرأة فلما رآته المرأة هابت
وضافت التهمة فسبق يوسف بالقول (قالت) يعني لزوجها (ماجزاء من أراد باهلك سواء) يعني الفاحشة
ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه له فقالت (الآن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو
عذاب أليم) يعني الضرب بالسياط وإنما بدأت بذكر السجن دون العذاب لأن المحب لا يشتهي إيلام المحبوب
وإنما أرادت أن يسجن عندها يوماً أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه صليقة فافهمهما فلما سمع يوسف
مقالتهما أراد أن يبرهن عن نفسه (قال) يعني يوسف (هي راودتني عن نفسي) يعني طلبت مني الفحشاء
فأبيت وقررت وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها
ولكن لما قالت هي ما قالت وأطخت عرضه احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي
(وشهد شاهد من أهلها) يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبيرة
والضحاك كان صبياني المهدي فأنطقه الله عز وجل وهو راية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال تكلموا بعبادة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جبريل وعيسى بن
مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحاح ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جبريل وابن المرأة أوقعتهم
مخرجة في الصحاح قبيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم
يكن صبياً ولكنه كان رجلاً حكماً إذا رأى وقال السدي هو ابن عم المرأة فكيف قال (ان كان قبصه قدم من
قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قبصه قدم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو
من الصادقين) وإنما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة
والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من
وجوه منها أنه كان في الظاهر مملوكاً هذه المرأة والمملوك لا ييسط يديه إلى سيده ومنها أنهم شاهدوا يوسف
بعد وهار بامننا والطالب لا يهرب ومنها أنهم رأوا المرأة قد تزنت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها
أولى ومنها أنهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان
مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضاً (فلما رأى أي قبصه قدم من دبر) يعني فلما
رأى فظفير زوج المرأة قبص يوسف عليه الصلاة والسلام قدم من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف
عليه الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها فظفير (انه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من
حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظيم مع قوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفاً وهلاك مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفاً فهو بالنسبة
إلى خالق ما هو أعظم منه تتلقى الملائكة والسموات والارض والجمال ونحو ذلك وأما عظام كيد النساء
ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لانهن من المكر والحيل والكيد في تمام مرادهن
مالا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك
أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف
(أعرض عن هذا) يعني اترك هذا الحديث فلما تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس
وقيل معناه يا يوسف لا تكررت بهذا الامر ولا تمته به فقد بان عدوك وبراءتك ثم التفت إلى المرأة فقال لها
(واستغفري لذنبك) يعني توبى إلى الله بما رمت يوسف به من الخطيئة وهو بري منها وقيل ان هذا من قول

بأهلك سواء اوان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولا منها (ان كيدكن عظيم) لانهم أطف كيداً وأعظم
حيلة وبذلك يغلب الرجال والقصر يات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البواطن وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء أكثر مما أخاف
من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفاً وقال لهن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى
توبى بمقاطن الحديث وفيه تقرير له وتلطيف لمحلها (اعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال لراجل (واستغفري لذنبك)

بأنه كان قبصه قدم من دبر) يعني فلما رأى فظفير زوج المرأة قبص يوسف عليه الصلاة والسلام قدم من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف
عليه الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها فظفير (انه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت
كيف وصف كيد النساء بالعظيم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفاً فهو بالنسبة إلى خالق ما هو أعظم منه تتلقى الملائكة والسموات والارض
والجمال ونحو ذلك وأما عظام كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لانهن من المكر والحيل والكيد في تمام مرادهن
مالا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما
ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف (أعرض عن هذا) يعني اترك هذا
الحديث فلما تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكررت بهذا الامر ولا تمته به فقد بان عدوك
وبراءتك ثم التفت إلى المرأة فقال لها (واستغفري لذنبك) يعني توبى إلى الله بما رمت يوسف به من الخطيئة وهو بري منها وقيل ان هذا من قول

انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا لذكور على الاناث وكان العزير رجلا حليما قايلا الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجين وامرأة الحجاب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيها غير حقيقي ولذلك لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العزير) بردن قطفير والعزير الملك بلسان العرب (تراودفتها) غلامها يقال قتلى وقتاني اي غلامى وجارىتى (عن نفسه) (١٦) لتنال شهوتها منه (قد شغفها حبا) تميز أى قد شغفها حبه يعنى خرج حبه شغاف قلبها

حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلد رقيقة يقال لها لسان القلب (انالترها) فى ضلال مبين) فى خطاها بعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيا بهن وقولهن امرأة العزير عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرالانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليهما (أرسلت اليهن) دعتهن قبل دعوت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعدت) وهيات افعلت من العناد (لهن متكا) ما يتكئن عليه من عارق قد صدت بذلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) وكانوا

الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعنى من الذنبيين حين خنت زوجك ورمت يوسف بالتممة وهو برىء وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل فقد رواه انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين قوله عز وجل (وقال نسوة فى المدينة امرأت العزير تراودفتها عن نفسها) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل كن أربعاً وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة فى مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة حاقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من أشرف مصر امرأة العزير يعنى زليخا تراودفتها عن نفسه يعنى تراودع بها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعنى قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه قد دخل الجلد حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كما حاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى يحب حبه قلبها حتى لا تعقل شيئا سواه (انالترها فى ضلال مبين) يعنى فى خطابين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتناها (فلما سمعت بمكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا يقولهن وما تحدث به وانما سمي قولهن ذلك مكر لانهن طلبن بذلك رؤيه يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن أن يرينه وقيل ان امرأة العزير أرقت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليهما فذلك سماء مكرها (أرسلت اليهن) يعنى انهن لما سمعت بأنهن يلتهن على نخبتهن ليوسف أرادت أن تقيم عذرهما عندهن قال وهب اتخذت مائدة يعنى صنعت لهن ولبسة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدينتهما فهن هؤلاء اللاتي عبرنهما (وأعدت لهن متكا) يعنى ووضعت لهن غمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جرير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعنى طعما وانما سمي الطعام متكا لان كل من دعونه لطعم عندك فقد أعددت له وساند يجلس ويتكى عليها فسمى الطعام متكا على الاستعارة ويقال اتكا ما عند فلان أى طعمنا عند والتمكا ما يشكاه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكنا وقيل المتكا الأترج وقيل هو كل شئ يقاسح بالسكين أو يحجزها يقال ان المرأة زنت البيت بأوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي عبرنهن بسبب يوسف (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) يعنى وأعطت كل واحدة من النساء سكيناً لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينت واختبأته فى مكان آخر (فلما رأينه) يعنى النسوة (أ كبرنه) يعنى أعظمته ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أهلى شطرا الحسن وقال بكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله

يا كرون فى ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصرى وعاصم وجزء وبضمها غيرهم (فلما صلى رأينه أ كبرنه) أعظمته وهن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سارنى أرقه مصرى تلاءم لوجهه على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه مبره وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أ كبرن يعنى حضن والهاء الساكنة اذا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أ كبرت المرأة اذا حضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحضن يخرج من جدد الصغرى وكان أنى الطيب أخذ من هذا التمسير قوله خيف الله واسترذ الجمال يعرفه فان لحقت حاضت فى الخلد والبراق

(وقطعن أيديهن) ورحمها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحها أي أردت أن يقطع من الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأيته فخدشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيدوهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعني ساء الله براءة الله وتنزيهه لله وقرأة أبي عمر وحاش الله نحو قولك سقيالك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز (١٧) والتعجب من قدرته على خلق جليل مثله (ما هذا بشر ان هذا الاملاك

صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاً على وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالبيه هاله من أمره وبه من اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبره أي حزن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حزن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبره تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حزنه لان حزن لا يتعدى الى مفعول قال الأزدي ان سحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد البكار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان سحت الرواية عن ابن عباس سلمناه وجعلنا الهاء في قوله أكبره هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا حاضت أو فرغت فر بما أسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم تحيض فر بما كان من فرغهن وما هاله من أمر يوسف حين رأيته قال الامام فخر الدين الرازي وعندى أنه يحتمل وجه آخر وهو أنهما أكبره لأنهم رأين عليه نور النبوة وسماه الرسالة وأثار الخضوع والانخبات وشاهدت فيه مهابة وهيبه ملكيته وهي عدم الالتفات الى المعلوم والمنكوح وعدم الاعتمادين وكان ذلك الجمال العظيم مقروناً بتلك الهيبة والهيبه فتعجب من تلك الحالة فلا حرم أكبره وأعظمه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهم قال وجل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعني وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الا تريح ولم يجدن الألم لدهشتهن وشغل قلوبهم بيوسف قال مجاهد فأسأ حسن الابالدم وقال قتادة أن أيديهن حتى ألقينها والاصح انه كان قطعاً من غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهن (وقلن) يعني النسوة (حاش لله ما هذا بشراً) أي معاذ الله أن يكون هذا بشراً (ان هذا الاملاك كريم) يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد كثر في النفوس أن لا شيء أحسن من الملك فذلك وصفه بكونه ملكاً وقيل لما كان الملك مطهر من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصف يوسف بذلك قوله تعالى (فالت فذلكم الذي امتنني فيه) يعني قالت امرأة العزيز للنسوة قلن ان يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكم الذي امتنني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفتها فثاها الكنعاني حبا وانما قالت فذلكم الخ بعد ما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكم ولم تقل فهذا وهو حاضر فعملت له في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون إشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورته في أنفسكن ثم امتنني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (وقدر اودته عن نفسه فاستعصم) يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها عاتت انه لا ملامة عليها منهن وانهم قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما أمره) يعني وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه (ليسجنن) أي ليهن اقبن بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعوتك اليه فاختر يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك (قال رب) أي يارب (السجن أحب الي مما يدعونني اليه) قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما أضافه اليهن جميعاً وجامن التصريح الى التعريض

كريم) نفين عنه الشرية لغرابه بجماله وأثبتت له الملكية وبثنتن بها الحكم لما ركز في الطبايع ان لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقيح من الشيطان (فالت فذلكم الذي امتنني فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورته في أنفسكن ثم امتنني فيه تعني انك لم تصورته حتى صورته والاعذرتني في الافتتان به (واقدر اودته عن نفسه فاستعصم) الاستعصام بقاء بالغة بيد على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عهدة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام يرى مما أسر به أولئك الفريق الهيم والبرهان ثم قلن له أطع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما أمره) الضمير راجع الى ما وهى موصولة والمعنى ما أمر به فحذف الجار كما في قوله أمرتكم الخيراً وما مصدرية والضمير يرجع الى يوسف أي ولئن لم يفعل أمرى اياه

(٣ - خازن) - ثالث) أي موجب أمرى ومقتضاه (ليسجنن) ليحسن والالف في (وليكونا) بدل من فون التأكيد الخفيفة (من الصاغرين) مع السراق والسفك والاباق كسرق قلبي وأبق منى وسفلت دمي بالفراق فلا يمنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما معنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثل في الحر وعلى السرير أميراً حصل في الحصر على الحصر حسيراً فلما جمع يوسف ثم يدها (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أحببت مولاتك أو فتنت كل واحدة به فدعت الى نفسها سرا فالتجأ الى

ربه قال رب السجن أحب الي من ركوب المعصية (والانصرف عن كيدهن) فزرع منه الى الله في طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن
والصوبة المبل الى الهوى ومنه الصبالان النفوس تصبو اليها الطيب نسيهما وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم (١٨) سواء أمن السنة ما فعلما كان في قوله والانصرف عن كيدهن معنى طلب الصبر والدعاء

قال (فاستجاب له ربه) أي
أجاب الله دعاءه (فصرف
عنه كيدهن انه هو
السميع) لدعوات المتجبنين
اليه (العليم) بحاله وحالهن
(ثم بداهم) فاعله مضمير
لدلالة ما يفسره عليه وهو
ليسجنه والمعنى بداهم
بداء أي ظهر لهم رأي
والضوء يري لهم للعزير
وأهله (من بعد مارأوا
الآيات) وهي الشواهد
على براءته كقد القميص
وقطع الايدي وشهادة
الصبي وغير ذلك (ليسجنه)
لابداء عزه الحال وارضاء
الستر على القبول والقال
وما كان ذلك الا باستئصال
المرأة لزوجهما وكان معاونا
لها وحيدا لا ذولا زمامه في
يدها وقد طمعت أن يذله
السجين ويستخره لها أو
خافت عليه العيون وطنت
فيه الفنون فالجأها الخجل
من الناس والوجل من
الباس الى أن رضيت
بالجبابم كان خوف
الذهاب تشتق بخبره اذا
منعت من نظره (حتى حين)
الى زمان كأنها اقترحت
أن يسجن زمانا حتى تبصر
ما يكون منه (ودخل معه
السجين قتيان) عبدا

وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لم يفلن له أطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا ولانه
كان يحضرنه قال بعضهم لولم يقل السجن أحب الي لم ينزل بالسجن والاولى بالعبدان يسأل الله العافية
(والانصرف عن كيدهن) يعني ما أردن مني (أصب اليهن) أي أمل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال
اليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه
دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فاجاب الله تعالى دعاء يوسف
(فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعني الدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بحاله وفي الآية دليل على أن
يوسف عليه الصلاة والسلام لما أطلته البلية بكيد النساء ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وقرع الى
الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يصعبه من المعصية وقع فيها فدل
ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل (ثم بداهم) يعني
للعزير وأصحابه في الرأي وذلك انهم أرادوا أن يقنصروا من أمر يوسف على الاعراض وكنتم الحال وذلك ان
المرأة قالت لزوجهما ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم بانى قد راودته عن نفسه فاما ان
تاذن لي فاخرج واعتذري الى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه (من بعد مارأوا الآيات) يعني الدالة على صدق
يوسف وبرائه من قد القميص وكلام الطافل وقطع النساء أي يدين وذهب عقولهن عند رؤيته (ليسجنه)
أي يسجن يوسف في السجن (حتى حين) يعني الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة
الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكافي خمس سنين فبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس
تطهير اليوسف من همهم بالمرأة (ودخل معه السجن قتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن زوران العمليق ملك
مصر الا كبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرايه وكان قد غضب عليهم المالك
فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشرف مصر أرادوا المكر بالمالك واغتياه وقتله فضمنوا الهذين
الغلامين مالا على أن يسه المالك في طعامه وشرايه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل
الخباز الرشوة وسم القاعام فلما حضر الطعام بين يدي المالك قال الساقى لانا كل أي المالك فان الطعام مسموم
وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشر به فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك
فأبى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر المالك بحبسهما فبسهما يوسف وكان يوسف لما دخل السجن
جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين اصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فترأيا
له رؤيا فأسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود مارأيا شيئا انما هما البحر يا يوسف وقال قوم بل
كانا قد رأيا رؤيا باحقيقة فرأهما يوسف وهما مهمومان فسألهم ما عن شأنهما فذكر أنهم ما غلامان للمالك وقد
حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غنمتهما فقال يوسف قصا على مارأيتما فقصا عليه مارأياه فذلك قوله تعالى (قال
أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خجرا) يعني عنبا سمي العنب خجرا باسم ما يؤل اليه يقال
فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عجمان وذلك انه قال انى رأيت في المنام
كأنى في بستان واذا فيه أصل جبله وعلمها ثلاثة عنقايد عنب فقيتها وكان كأس المالك في يدي فعصرتما فيه
وسقيت المالك فشر به (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزانا كل الطير
منه) وذلك انه قال انى رأيت في المنام كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير
تنهش منها (بنشابنا و يله) أي أخبرنا بتفسير مارأينا وما يؤل اليه أمر هذه الرؤيا (اناراك من الحسنين)

للملك خبازه وشرايه بهتمة السم فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف لان مع يدل على معنى الصخرة تقول خرجت مع
الامير تريد مصاحبه فوجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أي شرايه (انى أرانى) أي في المنام وهي حكاية حال
ماضية (أعصر خجرا) أي عنبا سمي للعنب بما يؤل اليه أو الخمر بلغة عجمان اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (انى أرانى) أي خبزانا كل الطير
خبزانا كل الطير منه بنشابنا و يله) بتأويل مارأينا (اناراك من الحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين الى أهل

الشيخ فانك تدوى المرير ويزى الحزب ونوسع على الفقير فأحسن النباتا ويل مارا يناو ويل انهما تحت الماله لبعثناه فقال الشراي
ان رأيت كائى فى بستان فاذا باصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها (١٩) فى كأس الملك وسقيته وقال الخباز انى

أريت كان فوق رأسى ثلاث
سلال فيها أنواع الاطعمة
فاذا سبغ الطير تنهش
منها (قال لا يا تيكا طعام
ترزقانه الانبا تكبتا ويله)
أى بيان ماهيته وكيفيته
لان ذلك يشبهه نفسه
المشكى (قبل أن يا تيكا)
ولما استعبراه ووصفاه
بالاحسان افترص ذلك
فوصل به وصف نفسه بما
هو فوق علم العلماء وهو
الاخبار بالغيب وأنه ينبتهما
بما يحمل اليهما من الطعام
فى السجن قبل أن يا تيكا
ويصفه لهما ويقول اليوم
يا تيكا طعام من صفته كيت
وكيت فيكون كذلك
وجعل ذلك مخصا الى أن
يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان
وترينه لهما ويقع اليهما
الشرك وفيه ان العالم اذا
جهل منزله فى العلم فوصف
نفسه بما هو بسدده
وغرضه أن يقتبس منه
يكن من باب التزكية
(ذلك) اشارة له ما الى
التأويل أى ذلك التأويل
والاخبار بالغيبات (مما
علمنى ربى) وأوحى به الى
ولم أقله عن تكهن وتنجيم
(انى تركت مله قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون) يجوز أن يكون

يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض
انسان فى الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واذا احتاج أحد جمع له شيئا وكان مع هذا
يجتهد فى العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم
وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسلمهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما أحسن
وجهك وشماك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فنى أين أنت قال أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح
الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت خليت سيديك ولكن سأرفق
بنا وأحسن جوارك واخترأى بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالانا قد أحبينالك منذ
رايناك فقال لهما يوسف أشد كما بالله أن لا تخباني فوالله ما أحببني أحد قط الا أدخل على من حبه بلاه لقد
أحبتنى عمى فدخل على من ذلك بلاه وأحبتنى أبى فألقيت فى الحب وأحبتنى امرأة العزيز فحبست فلما قصا
عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاهما علم ما فى ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن
سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين
لهما ان درجته فى العلم أعلى وأعظم مما استقدافيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبنى
على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن الغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يحجز
الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن
تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان أحدهما سبب فأراد أن يدخله فى الاسلام ويخلصه من
الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يا تيكا طعام ترزقانه الانبا تكبتا ويله) قيل
أراد به فى النوم يقول لا يا تيكا طعام ترزقانه فى نومك الا أخبرتكم خبره فى اليقظة وقيل أراد به فى اليقظة
يقول لا يا تيكا طعام من منازلكما ترزقانه يعنى طعامه وتأكلا لانه الانبا تكبتا ويله يعنى أخبرتكم بقدره
ولونه والوقت الذى يصل اليك فيه (قبل أن يا تيكا) يعنى قبل أن يصل اليك أى طعام أكلتم وكتم أكلتم ومتى
أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنتم كما تأكلون وما تدخلون فى بيوتكم
فقال ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والسكهنه فن أن لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن
ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والى العلم الذى أخبرهم به (ذلك كما علمنى ربى) يعنى ان هذا الذى
أخبرتكم به وحى من الله أو جاء الى وعلم علمنى به (انى تركت مله قوم لا يؤمنون بالله) فان قلت طاهر قوله انى
تركت مله قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخل فى هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك
لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فاسمى هذا الترك
فى قوله تركت مله قوم لا يؤمنون بالله من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ واللذات اليه بالمرة
وليس من شرطه أن يكون قد كان داخل فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثانى وهو الاقرب ان يوسف عليه
الصلاة والسلام لما كان عند العزيز زوجه وكافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على
التوحيد والايمان الصحيح صح قوله انى تركت مله قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك
ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرر بلفظهم فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون
للتوكيد لشدته انكارهم للمعاد وقوله (واتبعت مله آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه
الصلاة النبوة وأظهر المعجزة أظهره من أهل بيت النبوة وان آباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لما كان ابراهيم
واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العلى فى الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة فى
الآخرة أظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ايسمهوا قوله ويطيعوا

كلما مبدأ وأن يكون تعبيلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى به الى لاني رفضت مله أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم
(واتبعت مله آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب) وهى الملة الحنيفية وتكريرهم للتوكيد ذكر الالباء ليرى ما ناله من بيت النبوة بعد ان
عرفها انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى اتباع قوله والمراد به ترك الابتداع لانه كان فيه ثم تركه

(ما كان لنا) ماصح لنا عشر الانبياء (ان نشرك بالله من شيء) أي شيء كان صنما أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله فيشركون به ولا ينهون (يا صاحبي السجن) يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأب متفرقون) (٢٠) خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والتشكك في أن تكون أو باب شئ يستبدك

هذا ويستعبدك هذا
خير لك أم يكون لك كرب
واحد قهار لا يغالب ولا
يشارك في الربوبية وهذا
مثل ضربه لعبادة الله
وحده ولعبادة الاصنام
(ما تعبدون) خطاب لهما
وان كان على دينهم امن
أهل مصر (من دونه) من
دون الله (الأسماء سميتها
أنتم وآباؤكم) أي سميت
مالي استحقq الالهية لآلهة
ثم طفتكم تعبدونم فإنا كنا
لا تعبدون الأسماء لا
سميات لها ومعنى سميتها
سميت بها يقال سميت زيدا
وسميت به زيد (ما أنزل الله
بها) بتسميتها (من سلطان
حجة) ان الحكم في أمر
العبادة والدين (الآلهة) ثم
بين ما حكم به فقال (أمر
ألا تعبدوا الا يا ذلك الدين
القيم) الثابت الذي دل
عليه البراهين (ولكن
أكثر الناس لا يعلمون)
وهذا يدل على ان العقوبة
تلزم العبد وان جهل اذا
أمكن له العلم بطريقه ثم
عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي
السجن أما أحدك) يريد
الشرابي (فيسق في ربه)
سيده (خيرا) أي يعود الى
عمله (وأما الآخر) أي

أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصاصها قال الواحدى لفظة من في قوله من شيء زائدة وكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ماصح لنا عشر الانبياء أن نشرك بالله من شيء أي شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الاشرار والعلم الذي رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعني بما نصب لهم من الأدلة الدالة على وحدانيتهم وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بهم عليهم لانهم تركوا عبادة وعبادوا غيره ثم دعاهم الى الاسلام فقال (يا صاحبي السجن) يريد يا صاحبي في السجن فاضافها الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأب متفرقون) يعنى آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعنى ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشرك والنظير وليس هو كسائر الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذى فخر الجبارة من خلقه بالقوة وفخر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شئ وذلكه فاستسلم وانقاد وذلكه والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مهورة اذا أراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذى لا يقبله شئ وهو الغالب لكل شئ سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانما الاثني البتة فقال (ما تعبدون من دونه) يعنى من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالثنائية في المخاطبة لانه أراد جميع من في السجن من المشركين (الأسماء سميتها) يعنى سميتها (أرأب متفرقون) يعنى سميتها (ما أنزل الله بها من سلطان) يعنى ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا به التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان (ان الحكم الا لله) يعنى ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك (أمر ألا تعبدوا الاياه) لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي سميتها آلهة (ذلك الدين القيم) يعنى عبادة الله هي الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك وما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته ورجع الى تعبير رؤياه ما فقال (يا صاحبي السجن) أما أحدك فيسقى ربه خيرا) يعنى ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقى الملك خيرا كما كان يسقيه أولا والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام بقي في السجن ثم يدعوه الملك ويرده الى منزلته التي كان عليها (وأما الآخر) يعنى صاحب طعام الملك والسلال الثلاثة أيام ثم يدعوه الملك فبصلبه (فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سمعوا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قال ما رأينا شيئا مما كأنه قال يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) يعنى فرغ من الامر الذى سألتما عنه ووجب حكم

الخباز (فصلب قنا كل الطير من رأسه) روى أنه قال للذول ما رأيت من الكرمه وحسنها هو الملك وحسن حاله الله عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضى في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبيه قال ما رأيت شيئا فقال يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) أى قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمر كما رأيت كما أى ما يجرب اليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر

(وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشراي
او يكون الظن بمعنى اليقين (اذ كرتي عند ربك) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي اعلمه برحمتي ويخصني من هذه الورطة (فأنساه
الشیطان) فأنسى الشراي (ذ كرتي) ان يذكر له أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكرك الله حين (٢١) وكل أمره الى غيره وفي الحديث

رحم الله أخي يوسف لولم
يقول اذ كرتي عند ربك لما
لبث في السجن سبعا (فلبث
في السجن بضع سنين) أي
سبعا عند الجهور والبضع
ما بين الثلاث الى التسع
(وقال الملك اني أرى سبع
بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر وأخر يابسات) لما
دنا فرج يوسف رأى ملك
مصر الربان بن الوليد رؤيا
عجيبة هالتة رأى سبع
بقرات سمان خرجن من
عجاف فابتلعت العجاف
السمان ورأى سبع
سنبلات خضر قد انعقد
جهاوسبعا آخر يابسات
قد استحصدت وأدركت
فالتوت اليابسات على
الخضر حتى غلبت عليها
فاستعبرها فلم يجد في
قومه من يحسن عبادتها
وقيل كان ابتداء بلاء
يوسف في الرؤيا ثم كان
سبب نجاةه أيضا الرؤيا
سمان جمع سمن وسمنة
والعجاف المهازيل والعجف
الهزال الذي ليس بعده
سمانة والسبب في وقوع
عجاف جمع العجاف أو فحل
وفعلاء لا يجتمعان على
فعال جملة على نقيضه وهو

الله عليه كما بالذي أخبرتك بكاهراً أي شامساً أم لم تريا (وقال) يعني يوسف (للذي ظن) يعني علم وتحقق فالظان
بمعنى العلم (أنه ناج منهما) يعني ساقى الملك (اذ كرتي عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الأكبر فقل له ان في
السجن غلاما محبوبا سامطالوما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذكرك ربه) في هاء الكفاية في فأنساه الى من تعود
قولان أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى ان يذكر
يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكرك يوسف أولى من
صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكفاية ترجع الى يوسف والمعنى ان
الشيطان أنسى يوسف ذكرك ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بالخلق مثله في دفع الضرر
وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالخلق في دفع الضرر جائزة لأنه لما كان مقام
يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذاً بما
القدر فان حسنات الأبرار سيئات المقربين فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكرك
ربه * قلت بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
فأما النسب ان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالة عن القلب بالكفاية فلا يقدر عليه وقوله سبحانه وتعالى
(فلبث في السجن بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو
ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية
سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب
أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذ كرتي
عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لا طيلن حبسك فبكي يوسف وقال أيوب أنسى قلبي ذكرك
كثرة البلى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في
السجن ما لبث يعني قوله اذ كرتي عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس ذكرك
الثعلبي مرسلوا وغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يوسف
يا أخا المنذر من مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهر من يقرأ عليك السلام رب العالمين
ويقول لك أمد استحييت مني أن استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لا لبثت لك في السجن بضع سنين قال يوسف
وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذ الأباي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من
خلقك قال الله قال فن رزقك قال الله قال فن حبيك الى أهلك قال الله قال فن نجالك من كرب البئر قال الله قال
فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأذى
ملاك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال السكبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبيل ذلك ودنا
فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالتة وذلك انه رأى
في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبين سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع
العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يمتن شي ولم يتبين على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر
قد انعقد جهاوسبعا سنبلات آخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم
يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التي رآها فذلك قوله تعالى (وقال
الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأبها الملائكة
أفتوني في رؤياي) يعني بأبها الأشراف أخبروني بتأويل رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعني ان كنتم

سمان ومن دأبهم حمل الظن على الظن والنقيض على النقيض وفي الآية دلالة على ان سنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لان
الكلام مبني على انصابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يذكر معنى الآخر السبع ويكون قوله
وأخر يابسات بمعنى وسبعا آخر (بأبها الملائكة) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء (أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام في الرؤيا

للنبات كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا أخر عنه فعضدهم تقول عبرت الرؤيا والرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمم كئمانه وتعبرون خبراً آخر وأحوال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرنا عقبها وأخرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت ما لها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعمير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخالطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من أخلط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغف فاستعبرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايد في وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون (٢٢) قد قص عليهم مع هذه الرؤيا غيرها (ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين) أرادوا بالأحلام

المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الأحلام بخابرين (وقال الذي نجى) من القتل (منهما) من صاحبي السجن (وآذرك) بالدهو الفصيح وأصله اذتكر فأبدلت الذال والاولياء دالا وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذا كرر وجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أي تذكروا يوسف وما شاهد منه (بعدمة) بعدمة طويله وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه وأعرض على الملك تأويلها تذكروا الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أنبئكم به عن عنده علمه

تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير يختص بتفسير الرؤيا ويسمى هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عاين من ظاهرها الى باطنها ليسخر ج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون بمجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعني أخلط مشبهة واحدة ضغف وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه (ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها فاق واضطرب وذلك لانه قد شاهد التناقض الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرة وكهنة ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجى منهما) يعني وقال الساقى الذي نجى من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (وآذرك بعدمة) يعني انه تذكروا يوسف اذ كرفى عند ربك بعدمة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (أنا أنبئكم) يعني أنبئكم بتأويله وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وناطب به بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالما بعبر الرؤيا (فارساون) فيه اختصار تقديره فارساوني أي الملك فارساونه فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة (يوسف) أي باليوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذباً قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتنتاني سبع بقرات سمان يا كاهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى باسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (على أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلمهم بعلمون) يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلمهم بعلمون من ذلك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين خصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجذبة فذلك قوله تعالى (زرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فما حصدتم فذروا في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أتى له على طول الزمان (الاقليلا مما تأكلون) يعني ادرسوا قليلا من الحنطة لئلا كل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين

(فارساون) وبالياء يعقوب أي فابعثوني اليه لاسأله فارساونه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ في الصدق وانما قاله ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاءه في أول (أفتنتاني سبع بقرات سمان يا كاهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى باسات) على أرجع الى الناس الى الملك واتباعه (لعلمهم بعلمون) فضلك ومكانك من العلم في طلبه ولولا ويتأصل من محنتك (قال زرعون سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحذف بحركة وهما مصدران في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين (فما حصدتم فذروه في سنبله) كدأبا كاه السوس (الاقليلا مما تأكلون) في تلك السنين

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداداً يأكلن) هو من اسناد المجاز جعل أكلهن مسند اليهن (مأذمتهم لهن) أي في السنين المخصبة (الاقليلا
 مستحسنون) تحرزون وتخبثون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة علم (فيه بغاث الناس) من الغوث أي يجاب
 مستغيثهم أو من الغيث أي يطرون يقال غيثت البلاد إذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيخذلون الأشربة والادهان
 يعصرون حزة فأول البقرات السممان والسنبلات الخضر بسنين مخصيب والجفاف واليباسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراع من
 تأويل الرؤيا بان العام الثامن يحيى عمبار كما كثر الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك اثنتونى به فلما جاءه الرسول) ليخبره من
 السجن (قال ارجع الى ربك) أي الملك (فأسأله ما بال النسوة) أي حال النسوة (٢٣) (اللائي قطعن أيديهن) انما ثبت يوسف

وتأتى في اجابة الملك وقدم
 سؤال النسوة ليظهر براءة
 ساحته بما جرى به وسجن
 فيه لتلاينسلق به الحاسدون
 الى تقبيح أمره عنده
 ويجعلوه سلبا الى حط منزلته
 لديه ولتلايقولوا ما خلد في
 السجن سبع سنين الا
 لامر عظيم وجرم كبير وفيه
 دليل على ان الاجتهاد في
 نفي التهم واجب وجوب
 اتقاء الوقوف في موافقها
 وقال عليه السلام اقد
 عجت من يوسف وكرمه
 وصبره والله يغفر له حين
 سئل عن البقرات الجفاف
 والسممان ولو كنت مكانه
 ما أخبرتهم حتى أشرط ان
 يخرجوني ولقد عجت منه
 حين أتاه الرسول فقال
 ارجع الى ربك ولو كنت
 مكانه ولبتت في السجن
 ما لبثت لاسرعت الاجابة
 وبادت الباب ولما تبعت
 العذران كان لحليم اذانة
 ومن كرمه وحسن أدبه
 انه لم يذكر سيده مع
 ما صنعت به وتبست فيه

المجدبة وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة
 بمحله شديدة على الناس (يأكلن) يعني يفنن (مأذمتهم لهن) يعني يؤكل فيهن كل ما أعدت لهم وادخرت لهن
 من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام (الاقليلا مستحسنون) يعني
 تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من
 بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين المجدبة (عام فيه بغاث الناس) أي يطرون من الغيث الذي هو المطر
 وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خرا
 والزيتون زيتا والسمسم دهنا وأدبه كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل
 يعصرون معناه ينجون من الكربة والشدة والجذب قوله عز وجل (وقال الملك اثنتونى به) وذلك ان
 الساقى ارجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كان
 لا محالة فقال اثنتونى به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فارجع الساقى الى يوسف
 وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأتى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه
 بعين النقص (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فأسأله ما بال
 النسوة اللائي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذلك (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فأسأله ما بال
 تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي آخرجه
 الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فأسأله ما بال النسوة اللائي قطعن أيديهن
 هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وقيامه والمراد بالداعي رسول الملك
 الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة مآثره من الضيق والسجن الطويل فلبث في
 السجن وراسل الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على الهنة والبلاء وقوله (ان ربي
 بكيدهن عليم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتان في هذه الواقعة من الخيل العظيمة فارجع الرسول
 من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز زمعهن و (قال) لهن (ما خطبكن)
 أي ما سألتكن وأمركن (اذراودتن يوسف عن نفسه) انما خطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد
 بذلك امرأة العزيز بزوجه ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز زراودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة
 أمرته بطاعتها فلذلك خطبهن بهذا الخطاب (فان) يعني النسوة جميعا يجيبات للملك (حاش لله) يعني معاذ
 الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني من خيانة في شيء من الاشياء (فالت امرأة العزيز بالآن حصص الحق)
 يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز برفع رءسها وقيل خافت أن يشهدن عليها
 فأقرت فقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا

من السجن والعذاب واقصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربي بكيدهن عليم) أي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجاز بين عليه
 فارجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالة فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز بزم (قال) لهن (ما خطبكن)
 ما سألتكن (اذراودتن يوسف عن نفسه) هل وجدت من ميلة اليك (قلن حاش لله) يعجبان قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه
 من سوء) من ذنب (فالت امرأة العزيز بالآن حصص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني
 عن نفسي ولا يري على شهادتهن له للبراعة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قد فيه ثم جع الرسول الى يوسف وأخبره
 بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز بزوجه اذ تم اعلى نفسه فقال يوسف

وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو هو غائب عنى أو ليعلم الملك أنني لم أخن العزيز (وان الله) أي وليعلم أن الله (لا يهدي كيد الخائنين) لا يسدده وكأنه تعريض بأمراته في خيانتها أمانة زوجهام أراد أن يتواضع لله ويخضع نفسه لئلا يكون لها من كيا وإييين ان ما فيمن الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكافية ولا أزر كها في عموم الاحوال أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لاعتن طريق الصدق والعزم (ان النفس لامارة بالسوء) أراد الجنس أي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه لما فيمن الشهوات (الامارحرم ربي) الابيض الذي رجحه ربي بالعصمة ويجوز أن يكون مارحرم في معنى الزمان أي الاوقت رجحه ربي يعني انها أمانة بالسوء في كل وقت الاوقت العصمة أو هو استثناء منقطع أي ولكن رجحه ربي هي التي تصرف الاساعة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أنني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الحيانة فاني قد خنته حين قد فرقه وقلت ما جازع من أراد باهلاك سوا الآن بسجين ربي

في قوله (ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجهه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق أنا وأودته عن نفسه وانه من الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنني لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا وأودته عن نفسه وانه من الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تأكيده هذا القول فقالت (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) يعني اني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم اني اقتضت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثر من من المفسرين والعلماء ووجهه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية انه لما بلغ يوسف قول المرأة أنا وأودته عن نفسه وانه من الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز أنني لم أخنه في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا وأودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين معرفة السامعين لذلك مع غموض فيلانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملا فاذ أتأمر من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصدقها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما انه كان في السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب وهذا رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جرير والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذا رواية عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بالفضة ذلك وهي اشارة للغائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الانباري قال القويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع اقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من ردى الرسول ليعلم أنني لم أخنه بالغيب أي لم أخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائنا لما خطنني الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لان الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله (وما أبرئ نفسي) من قول من على قولين أيضا أحدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من مرادني يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعلمه أكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب قاله جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذا رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكثر من وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب خاف ان يكون قد رزى كى نفسه فقال وما أبرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم في قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس في مقام العصمة والتركية ذنب عظيم فإراد الاله ذلك عن نفسه فان حسنة الابراء سبب المقر بين (ان النفس لامارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل ما يهيم الانسان من الامور الدنيوية والأخروية والسيئة الفعلية القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهى النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكيت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة ﴿وقوله (الامارحرم ربي) قال ابن عباس معناه الامن عصم

وأودعته السجن تريد الاعتذار بما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا مارحمر بن الانفسار جهال الله بالعصمة كنفوس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربه وهاسترحته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولادليل (٢٥) عليه ظاهر لان المعنى بقوله اليه وقيل هذا

من تقديم القرآن وتأخيرها
أي قوله ذلك ليعلم متصل
بقوله فاستله ما بال النسوة
اللاتي قطعن أيديهن (وقال
الملك اتنوني به أستخلصه
لنفسى) أجعله خالصا
لنفسى (فلما كلمه) وشاهد
منه ما لم يحتسب (قال) الملك
ليوسف (انك اليوم لدينا
مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة
أمين موثوق على كل شئ
روى أن الرسول جاءه ومعه
سبعون حاجبا وسبعون
مركبوا بعث اليه لباس
المالوك فقال أحب الملك
نخرج من السجن ودعا
لاهله اللهم عطف عليهم
قلوب الاخبار ولا تم عليهم
الاخبار فهم أعلم الناس
بالاخبار في الواطن وكتب
على باب السجن هذه منازل
البسوا وقبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبس
ثيابا جندا فلما دخل على
الملك قال اللهم اني أسألك
بخيرك من خيره وأعوذ
بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعاه بالعبيرانية
فقال ما هذا الاسان قال
لسان آباءى وكان الملك
يتكلم بسبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه وقال أيها

ربي فتكون ما يعني من فهو تقوله ما طاب لك من النساء يعني من طاب لك قول هذا استثناء منقطع معناه
لكن من رحم ربي فصحة من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده
(رحيم) قول تعالى (وقال الملك اتنوني به أستخلصه لنفسى) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف
وعرف أماته وعلمه طلب حضوره اليه فقال اتنوني به يعني بيوسف أستخلصه لنفسى أي أجعله خالصا لنفسي
والاستخلاص طلب خلوص الشئ من جميع شوائب الاشراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه
لان عادة المالوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركونهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك
لما علم انه قداده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه
وثباته على المحن كلها فلما أحسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرها بما أسببه فالهم الملك ذلك فقال
اتنوني به أستخلصه لنفسى (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أحب الملك
الآن بلا معاودة فاجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب
الاخبار ولا تم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على يابه هذا
بيت البسوا وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياى وحسبي ربي من خلقه
عزبارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره
وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما انظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعبيرانية فقال له الملك ما هذا الاسان
قال لسان عمي اسمعيل ثم دعاه بالعبيرانية فقال له وما هذا الاسان ايضا قال يوسف هذا لسان آباءى قال وهب
وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان آجابه يوسف
وزاد عليه بالعبيرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدائقه من يوسف عليه السلام
وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يوسف
لان مجالس المالوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما
كلم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذي علم تأويل ربه بالك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه
الملك و (قال انك اليوم لدينا مكين أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي
يمكن بها صاحبها ما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراعتك
مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا
روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل ربه ياى منك شفاها فقال نعم أيها
الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فظلعن من شاطئه
تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر الهن وقد أعجبك حسنهن اذ نصب النيل فغار ماؤه وبدأ يسه
نفرج من حماته سبع بقرات عجاف شعث غير مصقات البطون ليس لهن ضررع ولا أخلاف ولهن أنياب
وأضراس وأكف كاذ الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلفن بالسمان فافترسن السمان
كافترس السبع فكلن حومهن وضرفن جلودهن وحططن عظامهن ومشمشن نخهن فبينما أنت تنظر
وتعجب كيف غابنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن من ولا زيادة بعدا كلهن اذ سبغ سبيلات خضر
طريات ناعجات ثلاث حبا وماء الى جانبهن سبع أخرى سوديا بسات في مقبت واحد وعقهن في الترى والماء
فبينما أنت تقول في نفسك أي شئ هؤلاء خضر ممرات وهؤلاء سوديا بسات والمنبت واحد وأصولهن في الترى
والماء اذ هبت ريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضرممرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن

(٤ - (حازن) - ثالث) الصديق اني أحب أن أسمع ربه ياى منك قال رأيت بقرات فوصف لهن وأحوالهن ومكان
خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقلك أن تجمع الطعام في الاهرأ فبأتبك الخلق من النواحي
ويتناردون منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي به ذار من يجمعه

(قال يوسف اجعلني على خزان الارض) ولني على خزان أرضك يعني مصر (ان حفيظ) أمين أحفظ ما تستخفظني به (علم) عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما طيبة المولود ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكين مما لا جله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لالحب الملك والدين في الحديث رحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزان الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخذ ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد من النهي عنهم كراهية طلب المصالح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكنت اليها وان اوتيتها عن غير مسئلة اعنت عليها اخرجها في الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذ لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول اعلم بمصالح الامم من غيره واذا كان مكافرا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل فحط وشدة ما بطرق الوحي من الله او بغيره وما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان في طلب الامارة اتصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ علم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس اما اذا قصد به تزكية النفس ومدحها اتصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك بل يجب عليه ذلك مثله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرفه فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نهي يوسف بقوله اني حفيظ علم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا اضمح كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف بان اتيناها من الجب وخلصناه من السجن وزيناها في عين الملك حتى قربه واذني منزلته كذلك مكناها في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينزع منه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوا منها حيث يشاء) لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلته بجذاته ووضع له سريرا من ذهب مكابا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريبا وضرب له عليه كفة من استبرق وامره ان يخرج نخرج نخرج متوجلا لونه كاللؤلؤ وجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاه لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير وودانت ليوسف المولود وقروض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطيفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان الملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل امره وقضاه فاذا في ملكته قالوا ثم هلك قطيفير عز ز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأته العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها

سودا فهدا ما رأيت أجمع الملك ثم انتهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئا فاشان هذه الروايات وان كان عجبا فهو يا عجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل رويها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام اري أن تجمع الطعام وترعز زرا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبة وسنبله فانه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم أيضا فكيف ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها او تأتلك الخلق من سائر النواحي للميرة ويجمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفني العمل فيه فعند ذلك (قال) يعني يوسف (اجعلني على خزان الارض) يعني على خزان الطعام والاموال واراد بالارض أرض مصر أي اجعلني على خزان أرضك التي تحت يدك وقال الربيع بن أنس اجعلني على خزان خراج مصر ودخلها (ان حفيظ علم) أي حفيظ للخزائن علم بوجوه مصالحتها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتني علم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب علم اعلم لغة من ياتيني وقال السكبي حفيظ بتقديره في السنين المخصبة للسنين المجذبة علم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن احق بذلك منك واوله ذلك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزان الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخذ ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد من النهي عنهم كراهية طلب المصالح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكنت اليها وان اوتيتها عن غير مسئلة اعنت عليها اخرجها في الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذ لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول اعلم بمصالح الامم من غيره واذا كان مكافرا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل فحط وشدة ما بطرق الوحي من الله او بغيره وما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان في طلب الامارة اتصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ علم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس اما اذا قصد به تزكية النفس ومدحها اتصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك بل يجب عليه ذلك مثله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرفه فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نهي يوسف بقوله اني حفيظ علم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا اضمح كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف بان اتيناها من الجب وخلصناه من السجن وزيناها في عين الملك حتى قربه واذني منزلته كذلك مكناها في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينزع منه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوا منها حيث يشاء) لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلته بجذاته ووضع له سريرا من ذهب مكابا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريبا وضرب له عليه كفة من استبرق وامره ان يخرج نخرج نخرج متوجلا لونه كاللؤلؤ وجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاه لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير وودانت ليوسف المولود وقروض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطيفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان الملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل امره وقضاه فاذا في ملكته قالوا ثم هلك قطيفير عز ز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأته العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها

أي كل مكان اراد أن يتخذ منزلًا يمنع منه لاني لانه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء على

ليس

(نصيب برحمتنا) بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نساء) من اقتضت الحكمة أن نساءه ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) في الدنيا (ولاجرا لآخر خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان ابن عيينة المؤمن يثاب على حسنة في الدنيا والآخره والآخره من خلاق وتلا الايتروى أن الملك نوح يوسف وحثمه بمخاطمته ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكالبالدر والياقوت فقال (٢٧) أما السرير فاشده ملكك وأما الخاتم فأدبره أمرك وأما التاج

فليس من لباسي ولا لباس ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كجعله لك الله في حسنك وهيبتك فغلبتني نفسي وعصمت الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشاو هما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملامت مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدة وأفق المال بالمعروف حتى خات السنين المحصبة ودخلت السنين المجدة بهم ول وشدة لم بالناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فخاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول أو ان القحط فهلكت في السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه في السنة المحصبة فجعل أهل مصر يتناعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقد حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذهم منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمته وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر ما رأينا كالذيوم ملكا كأجل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما حولني فما ترى في هؤلاء قال الملك الراي رأيتك ونحن لك تبسح قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملا كههم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقبل له أن تجوع ويبدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبع أنسى الجماع وأمر يوسف بطباخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجماع فن ثم جعل المولود غداءهم نصف النهار قال بجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثر من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوء أمناها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نساء) يعني نخضع بنعمتنا وهي النبوة من نساء يعني من عبادنا (ولا نضيع أجر المحسنين) قال ابن عباس يعني الصابرين (ولاجرا لآخره) يعني ولثواب الاخرة (خير) يعني أفضل من أجر الدنيا (الذين آمنوا وكانوا يتقون) يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الاخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك **ﷺ** قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدناوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطي أحدا أكثر من جل بعبر وان كان عظيم ما تقسبنا وسواوة بين الناس وتزول باليعقوب ما تزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربيات من أرض فلسطين والعربيات ثغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشيابه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة

يوسف فدناوا عليه فعرفهم (بلا تعرف) وهم له منكرون لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة تروى انه لما رآهم وكلمه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فخننا متار فقال لعالمكم جئتم عيوننا ننظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي خزين المقدرين كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاه من أمه يستأنس به فقال اتنوني به ان صدقتم

يوسف فدناوا عليه فعرفهم (بلا تعرف) وهم له منكرون لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة تروى انه لما رآهم وكلمه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فخننا متار فقال لعالمكم جئتم عيوننا ننظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي خزين المقدرين كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاه من أمه يستأنس به فقال اتنوني به ان صدقتم

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد منهم حل يعبر وقرئ بكسر الجيم شاذاً (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم الأترون أفي أوفي الكيل) أتمه (وأنا خير المتزين) كان قد أحسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع اليه (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) فلا أبيعكم طعاماً (ولا تقر بون) أي فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقر بوافه وداخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو بمعنى النهي (قالوا ستراد عنه أباه) سخراده منه وسخراله حتى نزع من يده (وانالفاعلون) ذلك لا محالة لانفرط فيه ولا تتواني قال فدعوا بعضهم رهنا فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأياً يوسف (وقال لفتيانه) كوفي غير أبي بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان في أخ وفعلة للفتة وفعلان للكثرة أي الغلمان الكالين (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أو عبتهم وكانت نعلاً أو دماً أو ورقاً وهو أليق بالرحال (اعلمهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى أهالهم) وفرغوا طرقتهم (اعلمهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع البنائاً أو بما لا يجدون بضاعتها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة أو لم ير من المكرم أن يأخذ

والسلام وقال بلغني أن بصرم كما صالحا يبيع الطعام فجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرّفوه - ثم قال ابن عباس وبجهد باؤل نظارة نظرت اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كان بين أن قذوة في الجب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه مطوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقياً لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك مجزأة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلهم بلسانهم فقال لهم - ما خبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فحسنا مختار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قال وكم أنتم قالوا ككائني عشر فذهب أخ لنا معنالي البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبنينا قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عند أبنائنا لانه أخو الذي هلك لانه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك اننا ببلاذغرية لا يعرفنا فيها أحد قال فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاناراض بذلك منكم قالوا ان أبانا يجرن لفرأقه وسراوده عنه قال فدعوا بعضهم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً يوسف فخلطوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزاً اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من أهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعير من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين (الأترون أفي أوفي الكيل) يعني اتي أتمه ولا تخس منه شيئاً وأزيد كم حمل بعيراً آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك (وأنا خير المتزين) يعني خير المضيفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام نضر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم اليهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم الأترون أفي أوفي الكيل وأنا خير المتزين وأيضاً يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقاً أن يقول لهم أتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براعتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصدق ثم قال يوسف (فان لم تأتوني به) يعني بأخيكم الذي من أبيكم (فلا كيل لكم عندي) يعني لست أكيل لكم طعاماً (ولا تقر بون) يعني ولا ترجعوا ولا تقر ببلادي وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعني اخوة يوسف (ستراد عنه أباه) يعني سخرته وسخراله حتى نزع من عنده (وانالفاعلون) يعني ما أمرت به قوله عز وجل (وقال لفتيانه) يعني وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانهم واتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أرادوا ببضاعة ثمن الطعام الذي أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكي الضحالة عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره (اعلمهم يعرفونها) يعني يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى أهالهم) يعني اذا رجعوا الى أهالهم (اعلمهم يرجعون) السناو واختلفوا في السبب الذي من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قدر دن اليهم علوا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريراً

الرجوع البنائاً أو بما لا يجدون بضاعتها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة أو لم ير من المكرم أن يأخذ

من أبيه واخوته ثمنا (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا أبا ناعم من الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا
كيل لكم عندي لانهم اذا أئذروا يمنع الكيل فقدم منع الكيل (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونسكتل من الطعام ما يحتاج
اليه يكتل جزءه على أي يكتل أخونا فيضم ا كسباله الى ا كسبالنا (واناله لحافظون) عن ان يناله (٢٩) مكرره (قال هل آمنكم عليه الا كما

أمنتكم على أخيه من قبل)
يعنى انكم قلتم في يوسف
أرسله معنا جدا يرتع ويلعب
واناله لحافظون كما تقولونه
في أخيه ثم ختمت بضمها نكتل
فما يا منى من مثل ذلك ثم
قال (فالتة خير حافظا)
كوفي غير أبي بكر فتوكل
على الله فبه هو دفعه اليهم
وهو حال أو تميز ومن قرأ
حفظا فهو تمييز لا غير (وهو
أرحم الراحمين) فأرجو أن
ينعم على بحفظه ولا يجمع
على مصيبتين قال كعب
لما قال فالتة خير حفظا قال
الله تعالى وعزتي ورجلاي
لا ردن عليك كليهما (ولما
فتخوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم قالوا
يا أبا ناعم انبغى) ما لنبغى أى
ما نبغى في القول ولا تجاوز
الحق أو ما نبغى شيأ وراعما
فعل بزمان الاحسان أو
ما تريد منك بضاعة أخرى
أو للاستفهام أى أى شئ
نطلب وراع هذا (هذه
بضاعتنا ردت الينا) جله
مستأنفة موضحة لقوله ما
نبغى والجل بعدها معلوفة
عليها أى ان بضاعتنا ردت
الينا فتستظهر بها (وغير
أهلنا) في رجوعنا الى الملك
أى نجلب لهم ميرة وهى
طعام يحمل من غير بلد

وقيل انه خاف أن لا يكون عند أبيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان تحوط وشدة وقيل انه رأى
ان أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لوم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يطعمهم
فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بركهم واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ناعدا على العود
اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجد رها في رحالهم
لانهم انبياء وأولاد انبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيهم واخوته على شدة الزمان
(فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبا ناعم) انا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا
من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقروا عليه منى السلام
وقولوا له ان أبا ناعم صلى عليك ويدعوك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده
وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبا ناعم (منع من الكيل) وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخيه من
أبيهم طلبوا منه الطعام لا بهيم وأخيه من المتخلف عند أبيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع من الكيل
اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سمنع من الكيل فى المستقبل وهو اشارة
الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع من الكيل ان لم نحمل
معنا أخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (فأرسل معنا أخانا) يعنى بنيامين (نكتل) فرئى بالياء يعنى يكتل
لنفسه وقرئ بالنون يعنى نكتل نحن جميعا وياه معنا (واناله لحافظون) يعنى زده اليك فلما قالوا ليعقوب
هذه المقالة (قال) يعنى يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعنى كيف آمنكم على
ولدى بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم كذ كرتم مثل هذا الكلام بعينه فى يوسف وضمتهم لى
حفظه وقلتم واناله لحافظون فما فعلتم فاما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فالتة
خير حفظا) يعنى ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه فى جميع
الامور (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد
ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو ان
يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم أو ان شدة القحط وضيق الوقت أحوجه الى ذلك
وقوله تعالى (ولما فتخوا متاعهم) يعنى الذى جلوه من مصر فيحتمل أن يكون المراد به الطعام أو عبيد الطعام
(وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعنى انهم وجدوا فى متاعهم من الطعام الذى كانوا قد أعطوه ليوسف قد ردت
عليهم ودم فى متاعهم (قالوا يا أبا ناعم انبغى) يعنى ماذا نبغى وأى شئ نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا
ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتخوا متاعهم ووجدوا
بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أى شئ نطلب من الكلام بعدها هذا العيان من الاحسان والاكرام أو فى لنا
الكيل ورد علينا الثمن وأراد واجب هذا الكلام تطيب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت الينا وغير أهلنا) يقال
ما رأه غيرهم ميرا اذا جمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى اننا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله
اليهم (ونحفظ أخانا) يعنى بنيامين مما تخاف عليه حتى زده اليك (ونزداد كيل بعير) يعنى ونزداد لاجل
أخي ناعدا على أجالنا جل بعير من الطعام (ذلك كيل بعير) يعنى ان ذلك الجمل الذى نزداده من الطعام هين على
الملك لانه قد أحسن الينا وأكرمنا بما كثر من ذلك وقيل معناه ان الذى جملناه معنا كيل بعير قليل لا يكفى لنا
وأهلنا (قال) يعنى قال لهم يعقوب (لن أرسل معكم يعقوب) يعنى لن أرسل معكم بنيامين
حتى توثقوا عهد الله وميثاقه والموتق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد بشهادة الله عليه (لتأتوني به)

(ونحفظ أخانا) فى ذهابنا وبجبتنا فما يصبه شئ مما تخافه (ونزداد كيل بعير) نزداد دسوق بعير باستحباب أخينا (ذلك كيل بعير) سهل
عليه متيسر لا يتعاطاه (قال لن أرسل معكم حتى توثقوا) وبالياء مكى (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعلمونى ما توثقون به من عند الله
أى أراد أن يحلفوا بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا لانه الحلف به مما يؤكده العهد وقد أذن الله فى ذلك فهو اذن منه (لتأتوني به)

المثبت وهو قوله لثانتي به في تأويل النفي اي لا تمتنعوا من الايمان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعوا منه لعله من العلة الالهة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي (فلما اتوه موثقتهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام (قال) بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما نقول) من طاب الموثق واعطائه (و) رقيب مطلع غير ان السكينة تفصل بين القول والمقول وذال يجوز فالاولى ان يفرق بينهما بالصوت فقصه بقوة النعمة اسم الله (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) الجهور على انه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة امرهم ولم يأمرهم بالترقب في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول اعينك يا كباكات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامعوانا كسر

دخلت الامم هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لثانتي به (الآن يحاط بكم) قال بجاهد الا ان تمسكوا جميعا فيكون عذر الحكم عندي لان العرب تقول احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تغلبوا جميعا فلا تقدر واعلى الرجوع (فلما اتوه موثقتهم) يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما نقول وكيل) يعني قال يعقوب بالله شاهد على ما نقول كائن الشاهد وكيل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فآله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا ردن عليك كلهم ما بعد ما توكلت علي وقوتت اسرك الي وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجدي يعقوب بدمان ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا أمره اليه قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب فاصدين مصر قال لهم يابني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر ثمانية ابواب وقال السدي أراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد اعدوا اجالا وقوة وامتناد قائمة وكانوا اولاد رجل واحد فأمرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصيبوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس وبجاهد وقتادة وجهور المفسرين (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائش في وضوء ثم يغتسل منه العين أخرجه أبو داود وقال الشيخ يحيى الدين النووي رحمه الله تعالى قال المازري أخذ جاهرا العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المتدعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وقيل لا بد من فرق بين تكذيبهم به اذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الاخرة قال وقد زعم بعض الطبائعين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالمدوغ فيهلك وان كان غير محسوس من لئلا يكذب العين قال المازري وهذا غير مسلم لا يابني في كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وبيننا سادات القول بالطبائع وبيننا الحديث لا يفرق في غيره شيئا فذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهر لان الجوهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولي من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقه قالها من يتحلل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالعين فتختل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجزاها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان العين انما يفسد وجهالك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه لواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها وازادته الى الله تعالى فمن قطع من أطباء الاسلام بانبعث الجواهر فقد أخطأ في قطعها وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله واهمالك في الموطن واما صفة وضوء العائن فذكر في كتب شروح الحديث ومعرفة عند العلماء فيطلب من هنالك فليس هذا موضع والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان

(وما أغنى عنكم من شيء) أي ان كان الله اراد بكم سوأل أنفسكم ولم يدفع عنكم ما شرب به عليكم من التفريق وهو مصيبتكم لا محالة (ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اي متفرقين (ما كان يعني عنهم) دخولهم من ابواب متفرقة (من الله من شيء) اي (٣١) شيئا قطبت اصابعهم ماساء لهم مع تفرقتهم من اضافة

السريقة اليهم واقتضاهم بذلك واخذ اخيهم يوحنا الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم (الا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتهم عليهم (وانه لذو علم) يعني قوله وما أغنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آري اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى انه قالوا له هذا اخوانا فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم فآثر لهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكتي وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسي معه فقال يوسف بق اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدة وجعل يؤاكله وقال له احب ان اكون اهلك بدل اخيك الهاك قال ومن يجد اهلكم وليكن لم يلدك يعقوب ولا را حيل فبكتي يوسف وعانقه ثم (قال) له (اني انا اخوك) يوسف (فلا تبكس) فلا

الله تعالى لم يأذن له في اظهار ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف في وقت الخلو قبل اخوته والقول الا قل أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله (وما أغنى عنكم من شيء) يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (ان الحكم الا لله) يعني وما الحكم الا لله وحده لا شر يملكه فيه وهو هذا تفويض من يعقوب في أمورهم كلها الى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أمورى كلها الا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماء أربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها (ما كان يعني عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء (الا حاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الاول في شيء ومعناه ليس حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أوصاف عليهم حسدا أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل ومعناه وان لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى اننا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وان له ذوقا لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لاعتن جهر وقيل انه ليعمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه ﴿قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آري اليه أخاه) قال المفسرون ولما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا اخونا الذي أمرتنا أن نأتيتك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وسبحدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكتي وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسي معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فانا أجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدة وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريح محبتي أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معناه وان وسأضمه الى فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال روييل مارا ينام مثل هذا فذلك قوله آري اليه أخاه يعني ضمه وانزله معه في منزله فلما اخذ لابه قال له يوسف ما سلمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم أمك قال را حيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لأمك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أنتحب ان أكون أهلك بدل أخيك الهاك قال بنيامين ومن يجد أهلكم وليكن لم يلدك يعقوب ولا را حيل فبكتي يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه و (قال) له (اني انا اخوك) يعني يوسف (فلا تبكس) يعني لا تحزن وقال أهل اللغة تبكس تنفعل من البؤس وهو الضرر والسدة والابتئاس اجتناب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعني فلا تحزن بشيء فعلوه بنا في الماضي فان الله قد أحسن البنا ونحن انما من الهالك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفع عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشيء مما علمتكم به ثم انه أوفى لاخوته الكيل و زاد تحزن (بما كانوا يعملون) بنا في ماضى فان الله قد أحسن البنا وجعنا على خير ولا تعلمهم بما علمتكم وروى انه قال فانا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فان حبستك ازاد غم ولا سبيل الى ذلك الا ان أسبلك الى ما لا يحمد قال لا بألى فافعل ما بالك قال فاني أدر صاعى في رحلك ثم نادى عليك بأنك سرقته ليني بالي ردك بعد تسمي يحل معهم فقال افعال

تحزن (بما كانوا يعملون) بنا في ماضى فان الله قد أحسن البنا وجعنا على خير ولا تعلمهم بما علمتكم وروى انه قال فانا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فان حبستك ازاد غم ولا سبيل الى ذلك الا ان أسبلك الى ما لا يحمد قال لا بألى فافعل ما بالك قال فاني أدر صاعى في رحلك ثم نادى عليك بأنك سرقته ليني بالي ردك بعد تسمي يحل معهم فقال افعال

(فلامجهزهم بجهازهم)

هيا أسبناهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) السقاية هي مشربة يسقي بها وهي الصواع قبل كان يسقي بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناداً ذنه أي أعلمه وأذن أذن الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهاهم ففعل عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمرهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم (أيها العير) هي الأبل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تذهب وتجيء والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولن جاء به حل بعير وأناه زعيم) يقوله المؤذن يريدوا بانجعل البعير كقيل أؤديه الى من جاءه وأراد دسق بعير من طعام جعل لمن حصله (قالوا تالله) قسم في معنى التعجب مما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأقواهم واحلهم مشدودة لثلاثتناول زرعاً أو طعاماً لا أحد من أهل السوق ولا منهم رددوا بضاعتهم التي رددوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة

لكل واحد حل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قاله يوسف اني أنا أخوك قال بنيامين أنا لأفارقك فقال يوسف قد علمت اغتصام والدي على فاذا حبستك عندي ازاد غمهم ولا يمكنني هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فطبيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لأبالي فأفعل ما بدالك فاني لأفارقك قال فاني أؤدس صاعى في رحلك ثم أمادى عليكم بالسرقة لينتهي إلى رذلك بعد تسريحك قال فأفعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلامجهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف ميكالاً لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها أو السقاية والصواع اسم لناع واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا من زلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفتهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعني نادى منادوا علم معلم والأذان في اللغة الاعلام (أيها العير) وهي القافلة التي فيها الاحمال وقال مجاهد العير الجير والبغال وقال أبو الهيثم كل ما سير عليه من الأبل والجير والبغال فهى عير وقول من قال انها الأبل خاصة باطل وقيل العير الأبل التي تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الجير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيها العير أراد أصحاب العير (انكم لسارقون) ففقروا السرقة أخذوا ليس له أخذ في خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بأمر يوسف أم لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علم منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم أقواماً وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لأخيه انه أخوه قال لست أفارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما يليق قال رضي بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قدرضى به فلا يكون ذنباً الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه الا أنهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى بما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم وتحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذلك قالوا فقدنا سقايه الملك ولانتم لم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أي عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أي ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعني المؤذن وأصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولن جاءه) يعني بالصواع (حل بعير) يعني من الطعام (وأناه زعيم) أى كفيل قال السكبي الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في قوله الخليل غارم والجيل الكفيل فان قلت كيف نصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئاً قلت لم يكونوا سراقاً في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعله لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعني اخوة يوسف (تالله) التاء بدل من الواو ولا تدخل الاعلى اسم الله في اليمين خاصة تقدره والله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلطوا على أمر من أحدهما أنهم ما جازوا لاجل الفساد في الارض والثانى أنهم ما جازوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو أنهم كانوا موافقين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم أنهم شذوا أقوامهم لثلاث توذي زرع الناس ومن كان هذه

صفته فالفساد في حقه مستمع وأما الثاني وهو أنهم ما كانوا سارقين فلأنهم قد كانوا ردا والبضاعة التي وجدوها
 في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا القديس ما جئنا لنفسد في
 الارض وما كنا سارقين فلما تبينت برائتهم من هذه التهمة (قالوا) بنى أصحاب يوسف وهو المنادي وأصحابه
 (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعني فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قواكم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
 سارقين (قالوا) يعني اخوة يوسف (جزاؤه من وجد في رحله) يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم
 برقبته الى المسروق منه فيسرقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان
 يضرب السارق ويعرمه في قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان بحري بحري القطع في شرعنا
 فاراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق أن يستعبد سنة
 جزاءه على حره وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك تجزي الظالمين) يعني مثل هذا الجزاء
 وهو ان يسرق السارق سنة تجزي الظالمين ثم قبل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام
 أصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا لجزاء السارق ان يسرق سنة قال أصحاب يوسف كذلك
 تجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير ان اخوة
 يوسف لما أقرروا ان جزاء السارق ان يسرق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى
 يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم
 واحدا واحدا قال قتادة ذكرونا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الاستغفر الله لنا عما اذفهم به حتى
 لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال اخوته والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه أطيّب
 لنفسك وأنفسنا فلما فتحو متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) انما
 أنت الكاذبة لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكروا ويؤث فاما أخرج الصواع من رحل بنيامين
 نكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يابومونه ويقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسودت
 وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منكم بلاعنتي أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنور ارجل ما زال لهم
 منكم بلاع ذهبتم يا حيا فاهلكتموه وفي البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في
 رحالكم قالوا فاحذرن بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين
 استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني ومثل
 ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أي مثل ذلك
 الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولقفا الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله
 عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد
 يعني كإفعلوا ليوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا
 اخوة يوسف بأن حكموا ان جزاء السارق ان يسرق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه
 ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى
 كذلك دسنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف
 معناه في أوصاف المخلوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحت احتياله وهو في موضع فعل الله معرري من
 المعاني الذمومة ويخلص بانه وقع عن يديه تدبير ما يريد به من حيث لا يشعروا لا يقدر على دفعه فهو من
 الله مشيئة بالذي يكون من أجل أن المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمهر له من الذي يقع به
 من الكيد فهو من الله تعالى استراد هو ما حتم الله به عاقبه والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى
 اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتعام التهمة وحيث جرى الامر على غير ما قدر وامن اهلاكه وخلوص
 أبيهم له بعد ذلك جرى تدبير الله تعالى ونحفي لطفه سماه كيد الله أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون
 كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا الى جميع ما أعطاه الله وأتم به عليه على خلاف تدبير

(قالوا فما جزاؤه) الضمير
 للصواع أي فما جزاء
 سرقته (ان كنتم كاذبين)
 في جحودكم وادعائكم البراءة
 منه (قالوا جزاؤه من
 وجد في رحله) أي جزاء
 سرقته أخذ من وجد في
 رحله وكان حكم السارق
 في آل يعقوب ان يسرق
 سنة فلذلك استفتوا في
 جزائه وقولهم (فهو جزاؤه)
 تقسر بللحكم أي فأخذ
 السارق نفسه هو جزاؤه
 لا غير جزاؤه مبتدأ والجملة
 الشرطية كإلهي خبره
 (كذلك تجزي الظالمين)
 أي السارق بالاسترقاق
 (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء
 أخيه) فبدأ بتفتيش
 أوعيتهم قبل وعاء بنيامين
 لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه
 فقال ما أظن هذا أخذ شيئا
 فقالوا والله لا نتركه حتى
 تنظر في رحله فانه أطيّب
 لنفسك وأنفسنا (ثم
 استخرجها) أي الصواع
 (من وعاء أخيه) ذكر
 ضمير الصواع مرات ثم
 أنه لان التأنيت يرجع
 الى السقاية أولان الصواع
 يذكر ويؤث الكاف في
 (كذلك) في محل النصب
 أي مثل ذلك الكيد العظيم
 (كدنا ليوسف) يعني
 علمنا اياه

(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك أي في سيرته للسارق أن يغرم مثلي ما أخذ لان يستعبد (الا أن يشاء الله) أي ما كان ليأخذ (٣٤) الابشيثة الله و ارادته فيه (ترفع درجات) بالتتويج كوفي (من نشاء) أي في العلم كإرفعا درجة

يوسف فيه (رفوق كل ذي علم عليم) فرفوقه أرفع درجة منه في علمه أو رفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف قبل دخول كنيسته فأخذت المال صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فذفنه وقيل كان في المنزل دجاجسة فأعطاه لسائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها كأولاده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن يترعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظر وامن أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم أفل به ما شئت منه فغلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحيل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحنتا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما نزال لنا منك بلا معني أخذت هذا الصاع فقال بنورا راحيل

اخوته من غير أن يشعر وبذلك وقوله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عتده في حكم الملك فآله تعالى ألهم ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك (الا أن يشاء الله) يعني أن ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهامان الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد (ترفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كإرفعا درجة يوسف على اخوته ودفعه على دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها (رفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهي العلم الى الله تعالى فآله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن يتهم العلم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة لانه لا يتخلو عالم من عالم فرفوقه ﴿ قوله تعالى (قالوا) يعني اخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ايسر يغرب منه فان أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام انالسا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهم من أم أخرى غير أمنا واختلفوا في السرقة التي نسبوا الي يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبيرة وقتادة كان لجدته أبي أمه صنم وكان يعبده فأخذته يوسف سراقا وكسرت رأسها وألقاها في الطريق لتلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناروا له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجسة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاه سائلا وقال وهب كان يحبنا الطعام من المائدة للفقراء وذ كرمحمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبسه فقال لا تخنه يا أخاه سلمي الى يوسف فواته ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال لها والله ما أنا بتاركة عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكأولادها ووارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عند هافشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففطنوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لي سلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الاعمال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيرهم بها عند الغضب (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) في هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أنتم شرمكانا) روي هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقهم وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقهم ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال أنتم شرمكانا يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخباتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون ﴿ قوله عز وجل (قالوا) يعني اخوة يوسف (يا أيها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (ان له أبا شيخا كبيرا) قال أصحاب الاخبار والسيران يوسف

الذين لا يزال منكم عليهم بلا عذبتهم يا خي فاهل كنتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالي عليه (فأسرها) أي مقالتم انه سرق كأنه لم يسمعهما (يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) قال أنتم شرمكانا) تميز أي أنتم شرمثله في السرقة لانكم سرقتم أباكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في السن أو في القدر

(نخذ أحداً مكانه) بدله على وجه الاستهزاء أو الاستعباد فان أباة يتسلى به عن أخيه المغفور (انا تارك من المحسنين) الينا فأنتم احسانك
أومن عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا (٣٥) متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذ من

أن نأخذ فاضيف المصدر
الى المفعول به وحذف من
انا اذ الظالمون) اذا جواب
لهم وحزاء لان المعنى ان
أخذنا بدله ظلمنا وهذا انه
وجب على قضية فتواكم
أخذ من وجد الصاع في
رحله واستعباده فلوا أخذنا
غيره كان ذلك ظلمنا في
مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم
انه ظلم (فلما استبأسوا)
يشو اوز زيادة السين والناء
للمبالغة كما مر في استعصم
(منه) من يوسف واجابته
اياهم (خاصوا) انفردوا
عن الناس خالصين لا
يخالطهم سواهم (نجيا)
ذوى نجوى أو فوجاً نجياً
أي مناجياً للمناجاة بعضهم
بعضاً أو تحضوا تناجياً
لاستجماعهم لذلك وافاضتهم
فيه بجدوا اهتمام كلهم في
أنفسهم صورة التناجى
وحقيقةه فالنجى يكون
بمعنى المناجى كالسمر بمعنى
السامر وبمعنى المصدر الذى
هو التناجى وكان تناجهم
في تدبير أمرهم على أى
صفة يذهبون وماذا يقولون
لابيهم في شأن أخيه (قال
كبيرهم) فى السن وهو
روبل أو فى العقل والرأى
وهو هو ذا أورئيسهم وهو
شعون (ألم تعلموا أن أباكم
قد أخذ عليكم موثقا من الله

عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأذناه الى أذنه ثم قال ان صواعى
هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلاً واحد وانكم نطقتم باخ لكم من أبيكم فبعتموه قال بنيامين أياها
الملك سل صواعك هذا من جعله فى رحلى فنقره ثم قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألني عن
صاحبى وقد رزيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان
روبل اذا غضب لم يقم لغضبه شئ وكان اذا صاح ألفت كل حامل جملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا
مسه أحد من ولديه يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وقيل كانت هذه صفة شعون بن
يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكلوني أتم الاسواق وأنا أكل فيكم
الملك أو اكلوني أتم الملك وأنا أكل فيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أياها الملك لتردنا علينا
أحانا أولاً ونحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة فى جسده روبيل حتى
خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا الخمسة أو خذ بيده فأتى له فلما مسه سكن غضبه
فقال لاخوته من مسنى منكم قالوا لم يصيبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بن من بنو يعقوب وقيل انه
غضب ثانياً فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال أتم يا معشر العبرانيين
ترعون أن لا أحد أشد منكم فلما رآوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى تخليصه خصوا وادخلوا وقالوا أياها
العززان له أيا شيخنا كبير ايعنى فى السن ويحتمل أن يكون كبيراً فى القدر لانه نبي من اولاد الانبياء (نخذ
أحداً مكانه) يعنى بدله لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك (انا تارك من المحسنين) يعنى فى افعالك
كلها وقيل من المحسنين العنانى فوفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين
الينا وأخذت أحداً مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعنى قال يوسف أعوذ بالله معاذاً (أن نأخذ
الامن وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تعزوا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق (انا اذ الظالمون)
يعنى ان أخذنا من يابى ذنب غيره فان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره
بمكانه وحسب أخاه أيضاً عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة
وكيف يجوز ليوست مع ما لو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته وروج عليهم مثل هذا مع ما فيه
من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها
وأصحها انه لما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لاعتن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر
على البلاء ويلحقه بدرجة آباءه الماضين والله تعالى أسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف فى خلقه بما يشاء
وهو الذى أخفى خبر يوسف عن يعقوب فى طول هذه المدة مع قرب المسافة ليريد أن يدبره فيهم والله أعلم
باحوال عباده قوله عز وجل (فلما استبأسوا منه) يعنى أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أيسوا
من أخيه أن يرد عليهم وقال أبو عبدة استبأسوا أى استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعنى خلا
بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعنى فى العقل والعلم لاني السن قال
ابن عباس الكبير هو هو ذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة
والسدى والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنواً وحسنهم رأياً فى يوسف لانه نهاهم عن قتله (ألم تعلموا أن
أباكم) يعنى يعقوب (قد أخذ عليكم موثقا) يعنى عهداً (من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) يعنى قصرتم
فى أمر يوسف حتى ضيعتموه (فان أبحر الارض) يعنى الارض التى أتاها هو هى أرض مصر والمعنى فلن
أخرج من أرض مصر ولا أفرقها على هذه الصورة (حتى يأذن لى أبى) يعنى فى الخروج من أرض مصر
فيدعونى اليه (أو يحكم الله لى) بردأخى على أو بخروجى معكم وترك أخى أو يحكم الله لى بالسيف فاقائلهم

ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) ماصلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدره وبحل المصدر الرفع على الابتداء
وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تقر بكم فى يوسف (فلن أبحر الارض) فلن أفرق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى
الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم

(وما شهدنا) عليه بالسرقة
(الاجماعنا) من سرقته
وتيقنا اذ الصواع استخرج
من وعائه (وما كالغيب
حافظين) وما علمنا انه سب سرق
حسين اعطيت له المسوق
(واسئل القرية التي كا
فيها) يعني مصر أى أرسل
الى أهلها فاسألهم عن
كنه القصة (والعير التي
أقبلنا فيها) وأصحاب العير
وكانوا قوما من كنعان من
جيران يعقوب عليه
السلام (وانا الصادقون)
في قولنا فرجعوا الى ابيهم
وقالوا له ما قال لهم أخوهم
(قال بل سولت لكم
أنفسكم أمرا) أردتموه
والا فمن أدري ذلك الرجل
ان السارق يسترق لولا
فتواكم وتعلمكم (فصبر
جليل عسى الله أن يأتيني
بهم جميعا) بيوسف وأخيه
وكبيرهم (انه هو العليم)
بحالى في الحزن والاسف
(الحكيم) الذي لم يتلنى
بذلك الاحكامه (وقول
عنه - م) وأعرض عنهم
كراهة لما جاؤا به (وقال
يا أسفا على يوسف) أضاف
الاسف وهو أشد الحزن
والحسرة الى نفسه والالف
بدل من ياء الاضافة
والجناس بين الاسف
ويوسف غير متمكف ونحوه
انما قلتم الى الارض أرضيت
وهم يهنون عنه وينأون

حتى استرد أخى (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى
الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى ابيكم) يعني يقول الاخ الكبير
الذى عزم على اقامة بمصر لاختونه الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب (فقولوا) له (يا اباان ابنك سرق) انما
قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه
سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لاني حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم
(وما شهدنا الاجماعنا) يعني ولم نقل ذلك الا بعد أن رأينا خروج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه
ما كانت مناشدة في عمرنا على شئ الاجماعنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق
بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لانا نشهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك
سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أى نسب الى السرقة وانهم بها وهذه القرارة لا تحتاج الى تأويل
ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة الان هذه القرارة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقرارة الصحيحة
المشهوره هي الاولى وقوله وما شهدنا الاجماعنا يعني وما قلنا هذا الاجماعنا فانما رأينا خروج الصواع من
متاعه وقيل معناه ما كانت مناشدة في عمرنا على شئ الاجماعنا وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع
ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة الا يقول لكم
قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الاجماعنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب
وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بانه
يحتمل ان يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلذلك أنكر عليهم اعلام الملك بهذا
الحكم لظنه انه كافر (وما كالغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعني ما كاد علم ان ابنك يسرق ويصبر أمرنا
الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معناه وانما اقبلنا ونحوها انما علمنا ان ابنك يسرق ويصبر أمرنا
لليله ونحوه وبجيبته وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فاعل
الصواع دس في رحله ونحن لانعلم بذلك (واسئل القرية التي كاذبها) يعني واسئل أهل القرية الا انه حذف
المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي
قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير التي أقبلنا فيها) يعني واسأل القافلة
التي كاذبها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا الصادقون) يعني فيما قلنا وانما أمرهم
أخوهم الذي أقام بمصر بمذمومة الغنى ازالة التهمة عن أنفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده
بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاشيروا بما
جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوا لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت
يعني بل زينت لكم أنفسكم أمر او هو حمل أحمك معكم الى مصر لطلب نفع عاجل قال أمركم الى ما آل وقيل
معناه بل خيلت لكم أنفسكم انه سرق وما سرق (فصبر جليل) تقدم نفسه في أول السورة وقوله (عسى
الله أن يأتيني بهم جميعا) يعني بيوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي أقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة
لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ونجرا حين قريب فقال ذلك على سبيل حسن
الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى عليه وعلى
بنيه من أول الامر وهو ورؤى يوسف وقوله يا بني لا تقصص ربك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى
الامر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا (انه هو العليم) يعني بحزني ووجدي عليهم (الحكيم) فيما يديره
ويقضيه وقوله تعالى (وقولني عنهم) يعني وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فيئذ تناهى حزنه
واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) الاسف
اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك

عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سب انبأ وانما أسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لانه ما دى أسفه
على يوسف دون الاخرين وفيه دليل على ان الرزق فيه مع تقادم عهده كان فضا عنده طريا

(وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار وسحقت العبرة سواد العين وقلبت الى بياض كدر وقيل قد عصى بصره وقيل كان قد يدرك ادراكا ضعيفا (من الحزن) لان الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيسل ماجفت عيننا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب ويحورز للنبي عليه السلام ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الحزن فذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يستخط الرب وانما عليك يا ابراهيم محزونون وانما المذموم الصباح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتزريق الثياب (فهو كظيم) مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوعهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذا نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملته (قالوا بالله تفتوا) اي لا تفتوا فخذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذ لو كان اثبا نالم يكن بدمن اللام والنون ومعنى لا تفتوا لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا (او تكون من الهالكين قال انما اشكوبني

أرجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك يقول أتبكي كل قبر رأيت * لقبر نوحى بن الوهي واند كذلك فقلت له ان الاسى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب ينسلي عن يوسف بينيامين فلما حصل فراق بينيامين زاد حزنه عليه ووجدوه جدد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكايه وان طهار جرع فلا يلىق بعلومه نصد ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكوا الى الله لامنه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يارب ارحم أسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ والخصه بالهسى ارحم أسفى أو أنت رأتى أسفى أو هذا أسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمتادى سواه فى المعنى ولا مأم اذالم ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير مالم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى اشكوا الى الله شدة أسفى على يوسف ولم يشك الى أحد من الخلق بدليل قوله انما اشكوبني وحزنى الى الله (وابيضت عيناه من الحزن) أى عسى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئا سمن وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها يبضاء من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أى مكظوم وهو الممتلى من الحزن المسلك عليه لا يشه قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل الاخيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيان ثمانون سنة لم تحف عيناه يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البناني وروى بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال يوسف ارى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله يا أطهر الطاهر من ابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتن قلبك ولم تطع سيديك فى معصية ربك فذلك سمك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وأحلق بابائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتهلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم وروى الصبر الجميل قال شاذر حزنه قال حزن سبعين شكلاء قال فسأله من الاجرا جبريل قال احرمانه شهيد قال افتراى لاقبه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى بما لقيت ان رأيت * قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لا بهم (نالله تفتوا تذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفت عن حبه يقال ما فتى يفعل كذا أى مازال ولا يخذ وفيه جواب القسم لان موضعها معلوم فخذفت للتغفيف كقول امرئ القيس فقلت عين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديدك وأوصالى أى لا أبرح قاعدا * وقوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرض مادون الموت يعنى قرىب من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد العقل له والحرض الذى فسده جسمه وعقله وقيل ذا ثمان من الهم وأصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (أو تكون من الهالكين) يعنى من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شئ لم يعلموا حقيقةه فطعا قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر أى نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عندما رأى قولهم له وغلظتهم عليه (انما اشكوبني

وحزني الى الله) أصل البت انارة الشيء وتفرقه بموت النفس ما انطوت عليه من الغم والشرف قال ابن قتيبة
البت أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكنهه كان هماً فاذا ذكره لغيره كان بشافاً لبث أشد الحزن
والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكو حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي
روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان
لي يعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهره قال أما الذي
أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأنما جبريل فقال يا يعقوب
ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تسحى ان تشكروا لى غيرى فقال انما أشكو بيتى وحزني الى الله فقال
جبريل الله أعلم بما تشكروا وقيل انه دخل على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب ما لى أراك قد تهشمت بالضعف
وفنت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوالك فقال هشمتى وأفنتى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه
يا يعقوب ان تشكروا لى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتم افاغفرها لى قال قد غفرتهم لك فكان بعد ذلك اذا
سئل يقول انما أشكو بيتى وحزني الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزنى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعوى
فعند ذلك قال انما أشكو بيتى وحزني الى الله ثم قال أمرى بما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوت
ظهرى فأردد على ريحانتي أتهمها شمة قبل ان أموت ثم اصنع ما شئت فأنما جبريل فقال يا يعقوب ان الله
يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزنى لو كانا ميتين لنشرتم مالك أترى لم وجدت عليك لاناكم ذبحتم شاة
فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه ومنها شاة وأوان أحب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع
طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليطبخ ليله عند آل يعقوب وكان بعد ذلك
اذا تغدى أمر مناديا ينادى من أراد ان يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أظفر أمر ان ينادى من أراد ان يطبخ
فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب
أترى لم عاقبتك وحبت عندك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لا تشو بيت عناق وقترت على جارك
وأكات ولم تطعمه وقيل ان سب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يديه أموهى تخور ولم يرجها فان قلت هل فى
هذه الروايات ما يقدر فى عصمة الانبياء قلت لا وانما وقب يعقوب بهم ذالان حسنات الارارسات
المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر مناصبهم وشمر بصر تبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام
من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من انبيائه بجهنمة فصبر وقوض أمره الى الله
فابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى فى النار فصبر ولم يشك الى أحد واسبغ عيل ابتلى بالذبح فصبر وقوض أمره
الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عصى
به ذلك أوضع بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر ولم يشك الى أحد شيئا مما نزل به وانما
كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكو بيتى وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم
والثناء الجليل فى الدنيا والدرجات العلى الاخرة مع من صاف من أبويه ابراهيم واسحق عليه الصلاة
والسلام وأما مدح العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذما ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا
يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بنى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع
وان القلب ليحزن وما تقول الامارى ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا
لا حرج فيه على أحد من الناس ﴿وقوله﴾ (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى أنه تعالى من رحمة واحسانه يأتي
بالفرج من حيث لا يحتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه فرورى ان مالك
الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب بحم الحزن صورته الكرىم على ربه هل قبضت روح
ابنى يوسف فى الارواح فقال لا قطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله ما لا تعلمون وقيل
معناه وأعلم ان رؤى يوسف حق وصدق وانى رأتم سنجد له وقال السدى لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر
وكال سالى فى جميع أقواله وأفعاله أحسنت نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعنى

وحزني الى الله) البت أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيشه الى الناس أى ينشره أى لأشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربى داعياله وملتجئا اليه فلو فى وشكايته وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف بيابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خاقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جاره به مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عابت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) وأعلم من رحمة انه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب وروى أنه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى فأطلبه وعلمه هذا الدعاء اذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معرفه أبدا ولا يحصيه غيرك فرج عن

يعقوب (يا بني اذهبوا فحسبوا من يوسف وأخيه) الخمس طلب الخبر بالحاسة وهو قر يب من الخمس
 بالجهم وقيل ان الخمس بالحاء يكون في الخير وبالجميم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب
 الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا وقال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من
 فلان وقال هنان بن يوسف وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعض ويكون المعنى
 تحسسوا خبر من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فر وقد يعقوب كتب كتابا الى
 يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
 خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يداه ور جللاه وألقى في
 النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه ور جللاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا
 فكان لي ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد
 أكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وكان أحاه من أمه وكنيت أنسلي به وانك حبستته وزعمت
 انه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان ودته الى والادعوت عليه لندعوة تترك السابع من
 ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأزه وعيل صبره وأطهر نفسه لاخوته على ما سئذ كره ان شاء الله تعالى
 فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فحسبوا من يوسف وأخيه (ولتا بأسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله)
 يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا بأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعنى
 ان المؤمن على خير بر جوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكاكفر
 بضد ذلك قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقدره فخر جوامن عند أبيهم فاصدين مصر
 فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون بأبيهم الملك والعزير القادر المنتع وكان
 العزيز راقب ملك مصر يومئذ (مسنوا أهلنا الضري) أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم
 ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في غن الطعام الابتجور
 من البائع وأصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والترجبة دفع الشيء المنساق كترجبة الريح السحاب ومنه
 قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعنى هلى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها القلة الاعتماء بها
 وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة امالا نقصانها أو لرداعتها أو لمجموعها ما قل ذلك اختلفت عبارات
 المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زوفوا وقيل كانت خلق الغرائر
 والحبائل وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلى ومقاتل كانت حبة الخضر او قيل
 كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والذمال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من
 قولهم فلان بزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان
 وليست مما يتسح بها وقيل انما قيل الدرهم الرديئة مزجاة لانهم مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها
 (فأوف لنا الكيل) يعنى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى اننا نريد أن نقيم لنا الزائد
 مقام الناقص والجيد مقام الرديء (وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا
 تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به
 واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا لالانبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت
 حلالا لالانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل به الآية وأكبر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال
 الانبياء كلهم واحد فى تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخوفين والاختدم منهم والصدقة
 أو ساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواء وأجيب عن قوله وتصدق علينا أنهم طلبوا منه أن
 يجبرهم على عادتهم من المسامحة وإيفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يطعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة
 لانفس الصدقة وكره الحسن وبجهاه أن يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا
 ممن يتغنى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من

(يا بني اذهبوا فحسبوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا
 منهما وتطلبوا خبرهما وهو
 تفعل من الاحساس وهو
 المعرفة (ولا تأسوا من روح
 الله) ولا تقنطوا من رحمة الله
 وفرجته (انه) ان الامر
 والشأن (لا بأس من روح
 الله الا القوم الكافرون)
 لان من آمن يعلم انه مقاب
 فى رحمة الله ونعمته وأما
 الكافر فلا يعرف رحمة الله
 ولا تقبله فى نعمته فيبأس
 من رحمة نخر جوامن عند
 أبيهم راجعين الى مصر
 (فلما دخلوا عليه) على
 يوسف (قالوا يا أيها العزيز
 مسنوا أهلنا الضري) الهزال
 من الشدة والجوع (وجئنا
 ببضاعة مزجاة) مدفوعة
 يدفعها كل ناجر رغبة عنها
 واحتقار الهامن أزرجته
 اذا دفعته وطردته قبل
 كانت دراهم زوفوا لا تؤخذ
 الا بوضعية وقيل كانت
 صوفاً وسنناً فأوف لنا
 الكيل) الذى هو حقنا
 (وتصدق علينا) وتفضل
 علينا بالمسامحة والانعام
 عن رداعة البضاعة أو ردنا
 على حقنا أو هب لنا أمانا

(ان الله يجزي المتصدقين)
ولما قالوا امسنا واهلنا الضرع
واتضرعوا اليه وطلبوا منه
ان يتصدق عليهم ارفضت
عيناه ولم يبال ان عرفهم
نفسه حيث قال (قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف) اى
هل علمتم ما فعلتم بيوسف
بيوسف (واخيه اذ انتم
جاهلون) لا تعلمون وجهه او
اذ انتم في حد السفة
والطيش وعلوم باخيه
تعريضهم اياه للعلم بافراده
عن اخيه لايه واه
وايداهم له بأنواع الاذى
(قالوا انك) بهم مرتين
كسوفى وشامى (لا انت
يوسف) اللام لام الابتداء
وانت مبتدأ ويوسف خبره
والجمله خبران (قال انا
يوسف وهذا اخى) وانما
ذكر اخاه وهم قد سألوه عن
نفسه لانه كان في ذكر اخيه
بيان لما سألوه عنه (قدم
الله علينا) بالالفه بعد الفرقة
وذكر نعمة الله بالسلامة
والكرامه ولم يبدأ باللامه
(انه من يتقى) الفحشاء
(ويصبر) عن المعاصي
وعلى الطاعة (فان الله
لا يضيع أجر المحسنين)
اى اجرهم فوضع المحسنين
موضع الصبر لاشتماله على
المتقين والصابرين وقيل
من يتقى مولاه ويه بر على
بلواه لا يضيع اجره في دنياه
وعقباه (قالوا ناله لقد ترك
الله علينا) اختارك وفضلك
علينا بالعلم والحلم والتقوى
والصبر والحسن

يتقى الثواب قل اللهم اعوانى وفضل على وقال ابن حريج والضحك وتصديق علينا يعنى برد اخينا علينا
(ان الله يجزي المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه
ومن (قال) يعنى قال يوسف لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) وقد اختلفوا فى السبب الذى من
اجله حل يوسف وهججه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي انهم لما كملوه هذا الكلام اذ ذكره مرة على
اخوته فباع بالذى كان يكتهم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه بيوسف من مالك وفى آخره وكتبه
بهودا فلما قرؤ الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاط ذلك يوسف وقال
انكم تستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم لم يبقواهم قال بهودا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد
واحد من اطفاله اذا اناه الخبر يقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعت بامتعتنا الى ابننا فانه يمكن
كذا وكذا فذلك حين اذكرته الرقة عليهم والرحمة فبكي وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب ابيه
اليه لم يبال ان يبكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة
ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقمج ما اقدمتم عليه من قطيعه الرحم وتطريقه من ابيه وهذا كما
يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد به من انفس الاستفهام ولكنه اراد
تذليل الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقيب ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما
من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتبينتمهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فان
قات الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذى فعلوه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم
يسعوا فى حسبه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرغوا بينه وبين اخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه
كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما انتم بم بأخذ الصواع مارا ينما منكم يا بنى راحيل خيرا (اذ انتم
جاهلون) هذا يجرى مجرى العذر لهم يعنى انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم
جاهلين وهو وقت الصبي وحاله الجهل وقيل جاهلون بما يقول اليه امر يوسف قوله عز وجل (قالوا انك لانت
يوسف) قرئ على سبيل الاستفهام وحجته هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه تبسم فرأوا ثانياه كاللؤلؤ تشبه ثيابا يوسف فشبوه بيوسف فقالوا استفهاما ائتلك لانت يوسف وقرئ
على الخبر وحجته ما قال ابن عباس اىضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه
وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان يعقوب مثلها ولا يحق مثلها ولا يسار مثلها فعرّفوه بها وقالوا انت
يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهّم ولم يعرفوه حتى (قال انا يوسف) قال بعض العلماء انما اظهر الاسم فى
قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من نطق اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك
فكانه قال انا يوسف المظالم الذى ظلمتموني وقصدتم قتلى بان القىتموني فى الحب ثم بعتموني بائس
الاعنان ثم صرت الى ما ترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال (وهذا اخى) وهم يعرفونه
لانه قصد به اىضا وهذا اى المظالم كما ظلمتموني ثم صرت انا هو الى ما ترون وهو قوله (قدم الله علينا)
بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة فى دنيا وديننا (انه
من يتق ويصبر) يعنى يتقى الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال سبحانه يتقى العصية ويصبر على
السجن وقيل يتقى الله بآداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى اجر من كان
هذا حاله (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم فى حقهم (ناله لقد ترك الله علينا) اى
اختارك وفضلك علينا يقال ترك الله ايشارا اى اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للفضل والمعنى
لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحك عن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم
والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التى اعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم
بالنبوة وادرد على هذا القول بان اخوته كانوا انبياء اىضا فليس له عليهم فضل فى ذلك واوجب عنه بان يوسف
فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار لان من جعل له النبوة والرسالة كان افضل

(وان كالحاطين) وان شأنا وسوا حالنا انا كالحاطين متعمدين للاثم لم تنق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذ لنا بالتسكن بين يديك (قال لا تريب عليكم) لا تعبير عليكم (اليوم) متعلق بالثريب أو بيغفر والمعنى لا اترككم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة الثريب فساظنكم بغيره من الايام ثم ابتداء فقال (يعفر الله لكم) فدعا لهم بعفوه فما فرط منهم يقال عفر الله لك ويعفر لك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم بغير الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعض اذني باب الكعبة يوم الفتح فقال لعريش ما تروني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لا تريب (٤١) عليكم اليوم وروى ان أباسفيان لما جاءه

لسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله فاقبل عليه قال لا تريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك وان علمك وروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منافيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكك فيهم فانهم ينفرون الى بالهين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا يبيع بعشرين درهما ما باع ولقد شرفت الا ان بكم حيث علم الناس اني من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أي اذ ارحمتكم وأنا الفقير القنور فساظنكم بالغبني الغفور ثم سألوهم عن حال أبيه فقالوا انه عبي من كثرة البكاء قال اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيسهر في الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى (فالقوه على وجه أبي يأت

من خص بالنبوة فقط (وان كالحاطين) يعني وما كافي صنعنا بك الا حاطين ولهذا الخبر لفظ الحاطي على الحفاتي والفرق بينهما ان يقال حطى خطأ اذا نعد وأخطأ اذا كان غير متعمدا وقيل يجوز ان يكون آثرا فالحاطين على مخطئين او افتقرتس الآتي لان حاطين أشبه بما قبلها (قال) يعني يوسف (لا تريب عليكم) يعني لا تعبير ولا توبخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب أي لا يعبرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها في محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم الثريب والتقريب والتوبخ وانا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أترككم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تريب عليكم اليوم ويبدأ بقوله (يعفر الله لكم) والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يعفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تريب عليكم ويبدأ بقوله يعفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألوهم عن حال أبيه فقال ما حال أبي بعدى قالوا اذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى في النار عر يانا أنه جبريل بقميص من حر الجنة قال بسبه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قبة من فضة وسدر أسها وجعلها في عنق يوسف كالتعاويز لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما ألقى يوسف في البئر عر يانا أنه جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاء جبريل فأمره أن يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيسهر في الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحى الله اليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عي من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليحبه فيزول بكأوه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك زول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله (واتوني باهلكم أجمعين) قال السكبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثا وتسعين مابين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهة الى أرض كنعان (قال أبوهم) يعني قال يعقوب لولدوله (اني لاجدر يع يوسف) قيل ان ربح الصبا استأذنت به في أن تاتي يعقوب بربيع يوسف قبل أن ياتي بالبشر وقال مجاهد أصابت يعقوب بربيع يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت بربيع القميص الى يعقوب فوجد يعقوب بربيع الجنة فعلم أنه ليس في الارض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص نعم بذلك انه من ربح يوسف فذلك قال اني لاجدر يع يوسف (لولا أن تفندون) اصل التفندي من الفند وهو وضع الراي وقال ابن

(٦ - خازن) - ثالث) بصيرا) بصير بصيرا تقول جاء البناء محكا أي صار أو يأت الى وهو بصير قال هو ذا أنا اجل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل جله وهو خاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (واتوني باهلكم أجمعين) لينعموا بآثار ملكي كما اغتموا باخبار هلكي (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلدة فصولا اذا انفصل منه وبادر جيطانه (قال أبوهم) لولدوله ومن حوله من قومه (اني لاجدر يع يوسف) أو جده الله بربيع القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفندي النسبة الى الفند وهو الحزن وانكار العقل من هزم يقال شخ مطفند والمعنى لولا تفنديكم اياي لصدقتوني

(قالوا) أي أسباطه (ثالثه) انك لفي ضلالك القديم (لقد ذهبت عن الصواب قديما) افراط محبتك ليوسف أوفى خطاك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قدمات (فلما أن (٤٢) جاء البشير) أي يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه

يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (قال ألم أقل لكم) يعني قوله اني لا جدر يح يوسف أو قوله ولا تباؤا من روح الله وقوله (اني أعلم من الله مالا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بني وخرني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون وروى انه سال البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا) يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين) أي سل الله مغفرة ما ارتكبنافي حقلك وحق ابنك انابتنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر وأولى ليلة الجمعة أولية تعرف حالهم في صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل غفرت لهم ثم ان يوسف وجهه الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجنود والعظماة وأهل مصر بأجمعهم فماتوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا

الانبارى أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو الفندي والغندي فيكون المعنى لولا ان تنفذ في أي تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تلوموني وقيل تجهلونى وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعني أولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عندك لان أولاده لصابه كانوا غائبين عنه (ثالثه) انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قدمات وهلاك و يرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا والله انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدي قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخ بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا ذهبت اليوم بالقميص وأخبرته انه حي فأفرجه كما أخزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا بعد رومعه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعني فألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعني فرجع بصيرا بعدما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون) يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا) يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا يعني قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه وأخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به ويوسف استغفر لنا أي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعني في صنعنا (قال سوف استغفر لكم ربى) قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة وتوجه الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزى على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادى ما أتوا الى أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين قال بكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد غفرت لكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعني لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطية الخراساني طلب الجواز الى الشباب أهل منه الى الشيوخ الأتري الى قول يوسف لا تخونه لا تثر يب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال أصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتمروا به يعقوب وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ ثمانون وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثين وسبعين فلما نادى يعقوب من مصر كالمصرع الكبير يعني ملك مصر وعرفه بجميع أهله وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يدايته يهوذا فلما نظر الى الخليل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لابل هذا ابنك يوسف فلما نادى كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فله جبريل لاحتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهم حازوا وتعانقوا فغلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده ويكأ ويكأ ان يوسف قال لا يبه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيجبال بيني وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعني ضم اليه (أبويه) قال أكثر المفسرين

(فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) ضم اليه (أبويه) واعتنقهم وقبل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبو خالته وانما له أم كان الم أبوه منه قوله والله آباؤك ابراهيم واسحق ويعقوب ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم

أترأه في ضرب خيمة أو قصر كان له ثم قد خالوا عليه وضم إليه أبو به (وقال) لهم بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله آمين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بجوار او من القضاة وروى انه سأل عليه قال يعقوب عليه السلام السلام (٤٣) عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف

يا ابيت بيكيت على حتى ذهب
بصرك الم تعلم ان القيامة
تجمعنا فقال بلى وان كان
خشيت ان يساب دينك
في حال بيني وبينك وقيل ان
يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنان وسبعون مابين
رجال وبنات وخرجوا منها
مع موسى ومقاتلتهم
ستمائة الف وخمس مائة
وبضعة وسبعون رجلا
سوى الذرية والهري
وكانت الذرية ألف الف
ومائتي الف (ورفع ابويه
على العرش وخراله
سجدا) قبل ما دخلوا مصر
وجلس في مجلسه مستويا
على سريره واجتمعوا اليه
اكرم ابويه فرفعهما على
السرير وخراله يعني
الاخرة الاحد عشر
والابوين سجدا وكانت
السجدة عندهم جارية
مجرى الخيبة والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد وقال الزجاج سنة
التعظيم في ذلك الوقت ان
يسجد للمعظم وقيل ما
كانت الا انحاء دون تعظيم
الجناب وخرورهم سجدا
يا باه وقيل وخر والاجسل
يوسف سجد الله شكرا
وفيه نبوة ايضا واختلف في
استنباطهم (وقال يا ابيت
هذا تاويل رؤياي من
قبل قد جعلها) أي الرؤيا

هو أبو يعقوب وخالته لبا وكانت امه قد ماتت في نفاص بنيامين وقال الحسن هما أبو وهامه وكانت خيبة بعد
وقيل ان الله احبها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول اصح (وقال ادخلوا مصر)
قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر
يعني البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بهم أي ادخلوا
مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لاني الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل
ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره وسوف أستغفر
لكم ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم
يوسف ادخلوا مصر آمين على أنفسكم وأهلكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله التبرك فهو كقوله
صلى الله عليه وسلم وانما ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع ابويه على العرش) يعني على
السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخراله سجدا) يعني يعقوب وخالته لبا
واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرديه حقيقة السجود من وضع الجبهة
على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له أبو وهو أكبر منه
وأعلى منصبا في النبوة والشيخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود
قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة
السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى
وأجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف
كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابويه على العرش وخراله سجدا
وظاهر هذا يدل على انهم لما سعدوا على السرير وخرروا وسجدوا لله تعالى ولو كان ليوسف ان كان قبل الصعود
لان ذلك أبلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله وخراله سجدا فان
الضمير يرجع الى أقر بالمدكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخرروا
لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة تحفية وهي ان
اخوة يوسف وبما احلمتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوست فلما رأوا ان أباهم قد سجد له سجدوا له أيضا
فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء
الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بما رآه وأسرار كتابه (وقال) يعني وقال يوسف عندما رأى ذلك (يا ابيت
هذا تاويل رؤياي من قبل) يعني هذا اصدق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر (قد جعلها بي حقا) يعني
في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد اربعون سنة وقال
أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال
قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سواد سبعون سنة وقال الفضل بن عياض ثمانون سنة حتى هذه
الاقوال كلها بن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين ألقى في الحب سبع عشرة سنة
وأقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربهم مدة ثلاث وعشرين سنة
وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد أحسن بي) يعني انعم علي يقال أحسن بي والى بمعنى
واحد (اذ أخرجني من السجن) اتخذ كرام الله عليه في اخراجهم من السجن وان كان الحب أصعب
منه استعجالا للادب والكرام لا ليخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تتريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في
اخراجهم من السجن كانت أعظم من اخراجهم من الحب وسبب ذلك ان خروجه من الحب كان سببا لحصوله

(ربى حقا) أي صادقاً وكان بين الرؤيا وبين التأويل اربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثمان وعشرون (وقد أحسن بي) يقال
أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه (اذ أخرجني من السجن) ولم يذكر الحب لقوله لا تتريب عليكم اليوم

(وجاءكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب مساكن ينتقلون في المياه والمناجم (من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي)
اي افسد بيننا واغرى (ان ربي) (٤٤) لطيف لما يشاء) اي لطيف التدبير (انه هو العليم الحكيم) بتأخير الآمال

في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سبب الوصول الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد اخوته
ودخوله السجن كان لزال التهمة عنه وكان ذلك من اعظام نعمه عليه (وجاءكم من البدو) يعني من البادية
وأصل البدو هو السبط من الارض بيد والشخص فيه من بعد يعني يفاهر والبدو خلاف الحضر والبادية
خلاف الحاضر وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين
اخوتي) يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لاسداه واستدل به هذه الآية من يرى
بطان الجبر من المبتدعة قالوا الان يوسف اضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من
فعل الله لوجب ان ينسب اليه كفي الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى
الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهرا للفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على
الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فهما آلهة الا الله لفسد تأييد ذلك
ان الكل من عند الله وقدرته ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحرش لافساد ذات
البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور
وخصايصها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللفظ عما تدرك الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على
هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما
يشاء أي حسن الاستخراج تنبها على ما وصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الجب وقيل ان اجماع يوسف
بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازاله ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله
بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمرا هيبا أسبابه (انه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم)
في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعين
وعشرين سنة في أهناء عيش وأمن بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده
حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل
يوسف ما أمر به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أي يعقوب
وكان قد ولد في بطن واحد دفن في قبر واحد وكان عمرهما مائتين وسبعين سنة فلما مات يوسف أباه
وعمره جع الى مصر قالوا المما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل
سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) أي يارب (قد آتيتني من الملك)
يعني من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع
في المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات
والارض) يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر
وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه (أنت ولي) يعني معيني ومتولى أمري (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) أي
اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب الوفاة في الحال أم لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال
قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى
والقول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يتم الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى
هذا القول يكون معنى الآية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس
في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين
ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمي الموت لعله ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سر بعة الذهاب وان نعيم
الآخرة باق دائم لا يفادله ولا يزال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم أحدكم الموت لضر نزل به فان
تمني الموت عند وجود الضر وزول البلاء مكره والصبر عليه أولى وقوله (والحقي بالصالحين) أراد به

الى الآجال أو حكم
بالاختلف بعد الاختلاف
(رب قد آتيتني من الملك)
ملك مصر (وعلمتني من
تأويل الاحاديث) تفسير
كتب الله أو تعبير الرؤيا
ومن فهم ما للتبعيض اذ لم
يؤت الا بعض ملك الدنيا
وبعض التاويل (فاطر
السموات والارض) انتصابه
على النداء (أنت ولي في
الدنيا والآخرة) أنت الذي
تتولاني بالنعمة في الدارين
وتوصل الملك الغاني بالملك
الباقي (توفني مسلما) طلب
الوفاة على حال الاسلام
كقول يعقوب لولده ولا
تموتن الا وأنتم مسلمون
وعن الضحاك مخلصا وعن
النسائي مسلما اليك
أمرى وفي عصمة الانبياء
انما عابه يوسف ليقبضني
به قومه ومن بعده من ليس
بمأمون العاقبة لان ظواهر
الانبياء لنظر الامم اليهم
(والحقي بالصالحين) من
آبائي أو على العموم روي
ان يوسف أخذ بيد يعقوب
فطاف به في خزائنه فأدخله
خزائن الذهب والفضة
وخزائن الثياب وخزائن
السلاح حتى أدخله خزنة
القراطيس قال يابني ما
أعقلك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الى علي غمانية
مراحل فقال أمرني جبريل

قال أو ما تسأله أنت قال أنت أسسط اليه مني فقال جبريل انه أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلاخفتني بدرجة
وروي ان يعقوب أقام معه أربعين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه اسحق فحضر بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش

بعد أبيه ثلاث وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فمضى الموت وقيل ماتناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فاختصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة نالونه إلى بيت المقدس وولده افرائيم وميشاو وولدا افرائيم فون وانون يوشع فتي موسى واقد توارثت القرعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنوا اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله (٤٥) صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أبناء

الغيب نوحيه اليك) خير ان (وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) عزوه وأعلى ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يكفرون) بيوسف ويغيثون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيه في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وما تسئلهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (ان هو الا ذكر) ما هو الامو عظة (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات

بدرجته آبائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التار يخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزير ثلاثة اولاد افرائيم وميشاو ورجة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر ولم مات يوسف عليه الصلاة والسلام ودفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محله ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته إلى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الاخر فنقل إلى الجانب الايسر فاخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدره بسلسله فاخصب الجانبان فبقى إلى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع أخوته ثم انه صار إلى الملك بعد الرق (من أبناء الغيب) يعني أخبار الغيب (نوحيه اليك) الذي أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا أميا لم يقرأ الكتاب ولم يلق العلماء ولم يسافر إلى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فلم يزد على ذلك ان الذي أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة إلى آخر الدهر وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) يعني حين عزمو على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الحب (وهم يكفرون) يعني بيوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وفرق شيا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا واخزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقبل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم ففيه تسليمة له (وما تسئلهم عليه من أجر) يعني على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله من أجر يعنى أجر جعل على ذلك (ان هو) أى ما هو يعني القرآن (الا ذكر) يعني عظة وتذكير (للعالمين وكأين من آية) يعنى وكفى من آية دالة على التوحيد (في السموات والارض يرون عليها) يعنى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) أى لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى باعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يعنى ان من إيمانهم أنهم اذا سألوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قبل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس أنهم يقولون ان الله خالقهم فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية أخرى عنه أيضا انها نزلت في تلبية مشرك العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تليبتهم لبك ايبيلك لا شريك لك الا شريكك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا فى الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخاء فاذا أصابهم البلاء اخلصوا فى الدعاء (أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله)

(معرضون) لا يعتبرون بها المراد ما يرون من آثار الامم الهاككة وغيب ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى وما يؤمن أكثرهم فى اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا هو مشرك بعبادة الوثن الجهور على انها نزلت فى المشركين لانهم مقررون بان الله خالقهم ورازقهم واذا خربهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك لما يقوله القدرية من انبات قدرة الخلق للعباد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو انه لا خالق الا الله (أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) عذاب الله

أوتأتهم الساعة) القبامة
 (بغمة) حال أي بغاة (وهم
 لا يشعرون) باتيانها (قل
 هذه سبيلي) هذه السبيل
 التي هي الدعوة إلى الإيمان
 والتوحيد سبيلي والسبيل
 والطريق يذكرون
 و يؤثنان ثم فسر سبيله بقوله
 (أدعو إلى الله على بصيرة)
 أي أدعو إلى دينه مع حجة
 واضحة غير عماية (أنا)
 تأكيد للمستمر في ادعو
 (ومن أتبعني) عطف عليه
 أي أدعو إلى سبيل الله أنا
 ويدعو إليهم من أتبعني أو
 أنا مستدأ على بصيرة خبير
 مقدم ومن أتبعني عطف
 على أنا خبير ابتداء بانه ومن
 أتبعه على حجة وبرهان لا على
 هوى (وسبحان الله) وأثره
 عن الشركاء (وما أمان
 المشركين) مع الله غيره (وما
 أرسلنا من قبلك الأرجالا)
 لا ملائكة لانهم كانوا يقولون
 لو ساءر بنا لانزل ملائكة أو
 ليست فيهم امرأة (نوحى)
 بالنون حفص (الهمم من
 أهل القرى) لانهم أعلم
 وأحل وأهل البوادي فيهم
 الجهل والجهلاء (أفلم يسيرا
 في الأرض فينظروا كيف
 كان عاقبة الذين من قبلهم
 ولدار الآخرة) أي ودار
 الساعة الآخرة (خبر
 للذين اتقوا) الشرك وآمنوا
 به (أفلا تعقلون) وبالباء مكي
 وأبو عمرو وحزرة على (حتى
 اذا استبأس الرسل) يشوا
 من إيمان القوم (وظنوا
 أنهم قد كذبوا) وأيقن

يعنى عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقبسة وقال الضحاك يعنى الصواعق
 والقوارع (أوتأتهم الساعة بغمة) يعنى بغاة (وهم لا يشعرون) يعنى بقبامها قال ابن عباس تهيج الصيحة
 بالإناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلي) يعنى طريق التي (أدعو) إليها
 وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وهي الذين سيلا لانه الطريق المؤدى إلى الله عز وجل وإلى الثواب
 والجنة (إلى الله) يعنى إلى توحيد الله والإيمان به (على بصيرة) يعنى على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي
 يميز بها بين الحق والباطل (أنا ومن أتبعني) يعنى من آمن بي وصدق بما جئت به أيضا يدعو إلى الله وهذا
 قول السكبي وابن زيد قال حق على من أتبعه وآمن به ان يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام
 عند قوله أدعو إلى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن أتبعني يعنى أنا على بصيرة قال
 ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريق وأفضل هداية وهم معدن العلم
 وكثر الإيمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنفا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم كانوا خير هذه الامم ابرها قلوبا وأعرقها علماء وأقلها تنكفا قوم اختارهم الله لصحبه نبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فذهبوا بأخلاقهم وطريقهم فهو لاء كانوا على الصراط المستقيم وقوله
 (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله يعنى تزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقص والشركاء
 والاضداد والانداد (وما أمان المشركين) يعنى وقل يا محمد وما أمان المشركين الذين أنكروا بالله غيره
 وقوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك الأرجالا) يعنى وما أرسلنا قبلك يا محمد الأرجالا مثلك ولم يكونوا
 ملائكة (نوحى إليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تجبوا من ارسالنا
 اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كمالك (من أهل القرى) يعنى أنهم من أهل
 الامصار والمدن لان أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادي قال
 الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقبل ان عالم يبعث الله نبيامن البادية لغلظتهم وجفائهم
 (أفلم يسيرا في الأرض) يعنى هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى
 كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فاعتبروا لاهلهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة) خبر للذين
 اتقوا) يعنى فعلنا هذا باولياتنا وأهل طاعتنا اذا نحنناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار
 الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار إلى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان
 العرب تضيف الشيء إلى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا يعقلون) يعنى يتفكرون
 ويعتبرون بهم فيؤمنون وقوله عز وجل (حتى اذا استبأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة
 بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك الأرجالا نوحى إليهم فترأخى نصرهم حتى اذا استبأس
 الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعد ما والمعنى حتى اذا استبأس
 الرسل من إيمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحزرة والكسائي كذبوا
 بالتحفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبواهم فيما أخبروهم به
 من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعد بن جبير ومجاهد وقال
 أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبك الحديث أي لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
 قال أبو على والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد
 كذبواهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس أنهم لم يؤمنوا
 بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمنع حمل الضمير في وظنوا على
 المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم
 جرى في قوله أفلم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبى الرسل والظن هنا
 على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استبأس الرسل من قومهم

الاجابة وطن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل
 انهم قد كذبوا في وعد قومهم ايهم الايمان أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف ووطنوا
 أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حتى حدثتهم بانهم لا ينصرون أو جأؤهم كقولهم رجاء صادق ور جاء
 كذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاولت عليهم وتمادت
 حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءهم من غير احتساب وعن ابن
 عباس ووطنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا يبشرون بلاقوله ورزقوا
 حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد
 أراد بالظن ما يخاطر بالبال ويحس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة
 البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل
 الله الذين هم أعرف الناس برهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكي الواحدى عن ابن الانبارى انه قال
 هذا غير معقول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه
 والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على ان أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله
 للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيماً ولا يستحقون ظفراً ولا نصراً وتبرئة الانبياء
 وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلاً وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
 ووطنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استنبأ الرسل من ايمان قومهم ووطنوا
 يعنى وأيقنوا يعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيباً لا يرجح بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى
 قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استنبأ الرسل من كذبهم من قومهم ان يصدقوهم ووطنوا أن من
 قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة الحنق والبلاء واستبطوا النصر انهم النصر وعلى
 هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى ووطنوا بالرسل ظن حسبان
 ان ربهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لا بطائنه وتأخروه عنهم ولطول البلاء عنهم لا أنهم كذبوهم في كونهم
 رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت
 بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى
 القولين جميعا الكناية في ووطنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا
 استنبأ الرسل ووطنوا انهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم
 كذبوهم وما هو بالظن فقالت باعروا أجل لقد استيقنوا بذلك فقاتلها قد كذبوا فقالت معاذ الله
 لم تكن الرسل تظن ذلك بها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا برهم وصدقوهم فطال
 عليهم البلاء واستأخروهم النصر حتى اذا استنبأ الرسل من كذبهم من قومهم ووطنوا ان أتباعهم كذبوهم
 جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مايكة قال قال ابن عباس حتى اذا استنبأ
 الرسل ووطنوا انهم قد كذبوا خيفة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر
 الله الا ان نصر الله قريب قال فاقبت عروة بن الزبير وذ كرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد
 الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء يرسل حتى خافوا أن يكون معهم من
 قومهم من يكذبوهم فكانت تقرؤها ووطنوا انهم قد كذبوا متغلة وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعنى جاء
 نصر الله المؤمنين (فنجى من نساء) من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافر من فنجى المؤمنين المطيعين
 (ولا يردبنا سنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى المشركين وقوله تعالى (لقد كان في قصصهم) يعنى
 في خبر يوسف واخوته (عبرة) أى موعظة (لاولى الالباب) يعنى يتعظ بها اولو الالباب والعقول الصحيحة
 ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه
 التأمل والتفكير وجه الاعتبار به هذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف من الحب بعد اقامته فيه

الرسل ان قومهم كذبوهم
 وبالتخفيف كوفي أى
 وطن المرسل اليهم
 ان الرسل قد كذبوا
 أى أخلفوا أو وطن المرسل
 اليهم انهم كذبوا من جهة
 الرسل أى كذبتهم الرسل
 في انهم اينصرون عليهم
 ولم يصدقوهم فيه (جاءهم
 نصرنا) للانبياء والمؤمنين
 بهم فجاءهم من غير احتساب
 (فنجى) بنون واحدة
 وتشديد الجيم وفتح الياء
 شامى وعاصم على لفظ
 الماضى المبني للمفعول
 والقائم مقام الفاعل من
 الباقون فنجى (من نساء)
 أى النبي ومن آمن به (ولا
 يردبنا سنا) عذابنا (عن
 القوم المجرمين) الكافرين
 (لقد كان في قصصهم) أى
 في قصص الانبياء وأممهم
 أو في قصة يوسف واخوته
 (عبرة لاولى الالباب)
 حيث نقل من غاية الحب
 الى غيبة الحب ومن الحصر
 الى السرير فصارن عاقبة
 الصبر سلامة وكرامته نهاية
 المكر وخامة وندامة

(ما كان حديثاً يفترى) ما كان القرآن حديثاً مفترى كإزعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدي) من الضلال (ورحمة) من العذاب (اقوم يؤمنون) بالله وأنبياؤه وما نصب (٤٨) بعد ذلك معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرفاهكم سورة

يوسف فأبما عبد تلاها
وعلمها أهله وما ملكت
يمينهون الله عليه سكرات
الموت واعطاء القوة أن
لا يحسد مسلماً قال الشيخ
أبو منصور رحمه الله في ذكر
قصة يوسف عليه السلام
واخوته تصبير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على أذى
قريش كأنه يقول ان اخوة
يوسف مع موافقتهم اياه في
الدين ومع الاخوة عملوا
بيوسف ما عملوا من الكيد
والمكر وصبر على ذلك فانت
مع مخالفتهم اياك في الدين
أحرى ان تصبر على أذاهم
وقال وهب ان الله تعالى لم
يتزل كتاباً الا وفيه سورة
يوسف عليه السلام تامة
كأهي في القرآن العظيم
والله أعلم

واخراجه من السجن وتخليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة والياس من
الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كرامته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة
جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في أول هذه
السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك الذين لم يسمعون
ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثاً يفترى) بمعنى ما كان هذا
القرآن حديثاً يفترى ويختلف لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتره
أو يخلفه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخاطب العلماء ثم انه جاء به القرآن المجزأ فدل ذلك على صدقه وانه ليس
بمفتر (ولكن تصديق الذي بين يديه) بمعنى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من
السماء من التوراة والانجيل وفيه إشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر
قصة يوسف (وتفصيل كل شيء) يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء يحتاج اليه من
الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر
دينهم ودنياهم (وهدي) يعني الى كل خير (ورحمة) يعني أتر لنا رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين
ينفخون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسیر سورة الرعد)

قال ابن الجوزي اختلفاً في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طحمة عن ابن عباس وبه قال
الحسن وسعيد بن جبيرة وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احدهما قوله
ولا تزال الذين كفروا نصيبهم مما صنعوا فارعة والأخرى قوله ويقول الذين كفروا لست برسلاً والقول
الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال حابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية
الا آيتين نزولاً مكة وهما قوله ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو
لذي برجم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمسون كلمة
وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف * (بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان
معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب
السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها * ثم قال تعالى (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من
القرآن كما هو الحق الذي لا مز يدعيه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار
والقصص التي قصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي أنزل
اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة
أراد بالآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك
الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون) يعني مشرك مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمداً يقول من تلقا نفسه ثم ذكر
من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع
عمود وهي الاساطين والدعام التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الروية
ترجع الى السماء يعني وأنتم ترون السموات بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعها
ولا من فوقها دعامة تمسكها والمراد في العمود بالكناية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل

* (سورة الرعد مكية وهي
ثلاث وأربعون آية كوفي
وخمس وأربعون آية
شامى)

* (بسم الله الرحمن الرحيم)
(المر) أنا الله أعلم وأرى
عن ابن عباس رضي الله
عنهما (تلك) اشارة الى آيات
السورة (آيات الكتاب)
أريد بالكتاب السورة أي
تلك الآيات آيات السورة
الكاملة العجيبة في بابها
(والذي أنزل اليك من

ربك) أي القرآن كله (الحق) خبر والذي (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تعقله محمد ثم ذكر ما يوجب
الاعان فقال (الله الذي رفع السموات) أي خالقها مرفوعة لأن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذي رفع السموات (بغير
عمد) حال وهو جمع عمد أعمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان أو الى عمد فيكون في موضع جر

علي أنه صفة لعدم
 أي بغير عمد مربية (ثم
 استوى على العرش)
 استولى بالافتقار ونفوذ
 السلطان (ومختر الشمس
 والقمر) لمنافع عباده
 ومصالح بلاده (كل بحري
 لاجل مسمى) وهو انقضاء
 الدنيا (يدبر الامر) أمر
 ملكوته وربوبيته (يفصل
 الآيات) بين آياته في كتبه
 المنزلة (لعلكم بلقاعكم بكم
 توفنون) لعلكم توفنون بان
 هذا المدبر والمفصل لا بد لكم
 من الرجوع اليه (وهو
 الذي مد الارض) بسطها
 (وجعل فيها رواسي) جبالا
 ثوابت (وأنهارا) جارية
 (ومن كل الثمرات) جعل فيها
 زوجين اثنين) أي الاسود
 والابيض والحلو والحامض
 والصغير والكبير وما أشبه
 ذلك (يغشى الليل النهار)
 يلبسه مكاله فيصير أسود
 مظلما بعدما كان أبيض
 منيرا يغشى حمرة على وأبو
 بكر (ان في ذلك لايات
 لقوم يتفكرون) فيعلمون
 ان لها صناعاتها على ما حكى
 قادرا (وفي الارض قطع
 متجاورات) بقاع مختلفة مع
 كونها متجاورة متلاصقة
 طيبة الى سيئة وكريمة الى
 زهيدة وصلبة الى رخوة
 ذلك دليل على قادر مدبر
 صر يد موقع لافعاله على وجه
 دون وجه (وجنات)
 معاوفة على قطع

القبه وهذا قول الحسن وقتاده وجه المفسر من واحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان
 الرؤية ترجع الى العمدة والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على
 جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالديار والسماء عليه مثل القبه وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية
 الاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام
 عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (ومختر الشمس والقمر) يعني ذلك المنافع خلفه فهما متهوران
 يجربان على ما يريد (كل بحري لاجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن
 عباس أراد بالاجل المسمى درجاتها ومنازلها ما يعي انما يجربان في منازلها ودرجاتها ما الى غاية ينتهيان
 اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة
 بقدر خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي ويصرفه
 ويضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايحاء والاعدام
 والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم يحتاجون الى تديره ورحمته داخلون
 تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعني انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته كمال قدرته
 وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات
 والارض وما فيها من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني
 الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقير بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من
 احوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاعكم بكم توفنون) يعني أنه
 تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لئلي توفنوا وتصدقوا لمقائه والمصير اليه بعد الموت لان
 من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاد راسيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو
 فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم
 وقوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات
 بغير عمد ودوز كراحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي
 بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض ممتدة فمداهم من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل
 ان الارض منسطة كالأكف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة
 عظيمة فكل قطعة منها شاهد مدوة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر بأنه
 مد الارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيع والله تعالى أصدق قبلا وأبين دليلا من أصحاب
 الهيئة (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالاتا بنية يقال رسا الشيء رسوا اذا ثبت وأرساه غيره
 أنبته قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الارض (وأنهارا) يعني وجعل في الارض أنهارا جارية
 لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات) جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلو وحامض
 (يغشى الليل النهار) يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك) يعي الذي تقدم
 ذكره من عجائب صنعه وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (لايات) أي دلالات (لقوم يتفكرون)
 يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال
 صاحب المفردات الفكر قوة مطرفة للعلم الى المعالم والتفكير جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك
 للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكير رافي آلاء الله
 ولا تفكر رافي الله اذ كان الله منزها أن يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقبول عن الفرك لانه
 يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وبخنها طلبا للوصول الى حقيقتها وقوله عز وجل (وفي الارض
 قطع متجاورات) يعني متجاورات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبايع فهذه طيبة تنبت وهذه سيئة
 لا تنبت وهذه قبله الربيع وهذه كثيرة الربيع (وجنات) يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل

(من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع مكي وبصري وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان
يجع صنو وهي النخلة لها رأسان (٥٠) وأصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما الغتان (تسقى بماء واحد) وبالباء عاصم

وشاحي (ونفضل بعضها على بعض) وبالياء حجرة وعلى (في الأكل) في الثمر وبسكون الكاف نافع ومكي (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنوارها وأزهارها وثمارها (وان تعجب) يا محمد من قولهم في انكار البعث (تعجب قولهم) خبر ومبتدأ أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعداء أهون نبي عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) في محل الرفع بدل من قولهم قرأ عاصم وحجرة كل واحد بهمز تين (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكافرون المتمادون في كفرهم (وأولئك الاغلال في أعناقهم) وصف لهم بالاصرار أو من جلة الوعيد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر (ويستجولونك بالسبيئة قبل الحسنة) الاستجبال طلب تعجيل الامر قبل محي عوقته والمراد بالسبيئة هنا هي العقوبة وبالحسننة العافية وذلك ان مشرك مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت من قبلهم المثلثات) يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم وسلمهم والمثلة بفتح الميم وضم الشاء المثلية نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا ليردع غيره به وذلك كالنكال وجمع مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الشاء فيها الغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن

استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلثات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فالهم لم يهترو بها المشركين فلا يستهزؤوا والمثلة بفتح الميم وضمها من المماثلة وجرأ سبيئة سبيئة مثلها (وابنك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى

مع طاهم هم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر العظيمة مع الظالم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أو هم أجمعين المؤمنين لكنهم معلق بالمشيئة فيهما أي يغفران يشاءو يعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند افتقار تحو الخوآيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى (٥١) فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت من رجل

أنت منذر) انما أنت من رجل أرسلت منذرا نحو قولهم من سوء العاقبة وانصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بآية خص بها الامم بربودون ويتحكمون (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) ما في هذه المواضع الثلاثة من صولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حاله ومن ذكورة وأثوثة وتعام ونجداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الارحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده المراد عدد الولد فانها تستعمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ونجدجا أو مدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عندنا والى أربع عند الشافعي

المشركين اذا آمنوا) (وان ربك لشديد العقاب) يعني للعصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال بجاهدانه لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ﴿قوله تعالى﴾ (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني مثل عصا موسى وناقص صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رآوا من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما أنت منذر) أي ليس عليك بما محمد غير الانذار والنحو ويف وليس لك من الآيات شي (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والضحاك والخفي والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله هادي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحبي الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي هاديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد الى الخير لا الى الشر ﴿قوله عز وجل﴾ (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكل علمه وانه عالم بما تحمل كل أنثى يعني من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعني وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصا ما في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فبنقص الولد واذا لم تحض زداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان أتت تسعة أيام وما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء في زيادة مدة الحمل وقيل النقصان السقطا والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضاها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة في بادئها على تسعة أشهر فاقبل مدة الحمل تسعة أشهر وقد يولد له هذه المدة ويمش واختلغوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحالك وولد سنتين وقال جماعة أكثر هأر بيع سنين واليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سلمة انما سمي هرم بن جبان هرما لانه بقي في بطن أمه أربع سنين وعند مالك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده بقدر) يعني بقدر روحه ولا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفية على أكمل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى يخص كل حادثه من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وادارته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس (الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظامته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دلائل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتزويجهم عن جميع النقصان ﴿قوله﴾ تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي مستؤمنكم من أخفي القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى أنه قد استوى في علم الله تعالى السر بالقول والظاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستتر بظلمته (وسار بالنهار) أي ذاهب بالنهار في سر به ظاهر والسر بيقض السنين وسكون الرء الطاريق

والى خمس عند مالك أو صدره أي يعلم كل أنثى ويعلم غيض الارحام واز يادها (وكل شيء عنده بقدر) بقدر وحده لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شيء خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهده (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالبناء في الحالين مكي (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي في علمه (ومن هو مستخف بالليل) متوار (وسار بالنهار) ذاهب في سر به أي في طريقه ووجهه يقال سر

وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ربيته مسخف
 بالليل وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه يرى من الأثم وقيل مسخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت
 الشيء إذا أظهرته وأخفيت إذا كتمته وسارب بالنهار أي متوارد دخل في السرب مسخفيا ومعنى
 الآية سوا ما أضمرت به القلوب أو نطقت به اللسان وسوا من أقدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل
 أو أتى بها ظاهرا في النهار فإن علمه تعالى محيط بالسلك (له معقبات) يعنى لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار
 فإذا صعدت ملائكة الليل عقبتهن ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات باللفظ التأنيث
 وإن كان الملائكة ذكورا وإن واحداهم عقب وجعها معقبه ثم جمع المعقبات كقيل ابتناوات سعد
 ورجالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم
 وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل إن مع كل واحد
 من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب
 الحسنات أمين على كتاب السيئات فإذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة
 قال صاحب الشمال لصاحب اليمين كتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث
 مرات فإن هو تاب منها والاقبال كتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فإذا تواضع العبد لله
 عز وجل رفعها وإن تجبر على الله عز وجل وضعها وملك موكل بعينه يحفظها من الأذى وملك
 موكل بفيه لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهوام يؤذيه فهو لا خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليله
 وخسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكال شفقتك عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى
 (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعنى يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من
 أمر الله بأسر الله وأذنه ما لم يحج القدر فإذا جاءه أنواعه وقيل معناه أنهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له
 قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فإما من شئ يأتيه
 يؤذيه الا قال له الملك وراءك الا شئ يأذن الله فيه فيصبيه وقال كعب الاحبار لو لا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة
 يذوبون عنكم في معامكم ومشر بكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جرير معنى يحفظونه أي يحفظون
 عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في المالكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال
 يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم
 والضهير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية الحمد صلى الله عليه
 وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن
 ابن زيد تزات هذه الآية في عامر بن الطفيل وأر بد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على
 مارواه السكابي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأر بد بن ربيعة وهما من بني عامر بن
 زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس
 لجمال عامر وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يارسول الله هذ عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك
 فقال دعاه فان برد الله به خيرا جهده فقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي ان أسلمت
 قال لك مال المسلمين وعليتك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله تعالى
 يجعله حيث يشاء قال فجعلني على الورود أنت على المدر قال لا قال فما جعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو
 عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى
 الى ار بد بن ربيعة اذا رأيتني أكله فدر من خلفه فاضر به بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وراجع ودارار بد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لضر به فاخترط شهر من سبغه ثم حبسه الله
 تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يوحى اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أي بد وما صنع

في الارض سر و بار سار ب
 عطف على من هو مسخف
 لاعلى مسخف أو على
 مسخف غير أن من في معنى
 الاثنين والضهير في (له)
 مردود على من كانه قيل
 لمن أسرو من جهرو من
 استخفي ومن سرب
 (معقبات) جماعات من
 الملائكة تعقب في حفظه
 والاصل معقبات فادعت
 التاع في القاف أو هو مفعلات
 من عقبه اذا جاء على عقبه
 لان بعضهم يعقب بعضا أو
 لانهم يعقبون ما يتكلم به
 فيكتبونه (من بين يديه ومن
 خلفه) أي قدامه ووراءه
 (يحفظونه من أمر الله)
 هما صفتان جميعا وليس
 من أمر الله بصله للحفظ
 كانه قيل له معقبات من
 أمر الله أو يحفظونه من
 أجل أمر الله أي من أجل
 ان الله تعالى أمرهم بحفظه
 أو يحفظونه من بأس الله
 ونعمته اذا أذنب بدعائمهم له

ان الله لا يغير ما بقوم من

العاقبة والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (واذا اراد الله بقوم سوءا) عذابا (فلا مرد له) فلا يدفعه شيء (ومالهم من دونه من وال) من دون الله ممن يلي امرهم و يدفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذاخوف وذاطمع أو من المخاطبين أي خائفين وطماعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عندماع السبرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى
رجى الحيا منته و يخشى الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر و يطمع فيه من له نفع فيه (ويشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (النقال) بالماء وهو جمع نقيه له تقول سحابة نقيه و سحاب ثقيل (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر أي يصحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم انه قال الرعد لما وكل بالسحاب مع مخاريق من نار يسوق

بسطه فقال اللهم اكفنيهما ما شئت فارسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو فأنظ فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لا ملائمتهم اعلمك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل امر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في أصل اذنه أخذ منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لا فذنتهم ما يرجي فارسل الله اليه ملاك فاطمعه فارداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فسات بالظعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأتزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسرار القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أي بأمر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير وقد برهله معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله (ان الله لا يغير ما بقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العاقبة والنعمة التي أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بانفسهم) يعني من الحالة الجميلة فيعصون بهم ويحسدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نعمته بهم وهو قوله تعالى (واذا اراد الله بقوم سوءا) يعني هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضاة وقدره (ومالهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي أمرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبهه النعم من وجهه وبشبهه العذاب من وجهه فقال تعالى هو الذي يعني هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الأول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من ينضرب بالمطر كالمسافر ومن في جريته يعني بيده العر والزبيب والقمع ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا لم تظطرر أنصبت (ويشئ السحاب النقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غر بالماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيمساء ولم يكن فيمساء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحب الجرسى السحاب سحبا بالجرالريح له أو لجره الماء أو لانجراره في سببه (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع عنده تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسم للملائكة وإنما أفرد بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقباتهم هو دالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقهم حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث أمرت قالوا صدقت أحوجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جميع مخاريق وهو في الأصل ثوب يلف ويضربه الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا أنه تزجرهم الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من يسمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان أصابه صاعقة فعلى دية وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى بهم السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيئته وإجلاله

(و يرسل الصواعق فيصيبهم من يشاء) الصاعقة نار تستعظم من السماء لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والباطن عند وما دل على قدرته الباهرة ووجدانيته قال (٥٤) (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله

يقول لو أن عبادي أطاعوني اسقيتهم المطر بالليل واطاعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جويرير عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء في نقره ابهامه وانه يسبح الله فاذا سجد لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع عن الرعد وحده دليل على وجوده وجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سجد الله فهذا المعنى اضعف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد من هذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد منهم جميع الملائكة ووجهه على العموم أولى (و يرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجحوش يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلك بها كما أصاب أربدين ربعة قال الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون في الله) يعني يخاضعون في الله وقيل المجادلة المناوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فله زلت في شأن أربدين ربعة حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ممر بك آمن درأم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله و يرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعون اليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجا لا كفر قلبا ولا أعق على الله منه فقال ارجعوا اليه فارجعوا اليه فلم يزيدهم على مقاتله الاولى شيئا بل قال أوجب محمد الى رب لا راء ولا أعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقاتله الاولى شيئا بل قال أحببت فقال ارجعوا اليه فارجعوا اليه فيبيناهم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقاتله شيئا اذ ارتفعت صحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جلوس عنده فارجعوا اليه والنبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم و يرسل الصواعق فيصيبهم من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيبهم من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان أربدا جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) أي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يجعل به محلا اذا أراد به سوءا وقيل هو من قولهم يجعل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهالك ويجعل اذا تكاف استعمل الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال بأعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدالهم في قوله تعالى (له دعوة الحق) يعني لله دعوة الصديق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال صاحب

حيث يتكبرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقواهم من يحيي العظام وهي رميم ورددون الوجدانية بانتخاذ الشركاء ويجهلونه بعض الاجسام بقواهم الملائكة بنات الله والواو للعال أي فيصيبهم من يشاء في حال جدالهم وذلك ان أربدا خاليد بن ربعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سبلولية وأرسل علي أربدا صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (وهو شديد المحال) أي الماحولة وهي شدة المماكرة والمكايبة ومنه تجعل لكذا اذا تكاف لا استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاد وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر والسكيد لاعدائه يأتهم بالهاكية من حيث لا يحتسبون (له دعوة الحق) أضيفت الى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملازمة للحق وانها تجرزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعي فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤله فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقا بانه توجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى الكشافي والنفخ بخلاف ما لا ينتفع ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أربدا ظاهرا لان اصابته بالصاعقة محال من الله

الكشافي الجدوى الكشافي

فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعاهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبيون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كاسط كفيه الى الماء ليباغ فاه) الاستثناء من المصدر أى من الاستجابة التي دل عليها الاستجيبيون لان الفعل بحروفه يدل على المصدر بصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منهما من الفعل فصار التقدير لا يستجيبيون استجابة الاستجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء أى كاستجابة الماعن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه وواجب اليه ولا يقدر ان يجيب دعاه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بن آراد ان يعرف الماعن يديه بشر به فيبسطهما نائرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شر به وقيل ان القابض على الماء نائرا أصابعه لا يكون في يده منه شي ولا يبلغ اليه منه شي كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تنفع ولا تنفع ولا يفيد منها شي وقيل شبه بال رجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشير بكفيه الى الماء يدعو بلسانه فلا يأتيه أبدا هذامعنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على سفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك مالم يعرفهم من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله (ومادعاء الكافرين) يعنى أصنامهم (الافى ضلال) يعنى يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول فى معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما لان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من فى السموات يعنى الملائكة ومن فى الارض من الانس يعنى المؤمنين طوعا وكرها يعنى من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعنى المنافقين الداخلين فى المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثانى هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا فى اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا الوجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من فى السموات ومن فى الارض ان يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من فى السموات من ملك ومن فى الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى واثن سألهم من خلق السموات والارض ليقوان الله والقول الثانى فى معنى هذا السجود هو الانقياد

الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكامة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملازمة للحق مختصة به وانها بعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤلوه ان كان مصالحة في كانت دعوة ملازمة للحق لسكونه حقيقة بان وجهه الى الدعاء على دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لانفع فيه ولا جدوى فيرد دعائه الثانى ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاه اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلها قلت أما على قصة أريد فظاهرا لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعاه عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون فى الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه أن دعائهم وقيل فى معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعنى والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهى الاصنام التي يعبدونها (لا يستجيبيون لهم بشئ) يعنى لا يجيبونهم بشئ بريدونه من نفع أو دفع ضرر ان دعوههم (الا كاسط كفيه الى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه) يعنى الاستجابة كاستجابة الماعن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بن آراد أن يعرف الماعن يديه بشر به فيبسطهما نائرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شر به وقيل ان القابض على الماء نائرا أصابعه لا يكون فى يده منه شي ولا يبلغ اليه منه شي كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تنفع ولا تنفع ولا يفيد منها شي وقيل شبه بال رجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشير بكفيه الى الماء يدعو بلسانه فلا يأتيه أبدا هذامعنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على سفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه فى الماء لا ينفعه ذلك مالم يعرفهم من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله (ومادعاء الكافرين) يعنى أصنامهم (الافى ضلال) يعنى يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس فى هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول فى معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما لان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من فى السموات يعنى الملائكة ومن فى الارض من الانس يعنى المؤمنين طوعا وكرها يعنى من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعنى المنافقين الداخلين فى المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثانى هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا فى اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا الوجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من فى السموات ومن فى الارض ان يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من فى السموات من ملك ومن فى الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى واثن سألهم من خلق السموات والارض ليقوان الله والقول الثانى فى معنى هذا السجود هو الانقياد

ضلال) فى ضياع لا منفعه فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبههم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من فى السموات والارض) سجود تعبد وانقياد (طوعا) حال يعنى الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والاضيق

(وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغسق) جمع غداة كقفي وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل شيء يستعد لله بالغسق والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترا فهم لانه اذا قال لهم من رب (٥٦) السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله وأهو

والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ﴿وقوله تعانى﴾ (وظلالهم بالغسق والآصال) الغسوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغسق بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشي والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال سبحانه ان الظالمين يسجد لله طوعا وهدوا طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يسجد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد به وتخضع كما جعل للجبال أفهاما حتى سجدت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما يخص الغسق والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانها طارفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

* (فصل) * وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسأل القارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واسماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ (قل من رب السموات والارض) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعنى من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقررون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجادوك بذلك فقل أنت يا محمد اتهم رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أوجب أنت قامر الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أى قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انه فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجية على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أى قل يا محمد للمشركين (أفتأخذتم من دونه) يعنى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام والولي الناصر والمعنى قولتم غير رب السموات والارض وأخذتموهم انصارا يعنى الاصنام (لا يملكون) يعنى وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعنى الشرك والايمان والمعنى كمال استوى الاعمى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعنى جعلوا لله شركاء (خلقوا وتذابوا) يعنى خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرًا وجبالا وبحارا ورجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى ويخبرهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا وخلقوا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشبهه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا والله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيئا حتى يشبهه خلق الله بخلق الشركاء واذ كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجية وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصع ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وازادته ﴿وقوله

تلقين أى فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لاجواب الا هذا (قل أفتأخذتم من دونه أولياء) أبعاد أن علموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوا أو يدفعوا ضررا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آرتوهم على الخالق الرزق الثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيئا أو من لا يخفى عليه شيء (أم هل تستوى الظلمات والنور) مثل الكفر والايمان يستوى كوني غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجمعوا ومعنى الهمة الانكار (خلقوا تخلقوه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى انهم لم يتخذوا لله شركاء فالعقوب قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدره ولا على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء وعبدوهم كما يعبدوا لشركاءهم اتخذوا

شركاء عاجزين لا يقدر عليهم على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) عز أى خالق الاجسام والاعراض لخالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أنعال الخلق وهم خلقه فاشتبه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المنفرد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه من رب ومقهور

عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالنظلمات
والإيمان بالنور ضرب بذلك مثلاً فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية
جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسالت
في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في الدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد
بلمتها وقال ابن جرير الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما تكبر أودية لان المطر اذا نزل
لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلها هذا
السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرأنا وهذا مثل ضرب به الله تعالى فسالت
أودية بقدرها يريد الاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر
اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب
يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول
القرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله
به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والشب
الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها
أخرى اغماهى فبعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم
ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وغيره
في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلا فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الخشيش وأما قوله وكان
منها أجادب فبالجيم والذال المهملة والباء الموحدة كذا في الصححين وهى الارض التى لاتنبت الكلا جمع
جذب على غير قياس وقياسه أجذب وأجذب ضد الخصب وقال الخطابي هى التى تمسك الماء ولم يسرع فيه
النضوب وفي رواية الهروى اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهى الغدير الذى يسلك الماء وقوله
ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعى ووقع في صحيح البخارى وزرعوا زيادة زامى من الزرع والقيعان بكسر
القاف جمع قاع وهو المسستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله بروى بضم القاف وهو
المشهور وروى بكسرها ومعناها فهم الاحكام وأمما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبى صلى الله عليه وسلم
ضرب مثلاً لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التى أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك
الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الارض الطيبة التى تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع
الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من
العلم فحبا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلم غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء
الفهوم النوع الثانى من أنواع الارض لا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهى امسالك
الماء لغيرها ينتفع به الناس والدواب وكذلك النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام
ثابتة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحىي المحتاج اليه المتعطل لما عندهم من العلم فيأخذونه منهم فينتفع به هو
وغيره النوع الثالث من أنواع الارض أرض سبخة لاتنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من
الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثابتة فاذا بلغهم شئ من العلم لا ينتفعون به فى أنفسهم ولا ينتفعون
غيرهم والله أعلم وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبدا ما يعلى وجه الماء عند الزيادة كالحليب
وكذلك ما يعلى القدر عند غاياتها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء زبدا (راييا) يعنى
عاليما يرتفع فوق الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومما توفرون عليه فى النار)
الايقاد جعل الخطب فى النار لتتقد تلك النار تحت الشئ ليس ذوب (ابتغاء حلية) يعنى اطالب بئنه والضمير
فى قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لاتطلب الا منهما (أو متاع) يعنى

(أنزل) أى الواحد
القهار وهو الله سبحانه (من
السماء) من السحاب (ماء)
مطرا (فسالت أودية)
جمع واد وهو الموضع الذى
يسيل فيه الماء بكثرة وانما
تكبر لان المطر لا يأتى الاعلى
طريق المناوبة بين البقاع
فيسيل بعض أودية
الارض دون بعض
(بقدرها) بمقدارها الذى
علم الله انه نافع للمعاور
عليهم غير ضار (فاحتمل
السيل) أى رفع (زبدا)
هو ماء على وجه الماء
من الرغوة والمعنى علاه زيد
(راييا) متفخما مرتفعا
على وجه السيل (ومما
توفرون عليه) وبالياء كوفى
غير أبى بكر ومن لا ابتداء
الغاية أى ومنه ينشأ زيد
مثل زبدا الماء أو للتبعيض
أى وبعضه زبدا (فى النار)
حال من الضمير فى عليه أى
ومما توفرون عليه ثابتا فى
النار (ابتغاء حلية) مبتغين
حلية فهو مصدر فى موضع
الحال من الضمير فى توفرون
(أو متاع) من الحديد
والنحاس والراسخ يتخذ
منها الاواني وما يمتنع به فى
الحضر والسفر وهو
معطوف على حلية أى
زينة من الذهب والفضة

(زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعمته ومما وقدون خبره أي لهذه الفلزات إذا أغلقت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي متلاشيًا وهو ما تقدّمه القدر عند الغليان والحر عند الطغيان والخبث الرمي وجفوت الرجل صرته (وأما ينفع الناس) من الماء والحلي والأواني (فيمكث في الأرض) فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبق في الأرض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الأمثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وخزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحبون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه (٥٨) واتخاذ الأواني والآلات المختلفة وذلك ما كثرت في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منفعه

وكذلك الجواهر تبق أزمنة متعاقلة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وشد زواله بزبد السيل الذي يرمي به بزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب قال الجهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والأودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هو اجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد بالطل ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هو اجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرياض فمثل للأعمال الممددة بالانحلاص المعدة للخلاص فان الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن

أو طلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرياض ونحوه مما يذاب وتخذ منه الأواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالأطباق والقدر ونحو ذلك من الأواني متاع (زبد مثله) يعني أن ذلك الذي يوقد عليه في النار إذا أذيب فله أن يثار بدمثل زبد الماء الصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضائعًا باطلاً والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد إلى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم إذا فرقتة والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب (فيمكث في الأرض) يعني يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل وان علا على الحق في بعض الأوقات والأحوال فان الله يحقه ويبطله ويجعل العقاب للحق وأهله كالزبد الذي يعال على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصغفون هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينظفه الكبر مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل فالباطل وإن علا في وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل المؤمن واعتقاده وانتفاعه بالإيمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور والذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الأزل لان الوادي إذا سال كئس كل شيء فيهم من النجاسات والمستعذرات كذلك إذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر إيمانه ومعرفة كئس كل ظلمة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفأ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض يعني يذهب الباطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق الجيدة كذلك يضرب الله الأمثال (وقوله تعالى (الذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام في الذين متعلقة بيبضرب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه إلى ما دعاهم اليه من توحيده والإيمان به ورسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الأمثال للفرقيين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله الذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجهه والفرس من يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظيمة في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم مافي الأرض جميعا مثله معه لا فتدوا به) يعني لبدوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب)

تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرابع والخلل والمثل والكسل واللام في قال (الذين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بيبضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهي صفة لصدرا استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هم أمثالا الفرقيين وقوله (لو أن لهم مافي الأرض جميعا مثله معه لا فتدوا به) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد الله للمستجيبين أي لو ملكوا أموال الدنيا وما كانوا معهما أمثالها لبدفوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره الذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لومع مافي خبره (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من نوقس الحساب عذب

(وما أوامهم جهنم) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (و بنس المهاد) المكان المهود والمذموم مخذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفمن يعلم) الانكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (٥٩) (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب

بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (سكن هو أعشى) كبعد ما بين الزيد والماء والخبث والابرز (انما يتذكر أولو الالباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم العنة وقيل هو صفة لاولى الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عقده على أنفسهم من الشهادة برؤيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغديره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد نعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقربان ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاحباب والخدم

قال ابراهيم الخفي سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كما ولا يغفر له منه شيء (وما أوامهم) يعني في الآخرة (جهنم و بنس المهاد) يعني و بنس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراه يعني و بنس الفراه يفرش لهم في جهنم قوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ولا يعمل بما فيه (سكن هو أعشى) يعني أعشى البصيرة لا أعشى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما تزالت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو حمزة وأعمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالأعشى لان الأعشى لا يهتدى لشدور وما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (انما يتذكر أولو الالباب) يعني انما يتعظ ذو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين يتفجعون بالمواعظ والاذكار قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل أراد بالعهد ما أخذته على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو تأكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسول يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين أحد منهم والاكثر من على أن المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقته الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بنته أخرج أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطع الله (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسقطه في رزقه وان ينسأله في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الال والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وأن ينسأله في أثره الاثر هنا الاجل وبمى الاجل أن الاله تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين أحدهما ان يبارك الله في عمره فكأنما قدراد فيه والثاني ان يزيد في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الال ومزاة في المال ومنسأة في الأثر أخرج الترمذي وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل جمل على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجههم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما أكمل

والجبران والرفقاء في السفر (ويخشون ربهم) أي وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجههم) لا يقال ما أصبره وأجله

وان كان الحرام رزقاً عندنا
(سرا وعلانية) يتناول
النوافل لانها في السر أفضل
والفرائض لان المجاهرة بها
أفضل نفياً للثمة (ويدرون
بالحسنة السيئة) ويدفعون
بالحسن من الكلام ما ردد
عليهم من سي غيرهم وإذا
حرموا أعطوا وإذا طمأوا
عفوا وإذا قطعوا وصلوا
وإذا أذنبوا تابوا وإذا
هربوا أتوا وإذا أراوا
منكر أمره أو بتغييره فهذه
ثمانية أعمال تشير إلى
ثمانية أبواب الجنة (أولئك
لهم عقبي الدار) عاقبة
الدنيا وهي الجنة لانها التي
أرادها الله أن تكون عاقبة
الدنيا ومرجع أهلها
(جنات عدن) بدل من
عقبي الدار (يدخلونها
ومن صلح) أي آمن (من
آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم) وقضى صلح
والفتح أفصح ومن في محل
الرفع بالعطف على ضمير
في يدخلونها وساغ ذلك
وان لم يؤكد لان ضمير
المفعول صار فاصلاً وأجاز
الزجاج أن يكون مفعولاً
معاً، ووصفهم بالصلاح
ليعلم ان الانساب لا تنفع
بنفسها والمراد أبو كل واحد
منهم فكانه قيل من آبائهم
وأمهاتهم (والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب)
في قدر كل يوم وليلة ثلاث

صبره وأشدقونه على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الأعداء وكل هذه الأمور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخل تحت قوله ابتغوا جهر بهم لانها غير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابراً لله تعالى راضياً بما نزل به من الله طاب النافي ذلك الصبر ثواب الله محتسباً أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغوا جهر بهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل جعله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها تمام أركانها وهياتها (وأنفقوا مآثر رزقهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك أداء الزكاة فالأولى ان يؤدبها سرا وان كان متهماً بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤدبها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وجعلها على العموم أولى (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحته هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحمها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عابه درع ضيقة قد خنته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عليهم حملوا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم رداً معروفاً وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا طمأوا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عدت خاتمة واحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني من أتى بهذه الأعمال (لهم عقبي الدار) يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبي الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحيد وعلى قول الزجاج معناه أصح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الاتي بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحاً في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام غير الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الأولى من مات عنها أو مات عنه وروى انه لما كبرت سودة أورد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها العائشة فأمسكها وجاء ان تحشر في جله أزواجه فهو كالليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور وقال ابن عباس بر يديه التحية من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا دلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثواباً للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوي بسنده عن أبي

مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذا المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلقين امامة محمد وفي تعديه هدايا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه

ما أمر الله به أن يوصل
ويفسدوا في الأرض)
بالكفر والظلم (أولئك
لهم اللعنة) (الابعاد من الرحمة
(ولهم سوء الدار) (يحتمل
أن يراد سوء عاقبة الدنيا
لأنه في مقابلة عقبي الدار
وان يراد بالدار جهنم
وبسوءها عذابها) (الله
يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر) (أي ويضيق إن
يشاء والمعنى الله وحده هو
يبسط الرزق ويقدر دون
غيره) (وفرحو بالحياة
الدنيا) (بما بسط لهم من
الدنيا فرح بطر وأسر
لا فرح سرور بفضل الله
وانعامه عليهم ولم يقابلوه
بالشكر حتى يؤجروا بنعيم
الآخرة) (وما الحياة الدنيا
في الآخرة الا متاع) (وخفي
عليهم أن نعيم الدنيا في جنب
نعيم الآخرة ليس الا شيئا
نورا يتمتع به كجبال الزاكب
وهو ما يتجمله من عيرات أو
شربة سويق) (ويقول
الذين كفروا لولا أنزل عليه آية
من ربه) (أي الآية المقترحة
(قل ان الله يضل من يشاء)
بافتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات) (ويهدى اليه من
أتاب) (ويرشده الى دينه من
رجع اليه بقلبه) (الذين
آمنوا) (هم الذين أوجله
النصب بدل من من) (وتطمئن
قلوبهم) (تسكن) (بذكر
الله) (على الدوام أو بالقرآن

أما تم وقوا عليه قال ان المؤمن ليكون مشكنا على أركبته اذا دخل الجنة وعنده سباطان من خدم وعند
طرف السماطين باب مبوي في قيل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك
يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الا تحرك ذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول انذنوا له فيقول
أقربهم الى المؤمن انذنوا له ويقول الذي يليه انذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له
فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنع عقبي الدار) يعني فنع العقبي الدار وقيل معناه فنع عقبي الدار ما أنتم
فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله احوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات
والخيرات ذكر بعده احوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاة وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره
ومعنى من بعد ميثاقه من بعدما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)
يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقربة (ويفسدوا في الأرض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك)
يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لان منقلب
الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي
النار ﴿ قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله
ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتصر عليه وهذا أمر اقتضته حكمه الله (وفرحو بالحياة الدنيا)
يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا بطر وافرحة لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه
دليل على ان الفرحة بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة الى الآخرة (الا
متاع) أي قليل ذاهب قال السكبي المتاع مثل السكر حبة والقصة والقدر ينفع بهما في الدنيا ثم يذهب كذلك
الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا باقية لها (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه)
يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء)
فلا ينفعه قول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهد الله عز وجل وهو قوله (ويهدى اليه من أتاب) يعني ويرشد
الى دينه والايمان به من أتاب بقلبه ورجع اليه بكلمته (الذين آمنوا) بذلك من قوله من أتاب (وتطمئن
قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طعاما ينبتة لقلوب المؤمنين والطعاما ينبتة
والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (الابذ كراته تطمئن القلوب) يعني بذكره
تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء
سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استنعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطعاما ينبتة فكيف
وصطهم بالوجل والطعاما ينبتة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت انما يكون الوجع عند ذكر الوعيد
والعقاب والطعاما ينبتة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه
وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف
العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقررة أعين وقال عكرمة نعيم لهم وقال قتادة حسن لهم وفي
رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل لرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال ابراهيم
الخنزي خيرا لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه
هو لا في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلاذل وغنى بلا فقر ورحمة بلا سقم قال الازهري تقول طوبى لك
وطوبى لك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبيرة طوبى اسم الجنة بالحسبية وروى
عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير
هي شجرة في الجنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله

أولوعده (الابذ كراته تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو
مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومجملها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك والسلام

لوان ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فا كته ولا ثمرة الا وفيها منها يسبع من اصلها عينان الكافور
والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها نفل امة عليها ملك يسبع الله بانواع التسبج وروي عن ابي سعيد
الخدري ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب
اهل الجنة تخرج من اكلها وعن معاذ بن جبل عن ابيه برفعه قال طوبى شجرة عرسها الله بيده ونفخ فيها من
روحه تنبت الحلى والحلل وان اغصانها الترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغير
سند وروي بسند موقوف عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقر وان شتم
وظل مدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي اترل التوراة على موسى والقرآن على محمد لوان رجلا
ركب فرسا وحقة او جذعة ثم دار بأرض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرامان الله عرسها بيده ونفخ فيها
من روحه وان افسانهم المن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي
وهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال
ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تنقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسر وجة بلجامها
وهيبتها كما يشاء وتفثق له عن الراحلة برحله او زمامها وهيبتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن ابي
سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد
المضمر السربع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرا وان شتم وظل مدود
وقوله تعالى (وحسن ما آت) يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الآخرة
وهي الجنة قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في امة قد دخلت من قبلها أمة) يعنى كما أرسلناك يا محمد الى هذه
الامة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك الى أمة قد دخلت ومضت (لتنالو عليهم الذي أوحينا اليك) يعنى لتقرأ على
أمتك الذي أوحينا اليك من القرآن وشرايع الدين (وهم يكفرون بالرحن) قال قتادة ومقاتل وابن حريج
هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح وانفقوا على ان يكتبوا كتاب
الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابي طالب أكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف
الرحن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلة الكذاب أكتب كما كتبت باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم
يكفرون بالرحن يعنى أنهم يشكرونه ويحسدونه والمعروف ان الآية مكتوبة وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان
محمد يدعو واليهين يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرحن ولا نعرف الرحن الا رحن اليمامة فنزلت هذه
الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله اذعوا الرحن أي امانته واذله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن
ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحن
فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد ان الرحن الذي أنكرتم معرفته (هوربى لاله الا هو عليه توكلت) يعنى
عليه اعتمدت في أمورى كلها (واليه متاب) يعنى واليه توبى ورجوعى قوله تعالى (ولو ان قرآنا سيرت به
الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركى قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف
الكعبة وأرسلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأناهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل
فقال له عبد الله بن أبي أمية ان سرك ان تتبعك فسير جبالمكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفخ فانها أرض
ضيقة لمزارعنا وجعل لنا فيها أنهارا وعيونا ونغرس الأشجار ونزرع ونخذ البساتين فلست كزارعيت بأهون
على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لتركبها الى الشام ليرتناوحو ونحن ان يرجع
في يومنا كما مضت لسليمان كما زعمت فلست بأهون على ربك من سليمان أو احي لنا جدك قريبا أو من شئت
من موتانا نسأله عن أمرك أحمق أو باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله من عيسى فانزل

في لهم للبيان مثلها في سقيا
لك والواو في طوبى منقلبة
عن ياء لضمه ما قبلها كموثق
والقراءة في (وحسن
ما آت) مرجع بالرفع
والنصب بذلك على محلها
(كذلك أرسلناك) مثل
ذلك الارسال أرسلناك
ارساله شأن وفضل على
سائر الارسلات ثم فسر كيف
أرسله فقال (في امة قد دخلت
من قبلها أمة) أى أرسلناك
في امة قد تقدمتها أمة كثيرة
فهى آخر الامم وأنت خاتم
الانبياء (لتنالو عليهم الذي
أوحينا اليك) لتقرأ عليهم
الكتاب العظيم الذي
أوحينا اليك (وهم
يكفرون) وحال هؤلاء
انهم يكفرون (بالرحن)
بالبلوغ الرحمة الذي وسعت
رحمته كل شى (قل هوربى)
ورب كل شى (لاله الا هو)
أى هوربى الواحد المتعالى
عن الشركاء (عليه توكلت)
في نصرى عليكم (واليه
متاب) مرجع فيثيبني على
مصابرتكم متابى وعقابى
وما آت في الخالين يعقوب
ولو ان قرآنا سيرت به
الجبالم عن مقارها

(أوقطعت به الأرض) حتى تتصدع وتترايل قطعاً (أو كما به الموتى) فتسمع وتجبب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف فجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرأنا وقع به تسييراً للجبال وتقطيع (٦٣) الأرض وتكليم الموتى وتنبئهم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه

الله هذه الآية ولو أن قرأنا سيرت به الجبال فأذهبت عن وجه الأرض (أوقطعت به الأرض) يعني شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً (أو كما به الموتى) فأحيها وأختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وإنما حذفوا كنفاء بمعرفه السامع مراده وتقديره ولو أن قرأنا فعل به كذا وكذا السكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر
فأقسم لو شئنا أن نأمر سوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعاً
أراد لو شئنا أن نأمر سوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعّل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كما به الموتى لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا به إلا سابقاً في علمنا فيهم كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالي (بل لله الأمر جميعاً) يعني في هذه الأشياء وفي غيرها إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل (أفلم ييأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكوفي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد الله لم ييأس ألم يعلم واستدلوا بهذه اللغة بقول الشاعر
أقول لهم بالشعب أذيأسر ونبي * ألم تيأسوا إلى ابن فارس زهدم
يعني ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضاً بقول شاعر آخر
ألم ييأس الاقوام إلى أنابنه * وإن كنت عن أرض العشييرة ناثياً

يعني ألم يعلم الاقوام قال قطرب يئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا وجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشئ ويقينك به يئسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع كلام العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشربوا المسلمون ذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالي أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علمنا يقيناً (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) يعني من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعاً وحاصله ان في معنى الآية قولين أحدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والاعمال الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تقرعهم بأنواع البلياء أحياناً مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها إليهم (أو تحل) يعني السرايا أو البلية (قر يمان دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قر يمان دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعده الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم بما عملوا (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منكم هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من قبلك (فأمليت للذين كفروا) يعني فأمليت لهم المرة (ثم أخذتهم) يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقطع

العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغزوهم حول مكة ويحطف منهم أو تحل أنت يا محمد قر يمان دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فخر مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي لا يخلف في مواعده (ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاؤهم من الزمان في حطّض وأمن (ثم أخذتهم

فكيف كان عقاب) وهذا ذاعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسليته (أئن هو قائم) احتجاج عليهم في
اشراكهم بالله يعني آفاله الذي هو (٦٤) رقيب (على كل نفس) صالحه أو طالحه (بما كسبت) يعلم خبره وشهره بعد لكل جزاءه كن

والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعني فكيف كان عقابي لهم (أئن هو قائم
على كل نفس بما كسبت) يعني آئن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خيرا وأشر وبما يجازيها بما
كسبت في الدنيا أحسن وبما عملت من سوءه وأجزم وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء)
نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء)
يعني وهو المستحق للعبادة لانه الاصنام التي جعلوا لله شركاء (قل سموهم) يعني له وقيل صفوهم بما
يستحقون ثم انظر واهل هي اهل لان تعبد (أم تنبؤنه) يعني أم تخبرون الله (بملا يعلم في الارض) يعني انه
لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو
كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعني أنهم يستعلمون بظاهر
من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له وقيل معناه بل يظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل
زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزمن في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على
الأطلاق لا يتقدر أحدان يتصرف في الوجود الا بذنه فتز بين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يتقدر على
اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا آيات الآيه وهو قوله ومن يضلل الله فإله من هاد
وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا
من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم
أي عن الايمان (ومن يضلل الله فإله من هاد) الوقت عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر
القراء لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق)
يعني أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق
الذي هو الصدع (ومالهم من الله) يعني من عذاب الله (من واثق) يعني من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ قوله
تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الانهار) كلها دائمة
لا ينقطع أبدا (وظلها) يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل محدود
لا ينقطع ولا يزول وفي الآيه رد على جهنم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفتني وينقطع وفي الآيه
دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار
المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفتني وينقطع
أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائمة يعني
لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تجمعها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء
والشهداء وغيرهم على ما روي الا أن الذي نذهب اليه ان الجنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل
دليلهم مر كسب من آيتين احدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائمة وظلها فاذا
أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فتخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة
مخلوقة منها قوله تعالى وجنت عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ﴿ وقوله تعالى (تلك عقبي الذين
اتقوا) يعني ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقبى الكافر من النار) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل
(والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) في المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذي
أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أنهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام
والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الاحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا

ليس كذلك ثم استأنف
فقال (وجعلوا لله شركاء)
أي الاصنام (قل سموهم)
أي سموهم له من هم ونبوه
بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه
بملا يعلم في الارض) على
أم المنقطع أي بل أنتبؤنه
بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات
والارض فاذا لم يعلمهم علم
انهم ليسوا بشئ والمراد
نفي أن يكون له شركاء (أم
بظاهر من القول) بل
أنهم شركاء بظاهر من
القول من غير أن يكون
لذلك حقيقة كقوله ذلك
قولهم بأقوالهم ما تعبدون
من دونه الأسماء سميتونها
(بل زين للذين كفروا
مكرهم) كيدهم للاسلام
بشركهم (وصدوا عن
السبيل) عن سبيل الله بضم
الصاد كوفي وفتحها غيرهم
ومعناه وصدوا المسلمين عن
سبيل الله (ومن يضلل الله
فإله من هاد) من أحد
يقدر على هدايته (لهم
عذاب في الحياة الدنيا)
بالقتل والاسر وأنواع المحن
(ولعذاب الآخرة أشق)
أشد لدوامه (ومالهم من
الله من واثق) من حافظ من
عذابه (مثل الجنة التي
وعد المتقون) صفتها التي
هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف أي

فيما يتلى عليكم مثل الجنة الآخرة (تجري من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائمة) ثم هادائم الوجود لا ينقطع (وظلها) على
دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقبي الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة بعقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقبى الكافر من
النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابين سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة (يفرحون بما أنزل اليك) ومن الاحزاب

أى ومن أحرابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشباهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الا قاصيص وبعض (٦٥) الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم

وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قل انما امرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمنكر بن أى قل انما امرت فيما أنزل الى بأن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (اليه ادعو) خصوصاً الادعوى الى غيره (واليه) لالى غيره (ما تب) مرجعي وأتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك أنزلنا ما أمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والادعوى اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاركونهم فيها فقبل (ولئن اتبع أهواهم بعد ما جاهلك من العلم) أى بعد نبوت العلم بالحج القاطعة والبراهين الساطعة (مالك من الله) من ولئ ولا واق) أى لا ينصرك ناصر ولا يقبل منسواق وهذا من باب

على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقدادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن بجملة لانه قد ورد فيه آيات دلالات على توحيد الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبداً والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد بأهله الذين أسماوا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعنى بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذلك الرجن قليلا فى القرآن فى الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرجن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرجن فى القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعنى مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرجن الا رجن اليمامة يعنون مسيلة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرجن قل هوربي وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرجن (قل) أى قل يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) يعنى وحده (ولا أشرك به) شيئا (اليه ادعو) أى الى الله والى الايمان به ادعو الناس (واليه ما تب) يعنى مرجعي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أى كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القرآن حكما لان فيه جميع التكليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والارام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبع أهواهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آباؤهم فتوعد الله على اتباع أهواهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آباؤهم فى الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاهلك من العلم) يعنى بانك على الحق وان قبلت الكعبة هى الحق وقيل ظاهرا لخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حديث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكافين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى (مالك من الله من ولئ ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما ابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد وجعلناهم أزواجا وذرية) فانه قد كان اسلميمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبع مائة نسوة فلم يقدر ذلك فى نبوته وكان لايه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدر ذلك ايضا فى نبوته فكيف يعيون عليك ذلك ويجعلونه قاصدا فى نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا كوثن ويشر بون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لايما كوثن ولا يشر بون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية فى اثبات النبوة وقد آتاهم رسول

(٩ - (خازن) - ثالث) التهميج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين وان لا يزل زال عند الشهادة بعد استمساكه بالحجة والادلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أى ليس فى وسعها اتيان

الله صلى الله عليه وسلم بمجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فيالهم أن يقترحوا عليه شيئا واتيان الرسول بالمجزات ليس اليه بل هو موهب من الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل كتاب) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطوا اذلك وقد كانوا يستجلبون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاءه كتابا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبتته فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (بمحو الله ما يشاء وبثبت) وذلك انه لم يعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمد يا امرأ ضلالة يا امرأ ضلالة يا امرأ ضلالة فغدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يحمو الله ما يشاء وبثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يحمو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله وبثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يحمو الله ما يشاء وبثبت الالرزق والالاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنطفة ثنتان وأر بعون ليلته بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجد لها ولها وعظماها ثم قال يا رب اذ كرام أنثى فيقبض ر بل ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجد له فيقول ر بل ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقول ر بل ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغمة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأر بع كلات يكتب رزقه وأجله وشق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بالآجال والارزاق مقدره وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا والاشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يحمو الله ما يشاء وبثبت قلت قد تكرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها حقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيد يموت في وقت معين استحتم ان يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من انها تزيد في العمر بأجوبة الصحیح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا أن يصل رحمه فان وصلها زاد له أر بعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يحمو الله ما يشاء وبثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيصور في الظاهر أيضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد ترد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بان الحامة عند الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحو اذ هاب أثر الكتابة وضده الاثبات فن العلماء من حمل الآية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شيء وقضيه ظاهرا للفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والالجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالوا يحمو الله ما يشاء وبثبت ما يشاء ورؤى عن عمر انه كان

الآيات على ما يقترحه قومه وانما ذلك الى الله (لكل أجل كتاب) يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته (بمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (وبثبت) بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يحمو من ديوان الحافظة ما يشاء ويثبت غيره أو يحمو كفر التائبين ويثبت اعانهم أو يميت من حان أجله وعكسه هو يثبت مدني وشاخي وحزرة وهلي

يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتي في أهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتي من أهل الشقاوة فاحسني منها واثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تعلم ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمضي ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي وغيره سندور وي بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة بما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربة دخلت خريجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكوفي يكتب القول كما حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يحيئ أجله وقال سعيد بن جبيرة يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته سبحانه وأمسكها ومن أراد بقاءه أثبتته وورد الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة يحسبها وأثبت حكم آخر للسنة المستقبلية وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئا ولا يثبت شيئا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر * (مسئلة) * استدل الرافضة على مذهبهم في البداهة هذه الآية قالوا ان البداهة عز على الله وهو ان يتقدس شيئا ثم يظهره خلاف ما اعتقده وتسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام نجر الدين الرازي في تفسير هذه الآية ﴿وقوله تعالى﴾ (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شيئا منها وروى عطية عن ابن عباس قال ان الله لو حافظ وطاه سيرة جنه ما نفعه من درة مضاعفة دفنان من باقوته لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون (واما نوبتك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني من العذاب (أوتوفينك) يعني قبل ان تريك ذلك (فاتما عليك البلاغ) يعني ايس عليك الاتبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ (وعليتنا الحساب) يعني وعليتنا ان نحاسبهم يوم القيامة فنجاز بهم باعمالهم ﴿قوله عز وجل﴾ (أولم يروا ان اتى الارض ننقصها من أطرافها) يعني أولم يروا كفار مكة الذين سأوا الحمد صلى الله عليه وسلم الايات ان اتى الارض يعني أرض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فنقص دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا ان اتى الارض فننقصها الحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيمتعتون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من

(وعنده أم الكتاب) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما نوبتك) بعض الذي نعدهم او توفينك) وكيفية ما دارت الحال أرى نيك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فاتما عليك البلاغ) فيا يجب عليك الاتبليغ الرسالة فحسب (وعليتنا الحساب) وعليتنا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلابم منكم اعراضهم ولا تستعجل بعدا بهم (أولم يروا ان اتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بما نفع على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما واعدك فقد نكفيناك ونتم ما وعدناك من النصر والظفر

لاراد لحكمه والمعقب الذي
 يكر على الشيء فيعطله
 وحقيقته الذي يعقبه أي
 يقفيه بالرد والابطال ومنه
 قيل لصاحب الحق معقب
 لانه يقف غيره بالاقضاء
 والطالب والمعنى انه حكم
 للاسلام بالغلبة والاقبال
 وعلى الكفر بالادبار
 والانتكاس ومحل لامعقب
 لحكمه النصب على الحال
 كانه قيل والله يحكم نافذا
 حكمه كما تقول جاءني زيد
 لاعامة على رأسه ولا فلتا سوة
 له تريد حاسرا (وهو سريع
 الحساب) فمعاقيل بحاسبهم
 في الآخرة بعد عذاب الدنيا
 (وقدم مكر الذين من قبلهم)
 أي كفار الامم الخالصة
 بانيابهم والمكر ارادة
 المكره في خفية ثم جعل
 مكرهم كلاما مكر بالاضافة
 الى مكره فقال (قلته المكر
 جميعا) ثم فسر ذلك بقوله
 (يعلم ما تكسب كل نفس
 وسيعلم الكفار من عقبي
 الدار) يعني العاقبة المحمودة
 لان من علم ما تكسب كل
 نفس وأعد لها جزاء فهو
 المكر كله لانه ياتيهم من
 حيث لا يعلمون وهم في غفلة
 عما يرادهم الكافر على
 ارادة الجنس مجازي وأبو
 عمرو (ويقول الذين كفروا
 لست مرسل) المراد بهم
 كعب بن الاشرف ورؤساء
 اليهود قالوا لست مرسلا
 ولهذا قال عطاء هي مكة
 الالهة الآية (قل)

المفسر من وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهر او تخزيبا كان ذلك نقصا نافي ديارهم وزيادة في
 دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعزضه ويظهر دينه ويخز
 له ما وعد وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا نافي الارض فخرهم ما ونهك أهلها أفلا يخافون ان نفعل
 بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحو هو وهذا القول قريب
 من الأول وقال عطاء وجماعتهم المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو
 ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي
 رواية من العباد ولكن يقبض العلم يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا
 فأفتوا بغير علم فضلوا أو أضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الاسلام لا يسدها شيء
 ماختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال
 الناس بخير ما بقى الأول حتى يتعلم الآخرة فاذا هلك الأول ولم يتعلم الآخرة هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير
 ما عملة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حتى
 الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذا اللغة بقول الفرزدق

واسأل بناو بكم اذا وردت مني * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الأول أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا
 الموضع قال الامام نضر الدين الرازى ويمكن ان يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وقد روه ان
 يقال أولم يروا ان كلما حدث في الدين ان الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز ونقص
 بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم ان يقبل الله الامر على هؤلاء
 الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز
 ايصال الكلام بـ قوله ﴿ والله يحكم لامعقب لحكمه ﴾ يعني لاراد لحكمه ولا ناقض لقضائه
 والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غيره بالاقضاء
 والطالب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه مخالفا للمدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غيره
 بتغيير ولا نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير
 والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في
 معنى سريع الحساب قبل هذا (وقدم مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشرك مكة من الامم الماضية الذين
 مكر وبانيابهم والمكر ايصال المكر وهى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر فرزدق وديارهم وفرعون
 موسى واليهود بعيسى (قلته المكر جميعا) يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدى يعني جميع مكر الماكرين
 له ومنه أى هومن خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر
 لا يضر الا بذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان
 قبيلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضر والامن أراد الله ضره واذا كان الامر كذلك
 وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لان أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعني ان جميع
 اكتساب العباد وانما معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممنوع الوقوع واذا كان كذلك فيكل ما علم
 وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممنوع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
 والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا بذنه وارادته وفيه وعد للكفار الماكرين (وسيعلم
 الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعني أباجهه وقيل أراد المستهزئين
 وهم خمسة نفر من كفار مكة (من عقبي الدار) والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة
 الجيدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ﴿ قوله تعالى
 (ويقول الذين كفروا لست مرسل) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أى

كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) بما أظهر من الأدلة على رسالتي والباطل دعوات على الطاغية وشهيداً تميز (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا انهم يشهدون بنعتي في كتبهم وقال ابن (٦٩) سلام في تزلت هذه الآية وقيل هو

جبريل عليه السلام ومن في موضع الجبر بالعطف على لفظ انه أو في موضع الرفع بالعطف على محال الجار والمجرور إذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالقدرة في الظرف فيكون فاعلاً لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة بعمل الفعل نحو مرت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء * (سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخسون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (الكتاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعنى السورة والجملة التي هي (أترناه اليك) في موضع الرفع صفة للسكر (التخرج الناس) بدعائلك يا هم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (باذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنعهم من التوفيق (الى صراط) بدل من النور (بشكر بالعامل) (العزيز)

قل يا محمد اهؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبياً مرسل من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعنى ومن عنده علم الكتاب ايضاً يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلافها التي الذي عنده علم الكتاب من هو فرورى العوفى عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالماً من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد اصلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهادته وأنكره من أنكروه منهم وقيل انهم مؤمنو أهل الكتاب يشهدون ايضاً على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبيرة ومن عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيداً بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه وغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائز الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهدهم إذ اريدوا الفقيه بل يقال شهدهم إذ زيد الفقيه بل يقال شهدهم إذ عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلماؤه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي جئتكم به بمعجزنا هو ورواهان باهراسا فيهم من الفصاحة والبلاغة والاختبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم هذه الصفة كان شهيداً بيني وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) * وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفر الى آخوال آيتين وهي احدى وقيل اثنتان وخسون آية وثمانمائة وحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قل هو الله عز وجل (الكتاب أترناه اليك) يعنى هذا كتاب أترناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعنى بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام نضر الدين الرازى رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحداً لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فخرج عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طريق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس الا واحداً (باذن ربهم) يعنى بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحميد) يعنى الى دين الاسلام وهو دينه الذى أمر به عباده والعز زهو الغالب الذى لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق للحميد المحامد (الله) قرى بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرى بالجزم لعملة الحميد وقال أبو عمرو وقراءة الخفض على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى ما فى السموات وما فى الارض وعبدوا من لا يخلق شيئاً البتة بل هو مالك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما فى السموات وما فى الارض (من عذاب شديد) يعنى معذابهم فى الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستجبون

الغالب بالانتقام الحميد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدنى وشامى على هو الله والجبر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقوا ما كانوا كرا الخار حين من ظلمات الكفر الى نور الايمان فوعدهم الكافرين بالويل وهو نقيض الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال (ويل للكافرين من عذاب شديد) وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستجبون) يختارون

و يؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة) و يصدون عن سبيل الله (عن دينه) و يعوونهم (يعاونهم) يطلبون لسبيل الله بغاوا و باجرا و الاصل
و يعوون لها الخذف الجار و اوصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك في ضلال بعيد) عن الحق و وصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي
و البعد في الحقيقة للضلال لانه هو (٧٠) الذي يتباعه عن طريق الحق فوصفه فعله كما تقول جدد جده أو جدد رصه لكاكفر من أو

الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا و يؤثرون على الآخرة (و يصدون عن سبيل الله)
أي و يمنعون الناس عن قبول دين الله (و يعوونهم) يعني و يطلبون لها زبوا و يلاخذف الجار و اوصل
الفعل و قيل معناه يطلبون سبيل الله حادين عن القصد و قيل الهاء في و يعوونها رجعة الى الدنيا ومعناه
يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق و الميل الى الحرام (أولئك) يعني من هذه صفته (في ضلال بعيد)
يعني عن الحق و قيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد ذي بعد أو فيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق ﴿قوله تعالى
(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه و هو قوله تعالى (ليبين
لهم) يعني ما يأتون و ما ينذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب و وحدهم و انما بعث
الى الناس جميعا بلسان قومه تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقيلين الخن
و الانس و هم على السنة مختلفة و لغات شتى و قوله بلسان قومه و ليس قومه سوى العرب يقتضي بظاهره انه
مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب و بلسانهم
و الناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه بعث الرسل الى الاطراف
فيترجون لهم بالسنتهم و يدعوهم الى الله تعالى بلغاتهم و قيل يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده و فهم العرب
و غير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى و قيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه و كانت
دعوته خاصة و كان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه و قيام الحجية عليهم في ذلك فاذا فهموه و نقل
عنه انتشر عنهم علمه و قامت التراجم ببيانه و تفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهل و اذا كان الكتاب
واحد بلغة واحدة مع اختلاف الامم و تباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه و تفهيم
فوائده و غوامضه و أسرارها و علومه و جميع حدوده و أحكامه و قوله (فيضل الله من يشاء و يهدي من يشاء)
يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ و التبيين و الله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعني
الذي يغلب ولا يغلب (الحكيم) في جميع أفعاله ﴿قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى باياتنا) المراد
بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة و السلام مثل العصا و البدوق و فلق البحر و غيره ذلك من
المعجزات العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) أي أن أخرج قومك بالدعوة من
ظلمات الكفر الى نور الايمان (وذكرهم بايام الله) قال ابن عباس و أبي بن كعب و مجاهد و قتادة يعني بنعم
الله و قال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم و انما أراد بما كان في
أيام الله من النعمة و النعمة فأخبر بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم و على هذا يكون المعنى
عظائم بالترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد و الترغيب و الوعدان يذكرهم بما أنعم الله عليهم به من النعمة و على
من قبلهم ممن آمن بالرسول في ماضى من الايام و الترهيب و الوعيد أن يذكرهم بأس الله و شدته انتقامه ممن
خالف أمره و كذب رسوله و قيل بأيام الله في حق موسى أن يذكر قومه بايام المحنة و الشدة و البلاء حين كانوا
تحت أيدي القبط بسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك و جعلهم ملوكا بعد ان كانوا ملوكا (ان
في ذلك لايات صبارا شكورا) الصبار الكثير الصبر و الشكور الكثير الشكر و انما خص الشكور
و الصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة لكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهاذا خصهم
بالآيات فكانت لهم لغيرهم فهوكه و قوله و هدى للمتقين و لان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن
يكون صابرا شكورا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البته (و اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

منصوب على الذم أو مرفوع
على أعني الذين أو هم الذين
(وما أرسلنا من رسول الا
بلسان قومه) الامتناع
بلغة قومه (ليبين لهم)
مبعوث به و له فلا يكون لهم
حجة على الله و لا يقولون له
لم نفهم ما خوطبنا به فان
قلت ان رسولنا صلى الله
عليه وسلم بعث الى الناس
جميعا بقوله قل يا أيها
الناس اني رسول الله اليكم
جميعا بل الى الثقيلين و هم
على السنة مختلفة فان لم
تكن للعرب حجة فلا غيرهم
الحجيات لا يخولوا ما ان ينزل
بجميع الاسنة أو بواحد
منها فلا حاجة الى نزوله
بجميع الاسنة لان الترجمة
تتوب عن ذلك و تكفي
التطويل فتعين أن ينزل
بلسان واحد و كان لسان
قومه أولى بالتعيين لانهم
أقرب اليه و لانه أبعد من
التحريف و التبديل (فضل
الله من يشاء) من آثر
سبب الضلالة (و يهدي
من يشاء) من آثر سبب
الاهتداء (وهو العزيز)
فلا يغلب على مشيئته
(الحكيم) فلا يخدل الا
أهل الخذلان (و اذ أرسلنا
موسى باياتنا) التسع

(أن أخرج قومك) بان أخرج أو أي أخرج لان الارسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه و قلنا له
أخرج قومك (من الظلمات الى النور) و ذكرهم بايام الله) و أنذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح و عاد و ثمود و منه أيام العرب
لحر و بها و ملاحها أو بايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام و أنزل عليهم المن و السواوي و فلق لهم البحر (ان في ذلك لايات صبار)
على البلايا (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا ايمان نصفان نصف صبر و نصف شكر (و اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

عليكم اذا تجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ طرف للنعمة بمعنى الانعام أي انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من
نعمة الله أي اذ كروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكروا في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا وار وهناعم الواو والحاصل أن
الذبيح حيث طرح الواو جعل تفسير العذاب وبيانها وحدث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر
(ويستحيون نساءكم في ذلكنم بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة (٧١) أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونيلوا كباشر

والخير فتنه (واذ تأذن
ربكم) أي آذن ونظير تأذن
وآذن توعده وأرعد ولا بد
في تفعل من زيادة معنى
ليس في أفعل كانه قيل
واذ آذن ربكم ايذانا ليغا
تتنفي عنده الشكوك
والشبه وهو من جملة ما قال
موسى لقومه وانتصاه
للعطف على نعمة الله عليكم
كانه قيل واذا قال موسى
لقومه اذ كروا نعمة الله
عليكم واذا كروا حين تأذن
ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم
فقال (لئن شكرتم) يابني
اسرائيل ما خولتكم من
نعمة الانجاء وغيرها
(لا يزيدنكم) نعمة الى
نعمة فالشكر قيد الموجود
وصيد المفقود وقيل اذا
سمعت النعمة نعمة الشكر
تأهبت للمزيد وقال ابن
عباس رضي الله عنهما لئن
شكرتم بالجسد في الطاعة
لا يزيدنكم بالجسد في المشوية
(ولئن كفرتم) ما أنعمت
به عليكم (ان عذابي لشديد)
لئن كفر نعمتي اما في الدنيا
فسلب النعمة واما في العقبى
فتوالى النقم (وقال موسى
ان تكفروا أنتم) يابني
اسرائيل (ومن في الارض

عليكم) لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بأيام الله امثل ذلك الامر وذكروا
بأيام الله فقال اذ كروا نعمة الله عليكم (اذ تجاكم من آل فرعون) أي اذ كروا انعام الله عليكم في ذلك
الوقت الذي اتجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) فان قلت قال في
سورة البقرة يذبحون وغير واو وقال هنا ويذبحون زيادة واو فما الفرق قلت انما حذف في سورة البقرة
لان قوله يذبحون نفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاء في القوم
ز يدوم واذا أردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم
بأنواع من العذاب غير التذبيح والتذبيح أيضا فلهذا يذبحون نوع آخر من العذاب لانه تفسير للعذاب
(ويستحيون نساءكم) يعني يتركونهن احياء (وفي ذلكنم بلاء من ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل
آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكنم
اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونيلوا كم بالشر
والخير فتنه وهذا الوجه أولى لانه موافق لاؤل الآيه وهو قوله اذ كروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان
تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم
كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل اذ كروا نعمة الله
عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن أي أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل
كانه قيل واذا كروا نعمة الله عليكم ايذانا ليغا تتنفي عنده الشكوك وتزاح الشبه والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن
شكرتم) يعني يابني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح
(لا يزيدنكم) يعني نعمة الى نعمة ولا ضاعف لكم ما آتيتكم قبل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن
شكرتم بالطاعة لا يزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم
مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطرية وههنا دقيقة وهي ان العباد اذا اشتغل بطاعة أقسام نعم الله
عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك لوجوب المز يدون ذلك تتأكد
محبته العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم
وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه
وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو وجودها لانه مذكور في مقابلة الشكر
(ان عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها (وقال موسى ان تكفروا) يعني يابني اسرائيل (أنتم
ومن في الارض جميعا) يعني والناس كلهم جميعا فانما غاضر ذلك يعود على أنفسكم بحرماتها الخير كله (فان
الله لغني) يعني عن جميع خلقه (جسد) أي محمود في جميع أفعاله لانه مفضل وعادل (ألم يأتكم نبأ) يعني
خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطا من موسى
لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بذلك من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطا بابا
من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكروا
بذلك أمر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة بأحوال من تقدم وهلاكهم
(و الذين من بعدهم) يعني من بعدهم والامم الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) يعني لا يعلم كنه عقابهم وعددهم

جميعا) والناس كلهم (فان الله لغني) عن شكركم (جسد) وان لم يحمدوا الحمدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد
لكم منه (ألم يأتكم به الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من
الكفرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واهل بيتهم ثلاثون أبلا يعرفون وروى انه عليه السلام قال عند

تقول هذه الآية كذب النساويون (جاءتهم رسالهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) الذين ان يعودوا الى الكفرة أي أخذوا أناملهم باسنانهم نجبا أو عضوا عليها تغيفا أو الثاني يعودوا الى الانبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كإلالية كما هو بما أرسلوا به (وقالوا انا كفرناجما أرسلتم به وانا لفي (٧٢) شك مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد (مرتب) موقع في الرتبة (قالت رسالهم أي الله شك) أدخلت همزة

الا لله لان علمه محيط بكل شيء الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلم الا الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثير او كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النساويون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفي الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلم الا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسالهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات آدم لانه لا يعلم أولئك الا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسالهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الايدي والادواء قولان أحدهما ان المراد بهم ماها تان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبتة وقال السكبي يعني ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الأفواه إشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعذر ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم ومعناها ردوا ما لوقبوا له لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد أي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قلوبهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا به وقوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجبه وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو ان الامم ردوا على رسالهم (وقالوا انا كفرناجما أرسلتم به) يعني انا كفرناجما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقرؤا بانهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقرؤا بان الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مرتب) يعني بوجوب الرتبة أو وقوع في الرتبة والتمهة والى رتبة قلبي النفس وأن لا تعلمن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم قالوا أولا انا كفرناجما أرسلتم به فكيف يقولون نانا وانا لفي شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسالهم) يعني مجيبين لاممهم (أي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار وفي لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيها (يدعونكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينهم من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسل (ان أنتم) يعني ما أنتم (الابشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسطان مبین) يعني حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا رسالهم ان أنتم الابشر مثلنا قالت لهم رسالهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فحن بشر مثلكم لانتم كذلك (ولكن الله عين على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسل فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من

الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك الظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفي شك (فاطر السموات والارض يدعونكم) الى الاعيان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم يجئ مع من الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أحببوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أي القوم (ان أنتم) ما أنتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تحصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني الاصنام (فأتونا بسطان مبین) بحجة بينة وقد

جاءتهم رسالهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقرحوها تعنتوا وجابجا (قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم) تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله عين على من يشاء من عباده) بالايمان والنبوة كما من عايناه (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأتونا بسطان مبین والمعنى أن الايمان بالآية التي قد اقرحوها وليس البسطة التي استطاعتها وانما هو أمر يتعلق بشيئة الله تعالى

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافيًا لتوكل وقصدوا به أنفسهم قصد أوليا كأنهم قالوا ومن حققنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتهم ومعاداةكم وايدائكم الأتري الى قوله (ومالنا أن لا نتوكل على الله) معناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقدهدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل مناسيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتونا) جواب قسم مضمرا أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يسكروا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (٧٣) أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسولهم) سبلنا

الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان وبهجة تدل على صدقنا الإباذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم (ومالنا أن لا نتوكل على الله) يعني ان الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصينا شئ الا بقضاء الله وقدره فحسن نشق به وتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقدهدانا سبلنا) يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشدا (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الأول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته ففصل الفرق بين التوكلين ﴿وقوله تعالى﴾ (وقال الذين كفروا لرسولهم لخبر جنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) يعني ليكون أحد الامرين اما اخرجكم أيها الرسل من بلادنا أو أرضنا واما عودكم في ملتنا فان قلت هذا هوهم بظاهرها منهم كانوا على ملتهم في أول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهر واخلاف أممهم فلما أرسلوا اليهم أظهروا مخالفتهم ودعواهم الى الله فقالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم واجماع الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره (فاوحى اليهم بهم) يعني ان الله تعالى أوحى الى رساله وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعني ان عاقبة أمرهم الى الهلاك فلا تخافوهم (ولنسكننكم الارض من بعدهم) يعني من بعدهم (ذلك) يعني ذلك الاسكان (لمن خاف مقامي) يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف أفعالها الى أنفسها كقولهم ندمت على ضربي اياك وندمت على ضربك مثله (وخاف وعيد) أي وخاف عذابي ﴿وقوله عز وجل﴾ (واستفتحوا) يعني واستنصروا قال ابن عباس يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك انهم لما أسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعني ونحسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار الذي لا يرى فوقه أحد اوقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأتي أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو المعجب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعني هي أمامه وهو صائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد يعني انه يقال وراءه يعني خلفه بمعنى أمامه وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني انه سيأتيك (ويسقي) يعني في جهنم (من ماء صديد) وهو ما سال من الجلود واللحم من القيع جعل ذلك شراب أهل النار وقال مجاهد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة بسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أي يتحساه ويشربه لاجرة واحدة بل جرعة بعد جرعة ملارته وحرارته

لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسولهم) سبلنا
 لرسولهم أبو عمرو (لخبر جنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن في ملتنا) أي لتكون أحد الامرين
 اخرجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فاوحى اليهم بهم لنهلكن الظالمين) القول مضمرا أو أخرى الايحاء مجرى القول لأنه ضرب منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك والاسكان أي ذلك الامر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مقعوم أو خاف قياي على بالعلم كقوله أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابي وبالياء يعقوب (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم

(١٠ - خازن) - ثالث) وهو معطوف على أوحى اليهم (وخاب كل جبار) ونحسر كل متكبر بطر (عنيد) بجانب للحق معناه قصر وانظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكان من بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يعث ويوقف (ويسقي) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقي فيها ما يلقي ويسقي (من ماء صديد) ما يسيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لما فيه منهم فينبى بقوله صديد (يتجرعه)

بشر به جرعة جرعة (ولا يكاد يسبغ) ولا يقارب أن يسبغه فكيف تكون الاساعة كقوله لم يكدر براها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف براها
(ويأتي الموت من كل مكان) أي (٧٤) أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تنفيع لما يصيبه من الآلام أي لو

وكرهته ونشئه (ولا يكاد يسبغه) أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الخلق إذا سهل انحدر فيه قال
بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسبغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعني
ولا يقارب أن يسبغه فكيف تكون الاساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسبغه أي يسبغه بعد ابطاء لان العرب
تقول ما كدت أقوم أي تمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معنا لا يحيزه
وقيل معناه يكاد لا يسبغه ويسبغه فيغلي في جوفه عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى ويسقي من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الي فيه فيكرهه فاذا أدنى منه سوى وجهه
ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميمًا فقطع أمعاءهم وقال وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساعت من تنفقا أخرجه الترمذي وقال حديث
غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلد فروة رأسه وانما شبهها بالفرولة للشعر الذي عليها ﴿ وقوله تعالى
(ويأتي الموت من كل مكان وما هو بميت) يعني ان الكافر يجد ألم الموت وشدة من كل مكان من أعضائه وقال
ابراهيم النبهي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته
وعن عيمه وعن شماله وما هو بميت فيسترح وقال ابن جرير تعلق نفسه عند خنجره فلا تخرج من فيه فيموت
ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنتفعه الحياة (ومن وزائه) يعني أمامه (عذاب غليظ) أي شديد وقيل هو
الخلود في النار ﴿ قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا
كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم
مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جلة مستأنفة على تقدير سؤال
سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفرع مثل أعمال الذين كفروا بربهم
لحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم
أعمالهم كرماد كقولك في صفة يد عرض مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب
والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني دنسفته وطبرته ولم تبق منه شيئا في يوم عاصف وصف اليوم
بالعصف والعصف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحر وليله ماطرة لان البرد والحر
والمطر توحدهن في ما وقيل معناه في يوم عاصف الريح لحذف الريح لأنه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله
تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح
العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يسبق منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب
بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال
الخير في حال الكفر كالصدقة وصله الارحام وفلن الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر
والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحببها
وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة
ووجه خسرتهم أنهم أتبعوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالاعمالهم وقيل أراد
بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته
الرياح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدرون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من
تلك الاعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران
الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجع عودها والبعيد هنا الذي لا يرجع عوده (ألم تر أن الله خلق
السموات والأرض الخلق) يعني لم يخلقها ما باطلا ولا عبثا وانما خلقها ما عظيما وغرض صحيح (ان يشأ
يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطلع الله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق

كان غمة موت لكان كل
واحد منهما مهلكا (وما هو
ميت) لانه لو مات لاستراح
(ومن وزائه) ومن بين
يديه (عذاب غليظ) أي
في كل وقت يستقبله يتلقى
عذابا أشد مما قبله وأغلظ
وعن الفضيل هو قطع
الانفاس وحبسها في
الاجساد (مثل الذين)
مبتدأ محذوف الخبر أي فيما
يتلى عليكم مثل الذين
(كفروا بربهم) والمثل
مستعار لصفة التي فيها غرابة
وقوله (أعمالهم كرماد)
جمله مستأنفة على تقدير
سؤال سائل يقول كيف
مثلهم فقيل أعمالهم كرماد
(اشتدت به الريح) الرياح
مدنى (في يوم عاصف) جعل
العصف لليوم وهو ما فيه
وهو الريح كقولك يوم ماطر
وأعمال الكفرة المكارم
التي كانت لهم من صلة
الارحام وعشق الرقاب
وفداء الاسرى وعقر الابل
للاضياف وغير ذلك شبهها
في حبوطها لبنائها على غير
أساس وهو الايمان بالله
تعالى برماد طبرته الريح
العاصف (لا يقدرون)
يوم القيامة (مما كسبوا)
من أعمالهم (على شيء)
أي لا يرون له اثر من ثواب
كلا يقدر من الرماد المطاير في

الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن الثواب (ألم تر) ألم تعلم الخطاب السموات
لكل أحد (أن الله خلق السموات والأرض) خالق مضافا جزءه على (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على ان يعيد الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على

اعدام الموجود وابتعاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) (معذرتهم وبرزوا لله جميعا) وبرزوا يوم القيامة وانما سجدوا عليه بلطف الماضي لان ما أخبر به عز وجل اصدق منه فانه قد كان وجود ونحوه ونأدى أصحاب الجنة ونأدى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرزه لهم كانوا يستترون من العيرين عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلوا ان الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا للحساب والله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأى وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفح الالف قبل الهمزة فيمهلها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغفروهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (انا كنا لكم تبعا) (٧٥) تابعين جمع تابع على سبع تكادم

وخدمهم وغائبوا وبأو ذوى سبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فهل أنتم مغنون عما نزل الله من شيء) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ومن الأولى للتيهين والثانية للتبعيض كانه قيسل فهل أنتم مغنون عما نزل الله من شيء هو عذاب الله أو هما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عما نزل الله من شيء هو عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبعناهم وعبأنا على استغفواهم لانهم علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم (قالوا) لهم حجيبين معذرتين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله الى الايمان فى الدنيا لهديناكم الى أى لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لا غنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أخرجنا أم صبرنا) مستنونان علينا الجزع

السموات والارض قادر على افناء قوم واما تبعتهم وابتعاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب الكفار مكة بر يدعكم بامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعنى بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت وقوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله اجسادهم وبجاز بهم على قدر أعمالهم والبراز الفضاة وبرزوا حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كالأهوال والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهوروا الى الفضاة وأورد بلطف الماضي وان كان معناه الاستتار لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة تضار كانه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعنى الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (انا كنا لكم تبعا) يعنى فى الدين والاعتقاد (فهل أنتم) يعنى فى هذا اليوم (مغنون عنا) يعنى دافعون عنا (من عذاب الله من شيء) من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا (قالوا) يعنى الرؤساء والقادة والمتبعون للتابعين (لو هدانا الله لهديناكم) يعنى لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم الى الضلالة (سواء علينا أخرجنا أم صبرنا) يعنى مستنونان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الجزل لانه بصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (مالنا من محيص) يعنى من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون فى النار تعالوا الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أخرجنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظى بلغنى ان أهل النار يستغيثون بالخرقة كما قال الله وقال الذين فى النار لخرقة تجهنم ادعوا بكم يخفف عنا يوم ان العذاب فردت الخرقه عليهم وقالوا ألم تلك تأتيناكم رسالكم بالبينات قالوا بلى فردت الخرقه وقالوا ادعوا ومدعوا الكافر من الاذى ضلال فلما يشوا مما عند الخرقه نادوا يا مالك ليقض علينا بك سألو الموت فلا يحببهم ثمانين سنة واثم سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يحببهم بقوله انكم ما كنون فلما يشوا مما عند الله قال بعضهم لبعض تعالوا فنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصرنا واطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أخرجنا أم صبرنا مالنا من محيص (وقال الشيطان) يعنى ابليس (لما قضى الامر) يعنى لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأخذ أهل النار فى لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر فى النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (ان الله وعدكم وعد الحق) فيه اضممار تقدره فصدق فى وعده (ووعدهم فما خلفتمكم) يعنى الوعد وقل يقول لهم انى قلت انكم لا تبعث ولا جنه ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به (الا ان دعوتكم) هذا استثناء منقطع

والصبر والهمزة وأم للتسوية روى انهم يقولون فى النار تعالوا الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أخرجنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أخرجنا أم صبرنا يريدون انفسهم وياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا يجتمعون فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كالفائدة فى الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز ان يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضى الامر) حكم بالجنة والنار لاهلها ما فرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدهم) بان لا تبعث ولا حساب ولا جزاء (فما خلفتمكم) كذبتمكم (وما كان لى عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا ان دعوتكم)

لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوسة وتزيين والاشتماء مقطوع لان الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبت لي) فامر عثم اجابني (فلا تلوموني) لان من تجرد للعبادة لا يلام اذا دعى الى امر فيج مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابو بكر من الجنة (ولوموا انفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله الى الايمان لهديناكم كما امر (ما انا بمرخصكم وما اتم بمرخصي) لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغنيه (٧٦) والاصراخ الاغاثة تبصر حتى حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الباء لئلا يجتمع الكسرة والياء ان

معناه لكن دعوتكم (فاستجبت لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم) يعني ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فذكان من الواجب عليكم ان لا تفتنوا الي ولا تسمعوا قولي فلما رجتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم اولي باجابتي ومتابعتي من غير حجة ولا دليل (ما انا بمرخصكم) يعني بغيشكم ولا منقذكم (وما اتم بمرخصي) يعني بمعنى ولا منقذي مما انا فيه (اني كلفتم بما اشر كتمون من قبل) يعني كلفتم بجعلكم اياي شريكا في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس سجده ما يعتقد الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأت من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب اليم) روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتوني فيأذن الله لي ان أقوم فيثور من بجاسي الطيبر يرحب شهما احدثني ابي ربي فيشفعني ويجعل لي نوران من شعراي الى ظهر قدي ثم يقول الكفار قد وجدوا مؤمنون من يشفع لهم فن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجدوا مؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضلنا فتقوم فيثور من مجلسه أنت يرحب شهما احدثتم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة عاقلة مقيمة مقرنة بالتعظيم والمنفعة الخاصة بها الاشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دائرة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (بأذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثاني قوله (تحييتهم فيها سلام) فيحتمل ان بعضهم يحيى بعضهم ببعض هذه السكامة أو الملائكة يحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة وقوله عز وجل (ألم تركبوا الله مثالا) لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترأى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلاحي اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيمن يحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترأى الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شهما والمثل عبارة عن قول في شئ يشبه قولنا في شئ آخر بينهما مشابة ليقين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر انشبيه شئ بشئ آخر (كلمة طيبة) هي قول لاله الا الله في قول ابن عباس وجهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة شبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يتحاث و رقتها توفى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة ورأيت ابا بكر وعمر لا يتكلمان ففكرت ان أتكم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما تقابلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك

بعبد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير التوكيم (اني كلفتم بما اشر كتمون) وبالياء بصري وما صدرية (من قبل) متعلق بأشركتموني في أي كلفتم اليوم بأشراكم اياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ولوم في القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بأشراكم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انابرأء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لا دم بالذي أشركتموني به وهو الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى أشراكم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزني لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين لهم عذاب اليم) قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى

الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين (وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على برزوا (بأذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة بأذن الله وأمره (تحييتهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تركبوا الله مثالا) أي وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب بضمير أي جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيد ا كساء حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضمير أي ضرب كلمة طيبة مثلا يعني جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة طيبة

(أصلها ثاب) أي في الأرض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلىها ورأسها (في السماء) والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الأركان وكان الشجرة شجرة وان لم تكن (٧٧) حاملا فالمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا

ولكن الأشجار لا تراد إلا للثمار فما أوقات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت الانحراف في عهد الأعمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبرني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيانا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر الأعمام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم (توتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لا ثمارها (باذن ربها) يتيسر بها القها وتكون به (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الأمثال زيادة أفهام وتذكير وتصوير للمعاني (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي كل شجرة لا يطيّب ثمرها وفي الحديث أنها شجرة الخنظل (اجتثت من فوق الأرض) استؤصلت وأخذ الجذع كالنخل

ان تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكبره ان أتكلم أو أقول شيئا فعمل عمران تكون قلتها أحب إلى من كذا وكذا وفي رواية ان من الشجر شجرة لا يستقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ان أتكلم ثم قالوا أحد ثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه انها المؤمن وقوله (أصلها ثاب) يعني في الأرض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء (توتى أكلها) يعني ثمرها (كل حين باذن ربها) يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة والحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبيرة وقتادة والحسن ستة أشهر يعني من وقت طلوعها إلى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني ان مدة حملها باطننا وظاهر ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور حملها إلى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشية لان غر النخل يؤكل أبدأ بالليل ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجار والطاع والبلغ والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطرى الرطب فأكلها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص وأصل الإيمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة في الأرض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان غر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالؤمن كما قال لاله الا الله سعدت إلى السماء وجاءته بركاتها ونواهبها وخيرها مرفوعة الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالإنسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطاع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الإيمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق واسع وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الإيمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير للمعاني وتذكير او اعطاء وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الخنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوت وعنه أيضا انها الثوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد إلى السماء (اجتثت) يعني استؤصلت وقطعت (من فوق الأرض مالها من قرار) يعني مال هذه الشجرة من ثبات في الأرض لانها ليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتى أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار قال هي الخنظل أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح وقوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المقدمه أخبرني في هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت

(الأرض) استؤصلت جذتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجذع كالأهوا وفي مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أي استقرار يقال قرالشي قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعدد بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لاله الا الله محمد رسول الله

والقول الثابت هي الكامة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المنسرين وما وصف الكامة الخبيثة في الآية المتقدمة بكامة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكامة الخبيثة وهي كامة الشرك في قول جميع المفسرين **وقوله** (في الحيوة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وان لم يسبح فمعه فرح نعالهم اذا انصرفوا آتاهم ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جيعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم يرجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية وأما الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرق من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صحبة يسمة بها من بليه الا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم معناه زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضر الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره آتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هدا الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك واسكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشرا أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره آتاه ملك فيمنهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطرق من حديد بين أذنيه فيصبح صحبة يسمة بها الخلق غير الثقلين وأخرجه النسائي أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم آتاه ملكان أسودان أزرقان يقول أحدهما المنكر وللآخر الكبير فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينوره فيه ثم يقال له ثم فيقول أرجع الى أهلى فأخبرهم فيقولان ثم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التثمي عليه فتلتم عليه فختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذب حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهت الى القبر وما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأننا على رؤسنا الطير ويدهم عود ينكت به في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خنخف نعالهم اذا ولوا ما يدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول انهر بي فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وأمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدي فأفرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فأتيتهم من ريحها وطبها وفسح له في قبره مدبصره وان كان الكافر فدكر موته قال فتعادر وجهه في جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك

(في الحياة الدنيا) حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزالوا مكاثرت الذين قتلهم أصحاب الاخذ ودوغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فأتيت ملكا فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا وموت سعيدا ثم فومة العروس

(ويضل الله الظالمين) فلا يثبتهم على القول الثابت في موافق الفتن وتزل أقدامهم أول شيء ذمهم في الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين (ألم ترالى الذين بدلوا نعمت (٧٩) الله أى شكر نعمة الله (كفرا) لان

فيقول هاهاهم لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهاهم لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاهاهم لا أدري فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافر شواله من النار وأبسو من النار واقتحوه بابا الى النار فيما أتيتهم من حرهاومومهاو بضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد في رواية ثم يقضى له أعشى أبكم أصمم معمرز به من حديد لوضرب بها جبلا صار ترابا فيضرب بهم اضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيضرب ترابها ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا للاخيم واسألوا الله التثبيت فانه الا ان يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عتبة المهري قال حضرنا عمر بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنة يقول ما يبكيك يا ابتاه أما بشر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل ما نعدشهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا أتت فلانصبغى نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنو اعلى التراب شنائتم أقيمو احوال قبري قدر ما تخبر حرزور ويقسم لجهنم حتى استأنس بكم وأنظر ماذا راجع به رسول ربى أخرجه مسلم بزيادة طويلا فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا ووجههم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخه في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقائمه وجميع حركاته وسكناته فاعلم انه عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب المسكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة تسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب ونسبه له بفضل ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شيء قدير وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعنى ان الله تعالى لا يهدي المشركين الى الجواب بالصواب في القبر (ويفعل الله ما يشاء) يعنى من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتر كنه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يستل عميا يفعل وهم يستلون وقوله عز وجل (ألم ترالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) (خ) عن ابن عباس في قوله ألم ترالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله بهم محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النار يوم يدرو عن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجر واوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الاجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتهم وهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد متمتعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما أتم على قريش محمد صلى الله عليه وسلم فارسه الهيم وأنزل عليه كتابه ليجز جهنم من ظلمات الكفر الى نور الايمان واختاروا الكفر على الايمان وغيره وانعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعنى من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعنى دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعنى المستقر (وجعلوا الله أندادا) يعنى أمثالا وأشباها من الاصنام وليس الله تعالى ندوا ولا شبيهه ولا مثل تعالى الله عن الندو والشبيهه والمثل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعنى ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا أياما قلائل (فان مصيركم الى النار) يعنى في الآخرة ﴿نوله تعالى﴾ (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعنى أقيموا وليقيموا الصلاة الواجبة وقامت تمام أركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل أرادهم هذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وجهه على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعنى ينفقون أموالهم في حال السر

شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفر فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه بتديلا رهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفر وانعمة الله بدل ما رزقهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة أوفى التسمية (ليضلوا عن سبيله) ويضغ الباعثى وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا والمراد به الخذلان والخذلة وقال ذو النون المتسع ان يقضى العبد ما استطاع من شهوته (فان مصيركم الى النار) مرجعكم اليها (قل لعبادى الذين آمنوا) خصهم بلاضافة اليه تشريفا وبسكون الباعثى وحزوة وعلى الاعشى) يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم (المقول محذوف لان قل تقضى مقولا وهو أقيموا وتقدمه قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدمه يقيموا ولينفقوا فحذف الام دلالة على عامة ولو قيل يقيموا الصلاة

وينفقوا ابتداء بحذف الام لم يحجز (سرا وعلانية) انتصبا على الحال أى ذوى سرا وعلانية يعنى مسررين ومعلنين أو على الطرف أى وقتي سرا وعلانية أو على المصدر أى انفاق سرا وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب

(من قبل ان يأتي يوم لا يبغ فيه ولا خلال) أي لا انتفاع فيه بما بعد ولا بخالته والحلال المتخالفة وإنما ينتفع فيه بالانبات لوجه الله فتقحم ما يحى وبصرى والباقون بالرفع والتنوين (٨٠) (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأترل من السماء ماء) من السحاب

معرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دابتين (دأبن وهو حال من الشمس والقمر أي يدأبن في سيرهما وانارتهما ودرهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلعة لعاشكم وسباتكم (وأتاكم من كل ما سألتوه) من التبويض أي أتاكم بعض جميع ما سألتوه أو وأتاكم من كل شيء سألتوه وما لم تسألوه فمأ موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجمله الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرايل تعيقكم الحر من كل عن أبي عمرو وما سألتوه نفي ومجمله النصب على الحال أي أتاكم من جميع ذلك غير سائله أو ما موصولة أي وأتاكم من كل ذلك ما احتتم اليه فكأنكم سألتوه أو طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا

وحال العلانية وقيل أراد بالسرى التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا يبغ فيه) قال أبو عبيدة البسيع هذا الفداء يعني لافداء في ذلك اليوم (ولا خلال) يعني ولا خلة وهي المودة والصدقة التي تكون مخالفة بين اثنين وقال مقاتل إنما هو يوم لا يبغ فيه ولا شرعا ولا مخالفة ولا قرابة إنما هي الاعمال اما ان يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة نفي الخلة المحصورة بسبب ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الأتراء أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالفة لله في محبة الله قوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائده هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذي لا يجزمه شيء أراد فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض إنما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانها أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا دليل قوله كما وان ثمره اذا أعمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) لماذا كره الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع به في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعني ذلها لكم تجر ونها حيث شتمت وما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمار ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتغيير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دابتين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير دائم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما بعد والى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس ذريته في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبن في طاعة الله أي في مسيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وجمها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخير لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخير لهم (وأتاكم من كل ما سألتوه) لماذا كره الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العدو والحصص والمعنى وأتاكم من كل ما سألتوه شيئا غفدا شيئا أكثفا بدلالة الكلام على التبويض وقيل هو على التثنية يعني وأتاكم من كل شيء سألتوه وما لم تسألوه لان نعمته علينا أكثر من أن تحصى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عددها اكثر منها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلم كفر) يعني ظلم لنفسه كفار بنعمته به وقيل الظلم الشاكر لغيره من أنعم عليه

نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدوها وبلغ آخرها هذا اذا أراد وان يعدوها على الاجال وأما التفصيل فلا يعلمه
 الا الله (ان الانسان لظالم) يقلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
 يجمع ويعنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه

فضع الشكر في غير موضعه كفر بحمد الله عليه وقيل بظلم النعمة باغفال شكرها كفر شديد الكفران لها وقيل ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفر في النعمة يجمع ويجمع **قوله** سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلداً آمناً) يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلداً آمناً وبين قوله اجعل هذا البلد آمناً قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضد هان الامن كأنه قال هو بلد يخوف فاجعله آمناً (واجنبي وبني أن نعبد الاصنام) يعني أبعدني وبني أن نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعاه به أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أعاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثاني أن الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله واجنبي عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل به أيضاً أن يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرب الكعبة ذوالسوء يقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلداً آمناً يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السوء يقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختلف أهل مكة بزيادة الأمن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلمها انه لا يهجمها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بحمكة وحرما وأما الجواب عن الوجه الثاني فن وجوه أيضاً الوجه الاول ان دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه زيادة العمة والتبني فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يصمهم من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء هضم للنفس واظهار للحجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورجئهم وان أحد الا يقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فلماذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول أن ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما فاقط الوجه الثاني انه أراد اولاده وأولاد اولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد أجيب فهم الوجه الثالث قال الواحدى دعاء ابن اذن الله أن يدعو له فكانه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيهم من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا المختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه **قوله** تعالى (رب انهن) يعني الاصنام (أضلن كثير من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وبحجارة لا تعقل شيئاً حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول ففتنهم الدنيا وغيرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني فإنه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فإنه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحجلى كما قال الشاعر اذا حاربت في أسد فجورا * فاني لست منك ولست مني أراد ولست من المتمسكين بحجلى وقيل معناه فإنه مني حكمه حكمي جار مجزأ في القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل

(واذ قال ابراهيم) واذا كر
اذ قال ابراهيم (رب اجعل
هذا البلد) أي البلد الحرام
(آمناً) ذا أمن والفرق
بين هذه وبين ما في البقرة
انه قد سأل فيها أن يجعله
من جملة البلدان التي يأمن
أهلها في الثاني أن يخرج
من صفة الخوف الى الامن
كأنه قال هو بلد يخوف
فاجعله آمناً (واجنبي)
وبعدني أي تبني وأدعني
على اجتناب عبادتها كما
قال واجعلنا مسلمين لك أي
تبني على الاسلام (وبني)
أراد بنيه من صلبه (ان
نعبد الاصنام) من أن نعبد
الاصنام (رب انهن أضلان
كثير من الناس) جعلن
مضلات على طريق التسيب
لان الناس ضلوا بسببهن
فكأنهن أضلنهم (فمن
تبعني) على ملتي وكان
حنيفاً مسلماً على (فانه
منى) أي هو بعضى لفرط
اختصاصه بي (ومن عصاني)
فيما دون الشرك (فانك
غفور رحيم) أو من عصاني
عصيان شرك فانك غفور

ومن عصافي في ادون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصافي نفا الفنى في بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكروا وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلم الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لأبويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرا منهما والوجه الآخر ومن عصافي باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفر له وترحمه بان تغفر له من الكفر الى الايمان والاسلام وتمديه الى الصواب **قوله** عز وجل اخبارا عن ابراهيم (ربنا انى أسكنت من ذريتي بوادى غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطلقا لتعنى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسمعيل وهى ترضعها حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهم ماء فوضعها هناك ووضع عندهما حرايا فيه تمسقا فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه ائیس ولا شئى فقالت له ذلك مراد او جعل لا يلتفت اليها فقالت آله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا ارضعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بمذاهب الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتي بوادى غير ذى زرع حتى يبلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نشد ما فى السماء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتباط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فبهلت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا فتبعته ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك سعى الناس بينهم فما لأمسرت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسك هاتم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال يحناحه حتى ظهر الماء فعملت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء فى سقاها وهو يشور بعد ما تعرف وفى رواية قدر ما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكانت زمزم عينا مينا قال فسررت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهلها وكان البيت مرتعا من الارض كالرابية نابتة السبول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فقرأوا طائرا عا ثفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهد ناهى هذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أناذنين لنا ان نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم قالى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بهم أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنسهم حتى شب فلما أدركه زوجوه بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل بطالع تركته أخرجها البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية فقوله ربنا انى أسكنت من ذريتي من للتبعيض أى بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام بوادى غير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه واديين جبليين جبل أبى قبيس وجبل اجباد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرمانه يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه به وعو حرم التعرض له والتهاون به وبجرمنه وجعل محاوله محرما لكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان يعنى امتنع منه وقيل سمي محرمانا لانه لا يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لانه أعتق من الجبابرة أو من الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه

رحيم ان ناب وآمن (ربنا انى أسكنت من ذريتي) بعض أولادى وهم اسمعيل ومن ولد منسه (بوادى) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل محاوله محرما لكانه أولاده لم يزل ممنعا بهاب كل جبار أو لانه محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكها أولانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه

و أعلم انه له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمر فاذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون
المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق
علمك أنه سيحدث في هذا المكان (ر بنالقيمو الصلاة) اللام في لبقيمو متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قوما من
ذريتي وهم اسمعيل وأولادهم هذا الوادي الذي لازرع فيه لبقيمو أي لأجل أن يقيموا أولاد بني يقيموا
الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال البغوي جمع الوفد (تهوى اليهم) تحن ونشأق اليهم قال السدي
رحم الله أهل قلوبهم إلى هذا الموضع وقال ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلهذا
جعل جمع فواد قال ابن الأنباري وإنما بر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد
جارتين وقال الجوهري الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلها جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس
للتبعية قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لاحتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبيرة لجت
اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هوى
يهوى هو يا إذا سقط من علو إلى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم تريد هم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه
يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الأنباري معناه تنخط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة
في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي
هذا بيان أن حنين الناس اليهم إنما هو لطلب حج البيت لا لاغبانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرتفعهم حج البيت
ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم ينبتون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع إبراهيم عليه
السلام في هذا الدعاء من أمر الدين والدينا ما طهر بيانه وعمت بركانه (وارزقهم من الثمرات) يعني كرزق
سكان القرى ذوات الماء والزرورع فيكون المراد عمارة قري بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن
يكون المراد جلب الثمرات إلى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجي اليه ثمرات كل شئ وقوله
تعالى (لعلمهم يشكرون) يعني لعلمهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بهم عليهم وقيل معناه لعلمهم بوحده
ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصل منافع الدنيا إنما هو لاستعانة بهم على أداء العبادات وإقامة الطاعات
(ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما
يصح لنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب إنما يدعوك لإظهار العبودية لك وتخشعا
لعظمتك وتذلل لاعتزلك وإفتقارنا إلى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وامه حيث
أسكنتهم ما واد غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن
يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام إلى من تسكننا قال إلى الله قالت إذا
لا يضيعنا (وما يخفي على الله من شئ في الأرض ولا في السماء) قيل هذا من تتمه قول ابراهيم يعني وما يخفي على
الله الذي هو عالم الغيب من شئ في كل مكان وقال الأكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لبراهيم فيما قال
فهو كقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولدا اسمعيل
لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبيرة بشر
ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وتسع عشر سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن
من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وإنما بشر باسحق بعد
اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام إنما أتى بهذا الدعاء عندما بشر باسحق وذلك أنه
لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لآن الذي صح في الحديث
أنه دعا بقوله وبنائي أسكنت من ذريتي إلى قوله لعلمهم يشكرون إذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي

بذ كرك وعبادتك (فاجعل
أفئدة من الناس) أفئدة
من أفئدة الناس ومن
للتبعية لما روي عن
مجاهد لو قال أفئدة الناس
لراحتكم عليه فارس
والروم والترك والهند أو
للإبتداء كقولك القلب
منى سقيم تريد قلبي فكانه
قيل أفئدة ناس ونكرت
المضاف اليه في هذا التمثيل
للتكبير أفئدة لانه في
الآية نكرة ليتناول بعض
الأفئدة (تهوى اليهم)
تسرع اليهم من البسلام
الشاسعة وتطير نحوهم شوقا
(وارزقهم من الثمرات)
مع سكاهم واديا ما فيه شئ
منها بان تحلب اليهم من
البلاد الشاسعة (لهمهم
يشكرون) النعمة في
أن يرتقوا أنواع الثمرات
في واد ليس فيه شجر ولا ماء
(ربنا) النداء المكرر دليل
التضرع واللجأ إلى الله (انك
تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم
السر كما تعلم العلن (وما
يخفي على الله من شئ في
الأرض ولا في السماء) من
كلام الله عز وجل تصديقا
لابراهيم عليه السلام أو من
كلام ابراهيم ومن للاستغراق
كأنه قيل وما يخفي على الله
شئ ما (الحمد لله الذي وهب
لي على الكبر) على بمعنى
مع وهو في موضع الحال
أي وهب لي وأنا كسبر

(اسمعيل واسحق) روي ان اسمعيل وولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وروي انه وولده اسمعيل
لاربع وسبعين واسحق لتسعين وإنما ذكر حال الكبر لان المنية بالولاد فيها أعظم لان حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب

الياس من أجل النعم ولأن الولادة في تلك السن العاليسة كانت آية لإبراهيم (ان ربي لسميع الدعاء) بحجب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله ان حمده وكان قد دعا ربه وسأله ان يولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكرته ما أكرمه به من اجابته وازفاده السميع الى الدعاء من (٨٤) اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيويه في جملة أبنية

وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (ان ربي لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد به وله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه وهبه ما سأله شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتديه وقبيله (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني من يقم الصلاة باركتها ويحافظ عليها في أوقاتها (ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي من يقم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوحد من ذريته جمع من الكفار لا يقمون الصلاة فلماذا قال ومن ذريتي وأرادهم المومنين من ذريته (ربنا) وتقبل دعاءه) سأل ابراهيم عليه السلام به أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لي) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد ساف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الاتجاه الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولو الادي) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اراد انهما ان أسما ونا بابا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهم من أصحاب الخيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل اراد ابوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفي بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء له مؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يردد دعاء خليه ابراهيم عليه السلام فيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ واليقظة وهذا في حق الله محال فلا بد من تاويل الآية فالقصد منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظالم ففيه وعيد وتهديد وللاظالم واعلامه بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة في تفسيره تسليية للمظالم وتهديد للاظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخره وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالتهنئة عن حسبانته غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد بلهم والمعنى ولا تحسبنه معاملة الظالمين الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبهم غافلا فلجهله بصفاته (انما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال تشخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطار فهما وشخص البصر يدل على الخيرة والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخص

المبالغة العاملة عمل النعل كقولك هذا رحيم أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكى واقفه أبو عمر ووجه في الوصل الباقون بالياء أي استجب دعائي أو عبادتي وأعتراكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولو الادي) أي آدم وحواء وأقاله قبل النهي والياس عن ايمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو أسند الى الحساب قيام أهل اسناد اجماز يامثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسليية للمظالم وتمديد للاظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تشييته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين

ولا تدع مع الله الها آخره وكما جاء في الامر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايدان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قلة وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليهم (انما يؤخروهم) أي عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم لا تعرفي أما كنهن من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي

(مقنع رؤسهم) رافعها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم (واقتدتهم هواه) صفر من الخير لاتي شيامن الخوف والهوا والخلاء الذي لم تشمله الاحرام فوصف به فقبل قلب فلان دواء اذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا حياء وقيل جوف لاقول لهم (وانذر الناس يوم يأتهم العذاب) أي يوم القيامة ويوم مفعول نان لانذر لانظر اذا لانذر لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أي الكفار (ربنا انحرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك ونبسح الرسل) أي ردنا الى الدنيا وأمهلتنا الى أمده وحدث من الزمان قريب تتسارلك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي حلفتهم في الدنيا أنكم اذا متم لا تزلون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حتى لفظ المقسمين لقبيل ما لما من زوال أو أرى بدياليوم (٨٥) يوم هلاكهم بالعباد العاجل أو

يوم موتهم معذبين بشدة السكرات واقاء الملايكة بلا بشرى فانهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم بهم الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكني من السكون وهو اللبث والاصل تعديته بقي نحو قسري الدار وأقام فيها ولا يكتبه لانه نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقبيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويجوز أن يكون سكنوا من السككون أي قروا فيها واطمأنوا طيب النفوس سائر من سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا بحسب نونها بل الى القول من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعبروا ويردعوا (وتبين لكم) بالأخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضر دل عليه الكلام أي

الابصار يكونون مهطعين بمعنى مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنع رؤسهم) الانقاع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف من صفتهم انهم رافع رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان يتوقع البلاء فانه يبطر يقبصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخصه لا يرتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (واقتدتهم هواه) أي خالبه قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أما كتبها ومعنى الآية ان اقتدتهم خالبه فارغة لاتي شيئاً ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبيرة واقتدتهم هواه أي مترددة تهوى في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ تله عن أما كنهها الابصار شاخصه والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وانذر الناس) يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا انحرنا الى أجل قريب) يعني أمهلتنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فينفعهم ذلك وهو قوله تعالى (نجيب دعوتك ونبسح الرسل) فأجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (ما لكم من زوال) يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي من كان قبلكم من كفار الامم الخالصة كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا يا ايهم (وضربنا لكم الامثال) يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبر بها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم الخالصة والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكتها وأن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وقدمكروا مكرهم) اختلقوا في الضمير الى من يعودي قوله وقدمكروا فقبل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مدكور وقيل ان المراد بقوله وقدمكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا تكبرك الذين كفروا والى والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم يأتهم العذاب يعني بسبب مكرهم بل ﴿قوله تعالى﴾ (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعني وان كان مكرهم لا ضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو

تبين لكم حالهم و) (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله و) (نما صب كيف بقوله) (فعلنا بهم) أي أهلاكهم وانتم قتلنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقدمكروا مكرهم) أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوا من تأييد الكفر وبطالان الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف الى الفاعل كالأول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكرهم وأعظم منه وأولى المفعول أي وعند الله مكرهم الذي يكفرهم به وهو عذابهم الذي يأتهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال أمر النبي صلى الله عليه وسلم فعبر عن أمر النبي عليه السلام بالجبال اعظم شأنه وكان نامة أو نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرايعها لانها بمنزلة الجبال الراسية تبتا وتعد كدليله قراءه من مسعود وما كان مكرهم و بفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أي وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتقطع عن أما كنهها فان مخففة من ان

وأضاف يخلف الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسوله والتقدير يخلف رسوله وعده وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسوله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلف رسوله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لا وليا له من أعدائه وانتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) على الظرف للانتقام أو على ضمير اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حذف للدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وتديكون في الذوات كقولك بدلت الدرهم فانما يروى الاوصاف كقولك بدلت الخلق متاعا اذا أدبتها وسويتها متاعا فنقلتها من شكل الى شكل واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أو صفاها وتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها ونسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتاعا عن ابن عباس رضى الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانشار

نابت كنبوت الجبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه في الآية قولا آخر وهو انها نزلت في غرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال غرودان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أصعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى أربعة أفراخ من النور فر باهن حتى كبرت وشبت واتخذتا بوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوع النور ونصب خشبات أو بعاني أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما حمر وقعدوه في التابوت وأقعد معه رجلا آخر وأمر بالنور فر بطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النور كما هرات اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النور يوما أجمع حتى بعدت في الهواء فقال غرود اصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قر بنامها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الرجح بينها وبين الطيران فقال غرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيتها ففتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي أيتها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حل القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا بالدم قال كفيته اله السماء ثم أمر غرود صاحبه أن يصوب الخشبات الى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النور بالتابوت فسمعت الجبال تخفق التابوت والنور ففزعت وطلعت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أما كنهها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسوله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد يخلف ما وعده رسوله من النصر واعلاء الكرامة واطهار الدين فانه ناصر رسوله وأوليائه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقدروه ولا تحسبن الله يخلف رسوله وعده (ان الله عزيز) أي غالب (ذو انتقام) يعني من أعدائه قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لا ذاتها فاما تبديل الارض فبغير صفتها وهي متاع بقاها هو وان تد كدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شي الا ذهب وغمد الادم وأما تبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها وتطمس شمسهاتوقرها ويكو ران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحته هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد آخر جاء في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء الى حمرة قوله هذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيسد البياض الفائق المائل الى حمرة كأن النار मिलت بياض وجهها الى الحمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد بتبديل هيتها ووزوال جبالها وجميع بناها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الارض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفلها بدم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتسكفونها الجبار بيده كما يتسكفون أحدكم خبزته في السفر نزل لاهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ يحيى الدين النوروى في شرح هذا الحديث أما النزل فبضم النون

أكوا كبا وكسوف شمسهاتوقرها وانما تشاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب والراى

(ورزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أربابهم مغلبين (في الاصفاذ) متعلق بمقرنين أي يقرنون في الاصفاذ أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاذ القبود والاعلال (سرايلهم) قصصهم (من قطران) هو ما يتخلب من (٨٧)

الجسري فيحرق الجسرب
بحدته وحره ومن شأنه أن
يسرع فيه اشتعال النار
وهو أسود اللون منتن الريح
فيطلى به جلود أهل النار
حتى يعود طلاؤه لهم
كالسرايل ليجتمع عليهم
لذع القطران وحرته
واسراع النار في جلودهم
واللون الوحش وثن الريح
على ان التسفوت بين
القطرانين كالنفاوت بين
النارين وكل ما وعد الله
أو أوعده به في الآخرة
فيشهره بين ما شاهد من
جنسه ما لا يقادر قدره
وكأنه ما عندنا منه الا
الاسمي والسميات ثمة نعوذ
بالله من سخطه وعذابه من
قطران زيد عن يعقوب
نحاس مذاب باخ حواناه
(وتعشى وجوههم النار)
تعلوها باشتهالها وخص
الوجه لانه أعز موضع في
ظاهر البدن كالقلب في
باطنه ولذا قال تطلع على
الافتدة (يجزي الله كل
نفس ما كسبت) أي يفعل
بالمجرمين ما يفعل ليجزي
كل نفس مجرمة ما كسبت
أو كل نفس مجرمة أو مطيعة

والزاي ويجوز ان الزاي وهو ما بعد اللصيف عند نزوله وأما الخبره فبضم الخاء وقال أهل اللغة هي الطلحة التي توضع في الملة يتكفوها بالهمز بيده أي يبلها من يدا الى يده حتى تجتمع وتسوي لانها ليست منبسطة كالرقاعة وقد حقهما الكلام في البدن في حق الله سبحانه وتعالى وتوا ويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كمثل شئ ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالطلحة أي الرغيف العظيم وتكون طعاما نزل الال الجنه والله على كل شئ قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكر فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل أو لاصفها مع بقاها كما تقدم في يومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل بيلانانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فآين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال علي الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبر من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند في هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثانيا مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى (ورزوا) يعني وخرجوا من قبورهم (لله) يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المتزعم الشبه والصد والتد والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ وقوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شدته معه في باط واحد (في الاصفاذ) يعني في القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في ساسله وقال أبو بكر بن عبد الله بن جهم وأرسلهم الى رقابهم بالاصفاذ وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سرايلهم) يعني قصصهم واحدها سر بال و قبل السرايل كل مالس (من قطران) القطران دهن يتخلب من شجر الابل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا حربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرايل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقد رولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكروم ويعقوب من قطران على كلتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتعشى وجوههم النار) يعني تعلوها وتجلها (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حسب عبادته يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا أعمالهم والواحد) يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليدكر أولوا الالباب) يعني وليتبعوا هذا القرآن وما فيه من الموعظة وأولو العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة الحجر) ﴿

(مكية باجمعهم وهي تسع وتسعون آية وستة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبع مائة وستون حرفا) * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) هذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصروا وليندروا (وليعلموا أعمالهم والواحد) لانهم اذا خافوا ما أذروا به دعوتهم الخافوا الى النظر حتى يتصلوا الى التوحيد لان الحشية أم الخير كما (وليدكر أولوا الالباب) ذكروا العقول * (سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين والقرآن المبين السورة وتذكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه (٨٨) كتابا وأى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال وللغاية في البيان (ربما)

بالتخفيف مدنى وعاصم
وبالتشديد غيرهما وماهى
الكفاة لانها حرف يجر
ما بعده ويختص بالاسم
النكرة فاذا كفت وقع
بعدها الفعل الماضى
والاسم وانما جاز (يود الذين
كفروا) لان المترقب فى
أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى
المقطوع به فى تحققة فكانه
قيل ربما ودرودادتهم
تكون عند الترفع أو يوم
القيامة اذا عاينوا حالهم
وحال المسلمين أو اذا رأوا
المسلمين يخرجون من النار
فيمتنى الكافرو لو كان
مسلميا كذا روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما (لو
كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم
وانما جى بماعلى لفظ الغيبة
لانهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعان ولو قيل
حلف بالله لافعان ولو كان
مسلمين لكان حسنا وانما
قال رب لان أهوال
القيامة تشغلهم عن التمنى
فاذا أفاقوا من سكرات
العذاب ودوا لو كانوا
مسلمين وقول من قال ان
رب يعنى بها الكثرة سهو
لانه ضدا ما يعرفه أهل اللغة
لانها وضعت للتقليل
(ذره) أمر اهانة أى
اقطع طمعك من ارعواهم
ودعهم عن التمنى عما هم
عليه والصدعنة بالتذكرة

قوله سبحانه وتعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب والقرآن المبين الكتاب الذى وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم وتذكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا أى قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغاية فى البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجز للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعها موصفين وان كان الموصوف واحد المسمى فى ذلك من الفائدة وهى التفخيم والتعظيم والمبين الذى يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما الغتان ورب للتقليل وكلمة الكثير وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءنى وربما جاءنى زيدوان شئت جعلت ما بمنزلة شئ كأنك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ (يود الذين كفروا) وقيل ما فى رب ما بمعنى حين أى رب حين يود يعنى يتمنى الذين كفروا لان التمنى هو تشهيه حصول ما يوده واختلف المفسرون فى الوقت الذى يتمنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما ان ذلك يكون عند معاناة العذاب وقت الموت فيتمنى يعلم الكافرانه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمنى قال الضحاك هو عند حالة العاينة والقول الثانى ان هذا التمنى يكون فى الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدايده وما يصبرون اليه من العذاب فيتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أهوال المسلم ودلوا كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر ان الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم فى بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فيتمنى بذنوب الذين كفروا ولو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمنى حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبى موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة أستم مسلمين قالوا بلى قالوا إنما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معانى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذناهم فغفرها الله لهم بفضل رحمته فبأمر الله بكل من كان من أهل القبلة فى النار فيخرجون منها فيتمنى يود الذين كفروا ولو كانوا مسلمين ذكره البغوى بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزى وقال اليه ذهب ابن عباس فى روايه عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالى وابراهيم بن الحنفى فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا ولو كانوا مسلمين يكثروا يوم القيامة فكيف قال رب بما يود الذين كفروا ولو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك ورب بما ندم الانسان على فعله ولا يشكون فى تندم ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العتلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ فى التهديد ومعناه يكفىك قليل الندم فى كونه زاحل كما عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندم انما يخاطب ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الأعلى الماضى فكيف قال رب بما يود وهو فى المستقبل قلت لان المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققة كأنه قال رب بما راد قوله سبحانه وتعالى (ذره) أى كواو يمتنعوا) يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يا كواو فى دنياهم ويمتنعوا بلذاتها (ويلهم الامل) يعنى ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاحذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعنى اذا ورودوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها لم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذره فيه تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فى بينا العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفى الآية

والنصيحة وخلهم (يا كواو يمتنعوا) بدنياهم (ويلهم الامل) ويشغلهم أملمهم وأمانهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن ايشار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين دليل

(وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب جله واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية
 الالهة منذرون وانما توسطت لنا كيد لصوق الصفة بالموصوف اذا الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو في عبالواو تا كيد ذلك والوجه ان
 تكون هذه الجملة حالاً لقرية لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفها وقوله كتاب معلوم أي مكتوب معلوم
 وهو أجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين الا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها (وما يستأخرون) أي عنه وحذف
 لانه معلوم وأنت الأمة أو لا ثم ذكرها آخر اجلا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (٨٩) (يا أيها الذي نزل عليه الذكركر) أي

القرآن (انك المجنون)
 يعنون محمد عليه السلام
 وكان هذا النداء منهم على
 وجه الاستهزاء كما قال
 فرعون ان رسولك الذي
 أرسل اليك مجنون وكيف
 يقرون بنزول الذكركر عليه
 وينسبونه الى الجنون
 والتعكيس في كلامهم
 للاستهزاء والتهمك سائح
 ومنه فيسهرهم بعدذاب
 أليم انك لانت الحليم الرشيد
 والمعنى انك لتقول قول
 المجانين حيث تدعى ان الله
 نزل عليك الذكركر (لوما
 تأتينا بالملائكة ان كنت
 من الصادقين) لوركبت
 مع لا وما لا تمناع الشيء
 لوجود غيره وللتخصيص
 وهل ركبت مع لا للتخصيص
 فحسب والمعنى هلا تأتينا
 بالملائكة يشهدون بصدقك
 أو هلا تأتينا بالملائكة
 للعقاب على تكذيبنا لك ان
 كنت صادقا (مانزل الملائكة)
 كوفي غير أبي بكر تنزل
 الملائكة أبو بكر تنزل
 الملائكة اي تنزل غيرهم
 (الابالحق) الاتنزلا

دليل على ان ايشار التلذذ والتنعيم في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن
 أبي طالب انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى
 يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الاولها كتاب معلوم)
 أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا في الوقت الذي حد لهم في
 اللوح المحفوظ (ما تسبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد يعني أحد
 وقيل هي على أصلها لانها تفيد التبعية الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي كدومعنى الآية
 ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما
 يستأخرون) وانما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال
 قوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذكركر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا
 صلى الله عليه وسلم (انك المجنون) انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي
 عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما
 مستغرابا من غيره فرجما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن
 العظيم أنكره ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكركر على طريق الاستهزاء وقيل
 معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكركر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه واتباعه انك المجنون في ادعائك الرسالة
 (لوما) قال الزجاج والفراع لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا (تأتينا بالملائكة) يعني يشهدون
 لك بانك رسول من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (مانزل
 الملائكة الابالحق) يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو نزلت
 الملائكة اليهم لم يجهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال
 وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا بصدقها (ان نحن نزلنا الذكركر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال
 سبحانه وتعالى ان نحن نزلنا الذكركر جوا بالقول لهم يا أيها الذي نزل عليه الذكركر فأخبر الله عز وجل انه هو
 الذي نزل الذكركر على محمد صلى الله عليه وسلم (واناله لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذكركر يعني وانا
 للذكركر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتخريف
 فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانسان ان يبدفه
 أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا يختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد
 دخل على بعضها التخريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى
 مصونا على الابدحصر وسامن الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الحكاية في له راجعة الى محمد صلى
 الله عليه وسلم يعني وانا محمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا

(١٢ - حازن) - ثالث) ملتبس بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا
 الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخر عذابهم (ان نحن نزلنا الذكركر) القرآن (واناله لحافظون) وهو دلالة كارههم واستهزائهم في قولهم
 يا أيها الذي نزل عليه الذكركر ولذلك قالنا نحن فأكده عليهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذي نزله بحفظها من الشياطين وهو حافظه في كل
 وقت من الزيادة والنقصان والتخريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاذا تغير
 فيما بينهم بغيا فوقع التخريف ولم يكمل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله واناله لحافظون دليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من
 قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما تطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك

(ولقد أرسلنا من قبلك في
 شيع الأولين) أي ولقد
 أرسلنا من قبلك رسلا في
 الفرق الأولين والشيع
 الفرقة اذا اتفقوا على
 مذهب وطريقة (وما
 يأتيهم) حكاية حال ماضية
 لان ما لا تدخل على مضارع
 الا هو في معنى الحال ولا على
 ماض الا هو قسري بـ
 الحال (من رسول الا كانوا
 به يستهزؤن) يعزى نيته
 عليه السلام (كذلك
 نسلكه في قلوب المجرمين)
 أي كما ساكننا الكفر أو
 الاستهزاء في شيع الأولين
 فسلكه أي الكفر
 أو الاستهزاء في قلوب المجرمين
 من أمسك من اختار ذلك
 يقال ساكن الخيط في الابرة
 وأسأكنه اذا أدخلته فيها
 وهو حجة على المعتزلة في
 الاصح وخلق الافعال
 (لا يؤمنون به) بالله أو
 بالذکر وهو حال (وقد دخلت
 سنة الأولين) مضت
 طر يقتم التي سنها الله في
 اهلاكهم حين كذبوا
 رسله وهو وعيد لاهل مكة
 على تكذيبهم (ولو فتحنا
 عليهم بابا من السماء) ولو
 أظهرنا لهم أوضع آية وهو
 فتح باب من السماء (فظالوا
 فيه يعرجون) يصعدون
 (لقالوا انما سكرت أبصارنا)
 حيرت أو حيرت من
 الابصار من السكر أو من
 السكر سكرت مكي أي
 حيرت كما يحبس النهر من
 الجرى والمعنى ان هؤلاء

القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الازال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم حسن
 صرف الحكاية اليه لكونه أمرا معلوما الا ان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثر من لانه أشبه بظاهر
 التنزيل ورد الحكاية الى أقرب مذکور وأولى وهو الذکر وإذا قلنا ان الحكاية عائدة الى القرآن وهو الاصح
 فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مابينا لكلام البشر
 فحجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظامه وظهر ذلك اسكل
 عالم عاقل وعلما ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد
 من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجوه فقيض الله له
 العلماء الراغبين بحفظونه وبذوب عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متمفرة على
 ابطاله وفساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع
 الأولين) لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وناطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمنجرون
 وأسأوا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع
 أنبيائهم كذلك فلما جاء محمد سوة في الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء فيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم
 وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فذف ذكر الرسل لدلالة الأرسال عليه وقوله
 تعالى في شيع الأولين الشيعه هم القوم المجتمعة المتفقة كما منهم وقال الغراء الشيعه هم الاتباع وشيعه
 الرجل أتباعه وقيل الشيعه من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الأولين من باب اضافة الصفة الى
 الموصوف (وما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) السالك النفاذ في
 الطريق والدخول فيه والسالك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخيط ومعنى الآية كما سلكنا
 الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني
 مشرك مكة وفيه ود على القدر بموا معتزلة وهي آية في ثبوت القدر لمن أذعن للعقل ولم يعاند قال
 الواحدى قال سبحانه وأضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك
 منه فمن آمن بالقرآن فليست حسنة وقال الامام فخر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى
 يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال
 في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجز للضلال والكفر ذكرا فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون
 الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن فالضمير
 في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال ثبت صحة قولنا ان المراد من قوله
 كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿ وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعني بحمد صلى الله
 عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد دخلت سنة الأولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل
 ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسول والمعنى وقدمت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية
 فاحذر وايا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظالوا فيه
 يعرجون) يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لوماتنا تينا باللائكة بابا من السماء فقالوا ظل
 فلان يفسع كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفسع كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى في ذلك الباب يعرجون
 يعنى يصعدون والمعارج المضاعف والمشار اليه بقوله فظالوا فيه يعرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة
 وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا
 والملائكة تصعد فيه لما امنوا والقول الثاني أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل
 المشركون يصعدون في ذلك الباب فينزلون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة كما آمنوا العنادهم
 وكفرهم ولقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس سدت أبصارنا مأخوذ
 من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع هاهن

فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تفسير العقل وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فبرههم عيانا وشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا لقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا) البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها بروج وهي بروج الفلك الاثنا عشر بوجا وهي الجمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل بروج منزلان وثالث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة نونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل بروج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية بروج الشمس والقمر يعني منازلها وقال ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن وبجاهد وقناة هي النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسُميت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (لناظرين) يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيدخالقها وصانعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقهم وصوره (وحفظناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم) أي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فنام منهم من أحد يريد أن يسترق السمع الارضى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لاييس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الامن استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) أي لحقه (شهاب مبین) والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه شهاب النار قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريدنا لطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطى أبدا فمنهم من قتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تجلبه فيصير غولا يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعنا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا اما اذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فرفهاو بددين أصابعه فيسمع الكامة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فر بما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما لقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكامة التي سمعت من السماء

* (فصل) * اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما انهم لم تكن ترى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم وبدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حبل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجه في الصحيين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي وبعضه ما روى أن يعقوب بن المغيرة بن

المشركين باخ من غلوهم في العنادان لو فزع لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه البهارا وأوا من العيان مارا والقالوا هو شئ نتخايله لاحقيقة له (ولقوا بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول لجعل عروجهم بالنهار ايكونوا مستوحشين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بان ذلك ليس الانسكيرا لا ابصار (ولقد جعلنا في السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجومها أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أي السماء (لناظرين وحفظناها) أي السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو سمرى بالنجوم (الامن استرق السمع) أي المسموع ومن في محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) نجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قبل كانوا لا يحبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من

الاحسن من شريق قال أول من فزع للرعي بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظر وافان كانت معالم النجوم التي جهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي رمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجومها غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر أراد الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعدمولده النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعدمولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كانه كوكب في انزعافية * مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكان رمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرايت قوله وأنا كانه بعد منها مقاعد السمع فقال غلظت وشدت أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال أخبرني في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينا هم جالوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذ رمى بهذا قالوا كان يقول ولدا لليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها الموت أحد ولا الحياة ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا أصبح حلة العرش ثم سجد أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حلة العرش لعله العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى اولياهم ورمونها باؤها على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالعير برهقها الغبار وحشها * ينقض خلفها انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدرى يتبعه * تقع بثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها وصونا لاجبار الغيوب والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء كما يقال انها حيث من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتدروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة وردها أصحاب التفسير بان الله أخبرني كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض (وألقينا فيها راسي) يعني جبالاتها وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فأنبت بها الجبال (وأنبثنا فيها) أي في الارض لان أنواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقبل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور وقوله تعالى (من كل شيء موزون) وانما الوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقدار الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيدانه عنى به الشيء الموزون كالذهب والحضرة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها موزون وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون

السموات كلها) والارض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة متوا للجهور على انه تعالى مداه على وجه الماء (وألقينا فيها راسي) في الارض جبالاتها (وأنبثنا فيها من كل شيء موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقضيه لاتصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل

الحركان اذا كانت حركته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف
وقبل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون
والثاني النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكبل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمذمقدران بالوزن
(وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب
والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطيور انتم منتفعون بها ولستم لها
برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في
قوله تعالى ومن لستم يعني مالان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل
كقوله تعالى فمنهم من عشى على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم
ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شيء الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزنة وهي اسم للمكان الذي
يخزن فيه الشيء للحفاظ يقال خزن الشيء اذا أحرزه فقبل أراد ما تبع الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لانه
سبب الرزاق والمعاش لبني آدم والدواب والوحش والطيور ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره
﴿قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر
يقال لا تنزل من السماء قطرة مطرا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من
السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم
خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار
والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جدته انه قال في العرش تمثال جميع
ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن
عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقادة وأصل هذا من قولهم لقمحت الناقة وألقمها الفحل اذا ألقى اليها
الماء فعملته فكذلك الرياح كالفعل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقي
السحاب فتحمل الماء فتجمعه في السحاب ثم تمر به فتدرك كندرا للقبعة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة
فتقم الارض فتأمر يرسل الميثرة فتثير السحاب ثم يرسل المولفة فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعلها ركاما
ثم يرسل اللواقح فتلقى الشجر والاطهر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فأترلنا من السماء ماء
قال أبو بكر بن عباس لا تقطر قطرة من السماء الا بعد أن تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهب السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدركه والرياح تفرقه وقال أبو عبد الله لواقح هنا بمعنى ملاقع جمع ملقعة حذف الميم
وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقح وان ألقمت غير هالان معناها النسبة كما يقال درهم
وارن أي ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمن لانه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات
لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازي عنه بأن قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقعة
ومن أفاد غير اللقعة فله نسبة الى اللقعة وقال صاحب المفردات لواقح أي ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها
لا قح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابا نقالا أي جلت فعلى هذا
تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقمحت اذا أتت بالخير كما
قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار أن الملقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت
رياح الجنوب الا وانبت عينا غدقة (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح
قال اللهم اني أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به
وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جئت النبي صلى الله عليه وسلم على
ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رايحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب
الله عز وجل اننا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل
الرياح مبشرات ﴿قوله سبحانه وتعالى (فأترلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقينا كوه) يعني جعلنا

الى الوزن (وجعلنا لكم فيها معاش) في الارض (معاش) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياض ريحة بخلاف الحباثت ونحوها فان تصرح الباء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معاش أو على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معاش ولن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمالئك والخدم الذين يظنون أنهم برزقونهم ويخطون فان الله هو الرزاق برزقهم وياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من حرا بالعطف على الضمير المجرور في لستم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الاباءة الجار (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على اجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيها الا بقدر معلوم ف ضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة تهب من لقمحت الناقة جملت وضدها العقيم الريح جزء (فأترلنا من السماء ماء فأسقينا كوه) من السماء ماء فأسقينا كوه

فجعلناه لكم سقيا وما أنتم
 له بخازنين) نفى عنهم
 ما أثبتته لنفسه في قوله وان
 من شئ الاضدادنا خزائنه
 كأنه قال تحسن الخازنون
 للماء على معنى نحن القادرون
 على خلقه في السماء وانزاله
 منها وما أنتم عليه بقادرين
 دلالة عطفية على قدرته
 وعجزهم (وانا نحن نحى
 ونميت) أى نحى بالعباد
 ونميت بالانفناء ونميت عند
 انقضاء الاجال ونحى
 الجزاء الاعمال على التقديم
 والتأخير اذا الواو للجمع
 المطلق (ونحن الوارثون)
 الباقون بعد هلاك الخلق
 كلهم وقيل للباقي وارث
 استعارة من وارث الميت
 لانه يبقى بعد فناءه (ولقد
 علمنا المستقدمين منكم
 ولقد علمنا المستأخرين)
 من تقدم ولادته ووتأومن
 تأخر أو من خرج من
 أصلاب الرجال ومن لم يخرج
 بعد أو من تقدم في الاسلام
 أو في الطاعة أو في صف
 الجماعة أو صف الحرب ومن
 تأخر (وان ربك هو يحشرهم)
 أى هو وحده يقدر على
 حشرهم ويحيط بحشرهم
 (انه حكيم عليم) باهر
 الحكمة وساع العلم (ولقد
 خلقنا الانسان) أى آدم
 (من صلصال) طين يابس
 غير مطبوخ (من جما) صفة
 لصلصال أى خلقه من
 صلصال كائن من جمأى
 طين أو دم تغير (مسنون)

لكم المطر سقيا يقال أسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل
 ما عولنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ما يشرب أرضه أو ما شربه يقال أسقينا (وما أنتم له) يعنى للمطر
 (بخازنين) يعنى أن المطر في خزائنا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بما نعين (وانا نحن نحى ونميت) يعنى بيدنا
 احياء الخلق وما تمهم لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا نحن نبيد الحصر يعنى
 لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل
 مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء
 خلقه الذين آمنهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداء أو منه تعالى فاذا نفى
 جميع الخلائق رجوع الذي كانوا يعملونه في الدنيا على المجاز الى ما لسه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير
 الخلق اليه قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت
 امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في
 الصف الاول للارهاق يتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فأترى الله
 عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه
 وقدرى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك
 أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فرما كان من الرجال من في قلبه رية فيتأخر الى آخر
 صف الرجال ومن النساء من في قلبها رية فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية
 فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها
 وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله والمستأخرين من
 لم يخلق الله تعالى بعد وقال بجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
 الحسن المستقدمون يعنى في الطاعة والخير والمستأخرون يعنى فيهما وقال الاوزاعي أراد بالمستقدمين المصلين
 في أول الوقت والمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال
 وقال ابن عيينة أراد من سلم أولا ومن سلم آخره وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم حرض على الصف الاول فارد جوعا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبين دورا ونادى شترى
 دورا قرية من المسجد حتى ندرت الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا
 وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للتعوى والمستأخر للتعوى وعلى القول الاخير
 المستقدم لطاب الفضيلة والمستأخر للعدو ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى يحيط بجميع خلقه متقدمهم
 ومتأخرهم طاعتهم وعاصيتهم لا يخفى عليه شئ من أحوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم)
 يعنى على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يمت السكك ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ملأوا عليه
 (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على امامات عليه قوله سبحانه وتعالى (ولقد
 خلقنا الانسان) يعنى آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل
 من النسبان لانه عهد اليه قسى (من صلصال) يعنى من الطين اليابس الذى اذا نقرته سمعت له صلصلة يعنى
 صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال بجاهد
 هو الطين المنبت واختاره الكسائي وقال هو من صلصم اذا أنتن (من جما) يعنى من الطين الاسود
 (مسنون) أى متغير قال بجاهد وقتادة هو المنبت المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سمنت الماء
 اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المتبل المتين جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقوال على ما ذكره
 بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبها بالماء حتى
 اسودت وأنتن يحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان
 ذلك التراب بله بالماء وخبره حتى اسود وأنتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من جما مسنون ثم ذلك الطين

مصور وفي الاول كان ترابا فحين بالماء فصار طينا فكيف فصار جافا فكيف فصار سلاة فصورو ييس فصار صلصالا فلا تنقض الاسود

(والجان) أبا الجن كما قدم للناس وهو المنصوب بفعل مضمر يفسمه (خاقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قبل هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من سموم النار التي خلق الله منها الجان (وإذ قال ربك) وإذ كبر وقت قوله (لله الملائكة) أي خالق البشر من صلال من حمامسون فاذا سوتيه) آتمت خلقته (٩٥) وهياتها النفخ الروح فيها (ونفخت فيه

من روي) وجعلت فيه الروح وأحييته، وليس تمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص (ففعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الارض يعني اسجدوا له ودخل الفاعل لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذ كر الكل احتمل تأويل التفرقة فقطعه بقوله أجمعون (الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور ولا بصير بالترك معلوماً وقال في الكشف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هذا (أبي أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبي استئناف على تقد رقول قائل يقول هلا سجد فقبل أبي ذلك

الاسود المتغير صورته صورة انسان أجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلال كالفضار وهو الطين اليابس اذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سوا باق قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويمشون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يعوتون الا اذا مات ابليس وقال وهبان من الجن من يولد له يأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا شترأ كهم في الاستتار وهو اجنات التوار بهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاني المترد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتفتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والجباب فاذا حدث أمر خرفت الجباب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرق ذلك الجباب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان وتلاه هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من جن من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخالقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخالقت الملائكة من النور قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة) أي واذا كبر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (أي خالق بشرا) سمي الآدمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة طاهر الجلد (من صلال من حمامسون) تقدم تفسيره (فاذا سوتيه) يعني عدلت صورته وآتمت خلقه (ونفخت فيه من روي) النفخ عبارة عن احرار الريح في تجاوب جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقته وعبدة الله وسيأتي الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى (ففعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذس قال الله لهم اني خالق بشرا أمرهم بالسجود لا آدم بقوله ففعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تخبية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعني الذين أمروا بالسجود لا آدم (أجمعون) قال سيبويه هذا تو كيد بعد تو كيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازاله ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسره ثم عند هذا بقي احتمال آخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة أوفى دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة وسأحي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حال لروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لا آدم فلم يفعلوا فإرسل الله عليهم ناراً فاحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لا آدم فسجدوا (الابليس أبي أن يكون مع الساجدين) يعني مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لا آدم فسجدوا (قال) يعني قال الله (يا ابليس مالك ألا تسجد مع الساجدين قال) يعني ابليس (لم أكن لا سجد لبشر خلقته من صلال من حمامسون) أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طين الاصل وابليس ناري الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس في قياسه أفضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما

واستكبر عنسه وقبل معناه ولكن ابليس أبي (قال يا ابليس مالك ألا تسجد مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف وقد مره مالك في أن لا تسجد مع الساجدين أي أي فرض لك في ابائك السجود (قال لم أكن لا سجد) اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني أن أسجد (لبشر خلقته من صلال من حمامسون

قال فاخرج منها) من السماء ومن الجنة أو من جهة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حد اللعنة لانه بعد غاية يضر بها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض (٩٦) الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه) قال الرب

فانظرني) فاخرجني (الى يوم
يعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم)
يوم الدين ويوم يعثون
ويوم الوقت المعلوم في
معنى واحد ولكن خولف
بين العبارات سلوكا
بالكلام طريقة البلاغة
وقيل انما سأل الاقنطار الى
اليوم الذي فيه يعثون
لثلاث موت لانه لا يموت يوم
البعث أحد فوجب الى
ذلك وانظر الى آخر أيام
التكليف (قال رب بما
أغويتني) الباء للقسم وما
مصدرية وجواب القسم
لازبن لهم والمعنى أقسم
ياغواثك اياي (لازبن
لهم) المعاصي ونحو قوله
بما أغويتني لازبن لهم
فبعزتلك لاغوينهم في أنه
اقسام الآن أحدهما
اقسام بصفة الذات والثاني
بصفة الفعل وقد فرق
الفقهاء بينهما فقال
العراقيون الخلف بصفة
الذات كالقدرة والعظمة
والعزة بين والخلف بصفة
الفعل كالرحمة والسخط
ليس بينهما والاصح ان
الايمن مبنية على العرف
في اتعارف الناس الخلف
به يكون يمينا وما لا فلا

فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعني من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أي طرد يد (وان عليك اللعنة
الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون في السموات والارض فان
قلت ان حرف الـ الى لانتهاء الغاية فهـل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل زداد عذابا
الى اللعنة التي عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم زداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا
لانقطاعه (قال رب فانظرني) يعني أخرى (الى يوم يعثون) يعني يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا
يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزمن من ذلك انه لا يموت أبدا فلهذا السبب
سأل الاقنطار الى يوم يعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم)
يعنى الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو
ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكرامه بل كان ذلك الامهال زيادة له في بلائه وشقائه
وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده
وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الاقنطار الى يوم يعثون
اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينت وسألت الاقنطار اليه (قال رب
بما أغويتني) الباء للقسم في قوله بما وما مصدر يتوجواب القسم (لازبن) والمعنى فباغواثك اياي لازبن
لهم في الارض وقيل هي باء السبب يعني بسبب كونى غاوا بالازبن (لهم في الارض) يعني لازبن لهم حب
الدنيا ومعاصيك (ولاغوينهم أجمعين) يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على
الكفر غير مغفوره حرص على اضلال الخلق بالكفر واغواهم ثم استثنى فقال (الاعبادك منهم المخلصين)
يعنى المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الامن
أخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيدده ووسوسته لا تعمل
فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا لله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل من أعمال
الطاعات فلا يخالوا ما أن يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين اماما كان الله
تعالى فهو الخالص المقبول واماما كان لغير الله فهو الباطل المردود وامامن كان مراده بمجموع الامرين فان
ترج جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترج الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله
المثل فيبقى القدر الزائد الى أى الجانبين رج أخذ به (قال) يعني قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على
مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقة لا يعرج
الى شئ وقال الانخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد
والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقا على أى لا تنفقت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان
والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى يؤدى الى كرامتى
ورضوانى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازبن لهم في الارض
ولاغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين أو هم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله
سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل
المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان
ان تلقهم في ذنب يضيق عنه عفوى وهو لا خصنه أى الذين هداهم واجتباهم من عباده (الامن اتبعك من

والآية حجة على المعتزلة في حقايق الافعال وحملهم على التسبب عدول عن الظاهر (في الارض) في الدنيا التي هي دار
الغرور وأراد انى أقدر على الاحتمال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فان على التزيين لا ولادة في الارض أقدر (ولاغوينهم
أجمعين الاعبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصري ومكي وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيدده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه (قال هذا
صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من

الغاورين) أي هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم اغوايته وقيل معنى على الى على يعقوب من علو الشرف والفضل (وان جهنم لم وعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لهاسبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار طباقها وادراكها فاعلاها للموحد من يعذبون (٩٧) بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى

والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (ان المتقين في جنات وعيون) وبضم العين مسدني وبصري وخص المتقي على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال في الشرح ان دخل أهل الكباثر في قوله لهاسبعة أبواب لكل باب منهم جزع مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكباثر والافالمرادية الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أي سلمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (وزعنا ما في صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن في القلب أي ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر زرع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في

الغاوين) يعني الامن اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منافقين له فيما يأمرهم به (وان جهنم لم وعدهم أجمعين) يعني موعد ابليس وأتباعه (لهما) يعني لجهنم (سبعة أبواب) يعني سبع طبقات قال علي بن أبي طالب تدرون كيف أبواب جهنم هكذا وضع احد يد به على الاخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أو لها جهنم ثم لفتي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزي اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فالذلك اختلف مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب **قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين في جنات وعيون)** المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل لا يحتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجرى هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجرى في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولده وان يحتمل انها تجرى من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهرت وامن الحسد والحقد (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعني ادخلوها الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (وزعنا ما في صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن في القلب و يطلق على الشحنا والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخله في الغل لانها كأمنة في القلب يروى ان المؤمنين يحسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (اخوانا) يعني في المحبة والمودة والمخالطة وتوليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرر يقال بعض أهل المعاني السرر يجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو مأخوذ منه لانه يجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكاله بالزبرجد والدر والياقوت والسرر مثل صنعاء الى الجابية (متقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلقي أخاه المؤمن سار سرر بكل واحد منهما الى صاحبه فليتقيان ويتحدثان (لاعسهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا اعياء (وما هم منها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من آله في كتابه على خلود أهل الجنة والمراد من خلودهم بلزوال وبقاء بلا فناء وكال بلا نقصان وفوز بلا حرمان **قوله سبحانه وتعالى (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم)** قال ابن عباس يعني ان تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار فنزل جبريل بهم هذه الآية وقال يقول للار بل يا محمد تم تقط عبادي ذكره البغوي وغير سمد (وان عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله

(١٣ - (خازن) - ثالث) الجنة وتزعم منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحاب (اخوانا) حال (على سرر متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حية سادار وايفيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا (لاعسهم فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلاوة ولما أتخذ كرا الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم) وأن عذابي هو العذاب الاليم) تقرير لما ذكره وتمكينه في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه اجتمع نفسه في العبادة

ولما أهدم على ذنب وعطف (ونبتهم) وأخبر أمك على نبي عبدي ليخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانقنامه من الجرمين ويحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجيء واحدا أو جمعا لأنه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسلم عليكم سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أي ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لا متناعهم من (٩٨) الاكل أولدخولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا اتوجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف في معنى

التعليل لأنه من الوجل أي انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام علي) هو اسحق لقوله في سورة هود فبشرناها باسحق (قال) أبشرتوني على أن مسني الكبر) أي أبشرتوني مع مس الكبر بان يولد لي أي ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكي والاصل تبشروني فادغم فون الجمع في فون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلة عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشروني فحذفت الياء اجترأ بالكسرة وحذف فون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون فون الجمع (قالوا) بشرناك بالحق) باليقين الذي لا لبس فيه (فلا تكن من القاطنين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصري وعلى (من

لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لخنخ نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرجة يوم خلقها مائة رجة فامسك عنده تسعا وتسعين رجة وادخل في خلقه كلهم رجة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرجة لم يياس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبدي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلاً فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرجة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أفى وثانها انا وثالثها ادخال الالف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرجة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرجة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ونبتهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أي واخبر يا محمد عبدي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال الملتز ولا بل وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لبشر وا ابراهيم بالولد وبه لكوافوم لوط (اذ دخلوا عليه) يعني اذ دخل الأضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما (قال) يعني ابراهيم (انا منكم وجلون) أي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا اتوجل) يعني لا تخف (انا نبشرك) بغلام علي) يعني أنهم بشره بولده كغلام في صغره عليهم في كبره وقيل عليهم بالأحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشره بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشرتوني) يعني بالولد (على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي نبي تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعني بالصدق الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا تكثر ذريته وهو اسحق (فلا تكن من القاطنين) يعني فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير (قال) يعني ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعني من يياس من رحمة ربه الا المكذون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القاطنين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر ففانت الملائكة ان به قنوطا فنفي ذلك عن نفسه وأخبر ان القاطن من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادر على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة (قال) يعني ابراهيم (فما خطبكم) يعني فمأشأناكم وما الامر الذي جئتم فيه (أيها المرسلون) والمعنى ما الامر الذي جئتم به سوى ما بشرتوني به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني لهلك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه

رحمة ربه الا الضالون) الا الخاطون طريق الصواب والا الكافرون كقوله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون أي لم (انا) أستنكر ذلك قنوطا من رحمة ولكن استبعاده في العادة التي أجزاها (قال فما خطبكم) فمأشأناكم (أيها المرسلون) قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أي قوم لوط (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالأحرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كأنه قيل الى قوم قد أجزموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناء لان آل لوط يخرجون في المنقطع من حكم الإرسال يعني أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم الى القوم

المجرمين كارسال السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل ان اهل كنفنا ومجرمين واسكن آل لوط ائجيناهم واماني المنصل
فهم داخلون في حكم الارسال يعني ان الملائكة ارسالوا اليهم جميعا الهلكوا وهؤلاء ونحو هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (انالمجوهم اجمعين)
مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن آل لوط منحون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما
حال آل لوط فقالوا انالمجوهم (الامرأته) مستثنى من الضمير المجرور في المنجوهم وايس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما
يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكناهم الا آل لوط الامرأته وهنا قد اختلف الحكم لان آل لوط متعلق بارسلنا ومجرمين
والامرأته متعلق بمجوههم فكيف يكون استثناء من استثناء المنجوههم بالتخفيف جزوة على (قدرنا) وبالتخفيف اوبكر (انهمالمن الغابرين)
الباقين في العذاب قيل لولم تكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول (99) قدرنا وليكنه كقوله ولقد علمت الجنة

انهم لمحضرون وانما أسند
الملائكة فعل التقدير الى
أنفسهم ولم يقولوا قدر الله
لقربهم كما يقول خاصة
الملك أمرنا بكذا والامر
هو الملك (فلما جاء آل لوط
المرسالون قال انكم قوم
منكرون) أي لا أعرفكم
أي ليس عليكم زى السفر
ولا أنتم من أهل الحضرة
فاخاف ان تطرقتونى بشر
(قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون) أي ما جئناك
بما تنكروننا لاجله بل جئناك
بما فيه سرورك وتشفيك
من أعدائك وهو العذاب
الذي كنت تتوعدهم بتزوله
فيتمون فيه أي يشكون
ويكذبونك (وأئيناك
بالحق) باليقين من عذابهم
(وانا لصادقون) في الاخبار
بتزولهم هم (فأسر باهلك
بقطع من الليل) في آخر
الليل أو بعد ما مضى شئ
صالح من الليل (واتبع

(انالمجوهم اجمعين الامرأته) يعني امرأ لوط (قدرنا) يعني قضينا وانما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم
وان كان ذلك لله عز وجل لا اختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان
قد فعلوه بامر الملك (انهمالمن الغابرين) يعني ان الباقين في العذاب والاستثناء من انفي اثبات ومن الاثبات
نفي فاستثناء امرأ لوط من الناجين بلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسالون) وذلك ان الملائكة
عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به سار والى لوط ووقوه فلما دخلوا على لوط (قال
انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زى شبان مردان حسان الوجوه
نخاف أن يهجم عليهم قومه فلماذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان الذكر ضد المعرفة فقوله انكم قوم
منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أى الاقوام أنتم ولا لآى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعني
الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه (وأئيناك بالحق)
يعنى باليقين الذي لا شك فيه (وانا لصادقون) يعني فيما أخبرناك به من اهلاكهم (فأسر باهلك بقطع من
الليل) يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشئ وبعضه (واتبع أدبارهم) يعني واتبع آثار اهلك وسر
خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع
في السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لاشأئك ولا تعرج على شئ وقيل جعل
ترك الالتفات علامة لمن يخشى من آل لوط ولئلا يخاف أحد منهم فينال العذاب (وامضوا حيث تؤمرون)
قال ابن عباس يعني الى الشام وقيل الى الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن
يسيروا الى قرية معينة فاعمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعني وأوحينا الى لوط ذلك الامر
الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء
مقطوع مصحين) يعني ان هؤلاء القوم يستاصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر
الذي قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا فتخيما له وتعظيما لشأته (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهى
مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعني يبشرون بعضهم بعضا باضيق لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور
وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم فى المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا
في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه
(ان هؤلاء ضيفي) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا أظهر
من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعني خافوا الله في أمرهم (ولا تخزون) يعني ولا تتخجلون
(قالوا) يعني قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم نهلك عن العالمين) يعني أولم نهلك عن أن تضيف أخدامن العالمين

أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعاع عليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لتلا بر واما ينزل بقومهم من العذاب فبرقوا لهم أو جعل
النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لابطله في ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون)
حيث أمركم الله بالمضى اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا
مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع) وفي ايهامه وتفسيره تفخيما للامر ودابرهم آخرهم أى يستاصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم أحد (مصحين) وقت دخولهم فى الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التى ضرب بقاضها المثل فى الجور
(يستبشرون) بالملائكة طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لان من أساء الى ضيفي فقد
أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أى ولا تذنون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وبالباء فيها بعبقرب (قالوا أولم نهلك عن العالمين) عن

أن تجبر منهم أحدا أو تدفع عنهم قائمهم كانوا يعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المترض إلى
فأرعدوه وقالوا إن لم تنته يالوط لتكون من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بنائي) فأنكحوهن وكان نسكاح المؤمنات من الكفار
جائز ولا تعترضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك
انهم لفي سكرتهم) أي في غوايتهم (١٠٠) التي أذهبت عقولهم وتغيرهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من

ترك البنين إلى البنات
(يعمهون) يتخبرون
فكيف يقبلون قسولك
ويصغون إلى نصيحتك أو
الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قسم بحبائه
وما أقسم بحياة أحد قط
تعظيماله والعمر والعمر
واحد وهو البقاء الانهم
نصوا القسم بالمفتوح
ايتارا للاخف أكثر دور
الخلاف على أسنتهم ولذا
حذفوا الخبر وتقدروه
لعمرك قسمي (فأخذتهم
الصيحة) صيحة جبريل
عليه السلام (مشرقين)
داخلين في الثمرون وهو
بروع الشمس (فجعلنا
عاليها سافلها) رقعها
جبريل عليه السلام إلى
السماء ثم قلبها والضمير
لقرى قوم لوط (وأمرنا
عليهم بحجارة من سجيل
في ذلك الآيات للمتوسمين)
للمتفرسين المتأملين كأنهم
يعرفون باطن الشيء بسمة
ظاهرة (وانها) وان هذه
القرى يعني آناها
(لبسبيل مقسم) نابت
بسببكم الناس لم يندرس
بعدهم يبصرون تلك
الآثار وهو تنبيه لقريش

وقيل معناه أو لم نهك ان تدخل الغرباء إلى بيتك فأنريد أن تركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد
نهيناك أن تسكنا في أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا
أضيافه (هؤلاء بنائي) أزواجكم يا هن أن أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد البنات نساء قومه
لان النبي كالأدلا مته (ان كنتم فاعلين) يعني ما أمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة
أحد الا بحبائه والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته
قال الثوريون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام
دلالة عليه (انهم لفي سكرتهم) يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم (يعمهون) يعني يترددون متخبرين
وقال قتادة يلعون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي
نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاه حين أشرق الشمس (فجعلنا عاليها سافلها) وأمرنا عليهم بحجارة من
سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (ان في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (آيات للمتوسمين) قال
ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا
التأويل ماروي عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر
بنور الله ثم قرأ ان في ذلك آيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم
من قولك تفرست في فلان الخبر وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب
أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع
الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا للناس في علم الفراسة
تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتشبهين في نظارهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته
وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني
قرى قوم لوط (لبسبيل مقسم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس يخفي ولا زائل والمعنى ان آثار
ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقسم نابت لم يدثر ولم يخف والذين يعرفون علمهم من الجواز إلى
الشأم يشاهدون ذلك ويرون أثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (آية
للمؤمنين) يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) يعني
كان أصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين التأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب
غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقسل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا
فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى ساط عليهم
الحرس بعبدة أيام حتى أخذ بانفاسهم وقرى من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سبحانه كالظلة فالتجوا
اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فحرقتهم جميعا (وانها) يعني مدينة قوم لوط
ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليها وانما سمي الطريق اماما لانه يوم ويتبع ولان المسافر يأتيه حتى
يصير إلى الموضع الذي يريد قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم

كقوله وانكم التمرون عليهم مصبحين وبالليل (ان في ذلك آية للمؤمنين) لانهم المتشفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر واد
والشأن كان أصحاب الايكة أي الغيضة (لظالمين) كافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتقمنا منهم) فأهلكهم لما كذبوا شعيبا
(وانها) يعني قرى قوم لوط والايكة (لبامام مبین) لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطعم البناء لانهم ما يؤتم به
(ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر وادبهم وهو ما بين المدينة والشأم المرسلين يعني تكذبهم صالح لان كل رسول كان يدعو

الى الايمان بالرسول جفا من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا واراد صالحا من مفسد من المؤمنين كاقيل الحبيبون في ابن الزبير
واصحابه (وايتناهم آياتنا فكانوا عندهم معرضين) أي تعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكافوا يخفون من الجبال بيوتا) أي يقبضون في الجبال
بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمنين) لوناقة البيوت واستحكاها من ان تهدم ومن نقب الاصوص والاعداء وآمنين من عذاب الله
يحسبون ان الجبال تحمهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصحين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فما ألقى عنهم ما كانوا يكسبون)
من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض (١٠١) وما بينهما الا بالحق) الاخلاق الملتزمة بالحق

لاباطلا وعبثا وبسبب
العدل والانصاف يوم الجزاء
على الاعمال (وان الساعة)
أي القيامة لتوقعها كل
ساعة (لا تية) وان الله
ينتقم لك فيما من أعدائك
وجازيك واباهم على
حسناتك وسأتهم فانه
ما خلق السموات والارض
وما بينهما الا بالحق (فاصفح
الصفح الجليل) فأعرض
عنهم اعراضا جبلا يعلم
واغضاضا قبيلا هو منسوخ
بآية السيف وان أريده
المخالفة فلا يكون منسوخا
(ان ربك هو الخلاق) الذي
خلقك وخلقهم (العليم)
بحالك وحالهم فلا يخفي
عليه ما يجري بينكم وهو
يحكم بينكم (ولقد آتيناك
سبع) أي سبع آيات
وهي الفاتحة أو سبع سور
وهي الطوال واختلف في
السابعة فقيل الانفال
وراءة لانها في حكم سورة
بدليل عدم التسمية بينهما
وقيل سورة نونس أو سبع
القرآن (من المثاني) هي
من التثنية وهي التكرار
لان الفاتحة مما يتكرر في

واد كان يسكنه ثم دود هو معروف بين المدينة النبوية والشام وآ ناره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى
الحجاز وأهل الحجاز الى الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع لانهما أو لانهم كذبوه
وكذبوا من قبله من الرسل (وايتناهم آياتنا) يعني الناقعة وولدها والآيات التي كانت في الناقعة خرجها من
الصخرة وعظم جنتها وقرب ولدها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل
اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكافوا
يخفون من الجبال بيوتا آمنين) يعني خوفا من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف (فأخذتهم
الصيحة) يعني العذاب (مصحين) يعني وقت الصبح (فما ألقى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من الشرك
والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجبر قال لا تدخلوا
مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكفوا بآياتكم ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى
جاوز الوادي قوله سبحانه ونعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق
والعذاب وهو أن يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لا تية) يعني وان
القيامة لتاتي ليحازي المحسن باحسانه والمسيء باسياته (فاصفح الصفح الجليل) الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد وادع عنهم عفووا حسنا واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح
والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر
الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف (ان ربك هو الخلاق العليم)
يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلمه وما يصلحهم قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة
اليهود قرظطة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه
الاموال لنا لتقترب بناها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي
خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت
وهذا القول ضعيف أولا يصح لان هذه السورة مكتوبة باجماع أهل التفسير وليس فيها من المديني شيء ويهود
قرظطة والنضير كانوا بالمدينة وكذب يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة
حتى تمنها المسلمون فأنزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل
والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي
رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثر من غيره وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبيرة وفي رواية عنه ومجاهد
وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي (ق)
عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني
والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني

الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحد قديمه ثمانية أو ثمانية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرر القصص
والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله واذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبعض
(والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة والطوال فاوراهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه
اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أو حينما اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالله في ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين الثنتين وهو التثنية أو الثناء والعظيم ثم قال رسول

فلاتنهم سبع آيات باجماع أهل العلم واخذوا في سبب تسميتها بالمشاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها
تنفي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فضعفها الاول ثناء على الله
ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة
وقيل سميت مشاني لان كلماتها مشناه مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهـ وانا الصراط
المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مشناه وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة
بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثنىها واخرها هذه الامة فلم يعطها
لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تنفي أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبتت عناني وقال ابن الزباج
سميت فاتحة الكتاب مشاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون
الفاتحة هي السبع المشاني دل ذلك على فضلها وشرافها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكري
قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سورته لا بد
وأن يكون لاخصاصها بالشراف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعاً من المثاني انها السبع الطوال
وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبيرة وفي رواية عنه
السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة
فقيل الانفال مع براعة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهم اسطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل
السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثني مكان الانجيل وأعطاني مكان
الزبور المثاني وفضاني ربي بالمفضل أخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال
مشاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثبتت فيها أو اردت على هذا القول ان هذه السور الطوال
غالها مديان فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكينة وأجيب عن هذا الاراد بأن الله سبحانه وتعالى
حكم في سابق علمه بائزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه
الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثني
وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن
كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتاباً مشابهاً
مشاني وسمي القرآن كله مشاني لان الاخبار والقصص والامثال ثبتت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن
في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعاً من المثاني وهل هو الاعطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع
المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فما راعهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض
كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني
بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن
عظيماً لانه كلام الله ووحيه أتزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تمدن عينيك ﴾ الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما تمنى به أزواجاً) يعني أصنافاً منهم) يعني من
الكفار متمنياً الهانمسي الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاجة أهلها عليها
والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا
والرغبة فيها روى ان سفیان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من آمن لم يتغن بالقرآن يعني لم
يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قبل انما يكون ماداً عينيه الى الشيء اذا دام النظر اليه مستحسنه فيحصل
له من ذلك معنى ذلك الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من ممتع الدنيا ولا
يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تعتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن

(لا تمدن عينيك) أي لا
تطمع ببصرك طموح
راغب فيه ممن له (الى
ما تمنى به أزواجاً منهم)
أصنافاً من الكفار كاليهود
والنصارى والمجوس يعني
قد أوتيت النعمة العظيمة
التي كل نعمة وان عظمت
فهى البهاقسية وهى
القرآن العظيم فعليك ان
تستغنى به ولا تمدن عينيك
الى متاع الدنيا وفي الحديث
ليس من آمن لم يتغن بالقرآن
وحديث أبي بكر من أوتي
القرآن فرأى ان أحداً
أوتي من الدنيا أفضل مما
أوتي فقد صغر عظمها
وعظم صغبراً (ولا تحزن
عليهم) أي لا تمنى أموالهم
ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
فبتقوى بملكتهم الاسلام
والمساون

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسك عن ايمان الاغنياء (وقل لهم) (انى انا النذير المبين) ائذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (كما انزلنا) متعلق بقوله واقدآ تينك اى انزلنا عليك (١٠٣) مثل ما انزلنا (على المقتسمين) وهم

أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضنة) أجزاء جمع عضنة وأصلها عضنة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل يخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخرون سورة آل عمران لى وأريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتصموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير ائذركم الذين جعلوا القرآن عضين الذى يجزؤون القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثناعشر الذين اقتصموا مدخل مكة أيام الموسم فقعدها فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فأهلكهم الله ولا تمدن عينك على الوجه

على ايمانهم اذ لم يؤمنوا ففهم النهى عن الالتفات الى أموال الكفار والالتفات اليهم أيضاً وروى البغوى بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا نعمة فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله فاقولا لا يموت قبل لابن ابي مريم ما قال لا يموت قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفار أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى أسفل منه لفظ البخارى وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الى من هو أسفل منك ولا تنظر الى من هو فوقك فهو أجدر ان لا تزدور وانعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصعب الاغنياء فما كان أحداً كثرهما منى كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوباً خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحمت ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعنى لين جانبك (للمؤمنين) وارفق بهم لمسانة الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) اى وقل لهم يا محمد (انى انا النذير المبين) لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والندارة بتبليغ مع تخويف والمعنى انى انا النذير بالعقاب لمن عصانى المبين النذارة (كما انزلنا على المقتسمين) يعنى ائذركم عذابا كعذاب انزلنا بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة وهو ان ذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفر به وقال عكرمة انهم اقتصموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخرون هذه السورة لى وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتصموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش وهو ان ذلك لان أقوالهم تقسمت فى القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين وقال ابن السائب وهو بالمقتسمين لانهم اقتصموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رطبا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فخرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضهم انه كاهن وليقل بعضهم انه شاعر وليقل بعضهم انه ساحر فاذا جازوا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهم هذا الخارج الذى يدعى النبوة منافاة مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جازوا وسألوه عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤا أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض فبعضهم اقتصموا من قولهم غضبت الشئ اذا فرقتة وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن أجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الاولين وقيل هو جمع عضنة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر يعنى انهم جعلوا القرآن سحرا (فوربك لنسألنهم اجمعين) أقسم الله بنفسه انه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعنى عما كانوا يقولونه فى القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع لضمير فى نسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الا الله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع

الاول اعتراض بينهم لانه لما كان ذلك تسليتا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدارك التسليم من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتواضع على كفرهم ومن الامر بأن يقل بكلمته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بانه يروى ببيتة ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى القرآن

بين قوله لنسألتهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل علمتم لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم علمتم كذا واعتمد قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعمال وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان يعني سؤال استعمال وقوله لنسألتهم أجمعين سؤال توبيخ وتقرير وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا انه قال في الايتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيستلون في بعض المواقف ولا يستلون في بعضها فانظروا قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهر وروى عنه أمهه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفرق اى افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بانطهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أى اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالتك بل وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى (انا كفييناك المستهزئين) أى كثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما لا نسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفييناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيرى فانى انا كفييناك وحافظك ممن عاداك فانا كفييناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره وانكسره بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرب بن قيس بن طلحة كذا ذكره البغوى وقال ابن الجوزى الحرب بن قيس بن عبيطالة وقال الزهرى عبيطالة أى وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فربه الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بنس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فوالوليد جبريل من خزاعة بنى بلال وعليه برديمانى وهو يجرازاره فتعلقت شظية من النبيل بازار الوليد فذغعه الكبران يطأ طئ رأسه فينزعهما جعلت تضربه فى ساقه فغذشته ففرض منها فسات ومرمها العاص بن وائل السهمى فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بنس عبد الله فاشار جبريل الى أنحس قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزعه معه ابناه فنزل شعبان تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة فى أنحس رجله فقال لدغث لدغث فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فبات مكانه ومرمها الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس وماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره وجعت عينه بفعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية السكبي قال أنا جبريل وهو قاعد فى أصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية بفعل ينطح رأسه فى الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فبات وهو يقول قتلى محمد ومريمهما الا سود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بنس عبد الله على انه خالى فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فبات وفي رواية السكبي انه خرج من أهله فأصابه سهم فأسود وجهه حتى صار حيشا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فبات وهو يقول قتلى رب محمد ومريمهما الحرب بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط فيحفاقتله وقال ابن عباس انه أكل حوتا ملحافا فصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه فبات فذلك قوله تعالى انا كفييناك المستهزئين يعنى بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله آخرفسوف

أوفى كتب الله) فاصدع بما تؤمر) فاجهـ ربه وأظهره يقال صدع بالجملة اذا تكلم بهما جارا من الصديع وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع فى الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع في حذف الجار كقوله

أمرتك الخ سير فافعل ما أمرت به

(وأعرض عن المشركين)

هو أمر استهانة بهم (انا كفييناك المستهزئين)

الجمهـ وروى على انها نزلت فى خمسة نفر كانوا يبالغون

فى ايداع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به

فأهلكهم الله وهم الوليد ابن المغيرة مرنبال فتعلق

بشويه سهم فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فبات

والعاص بن وائل دخل فى أنحسه شوكة فانتفخت

رجله فبات والاسود بن عبد المطب عمى والاسود

ابن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب

وجهه بالشوك حتى مات والحرب بن قيس امتخط

فيما ومات (الذين يجعلون مع الله آخرفسوف

يعلمون) يعني اذا نزل بهم العذاب فيه وعيد وتهديد ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعون منه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجيلة البشرية تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأسر ربك (وكن من الساجدين) يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحانه الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفصح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكر وفزع الى الصلاة فكانه يقول يا رب انما يجب علي عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفيته ما أكره فأنا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشاء ﴿قوله تعالى﴾ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقانك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأى بين يديه يغذيانه بالطيب الطعام والشراب واقدرايت عليه حلة ثراها وقال شريك له بما أتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النحل)

مكية الاقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى آخر السورة فانزلت بالمدينة في قتل حنظلة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنها انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذئب هاجر وامن بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد امانه الا يتوقض الله مثاقيريه كانت آمنة معامشة الآيه وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرته تعدا النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وآلافان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف (بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعني جاء وناو قرب أمر الله تقول العرب أتاك الامر وهو متوقع المحيىء بعد ما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا (فلا تستعجلوه) يعني وقوع الامر اذ به محيىء والقيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا ما ترى شيئا فنزل قوله تعالى اقتراب للناس حسابهم فاشفقوا فلما مدت الايام قالوا يا محمد ما ترى شيئا مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم ووطنوا انهم اقدأت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب محيىء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يدهما أحرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى رضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما رجى بل بأهل

يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) فيسك أوفى القرآن أوفى الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نالك الى الله والفزع الى الله هو والذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم (واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني ما دمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم يدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا القرب وقوعه (فلا تستعجلوه

سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأجل وعز عن أن يكون له شريك ونوع اشراكهم فنام وصوله أو مصدرية وانصال هذا باستعمالهم من حيث ان استعمالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره) على من يشاء من عباده أن أتدروا) ان مفسرة لان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أتدروا (١٠٦) (أنه لا اله الا أنا فاتقون) اعلموا بان الامر ذلك من ندرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس

قولي لا اله الا أنا فاتقون
نخافون وبالبياء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وانه لا اله
الا هو بما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات
والارض وهو قوله (خلق
السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون) وبالتاء
في الموضعين حمزة وعلى
وخلق الانسان وما يكون
منه وهو قوله (خلق الانسان
من نطفة فاذا هو خصيم
مبين) أي فاذا هو منطبق
مجادل عن نفسه مكافح
لخصومه مبين لخطيئته بعدما
كان نطفة لا حس به ولا
حركة او فاذا هو خصم لربه
منكر على خالقه قائل من
يحسي العظام وهي رميم
وهو وصف للانسان بالوقاحة
والتمادي في كفران
النعمة ونداق ما لا بد له منه
من نطق الهائم لا كله
وركوبه وجل أنقاله وسائر
حاجاته وهو قوله (والانعام
خالقها لكم) هي الازواج
الثمانية وأكثر ما يقع على
الابل وانتصابها بضمير
يفسر الظاهر كقوله
والقمر قدرناه منازل أو
بالعطف على الانسان أي
خلق الانسان والانعام ثم

السموات مبعونا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة
المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر من الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستجمل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر
صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعاظم بالارصاف الجيدة عما يصفه به المشركون
قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وانما سمى الامر وحالانه به تحييا
القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والبياء بمعنى مع
يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة
والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق (أن أتدروا) يعني بأن أعلموا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) أي نخافون وقيل
معناه صواب قول لا اله الا الله منذرين يعني يخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما
يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعني انه جدل بالباطل بين
الخصومة نزات في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فباع بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
تزعمن ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رمى فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي العظام
وهي رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدين ارب يوم القيامة وجلها على العموم أولى
وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قدرة فصار جبارا كثيرا لخصومه وفيها كشف قبيح ما فعله
الكفار من بحمدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله عز وجل (والانعام خلقها لما تستفاد من فروعها
وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته
ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ
بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال
الواحدى ثم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها داء) قال ويجوز أيضا ان
يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها داء فقال صاحب النظم أحسن الوجهين أن
يكون الوقف عنده قوله خلقها ثم يتدبى بقوله لكم فيها داء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها
جال والتقدير لكم فيها داء ولكم فيها جلال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير
ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر النافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها داء وهو ما يستد فأي من
اللباس والا كسبية ونحوها المتخذة من الاصواف والابرار والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل
والدر والركوب والجل عليها سائر ما ينتفع به من الانعام (ومنهاتاً كون) يعني من لحومها فان قلت
قوله تعالى ومنهاتاً كون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤخذ كل من غيرها قلت
الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز
وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب وأكله يجري مجرى التفكك به فخرج ومنها أكلون يخرج
الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخرج منفعة الاكل وقدم
منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله سبحانه
وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام (جال) أي زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة والابل

قال خلقها لكم أي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيها داء) وهو اسم ما يدقأ به من لباس معمول من صوف بالعمشى
أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنهاتاً كون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤخذ كل من غيرها لان الاكل منها هو
الاصل الذي يعتمده الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكك
(ولكم فيها جبال حين تريحون) تردوهم من مراعيها الى مراعيها بالعمشى (وحيين تسرحون) تسرحونها بالعمدة الى مسارحها من الله تعالى

بالجهد لها كما كان بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا رعوها بالعشي وسرعوها بالغداة ثم نبت باراحتها وترى بها الافنية وفرحت اربابها واكسبتهم الجاه والحومة عند الناس وانما قدمت (١٠٧) الراحة على التسريح لان الجمال في

الراحة اظهر اذا اقبلت

ملائي البطون حافلة

الضروع (وتحمل ائقالكم)

أجمالكم (الى بلدكم تكوونوا

بالغية الا بشق الانفس)

وبفتح الشين أبو جعفر

وهما الغتان في معنى المشقة

وقيل المفتوح مصدر شق

الامر عليه شقا وحقيقته

راجعة الى الشق الذي هو

الصدع وأما الشق فالنصف

كأنه يذهب نصف قوته

لما ينال من الجهد والمعنى

وتحمل ائقالكم الى بلدكم

تكوونوا بالغية لو لم تخلق

الابل الاجهد ومشقة فضلا

أن تحملوا ائقالكم على

ظهوركم ومعنا لم تكوونوا

بالغية بها الا بشق الانفس

وقيل ائقالكم ابدانكم

ومنه الثقلان للجن والانس

ومنه واخرجت الارض

ائقالها أي بني آدم (ان

ربكم لرفرحيم) حيث

رحمكم بخلق هذه الحوامل

وتيسير هذه المصالح (والخيل

والبغال والخيول ليركبوها

وزينة) عطف على الانعام

أي وخلق هذه للركوب

والزينة وقد احتج أبو حنيفة

رحمه الله على حرمة أكل لحم

الخيول لانه عسل خلقها

للركوب والزينة ولم يذكر

الاكل بعد ما ذكره في

الانعام ومنفعة الاكل

أقوى والآية سبقت لبيان

بالعشي الى مراحتها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم بلههم تسريحها اذا أخرجوها بالغداة الى
المرعى قال أهل اللغة وأكثرت تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ
وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما
بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى
المرعى ورعوها بالعشي الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء نغاعا يجاب بعضها بعضا فنعند ذلك
يفرح اربابها وتجمل بها الافنية والبيوت ويعطون ويقومون فان قلت لم قدمت الراحة على
التسريح قلت لان الجمال في الراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر من وقت التسريح لان النعم تقبل
من المرعى ملائي البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بما يختلف تسريحها الى المرعى فانما يخرج جائعة
البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للمرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل
في الراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل ائقالكم) الانتقال
جميع نقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد
من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثرت تجارتهم
وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخل الكافية فيه أولى من تخصيصه
ببعض المخاطبين (لم تكوونوا بالغية) يعني بالغى ذلك البلد الذي تقصده (الابشق الانفس) يعني بالمشقة
والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشئ والمعنى على هذا لم تكوونوا بالغية الا بنقصان قوة النفس وذهاب
نصفها (ان ربكم لرفرحيم) يعني بخلقهم حيث خلق لهم هذه المنافع وقوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال
والخيول ليركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الخيول والابل لاجل أن تركبوها والخيول
اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها
* (فصل) * احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه
للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة فترجمهم الله واستدلوا أيضا بان منفعة الاكل أعظم من
منفعة الركوب فلم يذكره الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى
أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب
فقال ليركبوها فعلمنا ان مخلوقه للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو
قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبيرة واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد واسحق
واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نعرنا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرسافا كناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسافا ونحن
بالمدينة فآكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم
الجر الا هامة وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خيول لحوم الخيل وجر الوحش ونهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن الجار الا هامة هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا من خيول الخيل والبغال
والخيول وكأقد أصابتنا منجسة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والخيول ولم ينهنا عن الخيل وأجاب
من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها خاصة بذلك وانما
خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا واللهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله
في الانعام وتحمل ائقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من
الآية بيان التحليل والتحرير بل المراد منها تعريف الله عباده بنعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل
الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل

النعمه ولا يليق بالحكيم أن يذكر في مواضع المنه أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطف على محل ليركبوها وخلق
مالاتعلمون من أصناف خلقتهم وهو قوله

(وخلق ما لا تعلمون) ومن هذا (١٠٨) وصفه تعالى عن أن يشركه غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به الجنس والذات قال

والبغال والخيول مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتاً عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحرير فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والخيول فاخذناهم باجمعين النصين والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) لماذا كره الله سبحانه وتعالى الحيوان التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضروورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلماذا كرها على الاجمال وقال بعضهم 'ويخلق ما لا تعلمون' يعني بما أعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله 'ويخلق ما لا تعلمون' يعني السوس في النبات والدود في الفواكه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريقاً قصد وقاصداً اذا أدرك الى المطلوب وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جاتر) يعني ومن السبيل سبيل جاتر عن الاستقامة بل هو موعج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجاتر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل من عبادة الله قصد السبيل السنة ومنها جاتر الا هو والبعد (ولو شاء لهداكم أجمعين) فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة توفيد انتفاء الشيء لانتهاء غيره فقولہ ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا حرم ما هداكم ﴿ قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لماذا كره الله سبحانه وتعالى نعته على عباده بخلق الحيوان لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد وهو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني تشربونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن أهل اللغة أنهم قالوا الشجر أصناف ما جل وعظم وهو الذي ينبقى على الشتاء وما دق وهو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة في الشتاء وينبت في الربيع ومنهما ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو اسحق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد نطعمها اللحم اذا عزر الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن اذا أجذبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعني الكلاء ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما ترى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترضع كل الشجر (فيه) يعني في الشجر (تسمون) يعني ترضعون مواشيتكم يقال أسمت السائمة اذا خلبتها ترضع وسامت هي اذا رعت حيث شاعت (ينبت لكم) أي ينبت الله لكم وقرئ ينبت على التعظيم لكم (به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لماذا كره الله في الحيوان تفصيلاً واجمالاً ذكر في الثمار تفصيلاً واجمالاً فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يفتت به كالحنطة والشعير وما أشبههما لان به قوام بدن الانسان وتنبذ كرز الزيتون لمسايقه من الادم والدهن والبركة وثالث بذكر النخيل لان غرتها غذاء وفاكهة وخبث بذكر الاعناب لانها شبيهة النخلة في المنفعة من التنعيم والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالاً لينبه بذلك على عظيم قدرته وخزير نعمته على عباده ﴿ ثم قال تعالى (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من أنواع الثمار (لاية) يعني علامة تدل على قدرتنا وحدانيتها (القوم يتفكرون) يعني فيما ذكر من دلائل قدرته وحدانيتها (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره في سورة الاعراف (مسخرات) يعني مذلات مقهورات تحت قهره وازادته وفيه مدعى الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفه في العالم السفلى فاحبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذلات (بامرهم) يعني بامرهم مقهورات تحت قهره بصرفها كيف يشاء

(ومنهما جاتر) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيئاً ولكن يجعل ذلك تفضيلاً وتبلي معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحج ومنها جاتر أو من السبيل ماثل عن الاستقامة ولو شاء لهداكم أجمعين) أراد هداية اللطيف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بانزل أو برب شراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (فيه تسمون) من سامت المواشي اذا رعت فهي سائمة واسماها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الارض

بعض من كاهل التذكرة (ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون) ويستدلون بها على قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) ينصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات

فقط حصن والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامخ على الابتداء والخبر (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) جمع الآية وقد ذكر العقل لان
الانوار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة لكبير باعوا العظمة (وما ذرأ لكم في الارض) معطوف على الليل والنهار أى ما
خلق فيها من حيوان وشجر وغرغ - يرد ذلك (مختلفا) حال (أولاه ان في ذلك لايات لقوم يذكرون) يتعلمون (وهو الذى مسخر الجبلتأ كما
منه لحماطريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سر يعاطر ياخيفة (١٠٩) النساء وانما لا يبحث باكله اذا حلف
لايا كل الجبلان مبنى الايمان

على العرف ومن قال اغلامه
اشترى هذه الدراهم لحما
فقاء بالسمك كان حقيقا
بالانكار (وتسخر جوا
منه حلية) هى الاولو
والمرجان (تلبسونها) المراد
بلبسهم لبس نساءهم
ولكنهن انما يزين بهن من
أجلهم فكان ما زينتهم
ولباسهم (وترى الفلك
مواخر) جوارى تجرى
جريا وتشق الماء شقا
والخرشق الماء بحيزومها
رفيه) فى البحر (وتبتغوا
من فضله) هو عطف على
محدرف أى لتعتبروا
وتبتغوا وابتغاء الفضل
التجارة (ولعلمكم تشكرون)
الله على ما أنعم عليكم به
(وألقى فى الارض رواسى)
جبالا نواب (أن تميد بكم)
كراهية أن تميل إليكم
وتضطرب أو لتلاطم بكم
لكن حذف المضاف أكثر
قبيل خلق الله الارض
فجعلت تميد فقالت الملائكة
ماهى بمقر أحد على ظهرها
فاصحت وقد أرسيت
بالجبال لم تدر الملائكة
مم خلقت (وأنهارا) وجعل
فيها أنهار الان ألقى فيه

ويتخار وأنهم ليس لها تصرف فى نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم
وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) يعنى أن كل من
كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره
وتسخيره لما أرادهم منهم (وما ذرأ لكم فى الارض) يعنى وما خلق لكم فى الارض وتسخر لاجلكم من الدواب
والانعام والاشجار والثمار (مختلفا أولاه) يعنى فى الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات
مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية
بقوله تعالى (ان فى ذلك لايات لقوم يذكرون) يعنى فيعتبرون بذلك قوله سبحانه وتعالى (وهو الذى
سخر لكم البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته و وحدانيته من خلق السموات
والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك
من آثار قدرته وبجانب صنعته وذكرا نعمته فى ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر
لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب
عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو
الذى سخر البحر (لنأكلوا منه لحماطريا) فبدأ بذكر الالكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفى
ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كما حالها ما عرف به من قدرة
الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملع الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه فى غاية العذوبة علم
انه انما حدث بقدرة الله وخلافة لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضمن الضد المنفعة
الثانية قوله تعالى (وتسخر جوامنه حليه تلبسونها) يعنى الاولو والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما
الاولو والمرجان والمراد بلبسهم لبس نساءهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة
لهم * المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر فيه) يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة
ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجرىان بريح واحدة وأصل الخرفى اللغة الشق
يقال سخرت السفينة تخرا اذا شقت الماء بجوؤها وقال مجاهد تخرا الريح السفن يعنى أنها اذا جرت يسمع
لها صوت قال أبو عبيدة يعنى صواخ وخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعنى مواقر أى
ملازمة متاعا (وتبتغوا من فضله) يعنى الارباح بالتجارة فى البحر (ولعلمكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم اذا
رأيتهم نعم الله فيما سخر لكم (وألقى فى الارض رواسى) يعنى جبالا نقلالا (أن تميد بكم) يعنى لتلاطم وتضطرب
بكم والى سد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور
وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقررة أحد على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة
مم خلقت الجبال (وأنهارا) يعنى وجعل فيها أنهارا لان فى ألقى معنى الجعل قوله سبحانه وتعالى وأنهارا
معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون
من الجبال (وسبلا) يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها فى أسفاركم والتردد فى حوائجكم من بلد الى بلد
ومن مكان الى مكان (لعلمكم تهتدون) يعنى بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعنى وجعل
فيها علامات تهتدون بها فى أسفاركم قال بعضهم تم السكلام عند قوله وعلامات ثم ابتداء (وبالنجم هم يهتدون)

معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلمكم تهتدون) الى مقاصدكم أو الى توحيدكم (وعلامات) هى معالم الطرق وكل ما يستدل به السابله من جبل
وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو الثرى والفرقدان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون تخرج عن
سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقمهم فيه كانه قيل وبالنجم خصوصاه ولا خصوصاهم يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد قريش فاهلهم اهتداء
بالنجوم فى مسابريهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصوا

(أئن يخلق) أى الله تعالى (كن لا يخلق) أى الاصنام وحي عين الذى هو لولى العلم زعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أولى العلم أولان المعنى ان من يخلق ليس كن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل آئن لا يخلق كن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهها بما فانكر عليهم ذلك بقوله آئن يخلق كن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة فى خالق الافعال (أفلا تذكرون) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تلمعه طاقتكم فضلا أن تطبقوا القيام بحقتها من أداء الشكر وانما تتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبها على ان ما وراءها لا ينحصر ولا يعد (ان الله لغفور رحيم) يتجاوز عن تقصير كفى أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم (وانه يعلم ما أسررون وما يعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وبالتاع غير عاصم (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون

وقال محمد بن كعب والنكابي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالشكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يتدى به وقال السدى أراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والعرقدين والجدى فهذه يتدى به الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشياء لتسكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله سبحانه وتعالى (أئن يخلق كن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة فى الآيات المتقدمة كهذا على كمال قدرة الله تعالى ووحدايته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جاعلا على سبيل الإنكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ آئن يخلق يعنى هذه الاشياء الموجدة المرتبة بالعباد وهو الله تعالى الخالق لها كن لا يخلق يعنى هذه الاصنام العاجزة التى لا تخلق شيئا البتة لانها جادات لا تقدر على شئ فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون) يعنى ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل بمجرد التذكريه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بقى فى الآية سؤالان الأول قوله كن لا يخلق المراد به الاصنام وهى جادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهى لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموها هذه الاصنام آلهة وعبدوها وأحريت مجرى من يعقل فى زعمهم ألا ترى الى قوله بعدها والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا يخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثانى قوله آئن يخلق كن لا يخلق المقصود منه الزام الحجية على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام آئن يخلق كن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجادات الخسيسة فى التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشغل بعبادة جادات لا تخلق شيئا البتة والله أعلم وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعنى ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذى يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه فى نفسه وفيها أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمة العظام التى لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعنى ولو اجتمعتتم فى ذلك واتعبتم نفوسكم لا تقدرون عليه (ان الله لغفور) يعنى لتقصير كفى القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعنى بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى (وانه يعلم ما أسررون وما يعلنون) يعنى ان الكفار مع كفرهم كانوا أسررون أشياء وهو ما كانوا يكفرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعنى وما يظهر ون من ايدائه فاخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكريه فى الآية المتقدمة ذكر فى هذه الآية ان الاله الذى يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام التى تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة آئن يخلق كن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا بقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور فى تلك الآية فمما فائدة التكرار قلت فائدة ان المعنى المذكور فى الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور فى هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وأنهم يخلقون شيئا فكان هذا زيادة فى المعنى

أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون آيات يبعثون) نفي عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون والعالين نوحث البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء منهم لو كانوا آلهة على الحقيقة كما كانوا أحياء غير أموات أي غير جازع عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين (111) أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم

وفيه تمسك بالمشركين وان آلهتهم لا يعاونون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الهكم الله واحد) أي ثبت بما صرنا الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الأقران (لأجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلايتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) ماذا منسوب بانزل أي شيء أنزل ربكم أي مرفوع على الابتداء أي أي شيء أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدأ محذوف قبل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا ما دخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أساطير

وهو فائدة التكرار (أموات) أي جمادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جازع عليها الموت لان الاله الذي يستحق أن يعبد هو الخالق الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (آيات يبعثون) يعني متى يبعثون وفيه دليل عن أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تبرأ من عابدها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله سبحانه وتعالى (الهكم الله واحد) يعني ان الذي يستحق العبادة هو الاله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لأجرم) يعني حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) انه لا يحب المستكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيد عبادة بلاطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الخيرة فمعناه يتخير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معنى غمضته أي انتقضت به وزد ريت قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابم وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في يحملوا اللام العاقبة وذلك أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام نضر الدين الرازي وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة وقوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للروساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فبعضه عليها جماعة ذموا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الروساء لان ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا تزروا زرة وزرا أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدى ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الأوزار وذلك غير جازع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار

الاولين أي أحاديث الاولين وأباطيلهم واحديثها أسطورة واذا رآوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وأنه نبي فهم الذين قالوا خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم) حال من التعليل أي بضلون من لا يعلم أنهم ضلال

(ألساعمايزرون) محل مرفوع (قدمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي من جهة القواعد وهي الاساطين وهذا تخيل
يعني أنهم سووا منصوبات لمكر وابتها (١١٢) رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنو انبيانا وعمدوه بالاساطين

فأتى البنيان من الاساطين
بان ضعفت فسقط عليهم
السقف وما ترواها كوا
والجهو وعلى أن المراد به
غمرودين كنعان حين بنى
الصرح ببابل طوله خمسة
آلاف ذراع وقيل
فرسخان فاهب الله الريح
فجر عليهم وعلى قومه
فهلكوا فأتى الله أي أمره
بالاستئصال (فجر عليهم
السقف من فوقهم
وأناهم العذاب من حيث
لا يشعرون) من حيث
لا يحسبون ولا يتوقعون
(ثم يوم القيامة يخزيهم)
يدلهم بعذاب الخزي سوى
ما عذبوا به في الدنيا (ويقول
أين شركائي) على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوتخهم على طريق
الاستهزاء بهم (الذين كنتم
تساقون فيهم) تعادون
وتخاصمون المؤمنين في
شأنهم تساقون نافع أي
تساقون فيهم لان مشاققة
المؤمنين كأنها مشاققة الله
(قال الذين أوتوا العلم)
أي الانبياء والعلماء من
أمتهم الذين كانوا يدعونهم
الى الايمان ويعطونهم فلا
يلفتون اليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شتما تبهم
أدهم الملائكة (ان الخزي
اليوم) الفضيحة (والسوء)

العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) وبالبا عجزه وكذا ما بعده (طالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فالقوا
العلم) أي الصلح والاستسلام أي اجتنبوا وازاحلوا ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) ويخجلوا ووجدتهم
من الكفران والعداوة فردد عليهم أولو العلم وقالوا

(بلى ان الله علم بما كنتم تعملون) فهو يحجاز بكم عليه وهذا ايضا من السمات وكذلك (١١٣) (فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبس

مشوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل بكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال ونعمة التقدير هو أساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (الذين أحسنوا في هذه الدنيا) أى آمنوا وعمِلوا الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أى ثواب وأمن وغنيمة وهو بدل من خير احكامية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه وهو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قسولهم من جملة احسانهم (ولدار الآخرة خيرا) أى لهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال تجرى منها نحتها الاتهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) أى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد ذكوة لهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكر وهات والمهرمات مع الاخلاق الحسنة والحاصل الجيدة والمباعدة من الاخلاق الذمومة والحاصل المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدى الله بفضله ورحمته أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله فى شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت

يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله علم بما كنتم تعملون) يعنى فلا فائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أى فبقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) يعنى مقبدين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فلبس مشوى المتكبرين) يعنى عن الايمان قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل بكم قالوا خيرا) وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من ياتهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءوا فاسألوا الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كان شاعر كذاب مجنون واذالم تلمه مخبرك فيقولوا فاذ انما نشر واذ ان رجعت الى قومي من دون ان ادخل مكة فالتقاءه فدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل بكم قالوا خيرا يعنى أنزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزل وما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكث وفا معقول لا لانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (الذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابا حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبع مائة الى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خيرا) يعنى ما لهم فى الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خيرا مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعنى الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان أهل التقوى يترددون منها الى الآخرة والتول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان أى أقام به (يدخلونها) يعنى تلك الجنات لا يدخلونها عنها ولا يخرجون منها (تجرى من تحتها الانهار) يعنى تجرى الانهار فى هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومسكنهم (لهم فيها) يعنى فى الجنات (ما يشاؤون) يعنى ما تشتهى النفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا (كذلك يجزى الله المتقين) أى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد ذكوة لهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكر وهات والمهرمات مع الاخلاق الحسنة والحاصل الجيدة والمباعدة من الاخلاق الذمومة والحاصل المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدى الله بفضله ورحمته أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله فى شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت

بعمليكم (هل ينظرون)
 ما ينتظر هؤلاء الكفار
 (الأن تأتيهم الملائكة)
 لقبض أرواحهم وبالبيعة على
 وحزة (أوياتي أمر ربك)
 أي العذاب المستأصل
 أو القيامة (كذلك)
 مثل ذلك الفعل من الشرك
 والتكذيب (فعل الذين
 من قبلهم وما ظلمهم الله)
 بتدبيرهم (ولكن كانوا
 أنفسهم يظلمون) حيث
 فعلوا ما استحقوا به التدمير
 (فأصابهم سيئات ما عملوا)
 جزاء سيئات أعمالهم
 (وحاق بهم ما كانوا به
 يستهزئون) وأحاط بهم
 جزاء استهزائهم (وقال
 الذين أشركوا لو شاء الله
 ما عبدنا من دونه من شيء
 نحن ولا آباؤنا) هذا كلام
 صدر منهم استهزاء ولو قالوه
 اعتقاد السكان صوابا (ولا
 حرمنا من دونه من شيء)
 يعني الجيرة والسائبة
 ونحوهما (كذلك فعل
 الذين من قبلهم) أي كذبوا
 الرسل وحرموا الحلال وقالوا
 مثل قولهم استهزاء (فهل
 على الرسل الإلباع المبين)
 إلا أن يبغوا الحق ويطلعوا
 على بطلان الشرك وقبحه
 (ولقد بعثنا في كل أمة
 رسولا أن اعبدوا الله)
 بأن وحدوه (واجتنبوا
 الطاغوت) الشيطان يعني
 طاعته (فمنهم من هدى
 الله) لاختيارهم الهدى
 (ومنهم من حقت عليه
 الضلالة) أي لزمته
 لاختياره إياها

بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الأشياء كلها ولا
 غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدينا
 والاخرة في سلطانه يفعل فيها ما يشاء فلو عذب الطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا
 منه وإذا أكرمهم ورجهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافر بن وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه
 فضلا ولا يمكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته
 ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال
 ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المناهضة لخصوص الشرع وفي ظاهر
 هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة
 بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على أن الاعمال
 الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال
 والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد
 الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده ^ع قوله تعالى
 (هل ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله ومحمد وانبؤ ذلك يا محمد (الأن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض
 ارواحهم (أوياتي أمر ربك) يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة
 (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيبه إياهم (ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون) يعني باكتسابهم المعاصي والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيئات
 ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) والمعنى
 ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) يعني ان
 مشرك مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو شاء
 الله منا الايمان لحصل جنت أولم نحبي ولو شاء الله منا الكفر لحصل جنت أولم نحبي وإذا كان كذلك فالكل من
 الله فلا فائدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكأن بعثة
 الرسل عبثا كما كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في أحكام الله وفي أفعاله وهو باطل
 لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد
 أن يقول له لم تفعل هذا ولم تفعل هذا وكان في حكم الله وسنته في عبادته ارسال الرسل اليهم ليأمرهم وهم بعبادة
 الله تعالى وينهواهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه من هدايه فهو المهتدي ومن أضله فهو الضال
 وهذه سنة الله في عبادته أنه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء
 الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة
 المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جاهلا منهم لانهم اعتقدوا أن كون
 الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا حرم استحقوا عليه الذم والوعيد وأما قوله تعالى
 (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا أن الله رضى بنا لغير ذلك ولهدانا
 الى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا
 على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قد عاين في الامم الخالية (فهل على الرسل الا
 البلاغ المبين) يعني ليس اليهم هداية أحد انما عليهم تليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه (ولقد بعثنا في كل
 أمة رسولا) يعني كما بعثنا فيكم محمد صلى الله عليه وسلم رسولا (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني ان
 الرسل كانوا يأمرهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم)
 يعني من الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعني هداة الله الى الايمان به وتصديق رسوله (ومنهم من
 حقت عليه الضلالة) يعني ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر

(فسير وافي الارض فانظر واكيف كان عاقبة المكذبين) حيث اهلكهم الله واخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عن اذ قرش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم واعلم انهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (ان تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل) بفتح الباء وكسر الدال كوفي الباقيون بضم الباء وفتح الدال والوجه فيه ان من يضل مبتدأ ولا يهدي (110) خبره (ومالهم من ناصرين) بمنعواهم من

حريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي اعد لهم (واقسموا بالله جهد ايمانهم) معطوف على وقال الذين اشرركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو اثبات ما بعد النفي أي بلى يعنهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث مؤد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعده حق وانهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليعين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذي يختلئون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا شئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أي فهو يكون بالنصب شامخ وعلى جواب كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي اذا أردنا وجود شئ فليس الا أن نقول له أحدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة اليجاد يبين أن مراد الاجتماع عليه

والضلال وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق علمه (فسير وافي الارض فانظر واكيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسير وافي الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما ل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك واتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصرتهم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هدايتهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص بالجمد على هدى هؤلاء و ايمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الباء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهدي من أضله الله وقرئ بضم الباء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له (ومالهم من ناصرين) أي مانعين بمنعواهم من العذاب (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فانه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لترعم انك تتبع عد الموت واقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله أبو العالمة وتقر والشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه بلى امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناه وعدهم فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى يعنهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات ما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية أهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا تخلف فيه (واكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ (ليبين لهم الذي يختلئون فيه) يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا تخلف فيه (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا شئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في احيائهم وبعثهم انما يقول شئ أراداه كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذي لا يعجزه شئ أراداه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا وأما تكذبه اياي فقله ليس يعيدني كما بدتني وفي رواية كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك أما تكذبه اياي فقله لن يعيدني كما بدتني وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياي فقله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿ وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) يعني أو ذوا عذوباتزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهل أخذهم المشركون بكفة فغلبوا بعد موتهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه يخربونه الى بطحاء مكة في شدة الحر وشدونه وبعثوا على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشترته منهم أبو بكر الصديق وأنته واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب فقال لهم اني رجل كبير انك كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضرك فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فخر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيهم فاعطوا وهم بعض ما يريدون فغلبوا

وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الامر المطاع اذا ورد على المأمور المطاع المعتدل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات (والذين هاجروا في الله) في حقه ولو جهه (من بعد ما ظلموا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرة بين ومنهم من هاجر

آواهم أهلها ونصروهم
(ولاجرا لآخرة أكبر)
الوقف لازم عليه لان
جواب (لو كانوا يعلمون)
مخذوف والضمير للكفار
أي لو علموا ذلك لرغبوا في
الدين أو للمهاجرين أي
لو كانوا يعلمون لزدوا في
اجتهادهم وصبرهم (الذين
صبروا) أي هم الذين
صبروا وأرأى الذين صبروا
وكلاهما مدح أي صبروا
على مفارقة الوطن الذي
هو حرم الله المحبوب في كل
قلب فكيف بقلوب قوم هو
مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة
وبذل الارواح في سبيل الله
(وعلى ربهم يتوكلون) أي
يفوضون الامر الى ربهم
و يرضون بما أصابهم في
دين الله ولما قالت قر يش
الله أعظم من أن يكون
رسوله بشر انزل (وما
أرسلنا من قبلك الا رجالا
يوحي اليهم) على السمتة
الملائكة نوحى حصص
(فاسئلو أهل الذكركر)
أهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم
السالفة الا بشرا وقيل
للكتاب الذكركر لانه موعظة
وتنبيه للغافلين (ان كنتم
لاتعلمون بالبينات والزرير)
أي بالمعجزات والكتب
والبلاء يتعلق برجال الصفة
أي رجالا متبسين بالبينات
أو بارسلنا مضمر كأنه

عنهم وقال فتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق
طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من
المؤمنين فأوهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على
أن الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاعمال
بالنيات وفيه من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها
أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث أخرجه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوله
تعالى (لنبوتهم في الدنيا حسنة) يعني لنبوتهم بمائة حسنة وهو انه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم
دار هجرة والمعنى لنبوتهم في الدنيا دار احسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في
الدنيا وما ادخلك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليحسن اليهم في الدنيا بأن يفتح لهم
مكة ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب فاطبة وعلى أهل المشرق
والغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين (ولاجرا لآخرة أكبر) يعني أعظم
وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون
مالهم في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن آجرا لآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا
فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعاون ما أعد الله لهم في الآخرة لزدوا في الجهد والاجتهاد
والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعني في الله على ما ناله من الأذى والمكروه فهو
صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل النفس والاموال في سبيل الله (وعلى
ربهم يتوكلون) يعني في أمورهم كما قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهم مبدء السلوك
الى الله تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وجبها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من
الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق
بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدء السلوك الى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق
ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) نزلت هذه الآية جوابا لما نزلت مكة حيث أنكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فها لبث ملكا يناديهم الله
عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك الا بالرجال يعني مثل نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جاريتة من
أول مبدء الخلق أنه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة تجارية قديمة (فاسئلو أهل الذكركر)
يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وإنما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا
يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل
وكانوا يشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بأن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم
بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) الخطاب لاهل مكة يعني ان كنتم ياهؤلاء لاتعلمون
ذلك (بالبينات والزرير) اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزرير
الارجال نوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزرير وقيل الذكركر يعني العلم في قوله فاسئلو أهل الذكركر يعني أهل
العلم والمعنى فاسئلو أهل الذكركر الذي هو العلم بالبينات والزرير ان كنتم لاتعلمون أنتم ذلك والبينات والزرير
اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي بالبينات
وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزرير يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأرسلنا
اليك الذكركر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعني وأرسلنا عليك يا محمد الذكركر الذي هو القرآن وإنما
سماه ذكركر لان فيه مواظبا وتنبيها للغافلين (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعني ما أجعل اليك من أحكام

قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بنوحى اليهم بالبينات أو بلا تعلمون وقوله فاسئلو أهل الذكركر اعتراض القرآن
على الوجوه المتقدمة وقوله (وأرسلنا اليك الذكركر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) في الذكركر ما رواه وهو اعنه وعدوا به وا وعدوا

القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك الجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه من مشابه للمحكم يجب أن يكون مبيناً والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلمهم يتفكرون) يعني فيما أنزل اليهم فيعملوا به (أفأمن الذين مكروا السبآت) فيه حذف تقديره المكورات السبآت وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم و بأصحابه وبالغوا في أذيتهن والمكورة عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد به هذا المكور اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكورهم على أنفسهم والصحيح أن المراد به هذا المكور السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السبآت قردون وهو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة (أن يخسف الله بهم الارض) يعني كما يخسف بقرون من قبلهم (أو يأخذهم في غمظة) يعني ان العذاب يأخذهم بغمظة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في تقلبهم) يعني في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اخذهم وقال ابن جرير في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن يأخذهم في إيلامهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم (فما هم بمعجزين) يعني بسابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغته ذليل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيجتمعه انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولاً بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والسكبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى يخوفهم بخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو باتات تحدث دفعة أو باتات تحدث قليلاً قليلاً الى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) يعني انه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا قرئ بالثناء على خطاب الحاضرين وبالثناء على الغيبة (الى ما خلق الله من شيء) يعني من جسم قائمه ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الانفس الرؤية التي يكون معها نظار الى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تتفيؤ ظلالة) يعني تجمل وتدور من جانب الى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تنقص ثم تعود في آخر النهار الى حاله الأخرى ويقال للظل بالاعشى في يومه لانه من فاء يفيء اذا رجعت من المغرب الى المشرق والفيء الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعه بعد ان تصاف النهار بالتفيؤ ولا يكون الا بالاعشى وما انصرف عنه الشمس والظل يكون بالغدوة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلالة جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الفلال (عن الميمن والشمائيل) قال العلماء اذا طاعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى المغرب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما الميمن فأول النهار وأما الشمال فأخرا النهار وانما وحد الميمن وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار في اللفظ وقيل الميمن راجع الى لفظ الشيء وهو واحد والشمائيل راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع (سجد الله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الجمل والمعنى أن جميع الاشياء التي لها ظلال فهي منقادته تعالى مستسلمة لآمره غير متمنعة عليه فيما يخرجها من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل

(ولعلمهم يتفكرون) في تنبيهاته فينتبهوا (أفأمن الذين مكروا السبآت) أي المكورات السبآت وهم أهل مكة وما كروا به رسول الله عليه السلام (ان يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأخذهم في غمظة) أي بغمظة (أو يأخذهم في تقلبهم) متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيخوفوا يأخذهم العذاب وهم مخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فأنما رأفته تقيكم ورحمته تخمبكم (أولم يروا) وبالثناء حمزة وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيؤ ظلالة) أي يرجع من موضع الى موضع وبالثناء بصري (عن الميمن) أي الامنان (والشمائيل) جمع شمال (سجد الله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء

(وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير في طلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لان
 الدخور من أوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها طلال متفينة عن ايمانها
 وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة الله تعالى غير متمتعة عليه فيما سخرها له من التغني والاجرام في أنفسها ذخيرة أيضا
 صاغرة منقادة لافعال الله فيها (118) غير متمتعة (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان لما في السموات وما

في الارض جميعا على أن في
 السموات خلقا يدبون فيها
 كما تدب الاناس في الارض
 أو بيان لما في الارض وحده
 والمراد بما في السموات
 ملائكة كتبتن وبقوله
 (والملائكة) ملائكة الارض
 من الحفظة وغيرهم قيل
 المراد بسجود المكلفين
 طاعتهم وعبادتهم وسجود
 غيرهم انقيادهم لارادة الله
 ومعنى الانقياد بجمعهما فلم
 يخلها فلذا جاز أن يعبر
 عنهما بلفظ واحد وجرى
 بما اذا هو صالح للعقلاء
 وغيرهم ولو جرى عن
 لتناول العقلاء خاصة (وهم
 لا يستكبرون يخافون
 ربهم) هو حال من الضمير
 في لا يستكبرون أي
 لا يستكبرون خائفين (من
 فوقهم) ان علقته بخافون
 فعناه يخافونه أن يرسل
 عليهم عذابا من فوقهم وان
 علقته برهم حال منه فعناه
 يخافون ربهم غالباهم
 قاهرا كقوله وهو القاهر
 فوق عباده (ويفعلون
 ما يؤمرون) وفيه دليل
 على أن الملائكة مكلفون
 مدارون على الامر والنهي

شيئ لله والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كاسجد على الارض
 فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله
 سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أي
 صاغرون أدلاء والداخرا الصاغر الذي يفعل ما تأمر به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله
 تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لانه
 وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها
 بالواو والنون وهو جمع العقلاء قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) قال
 العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود
 الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شيء بحسبه
 فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله
 ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر من يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب
 المذكور على المؤنث ولانه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء
 خاصة فأتى بلفظة ما يشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الديب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة
 اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد
 الملائكة في قوله (والملائكة) لانهم أولوا الجنة بطيرون بها أو أفردهم بالذكور وان كانوا من جملة من في
 السموات لسرفهم وقيل أراد الله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة
 والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم لتذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات يدل على
 قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمّل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعني
 الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويفعلون
 ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت
 السماء وحق لها أن تشط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو يعلمون ما أعلم
 لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما لتذتم بالنساء على الفرش ولخر جتم الى الصدعات تجأرون الى الله تعالى
 قال أبو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد آخرجه الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفا

للالهية فان قلت انما جعوا بين العدد
 والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فالماز جل ورجلان معدودان فيهما
 دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنتان قلت الاسم الحامل بمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية
 والعدد مخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت
 انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية بالواحدانية

(فايما فارهبون) نقل لاسلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله فاياها فارهبون افا رهبون يعقوب
(وله ما في السموات والارض وله الدين) أي الطاعة (واصبيا) واجبا بان تالان كل نعمة (119) منه فالطاعة واجبة على كل منعم عليه

وهو حال عمل فيه القرف
أروله الجزاء عما يعني
الثواب والعقاب (أفغير
الله تتقون وما بكم من
نعمة) وأي شيء انصل
بكم من نعمة عاقبة وغنى
وخصب (فمن الله) فهو
من الله (ثم اذا مسكم الضر)
المرض والفقير والجذب
(قالبه تجارون) فما
تضرعون الا اليه والجوار
رفع الصوت بالدعاء
والاستغاثة (ثم اذا كشف
الضر عنكم اذا فرق منكم
برهم يشركون) الخطاب
في وما بكم من نعمة ان كان
علما فالمراد بالفرق الكفرة
وان كان الخطاب للمشركين
فقوله منكم للبيان لا
للتبعيض كأنه قال فاذا
فرق كافر وهم انتم ويجوز
أن يكون فيهم من اعتبر
كقوله فلما اتجاهاهم الى البر
فهم مقتصد (ليكفروا بما
آتيناهم) من نعمة
الكشف عنهم كأنهم
جعلوا غرضهم في الشرك
كفران النعمة ثم أوعدهم
فقال (فتمتعوا فسوف
تعلمون) هو عدول الى
الخطاب على التهديد
(ويجعلون لما لا يعلمون
نصيحا مما رزقناهم) أي
لا تهتم ومعنى لا يعلمون
انهم يسمونها آلهة
ويعتقدون فيها انها تضر

للالهية وذلك قوله تعالى انما هو له واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود الهان اثنتان انما هو له واحد
(فايما فارهبون) يعني تخافون والرهب تخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور
وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياها فارهبون افا رهبون من يدبغ الكلام وبلدغه وقوله
فايما فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يهرب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه
(وله ما في السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له في الالهية
وجب أن يكون جميع المخوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته ذلك قوله تعالى وله ما في السموات
والارض يعني عبيدا وملكها (وله الدين واصبا) يعني وله العباداة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا
والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انما مع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت
الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة
دائمة أبدا (أفغير الله تتقون) يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه
بحتماج اليه فبعده هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواء فهو استهفاهم يعني التعجب وقيل هو
استهفاهم على طريق الانكار قوله عز وجل (وما بكم من نعمة فمن الله) يعني من نعمة الاسلام وصحة
الايدي وسعة الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب
عليكم شكره على جميع انعامه وما بين في الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى
بين في هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكرها الاياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره
عليها (ثم اذا مسكم الضر) أي الشدة والامراض والاسقام (قالبه تجارون) يعني اليه تستغيثون
وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد
ومنه جوار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وتوضر في بعض الاوقات فلا يلجأ الا
اليه ولا يدعى الاياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم) يعني
ثم اذا زال الشدة والبلاء عنكم (اذا فرق منكم) يعني طائفة وجماعة منكم (برهم يشركون) يعني انهم
يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملته شركهم الذي كانوا
عليه وانما قسمهم فر يقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى (ليكفروا
بما آتيناهم) قيل ان هذه الامم لم تكن ويكون المعنى على هذا انهم انما أشركوا بالله ليجحدوا ونعمه عليهم
في كشف الضر عنهم وقيل انها الامم العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا
عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة
التي صرح الله لكم (فسوف تعلمون) يعني عاقبة أمركم الى ماذا تصيروا وهو نزول العذاب بكم قوله سبحانه
وتعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد الى المشركين يعني ان المشركين
لا يعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيئا البتة لانهم باجناد والجاد لاعلمه ومنهم من رجح
القول الاول لان في العلم عن الحى حقيقة وعن الجاد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين اول ولانه قال لما
لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا انه عائد الى
المشركين احتجنا فيه الى اضممار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه اله ولاله حق نصيبا
واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم يتضح الى هذا الاضممار لانهم لاعلم لها ولا فهم وقوله (بما رزقناهم) يعني ان
المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حوزتهم وانعامهم وأموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة
الانعام (تالله) أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم اقيامته وهو قوله تعالى (تسئلن عما كنتم تفترون)
يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات

وتشفع وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جاد لا تضر ولا تنفع أو الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لا شياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجمعوا لها
نصيبي في انعامهم ووزر وعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (تالله تسئلن) وعبد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل التقرب

الها) ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة تولد اليه أو تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعني البنتين ويجوز فيهما (١٢٠) الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه

من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبلغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما اطبقوا لفظ البنات على الملائكة لاستنارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث في تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد البنات (ولهم ما يشتهون) يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني البنين (واذا بشر أحدكم بالانثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه ان الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصع قوله واذا بشر أحدكم بالانثى (ظل وجهه مسودا) يعني متغيرا من الغم والحزن والغمظ والكره التي حصلت له عنده هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدكم بالبنات لانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى ففيه تمكيت لهم وتوبيخ ﴿وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعني انه ظل ممتلئا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني انه يخفى من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدكم يتوارى من القوم الى ان يعلم ما ولده فان كان ولدا البتة وسر بذلك وظهروا وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياها حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (أيسكه على هون) يعني على هوان وانما ذكر الضمير في أيسكه لانه عائد الى ما بشر به في قوله واذا بشر أحدكم (أم يدسه في التراب) يعني أم يخفي ذلك الذي بشر به في التراب والدس اخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير ان مضر و خزاعة وتيمما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب في ذلك ما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الخمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد ان يستحيها تركها حتى اذا كبرت ألبسها حبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا أراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينها حتى اذهب بها الى أحمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفنوها من خلفها في تلك البئر ثم يبل التراب على رأسها وكان مصعصعة عم (٢) الفرزدق اذا حس بشئ من ذلك وجهه بابل الى والد البنات حتى يحجبها بذلك فقال الفرزدق فيختبر بذلك وعمى الذي منع الواثبات * فاحيا الوئيد فلم يواد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الواثمة والمورودة في النار أخرجه أبو داود وقوله تعالى (الأساء ما يحكمون) يعني بش ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهم ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكروا لانثى تلك اذا قسمة ضيرى وقيل معناه الأساء ما يحكمون في وأد البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعني صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكر وكرهتهم الاناث وقتلن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) اي الصفة العليا المقدسة وهي ان له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لاله الا هو وأنه جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التي وصف الله به نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (وهو العزيز) أي الممتنع في كبريائه وجلاله (الحكيم) يعني في جميع أفعاله ﴿وقوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية أخرى فمن ظلم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسهم في تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان في جنس الناس الانبياء والصلحاء ومن لا يطابق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم

أى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسودا) أى صار ذنبا وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصبر ورة لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحيامن الناس (وهو كظيم) مما هو حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يستخفي منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعبيرهم ويحدث نفسه وينظر (أيسكه على هون) أيسك ما بشر به على هون وذل (أم يدسه في التراب) أم يدسه (الأساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكرهه الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والزهادة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب في تنفيذ ما أراد (الحكيم) في امهال

العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم قوله مصعصعة كذا بالنسخ بايدنا والصاب جد وكذا قوله وعمى الذي الصواب وحدى الذي كما هو مقرر في كتب الادب اه مصعصع

(من دابة) على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان الحباري الثموني وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاذب الجعل يهلك في حجره يذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يذب (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أي أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ويجعلون لله ما يكرهون (ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف (١٢١) برسالم ويجعلون له أرذل أموالهم

ولا صنماهم - م أكرمها (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أي ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهي الجنة ان كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أو جعفر فالمتوح بمعنى مقدمون الى النار مجنون اليها من أفرطت فلانا وافرطته في طلب الماء اذا قدمته أو منسبون متروكون من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسبته والمكسور والخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفریط في الطاعات أي التقصير فيها (نالته لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أي أرسلنا رسالاتنا الى من تقدمك من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسول (فهو وليهم) أي ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولههم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) يعني في أمور الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والخال من الحرام (وهدى ورجة) يعني وما أنزلنا عليك الكتاب الا لبيانها وهي ورجة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به (قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطار (فاحياه) يعني بالماء (الارض) يعني بالنبات والزروع (بعد موتها) يعني يسهو وجدوتها (ان في ذلك لآية) يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعني سماع انصاف وتدبر وتفكير لان سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان فمن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم

عظيم وقوله (ما ترك عابها) يعني على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض (من دابة) يعني أن الله سبحانه وتعالى لو يؤخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أباه ربه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بس ما قلت ان الحباري تموت هز الا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب في حجره يذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كذبوا وقيل في معنى الآية ولو يؤخذ الله الالباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق في الارض أحد (ولكن يؤخرهم) يعني عملهم بفضله وكرمه وحلمه (الى أجل مسمى) يعني الى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمالهم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذي جعله الله لهم ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولو كان يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله ما يكرهون) يعني لانفسهم وهي البنات (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعني ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمدا صادقا في البعث بعد الموت فان لنا الجنة لا نأعلى الحق فاكذبهم - م الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعني في الآخرة لا الجنة (وأنتهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لاضر الله وقرءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسبون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجبون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان أفرطكم على الحوض أي متقدمكم (نالته لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) يعني كما أرسلناك الى هذه الامة لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسالهم التكذيب ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزيم في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آله بالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته ساطعه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) أي ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولههم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) يعني في أمور الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والخال من الحرام (وهدى ورجة) يعني وما أنزلنا عليك الكتاب الا لبيانها وهي ورجة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به (قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطار (فاحياه) يعني بالماء (الارض) يعني بالنبات والزروع (بعد موتها) يعني يسهو وجدوتها (ان في ذلك لآية) يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعني سماع انصاف وتدبر وتفكير لان سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان فمن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم

(١٦ - خازن - نالت) على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (ولههم عذاب أليم) في القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم) للناس (الذي اختلفوا فيه) هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورجة) معطوفان على محمل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما مفعول الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لافعل المنزل (لقوم يؤمنون) والله أنزل من السماء ماء فأجابها الارض بعد موتها ان في ذلك لآية (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع (وان لكم

في الانعام لعبرة نسقكم مما في بطونه) وبفتح النون نافع وشامى وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واخذ ذكر سيمويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا أو مافى بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقال نسقكم مما في بطونه (من بين (١٢٢) فرب ودم لبناخالصا) أى يخاق الله اللبن وسبطين الفرت والدم يكتنفانه وبينهما

برزخ لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة قبل هو خالص من ذلك كله قبل اذا أكلت الهيمه العلف فاستقر في كرشها طبعته فكان أسفل فرنا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فنجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرت في الكرش ثم يتخذ وفي ذلك عبرة لمن اعتبر ومن شقيق عن الاخلاص فقال تميز العسل من العيوب كتميز اللابن من بين فرت ودم (سائغالشاربين) سهل المرور في الحلق ويقال لم يعص أحد باللبن قط ومن الأولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها الثانية لابتداء الغاية ويتعلق (ومن ثمرات الخيل والاعناب) بمحذوف تقدروه ونسقكم من ثمرات الخيل والاعناب أى من عصيرهما وحذف للدلالة نسقكم قبله عليه وقوله (تخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء أو اتخذون ومنه من تكبر في الظرف لتوكيد الضمير في منه يرجع الى المضاف

في الانعام لعبرة) يعنى اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقكم مما في بطونه) الضمير عائدا الى الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلاف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والاحفش وقال الكسائى انه رده الى ما ذكره يعنى مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكفاية مردودة الى البعض وفيه اضمحار كأنه قال نسقكم مما في بطونه اللبن فاضمير اللبن اذ ليس لسكها اللبن (من بين فرت) وهو ما في الكرش من الشغل فاذا خرج منها لا يسمى فرنا (ودم لبناخالصا) يعنى من الدم والفرت ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرت قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبعته كان أسفل فرنا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الشغل كما هو (سائغالشاربين) يعنى هنيئا سهلا يجرى في الحلق بسهولة قيل انه لم يعص أحد باللبن قطه ذاقول المفسر من في معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء في ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحة متوالبا وما رأى أحدنى كرشا دما ولا لبنا بل الحلق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبع وحصل الهضم الاوّل فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب الى الكبد ومنه الى المثانة وأما الدم فيذهب الى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهنالك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تتكون اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الاشياء الماء كولة الحاصلة في الكرش فاللبن تولد اولاً من الفرت ثم من الدم نائبا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبناخالصا من بين فرت ودم وعند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عز وجل باطيف حكمته في حلة الشددي ثقباصغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالصفاءة لابن فكل ما كان لطيفا من اللبن يخرج باص أو الحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة الدم والفرت سائغالشاربين يعنى جار يافى حلقهم سهلا لذيذ هنيئا ثم يشق قوله عز وجل (ومن ثمرات الخيل والاعناب) يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقكم وترزقكم من ثمرات الخيل والاعناب (تخذون منه) الضمير في منه يرجع الى ما تقدروه ولكم من ثمرات الخيل والاعناب ما اتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالصدر من قولهم سكر سكر وسكرا والرزق الحسن ساثر ما يتخذ من ثمرات الخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل في معرض الانعام والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتجرىم الخمر انما نزل في سورة المسائدة وهى مدينة فكان نزول هذه الآية في الوقت

المحذوف الذى هو العصور والسكر الخمر سميت بالصدر من سكر سكر او سكر انحور شدور شدور شدائم وجهان الذى أحدهما ان الآية سابقة على تجريم الخمر فتكون منسوخة وانها ما أن يجمع بين العناب والمثنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبع حتى يذهب ثلثاه ثم يترشح حتى يشد وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رجعهما الله الى حد السكر ويحتج ان هذه الآية بقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة (ورزقا حسنا) هو الخل والزبيب والتمر والزبيب وغير ذلك

الذي كانت الحجرة فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الآية على تحريم الخمر أيضا لانه ميز بينهما وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروي العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخلل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والطبوغ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيع شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقوال ان قوله تتخذون منه سكرًا منسوخ مثل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من غراتها والرزق الحسن ما حصل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرًا وروي قاضينا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة ترى ان هذه الآية زات بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالدينه فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة وقال أبو عبيدة في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت انهر أي سدته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة ان السكر الطعم (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من انعامه على عباده (لاية) يعني دلالة وبجدة واضحة (لقوم يعقلون) يعني ان من كان عاقلًا استدله هذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووجدانته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقًا قادرًا على ما يريد **قوله** سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وبجائبات صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرت ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكير يستدل به على كمال قدرة الله ووجدانته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بطريق حكمته وقدرته وأصل الوحي الاشارة السري بعمدة ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريف وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقها الله الى انبيائه وحى الى اوليائه الهام وتسخير الطير لما خلقه ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها والهمها رشدها وقدرتها أنفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتها على شكل سدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لسكان فيها يبينها نخل وما حصل المقصود فالهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا الشكل السدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة والهمها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها اميرا كبيرا نافذ الحكم فيها وهي تطيعه وتمتثل امره ويكون هذا الاميرا كبيرا حاجته وأعظمها خلقة ويسمى بعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري والهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها والهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن يخرج من بيوتها قودور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والطنة دل ذلك على الالهام الالهى فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الذبأ أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمى هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني أعطاهم وقال غيره النحل يدكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذا أنثها الله تعالى فقال (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يعني بينون وسقوفون وذلك ان النحل منه وحشى وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوى الى الكهوف ومنه أهلى وهو الذي يأوى الى البيوت ويريه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس بينون للنحل الاماكن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كل من كل الثمرات) يعني من بعض الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمار فلغظة كل ههنا ليست للعموم (فأسلكى سبل ربك) يعني الطرق التي ألهمك الله أن تسلكها وتدخلى فيها لاجل طلب الثمرات (ذلالا) قيل انها نعت للسبل يعني انها

(ان في ذلك لآية لقوم يعقلون) وأوحى ربك الى النحل) والهم (أن اتخذى من الجبال بيوتا) هي أن المفسرة لان الابعاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخله والتأنيث باعتبار هذا ومن في من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) رفعون من سقوف البيت أو ما بينون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها للتبعيض لانها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير في يعرشون للناس وضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كل من كل الثمرات) أى ابني البيوت ثم كل من كل ثمرة تشبهها فاذا أكلتها (فأسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو اذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فأسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضل فيها (ذلالا) جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها أو من الضمير في فأسلكى أى وأنت ذلل منقاد لما أمرت به غير ممنعة

(يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه بما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشبَاب والكحول والشيب أوعلى ألوان أغذيتها (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتكثيره لتعظيم الشفاء لذى فيه أولان فيه بعض الشفاء لان التكررة في الاثبات تخص وشكارجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا لشفاه وقال زاده شراف قال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصع وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاء من القرآن والصدور فعليكم بالشفاء من القرآن والعسل ومن يدع الرافض ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم ان وجلا قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاحتذوه أضحوكة

مذلة لك العارق مسهولة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعد عليها مكان تساهم وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها مذلة مسخرة لاربابها طبيعة منقادة لهم حتى انهم ينفونهم من مكانها الى مكان آخر حيث شاءوا وأرادوا تستعصى عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلف ألوانه) يعنى ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدره الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام نضر الدين الرازى انه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها تتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فاننا شاهدان النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعنى من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا شاهدان به وجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجدونها ويحياها وطعمها فيه أيضا وهذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لافانها هذه الريح التي أجد منك قال سقني حفصة شربة عسل قالت جرت نحل العرطف العرطف شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كرهه الرائحة فعنى جرت نحل العرطف أكلت و رعت من العرطف الذي له الرائحة الكريمة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريح طعم مايا كاله النحل ولونه وريح ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو أطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فيبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا أطلق لم يرده الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (فيه) يعنى في الشراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذا ضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شئ الا لطح الموضوع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب بمختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدرى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أختي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال انى سقيت عسلا فلم يزد الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيت فلم يزد الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض المحمدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء يجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصفان به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض المجد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها التخم والهضات وقد أجمع الاطباء على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعالها فان احتاجت الى معين على الاسهال أعينت مادامت القوة باقية فما حبسها فضرع عندهم واستعمال مرض فيحتمل أن يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هزيمة فذو أثره بترك اسهاله على ما هو عليه أو تقوية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان فئت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافق شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهارا لتعديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوا كذبناهم وكفرتناهم بذلك وانما ذكرنا هذا

الجواب الجاري على صناعة الطب المعتض به لا يحسن صناعة الطب التي اعتض بها والله أعلم
وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بالوحي الالهي ان
العسل الذي أمره بشر به سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما
وعده به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعني باستجمالك للشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده واسرار رسوله
صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفر اعوجج الحرارة و يضر
بالشباب المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض أيضا ان قوله فيه شفاء للناس مع انه يضر
باصحاب الصفر اعوجج الحرارة انه يخرج الاغلب وان في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس
لكل داء ولكنه في الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقيل معجون من المعاجين الاوتمامه به والاشربة
المأخوذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرورين ومنفعة كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء
للاوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لانه شفاء من
أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب ان يعود
الى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى ان يرجع الضمير
اليه لانه أقرب مذكور وقوله سبحانه وتعالى (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعني فيعتبرون ويستدلون
بما ذكرنا على وحدانية او قدرتنا وقوله عز وجل (والله خلقكم) يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم
الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) يعني عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم
من ردى إلى أرذل العمر) يعني أردأه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب
أولها من النشو والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد
ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكال العقل ثم المرتبة
الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع للانسان في النقص ولكنه يكون
نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص
ويكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة
وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من
العجز والكسل والجن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية
أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل
وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) يعني ان الانسان
يرجع الى حالة الطفولية بنفسه ان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له
وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى
يذهب عقله خروفا يصير بعد ان كان عالما جاهلا ليرىكم الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته واجبايته انه قادر
على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقول عنه ولو قال ليرىكم الله من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم الى
الجهل انه قادر على اجبايته بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس
ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من
قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم
الذين قرأوا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال
تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى (ان الله عليم) يعني بما صنع بأوليائه وأعدائه (قد ير)
يعني على ما يريد وقوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني ان الله سبحانه وتعالى بسط على
واحد وضيق وقتر على واحد وكثروا لواحد وقل على آخر وكذا فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل
بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم

من أضحكهم (ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون) في
عجيب أمرها في علمون ان
الله أودعها علما بذلك
وظنها كما أعطى أولي العقول
عقولهم (والله خلقكم ثم
يتوفاكم) بقبض أرواحكم
من أبدانكم (ومنكم من
ردى إلى أرذل العمر) الى
أنحسه وأحقره وهو خمس
وسبعون سنة أو ثمانون أو
تسعون (لكيلا يعلم بعد
علم شيئا) لينسى ما يعلم أو
لئلا يعلم زيادة علم على علمه
(ان الله عليم) بحكم التحويل
الى الارذل من الاكمل أو
الى الافناء من الاحياء
(قد ير) على تبديل ما يشاء
كإيشاء من الاشياء (والله
فضل بعضكم على بعض
في الرزق) أي جعلكم
متفاوتين في الرزق فرزقكم
أفضل مما رزق مما لي بكم
وهم بشر مثلكم

(فما الذين فضلوا) في الرزق يعني الملائكة (برادى) يعطى (رزقهم على ما ملكت أيانهم) فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه وعليهم حتى تنساوا في الملابس والمطعم (فهم فيه سواء) جله اجمية وقعت في موضع جله فعلية في موضع النصب لانه جواب النفي بالغناء وقد روي الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضرب به الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به (١٢٦) عليكم ولا تجعلوا منهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء

(أفبعمه الله سبحانه وتعالى) وبالثناء أبو بكر فجعل ذلك من جله تجود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعي وتحفد واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أي بعضها لان أكل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا التزوج منها (أقبا بالطل يؤمنون) هو ما يعتق دونه من منفعة الاصنام وشقاقها (وبنعمت الله) أي الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يسوق لهم الشيطان من تحريم الجسيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله مالا يكمل لهم رزقا

متفاوتون ومتباينون في ذلك كما وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدره الربانية (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيانهم) يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا لهم ومما يليكم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى يلزم بهذه الحجة المتركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضرب به الله عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى ان يسركم بمثلوا كه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية ان المولى والمالك الله رزقهم جميعا (فهم فيه) يعني في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن المولى يردون رزقهم على مما يليكم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أحراه على أيدي المولى للمالك والمقصود منه بيان ان الرزق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان المولى والمالك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المولى بل الرزق للمالك والمالك هو الله سبحانه وتعالى ﴿وقوله﴾ (أفبعمه الله سبحانه وتعالى) فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمة الله وعبادوا غيره ﴿وقوله﴾ عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء خلقا من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام بعم الكل فخصه بآدم وحواء بخلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك نسعي وتحفد أي تسرع الى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا انهم أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) فيجعل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عن ابن عباس بنوا أم القرى الذين ليسوا منهم وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التي أنعم الله عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الخلال من ذلك كله (أقبا بالطل يؤمنون) يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل بمعناه يصدقون ان لى شركاء وصاحبة واولاد وهذا استفهام انكار أى ليس لهم ذلك (و بنعمت الله هم يكفرون) يعني انهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل بمعناه انهم يجحدون ما أحل الله لهم (و يعبدون من دون الله مالا يكمل لهم رزقا من السموات والارض) يعني الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدر رزقها على اخراج النبات الذي في الارض معدنه (شياء) يعني لا يكمل من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل بمعناه يعبدون مالا يرزق شيئا (ولا يستطيعون) يعني ولا يقدر رزقهم على شيء يذ كرمح الاصنام عن اصال نفع أو دفع ضرر (فلا تضر بوالله الامثال) يعني لا تشبهوا الله بخلقها فانه لا مثل له ولا يشبهه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق أو الرزاق بالمرزوق أو القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعني ما أنتم عليه من ضرب الامثال له (وانتم لا تعلمون)

من السموات والارض شيئا) أى الصم وهو جسد لا يكمل أن رزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما رزق فان أردت المصدر نصبت به شيئا أى لا يكمل أن رزق شيئا وان أردت المرزوق كان شيئا بلامنه أى قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا أى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما للرزق والضمير في (ولا يستطيعون) لانه في معنى الالهة بعد ما قال لا يكمل على اللفظ والمعنى لا يكملون لرزق ولا يكملهم أن يكملوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضر بوالله الامثال) فلا تجعلوا الله مثله لانه لا مثل له أى فلا تجعلوا له شركاء (ان الله يعلم) انه لا مثل له من الخلق (وانتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك والوجه

الأول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله الأعبدا) هو بدل من مثلاً (مملوك لا يقدر على شيء) (١٢٧) ومن رزقناه مناراً فاحسنناه و ينفق

منه سرا وجهراً) مصدران في موضع الحال أي مثلكم في أشرا كسكم بالله الأذن ان مثل من سوى بين عبدا مملوك عاجز عن التصرف وبين مملوك عاجز عن التصرف وبين حرمالك قدر رزقه الله مالا فهو ويتصرف فيه وينفق منه ماشاء وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هـ ما من عبدا الله ولا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أي وحر رزقناه ليطابق عبدا أو موصولة (هل يستون) جمع الضمير لارادة الجمع أي لا يستوي القليلان (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بان الحدو العبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) الابكم الذي ولد أحمس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاة) أي نقل وعيال على من يلي أمره ويعوله (أي بما وجهه لايات بخير) حيثما يرسله و يصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفعه ولم يات بخير (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو سليم الخواس نفاع ذو كفايات معرشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) التي هي أموات لا تضرب ولا تنفع

خطأ ما تضربون له من الامثال قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوك لا يقدر على شيء) ومن رزقناه مناراً فاحسنناه) فانهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال اقله علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً فقال تعالى مثلكم في أشرا كسكم بالله الأذن ان مثل من سوى بين عبدا مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كرم مالك قادر قدر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فصرح العقل يشهد بان لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلق والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تمك ولا تقدر على شيء البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبدا المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبدا الذي لا يقدر على التصرف في نفسه الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبدا الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه مناراً فاحسنناه المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وانغناء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فانابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوك لا يقدر على شيء وكل عبدا مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليمتاز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهم ما من عبدا الله وقوله لا يقدر على شيء احترزه عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لانهم ما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا (هل يستون) ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كإلا يستوي هذا الفقير الخليل والغني السخى كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن الطائع وقال عطاء في قوله عبدا مملوك كاهو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه مناراً فاحسنناه أبو بكر الصديق ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرزاق لا هذه الاصنام التي عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها اجاد عاجزة لا يدلها على أحد ولا معروف فتحمده عليه انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والشناء الحسن (بل أكثرهم) يعني الكفار (لا يعلمون) يعني أن الحمد لله لا لهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أحمس فكل أبكم أحمس وليس كل أحمس أبكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء) هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاة) أي ثقيل على من يلي أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقبض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقيل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاة أي غليظ ثقيل على مولاة (أي بما وجهه) أي حيثما يرسله و يصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم (لايات بخير) يعني لا يات بخير لانه أحمس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوي) يعني من هذه صفة (هو) يعني صاحب هذه الصفات الذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هو سليم الخواس نفاع ذو كفايات نورش وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل نان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشمله به من آثار رحمته وأطافه وللانصنام التي هي أموات لا تضرب ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابدين لانهم يحتاج الى كفاية الجمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثليين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فلي هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمر بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامسالك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يات بخير وقيل المراد لابكم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل نان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته وللانصنام التي هي أموات لا تضرب ولا تنفع

(ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وحق عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الكلح البصر) كرجع نظره وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف (١٢٨) زمان أقل منه (أوهو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب ولكن المعنى كونوا

في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات لتوكيد كما زيدت في أرافة قيل اهران وشذت زيادتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير علمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والاذن لعلكم تشكرون) أي وماركب فيكم هذه الاشياء الآلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافتداه في فؤاد كالغربة في غراب وهو من جوع الغلة التي جرت بجري جوع الكثرة لعدم السماع في غيرها (ألم يروا) وبالتالي شامى وحمزة (الى الطير مسخران) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المراتبة لذلك (في جو

الذي لا يأتي بخير أبي بن خلف وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون) (ولله غيب السموات والارض) أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الكلح البصر) يعني في السرعة ولح البصر هو انطباق جفن العين وفتحها وهو طرف العين أيضا (أوهو أقرب) يعني ان لح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا قاله كن فيكون في أسرع من لح البصر وهو قوله (ان الله على كل شيء قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئا كان أسرع مما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في أقرب من لح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان به متى شاء لا يعجزه شيء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) تم الكلام هنا لان الانسان خلق في أول الفطرة ومبداً ما خالها من العلم والمعرفة لا يمتدى سبيلها ثم ابتداء فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والاذن) يعني ان الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتعلموا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الاذن لتعلموا بها وتفهوا معاني الاشياء التي جعلها لائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا ما اعطاه الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعلموا عظمة الله وقيل في معنى الآية وانه خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم صوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الآلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جهلة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء تقديم الاخراج وتأخير هذه الحواس لا يدل على ان خلقتها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿ وقوله تعالى ﴾ (لعلكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم به عليكم (ألم يروا الى الطير مسخران) يعني مذللات (في جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوائن عشريلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما عسكهن الا الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بما على ان لها مسخران مسخرها ومذللات لها ومسكها في حال طيرها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما انحصر المؤمنون بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الفاء أو بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاحبية والفساطيط المتخذة من الادم والانتفاع واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة

السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمات العلو (ما عسكهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته وفيه نفي لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الخلق لاغنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن به وينقطع اليه من بيت أو الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي قباب الادم

(تستخفونها) ترونها خفية الحمل في الضرب والنقض والنقل (يوم طعنكم) يسكون العين كوفي وشامى ويضع العين غيرهم والفاعل يفتح
العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم في منازلكم والمعنى انها خفية (١٢٩) عليكم في اوقات السفر والحضر على ان

اليوم بمعنى الوقت (ومن
اصوافها) أى اصواف
الضأن (وأوبارها) وأوبار
الابل (وأشعارها)
وأشعار المعز (أناثنا)
متاع البيت (ومتاعا)
وشياً ينتفع به (الى حين)
مدة من الزمان (وانه)
جعل لكم مما خلق ظلالا)
كلاشجار والسقوف
(وجعل لكم من الجبال
أكنانا) جمع كن وهو ما
سترل من كهف أو غار
(وجعل لكم سراييل)
هى القمصان والثياب من
الصوف والسكان والقطن
(تقيمكم الحر) وهى تقي
البرد أيضا الا انه اكتفى
بأحد الضدين ولان الوقاية
من الحر أهم عندهم
لكون البرد سيرا محتملا
(وسراييل تقيمكم بأسكم)
ودروع من الحديد ترد عنكم
سلاح عدوكم فى قتالكم
والباس شدة الحرب
والسريال عام يقع على
ما كان من حديد أو غيره
(كذلك يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون) أى
تنظرون فى نعمته الفائضة
فتؤمنون به وتنقادون له
(فان تولوا) أعرضوا عن
الاسلام (فانما عليك البلاغ
المبين) أى فلا تبعه عليك
فى ذلك لان الذى عليك
هو التبليغ الظاهر وقد

من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعنى يخف عليكم جملها (يوم طعنكم) يعنى فى يوم
سيركم ورجلهم فى أسفاركم وطعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعنى وتختف
عليكم أيضا فى اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم فى الخالتين (ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها)
الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن اصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أناثنا) يعنى تتخذون أناثنا
الاناث متاع البيت الكبير وأصله من أت اذا كثرت وتكاثفت وفعل للمال أناث اذا كثرت قال ابن عباس أناثنا
يعنى مالا وقال جاهد متاعا وقال القتيبي الاناث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاناث
هو متاع البيت من الفرس والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعنى وبلاغا وهو ما يتمتعون به (الى حين) يعنى
الى حين يبلى ذلك الاناث وقيل الى حين الموت فان قلت أى فرق بين الاناث والمتاع حتى ذكره بواو العطف
والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاناث ما كثر من آلات البيت وحوادثه وغير ذلك فيدخل فيه
جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين الافظلتين والله أعلم (وانه جعل لكم
مما خلق ظلالا) يعنى جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الانيق والجدران والاشجار
(وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالسراب والغيران
وتنحوها وذلك لان الانسان امان يكون غنيا وفقيرا فاذا سافر احتاج فى سفره ما يقيم من شدة الحر والبرد فأما
الغنى فيستصحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتنا
وأما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم
مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدقع شدته
وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني فى معرض الامتنان عليهم به لان النعمة عليهم فيها ظاهرة
(وجعل لكم سراييل تقيمكم الحر) يعنى وجعل لكم تصاوتيا با من القطن والسكان والصوف وغير ذلك
تذعنكم من شدة الحر قال أهل الملقى والبرد فاكتفى بذكر أحدهما للدلالة الكلام عليه (وسراييل تقيمكم
بأسكم) يعنى الدروع والجواشن وسائر ما يلبس فى الحرب من السلاح والباس الحرب يعنى تقيمكم فى بأسكم
السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال
أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كقال ومن اصوافها وأوبارها
وأشعارها وما جعل لهم من القطن والسكان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكقال تعالى
ويزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيمكم
الحر وما جعل لهم مما بقى من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعنى
كأنتم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم بأهل مكة
تخلصون لله الواحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى (فان
تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر والذات الدنيوية
فانما بال ذلك عليهم لا عليك (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انما
عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدى
نعمته الله يعنى محمد صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمته الله هى الاسلام لانه من أعظم النعم
التي أنعم الله بها على عباده ثم انكروا كفرهم مكة أنكروه وبجده وقال جاهد وقتادة نعمته الله ما عدد عليهم فى
هذه السور ومن النعم يعرفون بانها من الله ثم اذا قبل لهم صدقوا وامتلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون
ورنناها عن آباءنا وقال السكبي انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كاهنا من الله تعالى لكتنها بشفاة آلهتنا
وقيل هو قول الرجل لوفلان لكان كذا لوفلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهم هذه النعم

(وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله بنوره محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرون ومنها عبادا
وأكثرهم الجاحدون المنكرون ويقولونهم ونم بدل على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف
لأن ينكر (ويوم) انتصابه بأذكر (١٣٠) (نبعث) نخسر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب

والإيمان والكفر (ثم لا
يؤذن للذين كفروا) في
الاعتذار والمعنى لاجتماعهم
فقد بترك الأذن على أن
لا حاجة لهم ولا عذر (ولاهم
يستعجبون) ولا هم
يسترضون أي لا يقال لهم
ارضوا ربكم لأن الآخرة
ليس بداعمال ومعنى ثم
هم بمنون أي يتلون بعد
شهادة الأنبياء عليهم
السلام بما هو أطم وأغلب
منها وهو أنهم يمنعون
الكلام فلا يؤذن لهم في
القاء معذرة ولا ادعاء بحجة
(وإذا رأى الذين ظلموا)
كفروا (العذاب فلا يخفف
عنهم) أي العذاب بعد
الدخول (ولاهم ينظرون)
يمهلون قبله (وإذا رأى
الذين أشركوا شركاءهم)
أو أناتهم التي عبدوها (قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا) أي
آلهتنا التي جعلناها شركاء
(الذين كنا ندعو من
دونك) أي نعبد (قالوا
اليهم القول انكم كاذبون)
أي أجابوهم بالتكذيب
لأنها كانت جساد لا تعرف
من عبدها ويحتمل أنهم
كذبوهم في تسميتهم شركاء
وآلهة تنزهها الله عن الشرك
(وألغوا) يعني الذين ظلموا
(إلى الله يومئذ السلم) القاء

واسكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها عليها (وأكثرهم الكافرون) إنما قال سبحانه وتعالى
وأكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر
عن الباغين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا
وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد زيد الكرا أكثر و براديه الجمع قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من
كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكروا أن أكثرهم كافرون
اتبع بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل شئ أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو
يوم القيامة والمراد بالشهداء الأنبياء يشهدون على أممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين
كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا
فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم
يستعجبون) الاستعجاب طلب العتاب والمعجبة هي العاطفة والموجدة التي تجدها الإنسان في نفسه على غيره
والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضا عنه وإذا
لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكفون أن يضوا بهم في ذلك
اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا رضوا بهم فلا يستعجاب
التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسدى الكفار في الآخرة (وإذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم
بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولاهم ينظرون) يعني
لا يؤخرون ولا يهلون (وإذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا
يعبدونها في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) يعني آرباوا وكان يعبدونهم وتخذهم
آلهة (فألغوا) يعني الأصنام (اليهم) يعني إلى عابديها (القول انكم كاذبون) يعني ان الأصنام
قالت للكفار انكم كاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا فان قلت الأصنام جساد
لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يعبدان الله سبحانه وتعالى لما عبثها وأعادها في الآخرة خلق
فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من أعادتها وعبثها أن تكذب الكفار وبراها الكفار
وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غمنا وحسرة (وألغوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم)
يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن
المشركين (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون في الدين في قواهم ان الأصنام تشفع لهم (الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضموا مع كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله
(زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدقهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه
من العذاب على كفرهم الأصلي واختلافه في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقاب لها
أنياب كأمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبيرة حيات كالخج وعقارب أمثال البغال تلسع أحدها
اللسعة فيجد صاحبها ألمها أو بعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أشهر من صدق مذب كالنار
تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل أنهم يخترجون من حر النار إلى برد
الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب
كفرهم وضعفا بسبب صدقهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة إنما حصلت
لهم بسبب صدقهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم

السلم الاستسلام لأم الله وحكمه بعد الإباء والاستبكار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن الله شركاء
وأنتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأ منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وجلاوا غيرهم على الكفر
(زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا يكفرهم وعذابا يصددهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكفرهم مفسدين الناس بالصد (ويوم

نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم) يعني نبههم لانه كان يعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجنابك) يا محمد (شهيداً على هؤلاء) على أمتهك (وزلنا عليك الكتاب تبياناً) بليغاً (اسكل شئ) من أمور الدين امانى الاحكام (١٣١) المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة

أر بالا جماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لان مرجع السك الى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحننا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه بقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمرنا به بقوله فاعتبروا يا أولى الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابي والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين انه كان تبياناً لكل شئ (وهدي ورحمة بشرى للمسلمين) ودلالة الى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذي حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم أوهما الفرض والندب لان الفرض لا بد من أن يقع فيه تفر يطفيح به الندب (وايتاء ذى القربى) واعطاء ذى القربى وهو

نبعث في كل أمة شهيداً عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل شاهد عليها (من أنفسهم) يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجنابك) يعنى يا محمد (شهيداً على هؤلاء) يعنى على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (وزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (تبياناً لكل شئ) تبياناً اعم من البيان قال مجاهد يعنى لما أمر به وما نهى عنه وقال أهل المعاني تبياناً لكل شئ يعنى من أمور الدين اما بالنص عليه أو بالا حلاله على ما وجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما فى القرآن من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الاممة فهو أيضاً أصل ومفتاح لعالم الدين (وهدي) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى ان آمن به وصدق (وبشرى للمسلمين) يعنى وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلق الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمناً تحب أن يزداد ما يؤاوان كان كافراً تحب أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شئ من غير زيادة في شئ ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خيراً نغير وان شراً نفسر والاحسان أن تقابل الخير باكثر منه والشرب أن تغفوه عنه وقبيل العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف للنعيم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك وقبيل يأمر بالعدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء ذى القربى) يعنى ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعنى الزنا وقال غيره الفحشاء ما وقع من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغى) يعنى الكبر والظلم وقيل البغى هو التناول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصى البغى ولو أن جبلين بنى أحدهما على الآخر لكان الباغى وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سر بره أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سر بره وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابله الفحشاء وهي ما وقع من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تغفوه عن ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وذكر في مقابله المنكر وهو ان تنسك احسان من أحسن اليك وذكر ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابله البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ﴿ ثم قال تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يعنى انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لعلكم تتعظوا وتذكروا فاعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن لخبر وشهد هذه الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى وزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فبان شئ يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية ورودى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله انه له لحلاوة وان عليه

صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنسك العقول (والبغى) طلب التناول بالظلم والكبر (يعظكم) حال أو مستأنف (لعلكم تذكرون) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسلمت الا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية فقرأت عنده فاستقر الايمان في قلبي

فقرأها على الوليد بن المغيرة فقال والله إن له الحلاوة وان عليه اطلاوة وان أعلا لمثمر وان أسفله لغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل ان
 الهه ليا مرم بكارم الاخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخبير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتذكرون عظمت جامعة
 لكل مأمور ومنهسى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
 (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة (١٣٢) (بعد تو كيدها) بعد وثيقها باسم الله وأكذو وكذ لغتان فصيحتان والاصل الواو والهزمة

بدل منها (وقد جعلتم الله
 عليكم كفيلا) شاهدا
 ورقيبان الكفيل مراد
 لحال المكفول به مهيمن
 عليه (ان الله يعلم ما تفعلون)
 من البر والخير فيجازيكم
 به (ولا تكونوا) في نقض
 الايمان (كالتى نقضت
 غزلهما من بعد قوة) كالمرأة
 التى انحطت على غزلهما بعد
 ان أحكمته وأمرته فجعلته
 (أنكنا) جمع نكت وهو
 ما ينكت فتله قبل هي رباطة
 وكانت حقاقة تغزل هي
 وجواربها من الغداة الى
 الظهر ثم تأمرهن فينقضن
 ماغزلن (تخذون
 ايمانكم) حال كانكنا
 (دخلا) أحد مفعولى
 اتخذ أى ولا تنقضوا ايمانكم
 متخذين ادخلا (بينكم)
 أى مفسدة وخيانة (أن
 تكون أمة) بسبب أن
 تكون أمة يعنى جماعة
 قريش (هى أربى من أمة)
 هى أزيد عدد أو فرمالا
 من أمة من جماعة المؤمنين
 هى أربى مبتدأ وخبر فى
 موضع الرفع صفة لامة وأمة
 فاعل تكون وهى تامة
 وهى ليست بفصل لوقوعها
 بين نكرتين (انما يبلى الله

لعلاوة وان أعلا لمثمر وان أسفله لغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)
 لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر فى هذه الآية
 بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكد الحقوق يقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا
 عاهدتم نزلت فى الذين يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد
 منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا ان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال
 القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه صلاح فلا
 يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف بيميننا ثم رأى غير هانئ امرها فليأت الذى هو خير وليكفر عن
 يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذى خصصته السنة وقال مجاهد روتة نزلت فى حلف أهل
 الجاهلية يشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة
 (ولا تنقضوا الايمان بعد تو كيدها) يعنى تشديدها فتحثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين
 لانه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيد بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ما تفعلون) يعنى من
 وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعنى فى
 نقض العهد (كالتى نقضت غزلهما من بعد قوة) يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال السكبي ومقاتل هذه
 امرأة من قريش يقال لها رباطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء جفاء بها
 وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل
 الغزل من الصوف أو الشعرا أو الوبر وتأمروا بها بالغزل فكان يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا
 انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ماغزلن فكان هذا أربى والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا
 حين عملت كفت عن النقص فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهدوه به (أنكنا) جمع نكت
 وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد الفتل (تخذون ايمانكم دخلا بينكم) يعنى دغلا وخيانة وخديعة
 والدخل ما يدخل فى الشئ على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن
 نقضه (أن تكون) يعنى لان تكون (أمة هى أربى من أمة) يعنى أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك
 انهم كانوا يحالفون الجاهل فاذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعرضوا لنقضه وحلف هؤلاء وحالفوا الاكثر
 والمعنى انكم طلبتم الغز بنقض العهد لان كانت أمة أى جماعة أكثر من جماعة فهاهم الله عن ذلك
 وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (انما يبلى الله به) يعنى يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو
 أعلم بكم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعنى فى الدنيا فيشيب الطامع المحق ويعاقب المسيء
 المخالف قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعنى على امة واحدة ودين واحد وهودين
 الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعنى بخذلانها اياه عدلانها (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياه فضلامنه وذلك
 مما اقتضته الحكمة الالهية لا يستل عما يفعل وهم يستلون وهو قوله تعالى (ولست ائمنن عما كنتم تعملون)
 يعنى فى الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسيء عياساته أو يعفوله قوله عز وجل (ولا تتخذوا
 ايمانكم دخلا بينكم) يعنى خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى ايمانكم ويأمنوا اليكم ثم
 تنقضونهم انما كرم هذا المعنى تأكيدها عليهم واظهار العظم أمر بنقض العهد قال المفسرون وهذا فى نهي

به (الضمير للمصدر) أى انما يختبركم بكونهم أربى لينظر ائمنسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدهم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله
 الله عليه وسلم أم تغفرون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقدهم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على أعمالكم
 بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار
 الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولست ائمنن عما كنتم تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم)

كروا النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدها عليهم واطهار العظمة (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محبة الاسلام بعد ثبوتها
علمها وانما وجدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء)
في الدنيا (بما صدقتم) بصدوركم (عن سبيل الله) وخرجكم عن الدين أو بصدوركم غيركم لأنهم لو نقضوا ايمان البيعة زارتوا اتخذوا نقضها
سنة لغبرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشركوا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) (١٣٣) وبعقر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(عنا قليلا) عرضا من
الدنيا يسيرا كأن قوما
من أسلم بمكة تزير لهم
الشیطان لجزعهم مازوا
من غلبة قريش واستضعافهم
المسلمين ولما كانوا يعدونهم
ان رجعوا من المواجد
أن ينقضوا ما بايعوا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فثبتهم الله (ان ما عند الله)
من ثواب الآخرة (هو
خير لكم ان كنتم تعلمون
ما عندكم) من أعراض
الدنيا (ينفذ وما عند الله)
من خزان رحمة (باق)
لا ينفذ (وليجزين) وبالنون
مكي وعاصم (الذين صبروا)
على أذى المشركين ومشافق
الاسلام (أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون من عمل
صالحا من ذكروا أني)
من مهم يتناول النوعين
الآن ظاهرا للذكور
فبين بقوله من ذكروا أني
ليعم الموعد النوعين جميعا
(وهو مؤمن) شرط الايمان
لان أعمال الكفار غير معتد
بها وهو يدل على ان العمل
ليس من الايمان (فلنجينه
حياة طيبة) أي في الدنيا
لقوله (ولنجيز بينهم
بأحسن ما كانوا يعملون)

الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام منهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده وهو قوله
سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يلبق بنقض عهد غيره انما يلبق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الايمان به وبشرعته ﷺ وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذ كر لسكل من وقع في بلاء ومحنة بعد
عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لسكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل
أقدامكم عن محبة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صدقتم عن سبيل الله) يعني
بسبب صدقكم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره بنقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك
(ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشركوا بعهد الله عن قليل) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا
بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولا تكن (أوفوا بما) (ان ما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء
بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ﷺ ثم بين ذلك فقال
تبارك وتعالى (ما عندكم ينفذ) يعني من متاع الدنيا ولذاتها ينفذ ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب
الآخرة ونعيم الجنة (ولنجيز من الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني ثواب
صبرهم (بأحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب
دنياه أضرب آخرة ومن أحب آخرة أضرب دنياه فأمر وأما يبق على ما يقضى وقوله سبحانه وتعالى (من
عمل صالحا من ذكروا أني وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما الفائدة الذكروا أني قلت
هو مهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكروا أطلق كان الظاهر تناوله للذكروا أني فقبل من
ذكروا أني على التبيين ليع الموعد النوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب
والمبالغة في تقر بالوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للثواب كيدوازاله لوهم التخصيص وقوله وهو
مؤمن جعل الايمان شرطافي كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنجينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير
وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة
وقيل رزق يوم يوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا
لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل
الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بقدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر
الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول
الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وعناء وحرص وكذ لا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر
بهذا ان عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبولان المؤمن
بشرع المولود من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنجينه حياة طيبة هي الجنة وروى عوف
عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم ومالك بلا هلك
وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة واقوله في سياق الآية (ولنجيز بينهم
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة ﷺ قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لان النبي

وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فاتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا
يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهروا ان كان معسرا فمعسا يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فامر به بالعكس ان
كان معسرا فظاهروا ان كان موسرا فالحرص لا يدهه أن يتنأبعا بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع
الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فعبير عن ارادة الفعل
يلفظ الفعل لانها سبب له والفاء لتعقيب اذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعني ابليس (الرجيم)

الشیطان الرجیم فقال لی
قل أعوذ بالله من الشیطان
الرجیم هكذا قرأنی به
جبریل علیه السلام (انه
لیس له) لا یلیس (سلطان)
تسلط وولاية (على الذین
آمنوا وعلى ربهم یتوکلون)
فانؤمن المتوکل لا یقبل
منه وسواسه (انما سلطانه
على الذین یتولونه) یتخذونه
ولیاو یتبعون وسواسه
(والذین هم به مشرکون)
الضمیر یعود الی ربهم أو
الی الشیطان أى بسببه
(واذ بدلنا آیه مکان آیه)
تبدیل الآیه مکان الآیه
هو النسخ والله تعالی ینسخ
الشرائع بالشرائع لحکمة
رأها وهو معنی قوله (والله
أعلم بما ینزل) وبالتخفیف
مکی وأبو عمرو (قالوا انما
أنت مفتر) هو جواب اذا
وقوله والله أعلم بما ینزل
اعتراض كانوا یقولون ان
مجدا ینسخ بأصحابه
بأمرهم الیوم بأمر
وبیناهم عنه غدا فبأتمهم
بما هو أھون ولقد افتروا
فقد کان ینسخ الاشقی
بالاھون والاھون بالاشقی
(بل أكثرهم لا یعلمون)
الحکمة فی ذلك (قل نزلہ
روح القدس) أى جبریل
علیه السلام أضيف الی
القدس وهو الطھر كما یقال
حاتم الجود والمراد الروح
المقدس وحاتم الجواد
والمقدس المظھر من الملائکة

صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمرهم افعيره اولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا
في القاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهمذا السبب أمر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبريل بن مطعم انه
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد
لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكثرة وأصليا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثته وهمزته قال
نفخته الكبير ونفثته السحر وهمزته الموتة أخرجه أبو داود الموتة الجنون والفاعى قوله فاستعذ بالله
للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو
قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما
حصات الواسوس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك
الواسوس وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثريين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء
الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية اذا أردت أن تقرأ القرآن
فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام
اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فتأهب وأيضاف الوسوسة انما تحصل في أثناء
القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها
ومذهب عطاء انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء
على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة
والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان وسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو
اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله
اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذین آمنوا وعلى ربهم یتوکلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه
وسلم بالاستعاذة من الشیطان فكان ذلك أوهم انه له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فأزال الله سبحانه
وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعنى ليس له قدرة ولا ولاية على الذین آمنوا وعلى ربهم یتوکلون
قال سفيان ليس له سلطان على أن يمحلمهم على ذنب لا يغفر (١) ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا
حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشیطان الابعصمة الله ولهذا قال
المحققون لا حول عن معصية الله الابعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه
على الذین یتولونه) يعنى بطبيعته ویدخلون فی ولايته يقال توليته اذا طعمته وتوليت عنه اذا عرضت عنه
(والذین هم به مشرکون) يعنى بالله وقيل الضمیر فی به راجع الی الشیطان والمعنى هم من أجله مشرکون
بالله ﷻ قوله سبحانه وتعالى (واذ بدلنا آیه مکان آیه والله أعلم بما ینزل) وذلك ان المشرکين من أهل مكة
قالوا ان مجدا ینسخ بأصحابه یا أمرهم الیوم بأمر وینهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر یتقوله من تلقاء نفسه فانزل
الله هذه الآیه والمعنى واذا نسختنا حکم آیه فأبدلنا مكانه حکم آخر والله أعلم بما ینزل اعتراض دخل فی
الكلام والمعنى والله أعلم بما ینزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقهم وبما یغیر وببديل من أحكامه أى هو
أعلم بجمع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبیح وتقریح للكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما أنت مفتر) أى تخلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالی أعلم بما ینزل
فما بالهم ینسبون مجدا الی الافتراء والكذب لاجل التبدیل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الی مصالح العباد
كما یقال ان الطیب یا أمر المریض بشرب دواء ثم بعد ذلك ینهاه عنه ویامره بغيره لما يرى فیه من المصلحة (بل
أكثرهم لا یعلمون) يعنى لا یعلمون فائدة الناسخ وتبدیل المنسوخ (قل) أى قل لهم یا مجدا (نزلہ) يعنى
القرآن (روح القدس) يعنى جبریل صلى الله عليه وسلم أضيف الی القدس وهو الطھر كما یقال حاتم الجود

(١) قوله ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الابعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الابعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذین یتولونه) يعنى بطبيعته ویدخلون فی ولايته يقال توليته اذا طعمته وتوليت عنه اذا عرضت عنه (والذین هم به مشرکون) يعنى بالله وقيل الضمیر فی به راجع الی الشیطان والمعنى هم من أجله مشرکون بالله ﷻ قوله سبحانه وتعالى (واذ بدلنا آیه مکان آیه والله أعلم بما ینزل) وذلك ان المشرکين من أهل مكة قالوا ان مجدا ینسخ بأصحابه یا أمرهم الیوم بأمر وینهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر یتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآیه والمعنى واذا نسختنا حکم آیه فأبدلنا مكانه حکم آخر والله أعلم بما ینزل اعتراض دخل فی الكلام والمعنى والله أعلم بما ینزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقهم وبما یغیر وببديل من أحكامه أى هو أعلم بجمع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبیح وتقریح للكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما أنت مفتر) أى تخلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالی أعلم بما ینزل فما بالهم ینسبون مجدا الی الافتراء والكذب لاجل التبدیل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الی مصالح العباد كما یقال ان الطیب یا أمر المریض بشرب دواء ثم بعد ذلك ینهاه عنه ویامره بغيره لما يرى فیه من المصلحة (بل أكثرهم لا یعلمون) يعنى لا یعلمون فائدة الناسخ وتبدیل المنسوخ (قل) أى قل لهم یا مجدا (نزلہ) يعنى القرآن (روح القدس) يعنى جبریل صلى الله عليه وسلم أضيف الی القدس وهو الطھر كما یقال حاتم الجود

(من ربه) من عنده وأمره (بالحق) حال أي نزله ملتبساً بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمته وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدي وبشري) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تبييناً لهم وإرشاداً وبشارة (للمسلمين) وفيه تعريض (١٣٥) بحصول أضرار هذه الخصال غيرهم

(واشد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) أرادوا به غلاماً كان لحو يظن قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو بعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام روى لعاصم بن الحضرمي أو عبدان جبرو يسار كانا يقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلدون إليه) وفتح الباء والخاء جزءة على (أعجمي) وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذي يمشون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير مبين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذوبان وفصاحة رد القولهم وإبطال الطعنهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلدون إليه أعجمي لا يحمل لها لأنها مستأنفة جواب أقولهم واللسان اللغوي يقال ألد القبر وحده وهو لحد ومحدو إذا أمال حفره عن الاستقامة فحرفي شق منه ثم استعير لكل أمالة عن الاستقامة فقالوا ألد فلان في قوله وألد في دينه ومنه المحدل أنه أمال

وطلحة الخير والمعنى الروح القدس المطهر (من ربه) يعني أن جبريل نزل بالقرآن من ربه يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا إيماناً ويقيناً (وهدي وبشري) يعني وهو هدي وبشري (للمسلمين) قوله عز وجل (ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يتعلم هذه القصص وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عنده الله كما زعم فاجابهم الله بقوله ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له بعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قریش إنما يعلمه بعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيراً ما يجاس عند المروة إلى غلام روى نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار ويكنى أبا ذكيفة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والإنجيل بمكة فبما سمعهم ما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آذاه الكفار يقعد لهما فيترجح بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحو يظن بن عبد العزى كان نصرانياً قد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجمياً وقيل هو عداس غلام عبدة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم أنه يضيفها لنفسه ويؤمن أنه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وأتزل هذه الآية تكذيباً لهم فيجاءوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذي يلدون إليه) يعني يمشون وبشرون إليه (أعجمي) يعني هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع أنه كان من العرب والعجمي منسوب إلى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الأتيان بفصح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء بهم هذا القرآن الفصح الذي عجزتم أتم عندهم أتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أو جاءه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل إليه وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني لا يصدقون أنهم من عند الله (لا يهدىهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم المفترون فقال تعالى (إنما يفترى الكاذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني إنما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قریش إنما أنت مفتري (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قولهم إنما يعلمه بشر لا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قد قال تبارك وتعالى إنما يفترى الكاذب فمأني قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو

مذهبه عن الأديان كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي القرآن (لا يهدىهم الله) ماداموا مختارين الكفر (ولهم عذاب أليم) في الآخرة على كفرهم (إنما يفترى الكاذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي إنما يلق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقاب الله وهو رد لقولهم إنما أنت مفتري (وأولئك) إشارة إلى الذين لا يؤمنون أي وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتري حوز وأن يكون

الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب اخبار عن حال قوالهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب أى كذبت فى هذا القول ومن عادتلك الكذب وفى الآية دليل على ان الكذب من أخش الذنوب الكبار لان الكاذب المفتري هو الذى لا يؤمن بآيات الله روى البغوى باسناد الثعلبى عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن بزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﷻ قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية وصهيبا وبالواجب باواسالمافعدنوبهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية أم عمار فانها ربطت بين يعرب بن ورجئ قبلها بجرية فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا فى الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له ا كفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كافر فقال كلاب ان عمار املى ايمانا من قرينه الى قدمه واختلط الايمان بالحسنة ودمه فاقى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى أناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجر والينا فانالانرا كم منا حتى تهاجر وانقر جوا يريدون المدينة قادر كتهم قريش فى الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا فى أول الاسلام قبل أن يؤمر رباب الهجرة وقال مقاتل نزلت فى جبرمولى عامر بن الحضرمي أ كرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبرم وخسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى أن يقال ان الآية عامة فى كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكروه على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناء من الكافر فاعنى هذا الاستثناء فى الامن أ كره قلت المكروه لما ظهر منه بعد الايمان ما يشابه ما يظهر من الكافر طوعا صر هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

(من كفر بالله بعد ايمانه) شرط مبتدأ وحذف جوابه لان جواب من شرح حال عايشه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (الامن أ كره وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به

* (فصل فى حكم الآية) قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذى يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفران يعذب بعذاب لا طاقت له به مثل الخوف بالقتل والضرب الشديد والايامان القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبو ياسر وسمية فامارسول الله صلى الله عليه وسلم فثبته الله من أذى المشركين بعزمه أبى طالب وأما أبو بكر فثبته يومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أذراع الحديد وأجلسوا فى حوالى الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كالتقدم وقال خباب لقد أوقدوا لى ناراما اطفأها الاودك ظهرى وأجعوا على ان من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصرح بحبل ياتى بالمعارض وبما لوهم انه كفر فلوا كره على التصريح بباح ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقدا ما يقوله من كلمة الكفر ولو صرح حتى قتل كان أفضل لان ياسر وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بالاصح على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه لوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء فى طلاق المكروه فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكروه وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب به نفسا واعتقده (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون
 بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى
 منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعلهم غضب من الله وان يكون بدلا من المبتد الذي هو
 أولئك أي ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخسر الذي هو الكاذبون أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان
 ينصب على الذم روى ان ناسا من أهل مكة قتموا فارتدوا وكان فهم من أكره فاحرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار
 وأما أبو ياسر وسيمية فقد قتلوا وهما أول قتيلين في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمار لم يء ايمانا من
 قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣٧) وهو يبكي فجعل رسول الله صلى

الله عليه وسلم يمسح عينيه
 وقال مالك ان عادوا لك
 فعد لهم بما قلت وما فعل
 أبو عمار أفضل لان في
 الصبر على القتل اعزازا
 للاسلام (ذلك) اشارة الى
 الوعيد وهو لحوق الغضب
 والعذاب العظيم (بانهم
 استجبوا) آتروا (الحياة
 الدنيا على الآخرة) أي
 بسبب ايمانهم الدنيا على
 الآخرة (وان الله لا يهدي
 القوم الكافرين) ماداموا
 مختارين للكفر (أولئك
 الذين طبع الله على قلوبهم
 وسمعهم وأبصارهم) فلا
 يتدبرون ولا يصغون الى
 المواعظ ولا يبصرون طريق
 الرشاد (وأولئك هم
 الغافلون) أي الكاملون
 في الغفلة لان الغفلة عن
 تدبر العواقب هي غاية
 الغفلة ومنتهأها (لاجرم
 أنهم في الآخرة هم
 الخاسرون ثم ان ربك

لا اكره في الدين ولا يمكن أن يكون المراد في ذاته لان ذاته موجودة فوجب جعله على نقي آثاره والمعنى انه
 لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلمه مطمئن بالايمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب (ولكن من
 شرح بالكفر صدرا) يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب
 عظيم) يعني في الآخرة (ذلك بانهم استجبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يكون ذلك الاقدام على الارتداد
 الى الكفر لاجل أنهم استجبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يعني
 لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) تقدم
 تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعني عمار اذ بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لاجرم
 أنهم في الآخرة هم الخاسرون) يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فاذا دخل النار بان
 خسارته وظهر عنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر قوله عز وجل (ثم ان
 ربك للذي هاجر وان بعد ما قنتوا) يعني عبدوا ومنعوا من الدخول في الاسلام قنتهم المشركون (ثم جاهدوا
 وصبروا) عن الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعني من بعد الفتنة التي قنتوها (لغفور
 رحيم) نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة وكان أحابى جهل من الرضاة وقيل كان أخاه لأمه وفي أبي
 جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي قنتهم المشركون
 وعذبوهم فاعطوهم بعض ما أرادوا اليسلوا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة
 نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاسترله الشيطان
 فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فقع مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه
 لأمه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية
 مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية في السور المبكيات والله أعلم بحقيقة ذلك قوله سبحانه
 وتعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعني تخاصم وتحتج عن نفسها أي بما أسلفت من خير وشر
 اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فمعنى قوله
 كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد رادها بدن الانسان وقد رادها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس
 الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضا والمعنى يوم يأتي كل
 انسان يجادل عن ذاته ولا يهيمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله بنا ما كنا
 مشركين ونعوذك من الاعتذارات (وتوفي كل نفس ما عملت) يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير أو شر

(١٨ - خازن) - ثالث) ثم بدل على تباعد حاله هو لآمن حال أولئك (الذين هاجروا) من مكة أي انه لهم
 لا عليهم يعني انه وانهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون مجيها منقوعا غير مضرور (من بعد ما قنتوا)
 بالعذاب والاكراه على الكفر قنتوا شأى أي بعد ما عبدوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان
 ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقيية (رحيم)
 لا يعذبهم على ما قالوا في حاله الاكراه (يوم تأتي) منصوب برحيم أو باذكر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس
 لانه يقال لعين الشيء ذاته ونفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها كما هي قيل يوم يأتي كل
 انسان يجادل عن ذاته لانه شأن غيره كل بقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هو لآمن أو لآمننا طبعنا ساداتنا
 وكبرنا الآية والله بنا ما كنا مشركين (وتوفي كل نفس ما عملت) تعطي جزاء عملها وافيها

(وهم لا يظلمون) يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شـ بأبل يوفون: لك كاملا من غير زيادة ولا نقصان
 روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار نحو فنافق قال بأمر المؤمنين والذي نفسي بيده لو
 وافيت القيامة بعثت عمل سبعين نبيا لانت عليك ساعات وانت لا يملك الانفسك وان جهنم لترقرز فرقة ما يبق
 ملك مقرب ولا نبي مرسل الاجتماع على ركبته حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا أسألك الانفسى وان
 تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية
 قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخصم الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم تكن لي يد أبطش
 بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها و يقول الجسد يا رب أنت خلقتني الخشبة ليست لي يد أبطش بها
 ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فغاء هذا الروح كشعاع النور فبسه نطق لسانى وبه أبصرت عيناى وبه
 مشرت جلأى فضرب الله لها مثلا أعمى ومقعد دخلها مطايا يعنى بستانافيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد
 لا يتأله فعمل الاعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل
 عبارة عن قول فى شئ يشبه قولاً فى شئ آخر بينهما مشابهة ليس بينهما إلا شئ واحد هو عبارة
 عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى أى معنى كان وهو أعم اللفاظ الموضوعات للمشابهة قال الامام تفر الدين
 الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجوداً أو لم يكن وقد يضرب بشئ
 موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شياً مفر وضاد يحتمل أن تكون
 قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على أنها
 مكة والاقرب ان غير مكة لانها ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزخشرى فى كتابه
 الكشف وضرب الله مثلا قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطنهم
 النعمة فكفروا ووقلوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز ان تراد قرية مقدره على هذه الصفة وان تكون فى قرى
 الاولين قرية كانت هذه حالها فضرب الله مثلاً لمكة انذاراً من مثل عقبتهم وقال الواحدى ضرب المثل ببيان
 المشبه والمشبه به وهنأ ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه بوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين
 نازلة فى أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعرا الامن والنعمة بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم
 فتقدرا الآية ضرب الله مثلاً لقريةكم أى بين الله لها شـ بها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من
 مثلاً لانها هى الممثل بها ويجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلاً لقرية تحذف المضاف هذا قول الزجاج
 والمفسرون كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون انه أراد مكة فى تخيلها بقرية بصفتهما ما ذكره وقال ابن الجوزى
 فى هذه القرية قولان أحدهما انها مكة قاله ابن عباس وبجاءه وقتادة والجور وهو الصحيح والثانى انها
 قرية أو سع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخيز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية
 نزلت بالمدينة فى قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات
 ستة كانت هذه الصفات موجودة فى أهل مكة فضرب الله مثلاً لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل
 صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور فى هذه الآية فى
 قوله فاذا فها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعثها فى قول
 جميع المفسرين لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وإنما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة
 فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم لم يراده وأما نفسـ بقروله
 تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة (كانت آمنة) يعنى ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة)
 يعنى قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها لا تتجاع كما كان يحتاج اليها سائر العرب (ياتها زقها رغدا)
 يعنى واسعاً (من كل مكان) يعنى يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يعنى
 اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهل من الثمرات (فكفرت)
 يعنى هذه القرية والمراد أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التى أنعم الله بها على أهل مكة فلما

(وهم لا يظلمون) فى ذلك
 (وضرب الله مثلا قرية)
 أى جعل القرية التى هذه
 حالها مثلاً لكل قوم أنعم
 الله عليهم فأبطنهم النعمة
 فكفروا ووقلوا فأنزل الله
 بهم نعمته فيجوز ان تراد
 قرية مقدره على هذه الصفة
 وان تكون فى قرى الاولين
 قرية كانت هذه حالها
 فضرب الله مثلاً لمكة
 انذاراً من مثل عقبتهم
 (كانت آمنة) من القتل
 والسبي (مطمئنة) لا يزعجها
 خوف لان الطعام ينبت مع
 الامن والارتعاج والقلق
 مع الخوف (ياتها زقها
 رغدا) واسعاً (من كل
 مكان) من كل بلد
 (فكفرت) أهلها (بأنعم
 الله) جمع نعمة على ترك
 الاعتداد بالثناء كدرع
 وأدرع أو جمع نعم كبؤس
 وأبؤس

تابوا نعم الله التي أنعم بهم عليهم - بالجود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم - فقال تعالى (فأذاقها الله
 لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت
 عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكوا العظام المحرقة والجيف والكلاب
 والميتة والعهن وهو البريعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه
 الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا هبلت عادت
 الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حلى الطعام اليهم وهم بعد
 مشركون والخوف يعنى خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم لم يرياها التي كان يبعثها للأغارة فكانت
 تعذيبهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فان قات الاذاقة واللباس استعارتان
 فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس
 لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فإذا قههم الله طعم الجوع قات قال صاحب
 الكشف أما الاذاقة فقد حرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما عسى الناس منها فيقولون
 فيقولون ذاق فلان البؤس والضرر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر
 والبسع وأما اللباس فقد شبهه لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما
 ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فإذا قههم
 ما غشيه من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام نضر الدين
 الرازى جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو
 الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كما لا يفصّر
 كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبهه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حاله تشبه المذوق
 وحاله تشبهه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فإذا قهها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان
 التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق
 بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف وهو الاختبار تقول فلان ذاق فلان ذاق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسبق اليها عذاب وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف
 البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع
 والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحتمل لفظ الذوق واللبس على المماسه فصار التقدير فإذا قهها الله
 لباس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى
 فعلناهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم
 أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفر وابه
 وكذبوه وبالغوا في ايدائهم وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمر بالهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة
 البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو وجهه من
 بين أظهرهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واقدماءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) يعنى محمد صلى الله عليه
 وسلم يعرفون نسبهم يعرفونه قبل النبوة بعدها (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعنى الجوع والخوف
 وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) يعنى كافرون (فكوا ممارزكم
 الله) في المخاطبين بهم ذاقوا لانه أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون
 من أهل مكة قال الكبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كما مر رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك
 انما عادت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحلوا الطعام
 اليهم حكاه الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكوا يامعشر المؤمنين ممارزكم الله

(فأذاقها الله لباس الجوع
 والخوف بما كانوا يصنعون)
 الاذاقة واللباس استعارتان
 والاذاقة المستعارة موقعة
 على اللباس المستعار ووجه
 صحة ذلك ان الاذاقة تجارية
 عندهم مجرى الحقيقة
 لشيوعها في البلايا والشدائد
 وما عسى الناس منها فيقولون
 ذاق فلان البؤس والضرر
 وأذاقه العذاب شبه ما يدرك
 من أثر الضرر والالم بما
 يدرك من طعم المر والبسع
 وأما اللباس فقد شبهه
 لاشتماله على اللابس ما
 غشى الانسان والتبس به
 من بعض الحوادث وأما
 ايقاع الاذاقة على لباس
 الجوع والخوف فلانه لما
 وقع عبارة عما يغشى منهما
 ويلابس فكانه قيل
 فإذا قههم ما غشيه من
 الجوع والخوف (واقدماءهم
 جاءهم رسول منهم) أى
 محمد صلى الله عليه وسلم
 (فكذبوه فأخذهم العذاب
 وهم ظالمون) أى في حال
 التماسهم بالظلم قالوا انه
 القتل بالسيف يوم بدر
 روى أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وجهه الى أهل مكة
 في سنى الفعطاء بطعام ففرق
 فبهم فقال الله لهم بعد أن
 أذاقهم الجوع (فكوا
 ممارزكم الله) على يدى
 محمد صلى الله عليه وسلم

(حلالا طيبا) بدلائمنا كنتم تأكلونه حراما حبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبايا الكسوب (واشكر وانعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون اوان صرعكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاءكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما العصر أي المحرم هذانون البحيرة وأخوانها ابان في الآية قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) هو منصوب بالانقولوا أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم (١٤٠) من البهائم بالحل والحرم في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على

أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها في قولك لا تقولوا ما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) يدل من الكذب ولت أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدر يتوعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب أي ولا تحرموا ولا تحلوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجوز في أفواهم لاجل حجة وتبينه ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قوله هم كأنه عين الكذب فاذا نطق به ألسنتكم فقد حلت الكذب بحايث وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجبال وعينها تصف السحرة واللام في (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض

بريد الغنائم (حلالا طيبا) يعني ان الله سبحانه وتعالى أسئل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكر وانعمت الله) يعني التي أنعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعد هنا ﴿ وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا غيره فليس التحليل والتحريم بكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تصفوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعني لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفتريين للكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعني لا يخرجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا زول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعني بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيتهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى في ظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴿ وقوله تعالى (ثم ان ربك للذئب السوء يجحاله) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فانما يفعل بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح من صدر عنه فعل قبيح من كفر أو عصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما الجهله بقدر ما يرتب عليه من العقاب أو جهله بقدر من يعصيه ثبت به ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعدم عمل سوء أجهاله ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ورحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعني أصلحو والعمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعد هذا) يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (اغفور) يعني لمن تاب وآمن (رحيم) يعني بجميع المؤمنين والتائبين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ان ابراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة فلان علامة ونسابة يقصدون به هذا التأنيث قصد التأني في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فبأذنه الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة

(ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أي منقعهتم فيما هم ما عليه من أفعال الجاهلية منقعة قليلة وعذابهم اعظم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذئب السوء يجحاله) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلظة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) ان ربك من بعد هذا (من بعد التوبة) (اغفور) بتكفير ما كثر و قبل من الجرائم (رحيم) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم لسكناه في جميع صفات الخير والاخلاق الحميدة

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار أو كان أمة بمعنى مأوم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير (فإنثائه) هو القائم بما أمره الله
وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن معاذ كان أمة فأنثائه فقيل له إنما هو إبراهيم عليه السلام (١٤١) فقال الأمة الذي يعلم الخير والقانت
المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي

ما اجتمع في أمة ربه قول الشاعر ليس على الله بمشكر * أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذا اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الأمة معلم الخير يعني أنه كان معلما للخير
ياتم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد أنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل بعثه الله أمة وحده وإنما قال فيه هذه المقالة لأنه كان قد
فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الأصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الأروهم يتولونه ويرضونه
وقيل الأمة قوله بمعنى معجولة وهو الذي يؤتم به وكان إبراهيم عليه السلام اماما يقترى به دليله قوله سبحانه
وتعالى انى جاءك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت أمة من تبعه يمتازون
عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي إبراهيم عليه
السلام أمة لأنه قام مقام أمة في عبادة الله (فأنثائه) يعني مطيعا لله وقيل هو القائم بأوامر الله (حنيفا)
مسلميا يعني مقبلا على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختسنت وضحي وأقام مناسك الحج (ولم
يلك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكر الانعمه)
يعنى انه كان شاكر الله على أنعمه التي أنعم بها عليه (اجتباؤه) أى اختاره لنبوته واصطفاه لخلته (وهدها
الى صراط مستقيم) يعنى هدها الى دين الاسلام لأنه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه في الدنيا
حسنه) يعنى الرسالة والخلقة وقيل هى لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله
حببه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل
هو قول المصلى في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آناه
أولاد ابراهيم الكبر (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعنى في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه
وانه في الآخرة لمن الصالحين يعنى الانبياء في الجنة فتكون من يعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه
السلام بهذه الصفات الشريفة العلية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى
(ثم أوحيانا اليك أن اتبع ملة ابراهيم) يعنى دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الاصول
كان النبي صلى الله عليه وسلم مأورا بشريعة ابراهيم الامناسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر
الطبري أمره باتباعه في التبرى من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وما كان من
المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعنى انما فرض تعظيم
السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم
يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فعبده في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعكم وستة أيام
لصنعكم فابوا عليه وقالوا لا يزيد الا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم
عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا يوم الجمعة فقالت النصارى لا تزيد ان يكون عيدهم
بعد عيدنا يعنون اليهود فأتحدوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة لقبها فبورك لهم فيه (ق)
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا
الكتاب من قبلنا فاختلوا فيه وأوتيناها من بعدهم فهذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلوا فيه فهذا انما الله
فهم لنا فيه تسع فعدل لليهود وبعدهم للنعصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاؤلون يوم القيامة ونحن أول
من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنعصارى
يوم الاحد فجاء الله بنا فهذا اليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن
الآخرون في الدنيا الاؤلون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلاق قال الشيخ محيي الدين النوروى في شرح
مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة

الله عنه لو كان معاذ حيا
لاستخلفته فانى سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول
أبو عبدة أمين هذه الأمة
وه معاذ أمة الله فانت لله ليس
بينه وبين الله يوم القيامة
للامرسلون (حنيفا) مانلا
عن الاديان الى ملة الاسلام
(ولم يك من المشركين) نفي
عنه الشرك تكذيبا للكفار
قرش لزعمهم انهم على
ملة ابيهم ابراهيم وحذف
النون لتشبيهه بحروف
اللين (شاكر الانعمه)
روى انه كان لا يتعدى الا
مع ضيف فلم يجرد ان يوم
ضيفا فاخر غداه فاذا هو
بفوج من الملاؤكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام
فقبلوا له انهم جذا ما فقال
الا ان وجبت مؤا كسكم
شكر الله على انه عاقبى
وابتلاكم (اجتباؤه) اختصه
 واصطفاه لنبوته (وهدها الى
صراط مستقيم) الى ملة
الاسلام (وآتيناه في الدنيا
حسنه) نبوة وأموال اولادنا
أوتنوبه الله بذكره فكل
أهل دين يتولونه أو قول
المصلى منا كما صليت على
ابراهيم (وانه في الآخرة
لمن الصالحين) لمن أهل
الجنة (ثم أوحيانا اليك
أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا

وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محلّه والايدان بان أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة اتباع رسو اناملته
(انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أى فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطباذ فيه

(وان ربك ليحكم بينهم)
يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون) روى ان
موسى عليه السلام امرهم
ان يجعوا في الايام
يوماً للعبادة وان يكون يوم
الجمعة فأبوا عليه وقالوا تريد
اليوم الذي فرغ الله فيه
من خالق السموات والارض
وهو السبت الا شذمة منهم
قد رضوا بالجمعة فهذا
اختلافهم في السبت لان
بعضهم اختاروه وبعضهم
اختاروا عليه الجمعة فأذن
الله لهم في السبت وابتلاههم
بخرم الصيد فاطاع أمر
الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون وأعقابهم لم
يصبروا عن الصيد فمسخهم
الله دون أولئك وهو يحكم
بينهم يوم القيامة فيجازي كل
واحد من الفريقين بما هو
أهله (ادع الى سبيل ربك)
الى الاسلام (بالحكمة)
بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو
الدليل الموضع للحق المزيل
للشبهة (والموعظة الحسنة)
وهي التي لا يخفى عليهم أنك
تناصحهم بها وتقصدها
ما ينفعهم فيها أو بالقرآن
أى ادعهم بالسكاب الذي
هو حكمة وموعظة حسنة
والحكمة المعرفة بمراتب
الافعال والموعظة الحسنة
أن تخلط الرغبة بالرهبة
والانذار بالبشارة (وجادلهم
بالتى هي أحسن) بالطريقة
التي هي أحسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير

فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله يسد أنهم يعنى غير أنهم أو الا أنهم وقوله فهذا يومهم الذى
فرض عليهم فاختلافوا فيه فهذا ما لله له قال القاضى عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير
تعين وروى الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف اخبارهم في تعيينه ولم يهدم الله له وفرضه على هذه
الامة مبينا ولم يكلمهم الى اجتهادهم ففاضوا بفضيلته قال يعنى القاضى عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام
امرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله ففاضوا به ان السبت أفضل فقبل له دعهم قال القاضى ولو كان منصوباً عليه
لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقولوا خالفوا فيه قال الشيخ يحيى الدين النوروى ويمكن أن يكونوا أمروا به
صريحاً ونص على عينه فاختلافوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام
نفر الدين الرازى في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعنى على بينهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا
السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على بينهم في ذلك اليوم أى لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان
اليهود اختلفوا فيه من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحد على هذا
فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو
اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الا تحرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى
ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا يقرين في السبت وانما اختاروا الاحد النصارى بعدهم
زمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة
أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود ونحن
نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء
في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيداً لنا وهذا ان الوجهان معقولان فواجهه فضل يوم الجمعة حتى جعله
أهل الاسلام عيداً قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال
يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه
أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أب البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب
ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخر لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئاً وكان ما اختاره الله
لهم أفضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم
الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ بيوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه
وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء في معنى الآية قول آخر قال
قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحلهم بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل
السبت أى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأجله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا
ومسخوا قرده وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت
على تحريمه فلم يصطد فيه شيئاً وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة وقوله تعالى (وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى في أمر السبب فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين
بالتواب والمبطلين بالعقاب وقوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع
الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة وهي الدليل الموضع للحق المزيل
للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصده
ما ينفعهم (وجادلهم بالتى هي أحسن) يعنى بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير
فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا واجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب
العقول الصحيحة والبصائر الثابتة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقايقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله
ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقايقها حتى
ينظفوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم أصحاب الفطرة السلية

دفاطة أو بما يوقظ القلوب
 ويعط النفسوس ويجلو
 العقول وهو رد على من
 يأتي المناظرة في الدين (ان
 ربك هو أعلم بمن ضل عن
 سبيله وهو أعلم بالمهتدين)
 أي هو أعلم بهم فمن كان فيه
 خير كفاه الوعظ القليل ومن
 لا خير فيه معزت عنه الخيل
 (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل
 ما عوقبتهم) سمي الفعل
 الاول عوقبة والعوقبة هي
 الثانية لازدواج الكلام
 كقوله وجزاء سيئة سيئة
 مثلها فالثانية ليست بسنة
 والمعنى ان صنع بكم صنع
 سوء من قتل أو نحوها فقابله
 بمثله ولا تزيدوا عليه روى
 ان المشركين مثلوا بالمسلمين
 يوم أحد بقروا بطونهم
 وقطعوا ماذ كبيرهم فرأى
 النبي عليه السلام حزة
 مبقورا البطن فقال أما
 والذي أحلف به لا مثلن
 بسبعين مكانك فنزلت
 فكفر عن عينه وكف عما
 أراد ولا خلاف في تحريم
 المثلة لورد الاخبار بالنهي
 عنها حتى بالكاب العقور
 (ولئن صبرتم لهو خير
 للصابرين) الضمير في لهو
 يرجع الى مصدر صبرتم
 والمراد بالصابرين المخاطبون
 أي ولئن صبرتم لصبركم خير
 لكم فوضع الصابرين موضع
 الضمير ثناعن الله عليهم
 لانهم صابرون على الشدائد
 ثم قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم

والخلق الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا احد السكك ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط
 الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أي ادع هؤلاء بما ووعظة الحسنة والقسم الثالث هم اصحاب
 جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا الى الحق
 ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد
 بالحكمة النبوة أي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالوعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي
 أحسن أي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء
 التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعني انما عليك
 يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعائهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي
 كل عامل بعمله ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم) نزلت هذه الآية بالمدينة في
 سبب شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقير البطون والمثلة
 السبئية حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حفظه بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر
 الراهب كان مع أبي سفيان فتركوها احتفلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنربين
 على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عه
 حزة بن عبدالمطلب وقد جددوا أنفه وآذانه وقطعوا ماذ كبيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة
 من كبده فضعفتهم استرطبتهم التآكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمتهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال أما انهم ألوا كاهنهم تدخل النار أبدا حزة أكرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عه حزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليكم لئن افعالنا ما كنا كذا لئن افعالنا ما كنا كذا لئن افعالنا ما كنا كذا لئن افعالنا ما كنا كذا
 عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى اما والله لئن أظهرنا الله في الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك
 فانزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر
 وأمسك عما أراد وكفر عن عينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون
 رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حزة فثابروا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لربنا ما كنا
 كان يوم فضح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال
 رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الأربعة أخرجه الترمذي
 وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به سمي الفعل
 الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم صنع سوء من قتل أو نحوها فقابله بمثله
 ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب
 استيفاء الحقوق يعني ان رغبتهم في استيفاء القصاص فاتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم
 والظلم ممنوع منه في عدل الله وشريعته ورحمته وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك
 بطريق الاشارة والرمز والتعريض بأن الترتك أولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير
 زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن
 صبرتم لهو خير للصابرين) يعني ولئن عفوتهم وتركتهم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا
 من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العاقبين

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمرا النبي
 صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس
 والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله
 صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها

لكنه
 قوس
 بورد

(واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك) (١٤٤) (الابائه) أي بتوفيقه وتثبيتته (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين

وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولا تلك في ضيق مما يكرهون) ضيق مكر والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقبيل والقول والمعنى ولا يضيعن صدورك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات قبل من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله ومعيبه نصرته في الأمور وعصمته في المحظور

* (سورة بني اسرائيل مكية) وهي مائة وعشر آيات بصرية واحدى عشرة آية كوفي وشامى

* (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعبثان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ليل) نصب على الظرف وقيدته بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل لتأكيد أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وأنه

تحمكته وانما نزلت فيمن ظلم ظلامه فلا يحل له ان ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها تحمكة لان الآية واردة في تعام حسن الادب في كفة ما استنفذ الحقوق في القصص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تتعلق لها بالنسخ والله أعلم بقوله عز وجل (واصبر وما صبرك الابائه) الخطيب لسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعنى على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى رحمة الله ورضوانه (ولا تلك في ضيق مما يكرهون) يعنى ولا يضيعن صدورك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وما صبرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسر هاء قبيل هما الغتان وقال أبو عمر والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولا تلك في أمر ضيق من مكرهم قال الامام نضر الدين الرازى هذا الكلام من المقالوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تلك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أي اتقوا المثلة والزيادة في القصص وسائر المناهي (والذين هم محسنون) يعنى بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان أردت أي الامان ان تكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لأمير الله والشفقة على خاق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخاق مع الخاق وكال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حبان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال والامال ولي ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

* (فصل في نزولها) قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدني فروي عن ابن عباس انه قال هي مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقرر بأدخلي مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا ذكره غير سند وقال النخويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعده فعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذى أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بعده أجمع المنسرون والعلماء والمكاهون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الامم في ذلك وقوله بعده اضافة تشريف وتعظيم وتجليل وتكثير ومنه قول بعضهم

لا تدعى الا بعبدها * فإنه أشرف أسمائى
قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليله المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد لم شرفتك قال رب حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية فاقبل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به في بعض ليلا من مكة الى الشام مسيرة شهرا وأكثر فدل تنكير الليل على البعضية

أسرى به في بعض الليال من مكة الى الشام مسيرة أو بعين ليله

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما حرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذا نأني جبريل بالبراق وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبرني بشا عن غيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبارهم أيضا بما رأيت في السماء من العجايب وأنه لقي الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاذ بن عمته وعلى الأول الجمهور إذا فضيلة للحالم ولا مضرة للنائم (إلى المسجد الأقصى) هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة (لزبه) أي سجدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله

(من المسجد الحرام) قيل كان الإسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتي بكلمة فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (إلى المسجد الأقصى) يعني إلى بيت المقدس وهي أقصى لبعده عن المسجد الحرام أولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالأنهار والأشجار والثمار وقيل سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبله الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط قد كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عرج وجه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بعوده إلى السماء أو لا لا شئ إذ أنكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسرى به إلى بيت المقدس وبأن لهم صدقة فيما أخبر به من العلامات التي في نفسه وصدوقه عليها أخبر بعد ذلك بعرج وجه إلى السماء فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لعرجه إلى السماء وقوله تعالى (لنزيه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الأنبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام فان قلت لفظه من في قوله من آياتنا تقتضي التبعض وقال في حق إبراهيم عليه السلام وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وظاهر هذا يدل على فضيلة إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا فائز به فإوجهه قلت ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله أيضا والآيات أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والأرض فظهر به هذا البيان فدل محمد صلى الله عليه وسلم على إبراهيم صلى الله عليه وسلم (أنه هو السميع) لأقواله ودعاؤه (البصير) لأفعاله الحافظ له في ظلمة الليل وقت أسراؤه وقيل أنه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراؤه إلى بيت المقدس البصير بما رآه عليه من التكذيب وقيل أنه هو السميع لأقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازي كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

* (فصل) في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم ور بما قال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذا نأني أت فقد قال وسعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقات للجبار ودر هو إلى جنبي ما يعني به قال من نغرة نحره إلى شعرته وسعته يقول من قصته إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة بما أنا فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعيدت ثم أتيت بدابة دون البغل ففوق الحجار أبيض فقال له الجرد وأهو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحات عليه فافلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل إليه قال نعم قيل من حبابه فتم المجيء فجاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبو آدم فسلم عليه وسلم عليه فرد السلام ثم قال من حبابا لابن الصالح والنبي الصالح ثم سعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل إليه قال نعم قيل من حبابه فتم المجيء فجاء ففتح فلما خلصت فإذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه وسلم عليه فرد السلام ثم قال من حبابا لابن الصالح والنبي الصالح ثم سعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل إليه قال

نعم قيل مرحباً به فنع المجدى فجاء ففتح فلما اخذت فاذا ادر يس قال هذا ادر يس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم
 قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحباً به فنع المجدى فجاء فلما اخذت فاذا اهرورون قال
 هـ هذا اهرورون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدي حتى أتى السماء
 السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحباً به
 فنع المجدى فجاء فلما اخذت فاذا موسى قال هـ هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح
 والنبي الصالح فاما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما
 يدخلها من أمتي ثم صعدي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
 محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحباً به فنع المجدى فجاء فلما اخذت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم
 فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت اني سدرة المنتهى
 فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذن الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أشهر نهران باطنان
 ونهران ظاهرات فقات ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهرات فانليل والفرات
 ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت باناء من نجر وانا من لبن وانا من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت
 عليها وأنتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فررت على موسى فقال بم أمرت قلت
 أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد حرت الناس قبلك
 وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشر فرجعت
 الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر
 فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر
 صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر فرجعت الى موسى فقال
 بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد حرت
 الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى
 استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما تجاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية
 أخرى وأخرى بالحسنة عشر اوفى رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء
 زمزم ثم ملئ ايماناً وحكمة وفيه فرجع الى البيت المعمور فسالت جبريل فقال هـ هذا البيت المعمور يصلي فيه
 كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
 ثم جاء بطست من ذهب فمملئ حكمة وايماناً فاقرعها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرجني الى السماء
 فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك
 أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فإرس اليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علمونا السماء الدنيا فاذا
 رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظرت قبل يمينه ضحك واذا نظرت قبل شماله بكى فقال مرحباً
 بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله
 نسمة بنية فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظرت قبل يمينه ضحك واذا نظرت قبل
 شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن
 السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى و ابراهيم
 ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا و ابراهيم في السماء السادسة قال فلما
 مر جبريل ورسول الله بادر يس قال مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مررقت من هـ هذا قال هـ هذا
 ادر يس قال ثم مررت بموسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هـ هذا موسى قال ثم

مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هو ذا عيسى بن مريم قال ثم مررت
 بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني
 ابن خزم ان ابن عباس واباحبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى
 ظهرت المستوى اسمع فيسه ضريف الاقلام قال ابن خزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ففرض الله على امتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على
 امتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال الى موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي
 فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي فقال
 هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من
 ربي قال ثم انما لقيت جبريل حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ماهي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها
 جنات اللؤلؤ واذا اترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نجران سمع انس بن مالك يقول ليلة أسرى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال
 أولهم أبيهم هو فقال أو سطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة
 أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى
 احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم قولوا لهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبتة حتى فرغ من صدره
 وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو ايماناً وحكمة
 غشابه صدره ولغاد يده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فصر ببابا من أبوابها فتداه
 أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا
 يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم
 عليه السلام فقال له جبريل هذا أولك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلا يا نبي نعم الابن أنت
 فاذا هو في السماء الدنيا بنهر ين يطر دان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات
 عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فصر ببيده فاذا هو مسك أذفر
 قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوكب الذي خبا لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل
 ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم
 عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج
 به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء
 السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم ادريس في الثانية وهرقون في الرابعة
 وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمهم وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى
 ربلم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
 فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط
 حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان
 امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه
 يستشير في ذلك فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا
 فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه
 حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخس فقال يا محمد والله لقد راودت بين اسرا تيل قومى على
 أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فامتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا واسماعا فارجع فليخفف
 عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل
 فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان امتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم واسماعهم وأبدانهم خفف عنا فقال

الجبار يا محمد قال ليبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال في كل حسنة
بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال
خفف عنا أعطنا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على أدنى من ذلك
فتركوه ارجع الى ربك فلخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استخيت
من ربّي ما اختلف اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا اللفظ حديث البخاري
وأدرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند فذكر من أول حديث
شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخرو زاد ونقص وليس في حديث
ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورد على نصح أخرجه مسلم وحده وهو حديثنا جازان سلمة عن ثابت البناني عن
أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع
حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحاقة التي يربطها الانبياء قال ثم
دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من شجر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل عليه السلام اخترت الفطارة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بأدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا يوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعهما مكانا عليا
ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى
البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقتها
كأذن القيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيت بها من أمر الله ما غشى غيرت فأحد من خلق الله
يستطيع أن ينعتها من حسنها فوحي الله الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى
موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك
لا تطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربّي فقلت يا رب خفف علي أمتي فخطبني
خمس فرجعت الى موسى فقلت قد خطبني خمس قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف
قال فلم أزل أراجع بين ربّي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
صلاة عشر وذلك خمسون صلاة ومن هم بمسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر او من هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهت الى موسى فاخبرته قال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربّي حتى استخيت
منه هذم واية مسلم وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى
به لمجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أجمعه تفعل هكذا ما ركبت أحدا كرم على الله منه فارفض
عرقا وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت الى ربّي فسأله التخفيف فقال اني يوم

خلقت السموات والارض فرضت عليه الموت وعلى أمته خمسين صلاة فمسيب فمهمها أنت وأمتك
فعرفت انها أمر الله جري بقول حتم فلم أرجع

*** (فصل) *** قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيه ما شيا لا يحتمل مخرجا
الاحديث شريك بن أبي نجران عن أنس وأحوال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيمن ذلك كان قبل الوحي
واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بخمسة وعشرين سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا
فتدلى وذ كرت عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح
لان هذا كان رؤيا في النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد
الحرام ثم عرج به في القنطرة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحققت له رؤيا التي رواها من قبل كأنه رأى فتح مكة
في المنام عام المدينة سنة ست من الهجرة ثم كان تحققة هاستمعان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النوري رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم لم قدم من رواية
شريك في هذا الحديث أو هام أنكرها عليه العلماء وقد نبههم مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها
قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله
عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل
الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة سنين وقال ابن اسحاق أسرى به
صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بحكمة والقبائل قال الشيخ محيي الدين وأشبهه الاقوال قول الزهري وابن
اسحاق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الاخرى بينا أمانا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحج
به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليموليس في الحديث ما يدل على كونه
نائما في القصة كلها هذا الكلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها
قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث
مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من
رواية شريك بن أبي نجران عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاتح غير معروف وقد روى حديث الاسراء
جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب ونات البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد
منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي
المعول عليها

*** (فصل) *** في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال
كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس
في الاسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل انما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم
السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجسده
صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى بعبدك ليلًا واللفظ العبد عبارة عن مجموع
الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحتى
محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حديثه انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه ما فقد جسده رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما أسرى بروحه وحكي هذا القول عن عائشة أيضا عن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء
من السلف والخلف والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلالته ونوره
والحلقمة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد ببط البراق بالحلقمة الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي
الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بنا من خيرا وانا
من لبن فاخترت اللبن فيه اختصارا والتقدير ورواها لي اخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني

فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة لافطرة الصحبة السامية لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سائغ العاقبة
 بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وبالجملة لانواع الشر قوله ثم خرج حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل
 فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب ان استأذن وان يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكرره وفيه ان
 للسماء أبوابا وبرابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه في الرواية الاخرى وقد بعث اليه
 معناه لاسرعه وعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى
 هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيها استحباب لقائه
 أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر أفضل من المزيور وفيه جواز
 مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بآدم وسمي مسندا
 ظهره الى البيت المعمور وفيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بي الى
 السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف والملام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس
 وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يتجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهي اليها ما يبسط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله
 عز وجل وقوله واذا تمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قرتين
 أو أكثر وقوله فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين النووي معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته فيه أولا
 فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع منا جارة بي عز وجل قلت
 وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فانه سيأتي ان شاء الله تعالى في تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى
 ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمي نجسين صلاة الى قوله فوضع شطرها في الرواية الاخرى
 فوضع عنى عشرة وفي الاخرى خمس ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشعار الجزء وهو الخمس وليس
 المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهي رواية يثري بل ورواية بالنس رواية ثابت البناني وقائدة وهما أثبت
 من شريك فالمراد حط عنى خمس الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان
 الحسنة بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث انه شق
 صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضا في صغره وهو عند حليلة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق
 الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أثبت بطاست من ذهب قديتهم متوهم انه
 يجوز استعمال اناء الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال
 الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله مما لي ايما ناو حكمة فافترعها في صدرى فان قلت الحكمة
 والايماز معان والافترع صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطاست شيء يحصل به كمال
 الايمان والحكمة وزادتها فسمى ايما ناو حكمة لكونه سببا لهما وهذا من أحسن المجاز وقوله في صفة
 آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه سودة وعن يساره سودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بأنه
 تسم يمينه يعني أرواح بنيهم وقد اعترض على هذا بان أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الارض
 السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه انه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام
 وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله فاذا انظر عن
 يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم
 وحرته على سوء حال الكفار منهم وقوله في ادريس مر حبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون
 على أن ادريس هو أخنوخ وهو جد نوح عليه السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم
 جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب
 عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هناه هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب
 القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس أب النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون فله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابان الانبياء اخوة المؤمنين
 اخوة والله اعلم

*** (فصل) *** في ذكر الايات التي ظهرت بعد المعراج الذي صلى الله عليه وسلم وسباق احاديث
 تتعلق بالاسراء قال البغوي روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذي طوى
 قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بي الى السماء أصبحت بمكة فوضعت بأمرى وعرفت ان الناس
 يكذبون في روى انه صلى الله عليه وسلم قدم معترلا حزين يسافر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل
 استفتد من شيء قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا
 قال نعم فلم ير أبو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يحجده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتني به
 قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاءوا حتى جالسوا اليهما قال
 حدثت قومك بما حدثتني قال نعم أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين
 أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضح يده على رأسه متعجبا وارتابا من كان قد
 آمن به وصدقوه سعي رجل من المشركين الى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك بزعم انه أسرى به الليلة
 الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قال نعم قال ابن كنان قال ذلك لقد صدق قالوا أوتصدق انه ذهب الى
 بيت المقدس وجاء في ليلة قبل ان يصبح قال نعم اني أصدق بما هو أبعده من ذلك أصدق به خبر السماء في
 غدوة أو راحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع
 ان تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنت حتى التيس على قال غيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع
 دون دار عقيل فنتع المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا
 عن غيرنا فهى أهم البينا هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالر و جاء وقد أضلوا بعيرا
 وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعمطت فاخذته فشر به ثم وضعته كما كان فسلاوا هل وجدوا الماء في
 القسح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبا فعود الهـ ما بذي مر
 فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلاوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن
 عـيرنا قال مررت بها بالنعيم قالوا فاعدها وأعمالها وهيتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له
 بعدها وأعمالها وهيتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها
 جبل أو رق عليه غراران بخيطتان تطالع عليك عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشندون
 نحو النيسة وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فعلقوا ينظرون متى
 تطالع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخرو هذه العير قد طلعت يقدمها
 بعير أو رق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا قالوا هذه سحر مبین (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقرىش تسألني عن مسراى فسألتني عن أشياء
 من بيت المقدس لم أتيتها فكبرت كربة ما كربت مثاقط قال فرفعه الله لي أنقار اليه ما يسألوني عن
 شيء إلا أتيتهم به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال
 شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شهاعة ربه مسعودا لثقي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه
 الناس به صاحبكم يعنى به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة قائمهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد
 يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام (ق) عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول لما كذبتني قرىش قتلت الى الحجر فبلى الله الى بيت المقدس فمأفقت أخبرهم عن آياته
 وأنا أنظر اليه زاد البخاري في رواية له لما كذبتني قرىش حين أسرى بي الى بيت المقدس وذكر الحديث
 (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الاحمر

(وأتينا موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا) أي لا تتخذوا وبالباء أبو عمرو أي لا يتخذوا (من دوني وكبلا) ربا تكون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالباء على النهي أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكبلا ياذر يعم حملنا مع نوح (انه) ان نوح عليه السلام (كان عبدا شكورا) في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالشكر على المنعم وروى أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كجعله آباركم اسوتهم (١٥٢) وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الاباء وقد عرفتم حال الاباء هنالك فكفونوا أيها

الابناء كذلك (وقضينا الي بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا بموتوا بانهم يفسدون في الارض لا يحاله والكتاب التوراة وتفسدن جواب قسم مجذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن في الارض (مرتين) أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والآخرى قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتلعن آعوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فروع علفي الارض والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذ جاء وعد أولاهما) أي وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم سلطنا عليكم) (عبادنا أولى بأس شديد) أشداء

فاذ هو قائم يصلي في قبره عن برية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبغ غفرق به الحجر وشبهه البراق أخرجه الترمذي فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت أما صلواته صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جعلهم له ليصلي بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اباهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما سروره بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكهيب الاخر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانه اللهم ووردي الحديث انهم يلهون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر انه رأى آدم يابون ويحجون ذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق قوله سبحانه وتعالى (وأتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا) يعني وقلنا لهم لا تتخذوا (من دوني وكبلا) يعني ربا كقبلا (ذرية) يعني ياذر (من حملنا مع نوح) انه كان عبدا شكورا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقضينا الي بني إسرائيل في الكتاب) يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى (لتفسدن في الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالي بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتلعن) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا) فاذا جاء وعد أولاهما) يعني أولى المرتين قبل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعيبا في الشجرة وارتيكاهم بالمعاصي (بعثنا عليكم عبادنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو شجر يرب وهو من أهل بنوى وقيل هو يختصر السابلي وهو الاصم (أولى بأس شديد) يعني ذوى بطش وقوة في الحرب (بما سوا خلال الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها يطالبونكم ليقتلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كأننا لا زلنا لا نختلف فيه (ثم رددنا لكم الكفرة) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعني أكثر عددا (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم) يعني لها ثوابا وجزاء أحسانها (وان أسأتم فلها) يعني فعلها الساءتها

في القتال يعني شجر يرب وجنوده أو يختصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وتخربوا المسجد وسبوا منهم (فاذا سبعين ألفنا) بجا سوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعد الايدان يفعل (ثم رددنا لكم الكفرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلوقيل هي قتل يختصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) كما كنتم وهو غير جمع نفرو وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) قبل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما كتبت والجمع انما على باب اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء حسنة كانت

(فاذ جاء وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى نخلصه الله منهم وورفعه اليه وقت اواز كراوي يحيي عليهم السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبواهم وقتلواهم وهو قوله تعالى (ليسوا ذوا جوهكم) يعني يجوزونكم وقرئ بالنون أي ليسوا والله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كإدخاله أول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تنبيرا) يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلا كما

* (ذكر القصص في هذه الآيات) *

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والنزوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشري اورشليم الآن يا تبليوا كعب الجبار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك يعني صديقة بنو اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا فعبت الله شجار يبملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجا شعيا النبي اليه وقال يا ملك بني اسرائيل ان شجار يب ملك بابل قد نزل اليك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هاجمكم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل آتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وشجار يب وجنوده فقال شعيا لم يا نبي وحى في ذلك فيبيناهم على ذلك أوحى الله الي شعيا النبي ان ائت ملك بني اسرائيل فاره أن توصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعيا ملك بني اسرائيل فاره أن توصي وصيته وأمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الا لهة يا قدوس يا مقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذ به سنة ولا نوم اذ كرتي بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سرى وعلا نبي لك فاستجاب الله وكان عبدا صالحا فاروحى الله الى شعيا أن يخبر صديقه ان ربه قد استجاب له ورجعه وأخرأجله خمس عشرة سنة وأجده من عدوه شجار يب فاتاه شعيا فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخرساجد الله وقال الهى واله أبائى لك سجدت وسجحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتزع الملك ممن تشاء وتزع من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخرة والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبته دعوتى ورجحت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن قل للملك صديقة فبأمر عبد من عبده فأتى شعيا التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعيا اسل ربك أن يجعل لنا لبا بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا قل له انى قد كفيتمك عدوك وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الاستخار يب وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان شجار يب ومن معه هلكوا واخرج الملك والشجار يب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه العليل فى مفاز ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتواهم الملك فلما رأهم خرساجد الله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لشجار يب كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال شجار يب قد آتاني خبر بكم ونصره اياكم ورجحته التى يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطمع مرشدا ولم يلقى فى الشقوة الا قلته عقلى ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كرمنا شعيا وان ربنا لم يمتك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما أبغاك ومن معك لنزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما

أوسيته يعني ان الاخسان والاساءة تختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أصأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) وعدا المرة الآخرة بعثناهم (ليسوا ذوا أى هؤلاء) وجوهكم) وحذف دلالة ذكره أولا عليه أى ليجعل لوها يادية آتار المساءة والكاببة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوا شامى وحزرة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أولو وعد أولبعث لئسوا على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كإدخاله أول مرة ولتبروا ما علوا تنبيرا) ما علوا مفعول لتبروا أى ليهلكوا كل شئ غلبوا واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

رأيت من فعل ر بنابكم فتندروا من بعدكم ولو لاذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من
 دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير حرسه أن يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين
 يوما حول بيت المقدس وإيلياء وكان يرزقهم في كل يوم خبز من من شعير لكل رجل منهم فقال سنخار يب
 للملك صدقة القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فأمر بهم إلى السجن فأوحى الله إلى شعيب النبي ان قل للملك
 بين اسرائيل يرسل سنخار يب ومن معه ليندروا من وراءهم وليكرههم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ
 ذلك شعيب للملك ففعل وخرج سنخار يب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل
 الله بجنوده فقال له كهانه ومحرره بملك بابل قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم وأوحى الله إلى نبيهم فلم
 تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد معز بهم وكان أمر سنخار يب بنحوه فقال بنى اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى
 ذلك تذكروا عبرة ثم ان سنخار يب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بنخصر ابن ابنه
 فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله الملك بنى اسرائيل صدقة فخرج أمر بنى
 اسرائيل وتناخسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعباء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعباء
 قم في قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام ألقى الله لسانه بالوحى فقال يا شعيب اسمعني يا أرض انصتي فان
 الله يريد ان يقص شأن بنى اسرائيل الذي رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على
 عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فأوحى شاردها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وادوى مر بها
 وأسمن مهزولها وحفظ سمها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت بكاشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها
 عظم صحيح يجبر اليه أخوف بل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذ كر
 وطنه فينتابه وان الجار مما يذ كر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذ كر المريج الذى
 سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذ كرون من حيث جاءهم الخير وهم أو لوالالباب والعقول ليسوا ببقر
 ولا جبر وانى ضارب لهم مثلا فليس معوه قل كيف ترون فى أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب
 حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع وهو حكيم فاعاط عليها جدارا
 وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهر اوصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأوان الثمار كلها
 وولى ذلك واستحفظه فيما ذار أى وهمه تحفظوا قوا يا أمينا فلما أطلعت جاء طلعا حرو بافتقاوا لبست الارض
 هذه فنرى ان يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول
 مرة خرابا وما اتالا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر شر يعنى وان النهر كذبى وان القيم نبي
 وان الغراس هم وان الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على
 أنفسهم وانه مثل ضرب لهم يتقر بون الى بذج البقر والغنم وايس ينالنى اللحم ولا أكاه ويدعون أن
 يتقر بوالى بالآتوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها وأيديهم منحوبة منها وثيابهم متزملات بدماها
 يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون أجواتها ويحسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها وزوقون لى
 المساجد ويزنونها ويحرقون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة الى تشييد البيوت ولست
 أسكنها وأى حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لاذكروا سجد فيها يقولون صمنا
 فلم يرفع صمانا وصلينا فلم تنور وصلاتنا وصدقنا فلم تترك صدقاتنا ودعونا بما نكسر الحام وبكينا بما نكسر عواء
 الذئب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى تمنعنى أن أستجيب لهم أليس أسمع السامعين
 وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور
 ويتقون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويقتلنى
 محاربا أم كيف تزكعون صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما أجزع عليها أهلها المعصوبين
 أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما أستجيب للداعى اللين
 وانما أسمع قول المستضعف المستكين وان من علامتراضائى رضا المساكين يقولون لسانهم كلامى

وبلغتهم رسالتى انها قلوب منقولة وأحاديث متواترة ونا ليف مما تؤولف السحرة والكهنة وزعموا انهم
 لوشاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلموا ولوشاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى
 قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبتته وحنتمه على نفسه وجعلت دونه أجلام مؤجلا بدانه واقع
 فان صدقوا فيما يتحدون من علم الغيب فليخبروك متى أنظذه أو فى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن
 يأتوا بما يشاؤون فلما أتوا بمثل هذه القدرة التى بهم أمضيت فانى مظهره على الدير كسه ولو كره المشركون وان
 كانوا يقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤون فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التى أدبر بها ذلك القضاء ان كانوا
 صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل النبوة فى الاجراء وان أجعل الملك فى الرعايا
 والعزى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الاميين فسلمهم
 متى هذا من القائم بهذا من أعوان هذا الامر وأنصارة ان كانوا يعلمون وانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعشى
 من عيان ولا ضالا من ضالين وليس بظف ولا غليظ ولا خصب فى الاسواق ولا مستزىن بالفمخس ولا قوال للحننا
 أسدده بكل جبلى وأهبله بكل خلق كرم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
 معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعمو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
 امامه والاسلام ملته وأجد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخسالة
 وأشهر به بعد النكرة وأكثره بعد القلة وأعنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين
 قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة واجعل أمة خيرة أمة أخرجت للناس بامر بالمعروف
 وينهى عن المنكر توحيدى وايمانى واخلصالى يصلون قياما وعودا وركعا وسجودا ويقاوتون فى
 سبلى صغوفوا وزحوقوا يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاى ألهمهم التكبير والتوحيد
 والتسبيح والتحميد والتهلل والمدحة والتعجيد فى مسيرهم وبحالهم ومضاجعهم ومنقلبهم
 ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدمون على رؤس الاشراف يظهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون
 لى الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه
 من أشاعوا ناذوا الفضل العظيم فلما فرغ شعبياء من مقاتله عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقبته شجرة فأنفلت
 له فدخل فيها فادركه الشيطان فاحسبته مذبذبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعا المنشاري وسطها فنشر وهاحتى
 قاعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشة بن أموص وبعث
 لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق أنه انخضر واسم ارميا سمي
 انخضر لانه جلس على فرة بيضاء فقام عندها وهى تم ترخضه فبعث الله ارميا الى ذلك الملك ليسدده ويرشده
 ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فأوحى الله الى ارميا ان ائت قومك
 من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمى وعرفهم باحداثهم فقال ارميا يا رب انى ضعيف
 ان لم تقوى عاجزان لم تبلغنى سخذول ان لم تنصرنى قال الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصد عن مشيئتى
 وان القلوب والالسنة بيدى ألقها كيف شئت انى معن ولن يصل اليك شئ معى فقام ارميا فيهم ولم يدبر
 ما يقول فالهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها
 عن الله عز وجل وانى حلفت بعزى لاقضن لهم قننة يتخير فيها الحليم ولا سلطان عليهم جبارا قاسيا ألبسه
 الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارميا انى مهالك بنى اسرائيل
 بياضت وياقت من أهل بابل فسلط الله عليهم يتخضرون فرج فى ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده
 ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أقتلهم وحرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يعلوا كل رجل منهم ترسه
 ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من فى بلدان بيت المقدس كلهم
 فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد
 أن يقسمها فيهم قالت له المسالك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان

الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمان
وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق ثلثا اقرهم بالشام وثلثا بسباهم وثلثا قتلهم وذهب باناث بيت
المقدس وبالصبيا السبعين الفساحتى اقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التى اوتى الله عز وجل بنى
اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادنا اولى بأس شديد يعنى
بختنصر واصحابه ثم ان بختنصر اقام فى سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبه اذ رأى شيئا اصابه فانساء الذى
رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزرا ياوميشائيل وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا اخبرناهم اخبرنا
بناويلها فقال ما اذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن اكلناكم فخرجوا من عنده فدعوا الله
وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فحازه فقالوا رأيت تماثلا قدماه وساقاه من نحار وركبناه ونقداه من
نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد
أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فبتاويلها قالوا اتاويلها انك رأيت
الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه
النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد
ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى بيعته الله من السماء فصدق
ذلك أجمع ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا بختنصر رأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سألتنا
ان تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا القدر أينا نساء انصرف وجوههن عنا اليه
فأخرجهم من بين أظهرنا وأوقلتهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل فلما
قر يومه لاقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا أصابنا البلا بذنوب غيرنا فعدهم الله ان يحييهم
فقتلوا الامن كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزرا ياوميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك
بختنصر انبعث فقال لمن فى يده من بنى اسرائيل رأيت هذا البيت الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وما
هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلط عليهم بذنوبهم
وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط
عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر ووطن أنه يجبرونه فعل ذلك بنى اسرائيل قال فآخبروني كيف لى أن أطلع الى
السماء العليفا قتل من فيها وأتخذها لى ملكا فانى قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من
الخلائق قال لنفعلن اولاً قتلناكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته
بعوضة فدخلت مخزعه حتى عضت أم دماغه فما كان يقرب ولا يسكن حتى يوجأه رأسه على أم دماغه فلما مات
شعور رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بنى اسرائيل فى
يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكنوا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى
أحيا أولئك الذين قتلوا فالحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وايس معهم من الله عهد كانت التوراة قد
اجترقت وكان عز رومن السببا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبى ليله ونهاره وخرج عن
الناس فيبناها وكذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزر بما يبكيك قال أبكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين
أظهرنا الذى لا يصلح ديننا وأخرتنا غيره قال أفتمجب أن بردالك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك
ثم موعدك هذا المكان عند افرج عر رفصام وتطهر وطهر ثيابك ثم عمد الى المكان الذى وعدة فجلس فيه
فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه ففسقه من ذلك الاناء فثملت التوراة فى صدره فرجع
الى بنى اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حبالم يحبوا حبه شيئا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل
بعد ذلك يحدون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففر يقايدك بون وفر يقايدك بون حتى كان
آخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات
وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفع الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا

من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر راسان
 رؤساء جنوده يقال له بيور زاذان صاحب القتل فقال له اني قد كنت حلفت بالهسي لئن انا نظرت على اهل
 بيت المقدس لاقتلهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان لا أجد أحداً أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ
 ذلك منهم ثم ان بيور زاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقرؤون فيها قرآنهم فوجد فيها دما
 يغلي فسألهم عنه فقالوا يا بني اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره فقالوا هذا دم قمر بان لنا قمر بناه فلم
 يقبل منا فلذلك يغلي واقدقر بنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان
 كأول زماننا لتقبل منا ولو لكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيور زاذان منهم على
 ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً وامر رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم
 فلم يهدأ فأمر بسبعمائة ألف من شبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيور زاذان ان الدم
 لا يهدأ قال لهم يا بني اسرائيل ويلكم أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طامسنا ملككم في الارض فتفعلون
 ما شئتم قبل ان لا أترك منكم نافع نار من ذكر ولا أنثى الا قتلتها فلما رأى الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر
 فقالوا ان هذا دم نبي كان فيها ناعن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا أورشلينا وكان يخبرنا عن
 أمركم فلم نصدق فقتلناه فهذا دم فقال لهم بيور زاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني
 لمثل هذا ينتم ربكم منكم فلما علم بيور زاذان انهم صدقوه خرسا جذا وقال لمن حوله أغلقوا ابواب المدينة
 وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلافي بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك
 ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل ان لا أبقى من قومك أحداً الا قتلته فهذا الدم
 باذن الله تعالى ورفع بيور زاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنتم به بنو اسرائيل وأيقنت انه لا رب غيره وقال
 لبني اسرائيل ان خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم في وسط عسكريه وانى لا أستطيع ان أعصيه
 قالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفر واخذ قارأمرهم بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر
 والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشي فلم
 يظن خردوش الا ان ما فى الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكريه أرسل الى بيور زاذان أن ارفع
 عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أنفى بني اسرائيل أو كاد أن يفتنهم وهى الواقعة الاخيرة التي أنزل الله ببني
 اسرائيل في قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الواقعة الاولى بخنصر وحنوده والاخرى خردوش
 وحنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تدم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين
 الا ان بقايا بني اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة
 الى ان بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسبانيوس الرومى فغرب بلادهم وطردهم عنها
 ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فسالبوا فى أمة الاوعليهم الصغار والجزية وبقى
 بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان
 ملك بني اسرائيل كان يكرمه ويدينى مجلسه وان الملك هو بن بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى
 تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فقدمت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرايه فلبستها ثيابا
 رقفا فاجرا وطيبتها وأبستها الحلى وأرسلتها الى الملك وأمرته أن تسقيه فان هوراودها عن نفسها أبت عليه
 حتى يعطها ما سألته فاذا أعطها ما سألت سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يوثق به فى طست ففعلت فلما
 راودها قالت لا أفعل حتى تعطني ما سألك قال فأتنا لبي قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال
 ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم
 يقول لا يحل لك فلما أصبح اذا دم يغلي فأمر بتراب فاتى عليه فرقى الدم يغلي فلما زال يغلي وبقى عليه التراب
 وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك رقى ويغلي وسلط الله عليهم ملك بابل فغرب بيت المقدس وقتل
 سبعين ألفا حتى سكن دمه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (عسى ربكم أن يرجمكم) يعنى يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم

(عسى ربكم أن يرجمكم)
 بعد المرة الثانية ان تبتم توبة
 أخرى واترجمتم عن المعاصي

(وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النعمة بتسليط الالكاسرة وضرب الاماوة عليهم وعن ابن عباس رضی الله عنهم اساطع عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) بحسب ما يقال للسجين محصور وحصير (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم) للعالة التي هي اقوم الحالات واسدها وهي توحيد الله والايمان برسوله والعمل بطاعته والعملة والاطر بقية (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (ان لهم) بان لهم (اجرا كبيرا) أي الجنة (وان الذين) وبان الذين (لا يؤمنون بالاخرة) أعدنا أي أعدنا قلبت ناء (لهم) (١٥٨) عذابا ألحيا) يعني النار والاية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم

فرد الدولة اليكم (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) أي الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يدهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي سجننا وبحسب ما من الحصر الذي هو مجلس الحيس وقيل فراشا من الحصر الذي يبسط ويقترش ﴿قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم) أي الى الطريفة التي هي أصوب وقيل الى الحكمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وان الذين لا يؤمنون بالاخرة) أعدنا لهم عذابا ألحيا) يعني النار في الاخرة (ويدع الانسان) أي على نفسه وولده وماله (بالشر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلكم اللهم العنموتو ذلك (دعاه بالخير) أي كدعائه به أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الانسان عجولا) أي بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجر الاصره على سراع ولا ضراء ﴿قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا في معنى الاية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهوانه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدين أمافي الدين فلا ن كل واحد منهما ماضد للاخر معاً ومع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان لهما مدبر ايدهما يقدرهما بالمقادير المخصوصة وأمافي الدنيا فلا ن مصالح العباد لا تتم الا بمافي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمخونا آية الليل) أي جعلنا الليل ممحوا الضوء مطمو ساه ظملا لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي تبصر فيه الاشياء ورؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمخمان نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكي ان الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواكب عن السواد الذي في القمر فقال هو أثر المحو (لتنفخوا فضلا من ربكم) أي لتتوصلوا بيباض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معاشكم (وتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون اليه منه ولو لا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعلمت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدرك الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون الموجه له واعلم ان الحساب بيني على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لمادونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الا ربعة الا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء تفقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بياناً شافياً واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه وتعالى لم يذكر أحوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا حرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴿قوله عز وجل (وكل انسان أزمانه طاره

والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (ويدع الانسان بالسردعاه بالخير) أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وان قبل بالضرر الا لاجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه تأتي المتبصر أو أريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتية لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر من الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في الخطا على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمخونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أي الليل والنهار

آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للبين كاضافة العدد الى المعدود أي فمخونا الاية التي هي في الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمخونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء ورؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء (لتنفخوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا بيباض النهار الى التصرف في معاشكم (وتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعني حساب الاجال وموادم الاعمال ولو كانا ثلثين لماعرف الليل من النهار ولا استراح حراس المكتسبين والتجار (وكل شيء) مما تفقرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بياناً غير ملتبس فأزحنا علىكم وما تركنا لكم حجة علينا (وكل انسان أزمانه طاره) ٤٤

(في عنقه) يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا يفك عنه (وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه شاميا منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوي ليتمكن قراءته أوهما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك وكل يبعث فارنا (كفي بنفسك اليوم عليك) الباعز أودة أي كفي نفسك (حسبيا) تمييز أو هو بمعنى صاحب (109) وعلى متعلق به من قولك حسب عليه

كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما أهمه وانما ذكر حسبيا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذا الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كفي نفسك رجلا حسبيا أو تقول النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي كل نفس حاملة وزر فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صنع منا ان نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا الا بعد ان نرسل اليهم رسولا يلزمهم الحجة (واذا اردنا ان نمثل قرية) أي أهل قرية (أمرنا مسترفيا) متعمها وجبارتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أي خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثر ناديله قراءة يعقوب أمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهسرة مأبورة أي

في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشمره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقه مكتوب فيها شق أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني أزمنا ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينطك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل والزمنك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحل في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالتغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلتاهما في عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن فارنا (كفي بنفسك اليوم عليك حسبيا) أي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك (1) من جعلك حسب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسبيا قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الاثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطع العذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالاعتدال قوله سبحانه وتعالى (واذا اردنا ان نمثل قرية أمرنا مترفيا) في معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى بماذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى أمرهم بالأعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفصل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثاني أمرنا مترفيا أي كثرنا فساقها يقال أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثروهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأبورة أي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذي أبطرته النعمة وسعد العيش (ففسقوا فيها) أي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (حق عليها القول) أي وجب عليها العقاب (فدمرنا هاتديرا) أي أهلكتنا هالكا استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعا يقول لاله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله أمنك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبيث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فيهلكة أو أسرف أن يقع فيها وقوله اذا كثرت الخبيث أي الشر قوله تعالى (وكم أهلكتنا من القرون) أي المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبد الله بن أبي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن يزيد من معاوية في آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون (وكفي بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يعني انه عالم بجميع المعلومات راع لجميع المراتب لا يخفى عليه شيء

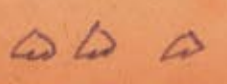
كثيرة النسل (حق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرنا هاتديرا) فاهلكتنا هالكا (وكم مفعول) (أهلكتنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعني عاد وثمود وغيرهما (وكفي بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) وان أخفوه في الصدور (بصيرا) وان أركخوا عليها السطور (1) قوله عدل عليك هكذا في الاصل الطبع وفي بعض النسخ اليك بدل عليك وفي الخطيب عدل ربك في حقك من الخ وفي الكشف يا ابن آدم أنصت والله من الخ اه مصحح

(من كان يريد العاجلة عملناه فيها ما نشاء) لا ما يشاء (لمن تريد) يدل من له بأعادة الجار وهو يدل البعض من الكل اذا ضمير يرجع الى من
 أي من كانت العاجلة همهم ولم يرد غيرها كالكثرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن تريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته وهكذا
 الحال ترى كثيرا من هؤلاء يمتنون ما يمتنون ولا يعطون الا بعصا منة وكثيرا منهم يمتنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا و فقر
 الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة فان أوتي حظا من الدنيا فيها والآخر بما كان الفقر خير له (ثم جعلناه جهنم) في الآخرة
 (بصلاها) يدخلها (مذموما) بمقونا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أوجهها من السعي
 وكفائها من الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعده (فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله متابا عليه عن بعض
 السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه (١٦٠) عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فانه شرط فيها ثلاث

شرايط في كون السعي
 مشكورا ارادة الآخرة
 والسعي فيما لكف والايمان
 الثابت (كلا) كل واحد
 من الفريقين والتنوين
 عوض عن المضاف اليه
 وهو منصوب بقوله (عند
 هؤلاء) يدل من كلا أي
 عند هؤلاء (وهؤلاء) أي
 من أراد العاجلة ومن أراد
 الآخرة (من عطاء ربك)
 رزق ومومن تتعلق بنعمه
 والعطاء اسم للمعطي أي
 يزيدهم من عطائنا ونجعل
 الآخرة منه مددا للسلف
 لانقطاعه فترزق المطيع
 والعاصي جميعا على وجه
 التفضل (وما كان عطاء
 ربك محظورا) ممنوعا عن
 عباده وان عصوا (انظر)
 بعين الاعتبار (كيف
 فضلنا بعضهم على بعض)
 في المال والجاه والسعة
 والكمال (وللا آخرة أكبر
 درجات وأكبر تفضيلا)؟

من أحوال الخلق قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أي الدار العاجلة يعني الدنيا (عجلناه فيها
 ما نشاء) أي من البسط أو التقدير (لمن تريد) ان تفعل به ذلك أو اهلا كما وقيل في معنى الآية عجلناه فيها
 ما نشاء لمن تريد أي القدر الذي نشاء نجعله له في الدنيا لا الذي يشاء هو وان يريد أن نجعل له شيئا قدرناه له وهذا
 ذم من أراد بعمله ظاهر الدنيا ونفعها وبيان ان من أرادها لا يدرك منها الا ما قدر له (ثم جعلناه) أي في
 الآخرة (جهنم بصلاها) أي يدخلها (مذموما مدحورا) أي مطرودا بما عدا قوله سبحانه وتعالى (ومن
 أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) أي مقبولا قيل
 في الآية ثلاث شرايط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد به همهم ويتجاني عن دار
 الغرور والسعي فيما لكف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن
 معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية قوله عز وجل (كلا عند هؤلاء
 وهؤلاء) أي عند كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعني يزرعها جميعا ثم
 يختلف الحال بهم في المال (وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في
 الدنيا لا حظا للكافر في الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الرزق والعمل يعني
 طالب العاجل وطالب الآخرة (وللا آخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني ان تفاضل الخلق في درجات
 منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل في درجات
 الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشدد رغبته في طلب
 الدنيا فلان تقوى وتشدد رغبته في طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها
 آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أعبا الانسان مع الله الها آخر
 وهذا أولى (فتعذر مذموما) أي من غير حمد (مخدولا) أي بغير ناصر قوله سبحانه (وقضى ربك) أي وأمر
 ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والحزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك
 انه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألقوا الواو بالصاد فصار قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام نضر
 الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعبد جد الانه يفتح باب التحريف والتغيير قد تطرق الى
 القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الايمان على القرأت وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين
 (الأتعبدوا الاياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبادة عن الفعل
 المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بربه الانعام والافصال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو
 المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا أي برهما وعطفاهما احسانا

روى ان قوما من الاشراف من دونهم اجتمعوا بباب عمرو رضی الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي
 سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبل انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأوا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة
 ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته
 (فتعذر مذموما مخدولا) فتصير جامعا على نفسك الهم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانه تخر وما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله
 قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر
 أمرامه عاقبه (الأتعبدوا الاياه) ان مفسره ولا تعبدوا من سواي أو بان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بان
 تحسنوا بالوالدين احسانا



(أما يبلغن عندك الكبير) أما هي ان الشريطة يز يدت عليها ماتاً كيد الهاول اذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يضع دخولها لا تقول ان تكرم من زيد اكرامك ولكن اما تكرمه (أحدهما) فاعل يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلى يبلغان بدل من ألف الضمير الرجوع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت يدل على تضجرت فالكسر على أصل النقاء الساكنين والفتح التخفيف والتنوين لارادة التنكير أي أتضجرت تضجرت أو تركه لصد التمر بف أي أتضجرت التضجرت العجوم (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يجبك والنهي والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التأنيف والنهر (قولا كريما) جيبا لبنا كناية تضيه حسن الادب أو هو ان يقول يا ابتاه يا أمه ووليدوهما بابا سمياهما (١٦١) فانه من الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها تخاني أبو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فدهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجرت ما يستقدر منهما أف فضا لا عما يزيد عليه ولعقد بالغ سبحانه في التوصية به ما حيث افتقها بان شفيع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفك من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك

اليهما (أما يبلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما) معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والحجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر * واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة أشياء الا قول قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) وهي كلمة تضجرت وكرهاهتير قيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو مواد ونفخت فيه تزيه تقول أف ثم انهم توسعوا به هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم * والثاني قوله (ولا تنهرهما) أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يجبك يقال نهره وانهره بمعنى فان قلت المنع من التأنيف بلغ من المنع من الانتهاز فارجع الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما * الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما) أي حسنا جيبا لبنا كناية تضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا أمه يا ابتاه وقيل لا يكنيهما وقيل هو ان يقول لهما كما قول العبد الذليل المذنب للسيد اللفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) أي ألن لهما جناحك واخفض لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه (من الرحمة) أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الضعف والضعف مقتدر اليهما الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للاشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رجعهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتقها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفيعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

* (فصل) * في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي قال أهلك ثم أهلك ثم أهلك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتره فيبعثه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والدك قال نعم قال ففهم ما فاهد وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي بردة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فضع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود

(٢١ - (حازن) - ثالث) لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالاسم وقال الزجاج وأن جانبك متدلا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولا تكف برحمتك عليهما التي لا يبقها لهما وادع الله بان يرحمهما برحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتك ما عليك في صغر لوتريته ما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ماشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد رحمتهم ولا شجران ولا جوارزهم خيلاء

ان الكبرياء لله رب العالمين (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائرهم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) فاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى الى اذا هما ثم انتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاقربين عفورا) الاواب (١٦٣) الذي اذا اذنب باذنه النوبة فجاز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جنانية ثم تاب منها

ويندرج تحته الجاني على ابريه التائب من جنائيه لوروده على اثره (وآت ذا القربى) منك (حقه) أى النفقة اذا كانوا حرام فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبريرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفرق المال في غير الحل والحل فمن يجاهد ولو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهى غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان ارفعهم اخوانهم وأصدقاهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فانه لا يدعوا الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرذ (ابتغاء حجة من ربك ترجوها فقل لهم قولا مبسورا) أى وان أعرضت عنهم لفقدر رزق من ربك

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة ولو قتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد في سبيل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أى من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) أى أبراوا مطيعين فاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لكم من حق الوالدين أو غيرهما وقيل فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يتخلونه البشر مما يؤدى الى اذا هما ثم انتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للاقربين) للتقربين (عفورا) قال سعيد بن جبيرة في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابريه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاقرب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاء الى الخير وقال ابن عباس الاقرب الرجاء الى الله فيما يجزئه وينوبه وعنه انهم المسجون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قبا وهوهم يصلون الضحى فقال صلاة الاقربين اذا رضت الفصال أخرجه مسلم قوله اذا رضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرضا وهو الرمل بحر الشمس فنزلت الفصال من الحر وشدة احراقها خفافها وافصال جمع فصيل وهى أولاد الابل الصغار وقيل الاقرب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاقربين قوله سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقهم والمسكين وابن السبيل) قيل ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتى أقارب به حقوقهم وقيل انه خطاب لكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتى حقهم من صلة الرحم والمودة والزينة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا يحاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبى حنيفة وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تبذر تبريرا) أى لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهمه أو مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى أولياءهم وأصدقاهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرهم به من الاسراف وقيل أمثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى بحودد للنعمة فما ينبغي أن يطاع لانه يدعو الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرذ (ابتغاء حجة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله تجوه ان يأتى بك (فقل لهم قولا مبسورا) أى لينا جميلا أى عدوهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله واياكم من فضله قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله ان أى تستكسبك درع عالم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبضة فقال لا صبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا اعدا لنا وقتنا آخر فعاد الى أمه فقالت

ترجوان يفض لك نسبي الرزق فتردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقدان فاقد الرزق يبتغى له فكان الفقد سبب قول الابتغاء والابتغاء مسيبا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعا عليهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعا فيه بيسر وابتغاء مفعول له أو صدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك)

ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحج واعطاء المسرف أمر بالاعتقاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتنقدهم ما لو ما) فتصير ما لو ما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير اعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسه لما اذا احتجت فقدمت على ما فعلت (محسورا) منقطعها بالشيء عندك من حصره السفر اذا اترفه انرا بليغا و عاريا من حصر رأسه وقد خاطرت مسلمة ضربتها اليهودية في انه يعني محمد عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقد عر بانافا قيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فترزت ثم سلى رسول (١٦٣) انتهى صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس له وان منك عليه ولا الخجل به

عليك ولكن لان بسط الارزاق وقد درها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أي هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان يعباده خبيرا) بمصالحهم فيمضها (بصيرا) بحوائجهم فيقضها (ولا تقتلوا اولادكم) قتلهم اولادهم وأدهم بناتهم (خشية اطلاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن ارزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اغاظيما يقال خطي خطأ كأنم اخطأ وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطأ بالمد والكسر مكي (ولا تقر بوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو مخفي عن دواعي الزنا كالس والقبلة ونحوهما ولوأريد النهي عن نفس الزنا يقال ولا تزنا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سيلا)

قل له ان أي تستكسبك الدرع الذي عليك قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ووزع قميصه وأعطاه وقد عر بانافا ذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرأه عر بانافا نزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كما مغلولة يده لا يقدر على مداها (ولا تبسطها) أي بالعطاء (كل البسط) أي تقطعي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحج واعطاء المسرف أمر بالاعتقاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتنقدهم ما لو ما) أي عند الله لان السرف غير مرضى عنده وقبل ما لو ما عند نفسك وأصحابك أيضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذ لم تعطهم (محسورا) أي منقطعها بالشيء عندك تنفقه وقبل محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرفقه من الاضاعة بان ذلك ليس له وان منك عليه ولا الخجل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان يعباده خبيرا بصيرا) يعني انه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت في ارزاق العباد ليس لاجل الخجل بل لاجل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل (ولا تقتلوا اولادكم خشية اطلاق) أي فاقه ووفر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يتدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات وأن يشكوهن لغيرا كفاء لثمة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكأنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أي اثما كبيرا (ولا تقر بوا الزنا) انه كان فاحشة أي فبيحة زائدة على حد القبح (وساء سيلا) أي بش طر يقاطر يقه وهو ان تعصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب يمكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قبل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفساد منها المعصية وواجب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتر بيته وذلك بوجوب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك بوجوب خراب العالم قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الابالحق أي الاباحدي ثلاث كإروى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن رسول الله الاباحدي ثلاث الشيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينسه المغارق للجماعة أخرجاه في الصحيين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقامه وان شاء أخذ اليه وان شاء عفا (فلا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قاتل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القاتل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقر بائه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قبيل الضمير راجع للمقتول فلما يعني انه

وبش طر يقاطر يقه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) أي بار تكلم ما يبيع الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب ما يبيع الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه (فلا يسرف في القتل) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف بحزرة وعلى على خطاب الولي أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولي أي حسبه ان الله قد نصره بان أوجب له القصاص فلا يسرف في ذلك أو للمظلوم أي الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالشواب والذى يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه كان منصورا بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ان

القصاص يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والذمي لان أنفس أهل الذمة والعبيد داخله في الآية لسكونهم محرمة (ولا تقر بومال اليتيم الا بالتي هي أحسن) بالحصلة والطريقة التي هي أحسن وهي حفلة وتيمره (حتى يبلغ أشده) أي ثمان عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى ونواهييه (ان العهد كان مسؤلاً) مطابوا باطلب من المعاهدان لا يضيعه ويقي به أو ان صاحب العهد كان مسؤلاً (وأوفوا السكيل اذا كاتم وزنوا بالقسط) بكسر القاف حزة (١٦٤) وعلى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقبل هو

القرسعون أي القبان المستقيم المعتدل (ذلك خير) في الدنيا (وأحسن تأويلاً) عاقبه وهو تفصيل من آل اذار جمع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف مالم تعلم) ولا تتبع مالم تعلم أي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الخنظية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحد بما لا تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كافي الشهادات ولتأني العمل بخبر الواحد اذا ذكرنا ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً أولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان أولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير

منصور في الدنيا ما يحب القود على قاتله وفي الآخرة يتكفير خطاياها ويحجب النار لقائله وقيل الضمير راجع الى الولي المقبول معناه انه كان منصوراً على القاتل باستيفاء القصاص منه أو والديه وقيل في قوله فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل غير الحق فانه ان فعل ذلك فولي القتل منصور من قبله عليه باستيفاء القصاص منه قوله سبحانه وتعالى (ولا تقر بومال اليتيم الا بالتي هي أحسن) أي بالطريقة التي هي أحسن وهي تيمره وحفله عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الأشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالحه والام ينصفك عنه الحجر (وأوفوا بالعهد) أي الاتيان بما أمر الله به والانتها عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤلاً) أي عنه وقيل مطابوا وقيل العهد يستل فيقال قيم نقضت كما وردة تستل قيم قتلت قوله عز وجل (وأوفوا السكيل اذا كاتم) المراد منه اتمام السكيل (وزنوا بالقسط المستقيم) قيل هو الميزان صغيراً كان أو كبيراً من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قبل هوروي وقيل سرباني والاصح انه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان السكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاضد والبيع والشراء فاشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في ابقاء الاموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلاً) أي أحسن عاقبه من آل اذار جمع وهو ما يؤل اليه أمره قوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) أي ولا تتبع (مالم تعلم) أي لا تقل رأيت ولم تسمع ولم تعلم ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحد بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفوا الامور وتتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم في أحد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً) معناه يستل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يستل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة في أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها عن شكل بن جريد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعوذاً أتعوذ به قال فخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر فؤادي وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله وشر مني يعني ماله وذكركه عز وجل (ولا تمس في الارض مرها) أي بطاروكبوا وخيلاء (انك لن تحرق الارض) أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولاً) أي لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً ممن يريد حرق الارض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء وقيل ان الذي يمشي مختللاً يمشي مرة على عقبه ومرة على صدوره فمبه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبك ولن تبلغ الجبال طولاً ان مشيت على صدوره فمبهك عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفوا تكفوا كما تمنا ينخط من صيب أخرجه الترمذي في الشمائل قوله تكفوا التكفوا التمايل في المشي الى قدام وقوله كما تمنا ينخط من صيب هو قرين من التكفوا أي كأنه يخدر من موضع عال عن أبي هريرة قال ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تمنا الارض تطوي له انا لجهداً أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذي قوله لغير مكترث

والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالم يحل لك النظر اليه أي ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخر عن الفعل فاما اذا تقدم فلا (ولا تمس في الارض مرها) هو حال أي ذا مرع (انك لن تحرق الارض) لن تجعل فيها خراباً ولسك لها وشد وطنتك (ولن تبلغ الجبال طولاً) بتطاولك وهو تمك بالاختلال أولن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول

(كل ذلك كان سيئة) كوفي وشاخي على اضافة سبي الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيدهم الا ترك نقول الرنا سيئة كما نقول السرقة سيئة فان قلت الحاصل المذكور بعضها سبي وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئته بالاضافة أي ما كان من المذكور سيئنا كان عند الله مكرها وما هو وجه قراءته من قرأ سيئته قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الحاصل المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر لها هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بعلمته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ما لو ما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى (١٦٥) عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر وأخرها مدحورا ولقد

جعلت فاتحتها وخاتمتها
النهي عن الشرك لان
التوحيد رأس كل حكمة
وملاكتها ومن عدمه لم
تنفعه حكمة وان بذقها
الحكماء وحل بيافوخه
السماء وما أغنت عن
الفلاسفة أسفار الحكم
وهم عن دين الله أضل من
النم ثم خاطب الذين قالوا
الملائكة بنات الله بقوله
(أفأصفا كبريكم بالبنين)
الهمزة للانكار يعني
أنخصم ربكم على وجه
الخلوص والصفاء بأفضل
الاولاد وهم البنون (واتخذ
من الملائكة نانا) واتخذ
أدوتهم وهي البنات وهذا
خلاف الحكمة وما عليه
مقولكم فالعبيد لا يؤثرون
بأجود الاشياء وأصفاها
ويكون أدوتها وأدوتها
للسادات (انكم لتقولون
قولا عظيما) حيث أضفتم
اليه الاولاد وهي من
خواص الاجسام ثم فضلتهم
عليه أنفسهم حيث تجعلون

أي شاق والاكثرات الامر الذي يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها) أي ما ذكر
من الامور التي نهي الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتأخير
تقديره كل ذلك كان مكرها وسيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لاعلى الصفة أي كل ذلك كان
سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكروا قوله سبحانه
وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الامور والنواهي في هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من
الحكمة) أي ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والمثل لا تقبل
النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر
بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه
الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ما لو ما مدحورا
الاولاح من كل شيء موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن
الشرك وختمها به والمقصود منه التنبه على أن كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد دلالة على رأس كل
حكمة وملا كهو من عدمه لم ينفعه شيء ثم انه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يجب أن
يكون صاحبه مذموماً مخذولاً وقال في هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ما لو ما مدحورا)
والفرق بين المذموم والمخذول اما كونه مذموماً فمعناه أن يذكر له ان الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر
فهذا معنى كونه مذموماً يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي جعلك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين
المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ﴿ قوله
سبحانه وتعالى (أفأصفا كبريكم) يعني أنخصم واختاركم فجعل لكم الصفة ولنفسه ما ليس بصفة (بالبنين)
يعني أنخصم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة نانا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله
مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين
بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب به مشرك مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة
بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات ﴿ قوله سبحانه
وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد
في صرفنا للتكثير والتكرير (لبيذ كروا) أي لبيذ عظواو يعتبروا (وما يزيدهم) أي نصر يفتاوتد كبرنا
(الانفورا) أي تباعدوا عن الحق (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة) كما تقولون
اذالبتغوا) أي لطلبوا يعني هؤلاء الآلهة (التي ذى العرش سبيلا) أي بالمغالبة والقهر ليزيوا ملكه
كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقرهم
اليه والاول اصح ثم زه نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك

له ما تكبرهون (ولقد صرفنا في هذا القرآن) أي التنزيل والمراد ولقد صرفناه أي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم
(لبيذ كروا) وبالختيف جزء وعلى أي كبرناه لبيذ عظوا (وما يزيدهم) عن الحق وكان الثوري اذا قرأها يقول زادني لك خضوعا ما
زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معه) مع الله (آلهة) كما تقولون (وبالبناء مكى وحفص) اذا الابتغوا الى ذى العرش سبيلا) يعني لطلبوا الى
من له الملك والرؤية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة اذا
داله على ان ما بعدها وهو لا يتبعوا اجواب عن مقالة المشركين وجزاء لوه (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء جزء وعلى (علوا) أي تعاليا
والمراد البراعة من ذلك والتزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراعة والبعده مما وصفوه به

(يسبح) وبالناه عراقي غير أبي بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده) أي يقول سبحان الله وحمده عن السدي قال عليه السلام ما عطيد (١٦٦) حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما يصيح من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

المبالغة في البراءة والبعد عما يصفونه به ﴿ قوله عز وجل ﴾ (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن)
يعني الملائكة والانس والجن (وان من شيء الا يسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شيء الا يسبح بحمده
وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يتصل
فاذا ابتل تراب التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح
مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركز ترك التسبيح وان
الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطيير يسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت
التسبيح وقيل وان من شيء جادا اوحى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقبض السقف وقيل كل الاشياء
تسبح الله حيوانا كان او جادا وتسبيحها سبحان الله وحمده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كما
نعبد الايات بركة وانتم تعدونها تخويها كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال
اطلبوا فضله من ماء جفونا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حتى على الطهور
المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
بمكة حجرا كان يسلم على ليالي بعثت وانى لا عرفه الا ن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فغن الجذع قائما فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه
وساره بشيء وفي هذه الاحاديث دليل على ان الجناد يتسكلم وانه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات
والارض والجنادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته
فكانها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول أصح ما ادلت عليه الاحاديث وانه منقول عن
السلف واعلم ان الله تعالى علم في الجنادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان نكمل علمه اليه ﴿ وقوله تعالى
(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم (انه
كان جاسما غفورا) أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح ﴿ قوله عز وجل
(واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه
والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد بن جبيرة أنه قال لما نزلت تبت
يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فلم تره فقالت لابي بكر أين
صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت
جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك يني ويديها (وجعلنا على
قلوبهم أكنة) أي أعمية (أن يفقهوه) أي لا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا لا يسمعه (واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت تتسبوا القرآن (ولو اعلی ادبارهم نفورا)
جميع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أي من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذي
يسمعون به وهو التكذيب (اذ يستمعون اليك) أي وأنت تقرأ القرآن (واذهبهم نجوى) أي وبما
يتناجون به في أمرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم
يقول ساحر أو شاعر (اذ يقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أي
مطبويا وقيل تخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرثة ومعناه انه بشر مثلكم يا كل
ويشرب قال الشاعر
أرانا موضعين لا مرغيب * ونسحر بالعامم والشراب
أي تغدي بهم (انظر كيف ضرب بالامثال) أي الاشياء فقالوا ساحر كاهن مجنون (فضلوا) أي

لاختلاف اللغات أو لتعسر
الادراك أو سبب لتسبيح
الناظر اليه والدال على
الخبر كفاعله والوجه الاول
(انه كان حليما) عن جهل
العباد (غفورا) لذنوب
المؤمنين (واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالاخرة حجابا
مستورا) ذا ستر أو حجابا
لا يرى فهو مستور (وجعلنا
على قلوبهم أكنة) جمع
كان وهو الذي يستر الشيء
(أن يفقهوه) كراهة أن
يفقهوه (وفي آذانهم
وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع
(واذا ذكرت ربك في
القرآن وحده) يقال وحده
يعد وحدا وحده نحو وعد
يعد وعدا وعدة فهو مصدر
سد مسد الحال أصله يعد
وحده بمعنى واحدا (ولو اعلی
ادبارهم) رجوعا على
أعقابهم (نفورا) مصدر
بمعنى التولية أو جمع نافر
كفاعد وقعود أي يحبون
أن تذكر مع آلهم
لانهم مشركون فاذا سمعوا
بالتوحيد نفروا (نحن أعلم
بما يستمعون به) أي نحن
أعلم بالحال أو الطريقة
التي يستمعون القرآن به
فالقرآن هو المستمع وهو
مخدوف وبه حال وبين المأوى
يستمعون القرآن هازئين

لا جادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين (اذ يستمعون اليك) نصب باعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
(واذهبهم نجوى) وبما يتناجون به اذهبهم ذوو نجوى (اذ يقول الظالمون) بدل من اذهبهم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف
ضرب بالامثال) مثولك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا)

فلا يستطيعون سبيلا) أي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متخبر في أمره لا يدري ما يصنع
(وقالوا) أي منكم والبعض (أثذا كنا عظاما وورقانا أننا لمبعوثون خالقا جديدا) أي مجددا وخالقا حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو
حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والأرض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من بعدنا قل) أي بعدكم (الذي
فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستعدون ان مجددا لله خلقكم و يرد الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الخلق
بل هي عمود خلقه الذي يبني عليه ساكنه فليس يبدع ان يرد الله بقدرته الى الحالة الأولى (١٦٧) ولكن لو كنتم بعد شي من الحياة

وهوان تكونوا حجارة أو
حديدا السكان قادر على أن
يردكم الى حال الحياة
(فسيدغضون اليك رؤسهم)
فسبحر كونها تحولك تعبها
واستهزاء (ويقولون متى
هو) أي البعث استبعادا
له ونظما (قل عسى أن يكون
قريبا) أي هو قريب
وعسى للوجوب (يوم
يدعونكم) الى المحاسبة وهو
يوم القيامة (فستجيئون
بجمده) أي تجيئون
حامدين والباء للحال عن
سعيد بن جبير ينفذون
التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك
(وتظنون ان لبستم الا
قليل) أي لبنا قليلا أو زمانا
قليل في الدنيا أو في
القبر (وقيل لعبادي)
وقيل للمؤمنين (يقولوا)
للمشركين الكافرة (التي
هي أحسن) وأين ولا
يخاشونهم وهي ان يقولوا
يهديك الله (ان الشيطان
ينزع بينهم) يلقي بينهم
الفساد بغري بعضهم
على بعض ليوقع بينهم

في جميع ذلك حوارا (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى طريق الحق (وقالوا أثذا كنا عظاما) أي بعد الموت
(ورقانا) أي ترابا وقيل الرقان الأجزاء المنفتحة من كل شيء تكسر (أننا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم
استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى رداعلهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة)
أي في الشدة (أو حديدا) أي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تمييز أي استشعروا في قلوبكم انكم
حجارة أو حديد في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والأرض والجبال لانها أعظم
المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينها لا ميتة منكم
ولا بعينكم (فسيقولون من بعدنا) أي من يبعثنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) فمن
قدر على الإنشاء قدر على الاعادة (فسيدغضون اليك رؤسهم) أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما
تقول (و يقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعونكم)
أي من قبوركم الى موقف القيامة (فستجيئون بجمده) قال ابن عباس بامرهم وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه
خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين
(وتظنون ان لبستم) أي في الدنيا وقيل في القبور (الاقبلا) وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر
الوفاء من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب
القيامة قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين
فشكروا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل (وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي
أحسن أي لا يكافؤهم على ستمهم بل يقولون لهم يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل
زلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامر الله بالعرفه وقيل امر الله المؤمنين ان يقولوا
و يفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لاله الا الله (ان الشيطان ينزع بينهم) أي
يفسدو يلقي العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة قوله عز وجل
(ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) أي يوفقكم للايمان فتؤمنوا (أو ان يشأ بعد بكم) أي يمتسك على الشرك
فعدوا وقيل معناه ان يشأ ربكم فتجيبكم من أهل مكة أو ان يشأ بعد بكم أي يسلمهم عليكم (وما أرسلناك
عليهم وكيلا) أي حافظا وكيلا قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) يعني ان
علمه غير مقصور عليك بل علمه متعلق بجميع الموجودات والعلاقات ومتعلق بجميع ذات الارضين
والسموات بعلم حال كل أحد و يعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم بأحوالهم واختلاف
صورهم وأخلاقهم وملاهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليا ولا وكم
موسى تكاميا وقال عيسى كني فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وآتى داود زورا وذلك قوله
تعالى (وآتيناه داود زورا) وهو كتاب انزل الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاة وثناء على
الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا قرآن ولا حدود ولا أحكام فان قلت لم خص داود

المشاقة والنزع ايقاع الشر وفساد ذات البين وقرأ طحة ينزع بالكسر وهما الغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) فظاهر العداوة
أو فسر التي هي أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ بعد بكم) بالخذلان أي يقولوا لهم هذه الكرامة
وتحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معدنون وما أشبه ذلك مما يغضبهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزع بينهم اعتراض
(وما أرسلناك عليهم وكيلا) حافظا لا عمالهم وهو كولا اليك أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فذارهم ومن أحيالك بالمدارة (وربك
أعلم بمن في السموات والأرض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه إشارة الى تفضيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتيناه داود زورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الأنبياء وان أمة خير الامم لان ذلك مكتوب في زور داود قال

الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكرا ان الارض يرثها عبداي الصالحون وهم محمد وأمتهم ولم يعرف الزبور هذا عرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل والفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتهم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدتهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يعلمون كشف الضرع عنكم ولا تحويلا) أي ادعواهم فهم لا يستطيعون ان يشفوا عنكم الضرع من مرض أو فقر أو عذاب ولان يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يتبعون الى ربهم الوسيلة) يعني ان آلهتهم أولئك يتبعون الوسيلة وهي القرية الى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يتبعون وأي موصولة أي (١٦٨) ينبغي من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يتبعون الوسيلة

معنى يحرسون فكانه قيل يحرسون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (و يرجون رحمة ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب و نبي مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قسرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قيل الهالكة للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحالك في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبيشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبيل بالصواعق والرواحف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فهالك أهلها وأما بدخشان فيخربها

في هذه الآية بالذكردون غيرهم من الانبياء قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينادود زبور او ذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آناه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم بالملك والمال الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور ان محمد اخاتم الانبياء وان آتته خير الامم فلها ذكرا الوجه الثالث ان اليهود زعمت أن لاني بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينادود زبور او معنى الآية انكم لن تنسكروا تفضيل النبيين فكيف تنسكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يعد أن يفضل محمد اصيلي الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار أصابهم فحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دونه (فلا يعلمون كشف الضرع عنكم) أي الجوع والقحط (ولا تحويلا) أي الى غيركم أو تحويل الخال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية ان نشغل بعبادة الله فنحن نعبد المقرين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا ذلك الملك الذي عبده وتمثال الاوصوة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أي الذين يدعون المشركون آلهة (يتبعون الى ربهم الوسيلة) أي القرية وبالدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفران من الجن فأسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأزل هذه الآية وقوله تعالى (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب ينبغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (و يرجون رحمته) أي جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أي حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب و نبي مرسل فضلا عن غيرهم (ان عذابا شديدا) أي بالقتل وأنواع العذاب اذا كفر وادعوا ووقيل الهالكة في حق المؤمنين الامانة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا بمشئنا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد

أقوام وأما ترمذ فاهلها يتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما ممرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء اخرجهم فيقتلون أهلها قتلادزيعا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب ونوارزم وأما بخارى فهي أرض الجبارة فيموتون فحطار جوعا وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلكها العلاء والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها عدو برق وظلمة فهالك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطسبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية واذر يجبان فهلكها سنانك الخيول والحيوش والصواعق والرواحف وأما همدان فالديلم يدخلها ويحرقها أو ما حلوان فحرقها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنزير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها واهل دمشق وويل لاهل افرقيقة وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة

تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيما بينهم عدو وصاحوا بصحة نخلع القلوب وتموت الأبدان (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) استعير المنع لترك إرسال الآيات وإن الأولى مع صلتها في موضع النصب لانها مفعول ثانٍ للمنعوان الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانها مفعول منعنا والتقدير وما منعنا إرسال الآيات الكاذبة الأولى والمراد الآيات التي اقترحتها قرئش من قلب الصفاذهبوا ومن أحياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن إرسال ما يقترحوه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على (١٦٩) قلوبهم كعادته وودانها وأرسلت

لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعث اليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آنا هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آنا هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال (وأنا نعوذ بالناقصة) باقتراحهم (مبصرة) آية بيينة (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها الآيات المقترحة فاعني لا ترسلها (الأنخويها) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرهما فاعني وما نرسل ما ترسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويها وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفصوله (واذ قلنا ان ربك أحاط بالحكمين أمية يتداولون منيرة كما يتداول الصبيان الكرة فسأه ذلك فان اعترض معترض على هذا النفس وير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أوجب بأنه لا اشكال فيه فانه لا يعبدان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة

أخرجه الترمذي قوله سبحانه وتعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قال ابن عباس سألت أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفاذهباً وقصة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم أن شئت أن أستأنى بهم فعلت وإن شئت أن أوتيتهم ما سألو فأفعلت فان لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأنى بهم فانزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات أي التي سألتهم كفار قومك إلا أن كذب بها الأولون أي فاهلكوا كما هم فان لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتناهم لان من سنننا في الأمم إذا سألو الآيات ثم لم يؤمنوا بعد آياتنا ان نهلكهم ولا نعلمهم وقد حكمنا بما هال هذه الأمة إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى (وأنا نعوذ بالناقصة مبصرة) أي بيينة وذلك لان آنا هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلموا بها) أي عذبوا بها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الأنخويها) أي وما نرسل بالآيات الأنخويها من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات الأنخويها أي انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلمهم يرجعون قوله عز وجل (واذ قلنا لك) أي واذا كرمناهم اذ قلنا لك (ان ربك أحاط بالناس) أي ان قدرته محيطه بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدر ان يخرجهم من قبضته واذ كان الامر كذلك فهم لا يقدر ان يخرجهم من قبضته وقدرته وهو حافظك وما نملك منهم فلا تهمهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الا كثرون من المفسرين على ان المراد منها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من الجنائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أرى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسرى به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبيرة والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جرير وغيرهم والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلماذا كرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن ينكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخاضون اعماناً وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد به هذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فحمل المسير إلى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبرانه يدخلها فتنة لبعضها ثم دخل مكة في العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان ولد الحكمين أمية يتداولون منيرة كما يتداول الصبيان الكرة فسأه ذلك فان اعترض معترض على هذا النفس وير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أوجب بأنه لا اشكال فيه فانه لا يعبدان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة

(٢٢ - (خازن) - ثالث) ربك أحاط بقريش علماء وقدره فكاهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لامر ربك وبلغ ما أرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالمنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا استعجلون وتخشرون إلى جهنم وبئس المهاد فاعله كأن قد كان وجد فقال أحاط بالناس على سنته في اخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله اسكاني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومي إلى الارض ويقول ههنا مصرع فلان فتساقطت قريش بما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى في منامه من مصارعهم فكانوا يصحكون ويضحون ويستعجلون به استهزاء (والشجرة الملعونة في القرآن) أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة القوم طعم الاثم جعلوها شجرة وقالوا ان محمد ا يزعم ان الحجيم

تتحرق الحجارة ثم يقول ثبتت فيها الشجرة وما قد دروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يتمتع ان يجعل الله الشجرة من جنس لاتأكلها النار فهو
 السمندل وهو دودة بيلاذ الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبق المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى
 النعامة تتلغ الجرف فلا يضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها لحاز أن يتخاق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما ترسل نحو يقال للعباد
 وهو لا قد خوقوا بعدذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوقوا بعدذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (وتخوفهم) أي بخواف الدنيا
 والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الاطعينا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي
 الاسراء والفتنة ارداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في البقطة فسر الرؤيا بالروية وانما سماها رؤيا
 على قول المكذبين حيث قالوا له لعلهارؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمي أشياء باسمها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهم أن شركائى أوهى
 رؤياها انه سيدخل مكة والفتنة الصد (١٧٠) بالحد يبينه فان قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناها والشجرة الملعون آكلها

وهي الكفرة لانه قال ثم
 انكم أهل الضالون المكذبون
 لا تكونون من شجر من
 زقوم فاللون منها البطون
 فوصفت بلعن أهلها على
 المجاز ولان العرب تقول
 لكل طعام مكر وهضار
 ماعون ولان اللعن هو
 الابعاد من الرحمة وهي في
 أصل الجحيم في أبعاد مكان
 من الرحمة (واذ قلنا الملائكة
 اسجدوا لآدم فسجدوا
 الا إبليس قال أأسجد لمن
 خلقت طينا) هو تمييز أو
 حال من الوصول والعمل
 فيه أأسجد على أأسجد له
 وهو طين أي أصله طين
 (قال رأيتك هذا الذي)
 الكاف لا موضع لها لانها
 ذكرت للخطاب تأكيذا
 هذا مفعول به والمعنى اخبرني
 عن هذا الذي (كرمت
 على) أي فضلتهم كرمته
 على وأنا خير منه خلقتني
 من نار وخلقته من طين

الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كره به طعام ماعون والفتنة فها ان
 أباجهل قال ان ابن أبي كبشة بعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم زعم انه ثبتت فيها شجرة
 وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبير قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم
 الا الزبد والتمر فقال أبو جهل باجابه تعالى فزقمنا فأتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقوا فان هذا ما يخوفكم به
 محمدا فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجرانا جعلنا هاقنة للظالمين الآيات فان قلت أن
 لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن
 وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل
 جهنم في أبعاد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في روايه عنه ان الشجرة المعونة هي الكشوث الذي ياتوى
 على الشجر والشوك فيجفقه (وتخوفهم فما يزيدهم) أي التخويف (الاطعينا كبيرا) أي تمر داو عتوا
 عظيما ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس قال أأسجد لمن خلقت
 طينا) أي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذم او ملحها فن خلق من العذب فهو سعيد
 ومن خلق من الملح فهو شقي (قال) يعني إبليس (أرأيتك) الكاف للمخاطب والمعنى اخبرني (هذا الذي
 كرمت على) أي فضلتهم على (لئن أخرجتني) أي أهلتني (الي يوم القيامة لاحتسكن ذر بته) أي لا ستأصلنهم
 بالاضلال وقيل معناه لا قودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (الاقبلا) يعني المعصومين الذين
 استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أي امض لسألتك
 وليس هو من الذهب الذي هو ضد المحي (فئن تبعلن منهم فان جهنم جزاؤكم) أي جزاؤكم وجزاء أتباعك
 (جزاء موفورا) أي مكافؤا قوله سبحانه وتعالى (واستهفز) أي استخف واستخف واستخف (من
 استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع
 الى معصية الله فهو من جن إبليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهاو للعب (وأجلب عليهم
 بخيلك ورجلك) أي اجمع عليهم مكاييدك وحبائلك واحتشهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان
 جندك ومشايتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى في معصية الله فهو من جند
 إبليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجدفي الامر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم في الاموال
 والاولاد) أما المشاركة في الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا

يخذف ذلك اختصار الدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ (فقال لئن أخرجتني) وبلايا كوفي وشامي واللام موطنه للقسم المحذوف
 (الي يوم القيامة لاحتسكن ذر بته) لا ستأصلنهم باغوائهم (الاقبلا) وهم المخلصون قبل من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أو
 لانه رأى انه خلق شهواني (قال اذهب) ليس من الذهب الذي هو ضد المحي عوانما معناه امض لسألتك الذي اخترته خذ لانا وتخليه ثم عقبه
 بد كرمته سوء اختياره فقال (فئن تبعلن منهم فان جهنم جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاءكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل
 جزاؤكم وانتص (جزاء موفورا) أي موفرا باضمار تجاوزون (واستهفز) استزل أو استخف استخفه أي استخفه والفر الخفيف (من استطعت
 منهم بصوتك) بالسوسة أو بالغناء أو بالمزامير (وأجلب عليهم) اجمع وصحهم من الجلبية وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من
 أهل العيت فان خيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والعصب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتعب ومعناه
 وجعل الرجل و هذا لان انه ما استطاع في طلب الامر الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لا إبليس خيل ورجل (وشاركهم في الاموال والاولاد)

يذبحونه لا كهتهم ويحرمونه كالجيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة في الاولاد فروى عن ابن عباس انه المورثة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هي تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحارث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امره وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروى في بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأل رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفي فرجها شاة نار قال ذلك من وطء الجن (وعدهم) اي منهم الجليل في طاعتك وقيل قل لهم لاجنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعى الى المعصية فلا بد ان يقرر اولاه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعده هذه الحياة فيقرر عند المدعو انه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من الالذة والسرور والحياة للانسان في الدنيا الابد فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم يفرغ عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لاجنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عددهم اي شفاعته الاصنام عند الله وايشار العاجل على الاجل اهان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يامر بالفتنة قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعلموا ما سئمت وكقول القائل اجتهد جهنم فسترى ما ينزل بك وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) اي يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم ارفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاع ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريرة الذهب والانقضاء ينغصها الموت والهزم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى بربك وكيل) اي حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس ان يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة فكان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيل اي فانه سبحانه وتعالى اقدر منه وارحم بعبادته فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسه ويعصمهم من اغوائه واصله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب اخرجتني من الجنة لاجل آدم فسألتني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فردني قال استفرز من استطعت منهم الاية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتي واني لا أستطيعه الا بك قال لا بولدك ولا اولادك به من يحفضه قال رب زدني قال الحسنه بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معرضة مادام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وفي الخبر ان ابليس قال يارب بعثت انبياء واترت كتبنا فقرأتني قال الشعر قال فما كتبنا قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال اي شئ مطعمي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال وان مسكني قال الحمامات قال وان مجاسي قال في الاسواق قال وما جاثلي قال النساء قال وما اذاني قال المزمار **قوله** سبحانه وتعالى (ربكم الذي يزجي) اي يسوق ويجري (اسم الفلك) اي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) اي لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها (انه كان بكم رحيم) اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (واذا مسكم الضر في البحر) اي الشدة وخوف الغرق في البحر (ضل من تدعون) اي ذهب عن اوهامكم ونحوها (كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام وغيرها) (الاياه) اي الاالهه وحده فانكم لا تذكرون سواه (أفضل ما تدعون من الآلهة) عن اعانتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر اعرضتم) عن الاخلاص بعد الاخلاص (وكان الانسان) اي الكافر (كفورا) لنتم (أقائمتم) الهمة للانكار والفناء للعطف على محذوف تقديره اتجوتم فائمتم فحماكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم

والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعته الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريرة واثار العاجل على الاجل ونحو ذلك (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو تزوير الخطا بما يوهبهم انه صواب (ان عبادي) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يتبدل الايمان ولكن بتسويل العاصين (وكفى بربك وكيل) لهم يتوكلون به في الاستعانة منك واحفظا لهم عنك والكل أمرهم بتدبيره فيعاقبه أو اهانه أي لا يخجل ذلك بملكه (ربكم الذي يزجي) يجري ويسير (اسم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) يعني الرب في التجارة (انه كان بكم رحيم) واذا مسكم الضر في البحر (أي خوف الغرق) ضل من تدعون الاياه) ذهب عن اوهامكم كل من تدعون في حوادثكم الاياه وحده فانكم لا تذكرون سواه (أفضل ما تدعون من الآلهة) عن اعانتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر اعرضتم) عن الاخلاص بعد الاخلاص (وكان الانسان) أي الكافر (كفورا) لنتم (أقائمتم)

الهمة للانكار والفناء للعطف على محذوف تقديره اتجوتم فائمتم فحماكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم

جانب البر) انصب جانب الخسف معولابه كالارض في قوله الخسفان به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البرأى بقلبه وانتم
عامة والحاصل ان الجوانب كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحر اسبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل
ان كان الغرق في جانب البحر في جانب البر الخسف وهو تعقيب تحت التراب والغرق تعقيب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوى خوفه من الله
في جميع الجوانب وحيث كان (أو رسل عليكم حاصبا) هي الريح التي تعصب أي ترى بالحصبا يعني أو ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم
بالخسف أصابكم به من فوقكم ربح (١٧٢) يرسلها عليكم فيها الحصبا (ثم لا تجدوا لكم وكبلا) بصرف ذلك عنكم (أم أمتم ان يعيدكم

فيه تارة أخرى فيرسل عليكم)
أي أم أمتم أن يعوق
دواعيكم ويوفر حوائجكم
إلى أن ترجعوا فتركبوا
البحر الذي نجاكم منه
فأعرضتم فينتقم منكم بان
يرسل عليكم (فاصفا من
الريح) وهي الريح التي لها
قصف وهو الصوت الشديد
أوهو الكاسر للفلك
(فيغرقكم بما كفرتم)
بكفرانكم النعمة وهو
اعراضكم حين نجاكم (ثم
لا تجدوا لكم علينا تبيعا)
مطالبنا من قوله فاتباع
بالمعروف أي مطالبنا والمعنى
اننا فعل ما نفعل بهم ثم لا
يجدوا أحدا يبالينا بما
فعلنا انتصارا منا ودركا
لنثار من جهتنا وهذا نحو
قوله ولا يخاف عقباها أن
تخسف أو ترسل ان يعيدكم
فترسل فغرقكم بالنون مكي
وأبو عمرو (ولقد كرمنا
بني آدم) بالعقل والنطق
والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتبديراً من
المعاش والمعاد والاستيلاء
وتسخير الأشياء وتناول
الطعام بالأيدي وعن

جانب البر) أي نغوره والمعنى ان الجهات كلها وفي قدرته برا كان أو بحر ابل ان كان الغرق في البحر في
جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء (أو ترسل عليكم
حاصبا) أي تخطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر ماها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكبلا) أي ما نعاونا صرا
(أم أمتم ان يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة) أي مرة (أخرى فترسل عليكم فاصفا من الريح) قال ابن عباس
أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره (فغرقكم بما كفرتم) أي
بكفرانكم النعمة واعراضكم حين أنجيناكم (ثم لا تجدوا لكم علينا تبيعا) التبع المطالب والمعنى انا
نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحدا يبالينا بما فعلنا انتصارا لكم ودر كالنثار من جهتنا وقيل معناه من
يتبعنا بالإنكار علينا قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرمنا بني آدم) قال ابن عباس هو انهم يأكلون بالأيدي
وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض وقال أيضا لعقل وقيل بالنطق والتميز والخط والفهم وقيل باعتدال
القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال بالبحي والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع
ما في الارض وتسخيرها لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير أمة أخرجت للناس
(وجملناهم في البر) أي على الأبل والخليل والبغال والخيول (والبحر) أي وجملناهم في البحر على السفن وهذا
من مؤكداً التكرير لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الأشياء لينفذ عوالمهم ويستعينوا بما على مصالحهم
(ورزقناهم من الطيبات) يعني لذيق الطعام والمشرب وقيل الزبد والتمر والحلوا وهو جعل رزق غيرهم مما
لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية امانبائية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب الشمسين بعد الطبخ
الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا الغير الانسان (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) واعلم ان الله
تعالى قال في أول الآية (ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكرير والتفضيل
والا لزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بما ورثه خلقه ذاتية طبيعية
مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب
العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكرير والثاني هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على
كثير من خلقنا تفضيلاً لظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير من خلق لا على الكل فقال قوم
فضلا على جميع الخلق الاعلى الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكافي فضلا على الخلائق كلها الاعلى
طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل وسرافيل وعزرائيل وأشسباهم وقيل فضلا على جميع
الخلائق وعلى الملائكة كلها فان قلت كيف تصنع بكثير قلت بوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون
السمع وأكفرهم كاذبون أراد كلهم وفي الحديث عن جابر رفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة
يا رب خلقتهم بأكلون وبشر بون وبمشكون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا تجعل من خلقته
بيدي ونفخت فيه من روحي ممن قلته كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الاولي والراجح أن خواص بني آدم
وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم وهذا التفضيل
انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حرمه لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا

الرشداً انه أحضر طعاما فدعا الملائق وعنده أبو يوسف رحمه الله فقال له جاء في تفسير جلدك ابن عباس رضي الله عنهما وعلموا
قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلناهم أصابع يأكلون بها فاحضرت الملائق فردها وأكل باصابعه (وجملناهم في البر) على الدواب
(والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) بالذبيات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) أي على الكل
كقوله وأكفرهم كاذبون قال الحسن أي كلهم وقوله وما يتبع أكرههم الاطناذ كرفي الكشاف ان المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام
المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم يحبون على الطاعة ففهم عقل بلا شهوة وفي الهائم شهوة بلا عقل وفي الآدمي كلاهما يغلب

عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولأنه خلق الشكل لهم وشاقهم أنفسهم (يوم ندعوا) منصوب
بأذ كر (كل أناس بامامهم) الباء للحال والتقدير يختلط بين بامامهم أي بمن اتبعوا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع
فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (من أوفى) من هؤلاء المدعوين
(كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم) وإنما قيل أولئك لأن من في معنى الجمع (ولا يظلمون) (١٧٣) فتبلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى
شيء ولم يذكروا الكفار وإنما

وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى
من الملائكة الذين عنده ﴿ قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل
عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا مالم إلى هدى وأما إلى ضلال
وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقيل بعبودهم وقيل بامامهم جمع أم يعني بامامتهم
والحكمة فيهم رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وإن
لا يفتضح أولاد الزنا (من أوفى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم) فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة
كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلت الفرق أن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه
مشملا على مشكلات عظيمة فيستولون عليهم الحجل والدهشة فلا يتدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم
كلا قراءته وأصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة
وأبينها (ولا يظلمون فتبلا) أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد عمى
القلب والبصيرة لا عمى البصر والموتى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عدها في هذه
الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه
ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد
عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة أعمى لأنه في
الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا
إليك) قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فيحتمه فريش وقالوا إن دعك حتى
تلم بالهتنا وتمسها حدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني أستلم الحجر وقيل
طلبوا منه أن يذكرا لهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزله الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد
ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبأ بعلك على أن تعطيتنا ثلاث خصال قال وما هن قالوا انجحي في
الصلاة أي لا تنجني ولا تكسرا أصنامنا يا ديننا وان تعذبنا ثلاث سنين غير أن نعبد ما فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود ما أن لا تكسرا وأصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطاغية يعني
اللات والعزى فاني غيرهم نعمكم ما قالوا يا رسول الله انجحب ان تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان
خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع
القوم في سكوتهم أن يعطيتهم ما لم تعطنا فأنزل الله تعالى وان كادوا أي هموا ليفتنونك أي ليصرفونك عن الذي
أوحينا إليك (لتفتري) أي لتختلق وتبتعت (علينا غيره) أي ما لم نقله (وإذا) أي لو فعلت ما دعوك إليه
(لا تتخذوك خليلا) أي والوك ورافوك ورافوك (ولولا أن ثبتناك) أي على الحق بعصمتنا إليك (لقد كدت
تركن) أي تميل (إلهم شيئا قليلا) أي تربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما
فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تسكني إلى نفسي طرفتين والجواب الصحيح هو ان الله
سبحانه وتعالى قال ولولا أن ثبتناك وقد ثبتته الله فلم يركن إليهم (إذا لا ذقتك ضعف الحيوة وضعف الممات)

كتبهم بشمالهم ا كتابه
بقوله (ومن كان في هذه)
الدنيا) أعمى فهو في الآخرة
كذلك (وأضل
سبيلا) من الأعمى أي أضل
طريقا والأعمى مستعار
من لا يدرك المصبرات
لفساد حاسته لا يهتدى
إلى طريق النجاة وأما في
الدنيا فلقد النظر وأما في
الآخرة فلا لأنه لا ينفعه
الاهتداء إليه وقد جوزوا
أن يكون الثاني بمعنى
التفضيل بدليل عطف
وأضل ومن ثم قرأ أبو عمر
الأول مما والا الثاني فمعها
لأن أفعل التفضيل تمامه
بمن فكانت ألفه في حكم
الواقعة في وسط الكلمة فلا
يقبل الإمالة وأما الأول فلم
يتعلق به شيء فكانت ألفه
واقعة في الطرف فقبلت
الإمالة وأما الهمزة وعلى
ونغمها الباقيون ولما قالت
قرئش اجعل آية رحمة
آية عذاب وآية عذاب آية
رحمة حتى تؤمن من بك نزل
(وان كادوا ليفتنونك)
ان تخففه من الثقله واللام
فارقة بينها وبين النافية

والمعنى ان الشأن قار بوا أن يفتنونك أي يتخذوك فاتنين (عن الذي أوحينا إليك) من أو امرنا ونواهينا وعدنا وعيدنا (لتفتري علينا
غيره) لتتقول علينا ما لم نقله أي ما لم نذكره (وإذا لا تتخذوك خليلا) أي ولو اتبعت مرادهم لا تتخذوك
خليلا ولا كنت لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) (ولولا أن ثبتناك) (لقد كدت تركن إليهم) لقاربت أن تميل إلى مكرهم
(شيئا قليلا) ركو ناقلا وهذا تهيج من الله له وفضل تسميت (إذا) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقتك ضعف الحيوة وضعف الممات)
لأذقتك عذاب الآخرة وعذاب القبر ضاعف لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوته كما قال يا نساء النبي من أت منكن بفاحشة الآية وأصل

الكلام لا ذنبا عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الاخرة وهو عذاب النار والعذاب بوصف بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار أي مضاعفا فكان أصل الكلام لا ذنبا عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا و بضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف (١٧٤) في الدار بين دليل على ان القبيح يعظم فبحبه مقدار عظم شأن فاعله ولما زلت كان عليه السلام يقول

اللهم لا تسكنني الى نفسي طرفة عين (ثم لا تجلدك عليا نصيرا) معينا لك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أي أهل مكة (ليستفزونك) لم يرتعونك بعد اوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (ليخرجوك منها اذا لا يلبثون) لا يبقون (خلفك) بعدك أي بعد اخراجك خلافاً كوفي غير أبي بكر وشاخي بمعناه (الاقبلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهل كوا بيدي بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو أخر جوك لاستواصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر به وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني أن كل قوم أخر جوارسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام بينهم بينهم فإذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجلد استننا تحويلا) أي تبديلا قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلوة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال دلوك الغروب وهو قول الخبي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر وزوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثرت السابيعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل دلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة للمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآن لانها لا تجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين حزا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة قرآن شتمت ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام نضر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التعليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهم هذه الصلاة ففي وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور وفي الآية ثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت

أي لو فعلت ذلك لا ذنبا عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والاخرة (ثم لا تجلدك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فاقوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخسروج اليها مخافة الروم وان الله سمعنا من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والاية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزونهم من أرض العرب باجتماعهم وتظايرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج (واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا) أي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني ان كل قوم أخر جوارسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام بينهم بينهم فإذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجلد استننا تحويلا) أي تبديلا قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلوة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال دلوك الغروب وهو قول الخبي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر وزوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثرت السابيعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل دلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة للمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآن لانها لا تجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين حزا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة قرآن شتمت ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام نضر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التعليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهم هذه الصلاة ففي وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور وفي الآية ثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت

لزيوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة صلاة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لاطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هو لا يوصي بعده ولا يفوت في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال في النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن

صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأمة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمّل قم الليل الا قليلا
 نصفه ثم نزل التخفيف فصارت الوجوب منسوخا في حق الأمة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب
 بدليل قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقى الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى
 (ناذلة لك) أي زيادة لك ويدفر بضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك روى عن عائشة ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لکم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب
 صار منسوخا في حقه كافي حق الأمة فصارت قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك
 فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كافي حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص
 ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة
 وزيادة في رفع الدرجات

* (فصل) * في الاحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى انتهخت قدماه فقيل له أتتكاف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا
 شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهني قال لارمقن صلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبه
 أو سطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون
 اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين
 قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبي داود (ق) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف
 كانت صلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أكثر من
 إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن
 ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنام ولا ينام قاي
 (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر إحدى
 عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ أحدكم حسين آية قبل
 أن يفرغ رأسه فاذا سبكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على
 شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح
 صلواته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الأشجعي قال قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام
 فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول
 في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك
 ثم قام فقرأ آل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن
 المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والاوضأ وخرج * عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأينا ولا نشاء أن نراه نائما الا رأينا أخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال
 وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا وقوله عز وجل (عسى
 أن يبعثن ربك مقاما محمودا) أجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظه عسى تفسد
 الاطماع ومن أطمع انسانا في شيء ثم أحرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه
 ما أطمعه فيه والمقام المحمود وهو مقام الشفاعة لانه يحمد فيه الاولون والاخرون (ق) عن أبي هريرة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة وانى احتبأت دعوة نبي شفاعة لامتي فهي نائلة
 منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا

(ناذلة لك) عبادة زائدة لك
 على الصلوات الخمس وضع
 نافلة موضع تهجد الان
 التهجد عبادة زائدة فكان
 التهجد والنافلة يجتمعهما
 معنى واحد والمعنى أن
 التهجد يزيدك على الصلوات
 المفروضة غنيمتك أو
 فريضة عليك خاصة دون
 غيرك لانه تطوع لهم (عسى
 أن يبعثن ربك مقاما
 محمودا) نصب على الظرف
 أي عسى أن يبعثنك يوم
 القيامة فيقيمك مقاما
 محمودا أو ضمن يبعثنك معنى
 يقيمك وهو مقام الشفاعة
 عند الجهور ويدل عليه
 الاخبار وهو مقام يعطى
 فيه لواء الحمد

الله الى الوسيلة فانهم منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سألني الوسيلة
 حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء
 اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
 حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة
 فيتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيبرحنا من مكاننا فيأتون آدم
 فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع
 لنا عند ربك حتى يرحمنا من مكاننا هذا فيقول لست هنا كم فيذ كر خطيئته التي أصاب فيستحي به منها
 ولكن اتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هنا كم فيذ كر خطيئته التي
 أصاب فيستحي به منها ولكن اتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليبا فيأتون ابراهيم فيقول لست هنا كم
 واذ كر خطيئته التي أصاب فيستحي به منها ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون
 موسى فيقول لست هنا كم واذ كر خطيئته التي أصاب فيستحي به منها ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته
 فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هنا كم ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاستأذن علي ربي تعالى فيؤذن لي فاذا
 أنا رأيتني وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل سمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع
 رأسي فاجدر بي بتحميد يعلمني ربي ثم اشفع فيجدي حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فادفع
 ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قل سمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي
 فاجدر بي بتحميد يعلمني ربي ثم اشفع فيجدي حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في
 الثالثة أو في الرابعة قال فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود وفي رواية
 للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى
 الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من
 الخير ما وزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما وزن برة ثم يخرج من النار من
 قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما وزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان
 مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة واذ كر نحوه وفيه فاقول يا رب
 أمي أمي فيقال انطلق فن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار
 فانطلق فافعل قال فاما آخر جنان عند أنس مررت بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث الى هذا الموضع
 فقال هبه فقلنا لم زدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كذا حدثكم ثم قال ثم
 أعود في الرابعة فاجده بتلك المحامد ثم أخره ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل بسمع للوسل تعطه
 واشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيه من قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك البتة ولكن
 وعزني وكبريائي وعظمتي وجبريائي لا يخرج من منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع أي يجتمع
 الذهن والرأي * عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر
 ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم من سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض
 ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعان فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني
 أذنبت ذنبا عظيما فما هبطت به الى الارض ولكن اتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل
 الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حصل بها عن دين الله ولكن اتوا موسى فيأتون
 موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن اتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن اتوا
 محمدا فيأتوني فانطلق معهم قال ابن جده ان قال أنس فسكاني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ

بحلقة باب الجنة فاقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فآخر ساجدا فيلهمني الله من
 الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسئل تعطه واشفع تشفع وقيل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال
 الله سبحانه وتعالى عسى أن يعثلك ربك مقيما محمدا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكرامة فأخذ
 بحلقة باب الجنة فاقعها فيقال من هـ ذاق قال محمد فيفتحون لي ورحبوا بي فيقولون مرحبا فآخر ساجدا
 فيلهمني الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذي قوله ما حل المحاملة الخاصة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة
 والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت منه وقوله فاقعها أي أحرکها حركة شديدة
 والقعة حكاية أصوات الترمس وغيره بماله صوت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول
 الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أسوا ولوا الحمد يومئذ يدي وأنا أكرم ولد
 آدم علي ربي ولا فخر أخرجه الترمذي زاذ في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم إذا حبسوا والكرامة والمفاتح
 يومئذ يدي يطوف علي خديم كأنهم بيض مكنون أو أول مؤمنين أو أول شافع وأول مشفع زاد
 صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع زاد
 الترمذي قال أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن عرش العرش فليس أحد
 من الخلائق يرقم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه ما قال ان الشمس تدنو يوم
 القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فيبيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم عوسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة
 والسلام فيشفع لبعضي بين الخلائق فيمشي حتى ياخذ بحلقة الباب فيؤمئذ يبعث الله مقاما محمدا يحمد فيه
 أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شفعتني رأي من رأي الخوارج فخر جناني عصابة ذوى
 عدد زيد أن نتج ثم نخرج علي الناس قال فررنا علي المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الي سار به يتحدث عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثوننا
 والله يقول انك من تدخل النار فقد أخرجته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعبدا فيها فها هذا الذي تقولون
 قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت
 نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع
 الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك قال غيره انه قد زعم ان قوميا يخرجون من
 النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهران أنهار الجنة
 فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أنرون هـ ذا الشيخ يكذب علي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد وكأقال والاحاديث في الشفاعة كثيرة
 وأول من أنكرها عمر بن عبدوه ومبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو واثل عن ابن مسعود انه قال
 ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يعثلك ربك مقاما
 محمدا قال بقعه علي العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال بقعه علي الكرسي وقوله عز وجل
 (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه
 أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنان المشركين وأدخلني مكة طاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في
 أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقدت بما وجب علي من حق النبوة
 مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه
 أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجهه ويدخل بوجهه فان ذا
 الوجهين لا يكون آمناء عند الله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي حجة بينة وقيل ما كافر أو تنصرتي به
 علي من عادتي وعز اظاهرا أقيم به دينك فوعده الله ليمتنع من ملك فارس والروم وغيره ما يجعل له وأجاب
 دعاءه فقال له والله يصمك من الناس وقال ليطهره علي الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

(وقل رب أدخلني مدخل
 صدق) هو مصدق
 أدخلني القبر ادخالا مريضيا
 علي طهارة من الزلات
 (وأخرجني مخرج صدق)
 أي أخرجني منه عند
 البعث اخراجا مريضيا ملقي
 بالكرامة آمنان الملامة
 ذليله ذكره علي أن ذلك
 البعث وقيل نزلت حين
 أمر بالهجرة ويدادخال
 المدينة والاخراج من مكة
 أو هو عام في كل ما يدخل
 فيه ويلبسه من أمر ومكان
 (واجعل لي من لدنك سلطانا
 نصيرا) حجة تنصرتي علي
 من خالفني أو ملكا وعزا
 قويا ناصر الاسلام علي
 الكفر مظهره عليه

(وقل جاء الحق) الاسلام (ورزق) وذهب وهالك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمعا
 في كل أو ان (ونزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من اللتين (ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورحة) وتفرج للكروب وتطهير
 للعبوب وتكفير الذنوب (للمؤمنين) وفي الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله (ولا يزيد الظالمين) الكافر من (الاخسارا) ضللا
 لتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد
 للاعراض لان الاعراض عن الشيء أن يولي به عرض وجهه والنأى بالجانب أن يولي عنه عطفه ويولي ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من
 عادة المستكبر من نأى بالماله حزة (١٧٨) وبكسر هاء على (واذامسه الشر) الفقر والمرض أو نازله من النوازل (كان يؤسا) شديد

الباطل من روح الله (قل
 كل) أي كل أحد (يعمل
 على شاكلته) على مذهبه
 وطريقته التي تشاكل حاله
 في الهدى والضلال (فر بكم
 أعلم من هو أهدي سبيلا)
 أسد مذهباً وطريقته
 (ويستلونك عن الروح قل
 الروح من أمر ربي) أي
 من أمر يعلمه ربي الجهور
 على أنه الروح الذي في
 الحيوان سأله عن حقيقة
 فأخبره من أمر الله أي
 مما استأثر بعلمه وعن أبي
 هريرة لقد مضى النبي صلى
 الله عليه وسلم وما يعلم الروح
 وقد عجزت الأوائل عن
 ادراك ماهيته بعد انقاف
 الاعمار الطويلة على الخوض
 فيه والحكمة في ذلك تعجز
 العقل عن ادراك معرفة
 مخلوق مجاوره ليدل على
 انه عن ادراك خالقه أعجز
 ولذا رد ما قيل في حده انه
 جسم دقيق هو ان في كل
 جزء من الحيوان وقيل هو
 خلق عظيم روحاني اعظم
 من الملك وعن ابن عباس

الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية ﴿قوله تعالى﴾ (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (ورزق
 الباطل) أي الشرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) أي مضمعا لا غير ثابت وذلك ان الباطل وان
 كان له دولة وصوله في وقت من الاوقات فهو سر يبع الذهب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل
 النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثمانمائة وستون صنفاً فجعل يطعن بها يعود في يده
 ويقول جاء الحق ورزق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعبد ﴿قوله سبحانه
 وتعالى﴾ (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا
 الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه وينضج به المشكل
 ويستشفى به من الشبهة ويهدى به من الخيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء الامراض
 الباطنة والظاهرة وذلك (٣) لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة
 أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فساد الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر
 والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة
 لاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن
 مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق الحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع
 الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض
 يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انهما رقية (ورحة للمؤمنين) اما كان
 القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدر بان يكون رحة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين الا
 خسارا) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحة للمؤمنين وخسار للظالمين وقيل لأن كل آية تنزل
 يتجدد لهم تكذيبها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يحالس القرآن أحد الا قام عنه زيادة أو نقصان قضاء
 الله الذي قضى شفاء ورحة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واذا أنعمنا على
 الانسان) أي بالصحة والسعة (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أي تباعد من نفسه وترك
 للتقرب بنا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (واذامسه الشر) أي الشدة والضر (كان يؤسا) أي آيسا
 قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يشق فلا ينبغي للمؤمن أن يدع
 الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿قوله عز وجل﴾ (قل كل) أي كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على
 ناحيته وقيل الشاكله الطريفة أي على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل
 على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جيلة وأخلاق زكية طاهرة وان
 كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة ﴿فر بكم أعلم من هو أهدي سبيلا﴾ أي أوضح
 طريقا وحسن مذهباً واتباعاً للحق ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا (ق)
 من أمرنا ولان به حياة القلوب ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروي أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن
 أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو
 نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فقدموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا وقوله
 (٣) قوله لانها تنقسم الى نوعين أي الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبارة في الفخر
 الرازي بقاية التهذيب فليراجع

من أمر ربي دليل خلق
 الروح فكان هذا جوابا
 (وما أوتيتهم من العلم الا
 قليلا) الخطاب عام فقد
 روي ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما قال لهم ذلك
 قالوا نحن نخشعون به هذا
 الخطاب أم أنت معناه
 فقال بل نحن وأنت لم تؤت
 من العلم الا قليلا وقيل هو
 خطاب لليهود خاصة لانهم
 قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
 قد أوتينا التوراة وفيها
 الحكمة وقد تلوت ومن
 يؤت الحكمة فقد أوتى
 خيرا كثيرا فقيل لهم ان
 علم التوراة قليل في جنب
 علم الله فالقلة والكثرة من
 الامور الاضافية فالحكمة
 التي أوتها العبد خير كثير
 في نفسها الا أنها اذا أضفيت
 الى علم الله تعالى فهي قليلة
 ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه
 بالصبر على أذى الجدال في
 السؤال بقوله (ولئن شئنا
 لنذهبن بالذي أوحينا
 اليك) لذهبن جواب قسم
 محذوف مع نيابته عن جزاء
 الشرط واللام الداخلة
 على ان موطنه للقسم والمعنى
 ان شئنا ذهبنا بالقرآن
 ونحوناه من الصدور
 والمصاحف فلم نترك له أثرا
 (ثم لا تجد لك به علينا كيبلا)
 أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب
 به من يتوكل علينا باسترداده
 واعادته محفوظا مسطورا

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه
 ينظر من اليهود فقال بعضهم لبعض سألوه عن الروح وقال بعضهم لا نسأله باسمكم ما تسمونهون فقاموا اليه وفي
 رواية فقام اليسر رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة
 ينتظر الوحي وعرفت انه نوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
 وما أوتيتهم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا نسأله وفي رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال
 الاعمش هكذا في قراءة تبارك العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا
 نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بالكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نورا الى اليهود بالمدينة واسألوهم
 عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سألوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجيب عن
 شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجيب عن واحدة فهو نبي فاسألوهم عن فتيه فقد وافي الزمن الاول
 ما كان شأنهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح
 قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتكم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي قال بجاهد اثني
 عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا بمحمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا
 بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه
 السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان شاء الله ونزل في الفتية أم حسبت ان أصبحنا
 الكهف والرحيم كانوا من آياتنا نجما ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في
 الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من ربي واختلها في الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه
 جبريل وعن علي أنه ملائكة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة
 يسبح الله تعالى بكها وقال بجاهد خالق على صورة بنى آدم لهم أيدي وأرجل ورؤس يسوا بلائكة ولا ناس
 يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبيل يخاف الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبدل السموات
 والارض ومن فيها لمة واحدة الفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه
 الآدميين يقوم يوم القيامة على عرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عندا تحجب السبعين وأقرب
 الخلق الى الله يوم القيامة وهو بمن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة ستر من نور لا حترق
 أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح
 المركب في الخلق الذي به يحيا الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم
 ألا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس
 النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنَى اجتمع فيه النور
 والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات
 واذا خرج منه ذهب السكل وأقرب السكاء والصوقية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها
 وأولى الاقوال ان يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح
 ملكا مقرر باولنا يسر سلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استأثر به (وما أوتيتهم من
 العلم) أي من علم ربي (الا قليلا) أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا
 يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة
 تدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه بالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى
 الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما للنبوة والقول الاصح هو ان الله
 عز وجل استأثر بعلم الروح قوله عز وجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) ومعناه انا كمنعنا
 علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ونحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما
 كنت ما تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا كيبلا) معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده

الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتخفيفه ونزل جوابا لقول النضر لونهاة لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا بالشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهر واعلى أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظامه وتأليفه للجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (لناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه (فأبي أ كثر الناس الا كفورا) جودا وانما جاز فأبي أ كثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان أبي متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمهم الحجة وغلبوا افترحوا الآيات فعل المهور المحجوج المتخير (وقالوا ان تؤمن لك حتى نفجر لنا) وبال تخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا)

عليك واعادته محفوظا. سلطوا (الارحمة من ربك) معناه الأأن يرجل ربك فبرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه محو ما في المصاحف واذهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسري عليه ليل يرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون مما في المصاحف شيئا ثم تفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النخل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتلى ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك ويجعلك سيد ولد آدم وخاتم النبيين بك واهلناك المقام المحمود قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاختبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لالتوا بمثله قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعود والوعيد والقصص وغيرها (فأبي أ كثر الناس الا كفورا) أي جودا قوله سبحانه وتعالى (وقالوا ان تؤمن لك) أي لن صدقك (حتى نفجر لنا من الارض ينبوعا) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات اخرى بينات ولزمهم الحجة وغلبوا أخذوا يتغالون باقتراح الآيات فقالوا ان تؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا الخثر بن هشام والاسود بن عبد المطالب وزمعة بن الاسود والوليد بن الغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأممية بن خلف والعاص ابن واثل ونبيهار من بني ابي الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكاموه وخاصة حتى تعذر واقبه فبعثوا اليه ان أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكاموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاوه ويظن انه يداهم في أمر فداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا ببعثنا اليك لنعذريك وانا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومنا ما أدخلت على قومك لقد شمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشمت الآلهة وقرت الجماعة وما بقي من قبجج الا وقد حشنته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تعال به مالا جاء لنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ما كملكنا علينا ان كان هذا الذي بك ربياتراه قد غلب عليك الانس تطيع رده بذنا لك أم والنافي طلب الطب حتى نبرئك منه وتعذريك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به لطلب أموالكم ولا لشرف عليكم ولا لاملاك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون اكم بشيرا ونذيرا فبعثتكم رسالا ربي ونصحت اكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويسع لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آباءنا وليكن منهم قسي بن كلاب فانه كان شيخا صادقا فانسأ لهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقك صدقنا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما به سدا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك ان يبعث ملكا يصدقك واسأله ان يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يعينك بها على ما تريد فانك تقوم بالاسواق وتلتبس المعاش كما تلتسه فقال ما بعثت

(أو تكون لك جنحة من نخيل وعنب فتفجر) والنشد يدونها لجمع عليه (الأنهار خلالها) وسفلها (تطير أو تسقط السماء كجزعت علينا كسفا) يفتح السين مدني وعاصم أي قطعاً يقال أعطى كسفة من هذا الثواب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله أن نشأتخسف بهم الأرض أو تسقط عليهم كسفا من السماء (أو تأتي بالته والملائكة قبيلة) كقيلابا تقول شاهد ابصته والمعنى أو تأتي بالته قبيلابا والملائكة قبيلة كقوله كنت منه والدي بر يا ومقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالاً من الملائكة (أو يكون للبيت من زخرف) ذهب (أو ترقى في السماء) تصعد إليها (ولن نؤمن لرقين) لاجل رقيق (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف أبو عمرو (كتاباً) أي من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) (١٨١) صفة كتاب (قل) قال مكي وشامي أي

قال الرسول (سبحان ربي) تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت الإبرار رسولا) أي أن رسول كسائر الرسل بشيبر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما ينظرونه الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلى انما هو إلى الله فبابا لكم تخبيرونها على (وما منع الناس) يعني أهل مكة ومجمل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن (الأن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الإيمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الأتولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أي الأشبهه تمكنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر والهزمة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه ٣ ففي قضية حكمته منكر ثم رد الله عليهم بقوله (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي مستوطنين مقيمين فيها (لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي من جنسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي على أني رسوله اليكم وانى قد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتهم وعاندتم (انه كان بعباده) يعني المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) أي

بمذاوا سكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كجزعت ان ربك ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم يقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمور يعرفون بها من نزلتلك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تجبل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أومن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء مرقى ترفى فيه وأنا أنظر حتى تأتينا فتأتى بسخفة منشورة معك ونفر من الملائكة تشهدون لك بما تقول وایم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا لما رأى من مبعدهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يعني أرض مكة ينبوعا أي عيوننا (أو تكون لك جنحة من نخيل وعنب) أي بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الأنهار خلالها فتفجيرا) أي تشقيقا (أو تسقط السماء كجزعت علينا كسفا) أي قطعاً (أو تأتي بالته والملائكة قبيلة) قال ابن عباس كقبيلة أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة تشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه تراهم مقابله عيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن نؤمن لرقين) أي لاجل رقيق (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربي) أمره بتزجيمه وتعجبه وفيه معنى التعجب (هل كنت الإبرار رسولا) أي كسائر الرسل لا منهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما ينظرونه الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إليهم انما هو إلى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا إلا بشر وليس ما سألتهم في طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونسج المساء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل أيؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى وما منعهم الإيمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الأشبهه تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الأن قالوا) أي جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا ببعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي مستوطنين مقيمين فيها (لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي من جنسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي على أني رسوله اليكم وانى قد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتهم وعاندتم (انه كان بعباده) يعني المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) أي

على أقدامهم كإيمتى الانس ولا يطيرون باجنحتهم إلى السماء فيسهو من أهلها ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أي ساكنين في الأرض قارين (لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهدوهم إلى المالك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشراوملا كحالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على أني بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتهم وعاندتم شهيدا تميز أحوال (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) بافعالهم فهو مجاز فيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة

(٢) قوله ففي قضية حكمته منكر عبارة الكشاف وما أنكره وفخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي إلا إلى امثاله أو إلى الانبياء اه وهي ظاهرة اه صححه

(ومن يهد الله فهو المهتد) وباليساء يعقوب وسهل وافههما أبو عمر وروى في الوصل أي من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله (ومن يضل) أي ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساروس الشيطان (فل تجد لهم أولياء من دونه) أي انصارا (وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون عليها كقولهم يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على (١٨٢) ان يشبههم على وجوههم (عجبا وبكوصهما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق

وتصامون عن استماعه
فهم في الآخرة كذلك
لا يبصرون ما يقر أعينهم
ولا يسمعون ما يذم سمعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم
(مأواهم جهنم كما خبث)
طفئ لها (زناهم سعيرا)
توقد (ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا بآياتنا وقالوا أنذا
كعظاما ورقانا) أتنا لمبعوثون
خلقا جسديا) أي ذلك
العذاب بسبب انهم كذبوا
بالعادة بعد الافتاء فجعل
الله جزاهم ان سلب النار
على أجزائهم تأكلها ثم
يعيدها ليزالون على ذلك
ليزيد في تحشرهم على
تسكينهم البعث (أولم يروا)
أولم يعلموا (أن الله الذي
خلق السموات والارض
قادر على أن يخلق مثلهم)
من الانس (وجعل لهم
أجلا لا يرب فيه) وهو الموت
أو القيامة (فأبى الظالمون
الا كفورا) مجودا مع
وضوح الدليل (قل لو أنتم
تملكون) تقدره ولو تملكون
أنتم لان لو تدخل على الافعال
دون الاسماء فلا بد من فعل
يعدها فاضمر ذلك على
شريطة التفسير وأبدل من
الضمير المتصل وهو الواو

عالميا باحوالهم فهو مجاز بهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضل فان تجد لهم أولياء من دونه) أي يهدونهم وفيه أيضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك (وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أي يحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يشبهه على وجهه يوم القيامة قال فتادة حين بلغه بلى وعزفة بناوعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركنا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يشبههم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذي الحدب كل ما ارتفع من الارض (عجبا وبكوصهما) أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عجبى وبكوصهم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنا لثبوروا وقال سمعوا هنا تغيطا وزقيرا فثبت لهم الرزية والكلام والسمع قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عجبا لا يبصرون ما يسرهم بكل لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخصوا فيها ولا تكلمون فيصبرون بأجمعهم عجبا وبكوصهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (مأواهم جهنم كما خبث) أي سكن لهم بها وقيل ضعفت وهذات من غير أن يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يفترون عنهم وقيل معناه أرادت ان تحبوا (زناهم سعيرا) أي وقودا وقيل معناه خبث أي نصحت جلودهم واحترقت أعينهم الى ما كانوا عليه وزيدى سعيرا النار لخرقهم (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعني ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا أنذا كعظاما ورقانا) أتنا لمبعوثون خلقا جسديا) أي اجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض) أي في عظامها وشدها (قادر على أن يخلق مثلهم) أي في صغرهم وضعفهم (وجعل لهم أجلا) أي وقتا لعذابهم (لا يرب فيه) أي لا شك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أي محمدا وعنادا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) أي خزائن نعمه وورقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لانها لا نهاية لها (اذا لامسكم) أي لخلتم وحبستم (خشية الانفاق) والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشيء (وكان الانسان قنورا) أي ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالخل قلت الاصل في الانسان الخجل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بدوان يحب ما يدفع به عنه ضررا الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يوجد لاسباب خارجة مثل أن يحب المذحة أو رياء أو فئتيم هذا ان الاصل في الانسان الخجل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فخلها وخلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد

ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتقم فاعل الفعل المضمير وتلكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه صارا
علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المحتصون بالشئ المتبالغ (خزائن رحمة ربى) ورفقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكم خشية الانفاق) أي لخلتم خشية أن يفنيه الانفاق (وكان الانسان قنورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضى الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والطور الذي نتقه

على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والجزر والطور (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل
أى سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعاقب بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون
انى لاظنك يا موسى مسحورا) سحرت نفولط علك (قال) أى موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الارب السموات
والارض) خالقهما (بصائر) حال أى بينات مكشوفات لانك معاند وتحوهو مجدواها واستيقنتها أنفسهم ظلمواها وانما على أى انى لست
بمسحور وكوصفتنى بل انا عالم بصحة الامروان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وانى لاظنك يا فرعون
مسيورا) كانه قال ان ظننتى مسحورا فانا اظنك مسيورا وظنى أصح من ظنك لان له أماره طاهرة (١٨٣) وهى انكارك ما عرفت صحتة
ومكارتك لا آيات الله بعد

وصوحها وأما ظنك فكذب
بعت لان قولك مع علك
بصحة أمرى انى لاظنك
مسحورا قول كذب وقال
الفراع مسيورا مصر وفاعن
الخير من قولهم ما تبرك عن
هذا أى ما منعك ومصر فك
(فأراد) فرعون (ان
يستغزهم) يخترجهم أى
موسى وقومه (من الارض)
أى أرض مصر أو ينفيهم
عن ظهر الارض بالقتل
والاستئصال (فأغرقناه
ومن معه جميعا) فحاق به
مكره بأن استغزاه الله باغراقه
مع قطعه (وقلنا من بعده)
من بعد فرعون (لبنى
اسرائيل اسكنوا الارض)
الستى أراد فرعون ان
يستغزكم منها (فاذا جاء
وعدا الآخرة) أى القيامة
(جننا بكم لفيها) جميعا
مختلطين اياكم وياها ثم تحسكم
بينكم وتميز بين سعدائكم
واشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى (وبالحق
أزلناه وبالحق نزل) وما

صار الحجر من والمرأة قائمة تختبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظى عن
الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه
فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحصى وكهبا حجارة وقيل التسع آيات هى آيات
الكتاب وهى الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل
هذا النبي فقال الآخرة لا تقبل نبي فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فانباه فسألاه عن هذه الآية واقعد آتينا
موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركو باالله شيئا ولا تقنلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزفوا ولا تأكلوا
الربا ولا تسحرورا ولا تشربوا بالبرى الى ساطعان ليقبله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفر وامن الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبلا يده وقالوا نشهد انك نبي قال فاستمعكم ان تتبعونى قالوا ان
داود دعا رب ان لا يزال فى ذريته نبي وانما تخاف ان اتبعناك ان تقنلنا اليهود (فاسئل) يا محمد (بنى اسرائيل)
يجوز ان الخطاب مع المراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (اذ جاءهم)
يعنى جاء موسى الى فرعون بالسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) قال
ابن عباس محذورا وقيل مطبوا بأى سحره وقيل معناه ساحر ما عطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها
من سحره (قال) موسى (لقد علمت) خطبا بالفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاينه (ما أنزل
هؤلاء الارب السموات والارض) يعنى الآيات التسع (بصائر) أى بينات يبصر بها (وانى لاظنك يا فرعون
مسيورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصر وفاعن الخير (فأراد ان يستغزهم من الارض) معناه
أراد فرعون أن يخرج موسى وبنى اسرائيل من أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعا) أى أغرقنا فرعون
وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أى من بعد هلاك فرعون (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض)
يعنى أرض مصر والشام (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى القيامة (جننا بكم لفيها) أى جميعا الى موقف القيامة
واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعدا الآخرة
نزول عيسى من السماء ^١ قوله سبحانه وتعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعنى ان ما أوردنا بانزال القرآن
الاتقير به للحق فلما أوردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن الا بالحق المقضى
لانزاله وما نزل الامتناسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير (وما أرسلناك الا مبشرا) يعنى بالجنسة
للمطيعين (ونذرا) أى يخوف بالنازل للعاصين ^٢ قوله عز وجل (وقرأنا فرقناه) أى فصلناه وبيناه وقيل فرقنا
به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على
مكث) أى على تودة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أى على حسب الحوادث (قل آمنوا به
أولا تؤمنوا) فيعويده وتهديد (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا

أزلنا القرآن الا بالحكمة وما نزل الامتناسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خيرا وما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشكى محمد بن السماك فأخذنا ما عهد ذهنا به الى
طيب نصرانى فاستقبتنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا الى أين فقلنا الى فلان الطيب نريه ما عابن السماك فقال
سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدد الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق
أزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفى فى الوقت
وقال كان ذلك الحضر عليه السلام (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذرا) من النار (وقرأنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى
فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تودة وثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به
أولا تؤمنوا) أى اختاروا والانفسكم النعيم المقيم والعذاب الاليم ثم على بقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أى التوراة فمن قبل القرآن

(أذا نزل على عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أي
 أعرض عنهم فانهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خير امينهم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذا نزل عليهم خروا
 سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولا تحارزه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد
 المذكور ان يعنى انه وهى تؤكد الفعل كما أن ان تؤكدا للاسم وكما كدت ان باللام في انهم لمحضرون أ كدت ان باللام في نفعولا (ويخرون
 للاذقان يبيكون) ومعنى الخرو للاذقان السقوط على الوجه وانما يخص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود والذقن
 يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر (١٨٤) لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرو واخصه به اذ

اللام للاختصاص وكرر
 يخرون للاذقان لاختلاف
 الحالين وهم خروهم
 في حال كونهم ساجدين
 وخروهم في حال كونهم
 ياكين (ويزيدهم) القرآن
 (خشوعا) لين قلب ورطوبة
 عين (قل ادعوا الله أو
 ادعوا الرحمن) لما سمع أبو
 جهل يقول يا لله يا رحمن
 قال انه ثم انان تعبد الهين
 وهو يدعوها آخر فنزلت
 وقيل ان أهل الكتاب
 قالوا انك لتقل ذكر الرحمن
 وقد أكثر الله في التوراة هذا
 الاسم فنزلت والدعاء بمعنى
 التسمية لا بمعنى النداء أو
 للتخيير أى سمو هذا الاسم
 أو هذا أو اذكروا ما هذا
 واما هذا والتنوين في (أياما
 تدعوا) عوض من المضاف
 اليه وما زيدت للتوكيد وأيما
 نصب بتدعوا وهو مجزوم
 بأى أى هذين الاسمين
 ذكرتم وسميتم (فله الاسماء
 الحسنى) والضمير في فله
 يرجع الى ذات الله تعالى

يعلمون الدين قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد بعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان
 الفارسي وأبي ذر وغيرهم (أذا نزل عليهم) يعنى القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس أراد بهم الوجوه
 (سجدا) أى يقولون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أى تعظيما لربنا لانما حارزه ما وعد في
 الكتب المنزلة من بعثه محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أى كائنوا واقعا (ويخرون للاذقان
 يبيكون وينز يداهم خشوعا) أى خضوعا عليهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب
 عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ النار رجل بكى من خشية الله حتى
 يعود الى ابن في الضرع ولا اجتمع على عبد غضب في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذى والنسائى وزاد
 النسائى في منخرى مسلم أيد اللولج الدخول والمختر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عيني بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذى
 قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
 فجعل يقول في سجوده يا لله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتداء هو يدعو الهين فأترل الله هذه
 الآية ومعناها انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أياما تدعوا) ماصلة ومعناها أى هذين
 الاسمين سميتم وذكرتم جميع اسمائهم (فله الاسماء الحسنى) يعنى اذا حسنت أسماءه كلها فهذا ان
 الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك
 ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله
 عليه وسلم تخفف بكمة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أترله
 ومن جاعبه فقال الله تبارك وتعالى لبيته صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أى بقراءة تلك فيسمع المشركون
 فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهنم وابتغ بين ذلك سبيلا لراذلي روية وابتغ بين ذلك سبيلا
 آسمعهنم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والخبي ومجاهد
 ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء وقيل كان أعراب من بني تميم
 اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا ما لا اولادنا يجهرون بذلك فأترل الله عز وجل ولا تجهر
 بصلاتك أى لا ترفع صوتك بقراءة تلك ودعائك ولا تخافت بها المخافة تخفض الصوت والسكوت (وابتغ) أى
 اطلب (بين ذلك سبيلا) أى طريقا وسطا بين الجهر والاختفاء عن أبي تادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 لا يكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال انى اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا
 وقال لعمري مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت ترفع من صوتك فقال انى أوقف الوسنان وأطرد الشيطان فقال
 انخفض قليلا أخرجه الترمذى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمد

والفاء لانه جواب الشرط أى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماءه
 كلها احسن هذان الاسمان لانها ممتناه ومعنى كونها احسن الاسماء انها مشتملة على المعاني التمجيد والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك)
 بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذ الجهر والمخافة تعنيان على الصوت لا غير الصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت
 بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافة (سبيلا) وسطا ومعناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين
 ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى
 وينزه ام

(ولم يكن له شريك في الملك) كإزعم المشركون (ولم يكن له ولي من الذل) أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر أولم يوال أحد من أجل مثله به ليدفعها
 بموالاته (وكبره تكبيرا) وعظمه وصده به أنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمي النبي عليه السلام الآية آية العز وكان إذا أخص
 الغلام من بني عبد المطلب عليه هذه الآية* (سورة الكهف مائة وأحدى عشرة آية بصري وعشر آيات كوفي) * (بسم الله الرحمن الرحيم)
 الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لئن أن الله عباده وفقهم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجل
 نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي (١٨٥) هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجا) أي

شيئا من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان يقال في رايه عوج وفي عصاه عوج والمراد في الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيما) مستقيما وانتصابه بضمير وتقدير وجعله قويا لانه اذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بسين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التاكيد قرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخول من أدنى عوج عند التصفح أو قيعا لها شاهد بصحتها (لينذر) أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرتنا كعذابا قرينه فاقترع على أحدهما وأصله لينذر الذين كقروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولي أنذر لان المنذره هو السوق اليه فاقترع عليه (من لده) صادر من عنده (ويبشر المؤمنين

على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يسلك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقايس فهو المستحق لجميع الحمد (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الذل) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعز به (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستويا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكرا لله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايمن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

*** (تفسير سورة الكهف) ***

وهي مكية وآياتها مائة وأحدى عشرة آية وكلما ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة

وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

*** (بسم الله الرحمن الرحيم) ***

قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجل نعمائه عليهم وهي الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكرا لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أي لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد في الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي عن ابن عباس في قوله تعالى قرأنا نعر بيا غير ذي عوج قال غير مخلوق (قيما) أي مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصداقها وانما سخر الشرائعها (لينذر بأسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب شديس (من لده) أي من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا) يعني الجنة (ما كتين فيه) أي مقامين فيه (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم) أي بالولد أو باتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفترط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به (ولالا بأهم) أي ولالا سلافهم من قبل (كبرت) أي عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم

(٢٤ - (خازن) - ثالث)

الذين يعملون الصالحات ان لهم) أي بأن لهم (أجرا حسنا)

أي الجنة ويبشر حمزة وعلى (ما كتين) حال من هم في لهم (فيه) في الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذره بعكس الاول استغناء لتقديم ذكره (ما لهم به من علم) أي بالولد أو باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفترط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاسيما وانتهاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه أو لانه في نفسه محال (ولالا بأهم) المقادير (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسببت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم)

صفة لكامة تليد استغظا لاجترانهم على النطق به او اخرجاهم من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتم الكون ان يتفوهوا به بل يكفون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة تصدر محذوف أي قولا كذبا (فلعلك بائع نفسك) (١٨٦) قاتل نفسك (على آثامهم) أي آثار الكفار شبهه وآياهم حين تولوا عنهم ولم يؤمنوا به وما اندخلهم من

الاسف على توليهم رجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثامهم ويبيع نفسه وجداع عليهم وتلفها على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أي لفرط الحزن والاسف المبالغته في الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أي ما يصلح ان يكون زينة لها ولا هلاها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لتبلاوهم أي ما يصلح ان يكون زينة لهم) وما يستحسن منها (لتبلاوهم أي ما يصلح ان يكون زينة لهم) (أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في المسبل اليها بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعبا) أرضا ملساء (حرزا) يابس الانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا بامانة الحيوان وتخفيف النبات والشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات السكاية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعني ان ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم

البينة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذبا) أي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق الخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب ﴿ قوله عز وجل (فلعلك بائع نفسك) أي قاتل نفسك (على آثامهم) أي من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعني القرآن (أسفا) أي حزنا وقيل غمطا (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أي ما يصلح ان يكون زينة لها ولا هلاها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل آراه العلماء والصالحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت أي زينة في الحيات والعقارب والسياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثه معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قبل الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكاف بدليل قوله تعالى (لتبلاوهم) فمن يبلاو يجب ان لا يدخل في ذلك ومعنى لبلاوهم تختبرهم (أبهم أحسن عملا) أي أصح عملا وقيل أبهم أترك للدنيا وأزهد فيها (وانا لجاعلون ما عليها) أي من الزينة (صعبا حرزا) يعني مثل أرض لانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والاصيد ووجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليباس الذي لا ينبت فيه شيء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي ظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من سحارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذ أوى الفتيه الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطارى من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهي انما) أي أصح لنا (من أمرنا رسدا) أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

* (ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه) *

قال محمد بن اسحاق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوكة حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقياؤوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قري الروم فلا يترك في قرية تزورها أحد الاقتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرسطان الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في أما كتهم ويخرجونهم الى دقياؤوس فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام ففهم من يرغب في الحياة ومنهم من باي أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في

مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم واسم كاهنهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الايمان الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أي كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالصدر وعلى ذات عجب (اذ) أي اذ كر (أوى الفتيه الى الكهف) فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي العفوة والرزق والامن من الاعداء (وهي لنا من أمرنا) أي الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رسدا) حتى نكون بسببه راشدين مهديين واجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طير يقرضك

الايمان جعلوا يسمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويحجرون ما قطع من اجسادهم على
 اسوار المدينة وابوابها فاعظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية خزنوا خزنًا شديدًا فقاموا واشتغلوا
 بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشرف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله
 عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض ان ندعوك من دونك الهالقد قلنا اذا شططا اكشف عن
 عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلموا عبادتك فينماهم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم
 اذركهم الشرط فوجدوهم سجدوا يكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن
 امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فاشيروا به بالفتنة فبعث اليهم فأتى بهم تقيض أعينهم من الدمع معفرة
 وجوههم بالتراب فقال لهم ما نعمة أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتوجهوا انفسكم اسوة
 أهل مدينةكم اختاروا اما أن تدبحوا لآلهتنا واما أن اقتلكم فقال مكسبنا وهو أكبرهم ان لنا الهامل
 السموات والارض عظمت ان ندعوك من دونك الهالقد الهالجد والتكبير من انفسنا خالصا ابد الاباء نعبد واباء
 نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فان نعبدها ابدأ الصنع بنا ما يدلك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك
 كلامهم امر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وانجز لكم كما وعدتكم
 من العقوبة وما يعني أن أعجل ذلك لكم الا اني اراكم شبانا حديثا أسنانكم فلا أحب أن اهاكم حتى
 أجعل لكم اجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقوبتكم ثم امرهم فاجروا من عنده وانطلق دقيانوس الى
 مدينة أخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكروهم فأتروا
 بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى
 كهف قريب من المدينة فيجبل يقال له ينجلوس ٢ فيكثروا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه
 فيصنعهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتي منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي
 معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فكثروا فيه وقال كعب الاحبار مر واكلب فتبعهم
 فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تتخشوا مني انا أحب احباب الله عز وجل
 فناموا حتى أحسهم وقال ابن عباس هر يوانم دقيانوس وكانوا سبعة نفر وابع معه كلب فتبعهم على دينهم
 وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام
 والتسبيح والتحميد ابتغوا لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتي منهم اسمه تايخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم
 من المدينة سرا وكان من أجلهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم
 يأخذون رقه فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا واصحابه بشئ ثم
 يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظاماء أهلها أن يدبحوا
 للطواغيت ففرغ من ذلك أهل الايمان وكان تايخا بالمدينة يشترى لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو
 يبكي ومعه طعام قليل فاجبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والنساء مع عظماء المدينة
 ففرغوا وقبوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تايخا يا اخوتاه ارفعوا
 رؤسكم وأطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تقيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم
 جلسوا يتحدثون ويذكروا بعضهم بعضا فينماهم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف
 وكانهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان
 من العسد تفقدتهم دقيانوس والتسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء الفتية
 الذين ذهبوا القذطنوا أنبي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لاجل علمهم انهم تابوا وعبدوا
 الهى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما جرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم اجلا ولو شأوا
 لرجعوا في ذلك الاجل واسكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى ابائهم فأتى بهم فقال
 أخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا اما نحن فلم نعمل فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا

٢ قوله ينجلوس هكذا في
 بعض النسخ وفي بعضها
 ينجلوس وفي حياة الحيوان
 ينجلوس فليحذر اه
 مصححه

وأهل كهوفها في أسواق المدينة ثم انطلقوا إلى جبل يدعى بنجولوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري ما
يصنع بالفتية فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يامر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم
بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور فأمر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم عوتون جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو بطن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله عز وجل أرواحهم وفاة
نوم وكابهم باسطة ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين
مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتتمان ايمانهم ما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر وناس اهتما أن
يكتباشان هؤلاء الفتية وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلهما في تابوت من
نحاس ويجعل التابوت في البنيان وقال لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قومًا مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم
من فضح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعل ذلك وبنوا عليه وبقى دقيانوس مابقي ثم مات هو وقومه وقرون
بعده كثيرة وخلفت الملوكة بعد الملوكة * وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فينا ما مطوقين مسورين ذوى
ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم ألتهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب
صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فخذف الله سبحانه وتعالى الايمان في قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه
وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب مجرمهم ثم فخرج شاب منهم حتى انتهى
إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه
من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا يخرج كل فتية فيخاوا ويفس كل واحد سره إلى صاحبه ففعلوا ذلك
فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأروا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمة قد دخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وقد هم
قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان أبناء
ملوك كانوا قد نامهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح
يقال له بيدروس فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة فتخرب الناس في ملكه فكاثروا أحزابا منهم من يؤمن
بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع إلى الله وحزن حزنا شديدا
لمرأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح
دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل إلى من يظن فيهم خيرا وانهم آتية في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا
يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوار بين فلان أى ذلك الملك الصالح دخل
بيته وأعلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته ما داخل فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله تعالى
ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى
الرحمن الرحيم الذي يكرم هلكة عباديه أراد ان يظهر على الفتية أصحاب الكهف وبين للناس شأنهم ويجعلهم
آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعهده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان
يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه ذلك
الكهف وكان اسمه أولياس انهم سد ذلك البنيان الذي على فم الكهف وبنى به حفيرة لغنمه فاستأجر
غلامين فجعلوا يزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحفيرة حتى فرغوا كان على باب الكهف وفتح باب
الكهف وحجهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذوا القدرة
والسلطان محيي الموتي للفتية ان يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فخرجين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم
فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم

قاموا الى الصلاة فصاروا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه وانهم كهيئتهم حين
 رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما مضوا صلاتهم قالوا له ايخا صاحب نفقتهم أنبتنا بما قال الناس
 في شأننا عشية أمس عندهذا الجبار وهم يظنون أنهم قدر قدوا كبعض ما كانوا يرددون وقد خيل اليهم
 أنهم قد ناموا أو طول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبستم نياما قالوا البشاي وما أو
 بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبستم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تلخا قد التستم في المدينة وهو يريد
 أن يؤتي بكم اليوم فتذببحوا للطواغيت أو يقتلكم فإشاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلينا يا اخوتاه اعلما
 أنكم ملاقوا لله فلا تكفروا بعد إيمانكم اذ دعاكم عدو الله ثم قالوا التعلخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال
 لنا بها وما الذي يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعربك أحد اوابتغ لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام
 الذي جئتنا به فسد أصحنا جميعا ففعل تلخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها
 وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت تكفاف الربع فانطلق تلخا خارجا
 فلما مر باب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف ففجبه منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة
 مستخفيا يصعد عن الطريق يتخوف ان يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك
 بثلاثمائة سنة فلما أتى تلخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان
 أمر الايمان ظاهرا فيها فلما راهما عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر
 فرأى مثل ذلك قبل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رأيهم قبل
 ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه
 ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون
 بها اليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى
 في أسواقها فسمع ناسا يخفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى
 جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الارض
 من يذكر عيسى بن مريم الا قتل واما اليوم فسمع كل انسان يذكر عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه
 لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالخيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم
 هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مسأ أو أمر اذهب عني والله يحق لي ان أسرع
 انخروج قبل ان يصيبني فيها ثم فاهلك فضى الى الذين يتناعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه
 وأعطاهم جلا منهم وقال له بعني هذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها ففجبه منها
 فنالها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون
 بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كثرنا خبيثا في الارض منذ زمان طويل فلما رأهم تلخا يتحدثون
 فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يردد و يظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به
 الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضوا
 علي قد أخذتم ورتي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت
 كثرنا من كثرنا الآتين وأنت تريد أن تخفيبنا معنا انطلق معنا أو ارنامو شاركا فيه تخفف عليك ما وجدت وانك
 ان لم تفعل نعملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شيء كنت
 احذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تلخا ما يدرى ما يقول لهم وخاف
 حتى لم يجز على لسانه اليهم شيء فلما راهوا لا يتسكروا أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يهتجون في سكان
 المدينة حتى سمع به من فيها وقبل قد أخذ رجل معه كثرنا فجمع عليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون
 والله ما هذا الفتى من اهل هذه المدينة وما اربنا فيهها قط وما نعرفه وجعل تلخا لا يدرى ما يقول لهم وكان متيقنا
 ان ابا واخوته بالمدينة وانهم من حضرة اهلها وانهم سبأ قومه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالخيران ينتظر متى

يأتيه بعض أهله فيخاطبه من أيديهم إذا احتملوه وانطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبرهم اللذين يدبران
 أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطوس فلما انطلقوا به إليها طن
 تخافانه تخافانه تخافانه إلى دقيانوس الجبار فجعل ياتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما
 يسخرون من الجنون ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم اله السماء واله الأرض أفرغ علي اليوم صبرا
 وأولج معي روحا منك تؤيدني به عنده هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين أخوتي باليهتم يعلمون
 ما لقيت وباليهتم يا تونني فتقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كاثوا ثقنا على الإيمان بالله وأن لا نشارك
 به أحدا أبدا ولا نفرق في حياة ولا موت فلما انتهى إلى الرطين الصالحين أريوس وطنطوس ورأى
 أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفانق وذهب عنه الهككاء وأخذ أريوس وطنطوس الورق ونظرا إليها وعجبا
 منها وقال أمين السكر الذي وجدت يافتي فقال تخافا ما وجدت كثيرا وأمكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة
 وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال له أحدهما من أنت فقال تخافا أما أنا فكننت
 أرى أني من أهل هذه المدينة فقبل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه
 ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تثبتنا بالحق فلم يدرك تخافا ما يقول غير أنه نكس بصره إلى
 الأرض فقال بعض من حوله هذارجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنك يحقق نفسه عمدا لكي
 ينفلت منك فقال له أحدهما ونظرا إليه نظر اشديدا أتفان أناسك وتصدفك بأن هذا مال أبيك ونقش
 هذه المدينة وضربها وهذه الورق أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أتفان أنك تأفكوا وتسخر بنا
 ونحن شيوخ شيط وحولك سرة هذه المدينة وولادة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من
 هذا الضرب درهم ولا دينار وانني لا ظنني سأمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقت حتى تعرف بهذا
 السكر الذي وجدته فقال لهم تخافا أخبروني عما سألكم عنه فانتم فعلتم صدقتكم عما عدي فقالوا له
 سئل لانكتم شيئا فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الأرض من اسمه دقيانوس ولم
 يكن إلا هلك في الزمان الأول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تخافا اني اذا لحيت اريان وما
 يصدقني أحد من الناس فيما أقول لقد كفاية على دين واحد وان الملك أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح
 للطواغيت فهر بنامنه شبيهة أمس فأتينا إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس فمنا فيه فلما انتهينا خرجت
 لا شئنا لأصحابي طعما وأتجسس الاخبار فاذا أنا معكم كاترون فانطلقوا معي إلى الكهف أرىكم أصحابي فلما
 سمع أريوس قول تخافا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى
 فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وطنطوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم
 نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تخافا قد احتبس عنهم بطعامهم وشراهم
 عن القدر الذي كان يأتي فيسه طنوا انه قد أخذ وذهب إلى ملكهم دقيانوس فيبيناهم يظنون ذلك
 ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فطنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتي
 بهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أنا تخافا فانه الآن
 بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فيبيناهم يقولون ذلك وهم جالوس على هذه الحالة اذ هم بأريوس
 وأصحابه وقفا على باب الكهف فسبقتهم تخافا ودخل وهو يبكي فلما رآه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره
 فقص عليهم الخبر كما عرفوا أنهم كانوا بما أمر الله ذلك الزمن الطويل وانما وقظوا ليكونوا آية للناس
 وتصديق للبعث وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها ثم دخل على أثر تخافا أريوس فرأى نالوتان نحاس مختوما
 بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بتفح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه
 لوحين من رصاص مكتوب باقهما مكسليتا ومختلستا وتماخا ومرطونس وكشطنونس وبيرونس ودعوس
 وبعليوس وقالوا للكاتب اسمك طعامير كانوا قمية هر بوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم
 فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه

(فضر بنا على آذانهم في الكهف) أي ضربنا عليها حجابا من النوم يعني أعمناهم أمانة ثقيلة لا تثبتهم فيها الأصوات فسدف المفعول الذي هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أي تعدد الكثرة لأن القليل يعلم مقدار من غير عدد فإذا كثر عددا مادراهم معدودة فهي على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) (١٩١) أي بقطنناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين)

المتألمين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا البشوا وما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علوا أن لبثتم قد تطاول أو رأى الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمد طرف لآحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعول في فعل والمعنى أيهم ضبط أمدا لاوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الإحصاء وهو العد فقد زل لأن بناءه من غير التثنية المجرديس بقياس وإنما قال انعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا وليكون لطفًا مؤمنا زمانهم وأية بينة لكفارته أو المراد لنعلم اختلافا فهم موجودا كما علمناه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (أنهم فتية) جمع

من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤوه عجبوا وحدهم الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وسببها ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبلى ثيابهم فخرار يوس وأصحابه سجودا لله وسجدوا لله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن يجعل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله إليه وذهب همه وقال أجدك اللهم رب السموات والأرض وأعبدك وأسبحك تعالوات على ورحمتي ولم تطفئ النور الذي جعلته لا باني ولا عبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة أسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعترفهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيمك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له انام نخلق من ذهب ولا فضة ولا حكا خلقنا من تراب والى التراب نصير فأتوا ككافي الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتأبوت من ساج فجلسوا فيه وحجبتهم الله حين خرجوا من عندهم بالعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلي فيه وجعل لهم عبدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل ان تملحنا حل إلى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر انه خرج أمس أو منذ أيام وذكروا ما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا في الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا بالروح ونظر في أسماءهم فاذا أسماءهم مكتوبه وذكروا أسماء الآخرين فقال تملحناهم أصحابي فلما سمع الملك ذلك ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال اتخذوا عني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم فأنهم ان رأوا كمنى أربعتهم فدخل تملحنا فبشروهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأسمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يتهدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذا رأى الفتية إلى الكهف أي صاروا إلى الكهف واسمهم خبيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهي لنا أي يسر لنا من أمرنا رشدا أي ما نلتبس منه مرضاك وما فيه رشدا وقال ابن عباس أي يخرجنا من الغار في سلامة قوله سبحانه وتعالى (فضر بنا على آذانهم) أي ألقينا عليهم النوم وقيل منعناهم من الأصوات إلى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (في الكهف سنين عددا) أي أعمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أي من نومهم (لنعلم) أي علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا (أي الحزبين) أي الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) أي احفظا لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعا في مدة لبثهم في الكهف قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أي نقرأ عليك خيرا أصحاب الكهف بالحق أي بالصدق (أنهم فتية) أي شبان (آمنوا برهم وزدناهم هدى) أي إيمانا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أي شددنا على قلوبهم

في الفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى ما لا يدعى قبل الفعل ولا ترك نفسه بعد الفعل (آمنوا برهم وزدناهم هدى) يقينوا كانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا الخذلان اثنان منافظا ظهور كلاهما ما يضر لصاحبه ففعلوا لفصل اتفاقهم على الاعتان (وربطنا على قلوبهم) وقربناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وحسرتناهم على القيام بكامة الحق والتظاهر بالاسلام

(اذ قاموا) بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا بنا رب السموات والارض) مفتخرين
 (لن ندعومن دونه الها) واثن سميناهم آلهة (لقد قلنا اذا شططنا) قولنا اذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط اذا بعد
 (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار في معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم
 فحذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبيكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فن اظلم من افترى على الله كذبا)
 بنسبة الشريك اليه (واذ اعترلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على
 الضمير أي واذا اعترلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) استثناء متصل لانهم كانوا يقررون بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكة أو منقطع
 أي واذا اعترلتم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (فأروا
 الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا (١٩٢) الكهف ما واكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهي لكم من أمركم رفقا) مرفقا

مدني وشاى وهو ما يرتفق
 به أي ينتفع وانما قالوا ذلك
 ثقة بفضل الله وقوة في
 رجائهم لتوكلهم عليه
 ونصوع يقينهم أو أخبرهم
 به نبي في عصرهم (وترى
 الشمس اذا طلعت تزاور
 بتخفيف الزاى كوفي تزور
 شامى تزاور وغيرهم وأصله
 تزاور فحذف بادغام التاء
 في الزاى أو حذفها والسك
 من الزور وهو الميل ومنه
 زاوه اذا مال اليه والزور الميل
 عن الصدق (عن كهفهم)
 أي تميل عنه ولا يقع شعاعها
 عليهم (ذات اليمين) جهة
 اليمين وحقيقتها الجهة
 المسماة باليمين (واذا غربت
 تقرضهم) تقطعهم أي
 تتركهم وتعديل عنهم (ذات
 الشمال وهم في فجوة منه)
 في متسع من الكهف والمعنى
 انهم في ظل غارهم كغلا
 تصيبهم الشمس في طلوعها

بالصبر والتثبيت وقوي بناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض
 العيش وفروا يدينهم الى الكهف (اذ قاموا) يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام
 (فقالوا) أي الفتية (ربنا رب السموات والارض لن ندعومن دونه الها) انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا
 يعبدون الاصنام (لقد قلنا اذا شططنا) قال ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله (هؤلاء
 قومنا) يعني أهل بلدهم (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعني أصناما يعبدونها (لولا) أي هلا
 (يأتون عليهم) أي على عبادة الاصنام (بسلطان بين) أي بحجة واضحة وفيه تبيكيت لان الاتيان بحجة على
 عبادة الاصنام محال (فن اظلم من افترى على الله كذبا) أي وزعم أن له شريكا أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض
 (واذا اعترلتموهم) يعني قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام
 والمعنى واذا اعترلتموهم وجسيع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعزلوا عبادته (فأروا الى الكهف) أي الجوا اليه
 (ينشر لكم) أي يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهي) أي يسهل (لكم من أمركم مرفقا) أي ما يعود اليه يسركم
 ورفقكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ترى الشمس اذا طلعت تزاور) أي تميل وتعديل (عن كهفهم ذات اليمين)
 أي جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) أي تتركهم وتعديل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي متسع
 من الكهف (ذلك من آيات الله) أي من عجائب صنعته ودلالات قدرته وذلك ان ما كان في ذلك السميت تصيبه
 الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة
 أبدأ الاتقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم
 مضجعا في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار ونجمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله
 ذلك من آيات الله أي ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعني مثل أصحاب الكهف
 وفيه ثناء عليهم (ومن يضل) أي ومن يضل الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) أي معيننا (مرشدا) أي
 يرشده ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (أي قاطنا) أي منتهين لان أعينهم مفتحة (وهم
 رقاد) أي نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقبلون في السنة مرة من جانب الى
 جانب ثلاثا كل الارض لحومهم قبل كانوا يقبلون في يوم عاشوراء وقبل كان لهم في السنة تقليبان (وكأبهم
 باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كبا أتمر وعنه أنه كان فوق القلطي ودون السكرزي والقلطي كاتب صيني
 وقبل كان أصفر وقبل كان شديدا الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقبل ريان وقبل

ولا غر وبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل منفسح من غارهم ينالهم
 فيبرد روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنع الله بهم من ازور الشمس وقروضها طاعة وغار به آية
 من آيات الله يعني ان ما كان في ذلك السميت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش
 فهم في مقناة أبدأ ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل ما مر في سبحانه وهو ثناء عليهم بانهم
 جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنوية (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) أي من أضله فلا هادي له
 (وتحسبهم) بفتح السين شامى وجزوة عاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أي قاطنا) جمع بقط (وهم رقاد) نيام قيل عيونهم مفتحة
 وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أي قاطنا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقليبان في السنة وقبل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء
 (وكأبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي

صهبان

(بالوصيد) بالفناء أو بالعتبة (لواطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لا عرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم (ولمئت منهم) وبتشديد اللام مجازي للمبالغة (ربعا) تمييز وبضم العين شأى وعلى وهو الخوف الذي رعب الصدر أى علوه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لاطول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضى الله عنهم القديلى بن هو خير من لوليت منهم فراراً فدخلت جماعة بأمره فاحرقتهم ربح (وكذلك بعثناهم) وكأغنائهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اطهاراً للقدررة على الانامة والبعث جميعاً (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضاً ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا البشنا يوماً أو بعض يوم) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بالبعث) بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كانوا قد علموا بالادلة (١٩٣) أو بالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم

دخلوا الكهف غدوة وكان اتبناهم بعد الزوال فظنوا أنهم في نومهم فلما نظر والى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد اسدل ابن عباس رضى الله عنه ما على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوماً وبعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثين قالوا ربكم أعلم بالبعث وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شئ آخر مما بهمكم فابعثوا أحدكم أى باجئنا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحسرة وأبو بكر

صهبان قيل ليس في الجنة قدواب سوى كلب أصحاب الكهف وجمار بلع (بالوصيد) أى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان ينقب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وورقدها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى وورقدها (لواطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكهف أجله فيوقظهم الله من رقدهم (ولمئت منهم ربعا) أى خوفاً من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وانقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرب لئلا يراه أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فرربنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لواطلعت عليهم لوليت منهم فراراً فبعث معاوية ناساً فقل اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم يحرقونهم قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعنى كما أغنائهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضاً (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسبنا (كم لبثتم) أى في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل أنهم راعاهم ما فاتهم من الصلاة فذكروا ذلك (قالوا البشنا يوماً) ثم نظر وافو جدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما انفاروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بالبعث) وقيل ان مكسبنا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بالبعث (فابعثوا أحدكم) يعنى باجئنا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هى طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام افسوس (فلينظر أيها أركى طعاما) أى أحل طعاماً وقيل أمره أن يطالب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أطيب طعاماً وأجوده وقيل أكثر طعاماً وأرخصه (فليتاكم برزق منه) أى قوت وطعام تاكونه (وليتلظ) أى وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكنمان (ولا يشعرون) أى ولا يعلمن (بكم أحد) أى من الناس (أنهم ان يظهر واعليكم) أى يعلموا بكانكم (برجوكم) قيل معناه يشتموكم يؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم (أو يعيدوكم في ماتهم) أى الكفر (ولن تفلحوا اذا أبدا) أى ان عدتم اليه قوله عز وجل

(٢٥ - حازن - ثالث) (هذه الى المدينة) هى طرسوس وحلمهم الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكئين على الاتفاقات وعلى مافى أوعبسة القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول مال هذا السفر الا شيطان شد الهيمان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أى أهلها لخذف كفى واستل القرية وأى مبتدأ وخبره (أركى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاما) تمييز (فليتاكم برزق منه) فليتاكم برزق منه (ولا يشعرون) أى ولا يعلمون (بكم أحد) ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور بنمان غير قصد منه فسمى ذلك اشعاراً منه بهم لانه سبب فيه والضمير في (أنهم) راجع الى الاله المتدبر في أيها (ان يظهر واعليكم) يطالعوا عليكم (برجوكم) يقتلوكم أخبث القتل (أو يعيدوكم في ماتهم) بالاكراه والعود بمعنى الصبر وكثير في كلامهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) اذا بدل على الشرط أى ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم أبداً

(وكذلك أعترا عليهم) وكما أعتراهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كأن لان حالهم في نومهم وانباهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق باعترا أي أعتراهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفي الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنينا) أي على باب كهفهم للتلايق اليهم الناس ضنا بترتبهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (رجعهم أعلمهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقشوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة ليلتهم فلما لم يمتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربه أعلمهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولي بهم وبالبناء عليهم (انتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بكنائسهم روي ان أهل الانجيل صغمت فيهم الخطايا واطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكروا على عبادتها ومن شدد في ذلك دقيانوس فاراد قتيمة من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكنب قبة بهم فطردوه فانقطع الله تعالى فقال ما تريدون مني اني أحب اجداء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا برابع معه كلب فقبههم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك مدينهم ورجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معتريين وجاهدين فدخل الملك بيتهم وأغلق بابهم ولبس مسحا وجلس على رماذ وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالتقى الله في نفس (١٩٤) رجل من رعيانهم فهدم ماسد به فم الكهف ليخذه حظيرة اغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه

لا يتباع الطعام وأخرج الورك وكان من ضرب دقيانوس اتم موه بانه وجد كثر اذ ذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصر وهم وحدهم والله على الآيات الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيدك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفي

(وكذلك أعترا عليهم) أي اطعنا الناس عليهم (ليعلموا ان وعد الله حق) يعني قوم يدرسون الذين انكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها) اي لا شك فيها انها آتية (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس في البنين فقال المسلمون بنى عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون بنى بنينا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا في مدة ليلتهم وقيل في عدددهم (فقالوا بنوا عليهم بنينا) روي انهم أعلمهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني يدرسون واصحابه (انتخذن عليهم مسجدا) قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثا رابعهم كلبهم) روي ان السيد والعاقب واصحابهم مامن نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) اي وقال العاقب وكان نسطوريا (خمس سادسهم كلبهم رجسا بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثمانهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار

الله أنفسهم فالتقى الملك عليهم ثيابه وأمر بفعل لكل واحد تاوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلهم من الساج وبنى رسول على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثا رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجسا بالغيب ويقولون سبعة وثمانهم كلبهم) الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاجابوا الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبار اجاسجرى بينهم من اختلافهم في عدددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثمانهم كلبهم ويروي ان السيد والعاقب واصحابهم مامن أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثمانهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما ذكرنا من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماء وهم يمانا ومكشانا ومثليينا هؤلاء اصحاب عين الملك وكان عن يساره مرفوش وديرونوش وشادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينهم افسوس واسم كلبهم قطامير وسين الاستقبال وان دخل في الاول دون الاخرين فهما داخلان في حكم السنين كقولك قدأ كرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جيعا وأرا يد يفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة واربعة كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثمانهم كلبهم رجسا بالغيب ومبا بالخبر الخفي وانبا بانه كقوله ويقذفون بالغيب أي ياتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قبل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للتسكرة كما تدخل على الواقعة حال عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخرو مررت برؤيد في يده سيف وفانته توكيد لصوت الصفة بالوصف والدلالة على ان اتصافهم أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي أذنت بان الذين قالوا سبعة وثمانهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجوا بان ان كان

وجم غيرهم ذليله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجبا بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي اعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بيه بقوله سبعة وثمانتهم كلهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما انما من ذلك القليل وقيل الاقليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف (الامراء ظاهرا) الاجد الاظهار غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما أوحى الله اليك ففسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو بمشاهدة من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعمق له حتى يقول شيئا فترده عليه وترى ما عنده ولا سؤال مسترشدا لان الله تعالى قد أوردك بان أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزمن عليه) اني فاعل ذلك (الشيء غدا) أي فيما يستقبل من (١٩٥) الزمان ولم ردا لغدا خاصة (الان يشاء الله) أن تقوله بان يأذن

الله لك فيه أو ولا تقوانه الا بان يشاء الله أي الاعمشينة وهو في موضع الحال أي الا ملتبسا بمشيئة الله فاثان شاع الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن اني أفعل ذلك الاعمشينة الله تعالى لان قول القائل انا أفعل ذلك ان شاء الله معناه لا أفعله الا بمشيئة الله وهذا مني تأديب من الله لبيده حين قالت اليهود لقرين سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال اتوني غدا أخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه (واذ كر ربك) أي مشيئة ربك وقيل ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم انتهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى اولاً ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجبا بالغيب أي ظنا وحدث سامن غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجبا بالغيب وظننا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا لله تعالى او من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما انما من اولئك القليل كانوا سبعة وهم (٢) مكسيميناو عليخاوصرطونس وبينونوس وسارينونوس وذنونانس وكشفية طنانوس وهو الراعي واسم كلهم قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم (الامراء ظاهرا) أي الاظهار ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزعم عليه (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا) أي لا ترجع الى قول احد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) يعني اذا عزمت على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استئناء وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بنى اسرائيل (واذ كر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوز الحسن مادام في المحاسن وجوز بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوز جماعته حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الآية واذا كر ربك اذا غضبت قال وهب . كما وب في التوراة والانجيل ابن آدم اذ كرتي حين تغضب اذ كرتي حين اغضب وقيل الآية في الصلاة يدل عليه ما روى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتم ان يصلها اذا ذكرها (وقل عسى ان يمدني ربي لا تقرب من هذاردشا) أي يثبتني على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره اذا نسي شيئا ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدر لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أدرهم من خبر أصحاب الكهف وقيل هذاشي أمره الله أن يقول مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان قوله ان

عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة وهذا يجوز على تدارك التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الامتصلا وحتى أنه باغ المنصور ان أباحنيفة رجحه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستخضره لينكره عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان أقرضني ان يخرجوا من عندك فاستثنوا فخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن في باخراجه من عنده أو معناه واذا كر ربك بالنسيب والاعتذار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيتم اذا ذكرتمها أو اذا نسيت شيئا فاذا كر ليد كر لك المنسى (وقل عسى ان يمدني ربي لا تقرب من هذاردشا) يعني اذا نسيت شيئا فاذا كر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يمدني لشيء آخر يدل هذا المنسى أقرب منه رشدا أو ادنى خيرا ومنه نعتان يمدني ان ترفني ان يؤتيني ان تعلمن مكي في الحالين ووافقه أبو عمرو قوله وهم مكسيمينا الخ وقع اختلاف كبير في أسمائهم وذكروا في القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع (٢)

ومدى في الوصل (وابشوا في كهفهم ثلثمائة سنين) يريدونهم فيه أحياء مضرو بأعلى آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجل في قوله فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عدد اوسنين عطف بيان لثلثمائة ثلثمائة سنين بالاضافة جزوة على على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاحسن أعمالا (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين للدلالة ما قبله عليه وتسامع قول به لان زاد تقضى مطعولين فاذا زاد يقضى مفعولا واحدا (قل الله أعلم بالنبأ) أي (١٩٦) هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو حكاية الكلام أهل الكتاب

شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهدي نبي ربي لأقر ب من هذا رشا قوله عز وجل (ولبشوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بالنبأ ووجهه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بالنبأ) والاصح أنه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بالنبأ يعني ان نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بالنبأ أي هو أعلم منك وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بالنبأ يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلم الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قبل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبشوا في كهفهم ثلثمائة فقالوا أيا ما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجل في قوله فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عدد اوزدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بالنبأ وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قريه والفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قريه (له غيب السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف (أبصره واسمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمع به بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدركه البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا يخفى عليه خافية (مالهم) أي مالا أهل السموات والارض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي ناصر (ولا بشرك في حكمه أحدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدا وقيل في قضائه قوله سبحانه وتعالى (واتل) أي واقرا يا محمد (ما أوحى اليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا تبدل لك آياته) أي لا تغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغايير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا يغيرها أو عدل الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أي من دون الله ان لم يتبع القرآن (ملتخدا) أي ملجأ وحرز تعدل اليه قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن الغزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص شدة وهو ينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم ما يؤذيك ریح هو لآع ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا أسلم الناس وما عننا من اتباعك الا هو لآع فحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك أي احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون وجهه ان لا يريدون عرض الدنيا او قيل نزلت في أصحاب الصفة كانوا سبعة مما ترجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى التجارة ولا الى زرع ولا صرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فل نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت ان أصبر نفسي معهم (ولا تعد) لا تصرف ولا تجاوز (عينك عنهم) أي غيرهم (تريدون الحياة الدنيا) أي تطلب بحالسة

وقل الله أعلم رد عليهم والجهور على ان هذا الخبر من الله سبحانه وتعالى انهم لبشوا في كهفهم كذا مدة (له غيب السموات والارض) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض وخفي فيها من أحوال أهلها (أبصره واسمع) أي واسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمع لكل مسموع (مالهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولي) من متول لامورهم (ولا بشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا تشرك على النهي شاي كانوا يقولون له انت بقرآن غير هذا أو بدله فقبيل له (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) أي من القرآن ولا تسمع لما يهزؤون به من طلب التبديل فانه (لا تبدل لك آياته) أي لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها كما يقدر على ذلك هو وحده (وان تجد من دونه ملتخدا) ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج هؤلاء الموالى

وهم صهيب وعمار ونجباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) الاغنياء واحبسهم معهم وثبتها (بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب عفو التقصير أو هما صلاة الفجر والعصر بالغداة شاي (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عينك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بعن لتضمن عدم معنى نبا في قولك ثبت منه عينه وفائدة التضمن اعطاء مجموع معينين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ (تريدون الحياة الدنيا) في موضع الحال

(ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكرو وهو دليل لنا على انه تعالى خالق أفعال العباد (واتبع هواه) وكان أمره
فرطاً) يجوز ان الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فن شاء فلينؤمن ومن شاء فليكفر)
أى جاء الحق وزاغت العال فلم يبق الاختيار لكم لانفسكم ماشتم من الاخذنى طريق النجاة وفى طريق الهلاک والنجاة بلانفا الامر والتخير لانه
لا يمكن من اختيار أيهما شاء فكانه تخير مأمور بان يتخير ما شاء من التجدد ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا أعتدنا) هياتنا (للفالمين)
للكافرين فقيد بالسباق كما تركت حقيقة الامر والتخير بالسباق وهو قوله انا أعتدنا للفالمين (١٩٧) (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه

ما يحيط بهم من النار
بالسرادق وهى الحجره التى
تكون حول الفسباط
أو هو دخان يحيط بالكفار
قبل دخولهم النار وهو
حائط من نار يطيف بهم
(وان يستغيثوا)
العطش (بغاثوبماء كالمهل)
هو دردى الزيت أو ما أذيب
من جواهر الارض وفيه
تم كهمهم (بشوى الوجوه)
اذ قدم لبشر انشوى
الوجه من حرارته (بش
الشراب) ذلك (وساعت)
النار (مرتفقاً) متسكاً
من الرفق وهذا المشاكلة
قوله وحسنت مرتفقاً والا
فلا ارتفاق لاهل النار وبين
جزاء من اختار الإيمان
فقال (ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات انا لانضیع
أجر من أحسن عملاً أولئك
لهم جنات عدن) كلام
مستأنف بيان للاجزاء
ولك أن تجعل انا لانضیع
وأولئك خبرين معاً المراد
من أحسن منهم عملاً كقولك
السمن منون بدرهم ولان
من أحسن عملاً والذين آمنوا

الاغنياء والاشرف وصحبة أهل الدنيا) ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا
يعنى عينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أى فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطاً) ضياعاً
ضبيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفاً وبالاولى قيل مخالفاً للحق (وقل الحق من ربكم) أى قى بالحمد
لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان ويده الهدى والضلال ليس
الى من ذلك شئى (فن شاء فلينؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم
وقبل معنى الآية وقيل الحق من ربكم أى لست بطارد المؤمنين لهوا كما فتن شتم فآمنوا وان شتم فاكفروا
فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الآية من
شاء الله له الاعان آمن ومن شاءه الكفر كفر (انا أعتدنا) أى هياتنا من العناد وهو العدة (للفالمين) أى
الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجره التى تطيف بالفساطيط عن أبي سعيد الخدرى عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدران أربعون سنة أخرجه الترمذى قال ابن
عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار
(وان يستغيثوا) أى من شدة العطش (بغاثوبماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت
عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر
الزيت فاذا قرب اليه سقطت فرة وجهه منه أخرجه الترمذى وقال رشدين أحدر واة الحديث قد تكلم فيه
من قبل حفظه الفرة وجلدة الوجه وقيل المهل الدم والتعرق وقيل هو الرصاص والصفير المذاب (بشوى الوجوه)
أى ينضح الوجوه من حره (بش الشراب) أى ذلك الذى يغاثون به (وساعت) أى النار (مرتفقاً) قال ابن
عباس رضى الله عنهما متراً وقيل مجتمعا وأصل المرتفق المتسكاً وانما جاء كذلك المشاكلة قوله وحسنت مرتفقاً
والافلاز تفاق لاهل النار ولا متسكاً ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضیع أجر من
أحسن عملاً) أى لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل تجازيهم بأعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لانضیع أجر
من أحسن عملاً كلام معترض وقد بره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أى دار
اقامة سميت عدنا لخلاوة المؤمنين فيها (تجربى من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان يجرى فيه
الماء (يحاولون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة أساور سوار من ذهب لهذه الآية
وسوار من فضة لتوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ وقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (ويلبسون
ثياباً خضراً من سندس) هو الدياتج الرقيق (واستبرق) هو الدياتج الصفيق الغليظ وقيل السندس
المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتسكاه لانه هيئة المتنعمين والملوك (فيها) أى فى الجنة (على الارائك)
جمع اريكة وهى السرر فى الجمال ﴿ ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) أى نعم
الجزاء (وحسنت) أى الجنات (مرتفقاً) أى مقر أو مجلس أو المراد بقوله وحسنت مرتفقاً مقابلة ما تقدم
ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساعت مرتفقاً ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلاً رجلين) قيل قلت فى

وعملوا الصالحات ينتقمهما معنى واحد فاقام من أحسن مقام الضمير (تجربى من تحتهم الانهار) يحاولون فيها من أساور) من اللابتداء عز وتنكير
أساور وهى جمع اسورة التى هى جمع سوار لاجها م أمره فى الحسن (من ذهب) من اللتين (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس) مارق من
الدياتج (واستبرق) ما غلظ منه أى يجمعون بين النوعين (متكئين فىها على الارائك) خص الاتسكاه لانه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم
(نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الجنة والارائك (مرتفقاً) متسكاً (واضرب لهم مثلاً رجلين) مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا
أخوة من فى بنى اسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه هودا وقيل هم المذكوران فى واصافات فى قوله قال قائل منهم
انى كان لى فى بنى زماناً أبهسها ثمانية آلاف دينار فجعلها شطرين فاشترى الكافر أرضاً بدينار فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى

أرضاً بالف دينار وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى أخوه داراً بالف فقال اللهم انى أشتري منك داراً في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بالف فقال اللهم انى جعلت الفاصد القلوع ورم أشتري أخوه خدماً ومتاعاً بالف دينار فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان الخائدين بالف فتصدق به ثم أصابته حاجة فحس لآخيه على طر يقه ثم ربه في حشمه فتعرض له فطرده ووجهه على الصدق بماله (جعلنا لآخيهما جنتين من أعناب) بستين من كرم (وحققناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطاً بالجنيتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرمهم أن يجعلوا لها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه (١٩٨) اذا طافوا به وحققته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء

مفعولاً نائباً (وجعلنا بينهما زرعاً) جعلناهما أرضاً جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقاطعها مع الشكل الحسن والترتيب اللينق (كنا الجنتين أنت) اعطت حبل على اللفظ لان لفظا كانتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز (أكلها) ثمها (ولم تقلم منه) ولم تنقص من أكلها (شياً) وجرنا خلالها ثمها (نعتهم بوفاء الثمار) وتسام الأكل من غير نقص ثمها هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب لغيره أفضل ما سبق به وهو النهر الجاري فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثم) أنواع من المال من ثمه له اذا كثره أى كانت له الى الجنتين الموصوفين الاموال الكثيره من الذهب والفضة وغيرهما ثمها وحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أو بعمرو وبضمهما غيرهما (فقال لصاحبه وهو يحاوره) براجعه الكلام من حار

أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد اليل وكان مؤمناً وأخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافراً وقيل هذا مثل اعينته بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بنى اسرائيل اخوين أحدهما مؤمن واسمه ميهودا في قول ابن عباس وقيل بل الخوا والأخر كافر واسمه قطار وس وهما الأذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة واصافات وكانت قصته ما على ما ذكره علماء الخراسانى قال كان رجلاً شريكاً لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين وورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسمها لها فاشترى أحدهما أرضاً بالف دينار فقال لصاحبه اللهم ان فلان انا قد اشتري أرضاً بالف دينار وانى قد اشتريت منك أرضاً في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبها بنى داراً بالف دينار فقال اللهم ان فلان بنى داراً بالف دينار وانى اشتريت منك داراً في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبها امرأة فانفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبها اشتري خدماً ومتاعاً بالف دينار فقال هذا اللهم انى أشتري منك خدماً ومتاعاً بالف دينار في الجنة فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعل ينالنى منه معروف فجلس على طر يقه حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه ففرقه فقال فلان قال نعم قال ماشأ نك قال أصابتنى حاجة بعدك فأتيتك لتعنينى بخير قال فما فعلت بمالك وقد قامت لك المالا وأخذت شطره فقضى عليه قصته فقال وانك المان المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين وروى انه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به و يريه أمواله فنزل فيهما واضرب لهما مثلاً رجلين (جعلنا لآخيهما جنتين) أى بستانين (من أعناب وحققناهما) أى أطقناهما من جوانبهما (بنخل) وجعلنا بينهما زرعاً أى وجعلنا بين النخل والأعناب الزرع وقيل بينهما أى بين الجنتين يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كنا الجنتين أنت) أى أعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أى ثمها تماماً (ولم تقلم منه شيئاً) أى ولم تنقص منه شيئاً (وجرنا خلالها) شققنا وسطهما (نهر) أى لصاحب البستان (ثم) أى بالفتح جمع غرة قرى بالضم وهو الاموال الكثيره الممترة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعنى صاحب البستان (لصاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) أى يخاطبه (أنا) كثر منك المالا وأعز نفراً) أى عشيرة ورهطاً وقيل خدماً وحشمها (ودخل جنته) يعنى الكافر أخذ بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها يريه اياها (وهو ظالم لنفسه) أى يكفره (قال ما أظن أن تبديد) أى تهلك (هذه) يعنى جنته (أبداً) وذلك أنه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنهم الا تبنى أبداً وانكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنه (ولئن رددت الى ربى) فان قات كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربى على ما تزعم من أن الساعة آتية (لا جدن خيراً منها منقلباً) أى يعطينى هنالك خيراً منها لانه لم يعطنى الجنة فى الدنيا الا ليعطينى فى الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) كفرت بالذى خلقك من

يجوز اذا رجع يعنى قهر وس أخذ بيد المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيه ما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أنا) كثر منك (تراب) مالا وأعز نفراً) انصاراً وحشماً وأولاداً ذكوراً لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) احدى جنتيه أو سهمها جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبديد هذه) أى أن تهلك هذه الجنة شلت فى بيده وده جنته لعل أمله وتماذى غفلته واعتراه بالمهمله وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق السنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنه (ولئن رددت الى ربى لا جدن خيراً منها منقلباً) اقسام منه على أنه ان ردى الى ربه على سبيل الفرض كما تزعم صاحبه ليجدنى فى الآخرة خيراً من جنته فى الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلباً بغير أى مرجعاً وعاقبة (قال له صاحبه وهو يحاوره) كفرت بالذى خلقك من

تراب) أي خالق أصلك لان خالق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقا له (ثم من نقطة) أي حافلتا من أعطفة (ثم سوالر جلا) عدلك وملك
 انسانا ذكرا بالغامبلغ الرجال جعله كافر بالله لشكته في البعث (لحكا) بالالف في الرصل شامى الباقون بغسبر ألف وبالالف في الوقف اتفاق
 وأصله لكن أنا أخذت الهمزة وألقت حركتها على نون لكن فتلقت النونان فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربى)
 هو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبرنا والراجع منها اليه بياء الضمير وهو استدراك لقوله أ كثرن قال لانبيه أنت كافر بالله لكنى
 مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمر حاضر وفيه حذف أى أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك ربى أحد اولولا) وهلا (اذ دخلت
 جنتك قلت ماشاء الله) مامو صولة مرفوعة المحلل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ماشاء الله أو شرطية منصوبة بالموضع والجزاء
 محذوف يعنى أى شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ماشاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها مما حصل
 بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامر قون شاء خربها (لا قوة الا بالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتبدير أمرها هو بمعونته
 وتأيدته من قرأ (ان ترى أنا أقل منك مالا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسافى جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا
 نائبا للترى وفي قوله (ولدا) نصره لمن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعز نفرا (فعمسى ربى) (٢٩٩) أن يؤتىني خيرا من جنتك) في الدنيا
 أو في العقبى (ويرسل عليها

حسبانا) عذابا (من السماء)
 فتصبح سعيدا زلقا) أرضا
 بيضاء تراق عليها ملاستها
 (أو يصبح ماؤها غورا)
 غائرا أى ذاهبا فى الارض
 (فلن نستطيع له طلبا)
 فلا يتأتى منك طلبه فضلا
 عن الوجود والمعنى ان
 ترن أفقر منك فأنا أتوقع
 من صنع الله أن يقرب ما بى
 وما بك من الفقر والغنى
 فيرزقنى لايمانى الجنة خيرا
 من جنتك ويسلبك الكفر
 نعمته ويخرب بسايتك
 (وأحيط بمره) هو عبارة
 عن اهلا كه وأصله من
 أحاط به العدولانه اذا أحاط
 به فقد ملكه واستولى
 عليه ثم استعمل فى كل

تراب) أى خلق أصلك من تراب لان خالق أصله سبب فى خلقه فكان خلقا له (ثم من نقطة ثم سوالر جلا)
 أى عدلك بشراسو يا وملك انسانا ذكرا بالغامبلغ الرجال (لشكاهو الله ربى) مجازة لشكرك لكان هو الله ربى (ولا
 أشرك ربى أحد اولولا) أى هلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى
 ما رزقك الله منها ماشاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها مما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وان
 ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا (لا قوة الا بالله) أى وقت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على
 عمارتها وتبدير أمرها هو بمعونة الله وتأيدته ولا أقدر على حفظ مالى ودفع شئ عنه الا بالله ترى عن عروبة
 الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شئاً يعجب به أو يدخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لا قوة الا بالله الحائط
 البستان (ان ترى أنا أقل منك مالا وولدا) أى لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فعمسى ربى) أى فعل ربى
 (أن يؤتىني) أى يعطينى (خيرا من جنتك) يعنى فى الآخرة (ويرسل عليها) أى على جنتك (حسبانا) قال
 ابن عباس نارا وقيل مراعى (من السماء) وهى الصواعق فتهلكها (فتصبح سعيدا زلقا) أى أرضا جرداء
 ملسة لانبث فيها وقيل تراق فيها الاقدام وقيل رلاها تلالا (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لانتاله الايدى
 ولا الدلاء (فلن نستطيع له طلبا) يعنى ان طلبته لم تجده (وأحيط بمره) يعنى أحاط العذاب بمرجنته وذلك
 ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) يعنى صاحبها الكافر (يقرب كفيه)
 يصفق بكف على كف ويقرب كفيه مطهر البطن وأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) المعنى فأصبح يندم على
 ما أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها
 على الارض (ويقول يا ليتنى لم أشرك ربى أحدا) يعنى أنه تذكروم وعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة
 شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) أى جماعة (ينصرونه من دون الله) أى بمعونته من
 عذاب الله (وما كان منتصرا) أى منتصرا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل بعنا لا يقدر على رد ما ذهب منه
 قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعنى السلطان فى القيامة (لله الحق) وقرئ بفتحها

اهلاك (فأصبح) أى الكافر (يقرب كفيه) يضرب احدها على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر
 لان الندم يقرب كفيه مطهر البطن كما كفى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى البدولانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح
 يندم (على ما أنفق فيها) أى فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) يعنى ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها
 الكروم (ويقول يا ليتنى لم أشرك ربى أحدا) تذكروم وعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يملك الله
 بستانه حين لم ينفعه التنى ويجوز أن يكون توبه من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الايمان (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدر
 على نصرته (من دون الله) أى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا انه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصرا) وما كان
 منتصرا قوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء والولاية بكسر الواو جزء وعلى فهى بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان
 والملك والمعنى هنالك أى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقر بالقوله ولم تكن له فئة
 ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب أو فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى أن قوله يا ليتنى
 لم أشرك ربى أحدا كلمة الجنى اليها اتفاقا اجزاء ما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة

وينتقم لهم يعني انه نصر فيم افعال الكافر اذ المؤمن وصديق قوله فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنك ورسول علم احسب انامن السماء
ويؤيده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لا وليا له وهناك اشارة الى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله من الملك اليوم الحق بالرفع
أو بوعبره وعلى صفة اللولية أو خير مبتدا محذوف أي هي الحق وهو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبها بسكون القاف عاصم وجزرة وبضمهما
غيرهما وفي الشواذ عقي على وزن فعلي وكهاهني العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من السماء) أي هو كما أنزلناه
(فاختلط به نبات الارض) فالتف (٢٠٠) بسببه وتكاتف حتى خالط بعضه بعضا وأترق النبات الماء فاختلفا حتى روي (فأصبح

هشيمًا) بإسما متكسرا
الواحدة هشيمة (تذروه
الرياح) تنسفه وتطيره
الريح جزرة وعلى (وكان الله
على كل شيء) من الانشاء
والافناء (مقدرًا) قادرا
شبه حال الدنيا في نصرتها
وبهجتها وما يتعقبها من
الهلاك والافناء بحال
النبات يكون أخضر ثم يهيج
فتطيره الريح كأن لم يكن
(المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا) لآزاد القبر
وعدة العقبى (والباقيات
الصالحات) أعمال الخير
التي تبقى ثمرتها للانسان أو
الصلوات الخمس أو سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله أكبر (خير عند ربك
ثوابا) جزاء (وخيرا مالا)
لانه وعد صادق وأكثر
الآمال كاذبة يعني ان
صاحبها يأمل في الدنيا ثواب
الله ويصيبه في الآخرة
(ويوم) واذا ذكر يوم (تسير
الجبال) تسير الجبال مكي
وشاحي وأبو عمرو وأي تسير
في الجبل أو يذهب بها بان
تجعل هباعتنورا منبها

من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يوما - مذو يتبرون مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (هو خير ثوابا)
أي أفضل جزاء لاهل طاعتك لو كان غيره يثيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير
انابه وعاقبة قوله عز وجل (واضرب لهم) أي اضرب بالحمد لقومك (مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من
السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الارض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشيمًا)
قال ابن عباس بابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شيء
مقدرًا) أي قادرًا قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يفخر بها عبيدته وأصحابه الاغنياء (زينة
الحيوة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المال والبنون حرث
الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجتمعهما الاقوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثر وان قول الباقيات الصالحات
قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فارتعوا فارتعوا فارتعوا فارتعوا فارتعوا
الجنة قال المساجد قلت وما ارتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله
أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ وقول عليه * وعن ابن عباس
ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الاعمال الصالحات (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير
أملا) أي ما يؤمله الانسان قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هبها
منشورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز
مافي بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها (وحشرناهم) يعني جميعا الى موقف الحساب (فلم
تغادر منهم أحدا) أي لم تترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وفوجافوا جلا انهم صف
واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كخالقناكم أول مرة) يعني أحياء
وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ذ) عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون
الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الان أول الخلاق يكسى يوم
القيامة ابراهيم عليه السلام الاوانه سيجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي
فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله
العزير الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا منيدين علي أعقابهم منذ فارقتهم زادني رواية فأقول سحقا سحقا

(وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يسيرها مما كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلم تغادر منهم
أحدا) أي فلم تترك غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدر ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم
كما ترى كل واحد لا يحب أحد أحد اشبهت حالهم بحال الجنيد المعروضين على السلطان (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا
المضمر يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جئتمونا عراة لا شيء معكم كما
خالقناكم أولا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد تفسير وترى للدلالة على حشرهم قبل التفسير وقيل البر وزليعا يذو تلك الاحوال كأنه قيل
وحشرناهم قبل ذلك (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتنا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد المعاسبة

قوله غير لا أي قلنا والغرفة القلعة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقاً أي بعد ما قال بعض العلماء ان المراد به ولا أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (في) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلاً قالت عائشة نقلت الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم الى بعض قال لا مرأ أشد من ان يجهم ذلك زاد النسائي في روايه له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيامهم وشمائمهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (بمما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي لا يترك شيئاً من المعاصي (الأحصاه) حصرها وضبطها (ووجدوا ما عملوا حاضراً) في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحداً) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد عقابه أو يذهب بغير حرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تخيبة أو سجود انقياد (فسجدوا) وهو ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كان قائلاً قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره به به من السجود وهو دليل على انه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمة للانكار والتعجب كأنه قيل أعقبت ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دوني) وتستبدلونهم بي ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبترو صاحب المصائب ومطوس صاحب الارجيف وداسم يدخلونياً كل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

قوله غير لا أي قلنا والغرفة القلعة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقاً أي بعد ما قال بعض العلماء ان المراد به ولا أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (في) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلاً قالت عائشة نقلت الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم الى بعض قال لا مرأ أشد من ان يجهم ذلك زاد النسائي في روايه له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيامهم وشمائمهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (بمما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي لا يترك شيئاً من المعاصي (الأحصاه) حصرها وضبطها (ووجدوا ما عملوا حاضراً) في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحداً) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد عقابه أو يذهب بغير حرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تخيبة أو سجود انقياد (فسجدوا) وهو ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كان قائلاً قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره به به من السجود وهو دليل على انه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمة للانكار والتعجب كأنه قيل أعقبت ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دوني) وتستبدلونهم بي ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبترو صاحب المصائب ومطوس صاحب الارجيف وداسم يدخلونياً كل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

(بئس للظالمين بدلا) بئس البدل من الله ابليس ان استبدله فاطاعه بدل طاعة الله (ما شهدتهم) أي ابليس وذريته (خلق السموات والارض) يعني انكم اتخذتموهم شركاء في العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فبني مشاركتهم في الالهية بقوله ما شهدتهم خلق السموات والارض لا تعذبهم في خلقها وأشاورهم فيه أي تفردت بخلق الاشياء فافردوني في العبادة (ولا خلق أنفسهم) أي ولا شهدت بعضهم (٢٠٢) خلق بعض كقوله ولا تقبلوا أنفسكم (وما كنت متخذهم عضدا)

أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذمالمهم بالاضلال فاذالم يكونوا عضدا في الخلق فسالكم تتخذونهم شركاء في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركاء الذين زعمتم) انهم فيكم شركاء لئلا يجمعوكم من عذابى وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم فويخالفهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبق يبق وبوقا ذاهلك أو مصدرا كالوعود أي وجعلنا بينهم واديا من أوديتهم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشرقا كالمهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في فعر جهنم وهم في أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فاقنوا (أنهم مواقعوها) تخالطوها واقعون فيها (ولم يجردوا عنها) عن النار (مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ابتدكرنا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجد الله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه فاطمعة ليل فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسا بيد الله تعالى فإذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شئ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فذبه بيده وكان الانسان أكثر شئ جدلا (قوله عز وجل) (وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفرون واربعهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والغلبة حاصله والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار (الان تأتيهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة (قوله سبحانه وتعالى) (وما ترسل المرسلين

موضع الضمير ذمالمهم بالاضلال فاذالم يكونوا عضدا في الخلق فسالكم تتخذونهم شركاء في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركاء الذين زعمتم) انهم فيكم شركاء لئلا يجمعوكم من عذابى وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم فويخالفهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبق يبق وبوقا ذاهلك أو مصدرا كالوعود أي وجعلنا بينهم واديا من أوديتهم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشرقا كالمهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في فعر جهنم وهم في أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فاقنوا (أنهم مواقعوها) تخالطوها واقعون فيها (ولم يجردوا عنها) عن النار (مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ابتدكرنا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجد الله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه فاطمعة ليل فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسا بيد الله تعالى فإذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شئ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فذبه بيده وكان الانسان أكثر شئ جدلا (قوله عز وجل) (وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفرون واربعهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والغلبة حاصله والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار (الان تأتيهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة (قوله سبحانه وتعالى) (وما ترسل المرسلين

هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ابتدكرنا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجد الله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه فاطمعة ليل فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسا بيد الله تعالى فإذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شئ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فذبه بيده وكان الانسان أكثر شئ جدلا (قوله عز وجل) (وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفرون واربعهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والغلبة حاصله والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار (الان تأتيهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة (قوله سبحانه وتعالى) (وما ترسل المرسلين

الام بشر بن ومنذر بن) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم لم يرسل ما أنتم الابشره لنا ولو شاء الله لازل ملائكة ونحو ذلك (لم يدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة (واخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما وصولة والراجع من الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب أو مصدرية أي وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حمزة وبأبدال الهمزة واوا حفص وضم الزاي والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجح الضمير اليها مذكري قوله ان يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسى ما قدمت يداه) عاقبة (٢٠٣) ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في

ان المسى والحسن لا بد لهما من جزاء ثم عال اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أعطية جمع كان وهو الغطاء (ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) نكلا عن استماع الحق وجمع بعد الافراد جملا على لفظ من ومعناه (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) الى الامان (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لأدعوهم حرصا على اسلامهم فتقبل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا (أبدا) مدة التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لويؤخذهم بما كسبوا) العذاب (أي ومن رحمة ربك لو أخذته

الام بشر بن) أي بالثواب على الطاعة (ومنذر بن) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم لم يرسل ما أنتم الابشره لنا وشبه ذلك (لم يدحضوا) أي لبطلوا (به الحق) ويزيلوه (واخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعنى اتخذوا ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء بقوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر) أي وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ما قدمت يداه) أي ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية (ان يفقهوه) يريد ثلاثا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا وصمما (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) أي الدين (فلن يهتدوا اذا أبدا) وهذا في أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أي البليغ المغفرة (ذو الرحمة) أي الموصوف بالرحمة (لويؤخذهم) أي يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (للعجل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (لن يجردوا من دونه موثلا) أي مجأ (وتلك القرى) يعنى قري قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهل كلهم لما ظلموا) أي كفروا (وجعلنا اهل كلهم موعدا) أي أجلا لاهلاكهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واذ قال موسى لفتهاه) الآيات أكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميثامن أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاقل أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يذكره بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته وقيل أنه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعنى عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاهي وقتاني (ق) عن سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوفل البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فقل أي الناس اعلم فقال أنا فتاهي الله عليه اذ لم ير العلم اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبدا يجمع الحجرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال فخدمك حونا فاجعله في مكمل فبما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حونا فاجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فاما فاضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سر باوأمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما ولبت ما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال له فتاه أرايت اذا وينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال فكان للحوت سر يا موسى ولفتهاه عجباً فقال موسى ذلك ما كان ينبغي فارتد على آثارهما قصصا

أهل مكة عاجلا مع فرط عدوانهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجردوا من دونه موثلا) منجاولا لمجأ يقال وأل اذا نجوا وأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لتان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهل كلهم) أو تلك القرى نصب باضمار أهل كل على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهل كلهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا اهل كلهم موعدا) وضر بنا لاهلاكهم وقتامعنا لآياتنا نخرون عنه كإضر بنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الالهالك وقتوه وبقض الميم وكسر اللام حفص وفتحهما أبو بكر أي لوقت هلاكهم أو هلاكهم والموعود وقت أو مصدر (واذ) واذا كراذ (قال موسى لفتهاه) هو يوشع

ابن نون وانما قيل فثناه لانه كان يتخذه ويبيعوه وياخذونه العلم (لا ابرح) لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه اما الاولى فلانها كانت حال سفره واما الثانية فلان قوله (حتى ابلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي (٢٠٤) وعنده موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتحق بحر فارس والروم وسمي خضرا لانه

أيضا يصل بخضر ما حوله (أو أمضى حقباً) أو أسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقر واهلها بعد هلاك القبط سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أفضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو أعلم مني فداني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتاً في مكنت فيمث فقدته فهو هناك فقال افتاه اذا فقدت الحوت فاخذ برني فذهبنا بمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طاب موسى الحوت فاخبره فثناه فوقعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجس مسجى بثوبه فلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام ففرقه نفسه

قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجس مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني بما علمت رشدا قال انك ان تستطيع معي صبيرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه فقال موسى سبحني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا معشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فمكروا بهم ان يحملوهم فحملوا الخضر فمكروا بهم فغير قول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حولنا بغير قول عمدت الى سفينة نهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا ألم أقل انك لن تستطيع معي صبيرا قال لا تأخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاءه صقور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما معشيان على الساحل اذا بصرا الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه فاقتاعه بيده فقتله فقال له موسى أقمت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبيرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجروا فهاجدا را يريد أن ينقض أي ما تلا فقال الخضر بيده هكذا فأقامه فقال موسى قوم أتيناكم فلم تطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لا اتخذت عليه أجر قال هذا فرق بيني وبينك سأنبئك بما توبل ما لم تستطع عليه صبيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله موسى لو ددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ أو كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفي رواية عن أبي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورفقت القلوب ولي فأذكره رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك قال لا فعجب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أي رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال فخذ حوتاً فاما حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتاً ما لحا فانه حيث ينفخ الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فحرك وانسل من المكنت فدخل البحر ورجعنا الى التفسير قوله سبحانه وتعالى (لا ابرح) أي لا ازال أسير (حتى ابلغ مجمع البحرين) قيل أراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (أو أمضى حقباً) يعني أو أسير دهرها طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبرا وبهكمة مالمحة في المكنت وهو الزنيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندنا عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيئا الا حيي فلما أصاب السمكة تروح الماء وبرده اضطربت في المكنت وهاجرت ودخلت في البحر (فلما بلغنا) يعني موسى وثنائه (مجمع بينهما) أي بين البحرين (نسياناً) أي تركا (حوتها) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما أضاف النسيان اليها لانها ما تزودها لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيان حوتها أي نسيان كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) أي الحوت (سبيله في البحر سربا) أي سلكا وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوقلم يلتمه فدخل

فقال يا موسى اناعلى علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وانت على علم علمك الله لا أعلمه أنا (فلما بلغنا مجمع بينهما) مجمع البحرين موسى (نسيان حوتها) أي نسي أحدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيته الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينسائه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزل ليله على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة تروح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء (فاتخذ سبيله في البحر) أي اتخذ طريقه من البر الى البحر (سربا) نصب على المصدر أي سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستتر به

(فلما جاوزا) فجمع البحرين ثم نزلوا وقد سارا ما شاء الله (قال) موسى (الثناء) ثم اغداه نال قد لقيناهن سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم يشعب ولا طبع قبل ذلك (قال) رأيت اذ أوينا الى الصخرة) هي موضع الموعد (فاني نسيت الحوت) ثم اعترفت فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حذف (الاشيطان) باقاع الخواطر في القلب (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني (٢٠٥) ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله في البحر عجا) وهو ان أثره

موسى السكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمسه شيئا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سر باقاع مسك الله عن الحوت جرية الماء فصار له ميه مثل الطاق فلما استيقظا موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لفتاه آتنا غدا لنا) أي طعامنا (لقد اقمنا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبا وشدة وذلك انه ألقى على موسى الجوع بعدما جاوزا الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه (قال) يعني يوشع (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعد (فاني نسيت الحوت) أي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فكنا نورهما حتى صابما الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت الا الشيطان قبل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان الحوت سرايا ولموسى واقفاء عجا وقيل أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهر اثم صار حيا بعدما أكل بعضه قوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتداعلى آثارهما قصصا) أي رجعا قصة ان الذي جاء آمنه و يتبعانه (فوجدنا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاء في التواريخ انه الخضر واسمه بلينا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهوا وتركو الدنيا والخضر لقب له سمى به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتما سمى خضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تمزجت خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة باسنة وقيل سمى خضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجيا بثوب فسلم عليه فقال الخضر واني بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ومعنى مسجيا بثوب أي مغطى بثوب وقوله واني بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التي أنت فيها الآن السلام وروى انه لقبه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدنا عبدا من عبادنا (آتيناه درجة) أي نعمة (من عندنا وعلما من لدنا علم) أي علم الباطن الهام ولم يكن الخضر نبيا عندنا كثر أهل العلم فان قامت ظاهرها هذه الآيات بدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه فلت لا يخجلوا ما أن يكون الخضر من بني اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جأثر أن يكون أحد الامة أفضل من نبيا أو أعلى شأنه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين أي على عالمو زمانكم (قال له موسى هل أتبعك) معناه حيث لا يصحبك وأتبعك (علي أن تعلمن مما علمت رشدا) أي صوابا وقيل علمنا رشدي به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفي بالثوراة علموا وبني اسرائيل شعلا فقال له موسى ان الله أمرني بماذا خفيتنذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمور المنكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي علم (قال) موسى (ستجدني ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم

بقى الى حيث سار (قال) ذلك ما كنا نبغ) نطلب وبالياء مسكى وافقه أبو عمرو وعليه مدني في الوصل وبغير ياء فيها غيرهما اتباعا لحظ المحقق وذلك اشارة الى اتخاذ سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتداعلى آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جا آتياه (قصصا) بقصصا قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الأثر (فوجدنا عبدا من عبادنا) أي الخضر راقد تحت ثوب أو جالس في البحر (آتيناه درجة من عندنا) هي الوحي والنبوة والعلم أو طول الحياة (وعلمنا من لدنا علم) يعني الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الالهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي علمنا رشدا رشدا رشدي في ديني رشدا أو عمرو وهم الغنان كالجنج والجنج وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد أن يترك

طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه (قال) انك لن تستطيع معي) وبفتح الباء حذف وكذا ما بعده في هذه السور (صبرا) أي عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) تمييز في استطاعة الصبر معه على وجه التأكيدي وعل ذلك بانه يتولى أموراه في ظاهرها منا كبير والرجل الصالح لا يتمالك أن لا يخرج اذا رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (قال) ستجدني ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض

(ولأعصى لك أمراً) في محل النصب عطف على صابراً أي سجدتني صابراً وغير عاصٍ وهو عطف على سجدتني ولا محل له (قال فان اتبعني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشاحي وبسكون اللام وبخفيف النون غيرهما والياء نابتة فيهما اجتماعاً (عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) أي من شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئاً أو قد علمت انه صحيح الا أنه خفي عليك وجهه فأنكرت في نفسك أن لا تفتحنى بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذار كفاي السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما رآها قال أهلهاهما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء في ملوهمما بغير نول فلما لججوا أخذوا الخضر القاس (٢٠٦) فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بشيابه

ثم (قال آخرتها التغرق) (أهلها) ليغرق جزرة على من غرق (لقد جئت شيئاً) أمرأ) أتيت شيئاً عظيماً من أمر الأمر اذا عظم (قال) أي الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً) فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيت به أو بشئ نسيت أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه على النسي أو أراد بالنسيان الترتك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني من أمرى عسراً) رهقه اذا غشبه وأرهقه اباه أي ولا تغشني عسراً من أمرى وهو اتباعه اباه أي ولا تعسر على متابعتك ويسرها على بالأعضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذا القيا غلاماً فقتله) قيل ضرب برأسه الخائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جمع جزاء للشرط وجعل قتله من جملة

يثق من نفسه بالصبر (ولأعصى لك أمراً) أي لأخالفك فيما أمرني به (قال فان اتبعني) أي فان سجدتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطاً فقال (فلا تسألني عن شيء) أي مما أعمله مما ينكره ولا تعرض عليه (حتى أحدث لك منه ذكراً) معناه حتى أبتدئ بذكركه فابن لك شأنه ﴿قوله سبحانه وتعالى فانطلقا أي عشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبها فوجدا سفينة فركبها فقال أهل السفينة ولا لصوص وأمر وهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن أرى وجوه الانبياء عور وينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فساكنهم وهم أن يحملوهم فخرقوا الخضر فحملوهم بغير نول أي بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا في البحر أخذ الخضر فاسخرق لوحاً من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى اذار كفاي السفينة خرقها قال) يعني موسى له (آخرتها التغرق) أهلها القديس شيئاً أمرأ) أي أتيت شيئاً عظيماً منكم روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فغشاه الخرق (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً قال) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معارض الكلام فكأنه نسي شيئاً آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترتك وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأولى من موسى نسياناً والثانية شرطاً والثالثة عمداً (ولا ترهقني) أي لا تغشني (من أمرى عسراً) والمعنى لا تعسر على متابعتك وسيرها بالأعضاء وترك المناقشة وقيل لا تكافني مشقة ولا تضيق على أمرى (فانطلقا حتى اذا القيا غلاماً فقتله) في القصة أنهم ما خرجا من البحر عشيان فترا بعلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاماً طر يفاوضه الوجه كان وجهه يتوقد حسناً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروى اناه أخذ برأسه فقتله بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأصابعه الثلاث الابهام والسبابه والوسطى وقطع رأسه وروى انه رضع رأسه بحجر وقيل ضرب برأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاماً لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفساً اكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلاً وقيل كان اسمه حبسور وقيل كان فتي يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويجأ إلى أئوبه وقيل كان غلاماً يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافر اولوعاش لارهق أئوبه طغياناً وكفر اللفظ مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفساً اكية) أي لم تذنب قط وقرئ اكية وهي التي أذنت ثم ثابت (بغير نفس) أي لم تقتل نفساً حتى يجب عليها القتل (لقد جئت شيئاً نكراً) أي منكر أعظيماً وقيل المنكر أعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئاً أنكر من الاول لان ذلك كان خرقاً يمكن تداركه بالسد وهذا لا يسيل الى تداركه (قال) يعني الخضر (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتو بفتح فاعند

الشرط معطوفاً عليه والجزء (قال قتل نفساً) وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركب وقد تعقب القتل هذا لقاء الغلام (ركية) زاكية تجازى وأبو عمرو وهى الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد أذنت أو لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) أي لم تقتل نفساً فيقتص منها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتبت اليه كيف جاز قتلته وقد نسي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكاتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيئاً نكراً) وبضم الكاف حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئاً أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تداركه بالقتل (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً) زاد لك هنا لان المنكر فيه

أكثر (قال ان سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أعذرت فيما بيني وبينك في الفراق
ولدي بتخفيف النون مسدي وأبو بكر (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هي انطاكية أو الابله وهي أبعدا أرض الله من السماء (استطعما
أهلها) استضافا (فاوا أن يضيفوهما) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا أهل قرية لنا ما وقيل شر القرى التي تجل بالقرى
(فوجدناها) في القرية (جدارا) طولها مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط (٢٠٧) استعبرت الإرادة للعدااة والمشاركة كما

استعبر الهم والعزم لذلك
(فأقامه) بيده أو مسحه
بيده فقام واستوى أو نقضه
وبناه كانت الحال حال
اضطراب واقتران المطام
وقد زمتها الحاجة الى
آخر كسب المرء وهو المسئلة
فلم يجد ما وسيا فلما أقام
الجدار لم يتمالك موسى لما
رأى من الحرمان ومساس
الحاجة ان (قال لو شئت
لا اتخذت عليه أجرا) أي
طلبت على عملي جعل لا حتى
تستدفع به الضرورة
لتخذت بتخفيف التاء كسر
الخاء وادغام الذال بصري
وإظهارها مكى وتشديد
التاء وفتح الخاء وإظهار
الذال حنص وتشديد
التاء وفتح الخاء وادغام الذال
في التاء - برهم والتاء في
تخذ أصل كافي تبسع واتخذ
افتعل منه كاتبع من تبسع
وليس من الاخذ في شيء
(قال هذا فراق بيني وبينك)
هذا إشارة الى السؤال
الثالث أي هذا الاعتراض
سبب الفراق والاصل هذا
فراق بيني وبينك وقد قرئ
به فاضيف المصدر الى
الطرف كما يضاف الى المفعول

هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) قيل ان يوشع كان يقول ما يوسى ياني انه اذ كر
العهد الذي أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها هذه المرة فلا تصاحبني أي فارقني ولا تصاحبني
(قد بلغت من لدني عذرا) قال ابن عباس أي قد أعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في
مفارقة بيني والمعنى انه مدح به هذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن
أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء
بدأ بنفسه لولائه عمل لرأي العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأي العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة أي حياء واشفاق من الذم
واللوم يقال ذمته ذمامة يعني لته ملامة وتبش - هذله قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله سبحانه وتعالى
(فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابله وهي أبعدا الارض من السماء
وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فاوا أن يضيفوهما) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
أتيا أهل قرية لنا ما فاني الجالس فاستطعما أهلها فاوا أن يضيفوهما وروى انه ما طاف في القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطمعتم ما أمرت من أهل برب
بعدان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا نسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف
الضيف (فوجدناها جدارا يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له
وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما
استعير للجدار الارادة (فأقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر
بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد بينه (قال) يعني موسى (لو شئت لا اتخذت عليه أجرا) يعني
على اصلاح الجدار جعلوا والمعنى انك فعلت انما جاع وان أهل القرية لم يطعموهما فلو اتخذت على عملي أجرا
(قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك
أخذ الاجر وهو المفرق بيننا (سأنتك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى
أخذ شوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبيل أن تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة أخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرهم ما يكتبون بها
وفيه دليل على ان المسكين وان كان عاك شيا لا يزول عنه اسم المسكينة اذ لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال
الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يعملون
تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقيل خلفهم وكان
رجوعهم في طريقهم عليه والاقول أصح (ياخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبها
حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدور وروى ان
الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي تمر به ان
يدعها ليعيبها فاذا جاوز وأصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا)
أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلنا (أن

به) (سأنتك) بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة أخوة خمسة منهم زمني وخمسة
يعملون في البحر (فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان
عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جانيدي (ياخذ كل سفينة غصبا) أي ياخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها
وهو مصدر أو مفعول له فان قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فالتأخير
وانما أقدم للعناية (وأما الغلام) وكان اسمه الحسين (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن

رهنهما طغيانا وكفرا) فحفظنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهم ما وكفر النعمتهما بقوله وسوء صنعه وخلقهم - ما شر أو بلاء أو
تعديهما بدائنه ونصلهما بضلاله فيرتد بسببه وهو من كلام الخضر وإنما خشى الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلم بحاله وأطاعه على سر أمره
وإن كان من قول الله تعالى فغشينا فعلمنا أن عاش ان يصير سببا للكفر والديه (فأردنا أن يبدلهم ما بهما) يبدلهم ما بهما مدني وأبو
عمر (خير امره زكاة) طهارة ونقاء (٢٠٨) من الذنوب (وأقرب رحما) رحمة وعطفوا زكاة ورجمهم يروى أنه ولدت لهما جارية

تروجهاني فولدت نبيا أو
سبعين نبيا أو أبداهما ابنا
مؤمنا مثلهما رجسا شاميا
وهما الغنان (وأما الجدار
فكان لغلامين) أمرم
وصريم (يتيمين في المدينة)
هي القرية المذكورة
(وكان تحته كنز لهما)
أي لوح من ذهب مكتوب
فيه عبتان يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجت لمن
يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجت ان
يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجت ان يعرف الدنيا
وتقلها باهلها كيف يطامن
الهياله الا الله محمد رسول
الله أو مال مدفون من ذهب
وفضة أو حنف فيهما علم والاول
أظهر وعن قتادة أحسن
الكنز لمن قبلنا ورحم علينا
وحوت الغنيمه عليهم
وأحلت لنا (وكان أبوهما)
قيل جدهما السابع
(صالحا) ممن يعجبني وعن
الحسين بن عيسى رضي الله
عنه ما انه قال لبعض
الخواارج في كلام جرى
بينهما حفظ الله الغلامين
قال بصلاح أبيهما قال فاني
وجدي خير منه (فأراد

رهنهما) أي يغشيهما وقيل يكفهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه فحشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه
على دينه (فأردنا أن يبدلهم ما بهما) الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه (خير امره زكاة) أي صلاحا
وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى أقنلت نفسا زكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا من زكاة
(وأقرب رحما) أي ويكون المبدل منه أقرب عطفوا ورحمة بأبويه بان يبرهما ما يشفق عليهما قيل أبدلهم
جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهم ما بهما مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولدوا وحزننا عليه حين قتل ولوبق اركان فيه
هلا كهما في رضى العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خيره من قضائه فيما
يحب قوله سبحانه وتعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل كان اسمهما أصرم وصريم
(وكان تحته كنز لهما) روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكثر ذهباً وفضة أخرجه
الترمذي وقيل كان الكثر حصى فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوباً فيه عبتان أي يقن بالموت
كيف يفرح عبتان أي يقن بالقدر كيف يغضب عبتان أي يقن بالرزق كيف يتعب عبتان أي يقن بالحساب
كيف يغفل عبتان أي يقن بزوال الدنيا وتقلها بأهلها كيف يطامن الهياله الا الله محمد رسول الله وفي
الجانب الآخر مكتوب أنا لله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخبير والشرفطوبى لمن خلقت له الخبير
وأجرته على يديه والويل كل الويل لمن خلقت له للشرا وأجرته على يديه وقيل الكثر اذا أطلق براديه المال
ومع التقييد براديه غيره يقال عند فلان كثر علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان أبوهما صالحا) قيل كان
اسمه كاشع وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظ باصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة
آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ باصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرة وأهل دوران
حواله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لاصلي فاذا كررت في صلاتي
(فأرادت ان يبلغا أشدهما) أي يدركا ويعقلان قوتهم ما هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة فان قلت كيف
قال في الاولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأردت بك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما
ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فأردت ان أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن
نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء الهطاع في علم الباطن وعلوم الحكمة وان لم يقدم على مثل هذا
القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيم لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى
لان حفظ الابناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الله سبحانه وتعالى فلا جعل ذلك أضافه الى الله
تعالى (ويستخرجا كنزهما) يعني اذا باعوا وعقلوا قويا (رحمة من ربك) أي نعمته من ربك (وما فعلته عن
أمرى) أي باختياري وروى أبي بل فعلته بأمر الله والهامة اي لان تنقيص أموال الناس ورافقة دعاتهم وتغيير
أحوالهم لا يكون الا بالنص وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى على
ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك لان انبياء الصحاح انه ولي لله ولبس بنى وأجيب عن قوله
سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل
معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معننى واحده وهو تحمل
الضرر الاذنى لدفع الضرر الالهي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبورا) أي لم تطيق ان تصبر عليه روى

ربك أن يبلغا أشدهما) أي الحلم (ويستخرجا كنزهما) مفعول له أو مصدر منصوب بأرادت بك لانه في معنى رجمهما
(من ربك وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمرى) من اجتهادي وانما فعلته بأمر الله والهامة يعود الى الكل أو الى الجدار (ذلك) أي
الاجورية الثلاثة (تأويل ما لم تسطع عليه صبورا) حذف التاء تخفيفا وقد زل أقدم أقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كثر جلي
حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي الجواب ان الخضر نبي وان لم يكن كازعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام

على ان أهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ميثان ومن المحال أن يكون الولي وليا بامائه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي ولا غضاضة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم معلومة وانما ذكر اولاً (٢٠٩) فاردت لانه افساد في الظاهر وهو فعله

ونالنا فارد ان يكون له انعام محض وغير مقدور بالبشر ونالنا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فارد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير (ويستلونك) أي اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل وأشياء (عن ذي القرنين) هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قبل ما كها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران غرود وبتختصر وكان بعد غرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى بهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا حضر ب علي قرنه الايمن في طاعة الله فبات ثم بعثه الله فضر ب علي قرنه الايسر فبات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقولونه فيحسبه الله تعالى وقال عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا بعني جانبها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان أو اقرض في وقته قرنان

ان موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر أحي أم ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثر من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعروفة والحكايات في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصر قال الشيخ أبو عمر وابن الصلاح في فتاواه وهو حي عند جماهير العلماء والاصلحين والعمامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حين يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة فاطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوق الخضر على العين فاغتسل وشرب منها واصلى شكر الله تعالى وأخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخر ون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليله أرايتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبق ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده وقوله عز وجل (ويستلونك عن ذي القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الروي وكان ولد بجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام نضر الدين في تفسيره عن أبي الريحان السررودي المتجهم في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من جبر واسمه أبو كرب سمي بن عير بن بن افرقيس الجبري وهو الذي افتخر به أحد شعراء جبر حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدي مسلما * ملكا علا في الارض غير مفند * بلغ المشارق والمغرب بيتي في أسباب ملك من كريم مرشد * فرأى ما تب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وناطحة حرمه قوله فرأى ما تب الشمس أي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب أي جماعة الناطقة الجمأة أيضا والجمع ناط و الحرم الطين الاسود وقيل سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها وغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواربهما العمامة وروي عن علي أنه أمر قومه بتقوى الله فضر بوه علي قرنه الايمن فبات فاحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فضر بوه علي قرنه الايسر فبات فاحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا يدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله لا يكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطفيل سئل علي عن ذي القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله فاحبه الله وناصره الله فناصره الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لا تخربا ذا القرنين فقال تسميتهم باسماء الانبياء فلم تر وراحتي تسميتهم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الاكثر ان كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبو جرح ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبني الاسكندرية وسمها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبني السودادنته ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزى الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بها ووجه الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويستلونك عن ذي القرنين (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي خبرا يتضمن حاله وقوله سبحانه وتعالى (انا مكناه في الارض) أي وطأ ناله والتمكين تهديد الاسباب قال علي سخر الله له السحاب فجعل عليه ومدله في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلك له طريقها

(٢٧ - خازن - ثالث) من الناس اولاد ملك الروم وفارس أو الترتل والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبوا ما كان من الروم (قل سأتلوا عليكم منه) من ذي القرنين (ذكر انما مكناه في الارض) جعلناه فيها مكانة واعتناء

(وَأْتِنَاهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) أَرَادَهُمْ مِنْ أَعْرَاضِهِ وَمَقَاصِدِهِ فِي مَلِكِهِ (سَبِيحًا) طَرِيقًا وَمَصَالِيهِ (فَاتَّبَعَ سَبِيحًا) وَالسَّبَبُ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ قُدْرَةٍ فَارَادَ بِلُغِ الْمَغْرِبِ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا لِوَصْلِهِ إِلَى حَتَّى بَلَغَ وَكَذَلِكَ أَرَادَ الْمَشْرِقَ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا وَأَرَادَ بِلُغِ السُّدُنِ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا فَاتَّبَعَ ثُمَّ اتَّبَعَ كَوَيْفِي وَشَاحِي الْبَاقُونَ لِوَصْلِ الْآلِفِ وَتَشْدِيدِ الْتَأَنِّ عَنِ الْأَصْحَى اتَّبَعَ لِحَقِّ وَاتَّبَعَ اقْتَفَى وَان لَمْ يَلْحَقْ (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) أَي مَنْتَهَى الْعِمَارَةَ نَحْوَ الْمَغْرِبِ وَكَذَا الْمَطْلَعُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَأَ أَمْرَهُ أَنَّهُ وَجَدَ فِي الرِّكْتَبِ أَنْ أَحَدَ أَوْلَادِ سَامٍ يَشْرَبُ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ فَيَخْلُدُ فَعَجَلَ بِسِيرَتِي طَلِبَهَا وَالْحَضْرُوزُ رِيحٌ مِنْ خَالَتهِ فَظَفَرُ فَشْرَبَ وَلَمْ يَظْفَرُ ذُو الْقَرْنَيْنِ (وَجَدَهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حِمْسَةٍ) ذَاتُ حِمَاةٍ مِنْ حِمْتِ الْبُرَادِ إِذَا صَارَتْ فِيهَا الْحِمَاةُ حَامِيَةً شَاحِي وَكَوَيْفِي غَيْرُ حَفْصٍ بِعَنَى حَارَةٌ وَعَنْ أَبِي ذَرِّكَانٍ رَدِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبَلٍ فَرَأَى الشَّمْسَ حِينَ غَابَتْ فَقَالَ أَنْدَرِي يَا أَبَا ذَرِّكَانِ أَيْنَ تَغْرِبُ هَذِهِ قَالَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ (٢١٠) فَانْهَارَ تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حِمْسَةٍ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَقَرَأَ مَعَاوِيَةَ حَامِيَةً

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حِمْسَةٌ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ أَعْبَدَ اللَّهُ بَنِي عَمْرِو كَيْفَ تَقْرُوهَا فَقَالَ كَيْ يَقْرَأُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ كَيْفَ تَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرِبُ قَالَ فِي مَاءِ وَطِينٍ كَذَلِكَ تَجِدُ فِي التَّوْرَةِ فَوَافَقَ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلَا تَنَاقَى فَإِنَّ تَكُونُ الْعَيْنُ جَامِعَةً لِلْوَصْفَيْنِ جَمِيعًا (وَوَجَدَ عِنْدَهَا) عِنْدَ تِلْكَ الْعَيْنِ (قَوْمًا) عَسْرَاءَ مِنَ الثِّيَابِ لِبَاسِهِمْ جِلْدُ الْوَيْدِ وَطَعَامُهُمْ مَالِ الْفَطْرِ الْبَحْرِيِّ وَكَانُوا كَفَّارًا (قَلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ) أَمَّا ان تَعَذَّبَ وَامَّا ان تَخَذَفَ فِيهِمْ حَسَنًا) ان كَانَ نَبِيًّا فَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِهِمْ ذَا الْوَالِدِ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّ قَامَرِهِ النَّبِيِّ بِهِ أَوْ كَانَ الْهَامَا خَيْرَ بَيْنِ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ بِالْقَتْلِ ان أَصْرًا عَلَى أَمْرِهِمْ وَبَيْنَ ان تَخَذَفَ فِيهِمْ حَسَنًا بِأَكْرَاهِهِمْ وَتَعْلِيمِ الشَّرَائِعِ

(وَأْتِنَاهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ وَكُلِّ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ الْمَلُوكُ عَلَى فَتْحِ الْمَدِينِ وَبِحَارَةِ الْأَعْدَاءِ (سَبِيحًا) أَي عِلْمًا يَتَسَبَّبُ بِهِ إِلَى كُلِّ مَا يَزِيدُ وَيُسِيرُ بِهِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَقِيلَ بِالْإِغَالِي حَيْثُ أَرَادَ وَقِيلَ قَرَّبْنَا لَهُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ (فَاتَّبَعَ سَبِيحًا) أَي سَلَكَ طَرِيقًا (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حِمْسَةٍ) أَي ذَاتِ حِمَاةٍ وَهِيَ الطَّيْنَةُ السُّودَاءُ وَقُرئُ حَامِيَةً أَي حَارَةٌ وَسَأَلَ مَعَاوِيَةَ كَعْبًا كَيْفَ تَجِدُ فِي التَّوْرَةِ تَغْرِبُ الشَّمْسِ وَأَيْنَ تَغْرِبُ قَالَ تَجِدُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهَا تَغْرِبُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ وَقِيلَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى فِي عَيْنِ حِمْسَةٍ أَي عِنْدَهَا عَيْنِ حِمْسَةٍ أَوْ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَ مَوْضِعًا مِنَ الْمَغْرِبِ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعَمْرَانِ فَوَجَدَ الشَّمْسَ كَأَنَّهَا تَغْرِبُ فِي وَهْدَةٍ مَظْلَمَةٍ كَمَا أَنَّ رَأْيَ الْبَحْرِ يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ كَأَنَّهَا تَغْرِبُ فِي الْبَحْرِ (وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا) أَي عِنْدَ الْعَيْنِ أُمَّةٌ قَالَ ابْنُ حَرِيحٍ مَدِينَةٌ لَهَا اثْنَا عَشَرَ الْفَيْبَابِ يُقَالُ انْهَارَ الْجَاسُوسُ وَاسْمُهَا بِالْأَسْرِ يَأْتِيهِمْ حَرٌّ يَحْسَبُونَ أَنَّهَا قَوْمٌ مِنْ نَسْلِ نُوحٍ الَّذِينَ آمَنُوا بِصَالِحٍ لَوْلَا صَبْحُ أَهْلِهَا لَسَمِعَ النَّاسُ وَجِبَةَ الشَّمْسِ حِينَ تَجِبُ أَي تَغْيِبُ (قَلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ) يَسْتَدَلُّ بِمِثْلِهِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا فَإِنَّ اللَّهَ خَاطَبَهُ وَمَنْ قَالَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَالَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْإِلَهَامُ وَقِيلَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ (أَمَّا ان تَعَذَّبَ) يَعْنِي تَقْتُلُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ (وَامَّا ان تَخَذَفَ فِيهِمْ حَسَنًا) يَعْنِي تَعَفُّوْا وَتَصَفَّحُوا وَقِيلَ نَاسَرَهُمْ فَتَعَلَّمَهُمُ الْهُدَى خَيْرَهُ اللَّهُ سَجَّانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ (قَالَ أَمَّا ان ظَلِمَ) أَي كَفَرَ (فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ) أَي نَقْتُلُهُ (ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ) أَي فِي الْآخِرَةِ (فَيَعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا) أَي مَذْكَرًا يَعْنِي بِالنَّارِ لِأَنَّهَا نَكِرٌ مِنَ الْقَتْلِ (وَإِذَا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحَسَنَى) أَي جِزَاءُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَايِسًا) أَي نَلِينُ لَهُ الْقَوْلَ وَنَعَامِلُهُ بِالْيُسْرِ مِنْ أَمْرِنَا (ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيحًا) أَي سَلَكَ طَرِيقًا وَيَقَامُ مَنَازِلَ (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قِيلَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَكَانٍ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّمْسِ سِتْرٌ مِنْ جَبَلٍ وَلَا شَجَرٍ وَلَا بَسْتَقْرَ عَلَيْهِمْ بِنَاءٌ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلَ الْوَأْفَى أَسْرَابَ لَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْهُمْ خَرَجُوا إِلَى مَعَابِشِهِمْ وَحَرَّوْهُمْ وَقِيلَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ تَزَلُّوا فِي الْمَاءِ فَإِذَا ارْتَفَعَتْ عَنْهُمْ خَرَجُوا فَرَعُوا كَالْبَهَائِمِ وَقِيلَ هُمْ قَوْمٌ عَرَاةٌ نَفَرَتْ أَحَدُهُمْ أَحَدِي أذْنِيهِ وَيَلْتَحِفُ بِالْآخَرِي وَقِيلَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ نَسْلِ مُؤْمِنِي قَوْمِ هُودٍ وَاسْمُ مَدِينَتِهِمْ جَابَلُقُ وَاسْمُهَا بِالْأَسْرِ يَأْتِيهِمْ حَرٌّ قَرِيبًا وَهُمْ مَجْمُورُونَ بِأَجْوِجٍ وَمَأْجُوجٍ قَوْلُهُ سَجَّانَهُ وَتَعَالَى (كَذَلِكَ) أَي كَمَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ كَذَلِكَ بَلَغَ مَطْلِعَهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ حَكَمَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ كَمَا حَكَمَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ عِنْدَ مَغْرِبِهَا وَهُوَ الْأَصْحَى (وَقَدْ أَحْطَانَا بِالذِّبَةِ خَيْرًا) أَي عَلَّمَنَا عِنْدَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ وَالْعُدَّةِ وَالْآلَاتِ الْحَرْبِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَقَدْ عَلَّمَنَا حِينَ مَلَكْنَا عِنْدَهُ مِنَ الصَّلَاحِيَةِ بِذَلِكَ الْمَلِكِ وَالْإِسْتِقْلَالَ بِهِ وَالْقِيَامَ بِأَمْرِهِ

ان آمَنُوا أَوْ التَّعَذِّبِ الْقَتْلَ وَاتَّخَذَ الْحَسَنُ الْأَسْرَانَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْقَتْلِ أَحْسَنًا (قَالَ) ذُو الْقَرْنَيْنِ (أَمَّا ان ظَلِمَ فَسَوْفَ) قَوْلُهُ نَعَذِّبُهُ بِالْقَتْلِ (ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيَعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا) فِي الْقِيَامَةِ يَعْنِي أَمَّا ان دَعَاوَتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَابِي الْإِبْقَاءِ عَلَى الظُّمِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ الشَّرْكُ فَذَلِكَ هُوَ الْمَذْبُوبُ فِي الدَّارَيْنِ (وَإِذَا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) أَي عَمِلَ مَا يَقْتَضِيهِ الْإِيمَانُ (فَلَهُ جِزَاءٌ الْحَسَنَى) فَلَهُ جِزَاءُ الْفِعْلَةِ الْحَسَنَى الَّتِي هِيَ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ جِزَاءُ الْحَسَنَى كَوَيْفِي غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ أَي فَلَهُ الْفِعْلَةُ الْحَسَنَى جِزَاءً (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَايِسًا) أَي ذَا يَسْرَى لِأَنَّهَا بِالصَّعْبِ الشَّاقِّ وَلَكِنْ بِالسَّهْلِ الْمَيْسَرِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالْخِرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيحًا) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ (لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا) مِنْ دُونِ الشَّمْسِ (سِتْرًا) أَي ابْنِيَّةً عَنِ كَعْبِ أَرْضِهِمْ لِأَنَّ سَلَكَ الْبَنِيَّةِ بِهَا أَسْرَابَ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلُوا هَا فَذَا رَفَعَتِ النَّهَارُ خَرَجُوا إِلَى مَعَابِشِهِمْ أَوْ السَّبْتِ الْبَاسِ عَنِ مَجَاهِدٍ مَنْ لَا يَلْبَسُ الثِّيَابَ مِنَ السُّودَانِ عِنْدَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ أَكْثَرُ مَنْ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ (كَذَلِكَ) أَي أَمْرُ ذُو الْقَرْنَيْنِ كَذَلِكَ أَي كَمَا وَصَفْنَاهُ تَعْلِيمًا جَامِعًا (وَقَدْ أَحْطَانَا بِالذِّبَةِ) مِنَ الْجُنُودِ وَالْآلَاتِ وَأَسْبَابِ الْمَلِكِ (خَيْرًا) نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ لَانِ

قوله عز وجل (ثم أتبع سيباحي إذا بلغ بين السدين) هما هاجبلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حتى ان الواثق بعث بعض من يثق به من اتباعه اليه ليعاينه فخر جوامن باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناع من لبن حديد مشدود بالخماس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أي امام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا يا ذا القرنين) فان قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفقهون قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا لا يجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج ومأجوج) أصلهما من أجيح النار وهو وضوءها وشورها شبهوا به لكثرةهم وشدة همهم وهم من أولاد ياقث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تعبر فصر بذي القرنين السد فبقوا خارجة فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام وياث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزيج والنوبة وياث أبو الترك والخزر والقفال بقو يأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حديثه مرفوعا ان يأجوج أمية ومأجوج أمية وكل أمية أربعة آلاف أمية لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكروا من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سوا عشرون ومائة ذراع وهو لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يقترش أحدهم أذنه وياتحف بالآخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يسربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامترجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنامن جهة الاب دون الام وذكروهم بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له اني باعك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والآخرى عند دمطاعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والآخرى في قطر الارض الايسر يقال لها ناويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذي القرنين باي قوة أكابدهم وباي جمع أكأثرهم وباي لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى اني سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يموتنك شي وأبلسك الهيبة فلا يروعك شي وأمخر لك النور والظلمة وأجعلهم امن جنودك فالنور يهديك من أمالك والظلمة تحوطلن من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جعا وعددا الا حصيهم الا الله تعالى فكأثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته فنهض من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فخدم من أهل المغرب جندا عظيما وانطلق بقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وخدم منهم جندا عظيما ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى ناويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمدا الى الامم التي في وسط الارض فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة صالحه من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع وبأ تكون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وايس بزاد خلق كزبادتهم فلا شك أنهم يتماثلون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن نجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه رب خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد والخماس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الر جبل المربوع منالهم تخالب وأضر اس كالسباع ولهم هلب شعر يوارى أجسادهم ويتقون به

الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة ثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (ثم أتبع سيباحي إذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذوالقرنين ما بينهما السدين وسد امكي وأبو عمر ووحقق السدين وسد اجزقو على وبضمهما غيرهم قيل ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانصب بين علي انه مقبول به بلوغ كما تجر بالاضافة في هذا فرق بيني وبينك وكما ترفع في القصد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل أسماء ظرفا وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق (وجد من دونهما) من ورائهما (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أي لا يكادون يفهمونه الا يجهد ومشقة من اشارة ونحوها يفقهون جزرة على أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة تتجوهلة (قالوا يا ذا القرنين) ان يأجوج ومأجوج هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهم مرهما عاصم فقط وهما من ولد ياقث أو يا جوج من الترك ويا جوج من الجبل والديلم

قوله احتمل كذا بالنسخ بايدينا وتفسير الخطيب يرويه ما احتمل نبي قط اللهم الا أن يكون المراد انه سال منبه في نومه لامتلاوعائه اه صحيح

(مفسدون في الأرض) قيل كانوا يا كلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يثر كون شيئا أخضر إلا كلوه ولا يابسا الاحتمالوه ولا يموت أحدهم حتى يتظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد جعل السلاح وقيل هم على صنفين طول مفرط والطول وقصار مفرط والقصر (فهل تجعل لك خراجا) خراجا حرة وعلى أي جعل لا يخرج منه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنتي) بالادغام وبفكته مكي (فيه ربي خير) أي ما جعلني فيه مكنتي من كثرة المال والبسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه (فأعينوني بقوة) بفعله وصنعه يحسنون البناء (٢١٢) والعمل وبالا لات (أجعل بينكم وبينهم ردما) جدارا وحاجزا حصينا موثقوا الردم أكبر

من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احدهما ويلتحف بالآخرى يصيف في واحدة وبشتى في واحدة يتسافدون تسافدا البهائم حيث التقوا فلما عين ذوالقرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقام ما بينهما وما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذوالقرنين ان يا جوج وما جوج (مفسدون في الأرض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا كلوه ولا يابسا الاحتمالوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يا كلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل تجعل لك خراجا) أي جعلوا وأجر من الاموال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا فلا يصلون اليها (قال) لهم ذوالقرنين (ما مكنتي فيه ربي خير) أي ما قوتاني به ربي خير من جعلكم (فأعينوني بقوة) يعني لأريد منكم المال بل أعينوني بأيد انكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعله وصنعه يحسنون البناء ولا آله قالوا وما تلك الآلهة قال (آتوني) أي اعطوني ٢ وقيل جيوتني (زبر الحديد) أي قطع الحديد فانوه بها وبالخطب ففعل الخطب على الحديد والحديد على الخطب (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفعوا) يعني في النار (حتى اذا جعله نارا) أي صار نارا (قال آتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطرا) أي نخاسا مذابا فجعلت النار تاكل الخطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد المحبر طريفة سوداء وطريفة حراء وقيل ان عرضه منسوخ ذراع وار ارتفاعه ما يتذرع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة طاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفع عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفع عليها لا يمكن الا بالقرب منها فسكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك الناس حتى لا يكتسبوا من العمل فيه (فما استطاعوا أن يظهره) أي يعاوه عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي من أسفله لشدته وصلابته (قال) يعني ذوالقرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي (فاذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكا) أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الأرض (وكان وعد ربي حقا) (ن) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الاخلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفر ونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرجونه قال بعضهم ارجعوا فستحفر ونه غدا قال فيعبد الله كاشدا ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى ان يعينهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفر ونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر مناهم الناس وفي رواية تتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخرجة بالماء فيقولون قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نعفا فيرقاهم فهل يكون فالذي نفس محمد بيده ان

من السد (آتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الخطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافع حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلا صلبا وقيل بعد ما بين السدين ما قمت فرسخ (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتح تين جانبي الجبلين لانهما يتصادقان أي يتقابلان الصدفين مكي وبصرى وشاحي الصدفين أبو بكر (قال انفعوا) أي قال ذوالقرنين للعملة انفعوا في الحديد (حتى اذا جعله) أي المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتوني) أعطوني (أفرغ) أصب (عليه) قطرا) نخاسا مذابا لانه

يقطر وهو منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطر الخذف الاول دلالة الثاني عليه قال آتوني بوصل الالف حزة دراب واذا ابتداء كسر الالف أي جيوتني (فما استطاعوا) بخذف التاء للخفة لان التاء مقر بية المخرج من الطاء (أن يظهره) أن يعاوه عليه (وما استطاعوا له نقبا) أي لا حيلة لهم فيه من صعودا لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربي) فاذا دنا يحيى يوم القيامة وشارف أن يأتي (جعله) أي السد (دكا) أي مدكوكا ميسوطا مسوي بالأرض وكل ما ينسط بعد ارتفاعه فقد اندك كدكا كوفي أي أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر قول ذوالقرنين قوله وقيل جيوتني فظاهره أنه تفسير لا آتوني مقطوع الهمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسير الآتوني بموصولها فليتأمل اه

(وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يوح) يختلط (في بعض) أي يضطربون ويختلطون انهم و جهنم حبارى و يجوز أن يكون الضمير ليا جوج وما جوج وانهم يوحون حين يخرجون مساوراء السدم مزدجين في البلادوروى انهم يأتون البحر فيشر بون ماءه و يأتون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقصدون أن يأتوا مكة والمدينتين بيت المقدس ثم يعث الله تغفاني أطفالهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم) أي جمع (٢١٢) الخلائق للثواب والعقاب (جمعاً) تأكيد

(وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) وأطهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها وعن القرآن فاذكروا بالتعظيم أوعن القرآن وتامل معانيه (وكانوا لا يستطيعون سماعاً) أي وكانوا صمماً عنه الا انه أبلغ اذا اصم قد يستطيع السمع اذا صبح به وهؤلاء كانوا صمماً أصميت أسماعهم فلا استطاعتهم للسمع (أغضب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء) أي أفظن الكفار ان يتخذهم من دونى أولياءهم أفظن الكفار ان يتخذوا عبادى عبادى يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام وأولياء مفعولان يتخذوا وقيل ان بصلتهما سد مفعولى أغضب وعبادى أولياء مفعولان يتخذوا وهذا أوجه يعنى انهم لا يكونون لهم أولياء (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) هو ما يقام للنزىل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (قل هل ننبئكم بالآخرين أعمالاً) أعمالهم واما جمع والقياس ان يكون

دواب الارض لتسمن وتشكر الله من طعمهم شكر أخرجهم الترمذى وقوله فسوة وعتوا أى غلاظة وفظاظة وتشكروا النعم ودود يكون فى أنوف الابل والغنم وقوله وتشكروا يقال شكرت الشاة تشكركر شكر اذا امتلأ ضرعها البنار المعنى انها تملأ أجسادها الحما وتسمى (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليعلمن البيت وليعتمرن بعد خروج يا جوج وما جوج قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ يوح فى بعض) قبل هذا عند فتح السدي يقول تركنا يا جوج وما جوج يوح أى يدخل بعضهم فى بعض كجوج الماء ويختلط بعضهم فى بعض اكثر منهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم فى بعض اكثر منهم ويختلط انهم بجهنم حبارى (ونفخ فى الصور) فيه دليل على ان خروج يا جوج وما جوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعاً) أى فى صعيد واحد (وعرضنا) أى أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) ليشاهدوها عياناً (الذين كانت أعينهم فى غطاء) أى غشاء وستر (عن ذكرى) أى عن الامعان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سماعاً) أى سمع قبول للايمان والقرآن ولغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعو من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عدوتهم له (فأغضب) أى أفظن (الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء) يعنى أرباباً يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يشرؤن منهم وقال ابن عباس يعنى الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفظن الذين كفروا ان يتخذوا غيرى أولياء وانى لأغضب لنفسى فلا أعاقهم وقيل معناه أفظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء (انا أعتدنا) أى هيأنا (جهنم للكافرين نزلاً) أى منزلاً قال ابن عباس رضى الله عنهما هى مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كل منزل للضيف (قوله تعالى) (قل هل ننبئكم بالآخرين أعمالاً) يعنى الذين اتعبوا أنفسهم فى عمل يرجون به فضلاً ونوالاً فأنالوا هلاكاً ووارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع وقال علي بن أبى طالب هم أهل حروراء يعنى الخوارج (الذين ضل سعيهم) أى بطل عملهم واجتهادهم (فى الحياة الدنيا وهم يحسبون) أى يظنون (انهم يحسنون صنعا) أى عملاتهم وصفهم فقال تعالى (وأولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقاءته) يعنى أنهم يجدوا دلائل توحده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافر من هذه الاشياء (فحبطت أعمالهم) أى بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) قيل لانقيم لهم ميزان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال أبو سعيد الخدرى يأتى أناس بأعمال يوم القيامة هى عندهم من العظام كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئاً فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وقيل معناه نردى بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه لياتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا وزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (ذلك) إشارة الى ما ذكر من جبوط أعمالهم وخساسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاءهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) يعنى سخريه واستهزاء (قوله تعالى) (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة قال كعب ليس فى الجنات

مفرد التنوع الا هو وهم أهل الكتاب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو فى محل الرفع أى هم الذين (فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) أولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقاءته فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هى عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بايات الله ورسوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً

خالدين فيها) حال (لا يبعثون فيها حولا) تحولا الى غير هارضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أى لا من يدعيها حتى تنازعهم أنفسهم الى
أجمع لا غرضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أى نعيم كان فهو طامع مائل الطرف الى أرفع منه والمراد في التحول
وتأ كيد الخلود (قل لو كان البحر) أى ماء البحر (مدادا للكلمات ربي) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أى لو كتب كلمات علم الله وحكمته
وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر (٢١٤) الجنس (لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا مثله) بمثل البحر (مدادا) لنفد أيضا

والكلمات غير نافذة ومدادا
تميز تحولى مثل جلال والمداد
مثل المداد وهو ما عده
ينفسد جزوه على وقيل قال
حي بن أخطب في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن
وما أوتيت من العلم الا قليلا
فترلت يعنى ان ذلك خير
كثير واكنه قطرة من بحر
كلمات الله (قل انما أنا بشر
مثلكم يوحى الى انما الهكم
اله واحد فمن كان يرجو
لقاء ربه) فمن كان يأمل
حسنا لقاء ربه وان يلقاه
لقاء رضا وقبول أو فمن كان
يخاف سوء لقاء ربه والمراد
باللقاء القدوم عليه وقيل
رؤيته كما هو حقيقة اللفظ
والرجاء على هذا مجرى على
حقيقته (فليعمل عملا
صالحا) خالص الا يريد به الا
وجه ربه ولا يتخلط به غيره
وعن يحيى بن معاذ هو مالا
يسعى منه (ولا يشرك
بعبادته أحد) هو منى
عن الشرك أو عن الرياء
قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا الشرك الا صغر قالوا
وما الشرك الا صغر قال الرياء
قال صلى الله عليه وسلم من
قصرأ سورة الكهف فهو

جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس روضة الجنة
وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذى فيه الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالأشجار
التي تنبت ضرور بامن النبات وقيل الفردوس البستان بالر ومية وقيل بلسان الحبش مقول الى العربية
نزلا هو ما يبالى النازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل فى معنى كانت لهم أى فى علم
الله تعالى قبل ان يخلقوا (خالدين فيها لا يبعثون) أى لا يطلعون (عنها حولا) أى تحولا الى غيرها قال ابن
عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينقل الرجل من دار الى دار أخرى قوله تعالى (قل لو
كان البحر مدادا للكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد أوتينا الحكمة وفى كتابك
ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيت من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل
لم تنزل وما أوتيت من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان
البحر مدادا للكلمات ربي أى ما يستعمله الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر
مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفذ البحر) أى لنفد ماؤه (قيل أن تنفذ كلمات ربي) أى
علمه وحكمه (ولو جئنا مثله مدادا) والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر مدادهم لغير ماء البحر ولم تكن
كلمات ربي ولو جئنا مثله ماء البحر فى كثيره مدد أو زيادة قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم) قال ابن
عباس علم الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التواضع للابن على خلقه فامرته ان يقر فيقول أنا آدمي
مثلكم الا أنى خصصت بالوحى وأكرمته فى الله وهو قوله تعالى (يوحى الى انما الهكم اله واحد) لا شريك له فى
ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤيته ربه (فليعمل عملا صالحا) أى من
حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح (ولا يشرك بعبادته أحد) أى
أى لا يرائى بعمله ولما كان العمل الصالح قد براد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد براد به الرياء والسمعة اعتبر
فيه قيدان أحدهما ان براد به الله سبحانه وتعالى والثانى أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق)
عن جندب بن عبد الله الجبلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الله به ومن برأى الله به
قوله من سمع الله به أى من عمل عملا رآه آتيا للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به
أى أسمع المكره (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى
يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه لغيرى مسلم فأنامنه برىء
هو والذي عمله عن سعيد بن أبي فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع
الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله أحد فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى
الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف
ما أخاف عليكم الشرك الا صغر قالوا وما الشرك الا صغر قال الرياء (م) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله
أعلم براده وأسرار كتابه * (تفسير سورة مريم عليها السلام) *
هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبع مائة كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة حرف
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر قوله
مثلكم يوحى الى آخرة عند مضجعه كان له نور يتلأأ من مضجعه الى مكة حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه
وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلأأ من مضجعه الى البيت المعمور حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى
يستيقظ * (سورة مريم عليها السلام) * مكية وهى ثمان وتسعون آية ومدنى وشامى * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(كهيعص) قال السدي هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهاء والماء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأوعر وبكسر الهاء وفتح اليا وجزء بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمة ربك) خبر مبتدأ أي هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة (زكريا) بالقصر حمزة وعلى وحفص بدل من عبده (اذ) ظرف للرحمة (نادى) به نداء خفيا) دعاء دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن اليباء وأقرب الى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة (قال رب) هذا تنسير الدعاء وأصله ياربي خذف حرف النداء والمضاد اليه اختصارا (اني وهن العظام مني) ضعف ونقص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أو عن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييز أي فشاني رأسي الشيب واشتعلت النار اذا انفرت في التهابها وصارت شعلا فشبها الشيب بشوآط النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذ منه كل ما أخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا ألا ترى ان أصل السلام يارب قد شئت اذا الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض للهباء وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد النقر والتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدني ففيه عدول عن (٢١٥) التصريح الى الكناية ففيه المبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه اني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه اني وهن العظام مني لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظام الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع وبالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي الى أبلغ وهي الاستعارة ففصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيئا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنته وهو الرأس لا فائدة

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقها هادا لعباده يده فوق أيديهم عالم بربيته صادق في وعده (ذكر) أي هذا الذي نتلو عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا رحمة (اذ نادى) أي دعا (ربه) في المحراب (نداء خفيا) أي دعاء سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في إخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الإخفاء أولى لانه أبعد عن اليباء وأدخل في الاخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهو مهيد عليه قوله تعالى (قال رب اني وهن) أي رقت وضعفت (العظام مني) أي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) أي ابيض الشعر (شيبا) أي شعث (ولم أكن بدعا لرب شقيا) أي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبي وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان (واني خفت الموالي من ورائي) أي من بعد موتي والموالي هم بنو العلم وقيل العصبية وقيل السكالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أي لا تلد (فهب لي من لدنك وليا) أي أعطني من عندك ولدا مرضيا (يرثني ويرث من آل يعقوب) أي وليا اذا ارشاد وقيل اراد به يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والخبيرة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد به الخبيرة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويعبد من ذكر كبرياؤه ونبي من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنوعه وانما خاف ان يضيع بنوعه دين الله فيغيروا أحكامه وذلك لما أن شاهد من بني اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا آمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب مرضيا) أي براتبيا مرضيا ﴿قوله تعالى

شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيئا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي ناروا الفرق نيرولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيئا المامر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيئا فبها كتنها يعلم المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظام (ولم أكن بدعا لرب شقيا) أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الميا وقت حاجته ومقتضى حاجته (واني خفت الموالي) هم عصبته اخوته بنوعه وكانوا

بنو اسرائيل فخافهم ان يغيروا الدين وان لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه بقتدي به في احياء الدين (من) موتي والقصر وفتح اليا كهذا أي مكي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور واكن بمخوفة الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يكون الامر من ورائي (وكانت) (فهب لي من لدنك) اخترت اعانتك بلا سبب لان امرأتى لا تصلح للولادة (وليا) ابنا لي أمرت بعدني (يرثني) لي ولدا وارثا مني العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثته النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يراد ان يورثه على انه جواب للدعاء يقال ورثته وورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب بن اسحق (واجعله

ور
راني بعد
عابو بمعنى الولاية
عصم الا لتلد
يرثني
النبوة نور
مرضيا مرضيا
مرضيا مرضيا

فاجاب الله تعالى دعاه وقال (يازكر يا انابشرك بغلام اسمه يحيى) قولى الله تسميته تشرى فله بشرى بالتخفيف حمزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم احد يحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبهها ولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهيم بعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حضورا فلما بشرته الملائكة به (قال رب انى) كصف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون اوهب له وهو وامر انه بتلك الحال ام يحولان شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت عتيا وهو اليبس والحسوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصلبا وجشبا وبكابه كسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الا فى بكاء (قال) (كذلك) الكافر رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتداء (قال رب انى)

(٢١٦)

أو نصب بقال وذلك إشارة

(يازكر يا) المعنى فاستجاب الله له دعاه فقال يازكر يا (انابشرك بغلام) أى بولدك كرم (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم احد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهيم بعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها يحيى وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب انى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام وكانت امرأتى عاقرا) أى وامرأتى عاقرا (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى ياساير يد بذلك تحول الجسم ودقة العظام وتحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى يسير (وقد خلقناك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيئا) قال رب اجعل لى آية (أى دلالة على حمل امرأتى) (قال آيتك) أى علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليل سويا) أى صححوا سليم ما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليل متتابعات والاول أصح قيل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذلك كره الله ان يترك له قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) أى من الموضوع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصاؤون اذ خرج اليهم زكر يا متغير لونه فأنكر واذلك علمه وقالوا له مالك (فأوحى) أى فأوما وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم فى الارض (ان سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فبأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة إشارة ﴿ قوله عز وجل (يا يحيى) فيه اضممار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجهد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفتنة والنبوة حال الصبا قلت لان أصل النبوة مبنى على خوف العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صيا (وحنا ما من لدنا) أى رحمة من عندنا قال الخطيبه يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه تحن على هذا الملك * فان لكل مقام مقالا

الى مبهم يفسره (هو على هين) أى خاق يحيى من كبيرين سهل (وقد خلقناك من قبل) أى وجدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة وعلى (ولم تك شيئا) لان المعلوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها حمل امرأتى (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليل سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيق موأنت سليم الجوارح ما بالك خرس ولا بك ودل ذكر اللبالي هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول ما بارأئها من اللبالي وكذا ذكر اللبالي يتناول ما بارأئها من الايام عسقا (فخرج على قومه من المحراب) من موضع صلته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فأوحى اليهم) أشار باصبعه (أن سبحوا)

أى ترحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعتهم وعملا صالحا فى اخلاصه (وكان تقيا) أى مسلما لمخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهيم بها قط (وبراؤديه) أى بار الطيفيا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من براؤ الدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه محقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو أبلى من العاصى والمراد صرف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين

صلاوه وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فأوحى اليهم) أشار باصبعه (أن سبحوا) صلوا وان هى المفسرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (يا يحيى) أى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجهد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صيا) حال قيل دعاه الصبان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا (وحنا ما من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلحاق لم يعمد بذب (وكان تقيا) مسلما مطيعا (وبراؤديه) وباراهم الا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه

(وسلام) صلوا وان هى المفسرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (يا يحيى) أى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجهد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صيا) حال قيل دعاه الصبان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا (وحنا ما من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلحاق لم يعمد بذب (وكان تقيا) مسلما مطيعا (وبراؤديه) وباراهم الا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه

(وسلام عليه) أمان من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتاني القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها أوحش المواطن (وذكر) بالحمد (في الكتاب) القرآن (مرمى) أى اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال اذا الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أى اعترلت (مكانا) طرف (شرقيا) أى تخلت للعبادة في مكان سماوي شرقى بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قدمت في مشرقه لا غتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتغسل وراعه (فأرسلنا اليها وحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمي روحا لان الدين بحيايه (٢١٧) وبوجهه (فتمثل لها بشرا) أى فتمثل لها

جبريل في صورة آدمى شاب
أمرد وضىء الوجه جعد
الشعر (سويا) مستوى
الخلق وانما مثل لها في صورة
الانسان لتستأنس بكلامه
ولا تنفر عنه ولو بدلها في
صورة الملائكة لنتفرت ولم
تقدر على استماع كلامه
(قالت انى أعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا) أى
ان كان يرجى منك ان تتقى
الله فاني عاقبة به منك (قال)
جبريل عليه السلام (انما
أنا رسول ربك) أمنهما
خافت وأخبر أنه ليس
بأذى بل هورسـ ول من
استعذت به (لا هلك
بأذن الله تعالى أولا كون
سببا في هبة الغلام بالنفخ في
الدرع ليهب لك أى الله أبو
عمرو ونافع (غلاما ركبيا)
طاهرا من الذنوب أو ناميا
على الخير والبركة (قالت
أنى) كيف (يكون لى
غلام) ابن (ولم عسى
بشر) زوج بالنسكاح (ولم
الغبيا) فاجرة تبغى الرجال

(وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق في ثلاثه مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى يعنى في هذه المواطن كلها خاصة بالسلامة فيها قوله عز وجل (واذ كرفى الكتاب) أى فى القرآن (مرمى اذا انتبذت) أى تحت واعترلت (من أهلها) أى من قومها (مكانا شرقيا) أى مكانا فى الدار سماوي المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديدا البرد فجلست فى مشرقه ففلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قبل ولها هذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) أى فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس أى ستر او قبل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحوالت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمرد وضىء الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا اليها وحنا) يعنى جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئا وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدلها فى صورة الملائكة لنتفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء فى صورة بشر فعملت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصده نحوها بادرنه من بعيد (قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مؤمنا طمعت بالله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها ورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تطأنى أى ينبغى أن يكون اعمالك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى أن تكون تقوا مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك لا هب) أسند الفعل اليه وان كانت الهبتمن الله تعالى لانه أرسل به (لك غلاما ركبيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام ولم عسى نبشر) أى ولم يقر بى زوج (ولم أك بغيا) أى فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أى هكذا قال ربك (هو على هين) أى خلق ولدك بلا أب (ولنجعله آية للناس) أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أى ونعمتان تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) أى محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل (فخمانته) قبل ان جبريل يرفع درعها فنفخ في جيبه فعملت حين لبست الدرع وقيل مدجيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فعملت بعيسى عليه السلام فى الحال (فانتبذت به) أى فلما حملته تحت بالحل وانفردت

(٢٨ - (خازن) - ثالث)
والبغى فعول عند البرد بغوى فقالت الواو اياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحق تاء التانيث كالم تلحق فى امرأة صبور وشكور وعند غيره همى فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبهه به مثل ان رجلة الله قريب (قال) جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لم عسى لرجل نكاحا أو سفاحا (قال ربك هو على هين) أى اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليلا معمله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلمنا ذلك أو هو معطوف على تعليلا مضمرا أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أى عبرة وبرهان على قدرتنا (ورجوة منا) لمن آمن به (وكان) خالق عيسى (أمرا مقضيا) مقدره مسطورا فى اللوح فلما اطمانت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى بطنها (فخمانته) أى ابو هوب وكان سنه ثلاث عشرة سنة أو عشرين أو عشرين (فانتبذت به) اعترلت وهو فى بطنها والجارح والجرور

في موضع الخال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش
ه ولو فرض ثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة ووضعت في ساعة (مكانا قصيا) بعد ان أهلها ووراء الجبل وذلك لانها أحست بالحمل هربت
من قومها تخافة الاثمة (فأجاءها) جاءها وقيل ألجأها وهو منقول من جاءه الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء الا ان ال لا تقول
بعثت المكان وأجاءني زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع الخلة) أصلها وكانت باسنة وكان الوقت شتا وتعريفها مشعر بانها كانت
تخله معروفة وجزان يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها الى الخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسه النفساء أي
طعامها ثم (قالت) خزاعا أصابها (٢١٨) (يا ليتني مت قبل هذا) اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت وماتت

(مكانا قصيا) أي بعد ان أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرار من أهلها وقومها أن
يعبروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور
في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من لومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل
من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه لا يعيش من ولد ثمانية أشهر وولد
عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لثلاثة أشهر وهي بنت عشرين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة
وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها
يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بينة جبل صهيون وكانا يتخذمان ذلك المسجد ولا يعلم من
أهل زمانها ما أحد أشد عبادة واجتهادا منها وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقى مقبورا في أمرها كما أراد
أن يتمها ذكر عبادتها وصلاحها وانهم لم تغب عنه واذا أراد ان يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم
به ان قال انه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانها فغلبني ذلك فرأيت ان أتكلم به أشقى
صدرى فقالت قل قولاجيلا قال أخبرني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذور هل ينبت شجر بغير غيث وهل
يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذور ألم تر ان الله أنبت الشجرة
بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر
على انبائها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كن فيكون قالت له
مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها
في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها ان اخرجي من أرض
قومك فذلك قوله تعالى فانبتت به مكانا قصيا قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) أي ألجأها وجاءها
والمخاض وجع الولادة (الى جذع الخلة) وكانت تخله ينبت في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف
وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت يا ليتني مت قبل هذا)
تمت المون استحياء من الناس وخوفان الفضحة (وكنت نسياما نسيا) يعني شيئا حقيرا متروكا لم يدكر ولم
يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها ماتت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت
على أكمة وجبريل وراء الأكمة فتحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من
بطن أمه ناداها (أن لا تخزني قد جعل ربك تحتك سرا) أي خزا قال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب
جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله في الأرض فظهرت عين ماء عذبة وحررت وقيل كان
هناك نهر يابس فخرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنث الخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت
وقيل معنى تحتك أي تحت أمرك ان أمرته أن يجري حرى وان أمرته بالامسك أمسك وقيل معنى سرا
أي عيسى وكان عبدا سرا رافعا (وهزى اليك) أي حررك اليك (بجذع الخلة تساقط عليك رطبا
جنيا) قيل الجنى الذي بلغ الغاية وجاء أو ان اجتنائه قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندى خير من

(وكنت نسياما نسيا) شيئا
متروكا لا يعرف ولا يذكر
يقع النون حذو وحده
وبالكسر غيرهما ومعناها
واحد وهو الشيء الذي حقه
أن يطرح وينسى لحقارته
(فناداها من تحتها) أي
الذي تحتها من فاعل وهو
جبريل عليه السلام لانه
كان مكانا منخفض عنها و
عيسى عليه السلام لانه
ساقطها من تحت ذيلها من
تحتها مدني وكوفي سوى
أبي بكر والفاعل مضمرة وهو
عيسى عليه السلام أو
جبريل والهاء في تحتها للخلة
ولشدة ما ألقت سلبت بقوله
(أن لا تخزني) لانتمهي
بالوحدة وعدم الطعام
والشراب ومقالة الناس
وان بمعنى أي (قد جعل
ربك تحتك) بقر بلك أو
تحت أمرك ان أمرته أن
يجري حرى وان أمرته
أن يقف وقف (سرا)
نهرها صغيرا عند الجهور
وسئل النبي صلى الله عليه
وسلم عن السرى فقال هو
الجدول وعن الحسن سيدا

كريم يعني عيسى عليه السلام وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سرا فقال الحسن صدقت ورجع الى الرطب
قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فخرى النهر اليابس فاخرت
الخلة وأثمرت وأينعت ثم رافعت فيل لها (وهزى) حررك (اليك) الى نفسك (بجذع الخلة) قال أبو علي الباء زائدة أي هزى جذع الخلة
(تساقط عليك) بادغام التاء الاولى في الثانية مكي ومدني وشامي وابوعمر وعلي وابوبكر والاصل تساقط بانها التاء من وتساقط بفتح التاء
والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حذو ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وجماد ونصير وتساقط حفص
من الفاعلة وتساقطوا بسعة فاق تسقط وتسقط التاء للخلة والياء للجذع فهذه تسع قرآت (رطبا) تمييزا ومذمولا به على حسب القراءة (جنيا)

طر يا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل بالنفساء خبير من الرطب ولا لمر يض من العسل (فككي) من الجنى (واشربي) من السرى (وقرى عيننا) بالولد الرضى وعينا تميز أى طبي نفسا بعيسى وارضى عينك ما أحتك (فاما) صلته ان ما فضت ان الشريطة الى ما وأدعت فيها (ترين من البشر) أحد انقولى انى نذرت للرحن صوما) أى فان رأيت آدميا سألك عن حالك فقولى انى نذرت للرحن صوما واما كما عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة (٢١٩) وكان صيامهم فيه الصمت فكان

التزام التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا وخافنا وانما أمرت أن تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفها الكلام بما يرى به ساحتها ولا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفه واجب وما قد عسف به من الاعراض ولا اطلق عنانه بمثل العراض وانما أخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا ألا ترى الى قول الشاعر فى وصف القبور وتكلمت عن أوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أو سوغ لها هذا القدر بالنطق (فلن أكل اليوم انسيا) آدميا (فأنتبه) بعيسى (قومها) بعد ما طهرت من نفاسها (تحمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حامله اياه فلما رآه معها (قالوا يا مريم لقد جننت شيئا فرأيا) بديعاً عجيباً والشري القطع كأنه يقطع العادة (يا أخت هرون) وكان اخاه من أبيها ومن أفضل بنى اسرائيل أو هو أخو

الرطب ولا لمر يض خبير من العسل (فككي واشربي) أى يا مريم كلى من الرطب واشربي من النهر (وقرى عيننا) أى طبي نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف قوادك ما رضىك ففقر عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر أحدا) معناه يسألك عن ولدك (فقولى انى نذرت للرحن صوما) أى صمتا قبيلا كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يتحدث صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول لتمام تمسكك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لمرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لجهتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الأفضل أولى الثانی كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفه واجب (فلن أكل اليوم انسيا) عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتل مريم وابنها عيسى الى غار فكثت فيه أر بين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جئت الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أمه ابشري فانى عبد الله ومسبحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكرهوا وخزوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جننت شيئا فرأيا) أى عظيم ما منكر او قيل معناه جننت بامر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شهت به فى عفتها وصلاحتها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أر بعون ألقام بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبه قال لما قدمت خراسان سألتونى فقالوا لى انكم تفرزون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أحامر ميم لابيها وقيل كان من أمثله رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما سخطوا هرون أحامر موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي بأخاتمهم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشهروه به (ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) أى زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت اليه) أى أشارت مريم الى عيسى ان كلهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليه ليه يكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا (قالوا كيف نسلككم من كان فى المهد صبيا) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمنه (قال انى عبد الله) قال وهب أتاهاز كريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولد انى عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما نكلم لسلا يتخذ لها فان قلت ان الذى أشهدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصن ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العقباء ممن ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه

موسى عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أبا همدان أى با واحد منهم أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شهروه به فى الصلاح أو شتموه به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) زانيا (بغيا) زانية (فأشارت اليه) الى عيسى أن يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تعزنى وأحيلي بالجواب على وقيل أمرها حجريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتعجبوا (قالوا كيف نسلككم من كان) حدث وو جد (فى المهد) المعهود (صبيا) حال (قال انى عبد الله) ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق

أطلق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم روى أنه أشار بسبائه وقال بصوت رفيع أني عبد الله
وفي يزد لقول النصارى (آ تاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا) روى عن الحسن أنه كان في المهدي نبيار كلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك
سبق في قضائه أو جعل الآتي لاحتماله كأنه وجد (وجعلني مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للخير (وأوصاني) وأمرني
(بالصلاة والزكاة) ان مدينتك مالا وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصاني بأمر امرهم بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) نصب
على الفارغ أي مدة حياتي (وبراو الذي) عطف على مباركا أي بارها أكرمها وأعظمها (ولم يجعلني جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام
على يوم ولد) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على (ويوم أموت) ويوم أبعت حيا) أي ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه
الى ان كان حرف التعريف للعهد (٢٣٠) وان كان للجنس فالمعنى وجنس السلام على وفيه تعرض باللعنة على أعداء مريم وابنه لانه

اذا قال وجنس السلام على
فقد عرض بان ضده عليكم
اذ المقام مقام مناكرة
وعناد فكان مثله هذا
التعريض (ذلك) مبتدأ
(عيسى) خبره (ابن مريم)
نعتة أو خبر ثان أي ذلك
الذي قال اني كذا وكذا
عيسى ابن مريم لا تكلمت
النصارى انه اله او ابن الله
(قول الحق) كلمة الله
فالقول الحكمة والحق الله
وقيل له كلمة الله لانه ولد
بقوله كن بلا واسطة أب
وارتفاعه على انه خبر بعد
خبر أو خبر مبتدأ محذوف
أو بدل من عيسى ونصبه
شامحا وعاصم على المدح أو
على المصدر أي أقول قول
الحق هو ابن مريم وايس
بأله كما يدعونه (الذي فيه
يترون) يشكون من
المرية الشك أو يتخلون
من المراء فقالت اليهود
ساحر كذاب وقالت النصارى

وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى (آ تاني الكتاب وجعلني نبيا) قيل معناه سيجعلني نبيا أو يؤتيني الكتاب
وهو الانجيل وهذا الخبر عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا
قال كنت نبيا وأدم بين الروح والجسد وقال الا كثرون انه أوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل
الرجال الكامل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركا أينما كنت) معناه اني
نفاعا أينما توجهت وقيل معلما للخير يدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني
(وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بهم ما وكفني فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال
طفولته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصاني
بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بادائهم ما في الحال بل المراد أوصاه بادائهم ما في الوقت المعين
لهم وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغاعة لانه أظهر في سياق قوله
(مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه في زمان جميع حياته حين كان في الارض وحين رفع
الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه (وبراو الذي) أي وجعلني براو الذي (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي
عاصيا الرب متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير نفسى قال بعض
العلماء لا تجدد العاني الاجبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشق الذي يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم
ولد) أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أي عند الموت من الشرك (ويوم أبعت
حيا) أي من أهوال يوم القيامة فلما تكلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكنت عيسى بعد فلم يتكلم حتى
باغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أي ذلك الذي قال اني عبد الله هو عيسى بن مريم
(قول الحق) أي هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك
عيسى بن مريم كقوله الحق والحق هو الله (الذي فيه يترون) أي يشكون ويتخلون فقول يقول هو
ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم زه نفسه عن اتخاذ
الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان الله أن يتخذ من ولد) أي ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك
(سبحانه اذا قضى أمرا) أي اذا أراد ان يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) أي لا يتعذر عليه اتخاذ
على الوجه الذي أراد (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) هذا الخبر عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربي
وربكم لا رب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أخبركم به ان الله أمرني به هو الصراط
المستقيم الذي يؤدي الى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث

ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان له) ما ينبغي له (أن يتخذ من ولد) حتى عين لنا كيد النفي (سبحانه) زه ذاته عن اتخاذ الولد اذا
قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) بالنصب شامحا أي كما قال عيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزها أن يشبهه الحيوان
الولد (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) بالسكسر شامحا وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما نأعبده فأنتم عبده على وعليكم ان نعبد
ومن فح عطف على بالصلاة أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربي وربكم فاعبدوه (هذا) الذي
ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا (فاختلف الأحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيهما عن غيرهما هم ثلاث فرق تسطورية
وبعقوبة وملاكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم انفقوا على
ان يرجعوا الى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهو يعقوب ونسطور وما كان فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى
السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهر ما شاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبد الله مخلوقا نبيا فقتل مع كل واحد منهم قوم

(قويل للذين كفروا) من الأحزاب اذ الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانباء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها والمراد يوم اجتماعهم لا تشار فيه وجعله عظيم اللفظاعة ما شهدوا به في عيسى (أسمع بهم وأبصر يوم يا توننا) الجمهور على ان لفظه أمر وعند التجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وابصارهم جذيران يتعجب (٢٢١) منها بعد ما كانوا مع ما عوفي الدنيا

قال قتادة ان عموه هو
 عن الحق في الدنيا فما سمعهم
 وما أبصرهم بالهدى
 يوم لا ينفعهم وهم مرفوع
 المحل على الفاعلية كالكرم
 يريد نعمناه كرم زيد
 جدا (لكن الظالمون
 اليوم) أقيم الظاهر مقام
 المضمر أي لكنهم اليوم في
 الدنيا ينظلمهم أنفسهم
 حيث تركوا الاستماع
 ولنظر حين يجدي عليهم
 ورضعوا العبادة في غير
 موضعها (في ضلال) عن
 الحق (مبين) ظاهر وهو
 اعتقادهم عيسى الهامع بودا
 مع ظهور آثار الحدت فيه
 اشعارا بان لا تظلم أشد من
 ظلمهم (وأنذرهم)
 خوفهم (يوم الحسرة) يوم
 القيامة لانه يقع فيه الندم
 على ما فات وفي الحدت
 اذارا وسانزلهم في الجنة ان
 لو آمنوا (اذ) بدل من يوم
 الحسرة أو ظرف للحسرة
 وهو مصدر (قضى الامر)
 فرغ من الحساب وتصادر
 الفريقان الى الجنة والنار
 (وهم في غفلة) هناعن
 الاهتمام لذلك المقام (وهم
 لا يؤمنون) لا يصدقون

فرق في أمر عيسى النسطورية والمكانية وبعقوبية (قويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعني يوم
 القيامة حين (أسمع بهم وأبصر) أي ما سمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر
 انهم يسمعون ويبصرون في الآخرة مالم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون
 ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يا توننا) أي يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال
 مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطابين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن
 الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) يعني
 خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسمى يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا زاد في
 الاحسان يدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد
 يموت الا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون زادا وان كان مسيئا ندم ان لا يكون
 نزع أخرجه الترمذي قوله ان لا يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعني يوم
 الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بأوت كهيئة
 كبش أملح فينادى مناديا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فقولون نعم هذا الموت
 وكاهم قد رآه ثم ينادى مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فقولون نعم
 هذا الموت وكاهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خذوا موتوا يا أهل النار خذوا موتوا
 موت ثم قرأوا نذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد
 الترمذي فيه فلوان أحد مات فرحل مات أهل الجنة ولوان أحد مات حزنا لمات أهل النار قوله كهيئة كبش
 أملح الأملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشيء اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه
 نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول
 الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيه ذبح فهو فلا يبقى برجله حياة ولا وجود
 وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فها لا يزال لهم ما لا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار حتى يجعل
 بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناديا أهل الجنة لا موتوا يا أهل النار لا موتوا فيزداد أهل الجنة فرحا الى
 فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
 أحد الا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا رأى مقعده من الجنة لو أحسن
 ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري وقوله تعالى (اذ قضى الامر) أي فرغ من الحساب وأدخل أهل
 الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) أي عما يراهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي
 لا يصدقون (ان نحن نرث الارض ومن عليها) أي تمت سكان الارض جميعا ويوق الله سبحانه وتعالى وحده
 فيرثهم (والبنابر جعون) فنجز بهم بأعمالهم قوله عز وجل (واذ كفر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
 نبيا) أي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل الصدق الكثير التصديق قيل من صدق الله في
 وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعلم بما فهو صديق ولما قربت

به وهم حالان أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (ان نحن نرث الارض ومن عليها) أي تقربا اليك والبقاء عند تعميم الهلك
 والغناء وذكركم من تغليب العقلاء (والبنابر جعون) بضم الباء وفتح الجيم وفتح الباء يعقوب أي بدون فيجازون جزاء وفاقا (واذ كفر)
 لقومك (في الكتاب) القران (ابراهيم) قصة مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزة نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصدق
 المستقيم في الاحوال فالصديق من انبىة المبالغة وظاهرة الضمير والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أي كأنه
 مصداق لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو بدل منه وهو

(اذقال) وبخازان يتعلق اذ كان ارضه صديقا نبيا أي كان جامعاً لخاصة الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه بتلك الخطاطبات والمراد بكسر
الرسول أباه وقتصته في الكتاب أن يتلوه ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم والافالته عز وجل هوذا كرمه ومورده في تنزيله
(لاية يا أبت) بكسر التاء وفتحها بن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتى أثلاثاً يجمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر) المقبول فيه ما منى غير منوى ويجوز أن يقدر أي لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً (ولا يغني عنك شيئاً) يحتمل أن يكون شيئاً في موضع
المصدر أي شيئاً من الأغناء وان يكون مفعولاً به من قولك أغن عنك وجهك أي بعد (يا أبت اني قد جاءني من العلم) الوحي أو معرفة الرب (مالم
يا تلك) مافي ما لا يسمع ومالم يا تلك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعني أهدك) أرشدك (صراطاً سوياً) مستقيماً (يا أبت لا تعبد
الشیطان) لا تطعه فيما سؤل من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحن عصياً) عاصياً (يا أبت اني أخاف) قيل أعلم (أن عسك عذاب من الرحمن
فتكون للشیطان ولياً) قريناً في (٢٢٦) النار تلهو ويذلک فانظر في نصيحه كيف راعى الجملة والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث

رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقاً الى ذكر كونه نبياً والنبي العالی في الرتبة بارسال الله
حسن خلقك ولومع الكفار
يدخل مدخل الارار
فطالب منه أولاً الهة في
خطئه طالب منه على تحديه
موقفا لا فراطه وتناهيه لان
من يعبد أشرف الخلق
مستزله وهم الانبياء كان
محكوما عليه بالغى المبين
فكيف يعبد سجراً أو
شجر الا يسمع ذكر عباده ولا
يرى هيات عبادته ولا يرفع
عنه بلاء ولا يقضى له حاجة
ثم تبنى بدعوته الى الحق
مترقباه متاطفا فلم يسم
أباه بالجهل المفرط ولا نفسه
بالعلم الوثيق ولكنه قال
ان معي شيئاً من العلم ليس
معك وذلك علم الدلالة على
الطريق السوي فهب اني
وابالذ في مسير وعندى
معرفة بالهداية دونك فاتبعني
أتبعك من أن تضل وتنبه
ثم ثاب بنهية عما كان عليه

رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقاً الى ذكر كونه نبياً والنبي العالی في الرتبة بارسال الله
حسن خلقك ولومع الكفار
يدخل مدخل الارار
فطالب منه أولاً الهة في
خطئه طالب منه على تحديه
موقفا لا فراطه وتناهيه لان
من يعبد أشرف الخلق
مستزله وهم الانبياء كان
محكوما عليه بالغى المبين
فكيف يعبد سجراً أو
شجر الا يسمع ذكر عباده ولا
يرى هيات عبادته ولا يرفع
عنه بلاء ولا يقضى له حاجة
ثم تبنى بدعوته الى الحق
مترقباه متاطفا فلم يسم
أباه بالجهل المفرط ولا نفسه
بالعلم الوثيق ولكنه قال
ان معي شيئاً من العلم ليس
معك وذلك علم الدلالة على
الطريق السوي فهب اني
وابالذ في مسير وعندى
معرفة بالهداية دونك فاتبعني
أتبعك من أن تضل وتنبه
ثم ثاب بنهية عما كان عليه

يان الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جيع النعم منه أو فعلك في عبادة الصنم ورزيتها لك فانت عابده في الحقيقة ثم
ربيع بخويفه سوء العقاب وما يجرمها هوفيه من التبعة والوبال مع مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وان العذاب لاحق به بل
قال أخاف أن عسك عذاب بالنسبة لكثير المشعر بالتقليل كأنه قال اني أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في
جمله أشباعه وأوامه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدرك كل نصيحة بقوله يا أبت توسل اليه واستعطف افواشعازا
فوجب احترام الابوان كان كافراً ثم (قال) آزر تو بخاً (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) أي أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل
يا أبت بيابني وقدم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لأرجنك) لاقتلنك بالرجام أو لا ضربنك بحيث تنباعد
أو لا شتمنك (واهجرتني) عطف على محذوف يدل عليه لا رجنك تقدره فاحذرني (ملينا) ظرف أي زماناً طويلاً من الملاوة (قال سلام
عليك) سلام توديع ومشاركة أو تفرغ وملاطمة ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك رب) ساسأل الله ان يجعلك من أهل المغفرة بان
يهديك للسلام

(انه كان بي حقيقيا) ملطفا بعموم النعم أو ورعيا أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (واعترلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض
 بابل الى الشام (ومات دعوت من دون الله) أي مات عبدون من أصنامكم (وأدعو) واعدد (ربي) ثم قال تواضعوا وهضموا للنفس ومعرضا بشقاوتهم
 بدعاهم لهم (عسى أن لا أكون بدعاهم بي شقيا) أي كشقيتهم أتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار
 ومعبودهم (وهيناله اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بها (وكلاد) كل واحد منهما (جعلنا نيبيا) أي لما ترك الكفار الفجار لوجهه
 عوضه أولادا مؤمنين أنبياء (وهينالههم من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلنا لهم (٢٢٣) لسان صدق) ثنا عسنا وهو الصلاة

على ابراهيم وآل ابراهيم
 في الصلوات وعبر باللسان
 كعبر باليد عا يطلق باليد
 وهي العلية (عليا) رفيعا
 مشهورا (واذ كرفي
 الكتاب موسى انه كان
 كوفي غير المفضل
 أي أخلصه الله واصطفاه
 وخلصا بالكسر غيهم
 أي أخلصه - والعبادة
 لله تعالى فهو مخلص بماله
 من السعادة باصل الفطرة
 ومخلص فيما عليه من
 العبادة بصدق الهمة (وكان
 رسولانيبيا) الرسول لذي
 معه كتاب من الانبياء
 والنبي الذي ينبي عن الله
 عز وجل وان لم يكن معه
 كتاب كوشع (ونادينا) من
 دعواته وكلناه ليلة الجمعة
 (من جانب الطور) هو
 جبل بين مصر ومدين
 (الايمن) من اليمن أي
 من ناحية اليمن والجهور على
 أن المراد أيمن موسى عليه
 السلام لان الجبل لا يمين له
 والمعنى انه حين أقبل من
 مدين يريد مصر فودي من
 الشجيرة وكانت في جانب
 الجبل على يمين موسى عليه

قبل انه لما أعياه أمره وعده ان راجع الله فيه فبأله أن رزقه التوحيد ويغفر له وقبل معناه سأ سأل
 للشر بي توبة تنال به المغفرة (انه كان بي حقيقيا) أي براعيا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني
 الاجابة لدعائي (واعترلكم و مات دعوت من دون الله) أي أفاركم وأفارقكم ما تعبدون من دون الله وذلك انه
 فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وأدعوربي) أي أعبدر بي الذي خلقني وأنعم علي (عسى أن لا أكون
 بدعاهم بي شقيا) أي أرجوان لأشقي بدعاهم بي وعبادته كما تشقون أتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع
 التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي ذهب مهاجرا (وهيناله)
 أي بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) أي أنسنا وحشته من فراقهم بأولاد أكرم على الله من أيبه (وكلاد
 جعلنا نيبيا) أي أنعمنا عليهم ما بالنبوة (وهينالههم من رحمتنا) أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهينالههم المال
 والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق علما) يعني ثنا عسنا
 رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم وينشون عليهم قوله عز وجل (واذ كرفي
 في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كرفي بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراع قري بالفتح
 أي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخاه واصطفاه (وكان رسولانيبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول
 نبي ولا عكس (ونادينا من جانب الطور الايمن) أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر
 ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فودي باموسى اني أما الله رب العالمين
 (وقر بناه) قال ابن عباس قر به وكلمه معنى التقر يب اسماءه كلامه وقبل رفعه على الحجب حتى سمع صرير
 الاقلام وقبل معناه رفع قدره ومنزله أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أي مناجيا (وهيناله من
 رحمتنا أخاههرون نيبيا) وذلك ان موسى دعاه به فقال واجعل لي وزرا من أهلي هرون أخي فاجاب الله
 دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة لله وكان هرون أكبر من موسى قوله عز وجل (واذ كرفي
 الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قبل
 انه لم يعد شيئا الا وفى به وقبل انه وعد جلالان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوق اسمعيل مكانه ثلاثة أيام
 للميعاد حتى يرجع اليه الرجل وقبل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن
 الشريف فسئل الشعبي عن الرجل بعد ميعاد الى أي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده
 ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى (وكان
 رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزوا على هاجر أم اسمعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم
 هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أي شخبر اعن الله تعالى (وكان يامر
 أهله) أي قومه وجميع أمته (بالصلاة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الخنيفة
 التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ بأهله في الامر بالصلاة والعبادة ليحعلهم قدوة ان سواهم (وكان عنده
 مرضيا) أي قائما لله بطاعته وقيل مرضية لنبوته ورسالته وهذا نهاية في الذبح لان المرضي عند الله هو الفائز

السلام (وقر بناه) تقر يب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال أي مناجيا كندم بمعنى منادم (وهيناله من رحمتنا) من أجل رحمتنا
 له وترؤنا عليه (أخاه) معجول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي وهيناله نبوة أخيه والافهرون كان أكبر سنا منه (واذ كرفي الكتاب
 اسمعيل) هو ابن ابراهيم في الاصح (انه كان صادق الوعد) وافيه وعد جلالان يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة في مكانه حتى عادوا اليه
 انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد به موعد الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا
 له وكنه المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) شخبرا منذرا (وكان يامر أهله) أمته لان النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على
 انه لم يدهن غيره (بالصلاة والزكوة) عتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانها ما العبادات البدنية والمالية (وكان عنده مرضيا)

الياس ونظر في علم النجوم
والحساب واتخذ الموازين
والمكاييل والاسلحة فتاقل
بني قابيل وتولاهم سمي به
لكثرة دراسته كتب الله
لايصح لانه لو كان افعيلا
من المدرس لم يكن فيه الا
سبب واحد وهو العلية
وكان منصرفا متناعا من
الصرف دليل العجبة (انه
كان صديقا نبيا) انزل الله
عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه
مكنا عليا) هو شرف النبوة
والزاني عند الله وقيل معناه
رفعت الملائكة الى السماء
الرابعة وقد رآه النبي صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج
فيها وعن الحسن الى الجنة
لاشيء اعلی من الجنة وذلك
انه حبب لكثرة عبادته الى
الملائكة فقال ملك الموت
اذقني الموت حين علي ففعل
ذلك باذن الله فسي وقال
ادخلني النار اردد رهبة
ففعل ثم قال ادخلني الجنة
اردد رغبة ثم قال له اخرج
فقال قد ذقت الموت ووردت
النار فما انا بخارج من الجنة
فقال الله عز وجل باذني
فعل و باذني دخل فده
(اولئك) اشارة الى
المذكورين في السورة من
ذكر ياء الى ادر يس (الذين
انعم الله عليهم من النبيين)
من للبيان لان جميع الانبياء
منهم عليهم (من ذرية ادم)
من للتبعيض وكان ادر يس

في كل طاعة باعلى الدرجات قوله عز وجل (واذ كرفي الكتاب ادر يس) هو جد ابي نوح واسمه اخنوخ
سعى ادر يس لكثرة درسه الكتب وكان خطا طوا هو اول من خط بالقلم واول من خط الثياب وليس الخيما
وكانوا من قبل بلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب (انه
كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكنا عليا) هي
الرفعة بعلا مرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى انس بن مالك عن مالك بن
صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادر يس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان
سبب رفع ادر يس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه ارذات يوم في حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يارب اني مشيت يوما فكيف عيني يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من
ثقلها او حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خلقتني لحر الشمس فما
الذي قضيت فيه قال ان عبدى ادر يس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبت له قال يارب فاجمع بيني
وبينه واجعل بيني وبينه نخلة فاذن له حتى أتى ادر يس فكان ادر يس يسأله فكان مما سألته ان قال اني
أخبرت انك اكرم الملائكة و أمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي لعلي ازيد شكري وعبادة
فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وانا ما كما فرغته الى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم أتى
ملك الموت فقال له لي اليك حاجة صدق لي من بني آدم تشفع لي اليك لتؤخر اجله فقال ملك الموت لبس لي
ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلفني في انسان ما أراه يموت
أبدا قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت الا عند مطلع الشمس قال اني أيتكوز كنه هناك قال انطلق فلا
أراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من عمر ادر يس شيء فرجع الملك فوجد جده ميتا وقال ذهب كان يرفع
لادر يس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه ففجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك
الموت فاستأذن ربه في زيارته فاذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادر يس يصوم الدهر فلما كان وقت
افطاره دعاه الى الطعام فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادر يس وقال له في الليلة الثالثة اني
أريد ان أعلم من أنت قال انا ملك الموت استأذنت ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض
روحي فأوحى الله اليه ان قبض روحه فقبض روحه ورد الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة
في سؤالك قبض الروح قال لا ذوق كرب الموت ونعمه فأكون أشد استعدادا له ثم قال له ادر يس لي اليك حاجة
أخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال
لي اليك حاجة قال وما هي قال اريد ان أسأل مالكا ان يرفع ابوابها فأردها ففعل قال فسأله ان يفتح النار فأرني
الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت ابوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقررك
فتملق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا يحكي اليه ما قال له الملك مالكا لا تخرج قال لان الله تعالى
قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقت ثم قال وان منكم الا واردها فأنا واردها وقال وما هم منها بمنجرجين فلست
أخرج فأوحى الله تعالى الى ملك الموت باذني دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى
ورفعناه مكنا عليا واختلفوا في انه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي
واستدل هذا وقالوا ربيعة من الانبياء احياء اثنان في الارض وهما الخضر والياس واثنان في السماء وهما
ادر يس وعيسى عليه السلام قوله عز وجل (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين) اولئك اشارة الى المذكورين
في هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية ادم) يعني ادر يس ونوحا (ومن
جملنا مع نوح) أي ومن ذرية من جملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن
ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسماعيل و يعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم
موسى وهرون و زكريا ويحيى وصالحوات الله وسلامه عليهم قرب الله تعالى احوال الانبياء الذين

من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح (ومن جملنا مع نوح) ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه ولد سام بن
نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب وهم موسى وهرون و زكريا ويحيى
ذكرهم

وعيسى لان مريم من ذريته (ومن) يحمل العطف على من الاولى والثانية (هدينا) لحسان الاسلام (واجتينا) من الانام أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة (اذا اتلى عليهم آيات الرحمن) أي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبروا اولئك وان جعلته مصفاه كان خبرا يتلى بالياء فتيقنوا جود الفاصل مع ان التأنيث غير حقيقي (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (وبكيا) باكين رهبة جمع بك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث اتلوا القرآن وابكوا وان لم تبكوا فتابوا كواو عن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فان البكاء ويقول في سجود التلاوة سبحان ربّي الاعلى ثلاثا (خلف من بعدهم) فجاء من بعدهم هؤلاء الفضلين (خلف) أولادهم وبفتح اللام (٢٢٥) العقب الخبير عن ابن عباس هم اليهود

(أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة (فسوف يلقون غيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود وهو وادفي جهنم أعداء مصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (الامن تاب) رجوع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد إيمانه (فاولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء مكى وبصرى وأبو بكر (ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل ينقصونهم أولا يظلمون شيئا من الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشمل على جنات عدن لانها جنس أو نصب على المدح (عدن)

ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (ومن هدينا) واجتينا) أي هؤلاء ممن أُرشدنا واطفنا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتينا على الانام (اذا اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع بك أي أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدا وبكوا وخشوا وخوفوا وحذروا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعود والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

(فصل) * وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب ان يقرأ آية سجدة فسجدان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك ان أكون من المستكبرين عن أمرك ﴿ قوله تعالى (خلف من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة (أضاعوا الصلاة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل آخرها عن وقتها وهو ان لا يصل على الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان يتزود بعضهم على بعض في الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي وادفي جهنم وان أوديه جهنم لتستعيذ من حره أعداء الزاني المصر عليه وشارب الخمر المدمن له ولا كل الربا الذي لا يتزع عنه ولا هسل العوق ولشاهد الزور وقيل هو وادفي جهنم بعد قعره خبيث طعمه يسيل فيخاود ما وقيل هو وادفي جهنم أبعد هاقع أو أشد هار فيه بترسمي الهيم كما ما خبت جهنم فضع الله تلك البئر فتستعير بها جهنم وقيل معنى غيا خسرا وقيل هلا كواو عذابا وليس معنى يلقون برون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية ﴿ قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل صالحا) يعني الامن تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساكنة موصفة بها الدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده ما تبا) أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة ما تبا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وفسادا وهو فضول الكلام (الاسلاما) يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليهم وقيل هو تسليم

(٢٩ - (خازن) - ثالث)

معرفة لانها علم بمعنى العدن وهو الاقامة أو علم لارض الجنة لتكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو للاختصاص هؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (ما تبا) أي هم باقونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) فحشا أو كذبا أو مالا طائل تحتته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكلف فيها (الاسلاما) أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها الاقوال يسلمون فيها من العيب والنقصه فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل

معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أى يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثم لانهم فى النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارزاقهم بالرزق بالبكرة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول ناعند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تلك الجنة التى نورث من عبادنا) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى عمرتهم وعاقبتهما وقيل يرثون المساكن التى كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حاكم (من كان تقيا) عن الشرك * عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي عليه السلام قال يا جبريل ما منعك أن تزورنا؟ كثير مما تزورنا فنزل (وما ننزل الا بأمر ربك) والتزير على معنى التزوير على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول (٢٢٦) أليق هنا يعنى ان نزولنا فى الاحياء وقتناغب وقت ليس الا بأمر الله (له ما بين أيدينا

وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أى له ما قد آمننا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا تنمالك أن تنتقل من مكان الى مكان الا بأمر الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فاني لنا أن نتقلب فى ملكوته الا اذا أذن لنا فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدا محذوف أى هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فاعبده) فآبى على عبادته (واصطبر لعبادته) أى اصبر على مكافأة الحسود لعبادة المعبود واصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أى لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) شيئا ومثلا أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود أى اذا صغ

بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس فى الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشى بل هم فى نور أبدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار كعبادتهم فى الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارزاق الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق ولا تقنير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذى يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك ﴿ وقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا) أى نعطي وننزل وقيل يورث عباد الله المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أى المتقين من عباده ﴿ قوله عز وجل (وما ننزل الا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما منعك ان تزورنا فنزلت وما ننزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساء ظنى واشتقت اليك فقال له جبريل واني كنت أشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست حبست فأمر الله تعالى وما ننزل الا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجدى ما ودعك ربك وما قلى ﴿ وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أى له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل له ما بين أيدينا وما خلفنا أى هو المسد برلنا فى كل الاوقات الماضى والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من امر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أى ماضى من الدنيا (وما بين ذلك) أى من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أى ما بين النفخين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقى من الدنيا وما خلفنا ماضى منها وما بين ذلك أى مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أى ناسيا أى ما نسيك ربك وما تركك (رب السموات والارض وما بينهما) أى من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وقوله دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) أى اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحد باسمى الله غير الله ﴿ قوله تعالى (ويقول الانسان) أى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبى بن خلف الجحفي وكان منكر البعث (أئذا ماتت لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى (أولاد كرا الانسان) أى يتذكر ويتفكر يعنى

أن لا معبود توجه اليه العباد العمادة الا هو وحده لم يكن بدم من عبادته والاصطبار على مشاقها فت أى بن خلف عظماء وقال منكر أنبعث بعد ما صرنا كذا فنزل (ويقول الانسان أئذا ماتت لسوف أخرج حيا) والعامل فى اذا ما دل عليه الكلام وهو ابعت أى اذا ماتت ابعت وانتصاه باخرج ممنوع لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم زيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جاءت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد ووضعت معنى الحال وما فى اذا ما للتوكيد أيضا فكأنه قال أحقانا سنخرج من القبور وأحياء حين يتمكن فينا الموت والهالك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكروة ومنه جاء انكارهم (أولاد كرا الانسان) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والساثر بتشديد الذال والكاف وأصله يتذكر كتر كتر أى فاذنعت الناء فى الذال أى أولاد يتسدر والواو عطف لا يتذكر على يقول وسط همزة الانكار بين العطف عليه وحرف العطف يعنى يقول ذلك ولا يتذكر كرحال النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك أدل على قدرة الخالق حيث

أخرج الجواهر والاعراض من عدم الى الوجود أو ما الثانية فليس فيها الا تالف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد
التفريق (انا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حاله بقائه (ولم يك شيئا) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافا
للمعتزلة (فور يك لتخسرهم) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف بمعنى مع أو مع أي يخسرون مع قرانهم من
الشياطين الذين أعو وهم يقرون كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي أقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لسان رسوله (ثم تخسرهم حول
جهنم جثيا) حال جمع جث أي بارك على الركب ووزنه فعول لان أصله جث وركس جود وساجد أي يقبلون من المعشر الى شاطئ جهنم عتلا
على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدمهم (ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعث غاوا يامن الغواة
(أيهم اشد على الرحمن عتيا) جرأة أو جورا أي لتخرجن من كل طائفة من طوائف النجى اعناهم فاعتناهم فاذا اجتمعوا طرحتناهم في النار على
الترتيب تقدم أولاهم بالعباد فالاولاهم وقيل المراد بأشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم (٢٢٧) لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه

أيهم مبني على الضم لسقوط
ص درا الجلة التي هي صلته
وهو هو من هو اشد حتى لو
جى به لا عسب بالنصب
وقيل أيهم هو اشد وهذا
لان الصلة توضع الموصول
وتبينه كما ان المضاف اليه
يوضع المضاف ويخصه
فكما ان حذف المضاف اليه
في من قبل بوجوب بناء
المضاف وجب ان يكون
حذف الصلة أو شئ منها
موجب البناء وموضعها
نصب بنزع وقال الخليل
هي معرفة وهي مبتدأ
واشد خبره وهو رفع على
الحكاية تقديره لننزعن
الذين يقال فيهم أيهم اشد
على الرحمن عتيا ويجوز ان
يكون النزع واقعا على من
كل شيعة كقوله ووهبنا
لهم من رحمتنا أي لننزعن
بعض كل شيعة فكان قائلا
قال من هم فقيل أيهم اشد

منكر البعث (انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) والمعنى أو لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على
الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدر واعليه اذ لا
شك ان الاعادة تانيا أهون من الابداد أولا ﴿ ثم أقسم بنفسه فقال تعالى (فور يك) وفيه تشرية للنبي
صلى الله عليه وسلم (لتخسرهم) أي لتجهم عنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أي
مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لتخسرهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس
جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المسكان وقيل ان البارك على ركبته صورته كصورة الذليل فان قلت
هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية قلت وصفوا بالجثوة على العادة اليهودية في
مواقف القتالات والمنافلات وذلك لما فيه من القلق ما يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام
على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) أي لتخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمم وأهل
دين من الكفار (أيهم اشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جرأة وقيل جورا وقيل فاندوا وقيل فاندتهم
ورئيسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الاعنى فالاعنى هو أكبر جرما أو اشد كفر أو في
بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الا كفرا لا كفرا فن كان اشد
منهم تمردا في كفره مخصص بعباد أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال
التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال
في جميعهم (ثم لننزعن) أي لننزعنهم اوليها صليا ولا يقال اولي الامم اشرك القوم في العذاب وقيل معنى
الآية انهم أحق بدخول النار ﴿ قوله عز وجل (وان منكم الاواردها) أي وما منكم الا واردها وقيل
القسم فيه مضمرة أي والله ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المسكان واختلافوا في معنى الورد
ههنا وفيما تنصرف اليه الحكاية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثر من معنى الورد ههنا الدخول
والحكاية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها يدليهم عليه ما روى أن نافع بن
الازرق سأل ابن عباس في الورد فقال ابن عباس هو الدخول فقيل نافع ليس الورد الدخول فقصر ابن
عباس انكم وما تبعه دون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ادخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله أنا
وأنت ستردها وأنا أرى جو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بئس كذبيك قال بدخول
المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم

عتيا على يتعلق بالفعل أي عتوهم اشد على الرحمن (ثم لننزعن) أي لننزعنهم اوليها (أحق بالنار) صليا تمييزا عن الورد والباء تتعلق باولي
(وان منكم) أحد (الواردها) داخلها والمراد النار والورد الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله
تعالى فأوردتهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء الهة ما ردوها ولقوله ثم ينجي الله الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه
السلام الورد الدخول لا يبقى بر ولا فاجر ادخلها فتكون على المؤمنين بر او اسلا كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن خيرا مؤمن
فان نورك أطفأ لهي وقيل الورد بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن
عبد الله الورد الحضور لقوله تعالى وما ورد معاه دين وقوله أولئك عنهم مبعدون وأجيب عنه بأن المراد عن عذابهم عن الحسن وقراءة الورد
المرور على الصراط لان الصراط مدود عليها في سلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورد المؤمن النار هو مس الحى جسده في
الدنيا لقوله عليه السلام الحى حفظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لا تحرقني بالنار ود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال

انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى
يخمد النار فنعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لادان الكفار من النار بحرقه
والاجزاء الملاصقة لادان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام
وكما ان الملاصقة الموكلين به لا يجردون اهلها فان قلت اذ لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار
قلت فيم وجهه احد هان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل
النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على
الكفار صار ذلك سببالمزيد التذادهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل
النار مؤمن ابد القوله تعالى ان الذين سبقتمهم من الحسن اولئك عنهم يعزرون لا يسمعون حسيسها فعلى
هـذا يكون المراد من الورود الحضور والروية لا الدخول كما قال تعالى وما ورد ماء من مدبره اذ به الحضور
وقال عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود انه قال ان منكم
الواردها يعني القيامة والكنية راجعة اليها والقول الاول اصح وعابه اهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار
ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما
تكون مما دخلت فيه بدل عليه ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من
المؤمنين ثلاث من الولد فتمسه النار الا تحمله القسيم وفي رواية فيلج النار الا تحمله القسيم أخرجه في الصحيحين أراد
بالقسيم قوله تعالى وان منكم الاواردها (م) عن أم مبشر الانصارية أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة احدهم من الذين بايعوا تحتها قالت بلى
يا رسول الله فانتهرهما قالت حفصة وان منكم الاواردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم قد قال الله تعالى ثم
نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثايا وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة لم يعدنار بنان نرد النار فيقال
بلى ولكنكم مسرتهم بها وهي خامسة وفي الحديث تقول النار لا تؤمن من خربا مؤمن فقد بدأ طفأ نورك ليهي
وروى عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الاواردها قال من حم من المسلمين فقد ورددها وفي الخبر الجي كبير
من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجي من فجع جهنم
فأوردوها بالماء قوله فجع جهنم أي وهجها وحرها وقوله تعالى (كان على ربك حتما مفضيا) أي كان
ورود جهنم قضاء لازما فضاءه الله تعالى عليكم وأوجبته (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها
جثيا) أي جبا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة
والفاسق يخلد في النار بدليل أن الله بين ان السكل يردونها ثم بين صفته من نجوها وهم المتقون والفاسق
لا يكون متقيا فبقى في النار أبدا وأوجب عنه بان المتقي هو الذي يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة
ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقول انه متقي من الشرك ومن صدق عليه انه متقي من الشرك صح انه
متقي لان المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة
متقي واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصار الآية التي
توهموها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت
أحاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعبة من خير و يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه
وزن برقة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان (ق)
عن ابي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل ترى بنايوم القيامة قال هل تمارون في القمر
ليلة البدر ليس دونه سبحانه قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سبحانه قالوا لا يا رسول
الله قال فانكم تزونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئا فليتبسح منهم من يتبسح
الشمس ومنهم من يتبسح القمر ومنهم من يتبسح الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فبأيتها الله فيقول

فقيم الضحك وقيم التناقل
(كان على ربك حتما مفضيا)
مفضيا أي كان ورودهم
واجبا كأنه حتما وما الحتم
مصدر حتم الامر اذا أوجبته
فسمى به الموجب كقولهم
ضرب الأمير (ثم ننجي) وعلى
بالتحفيف (الذين اتقوا)
عن الشرك وهم المؤمنون
(ونذر الظالمين فيها جثايا)
فيه دليل على دخول السكل
لانه قال ونذر ولم يقل وندخل
والمذهب ان صاحب
الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه
ثم يتبسح ولا يحمله وقالت
المرجئة الخبيثة لا يعاقب
لان المعصية لا تضر مع
الاسلام عندهم وقالت
المعتزلة يتخذ

أنا ربكم فيقولون هـ ذام كاننا حتى يأتي بنا فإذا جاء ربنا عرفناه فبأيتهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت
 ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فإكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ
 إلا بالرسول وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيت شوك السعدان
 قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تحطف الناس بأعمالهم فمنهم من
 يوق بعمله ومنهم من يجدل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا
 من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بما كانوا السجود وحرم الله على النار أن تاكل أعضاء السجود
 فيخرجون من النار وقد امتحشوا وقبص عليهم ماء الحياة فينبئون كما تبت الحبة في حبل السبل ثم يفرغ من
 القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول
 يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قسيتني ويحها وأحرقني ذكأوها فيقول هل عسيت أن أفعل ذلك بك أن
 تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به
 على الجنة رأى نكتهما وبهجتهما سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قديمي عند باب الجنة فيقول
 الله أليس قد أعطيت المواعظ والعهد أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك
 فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد
 وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بهم رأى زهرتها وما فيها من المنفعة والسرور فيسكت ما شاء الله أن
 يسكت فيقول يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدر لك أليس قد أعطيت
 العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم
 يؤذن له في دخول الجنة فيقول له ممن فيمنى حتى إذا انقطعت أميته قال الله ممن كذا وكذا أقبل بك كره به
 حتى إذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لابي هريرة عشرة أمثاله قال
 أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى
 عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتهم الله في غير الصورة التي يعرفونها
 فيقول أنا ربكم فيقولون نعموذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أنا عارفنا فبأيتهم الله في الصورة التي
 يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فينبعونه * قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على
 الرواية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيامة وتساكم ههنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك
 السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوق بعمله يقال أوقته
 الذنوب أي أهلكته والنجدل المرى المصر وعوقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاب الصراط حتى يقع
 في النار قوله وقد امتحشوا أي اخترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تبت الحبة في
 حبل السبل الحبة بكسر الخاء وهي البرورات جيعا وحبل السبل هو الزبد وما يليه الماء على شاطئه قوله قسيتني
 ريحها أي آذاني والقشب السم فكانه قال قد سميت ريحها قوله وأحرقني ذكأوها أي اشتعلها ولها قوله
 رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
 لاعلم آخر أهل النار خروجها منها وآخر أهل الجنة دخولها الجنة رجل يخرج من النار جوا فيقول الله له اذهب
 فادخل الجنة فيأتها فيخيل اليه انها ملائمة فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائمة فيقول الله تعالى له اذهب
 فادخل الجنة قال فيأتها فيخيل اليه انها ملائمة فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائمة فيقول الله تعالى له اذهب
 فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أنتخري وأنت الملك
 فأقدر أيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله
 حتى بدت نواجذه أي اضر اسنانه وأنيابه وقيل هي آخر الاسنان * عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا جساما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب
 الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبئون كما تبت الحبة في حبل السبل أخرجه الترمذي الحمم

كلايب = صهر (نجد)
 شوك السعدان =
 يعني يدك يا نجدي
 اوله نكبي
 ضطف = أشعر لارعه
 برله
 يربق = قاجار

(واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (بينات) طهارات الإعجاز وأجسجا وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصداقا ذآيات الله لا تكون
 إلا واضحة وجسجا (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد رجوا شعورهم وتكلموا في زهمهم (الذين آمنوا) للفقراء ورؤسهم شعبة وثيابهم
 مخشنة (أي الفريقتين) نحن أم أمت (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل
 (وأحسن ندبا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاركة ومعنى الآية أن الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضا عن التدبر فيها
 إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبين لأهمها أي كثيرا
 من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة الحكم الأتري المنلو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية
 (أنانا) هو متاع البيت أو ما جسد من الفرس (ورثيا) منظر أو هيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريابغير همز مشددا نافع وابن عامر على
 قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام أو من الرى الذى هو النعمة (قل من كان فى الضلالة) الكفر (فليمدله الرجن مدا)
 جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أى من كفر مدله الرجن يعنى أمهله وأملى له فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى إنما
 غلى لهم ليزدادوا انما وإنما أخرج على (٢٣٠) لفظ الامر إذا بالوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممثل ليقطع معاذير الضلال

(حتى إذا رآوا ما وعدون)
 هى متصلة بقوله خير مقاما
 وأحسن ندبا وما بينهما
 اعتراض أى لا يزالون يقولون
 هذا القول إلى أن يشاهدوا
 ما وعدوا أى عيب (اما
 العذاب) فى الدنيا وهو
 تعذيب المسلمين اياهم بالقتل
 والاسر (واما الساعة) أى
 القيامة وما ينالهم من الخزي
 والذمكال فهما بدلان مما
 وعدون (فسيعلمون من هو
 شر مكانا) منزلا (وأضعف
 جندا) أعوانا ونصارا إلى
 فينذرعامون ان الامر
 على عكس ما قدره وانهم
 شر مكانا وأضعف جندا
 خير مقاما وأحسن ندبا وان
 المؤمنين على خلاف صفتهم
 وجزان متصل بما يلبها

الفهم والجمالة كل ما جاء به السبيل فدلّت الآية الأولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية
 والحديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى
 (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أى دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعنى النضر بن الحرث ومن دونه من
 كفار قريش (الذين آمنوا) يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قسافة وفى عيشهم
 خشونة وفى ثيابهم زناثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أغر ثيابهم (أى
 الفريقتين خير مقاما) أى منزلا ومسكوا وهو موضع الإقامة (وأحسن ندبا) أى مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله
 (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أنانا) أى متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا (ورثيا) أى منظرا
 من الرؤية (قل من كان فى الضلالة فليمدله الرجن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويجهله
 فى كفره (حتى إذا رآوا ما وعدون اما العذاب) أى الاسر والقتل فى الدنيا (واما الساعة) يعنى القيامة
 فيدخلون النار (فسيعلمون) أى عند ذلك (من هو شر مكانا) أى منزلا (وأضعف جندا) أى أقل ناصرا
 والمعنى فسيعلمون أنهم خير وهم فى النار أم المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقتين
 خير مقاما وأحسن ندبا قوله عز وجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى ايماننا وايقاننا على يقينهم
 (والباقيات الصالحات) أى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا)
 أى عاقبة ومرجعا قوله تعالى (أفرايت الذى كفر باآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت
 رجلا قينيا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فأتته أتعاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن
 وائل السهمى سيفا فخنّته أتعاضاه فقال لأعطينك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يعمتلك الله ثم تبعث
 قال وانى لمبت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى ما لا وولد افا فضيك فنزلت أفرايت الذى
 كفر باآياتنا (وقال لاوتين ما لا وولدا) الى قوله فرد القين الحداد فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال
 ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرجن

والمعنى ان الذين فى الضلالة عمدو دلوهم فى ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصره الله المؤمنين أو
 يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحيى بعدها الجمل الأرى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله إذا رآوا ما وعدون فسيعلمون (وزيد
 الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمددلو قوعه موقع الخبر تقدير من كان فى الضلالة مدأ ويمدله الرجن ويزيد أى يزيدنى ضلال
 الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثبا على الاهداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو
 الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يتخبر به الكفار (وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة
 تمك بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين أى الفريقتين خير مقاما وأحسن ندبا (أفرايت الذى كفر باآياتنا وقال لاوتين ما لا وولدا) ثم وبضم الواو
 وسكون اللام فى أربعة مواضع ههنا وفى الزخرف ونوح حمزة على جمع ولد كاسدى أسدا وبمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية
 الاشياء طر يقالى العلم اوصحة الخبر عنها استعمالوا رأيت فى معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كانه قال أخبرا نضا بقصة هذا الكافر واذا كرر
 حديثه تعقيب حديث أولئك وقوله لاوتين جواب قسم مضمرة (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى إلى أعلاه الهمزة للاستفهام
 وهمزة الوصل محذوفة أى أنظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند

الرحمن عهدا) موثقان يؤتمه ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل فقد روى
ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الاحرف قال انكم تزعمون انكم تبعتمون وان في الجنة ذهابا وفضة فانا افضيلك ثم فاني اوتى
مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبه على الخطا وهو مخطئ فيما صوره لنفسه فليردع عنه (سنكتب ما يقول) اي قوله والمراد سنظهر له
ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كمال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لله رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبنا لم تنادي للثيمة
اي علم وتبين بالانتساب اني لست بابن لثيمة (وغدله من العذاب) تزيد من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراع من المديقال مده وأمه
بمعنى (مدا) أ كذا بالمصدر لفرط غضبه تعالى (وزنه ما يقول) اي زوى عنه ما زعم انه يناله في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد
(ويأتينا فردا) حال اي بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدي عليه تمينه (٢٣١) وتأليه (واتخذوا من دون الله آلهة)

اي اتخذوا لغير الله المشركون
أصناما يعبدونها (ليكونوا
لهم عزا) اي ليعتروا
بآلهتهم ويكونوا لهم شفعا
وأصارا ينقذونهم من
العذاب (كلا) ردع لهم
عما ظنوا (سيكفرون
بعبادتهم) الضمير للآلهة
أي سيجحدون عبادتهم
وينكرونها ويقولون والله
ما عبدتمونا وأنتم كاذبون
أو للمشركين أي ينكرون
ان يكونوا قد عبدوا
كقوله والله ربنا ما كنا
مشركين (ويكونون) أي
المعبودون (عليهم) على
المشركين (ضدا) خصما
لان الله تعالى ينطقهم
فقول يارب عذب هؤلاء
الذين عبدونا من دونك
والضد يقع على الواحد
والجمع وهو في مقابلة لهم
عز والمراد ضد العز وهو
الذل والهوان أي يكونون
عليهم ضدا لما قصده أي

عهدا) يعني قال لاله الا الله محمد رسول الله وقيل يعني عمل عملا صالحا مقدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة
(كلا) ردع عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب ما يقول) أي سنحفظ عليه ما يقول فنجاز به به في الآخرة وقيل
يأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (وغدله من العذاب مدا) أي تزيد عذابا فوق العذاب وقيل لفطيل مدة
عذابه (وزنه ما يقول) معناه أي ما عنده من المال والولد بهلا كنايةا عن ابطال ملكه وقيل نزول عنه ما عنده
من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فردا ذلك قوله (ويأتينا) يعني يوم القيامة
(فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث في الآخرة بمال وولد ﴿قوله تعالى﴾ (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني
مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونوا شفعا يمنعونهم من
العذاب (كلا) أي ليس الامر كذلك (سيكفرون بعبادتهم) يعني تجحدوا الاصنام والآلهة التي كانوا
يعبدونها عبادة المشركين ويبرؤون منهم (ويكونون عليهم ضدا) أي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم
وقيل أعداء لهم وكانوا أولياعهم في الدنيا ﴿قوله عز وجل﴾ (لم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي
سأطناهم عليهم (توزهم أزا) أي تزعمهم از عاجا من الطاعة الى العصية والمعنى تحشمهم وتخرضهم على المعاصي
تخربوا شديدا في الآخرة دليل على ان الله تعالى مدمر لجميع الكائنات فلا تجمل عليهم) أي لا تجمل بطلب
عقوبتهم (انما عدلهم عدا) يعني اللبالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسونها في
الدنيا الى الاجل الذي أجل لعذابهم ﴿قوله تعالى﴾ (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أي اذ كرلهم
يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جنة وفدا أي جماعات قال ابن عباس ركبنا
قال أبوهريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن
على فوق رحالهم الذهب ونجائب سرور وجهها واقيات انهم مواجها سارت وانهم مواجها طارت (ونسوق
المجرمين) أي الكافرين (الى جهنم ودا) أي مشاة عطا شاقدة تقطعت أعناقهم من العطش والورد
جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كآتهم نعم
عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على
بعير وعشرة على بعير وتحشمهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتبت معهم حيث باتوا وتصحبهم حيث
أصبحوا وتسمى معهم حيث امسوا قوله تقبل معهم حيث قالوا من القبولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفامشاة وصنفار كبا وصنفاعلى وجوههم قيل

يكونون عليهم لاهم عزوان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أي أعداؤهم ضدا أي كفرتهم بعد
ان كانوا يعبدونها ثم يحب نبيه عليه السلام بقوله (لم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خيلناهم وياهم من أرسلت البعير أطلقته
أوساطناهم عليهم بالاغواء (توزهم أزا) تعزيبهم على المعاصي اغراء والازوالهز اخوان ومعناهما التهيج وشدة الازعاج (فلا تجمل عليهم)
بالعذاب (انما عدلهم عدا) اي اعمالهم للجزاع وانفساهم للفناء وقرها بن السمال عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن
لها مدد فما أسرع ما تنفذ (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبنا على فوق رحالها ذهب وعلى نجائب سرور وجهها يا قوت (ونسوق المجرمين)
الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم ودا) عطا شالان من برد الماء لارده الالعطش وحقبة الورد المسرى الى الماء
فيسمى به الواردون فالو فد جمع وافد كركب رركب والورد جمع وارود ونصب يوم بضمه أي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفر يقين ما لا يوصف
أي اذ كر يوم نحشر كالمقوت بانهم يجمعون الى ربهم الذي غمهم برحمته كما يهد الوفود على الملوك تحيلا لهم والكافرون بانهم مساقون

الى النار كما منهم نعم عظام يساقون الى الماء استخفافهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواوان جعل ضمير فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين
 والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في أ كلوفى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ
 رفع على البدل من واو يملكون او على الفاعلية او نصب على تقد ر حذف المضاف أى الاشفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا
 من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر
 السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك يا باني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان
 تسكنى الى نفسى تقر بنى من الشر وتباعدى من الخير وانى لا أتق الا رجلك فاجعل لى عهدا توفيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال
 ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أن الذين كان لهم عند الله عهد فليدخلون الجنة أو يكون من عهد
 الامير الى فلان بكذا اذا أمر به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى النصارى واليهود ومن زعم أن
 الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيأ ادا) (٢٣٢) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام بأنه يقول لهم ذلك

بارسول الله كيف يشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على
 وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حسب وشوك أخرجه الترمذى قوله عز وجل (لا يملكون
 الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بعنى لاله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا المؤمنون وقيل
 لا يشفع الا ان قال لاله الا الله أى لا يشفع الا المؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن
 زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيأ ادا) قال ابن عباس منكر وقيل معناه اقد قاتم
 قول اعظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أى تخسف بهم
 (وتخر الجبال هدا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أى من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت
 ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكرامة فى هذه الجادات قلت
 فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه
 الكرامة غضبامنى على من تقوه بالواحلى وانى لا أعجل بالعقوبة الثانية ان يكون استعظاما للكرامة
 ونهى بلامن فظاعتها وتصو والاثرا فى الدين وهدمها لركانه وقواعده قال ابن عباس فزرعت السموات
 والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا
 اتخذ الله ولدا ثم زه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) أى
 ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد أن يكون شبيها بالوالد ولا يشبهه الله تعالى ولان اتخاذ الولد انما
 يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سروره واستعانة وذ كرجيل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى
 (ان كل من فى السموات والارض الا أت الرحمن عبدا) أى آتية يوم القيامة عبدا ذليل لا خاضعا والمعنى ان
 الخلائق كلهم عبده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى عد أنفاسهم وأيامهم وآ نارههم فلا يخفى عليه شى من
 أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أى وحيد ليس معه من أحوال
 الدنيا شى قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى محبة قبل يحبهم الله

والاد الجب أو العظام
 المنكر والادة الشدة وأذى
 الامر أقتانى وعظم على
 اذا (تكاد السموات)
 تقربو بالياء نافع وعلى
 (يتفطرن) وبالنون بصرى
 وشاى وحجرة وخلف وأبو
 بكر الانفطار من فطره اذا
 شقه والتفطر من فطره اذا
 شققه (منه) من عظم هذا
 القول (وتنشق الارض)
 تخسف وتنفصل أجزاؤها
 (وتخر الجبال) تسقط
 (هدا) كسرا أو قطعاً أو
 هدا والهد صوت الصاعقة
 من السماء وهو مصدر أى
 تهدها من سماع قولهم
 أو مسفعول له أحوال أى
 مهدودة (أن دعوا) لان
 سموا ومحله ج بدل من

الهاء فى منه أو نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أى هدا عداؤهم
 (للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بغير اذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو لم يكن محال غير داخل
 تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد الحاجة وبجائسة وهو منزعه عنها وفى اختصاص الرحمن وتذكر به كرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا
 الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فليس تكشف عن بصرك عطاؤه فانك جميع ما عندك عطاؤه فن أضاف اليه ولدا فجد جعله كبعض
 خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (فى السموات والارض) وخبر كل (الا أت الرحمن) ووجد
 آتى وآتية جملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من آتى وهو مستقبل أى يأتية (عبدا) حال أى خاصعا ذليل لا منقاد والمعنى ما كل من فى السموات
 والارض من الملائكة والناس الا هو يأتى الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية البنوة تنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة
 الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم
 وعدهم عدا) أى حصرهم بعلموا أحاط بهم (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أى كل واحد منهم يأتية يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا
 معين ولا ناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) مودة فى قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحبهم الى الناس وفى

الحديث يعلى المؤمن مقعة في قلوب الابراز ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهم ما أقبل العبد الى الله الا قبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر بعد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذره قومالدا) شدا في الخصومة بالباطل أي الذين ياخذون في كل اليد أي شق من (٢٣٣) المرء والجدال جمع الدر يدبه أهل مكة (وكم أهل كفا بلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الر كالأزى لما أناههم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدر بما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم * (سورة طه صلى الله عليه وسلم مكتوبة وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي) *

تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا عاجب ريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاجبه فيجبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فاجبه فيجبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا عاجب ريل فقال اني أحب فلانا فاجبه فيجبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاجبه فيجبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أيعض الله عبدا عاجب ريل عليه السلام فيقول اني أبعض فلانا فابعضه فيبعضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبعض فلانا فابعضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم ابن حبان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرفقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا يجبه لاحد في الارض حتى يكون ابسا واهما من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا قوله تعالى (فانما يسرناه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذره) أي بالقرآن (قومالدا) أي شدا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الاله الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى الباطل (وكم أهل كفا بلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا أو يقنوا انه لا بد من زوال الدنيا باموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أ كذالك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا خفيا قال الحسن باد واجيعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

قال الحسن باد واجيعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

* (تفسير سورة طه) *

* (وهي مكتوبة وهي مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية وألف وستة مائة واحد وأربعون كلمة

وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا) *

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطوا سين من ألواح موسى وأعطيت فوائح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافله النافله الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهرو الهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يارجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبليزية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغتك وعن قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه ط الارض بقديمك يريد به في التهجيد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقاك فترلت (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي) أي لتعني وتتعب (الاند كره من يخشى) أي لكن أنزلناه عظمة ان

(٣٠ - (خازن) - نالت) ظاهر اوقع موقع المضمر لانهم قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم (لتشقي)

لتتعب لفرط تأسفتك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما زلناه لنهلك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالخطيئة السمجة (الاند كره) استثناء بمنقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أو حال (ان يخشى) ان خاف الله أولن يؤل أمره الى الخشية

(تنزيلاً) بدل من تذكرة إذا جعل حالاً ويجوز أن ينتصب بنزل ضمير أو على المدح أو يخشى منه ولا به أي أثره الله تذكرة لمن يخشى تنزيلاً
 الله (من خلق الأرض والسموات) من يتعلق بتنزيلاً صفة له (العلي) جمع العلياء تأنيب الأعلی ووصف السموات بالعلي دليل ظاهر على عظام
 قدرتها لخلقها (الرحن) رفع على المدح أي هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكرة العرش وهو
 أعظم الخلق على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعله كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على
 العرش أي ملك وان لم يقعد على السرير (٢٣٤) البتة وهذا كقولك يد فلان بسوطة أي جواد وان لم يكن له يد رأساً والمذهب قول

على رضى الله عنه الاستواء
 غير مجهول والتكليف غير
 معقول والاعيان به واجب
 والسؤال عنه بدعة لانه
 تعالى كان ولا مكان فهو على
 ما كان قبل خلق المكان لم
 يتغير عما كان (له مافي
 السموات ومافي الارض)
 خبر ومبتدأ ومعطوف
 (وما بينهما) أي ذلك كله
 ملكه (وما تحت الثرى)
 ماتحت سبع الارضين أو
 هو الصخرة التي تحت
 الارض السابعة (وان
 تجهر بالقول) ترفع صوتك
 (فانه يعلم السر) مأسرته
 الى غيرك (وأخفى) منه
 وهو ما أخطرت به باللك أو
 مأسرته في نفسك وما
 ستره فيها (الله لا اله الا
 هو له الاسماء الحسنى) أي
 هو واحد بذاته وان افرقت
 عبارات صفاته ردقوله
 انك تدعو آلهة حين سمعوا
 أسماءه تعالى والحسنى
 تأنيب الاحسن (وهل)
 أي وقد (أناك حديث
 موسى) خبره ففاه بقصة
 موسى عليه السلام ليتأسي

بخشى وانما يخص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى)
 أي من الله الذي خلق الأرض والسموات العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظامها وعلوها الا الله تعالى
 (الرحن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى (له مافي السموات ومافي
 الارض وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) أي انه مالك الجميع مافي الاربع الاقسام والثرى هو
 التراب البندى وقيل بعناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر
 ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها
 الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ماتحت ذلك الثرى الا الله تعالى
 وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحراً واحداً سات في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست
 قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أي تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما تسمى نفسك
 وأخفى من السر ما يلقى الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسمى اليوم ولا تعلم
 ما تسمى غدا والله يعلم ما أسرت به اليوم وما تسمى به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو
 فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسر به الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر به في نفسه وقيل السر هو العمل
 الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من
 عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في
 الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والاختفاء على ما فيه ثواب وأعقاب
 فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاختفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحده
 نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيب الاحسن والذي فضلت به أسماءه في الحسن
 دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التمسيد والتعظيم والروبية والافعال التي هي النهاية
 في الحسن قوله عز وجل (وهل أناك حديث موسى) أي وقد أناك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ففاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والاصبر
 على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى ناراً) وذلك ان موسى استأذن
 شعيباً في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء
 فاخذ على غير الطريق يخاف ما ملوك الشام وامرته حامل في شهرها لا يدري ألياً لتضع أمها ناراً فسار في البرية
 غير عارف بطريقها فجاء المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة متلججة شامية شديدة البرد
 لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذت زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر ناراً من بعد عن يسار
 الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) أي اقيموا (اني آنست ناراً) أي أبصرت ناراً (لعل آتيكم
 منها قبس) أي شعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على
 الطريق (فأما أناها) أي أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطرافها ناراً بيضاء تنقد

به في تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كمالها موسى (اذ رأى) طرف لمضمر رأى
 حين رأى (ناراً) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيباً في الخروج الى أمه وخرج بأهله فولد
 له ابن في الطريق في ليلة مظلمة متلججة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فحصلت زنده فقرأ أي عند ذلك ناراً في زعمه وكان نوراً
 (فقال لاهله امكثوا) أي اقيموا في مكانكم (اني آنست) أبصرت (ناراً) والابناس رؤية شيء يؤنس به (لعل آتيكم منها) بني الامر على الرجاء
 الا لا بعد ما ليس يستيقن الوقايع (بقبس) نار مقبست في رأس عود أو قنبلة (أو أجد على النار هدى) ذوى هدى أو قوم ما يهدونني الطريق
 ومعنى الاستعلاء في على النار ان أهل النار يستعملون المكان القريب منها (فأما أناها) أي النار يوجد ناراً بيضاء تنقد في شجرة خضراء من

من أسفها إلى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحد أو روى أنه كما ما طلبها بعدت عنه فاذ تركها فرثت منه فتم (نودي)
 موسى (ياموسى انى) بكسر الهمزة أى نودي فقيل ياموسى انى أولان النداء ضرب من القول فعومل معاملة بالفتح مكي وأبو عمر وأى نودي
 بأنى (أنا ربك) أنا مبتدأ وأوتأ كيداً وفضل وكرراً الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهه تروى أنه لما نودي ياموسى قال من المتكلم فقال الله
 عز وجل أنار بك فغرف أنه كلام الله عز وجل بأنه سمع من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه (فاخلع نعليك) أترعهما التصيب
 قدميك بركة الوادى المقدس أولانها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ أولان الخفة نواضع (٢٣٥) لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة
 حافين والقرآن يدل على

أن ذلك احترام للبعثة
 وتعظيم لها فخلعها
 وألقاهما من وراء الوادى
 (انك بالواد المقدس) المطهر
 أو المبارك (طوى) حيث
 كان متون شامى وكوفى
 لانه اسم علم للوادى وهو
 بدل منه وغيرهم بغير
 تنوين بتأويل البعثة
 وقراً أو يزيد بكسر الطاء
 بالانوين (وأنا اخترتك)
 اصطفيتك للنبوته وأنا
 اخترتك حجة (فاستمع
 لما وحي) اليك للذى وحي
 أو للوحي واللام يتعلق
 باسمع أو باخترتك (اننى
 أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى)
 وحسبى وأطعنى (واقم
 الصلوة لذكرى) لذكركنى
 فيها لاشتمال الصلاة على
 الأذكار أولانى ذكركنى
 فى الكتب وأمرت بها أو
 لان أذكرك بالمدح والثناء
 أولاد كرى خاصة لا تشوبه
 بذكر غيرى أو لتكون
 لى ذا كراغى ناس أو
 لاوقات ذكرى وهى موافقت
 الصلاة لقوله ان الصلاة
 كانت على المؤمنين كتابا

كأضواء ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة
 غرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن
 ابن عباس وقال أهل النفس يرميكن الذى رأى موسى نار ابل كان نوراً ذكره بلطف النار لان موسى عليه
 الصلاة والسلام حسب نار قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى
 حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبى موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحياه
 النار لو كشفها لاهلكت سبحان وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شيئاً
 من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كما نادى عنه واذا نأى دنت منه فوقف متعجباً وسمع تسبيح
 الملائكة وألقى عليه السكينة فعند ذلك (نودي ياموسى انى أنا ربك) قال وهب نودي من الشجرة فقيل
 ياموسى فاجاب سر يعا وما يدري من دعاه فقال انى أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك
 ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فليقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه
 حتى ان كل جارحة منه كانت اذناً وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مرفوعاً
 فى قوله فاخلع نعليك قال كانت من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وإنما أمر بتخلعهما صيانة للوادى
 المقدس وقيل أمر بتخلعهما ليمارس بقدميه تراب الارض المقدسة لتنتله بركتها فأنما قدست مرتين تخلعهما
 موسى فاقاهما من وراء الوادى (انك بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) اسم الوادى الذى حصل فيه
 وقيل طوى واد مستدير عبق مثل المطوى فى استدارته (وأنا اخترتك) اصطفيتك برسالاتى ربك لى (فاستمع
 لما وحي) فيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأمله (اننى أنا الله لا اله الا أنا
 فاعبدنى) ولا تعبد غيرى (واقم الصلوة لذكرى) أى لتذكركنى فيها أو قيل لذكركنى خاصة لا تشوبه بذكر
 غيرى وقيل لاختصاص ذكرى وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولا تصدقها غرضاً آخر وقيل معناه اذا تركت
 صلاة ثم ذكرتها فاتقها (ن) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصل
 اذا ذكرها لا كقارها الا ذلك وتلاقتادة واقم الصلوة لذكرى وفى رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل
 عنها فامصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلوة لذكرى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال
 أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها الحكيم كذا ذلك على عادة
 العرب اذا بالغوا فى السكتمان للشئ يقولون كتمت سرك فى نفسى أى أخفيته غاية الانخفاء والله تعالى لا يخفى
 عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهوريل والتخويف لانهم اذ لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على خدمتها كل
 وقت وكذلك المعنى فى اخفائها وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصى
 الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا
 لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى أو يتوب منها فى كل وقت خوفاً معاجلة
 الاجل وقوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أى بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
 بها) أى فلا يصدنك عن الايمان بالساعة ويحببها لمن لا يؤمن بها (واتبع هواه) أى مراده وخالف أمر الله

موقوفاً وقد جعل على ذكر الصلاة بعد نسيانها اذا يصح بتقدير حذف المضاف أى لذكرك صلاتى وهذا دليل على انه لا فرضة بعد التوحيد أعظم
 منها (ان الساعة آتية لا يخفى) (أ) كاد) ار يدعن الاخفاس وقيل صلاة (اخفيها) قيل هو من الاضداد أى أظهرها أو أسترها عن العباد فلا
 أقول هى آتية لا رادنى اخفاءها ولو لا مافى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو انهم اذ لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها
 فى كل وقت لما أخبرته به (لتجزى) متعلق بما تيسر (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصدنك عن العمل
 للساعة أو عن اقامة الصلاة أو عن الايمان بالقيامه فالخطاب للمؤمن والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) فى مخالفة أمره

(فتردى) فتهلك (وما تلك بيمينك يا موسى) ما مبتدأ وثلاث خبره وهي بمعنى هذه ويمينك حال عمل فهماء عنى الإشارة أى قارئة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتذية لتقع المعجزة بهم بعد التثبيت أو لتوطئ لثلاثهم ولانقلابها حية أو لآي ناس ورفع الهيبة للمكاملة (قال هي عصاى أتوكا عليها) أعتمد عليها إذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمى) أخط ورق الشجر على غنمى لتأكل (ولى فيها) حفص (ما رب) جمع ماربة بالحر كان الثلاث وهى الحاجة (أخرى) والقياس آخر وإنما قال أخرى رد إلى الجماعة أو لتسوق الآتى وكذا الكبرى ولما (٢٣٦) ذكر بعضها شكرًا أجل الباقى حياهم من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد فى الأكرام

والمآرب الأخر أنها كانت تماشيه وتحدته وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتها دلوًا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده وركزها فتثمر ثمرة يشتهها وركزها فينبع الماء فإذا رجعها نضب وكانت تقيه الهوام والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرًا أو لأنها جواب سؤال آخر لأنه لما قال هي عصاى قبل له ما تصنع بها فأخذ بعدد منافعها (قال ألقها يا موسى) الطرح عصاك لتفزع مما تتكئى عليه فلا تسكن الابنات ترى فيها كنه ما يفهم من المآرب فتعتمد علينا فى المعالاب (فألقاها) فطرحها (فإذا هى حية تسعى) تمشى سرىعا قبل انقلبت ثعبانًا يتلعب الصخر والشجر فلما رآها تبلع كل شئ تخاف وإنما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق فى غيرها لأن الحية اسم جنس

(فتردى) أى فتهلك قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرر وبوالحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة (قال هي عصاى) قيل كان لها شعبتان وفى أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكا عليها) أى أعتمد عليها إذا مشيت وإذا أعيت وعند الوثبة (وأهش بها على غنمى) أى أضرب بها الشجرة اليابسة ليستسقط ورقها فتراه الغنم (ولى فيها ما رب أخرى) أى حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحملها الزاد ويشدهم الخبل ويستقى بهم الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها إذا نعد وروى عن ابن عباس أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدته وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكل كل يومه وركزها فيخرج الماء فإذا رجعها ذهب الماء وكان إذا اشتوى ثمرة رركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر وإذا أراد الاستقاء من البئر أذلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كدلو حتى يستقى وكانت تضيء بالليل كالسراج وإذا ظهر له العدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أى انبذها واطرحها قال وهب بن موسى أنه يقول أرفضها (فألقاها) أى فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فإذا هى حية) صفرًا من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) أى تمشى بسرعة على بطنها وقال فى موضع آخر كأنها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال فى موضع آخر كأنها ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع أن الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فأنها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتتفنج حتى صارت ثعبانًا وهو انتهاء حالها وقيل أنها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فإذا العاصية من أعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتها شديقين لها أو المحمجن عنقا وعرفا يميز كالنيزك وعيناها ينقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلق من الأبل فتلتصقها وتصف الشجرة العظيمة بانباها ويسمع لانباها صريرها عظيمًا فلما عين ذلك موسى ولى مدبرًا وهرب ثم ذكر به فوق احتجابه منه ثم نودى يا موسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (فأخذها) أى بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما لى آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه أن أدخل يده فى فخما وأخذ بلحيتها (سنعدها سيرتها الأولى) أى إلى هيئتها فتردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد دخلها يعود فلما قال الله تعالى له خذها فطرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكروا بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرى لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغنى عنك شيئًا قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية ففأذاهى عصا كما كانت ويده فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها إذا أتوكا قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر علمها الخلق ولثلايق فرغ منها إذا ألقاها عند فرعون قوله

يقع على الذكر والانثى والكبير والصغير وجزآن تنقلب حية صفرًا دقيقة ثم يتراد جرمها حتى تصير ثعبانًا فأربد بالجان أول تعالى حالها بالثعبان ما كملها أولانها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحيتها أربعون ذراعًا ولما (قال) له ربه (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده فى فخما وأخذ بلحيتها (سنعدها) سيرتها الأولى (تأنيث الأولى) والسيرة الحالة التى يكون عليها الإنسان غير بزينة كانت أو مكتسبة وهى فى الأصل فعلة من السير كآركب من الركب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانصبت على النظار أى سنعيدها فى طريقها الأولى أى فى حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وارى ذلك موسى عند مخاطبة لثلايق فرغ منها إذا انقلب حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال

(واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العنق وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناح الطائر ثم اجاز ان ياتي بهما اي
عملهما عند الطيران والمعنى ادخلهما تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر (من غير سوء) برص (آية
أخرى) لنبتوك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صله بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينصب آية بفعل مدحوف يتعاقب به الامر
(لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا ليريك بها آيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أو ليريك بها
الكبرى من آياتنا والمعنى فعلنا ذلك ليريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغي) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما
أمره بالذهاب الى فرعون الطاغى وعرف انه كاف أمره عظيما يحتاج الى صدر فسبح (قال رب اشرح لي صدري) وسعه لي حمل الوحي والمشاق
وردي الاخلاق من فرعون وجنده (ويسر لي أمري) وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ (٢٣٧) الرسالة الى فرعون وشرح لي صدري

أكد من اشرح صدري
لانه تكرير بالمعنى الواحد
من طريق الاجمال
والتفصيل لانه يقول اشرح
لي ويسر لي علم ان ثمة
مشروحا وميسرا ثم رفع
الاجهام بذكر الصدر
والامر (واحلل) افصح
(عقدة من لساني) وكان
في لسانه رنة للعنق التي
وضعها على لسانه في صباه
وذلك ان موسى أخذ لحية
فرعون ولطمه لطمة
شديدة في صغره فاراد قتله
فقالت آسية أم الملك انه
صغير لا يعقل فجعلت في
طشت نارا وفي طشت
يواقبت ووضعتهما لدى
موسى فقصص اليواقبت
فأمال الملك يده الى النار
فرجع جرة فوضعها على
لسانه فاحترق لسانه فصار
لكنتهها وروى أن يده
احترقت واجتهد فرعون
في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه

تعالى (واضمم يدك الى جناحك) أي الى ابطن وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة
(من غير سوء) أي من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضئ بالليل
والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدق موسى العصا (لنريك من آياتنا
الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته قوله عز وجل (اذهب الى فرعون انه طغي) أي جاوز
الحد في العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية
وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولي قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق
برسالتى وانك بعبسنى وسهى وان معك يدي وبصرى وانى ألبسك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في
أمرى بعثتك الى خاق ضعيف من خلقى بطار نعمتى وأمن مكبرى حتى تحسد حقى وأنت كبرر يوبى وانى أقسم
بعزى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني فبلغه
رسالتى وادعته الى عبادتى وحذرة نعمتى وقل له قولنا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يتنفس الا
بعملى قال فسكت موسى فغاهه لاه وقال له أجبر بك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لي صدري) أي وسعه
للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا شوكنه
وكثرة جنوده فكان يضيق بما كاف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان
أحد الا يقدر على مضرتة الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكنه وكثرة جنوده (ويسر
لي أمري) أي سهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك ان
موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ لحية فقال فرعون لامرأة آسية ان
هذعدت وارى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل وقيل ان أم موسى لما فطمت عدته الى فرعون
فنشأت في حجره وجر امرأته بريدانه واتخذاه ولدا فبذمها هو يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب اذ رفعه
فضر به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم يقتله فقالت آسية أم الملك انه صبي لا يعقل جربه
ان شئت فغامت بطشتين في أحدهما جروفي الآخر جوهر فوضعها بين يدي موسى فاراد أن يأخذ الجوهر
فاخذ جبريل يدموسى فوضعها على الجبر فاخذ جرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة يفقهوا
قولى) أي احلل العقدة كي يفهموا قولى (واجعل لي وزرا من أهلى) أي معينا وظهيرا والوزر بمن يوزرك
ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا
وأجل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أفنى جعدا (أشد دبه أزرى) أي قوبه ظهري (وأشركه
في أمري) أي في أمر النبوة وتبليغ الرسالة (كى نسجلك كثيرا) أى نصلى لك كثيرا (وتذكر لك كثيرا) أى

قال الى أي رب تدعوني قال الى الذى أريد وقد عجزت عنها ومن لساني صفة للعقدة كأنه قيسل عقدة من عقدة لساني وهذا يشعر بأنه لم تزل
العقدة بكالها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيرا) ظهيرا أو معينا عليه من الوزر الثقيل لانه يتحمل
عن الملك أو زاره ومؤنته أو من الوزر الجبال ان الملك يعصم برأيه ويلتجئ اليه في أموره أو معينا من الموازنة وهى المعاونة فوزر برامف معول أو زل
لاجعل والثانى (من أهلى) أولى وزر برامف عولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزر أو قوله (أخى) بدل أو عطف بيان آخر وزر برامف هرون
مفعولاه وقدم ثابتهما على أولهما معناية بامر الوزارة (أشد دبه أزرى) قوبه ظهري وقيل الازر القوة (وأشركه في أمري) اجعله شريكى في
النبوة والرسالة واشددوا شركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كى نسجلك كثيرا) نصلى لك ونزهدك نسبيا
(كثيرا وتذكر لك كثيرا) فى العلوات وخارجها

(انك كنت بنابصيرا) علما باحوالنا فاجابه الله تعالى حيث (قال قد اوتيت سؤلوك يا موسى) اعطيت مسؤلوك فالسؤل الطلبة فعل بمعنى
 مفعول كخبير بمعنى خبير سؤلوك بلا همز أبو عمرو (واقدمنا) انعمنا (عليك مرة) كرهة (أخرى) قبل هذه ثم فسر هذا فقال (اذ اوحينا الى
 انك ما لوجي) الهاما او منا ما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك واذ ظرف لنا ثم فسر ما لوجي بقوله (ان اذ فيه) القية (في التابوت)
 وان مفسر لان الوحي بمعنى القول (فاذ فيه في اليم) النيل (فليقه اليم بالساحل) الجانب وسمي ساحلا لان الماء يستحيله أي يقشره
 والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الاخبار أي يلقيه اليم بالساحل (ياخذ عدو لي وعدو له) يعني فرعون والضمائر كلها راجعة الى موسى
 ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضي الى تناثر النظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى في
 جوف التابوت روي أنهم جعلت في التابوت قطننا لوجا فوضعه فيه وقبرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون ثم كبير فيدينا
 هو جالس على رأس بركة مع آسية (٢٣٨) اذا بالتابوت فامر به فخرج ففتح فاذا بصبي أصبح الناس وجهها فاحبه فرعون حبا شديدا

نحمدك ونشني عليك بما اوتيتنا من جميل نعمك (انك كنت بنابصيرا) أي خبير اعلميا (قال) الله تعالى (قد
 اوتيت سؤلوك يا موسى) أي اعطيت جميع ما سألته (واقدمنا عليك مرة أخرى) أي قبل هذه المرة ثم بين
 تلك المنبة بقوله تعالى (اذ اوحينا الى أمك ما لوجي) أي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (ان
 اذ فيه في التابوت) أي الهامناها أن اجعلي في التابوت (فاذ فيه في اليم) يعني نهر النيل (فليقه اليم
 بالساحل) يعني شاطئ البحر (ياخذ عدو لي وعدو له) يعني فرعون فاخذت تابوتا جعلت فيه قطننا ووضعت
 فيه موسى وقبرته رأسه وشوقه ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فيبينما فرعون
 جالس على البركة مع امرأته آسية اذ اهو بتابوت يحيى به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه فخرجوه
 وفتحوا رأسه فاذا بصبي أصبح الناس وجهها فامار آة فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعلقه فذلك قوله
 تعالى (واقبت عليك محبة مني) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قبل ما آة أحد الأحبه ملاحظة كانت
 في عيني موسى (ولتضع على عيني) لتربي ويحسن اليك ولان امر عليك ومراقبتك كما راعى الرجل الشيء
 بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تشي أختك) واسمها مريم متعرفة بخبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله)
 أي على امرأة ترضع وتضمه اليم اذ ذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت
 بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك كي تقر عينها) أي بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن)
 أي وليذهب عنها الحزن (وقات نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافر اقبل كان عمره اذ ذلك اثنتي
 عشرة سنة (فخيبتك من الغم) أي من غم القتل وكرهه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا
 وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الذنون وقوعه في محنة بعد محنة وخاصة الله تعالى منها أو انها ان أمه
 حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الامن
 ثدي أمه ثم أخذته بحية فرعون حتى هم يقتله ثم تناوله الجريرة بدل الجوهره ثم قتله القبطي وخروجه
 الى مدين خائفا (فلبثت) أي مكثت (سنتين في أهل مدين) هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب
 اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها رعى الغنم مهزوز وجته
 صفورا ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ان اثنتي عشرة سنة
 هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) أي جئت على القدر الذي قدرت أن تجي فيه قيل على رأس أربعين
 سنة وهو القدر الذي يوحى الى الانبياء فيه (واصطغعتك لنفسي) أي اخترتك واصطغيتك لوجي ورسالتك

فذلك قوله (واقبت عليك محبة مني) يتعلق مني بالقيت
 يعني اني أحببتك ومن
 أحبه الله أحبته القلوب
 فمارآه أحد الا أحببه قال
 قتادة كان في عيني موسى
 ملاحظة ما آة أحد الأحبه
 (ولتضع) معطوف على
 محذوف تقديره واقبت
 عليك محبة لتحب ولتضع
 (على عيني) أي لتربي
 يرأي مني وأصله من صنع
 الفرس أي أحسن القيام
 عليه يعني ان امر عليك
 ومراقبتك كما راعى الرجل
 الشيء بعينه اذا اعتنى به
 ولتضع بسكون اللام
 والجزم يزيد على أنه أمر
 منه (اذ تشي) يدل من اذ
 أو حينما لان مشي أخته كان
 منعله (أختك فتقول
 هل أدلكم على من يكفله)
 روي ان أخته مريم جاءت
 متعرفة بخبره فصادقتم

يطالبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فيريه وأرادت بذلك لتتصرف
 المرضعة الام وتذ كبر الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فردناك (الى أمك) كإعادتها بقولنا أنا
 رادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقلت نفسا) قبطيا كافر (فخيبتك من الغم) من القود قبل الغم القتل بالغة
 قرش وقيل اعتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله باستغفاره قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجنا
 من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء ما يقع في المحن وتخليصك منها والقوت من صدر كما اقعدوا وأجمع
 فتنة أي قتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يتلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشرا والخير فتنة (فلبثت سنتين في أهل مدين) هي بلدة
 شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبثت عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهزوزا لصفورا أمه عند ثمان عشرة
 سنة بعد ما احتى ولده أولاد (ثم جئت على قدر يا موسى) أي موعد ومقدار لرسالته وهو أربعون سنة (واصطغعتك لنفسي) اخترتك واصطغيتك

لوحى ورسالتى لتصرف على ارادتي ومحبتى قال الزجاج اخترت لك الامرى وجعلتلك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقي كما فى آيت عليهم الحجة
وخاطبتمهم (اذهب أنت وأخوك باياتى) بمجزاتى (ولانتم) تفترامن الوفى وهو الفتور والتقصير (فذكرى) أى اتخذاذ كرى جناحاً
تطيران به أو أريد بالذ كرى تبليغ الرسالة فالذ كرى يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعلمها (اذهب الى فرعون) كزولان الاول
مطلق والثانى مقيد (انه طغى) جاوز الحد بدعائه الربوبية (فقولاه قولنا) العاطف فى القول لاله من حق تربية موسى أو كنياه وهو من ذوى
الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عداه شبا بالايهرم بعده وملاك لا ينزع عنه الابالموت أو هو قوله هل لك الى أن تزك وأهديك
الى ربك فتحشى فظاهرة الاستههام والمشورة (لعله يتذكر) أى يتعظ ويتأمل فيذعن (٢٣٩) للحق (أو يخشى) أى يخاف أن يكون

الامر كما تصفان فخره انكاره
الى الهلكة وانما قال اعلمه
يتذكر مع علمه انه لا يذ كر
لان الترجى لهما أى اذها
على رجائكما وطمعكما وباشرا
الامر مباشرة من يطمع أن
يتم عمله وجدوى ارسالهما
اليه مع العلم بانه لن يؤمن
الزام الحجة وقطع العذرة وقيل
معناه لعله يتذكر منذ كرى
أو يخشى خاش وقد كان ذلك
من كثير من الناس وقيل
لعل من الله تعالى واجب
وقد تذ كروا كن حين لم
ينفعه التذ كرو وقيل تذ كرى
فرعون وخشى وأراد اتباع
موسى فنعبه همامان وكان
لا يقطع أمرادونه وتليت
عند يحيى بن معاذ فبى وقال
هذا رفقتك بن يقول أنا لاله
فكيف بن قال أنت الاله
وهذا رفقتك بن قال أنا
ربكم الاعلى فكيف بن قال
سبحان ربى الاعلى (قالار بنا
اننا نخاف أن يفرط علينا
الغارط يقال فرط عليه أى
عجل (أو أن يطغى) يجاوز

لتصرف على ارادتي ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبتة وقيل معناه اخترت لك
لامرى وجعلتلك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقي كما فى الذى آقت عليهم الحجة وخاطبتمهم (اذهب
أنت وأخوك باياتى) أى يدلنا لى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعثهم اموسى عليه السلام (ولا
تنيا) أى لا تضعوا وقيل لا تفتروا ولا تقصروا (فى ذكرى) أى لا تقصروا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام
عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذهب الى فرعون انه طغى فقولاه قولنا) أى داريا به وارقابه قال ابن
عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولاه يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أرد بالقول اللين قوله
هل لك الى ان تزك الآيه وقيل انما أمرهما بالاطافة لاله من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان
شبا بالايهرم وملاك لا ينزع منه الابالموت وتبقى عليه لذة الطعام والمشرب والمنسكح الى حين موته واذا مات
دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرادون همامان وكان غابا فلما قدم أخبره
بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له همامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد
أن تكون مرئوبوا أنت تعبد تريد أن تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه وكان هرون بمصر
فامر الله موسى أن يأتى هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة وأخبره بما
أوحى اليه وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر
وقد سبق فى علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذها على رجاء منك وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقيل
هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا آهنا ككاهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا لينا
وسولا فنسبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون بجازه لعله يتذكر منذ كرى أو يخشى خاش اذا رأى
برى والطافى بن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذ كرى فرعون وخشى
حين لم تنفعه الذ كرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرأزى فقولاه قولنا
لينا الآيه فبى يحيى وقال الهسى هذا رفقتك بن يقول أنا الاله فكيف رفقتك بن يقول أنت الاله (قالا) يعنى
موسى وهرون (ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يجعل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطغى)
أى يجاوز الحد فى الاساءة لينا (قال) الله تعالى (لا تخافا ننى معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما
فأجيبه وأرى ما يرايدكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهما (فأتياه فقولا انار سولار بك) أى أرسلنا اليك
ربك (فأرسل معنابى اسرائيل) أى نخل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أى لا تتعذبهم فى العمل
وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الودان وغير ذلك (قد جئناك
بآية من ربك) قال فرعون وماهى فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة
وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعينا من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام
التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انافد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أى انما

الحد فى الاساءة لينا (قال لا تخافا ننى معكما) أى ما فلتكما وناصركما (أسمع) أقوالكم (وأرى) أفعالكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أسمع
دعاءكما فأجيبه وأرى ما يرايدكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهما (فأتياه) أى فرعون (فقولا انار سولار بك) الينا (فأرسل معنابى
اسرائيل) أى أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولا تعذبهم) بتكليف المشاق (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادعينا
وهذه الجملة جازية من الجملة الاولى وهى انار سولار بك مجرى البيان والتفسير والتفصيل لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بنبته وهى المحيى
بالآية فقال فرعون وماهى فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) أى سلم من العذاب من أسلم وايس تخية
وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انافد أوحى الينا أن العذاب فى الدنيا والعقبى) (على من كذب) بالرسول (وتولى)

أعرض عن الإيمان وهي أرحى آي القرآن لانه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وايس وراء الجنس شئ فاتيها
وأديا الرسالة وقاله ما أمرابه (قال ابن زبكياموسى) خاطبهم ما ثم نادى أحدهم بالان موسى هو الاصل في النبوة وهو من تابعه (قال ابن
الذى أعطى كل شئ خلقه) خلقه أول مفعول أعطى أى أعطى خلقه كل شئ يحتاجون اليه ورتفون به أو انما هي ما أعطى كل شئ
صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذا الانف
والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة به او قرأ أنه خلقه صفة للمضاف أو المضاف اليه أى أعطى كل شئ مخلوق عطاء ثم
هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة فى الدنيا والسعادة فى العقبى (قال فى ابال القرون الاولى) فاحال الامم الخالية والرم البالية
سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد (قال موسى مجيبا) علمها عن درى) مبتدأ وخبر (فى كتاب) أى
اللوح خبر بان أى هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم
أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أى لا يخطئ شئ بأى يقال ضلت الشئ اذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له أى
لا يخطئ فى سعادة الناس وشقاوتهم (٢٤٠) (ولا ينسى) نوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان

بعذب الله من كذب بما جثنا به وأعرض عنه (قال) يعنى فرعون (فمن زبكياموسى) أى فن الهكبا الذى
أرسله (قال ابن زبكياموسى) أى كل شئ يحتاجون اليه ورتفون به وقيل أعطى
كل شئ صلاحه وهدهاء وقيل أعطى كل شئ صورته ونقل اليد لا يمشى واللسان للنطق
والعين للنظر والاذن للسمع ثم هدهاء الى منافعه من الطعام والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل
المرأة والبعبير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجر والحجار الا ان ثم هدى ألهمه كيف ياتى الذكر الا نثى
(قال) يعنى فرعون (فباال القرون الاولى) أى فاحال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد
وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم
الخالية فيبتدأ قال فرعون فباال القرون الاولى (قال) يعنى موسى (علمها عن درى) أى أعمالهم محفوظة
عند الله يجازى بها وقيل انما رده موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك
فرعون وقومه (فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أى لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ (ولا ينسى)
أى فيبتدأ وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذى جعل اسم الارض مهادا) أى فراشا
وقيل مهدها اسم (وسلك اسم فيها سبلا) أى أدخل فى الارض لاجلكم طرفا وسهلها لكم لتسلكوها (وأترل
من السماء ماء) يعنى المطر ثم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فاخرجنا به) أى بذلك الماء (أزواج) أى
أصنافا (من نبات شتى) أى يختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما هو للانس ومنها ما هو للدواب (كأوا
وارعوا أنعامكم) أى أخرجنا أصناف النبات للارتفاع بالا كل والرعى (ان فى ذلك) أى الذى ذكر
(لايات لاولى النهى) أى لذوى العقول قبل هم الذين ينتهون بحرم الله عليهم (منها خلقناكم) أى من
الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطق فى أخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره فى النطفة فيخلق من التراب
ومن النطفة (وفيهانعيدكم) أى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم نارة أخرى) أى يوم القيامة للبعث
والحساب (وقوله تعالى) (ولقد أريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع التى أعطاه الله

معمول الخلق يوافق معلومه
(الذى) مرفوع صفة
لربي أو خبر مبتدأ محذوف
أو منصوب على المدح
(جعل اسم الارض مهادا)
كوفى وغيرهم مهادا وهما
لغتان لما يبسط ويرفش
(وسلك) أى جعل (اسم
فيها سبلا) طرفا (وأترل
من السماء ماء) أى مطرا
(فاخرجنا به) بالماء نقل
الكلام من الغيبة الى لفظ
المتكلم المطاع للاقتنان
وقيل ثم كلام موسى ثم
أخبر الله تعالى عن نفسه
بقوله فاخرجنا به وقيل
هذا كلام موسى أى
فاخرجنا نحن بالحراسة
والغرس (أزواج) أصنافا
(من نبات) هو مصدر سمي

به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع (شئ) صفة للزواج أو للنبات جمع شئ كمرىض ومرضى أى انها مختلفة النفع موسى
والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى ان أرقاقتنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما
يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على أكله قائلين (كأوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير فى فاخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين
فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (ان فى ذلك) فى الذى ذكرنا (لايات) دلالات (لاولى النهى) لذوى العقول
واحدة هانية لانها تنهى عن المحذور أو ينتهى اليها فى الامور (منها) من الارض (خلقناكم) أى أبأكم آدم عليه السلام وقيل يعنى كل نطفة
يشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا وألان النطفة من الاغذية وهى من الارض (وفيهانعيدكم) اذا تم دفنهم (ومنها
نخرجكم) عند البعث (نارة أخرى) مرة أخرى والمراد باخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المنفردة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء
ويتخرجهم الى المحشر عدداً لله عليهم ما علق بالارض من مرافقتهم حيث جعلها لهم فراشا وما هاديتهم وما يتقبلون علفها سوى لهم فيها مسالك
يترددون فيها كيف شاءوا وأنت فيها أصناف النبات التى منها اقواتهم وعلفانهم وهى أصلهم الذى منه تفرعوا وأمههم التى منها ولدوا
وهى كفاتهم اذا ماتوا (ولقد أريناه) أى فرعون (آياتنا كلها) وهى تسع آيات العجايب واليد وقلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع

والدم وتثق الجبل (فكذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا الخرجنا من أرضنا) مصر (بسحر كياموسى) فيه دليل على انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحر كى تعلى والا فابى ساحر يقدر ان يخرج ملكا من أرضه (فلنا أتيناك بسحر مثله) فلنعارضك بسحر مثل سحر كى (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعدو ويقدر مضاف أى مكان موعدا والضمير فى (لا تخلفه) للموعود قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعود (نحن ولا أنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز ان لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا تخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالسكسر حجازى وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت مكانا أى منصف بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعود كى يوم الزينة) مبتدا وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على تأويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لا يحاله فبذلك الزمان علم المكان وعلى الثانى تقدر موعود كى يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى تجمع فى موضع رفع أو جرح عطف على يوم أو الزينة (ضحى) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن الرية وأبين لكشف الحق ولشيع فى جميع أهل الدير والمدن (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (جمع كيد) مكره وسحرته وكانوا اثنين (٢٤١) وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا ثم أتى للموعود (قال لهم

موسى (فكذب وأبى) يعنى فرعون وزعم انه ساحر وأبى أن يسلم (قال) يعنى فرعون (أجئتنا الخرجنا من أرضنا) يعنى مصر (بسحر كى ياموسى) تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنا أتيناك بسحر مثله) فاجعل بيننا وبينك موعدا (أى اضرب أجلا وميعانا (لا تخلفه) لا تجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) أى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفان سوى مسافة الفريقين اليوم قبل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعود كى يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) أى وقت الضحوة نهار اجهار ليكون أبعد من الرية (فتولى فرعون جمع) يعنى فرعون (كيد) يعنى مكره وسحره ووجهه (ثم أتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر جبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر ألفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحبتكم بعذاب) أى فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) أى خس من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خس من كذب على الله تعالى وقوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظر واوتشاوروا يعنى السحرة فى أمر موسى سرامن فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (واسر والنجوى) أى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان أن يخرجنا من أرضكم) يعنى من مصر (بسحرهما ويزهبا بطر يقتكم المثل) قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه بصرفان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طر يقتكم المثل وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبا بهم لانفسهما وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبيد ينسك الذى أتم عليه (فاجعوا كيدكم) أى لا تدعوا شيئا من كيدكم الاجتماع به وقيل معناه اعزموا كيدكم على كيدهم مجتمعين له ولا تخلفوا فيختل أمركم (ثم اتوا صفا) أى جمعاصطين ليكون أشد لهيبتهم وقيل معناه ثم اتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة

أتى للموعود (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحبتكم) كوفى غير (ابى بكر يهلككم) وفتح الباء والحاء غيرهم والسحت والاسحبت بمعنى الاعداء وانتصب على جواب النهى (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لا تفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم واسر والنجوى) أى تشاوروا فى السر والعلانية (فستغلبه وان كان من

(٣١ - (حازن) - ثالث)

السماء فله أمر والنجوى يكون مصدرا واسمائه لفقوا هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه يخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيدانطلق واللام هى الفارقة بين الناقية والمنخفة من التويلة وقيل هى معنى ما اللام بمعنى الأى ما هذان الاساحران دلله قراءة أى ان هذان الاساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هى لغة بلخارت بن كعب وخشم ومراد وكثارة فالتثنية فى لغتهم بالالف أبدافلم يقبلوها فى الجرو والنصب كعصا وسعدى قال ان أباه وأبأ أباه * قد بلغنا فى المجد غايتها وقال الزجاج يعنى نعم قال الشاعر ويقان شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه أى نعم والهاء للوقف وهذان مبتدا وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخله على المبتدا المحذوف تقدر به هذان لهم اساحران فيكون دخولها فى موضعها الموضوع عليها وهو الابتداء وقد يدخل اللام فى الخبر كيدخل فى المبتدا قال * حالى لانت ومن جريته قال فعرضته على المبرد فرضيه وقد ز يفه أبو على (يريدان أن يخرجنا من أرضكم) مصر (بسحرهما ويزهبا بطر يقتكم المثل) يعنى كيدكم وشر يعنى كيدكم (الفضل) تأنيث الامثل وهو الأفضل (فاجعوا) فاحكموا أى اجعلوه مجتمعا عليه حتى لا تخلفوا فاجعوا أبو عمرو ويعنه جمع كيد (كيدكم) هو ما يكد به (ثم اتوا صفا) مصطفين حال أمر و بان اتوا صفا لانه أهيب فى صدور الراتين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أى السحرة

(ياموسى اما ان تلقى) عصاك اولاً (واما ان نسكون اول من ألقى) ماء عنا ووضع أن مع ما بعده فهم انصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدأ
 مخدوف معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر القارول أو القارولنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكانه تعالى المهمم ذلك وقد وصلت
 إليهم بركته وعلم موسى اختيار القائمهم أو لاحقى (قال بل ألقوا) أتم أولاً ليرزوا امامهم من مكائد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق
 على الباطل فدمغهم وبأساط المعجزه على السحر فتمحقه فبصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا (فاذا حبالهم وعصيم) يقال فى
 اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الساكنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبها ووجه تضاف اليها وخصت فى بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا
 مخصوصا وهو فعل المفاجأة والوجه ابتداءية لا غير والتقد يفاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيم
 تخيلة اليه السعى (يتخيل) وبالتاء ابن زكوان (اليه) اى موسى (من سحرهم انها تسعى) رفع بدل اشتغال من الضمير فى تخيل أى تخيل المتلقى
 روى انهم لطموها بالزبيق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فقيلت ذلك (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) اضمر فى نفسه خوفا
 ظنا منسه أنها تقصده للعجالة البشرية أو خاف ان يخالف الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) الغالب القاهرو فى ذكرا
 وأنت وحرف التعريف ولفظ العاوه والغلبة الظاهرة بما لغته بينة (والق مافى يمينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص
 وتلقف ابن ذكوان الباقون تلقف (٢٤٢) (ما صنعوا) زوروا وافتعلوا أى اطرحة عصاك تتبع عصىم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما

لها أى لا تحتفل بما صنعوا
 فان مافى يمينك أعظم منها
 أو تحقيرا أى لانبال بكثرة
 حبالهم وعصيم وواق العويد
 الفرد الذى فى يمينك فانه
 يقدر تنابلقها على وحدته
 وكثرتها (انما صنعوا كيد
 ساحر) كوفى غير عاصم
 سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى
 سحر أو هم لتوغلهم فى السحر
 كأنهم السحر وكيد بالرفع
 على القراءتين وما موصولة
 أو مصدرية وانما وحد
 ساحر ولم يجمع لان المقصد
 فى هذا الكلام الى معنى
 الجنسية الى معنى العدد
 فلو جمع تخيل ان المقصود
 هو العدد ألا ترى الى قوله
 (ولا يفلح الساحر) أى هذا

(ياموسى اما ان تلقى) أى عصاك (واما ان نسكون اول من ألقى) أى عصينا (قال) يعنى موسى (بل القوا)
 يعنى أتم أولاً (فاذا حبالهم) فيه اضمار أى فالقوا فاذا حبالهم (وعصيم يتخيل اليه من سحرهم أنها تسعى)
 قيل انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى كان الارض امتلأت حبات وكانت قد
 أخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورأها كأنها تسعى (فاوجس) أضمر وقيل وجد (فى نفسه خيفة موسى)
 قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكروا فى
 أمره فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) أى قال الله تعالى لموسى لا تخف (انك أنت الاعلى) أى الغالب عليهم وللك
 الغلبة عليهم والظاهر (وألقى مافى يمينك) أى عصاك والمعنى لا تخيفك كثرة حبالهم وعصيم فان فى يمينك شيا
 أعظم منها كلها (تلقف) أى تلتقم وتتبع (ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولا يفلح
 الساحر حيث أتى) أى من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألقى السحرة سجدا قالوا آمنار ب
 هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيم للكفر والجود
 ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فاعظم الفرق بين الالقاهم وقيل انهم لم يزعموا رؤسهم حتى
 رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا وأراههم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة
 (قال) يعنى فرعون (أمنت له قبل ان أذن لكم انه اكبيركم) أى لربكم وعظيمكم يعنى انه أسحركم وأعلامكم
 فى صناعة السحر ومعلمكم الذى علمكم السحر (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى اقطع اليد
 اليمنى والرجل اليسرى (ولا صلبنكم فى جذوع النخل) أى على جذوع النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا)
 أى على ايمانكم به أنا أو رب موسى على ترك الايمان به (وأبى) أى أدوم (قالوا) يعنى السحرة (ان
 نوترك) أى ان نختارك (على ما جاءنا من البيئات) يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا

الجنس (حيث أتى) ايما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فاعظم ما رواه من الآيه وقعا الى السجود فذلك قوله (فألقى وقيل
 السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيم للكفر والجود ثم ألقوا رؤسهم بعد
 ساعة للشكر والسجود فاعظم الفرق بين الالقاهم من روى انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا آمنار ب هرون
 وموسى) وانما قدم هرون هنا وأخرى الشعراء محافظة للافاصلة ولان الواو لا توجب ترتيبا (قال أمنت) بغير مد حفص وبهزة ممدودة بصرى
 وشاى وحجازى وبهزة ممدودة بغيرهم (له قبل ان أذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه اكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أو
 لمعلمكم تقول أهل مكة للمعلم أمرنى كبرى (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ان تقطع اليد اليمنى والرجل
 اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بان هذا يد وذلك رجل وهذا يمين وذلك شمال ومن لا ابتدء الغاية لان القطع مبتدأ
 ونائبى من مخالفة العضو وحمل الجار والمجرور والنصب على الحال يعنى لقطعها اختلافان لانها اذا خالف بعضها باعضا فقد انصفت بالاختلاف شبه
 تمكن المصلوب فى الجذع يتمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولا صلبنكم فى جذوع النخل) ونص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أينا أشد
 عذابا) ان اعلى ايمانكم بى أو رب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله أمنت له واللام
 مع الايمان فى كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وأبى) أدوم (قالوا ان نوترك) ان نختارك (على ما جاءنا من البيئات)

القاطعة الدالة على صدق موسى (والذي فطرننا) عطف على ما جاء نأى لن نختارك على الذي جاء ناولا على الذي خلقنا وأقسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم (فأقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل واصلب قال وعلمهم ما سرودتان فضاها ما أى صنعها ما وأحكم ما أنت حاكم (انما قضى هذه الحيوة الدنيا) أى فى هذه الحياة الدنيا فاتصّب على الطرف أى انما تخضع فى امداد حياتنا (انا آمنابى بنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما روى انهم قالوا فرعون أرى ما موسى نأتمنا فعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذ انما بطل سحره فسكره ما معارضة مخوف الفضيحة فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبى) عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت به مجرما) كافرا (٢٤٣) (فانه) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيسترى بالموت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأت به مؤمنا) مات على الايمان (فدعمل الصالحات) بعد الايمان (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لاله الا الله قبل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لاهلى وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى ان يخرجهم من مصر ليلابوا يأخذهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك (فاتبعهم) أى فلقهم (فرعون يجنوده فغشيهم) أى أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) أى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما أهديكم الا سبيلا الرشاد قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل

وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فإين حبالنا وعيننا وقيل انهم لما سجدوا أو الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاء نأى من البيئات (والذي فطرننا) قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرننا (فأقض ما أنت قاض) أى فاصنع ما أنت صانع (انما قضى هذه الحيوة الدنيا) أى انما أمرت وساططانك فى الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمنابى بنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون أكرههم فى الابتداء على تعلمهم السحر لى لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون أكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرى ما موسى اذ هو نام فاراهم موسى نأتمنا وعصاه تحرسه فقالوا فرعون هذا ليس بساحران الساحر اذ انما بطل سحره فابى عليهم فاكرههم على ان يعاملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبى) أى خير منك ثوابا وأبى عقابا وقيل خير منك ان أطيع وأبى عقابا من عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبى (انه من يأت به مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة ومعناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيسترى (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأت به مؤمنا) أى من مات على الايمان (فدعمل الصالحات) أى الرفعة العلية (ثم فسر الدرجات بقوله) (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) وذلك جزاء من تزكى أى تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لاله الا الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كآترون النجم الطالع فى أفق السماء وان أبابكر وعمر منهم وانعما أخرجهم الترمذى قوله وانعما يقال أحسن فلان الى فلان وانعما أى أفضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهم ما منهم وزادوا تناهيا الى غاية قوله تعالى (واقعد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى أسر بهم ليلابوا أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) أى اجعل لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا (بيسا) أى يابس ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك (فاتبعهم) أى فلقهم (فرعون يجنوده فغشيهم) أى أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) أى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما أهديكم الا سبيلا الرشاد قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل

يبسا ويسا) لا تخاف (حال من الضمير فى فاضرب أى اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف جزع على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يحقونك (ولا تخشى) الغرق وعلى قراءة جزع لا تخشى استئناف أى وأنت لا تخشى أو يكون الالف لالاق كفى وتظنون بالله الظنوننا فخرجهم موسى من أول الليل وكالوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليلهم فركب فرعون فى ستمائة ألف من القبط فقص انهم فذلك قوله (فاتبعهم فرعون يجنوده) وهو حال أى خرج خلفهم ومعهم جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ما غشيهم) هو من جوامع السكام التى تستقل مع قلتها بالمعنى الكثيرة أى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما أرشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهديكم الا سبيلا الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعدما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله (يا بنى اسرائيل) أى أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يا بنى اسرائيل

قد أجبناكم من عدوكم) أي فرعون (وواعدناكم) بإتيانه الكتاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عز وجل وعده موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبينهم وبقبايتهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم والاين نصب لانه صفة جانب وقرى بالجر على الجوار (وترانا عليكم المن والسلوى) في التيه وقتلنا لكم (كوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم) أنعمتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تتعدوا وحدود الله فيه بان تكفروا بالنعمة وتنفقوها في المعاصي أولا يظلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لا يهوض بعده وأصله ان يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف الايمان الى حفرة من حفر النيران قرأ على فيحل ويجعل الباؤون بكسرهما فالسكور في معنى الوجوب (٢٤٤) من حل الدين يحل اذا وجب أداءه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن

قد أجبناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن وترانا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله النعمة في نجاةهم وهلاك عدوهم وفيما وعده موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبينهم ورجعت منافعها اليهم وهاقوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا بالنعمة فتسكونوا طاعين وقيل لا تتقوا وانعمتني على المعاصي وقيل لا تدخروا (فيحل عليكم غضبي) أي يجب عليكم غضبي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وسقط في النار (واني لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) أي وحده الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) أي أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة قوله عز وجل (وما أجلك) أي وما حلك على الجملة (عن قومك يا موسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور لياخذوا التوراة فسار بهم ثم جعل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله وما أجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه (فقال هم أولاء على أترى) أي هم بالقرب مني بأتون على أترى من بعدى فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأل عن سبب الجملة فعديل عن الجواب فقال هم أولاء على أترى قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أسكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منه الا تقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وجعلت اليلرب لترضى) أي لترداد رضا (قال فانا قد فتننا قومك) أن فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتننوا بالعجل غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعدنا نطلقك الى الجبل (وأضلمهم السامري) أي دعاهم وصر فهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما أضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المشائت تضاف الى منتهى الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هذا وأضلمهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جار موسى وآمن به وقيل كان عجلمان علوج كرماني رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أي حزينا حزنا (قال يا قوم ألم بعدكم بكم وعد احسنا) أي صدقانه يعطيك التوراة (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فاخلفتم موعدى) يعني ما وعدهم من الاقامة على دينه الى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك أمرنا وقيل

الشرك (وآمن) وحده الله تعالى وصدقته فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أجلك) أي وأي شيء يجعل بك (عن قومك يا موسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أجلك أي أي شيء أوجب جعلتك استفهام انكار وما مبتدأ وأجلك الخبر (قال هم أولاء على أترى) أي هم خافي يلقون بي وليس بيني وبينهم الامسافة بسيرة ثم ذكرهم موجب الجملة فقال (وجعلت اليلرب) الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لترداد عني رضا وهذا دليل على جواز

الاجتهاد (قال فانا قد فتننا قومك) ألقيناهم في فتنه (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم باختيارنا مع هرون (وأضلمهم السامري) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان عجلمان كرماني فالتخذ بعجل الاسم موسى بن طفر وكان منافقا (فرجع موسى) من مناجاة ربه (الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب أو حزينا (قال يا قوم ألم بعدكم بكم وعد احسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون رجلا ولا وعد احسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بك أي طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم (فاخلفتم موعدى) وعدهم ان يقيموا على أمرهم وما تركهم عليه من الآيات فاخلفوا موعدته باخذ العجل (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الميم مدني وعاصم وبضمها حزة وعلى وكسرهما غيرهم أي ما أخلفنا موعدك بان ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وتخلينا ودرأنا ما أخلفناك موعدك

ولكننا غلبنا من جهة السامري وكيد (ولكننا حملنا) بالضم والتشديد بحجازي وشامى وحفص وبقح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزار
من زينة القوم) أنفلا من حلى القبط أو أردادوا بالاوزارها آتام وتبعات لانهم قد استعار وهاليلة الخروج من مصر بعله ان لنا غدا عيدا
فقال السامري انما حبس موسى لشؤم حرمته لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وايس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على
أن الغنائم لم تكن تحمل حينئذ فاحرقوها نجبا في حفرة النار قال بعل فأنصغت بجللجوجا (٢٤٥) فغار بدخول الريح في بجمار منه أشباهة

العروق وقيل نفخ فيه ترابا
من موضع قوائم فرس
جبريل عليه السلام يوم
الغرق وهو فرس حياة قبي
فغار ومالت طباعهم الى
الذهب فعبده (فقد فناها)
في نار السامري السني
أوقدها في الحفرة وأمرنا
أن نطرح فيها الحلى
(فكذلك ألقى السامري)
مامعه من الحلى في النار أو
مامعه من التراب الذي
أخذ من أثر حافر فرس
جبريل عليه السلام
(فأخرج لهم) السامري
من الحفرة (بجلا) خلقه الله
تعالى من الحلى التي سبكتها
النار ابتلاء (جسدا) بجسدا
(له خوار) صوت وكان
يخور كخوار العجايل
(فقالوا) أى السامري
واتباعه (هذا الهكم واله
موسى) فاجاب عامتهم الا
اثنى عشر ألفا (فنى) أى
فنى موسى ربه هنا وذهب
يطلبه عند الطور وهو
ابتداء كلام من الله تعالى
أى نسى السامري ربه
وترك ما كان عليه من
الايمن الظاهر أو نسى
السامري الاستدلال على

باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه (ولكننا حملنا أوزار من زينة القوم) أى حملنا مع
أنفسنا ما كنا قد استعربناه من قوم فرعون والاوزار الانتقال سميت أوزار الكثرتها وقلها وقيل الاوزار
الآتام أى حملنا آتامنا وذلك أن بنى اسرائيل استعار واحيا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين
خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حللهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة
ولم تكن الغنائم تحمل لهم (فقد فناها) أى ألقيناها قبيل ان السامري قال لهم احفر واحفيرة والقوها
فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامري)
أى ما كان معه من الحلى فيها قال ابن عباس أوقدها هرون نارا وقال اقدفوا امامكم فيها وقيل ان هرون مر
على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادعنى فقال هرون اللهم اعطه
ما سألك على ما فى نفسه فألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن بجلا
يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم بجللجوجا) اختلفوا هل كان
الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لأنه لا يجوز زاطها خرق العادة على يدضال بل السامري صور
صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخارج بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثانى انه
صار حيا وخر كخوار العجل (فقالوا هذا الهكم واله موسى) يعنى قال ذلك السامري ومن تابعه من اقتن
به وقيل عكفو عليه وأجبهوه حيا لم يحبوا شيئا قط مثله (فنى) قيل هو اخبار عن قول السامري أى
ان موسى نسى الله وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه
في طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري انه نسى
الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يعمل فى شئ ولا يعمل فيه شئ ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى
يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا) أى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه
ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توابع لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا ينفع من
عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل قوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل)
أى من قبل رجوع موسى (يا قوم انما اقتنتم به) أى ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعونى) على دينى
في عبادة الله (وأطيعوا أمرى) أى فى ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعد
أحسن الوجوه لانه زجرهم أولاعن الباطل بقوله انما اقتنتم به ثم دعاه الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم
الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى فهذه
الترتيب الجيد لانه لا بد من اقامة الاذى عن الطريق وهى ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم
النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضوع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل
الله توابعهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجود (قالوا لن نبرح) أى ان نزال (عليه)
أى على عبادة العجل (عافين) أى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كانوا فلما ان تقبل بحتك ولا تقبل
الاقول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعيدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح
والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسامريين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر

ان العجل لا يكون اله لابل قوله (أفلا يرون ان لا يرجع) أى انه لا يرجع فان تخففت من الثقله (اليهم قولا) أى لا يجيبهم (ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا) أى هو عاجز عن الخطاب والضرو والنفع فكيف يتخذونه الها وقيل انه ما خارا لمرء (ولقد قال لهم) ان عبدوا العجل (هرون
من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم انما اقتنتم به) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) فاتبعونى (كوفوا على دينى
الذى هو الحق) (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع
الينا موسى) فنظروا هل يعبدوه كعبدها وهل صدق السامري أم لا فلما رجع موسى

(قال باهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الاتباع) بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل وغيرهم بلاياء
أي مادعك الى ان لا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن تتبعني
حين لم يقبلوا قولك وتحققي وتخبرني أو ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وهـ لاقالت من كفر بن آمن ومالك لم تبأس الامركا كنت أبأثره
انالو كنت شاهدا (أفصيت أمرى) أي الذي أمرت به من القيام بصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه وحيته بشماله غضبا وانكارا عليه
لان الغيرة في الله ملكته (قال يا ابن أم) ويخفف المسم شامى وكوفي غير حفص وكان لابييه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعظافا
وتريقا (لا تأخذ الجيتي ولا براسي) ثم ذكر عذره فقال (اني خشيت أن تقول) ان قالت بعضهم ببعض (فرقت بين بني اسرائيل) أو خفت
أن تقول ان فارقتهم واتبعك ولحق بي (٢٤٦) فريق وتبع السامري فريق فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولي) اختلفني في

قومي واصلغ وفيه دليل على
جواز الاجتهاد ثم اقبل
موسى على السامري
منكر اعليه حيث قال
فما خطبك ما أمرك الذي
تخاطب عليه يا سامري
قال بصرت بما لم يبصروا
به) وبالتاء جزوة على قال
الزجاج بصر علم وابصر نظر
أي علمت ما لم يعلمه بنسو
اسرائيل قال موسى وما
ذلك قال رأيت جبريل على
فرس الحياة فالتقي في نفسي
ان اقبض من أثره فما
القيتسه على شيء الا صار له
روح ولحم ودم فقبضت
قبضة القبضة المرة من
القبض واطلاقها على
المقبوض من تسمية المفعول
بالمصدر كضرب الامير
وقرى قبضت قبضة فالضاد
بجميع الكف والصاد
باطراف الاصابع (من
أثر الرسول) أي من أثر
فرس الرسول وقرى بها
(فنبذتها) فطرحتها في

رأسه بيمينه وحيته بشماله (قال) له (باهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) أي اشركوا (الاتباع) أي
تتبع أمرى ووصيتي وهلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من
المحوق بي واخباري بضلالهم فتكون مفارقا قاتلا باهم زحوا لهم عما أتوه (أفصيت أمرى) أي خالفت
أمرى (قال يا ابن أم لا تأخذ بطيقي ولا براسي) أي بشعر رأسى وكان قد أخذ بذؤابتيه (اني خشيت ان
تقول) أي لو أنكرت عليهم لصاروا حزينين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بني اسرائيل) أي خشيت
ان فارقتهم واتبعك ان بصيروا حزبا يفتقرون فتقول فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب قولي) أي لم تحفظ
وصيتي حين قلت لك اختلفني في قومي واصلغ وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري (قال فما خطبك) أي فما
أمرك وشأنك وما الذي حالك على ما صنعت (يا سامري قال) يعني السامري (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت
قبضة من أثر الرسول) أي من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) أي فقدزتها في فم العجل فخار فان قلت
كيف عرف السامري جبريل وراه من بين سائر الناس قلت ذكر واقبه وجهن أحدهما ان أمه ولدته في
السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعت في كهف حذر اعليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليريه لما قضى
الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامري من بين
سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشأنا قبض القبضة من أصل تربة أثر موطنه فلما سأله موسى قال قبضت
قبضة من أثر الرسول البليد يوم جاء للاميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما رى يده
ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وذلك سوت) أي زينت (لى نفسي) وقيل انه من السؤال والمعنى
انه لم يدعني الى فعله غيرى واتبع فيه هواي (قال) يعني موسى للسامري (فاذهب فان لك في الحياة) أي
مادمت حيا (ان تقول لامساس) أي لا تتخالط أحدوا ولا يتخالطك أحد فتعوقب في الدنيا بعقوبه ولا شيء
أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى أمر بني اسرائيل ان لا يتخالطوه ولا يقر بوجههم ولا يلقاه ومكانته
ومبايعته ومواجته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا ماس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع
الوحش والسباع لا يمسه أحد ولا يمسه أحد وقيل كان اذا ماس أحد أو مسه أحد جابجا يفتحاى الناس
وتحاموه وكان يصح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) أي يا سامري (موعدا) أي
بعذابك في الآخرة (ان تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه ان تعيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم
القيامة وقرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفك الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهلك) أي الذى ترغم
(الذى ظلت عليه عاكفا) أي دمت عليه مقبعا تعبده (انخرقته) بالنار (ثم لنسفته) أي لنذرينه (في اليم)
أي في البحر (نسفا) روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحققه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه

جوف العجل (وذلك سوت) زينت (لى نفسي) ان أفعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف بالخطا واعتذار (قال) له موسى انخرقته
(فاذهب) من بيننا طريدا (فان لك في الحياة) ما عشت (ان تقول) لمن أراد ان يظلمك جاهلا بحالك (لامساس) أي لا يمسنى أحد ولا أمسه
فنع من مخالطة الناس منعنا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكانته ومواجته واذا اتفق أن ماس أحد احم الماس والممسوس وكان يهيم في البرية
يصح لامساس ويقال ان ذلك موجود في أولاده الى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام ان يقتله فنع الله تعالى منه استخاذه (وان لك موعدا لن
تخلفه) أي لن يخلفك الله موعدة الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعدما عاقبتك بذلك فى الدنيا لن تخلفه مكي
وأبو عمرو وهذا من اختلف الموعد اذا وجدته خلفا (وانظر الى الهلك الذى ظلت عليه) وأصله ظلت فخذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقبعا
(انخرقته) بالنار (ثم لنسفته) لنذرينه (فى اليم نسفا) فخرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من ماءه سبحانه فظهرت على شفاههم صفرة الذهب

(انما الهك الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) تمييز أي وسع علمه كل شيء وحمل الكاف في (كذلك) نصب أي مثل ما اقتضت صناعتك قصة موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الأمم الماضية تسكيرا للبيناتك وزيادة في معجزاتك (وقد آتيناك) أي أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرنا) قرآننا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقية بالنفكر والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالجل الثقل الذي ينقض ظهره ويلقى عليه بهمة أولانها أجزاء الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووحد في فانه جلا على لفظ من (فيه) في الوزر أي في جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة جلا) ساء في حكم شئ وفيه ضمير مبهم يفسره جلا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كفي هيبتك والمخصوص بالذم محذوف للدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الجلا جزاؤهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة ينفخ أبو عمرو (في الصور) القرن أو هو جمع صورة أي ينفخ الأرواح فيها دليله قراءة فتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أي عيما (٢٤٧) كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيا وهو هذا لان

حدقه من يذهب نور بصره
 تزرق (يتخافقون)
 يتسارون (بينهم) أي
 يقول بعضهم لبعض سرا
 لهول ذلك اليوم (ان
 لبئس ما لبستم في الدنيا الا
 عشرا) أي عشر ليال
 يستقصرون مدة لبثهم في
 القبور أو في الدنيا لما
 يعانون من الشدائد التي
 تذكرهم أيام النعمة
 والسرور فيتأسفون عليها
 ويصفونهابالقصر لان أيام
 السرور قصار وأولانها
 ذهبت عنهم والذاهب وان
 طال مدته قصير بالانتهاء
 أو لاستطالتهم الآخرة
 لانها أبدية تستقصرون بها عمر
 الدنيا تتقال لبث أهلها
 فيها بالقياس الى لبثهم في

لنحرقة أي لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب الجاودما فان ذلك لا يمكن أن يبر بالبر ويؤمن ان يقال صار
 الجاودما فذبح ثم بردت عظامه بالبر حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل
 وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا للبنى اسرائيل (انما الهك الله) أي
 المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) أي وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من بعده
 قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعني من أخبار (ما قد سبق) يعني الأمم الخالية وقيل ما سبق
 من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أي عن القرآن ولم يؤمن به ولم
 يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أي جلا ثقيل من الاثم (خالدين فيه) أي قيعمين في عذاب الوزر
 (وساء لهم يوم القيامة جلا) أي شئ ما جعلوا أنفسهم من الاثم (يوم ينفخ في الصور) قبل هو قرن ينفخ فيه
 يدعى به الناس للنحش والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه أتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أي
 نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عيا وقيل عياشا (يتخافقون) أي يتسارون (بينهم)
 ويتكلمون خفية (ان لبئس ما لبستم في الدنيا) (العشرا) أي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين
 النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول
 ما عانوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي يتسارون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أي
 أو فاهم عقلا وأعدلهم قولا (ان لبئس الايوا) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استعملهم من أهوال يوم القيامة
 وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل (ويستلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا)
 قال ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة
 فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) أي يدع
 أماكن الجبال من الارض (فأعاصفصفا) أي أرضا ملسا مستوية لانبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا)
 أي لا انخفاض ولا ارتفاعا لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم
 الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها

الآخرة وقد ربح الله قول من يكون أشد تقالا منه بقوله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة) اعد لهم قولا (ان لبئس الايوا)
 وهو كقوله قالوا البشنا ايوا ما بعض يوم فاسأل العادين (ويستلونك عن الجبال) سألو النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل
 لم يسئل وتقدروا ان سألوك (فقل) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر الاسئلة مثل قوله ويستلونك عن المحيط قل هو اذى وقوله ويستلونك
 عن النباتي قل اصلاح لهم خير يستلونك عن الحجر والميسر قل فيها ثم كبير يستلونك عن الساعة أي ان مرها قل انما عملها عند ربي
 ويستلونك عن الروح قل الروح ويستلونك عن ذي القرنين قل سأتلون اناسا لآلات تقدمت فورد جواها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم
 يذكر الفاء (ينسفها ربي نسفا) أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل يعلعها (فيذرها) فيذرها مقارها
 أو يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (فأعاصفصفا) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاض (ولا أمتا) ارتفاعا
 والعوج بالكسر وان كان في المعاني كان المفتوح في الاعيان والارض عين ولا يمكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها عوج واج
 بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال أي يوم اذ نسفت وجاز ان يكون بدلا عن
 بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر أي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية

والجلود المتفرقة والعوم المتفرقة هلمى الى غرض الرجن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون عنه (لاعوج له) أى لا يعوج له مدعوب بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرجن) هيبه واجلالا (فلا تسمع الالهسا) صوتا خفيها كتحريك الشفاة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشى لا تسمع الاخفق الاقدام ونقلها الى المحشر (بومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرجن) محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقد رحدف المضاف أى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرجن أى اذن للشافع فى الشفاعة (ورضى له قولا) (٢٤٨) أى رضى قول الاجله بأن يكون المشفوع له مسلما أو نصب على المدح لانه مفعول تنفع (يعلم

ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) أى بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما أو يرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بمحاط (وعنت) خضعت وذلت ومنه قيل للاسيران (الوجوه) أى أعينها (للحى) الذى لا يموت وكل حياة يتبعها الموت فهى كأن لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يش من رجسة الله (من جل ظلما) من جل الى موقف القيامة مشركا لان الظالم وضع الشئ فى غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلا

العظام البالية والجلود المتفرقة هلموا الى عرض الرجن (لاعوج له) أى لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيدون عنه بما ولا يشمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرجن) أى سكنت وذلت وخضعت وضعت والمراد به أعجاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الالهسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاة من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (بومئذ لا تنفع الشفاعة) لاحد من الناس (الامن اذن له الرجن) أى الا من اذن له ان يشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهى لا تحصل الا لمن يأذن الله فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قيل الحكاية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ما قدره موامن الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرجن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرجن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أى ايدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما أى هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى أى ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) أى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذلك الوجوه وأراد بها المكافين لان عنت من صفات المكافين لان صفات الوجوه وانما خاص الوجوه بالذكر لان الخوض عنها يتبين وفيها يظهر ﴿ وقوله تعالى (للحى القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من جل ظلما) قال ابن عباس خسرت من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزداد على سيئاته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها ﴿ قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أى كما بينا فى هذه السورة وهذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرأنا عبرتيا) أى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على عجازه وحسن نظمه وخروج وجهه عن كلام البشر (وهى قرآنيه من الوعيد) أى كروا وفضلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق فتكرره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرا) أى انما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغى ويحدث لهم القرآن ذكرا ورضيهم فى الطاعات وفعل ما ينبغى وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة ﴿ قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أى جل الله وعظم عن الحداد المحدين وعمما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيدته وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تعجل بالقرآن) اراد النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات أو النسب ان فيها الله تعالى عن ذلك فقال تعالى (ولا تعجل بالقرآن أى ولا تعجل بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) أى من قبل ان يفرغ

يخاف) أى فهو لا يخاف فلا يخف على النهى مكي (ظلما) أن يزدادى سيئاته (ولا هضما) ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كرونا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد والقرآن (ذكرا) عظة أو شرفا بما يحتملهم به وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون واوهام الافهام وتفرغ عن مضاهاة الانام وشابهة الاجسام (الملك) الذى يحتاج اليه الملوك (الحق) المحق فى الالوهية وماذا كره القرآن وانزاله قال استطار اذا واذا القنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأمن عليك بما يسهل عمل ويفهمك (ولا تعجل بالقرآن) بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ

(وقل رب زدني علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم (واقدم عهدنا إلى آدم) أي أوحينا اليه من
 لا يأكل من الشجرة يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأرضى اليه عزيمته وعهد إليه فعهاف قصة آدم على مصر فناقده
 من الوعيد والمعنى واقسم قسم الله آدم ووصيائه أن لا يقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم ألف إلى ما نسي عنه كما أنهم
 يخالفون يعني أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرفهم راسخ فيه (فنسى) العهد أي النهي والانبيا عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذي لو
 تكافؤ والحفظوه (ولم نجده عزمًا) قصد إلى الخلاف لأمراه ولم يكن آدم من أولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه عزمًا أو بمعنى نقيض
 العدم أي وعدم مثاله عزموا له متعلق بنجد (واذ قلنا) منصوب بإذ كر (للملائكة) (٢٤٩) اجحدز الآدم) قيل هو السجود
 اللغوي الذي هو الخضوع

والنذل أو كان آدم كالقبلة
 لضرب تعظيم له فيه
 (فسجدوا إلا إبليس) عن
 ابن عباس رضي الله عنهما
 أن إبليس كان ملكا من
 جنس المستثنى منهم وقال
 الحسن الملائكة أبواب
 الخليفة من الأرواح ولا
 يتناسلون وإبليس من نار
 السموم وإنما صرح استثنائه
 منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد
 الله معهم (أي) جملته
 مستأنفة كأنه جواب لمن قال
 لم يسجد والوجه أن لا
 يقدره مفعول وهو السجود
 المدلول عليه بقوله فسجدوا
 وأن يكون معناه أظهر
 الإباء وتوقف (فقلنا يا آدم
 ان هذا عدوك ولزوجك)
 حيث لم يسجد لك ولم ير
 فضلك (فلا يخرجك بكلمن
 الجنة) فلا يكون سببا
 لإخراجك (فتشقى) فتتعب
 في طلب القوت ولم يقل
 فتشقى مراعاة لرؤس الآتى
 أو دخلت تبعا ولأن الرجل
 هو الكافل لنفسه والمرأة

جبريل من الأبلاغ وقيل معناه لا تقره أصحابك ولا تعلمه عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه
 التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما إلى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة قبل ما أمر الله رسوله صلى
 الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما
 وإيمانًا وبقينا ﴿ قوله عز وجل (واقدم عهدنا إلى آدم) يعني أمرناه وأوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة
 (من قبل) أي من قبل هوانه الذي نقضوا عهده وتركوه إلا إيمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله
 تعالى لعالمهم يتقون (فنسى) أي فترك ما عهدنا إليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل
 أراد النسيان الذي هو ضد الذاكرة (ولم نجده عزمًا) أي صبرًا عما نسي عنه وحفظنا لما أمر به وقيل معناه
 لم نجده رأيا معزوما حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له وقيل معناه لم نجده عزما على
 إقام على العصية فيكون إلى المدح أقرب ﴿ قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا
 إبليس أبى) ان يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا) أي إبليس (عدوك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى
 من آتار نعمته الله على آدم حسده فصار عدوا له (فلا يخرجك بكلمن الجنة فتشقى) أسند الخروج إليه وان كان
 الله تعالى هو المخرج لأنه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب
 وتضرب ويكون عيشك من كد عيذك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والتجريف اهبط
 إلى آدم ثورا حرق فكان يحرق عليه ويسخ العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء إلى
 آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعادته سعادتهم لأنه
 القيم عليهم الثاني أنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو الساعي
 على زوجته (ان لك الأنجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وانك لا تنظما فيها) أي تعطش (ولا تضحى) أي
 تبرأ للشمس فيؤذيك حرها لأنه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة
 والسكن هي الأمور التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء في الجنة وأنه
 مكفي لا يحتاج إلى كفاية كافي ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إليه أهل الدنيا (فوسوس إليه الشيطان) أي
 انتهى إليه الوسوسة كاسر إليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي
 على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا يبلى ولا يفنى رغبت في دوام الراحة فكان
 الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبة إبليس فيه إلا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وإبليس
 وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقها وربه ومولاه وناصره وإبليس هو عدوه
 أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دفاع لقضاء الله ولا مانع له منه
 ﴿ وقوله تعالى (فا كل منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما سواهما) أي عريا من الثياب
 التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عورتاهما (وطفقا يخصفا علىهما من ورق الجنة) أي

(٢٢ - حازن) - ثالث)
 من جبينه (ان لك الأنجوع فيها) في الجنة (ولا تعرى) عن الملابس لانها معدة أبدافها (وانك) بالكسر نافع وأبو بكر عطفًا على ان الأولى
 وغيرهما بالفتح عطفًا على أن لا تنجوع ومجمله نصب بان وجاز للفصل كما قول ان في علمي انك جالس (لا تنظما فيها) لا تعطش لو جرد الأشربة فيها
 (ولا تضحى) لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل ممدود (فوسوس إليه الشيطان) أي انتهى إليه الوسوسة كاسر إليه (قال
 يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلد لان من أكل منها خلد برغمه ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى
 (فا كلا) أي آدم وحواء (منها فبدت لهما سواهما) عورتاهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كذا في وقوع الخبر
 فعلا مضارعًا إلا انه للشروع في أول الأمر وكذا لدنومه (بخصفا علىهما من ورق الجنة) أي يلزقان الورق بسواهما للستر وهو ورق التين

يلزقان بسواتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي باكل الشجرة (فغوى) أي فعل مالم يكن له فعله وقيل
 خطأ طر بق الحق وصل حيث طلب الخلد با كل مانسب عنه فغاب ولم ينزل مراده وصار من العزالي الذل ومن
 الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصي آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه انما يقال لمن اعتاد
 فعل المعصية كالرجل يخطئ ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو يخطئ حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن
 أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أنونا
 أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطاك التوراة بيده أتولوني على أمر
 قدره الله تعالى على قبل ان يخالفني باربعين عاما فخرج آدم موسى وفي رواية مسلم لم قال آدم بك وكذبت الله كتب
 التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل
 تولوني على ان عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل ان يخالفني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

* (الكلام على معنى الحديث وشرحه) *

فخرج آدم موسى

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجدالة والمخاصمة يقال حاجبت فلانا فحججته أي جادلته فغلبته قال أبو ليثان
 الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على
 ما قضاء وقدره ويتوهم ان قوله فخرج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم
 الله بما يكون من أفعال العبادوا كسابهم وصدورها عن تقديره وخلق لها خيرا وشرها والقدر اسم لما
 صدر مقدر عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله
 فيهم أفعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور ولا يستهم اياها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالجحة
 انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انه ما أمر ان لا ينك أحدهما عن الآخر لان
 أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء في رام الفصل بينهما ما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع
 الجحمة لا دم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد
 علم الله فيه وأن يعطاه بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لتزوله الى الارض التي خالق لها وانما أدلى آدم
 بالجحمة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتولوني على أمر قدره الله على من قبل ان يخالفني
 * (فصل في بيان عصمة الانبياء وما قبل في ذلك) * قال الامام نضر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة
 الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى اقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر
 والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن
 الكذب مواظبين على التبليغ والتخريض والالازم الوتوق بالاداء واتفقوا على أن ذلك لا يجوز
 وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق
 بالفتيا فاجعوا على انه لا يجوز خطوهم فيها على سبيل العمد وأجاز به بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع
 في أفعالهم فقد اختلف الامة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبار الثاني قول من
 منع من الكبار وجوز الصغار على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان يأثروا بصغيرة ولا
 كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الاعلى جهة السهو والخطا
 الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لاعلى سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو
 قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون
 من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول
 أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي
 الهذيل وأبي على من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين
 جاءتهم النبوة وبدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الامة وذلك غير
 جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان

(وعصى آدم ربه فغوى)
 ضل عن الرأى وعن
 ابن عيسى خاب والحاصل
 ان العصيان وقسوع
 الفعل على خلاف الامر
 والنهي وقد يكون عمدا
 فيكون ذنبا وقد لا يكون
 عمدا فيكون زلة ولما وصف
 فعله بالعصيان خرج فعله
 من أن يكون رشدا فكان
 ضيالا النقي خلاف الرشد
 وفي التصريح بقوله وعصى
 آدم ربه فغوى والعـ دول
 عن قوله وزل آدم من جرة
 بليغته ومعنة كافة للمكافين
 كانه قيل لهم انظروا
 واعتبروا كيف نعت على
 النبي المعصوم حبيب الله
 زلت به هذه الغلظة فلا تتهاونوا
 بما يفرط منكم من الصغائر
 فضلا عن الكبار

أقل حال من عدول الامة وذلك غير جائز أيضا لان معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأضافه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت بمذهبه العقل أنه لا شيء أقبح من رفع الله درجته واثمته على وحيه وجعله خليفته في عبادته وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيح الغرض واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا ياأمرون الناس بطاعة الله فالولم يطيعوه لاندخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أحالفكم الى ما أنتمأكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات وافضل للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه ثبت أن الانبياء كانوا أفاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا و آل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى وقال تعالى واذ كرم عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصته ذكري الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصفاء والخير وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكري ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول ان كلامهم انما يتيم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم يجوز أن يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أى جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فأنسى ولم نجد له عزما أى نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استخلا لالهها ولكنه اغتر بحلف ابليس له انى السكمان الناصحين وتوهم ان أحد الايخلف بالله كذا وقيل نسي ولم ينبو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أى قصد المخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نسي عنها لانه تأول نسي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس والهدا قبل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لامن المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نسي تحريم فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصى فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكأنهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه قلت ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عبادته وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحمله على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذه غيرهم وانهم فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمر بها وآتوا على وجه التأويل والسهو وتزبدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا وعلما وعوتوا بسببها وأخذوا من المؤاخذة بما انهم خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لانهم بذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم كقول حسنة الارارسيات المقرين أى برونهم بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيات وسند كرفى كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل (ثم اجتباه ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أى عاد عليه بالذنوب والمغفرة (وهدى) أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعذريته ولا بليس ومعذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعل كأنهما البشر فخطوا طبيا بل فقط الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما يا آتيناكم منى هدى) أى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداى الله من الضلالة

(ثم اجتباه ربه) قره اليه واصطفاه وقرى به وأصل الكلمة الجمع يقال جبي الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعنى آدم وحواء (بعضكم) باذرية آدم (لبعض عدو) بالخصام فى الدنيا والاختلاف فى الدين (فاما يا آتيناكم منى هدى) كتاب وشريعة (فمن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة يعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجى من الضلال ومن عقابه

(ومن أعرض عن ذكرى) عن القرآن (فإن له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جرير بسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فبعضه ضنكا وحاله مظلمة كما قال بعض المتوفى لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه) ونحوه يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله ونحوه يوم القيامة على وجوههم عيا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) أي مثل ذلك فعلمت أنت ثم فسرف قال (أنتك آياتنا فسيتها وكذلك اليوم تنسى) أي أنتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين الاعتبار وكذا عمت عنها كذلك (٢٥٢) اليوم نتركك على عملك ولا نزيل غطاء عن عينك) وكذلك تجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات

ربه واعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي للحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى (أفلم يهدلهم) أي الله بديل قراءه زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكتنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير الجوزور في لهم (في مساكنهم) يريدان قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعانيون آثارها لهم (ان في ذلك لايات لاولى النهى) لذوى العقول اذا تفكر واعلموا ان استصالحهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة

ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل أى في الدنيا ولا يشقى أى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فإن له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدرى رضى الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال بهذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشتاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا أكثر من غيرها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون ان الله ليس بخالف لهم فاستمدت عليهم معاشيتهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل بسلب القناعة حتى لا يشبع (ونحوه يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أي بصير العين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أنتك آياتنا فسيتها) أي فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك تجزي من أسرف) أي كجزي نيمان أعرض عن القرآن كذلك تجزي من أسرف أى أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه واعذاب الآخرة أشد) أي بما يعذبهم الله به في الدنيا والقبر (وأبى) أى وأدوم قوله تعالى (أفلم يهدلهم) أى أفلم يبين القرآن لكفار مكة (كم أهلكتنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) يعنى في ديارهم ومنازلهم اذا سافر واوذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريبان قوم لوط (ان في ذلك لايات لاولى النهى) أى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقدر به لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) نستختها آية السيف (وسبح بحمد ربك) أى صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) أى صلاة العصر (ومن آناء الليل) أى ومن ساعاته (فسبح) يعنى فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعنى صلاة الظهر سمي وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وانتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) أى ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أى ترضى ثوابه وقيل رضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كذا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله

لا محذور صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بحمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد ربك على ان وفقت للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانها ما وقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح) أى وتعهدا آناء الليل أى ساعاته وأطراف النهار تحتها الهاء لانه قد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار اذ اعادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أى اذ كرأته في هذه الارقات وجاء أن

تقال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أي برضيك ربك (ولامتن عينيك) أي انظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يردده استحسننا للمنفور اليه واما عجايبه وفيه أن المنظر غير المعدوم مع نفسه وذلك ان يبادر الشيء بالنظر ثم يعرض الطرف ولا قد شد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنته الطالعة وعدد الفسقة في ملابسهم ومرا كهم حتى قال الحسن لا تنظر والى دقة هماغ الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء ليعيون النظارة فالنظر اليها يحصل لغرضهم ومغرضهم على اتخاذها (الى مامته عبايه أزواجهم) أصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حال من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذي معنابه وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوه الدنيا) زينتها وبهجتها (٢٥٣) وانتصب على الضم أو على ابداله من محل

به أو على ابداله من أزواجها على تقدير ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنباوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) نوابه وهو الجنة أو الحلال السكاني (خير وأبق) ممارزقوا (وأمر أهلك) أمك أو أهل بيتك (بالصلاة واصطبر) أنت داوم (عليها لانسلك رزقا) أي لا نسالك ان رزق نفسك ولا أهلك (نحن رزقك) وياهم فلا تنتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الا به ثم ينادى الصلاة الصلاة ورحم الله وكان بكر من عبد الله المزني اذا اصاب أهله خصاصة قال قوموا فاصلوا به هذا أمر الله رسوله وعن

لا تضامون بخذف الميم من الضم وهو الظلم والمعنى انكم تزرونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام اي لا يزدحم ولا ينضم بعضهم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما تزرون هذا القمر كالف التشبيه للرؤية للمعنى وهي فعل الرائي ومعناه تزرون بكم رؤيته يترامح معها الشك كروية بكم هذا القمر ليله البدر لا تزاوون فيه ولا تشكون قوله عز وجل (ولامتن عينيك) قال أبو رافع نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسأفني الى الهلال رجب فأنتبه فقلت له ذلك فقال والله لا أبيععه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسأفني لقضيت به وانى لا من في السماء وأمين في الارض اذهب يدعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظرا تكاد تردده استحسننا للمنفور اليه واما عجايبه وتمثاله (الى مامته عبايه) أي اعطينا (أزواجاً) أي اصنافا (منهم زهرة الحيوه الدنيا) أي زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم بان يزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرًا وطغيانًا (ورزق ربك) أي في المعاد في الجنة (خير وأبق) أي ادوم وقال ابي بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن اتبع بصره ما في ايدي الناس بطل حزنه ومن ظن ان نعمه الله عليه في ملامحه ومشر به وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه قوله تعالى (وأمر أهلك) أي قومك وقيل من كان على دينك (بالصلاة) أي بالمحافظة عايتها (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فأنه انتهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فاعلان الوعد بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول (لانسلك رزقا) أي لانسلكك ان تزرق أحدًا من خلقك اولاً أن تزرق نفسك بل زكامل عملاً (نحن رزقك) أي بل نحن رزقك ونزوق أهلك (والعاقبة للتقوى) أي الخصلة المحموده لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (ولوليا تينا بآية من ربه) أي بالآية المقترحة فانه كان قد أناهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى) أي بيان ما فيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى مافي الصحف مافي التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فاجلناهم العذاب والهلاك فأي يوم منهم ان اتهم بالآية ان يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة مافي الصحف الاولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولوليا تينا تكاهم بعذاب من قبله) أي من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا ليدعونا (فتتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متر بص) أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتر بص بمحمد ريب المنون وحوادث

مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا اصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أي وحسن العاقبة لاهل التقوى بخذف المضافين (وقالوا) أي الكافرون (ولوليا تينا بآية من ربه) هلا يا تينا شجدا بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم تأتهم) أولم تأتهم مدني وحنص وبصري (بينة مافي الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة يعني انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقبل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب العجايب يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان مافي سائر الكتب المتزلة ودليل صحته لانه معجزه وتلك ليست بعجزات فهي مفترقة الى شهادته على صحته فيها (ولوليا تينا تكاهم بعذاب من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) (أرسلت الينا رسولا ليدعونا) بالانصب على جواب الاستفهام بالفاء (يا تينا من قبل ان نذل) بتزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متر بص) منتظر للعاقبة ولما يقول اليه أمرنا وأمركم

(فتر بصوا) أنتم (فستمعون) إذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحله ما نصب (الصرط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه و بس والله أعلم بالصواب * (سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنان عشرة آية كوفي واحدى عشرة آية مدني وبصري) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اقرب) دنأ (للناس) اللام صلة لا قرب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله اياهم ومجازانه على أعمالهم يعنى يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقله ما بقى بالاضافة الى ماضى ولان كل أت قرب (وهم فى غفلة) عن حسابهم وعميا يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لا استغراقه فى دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لا سهلا كه فى مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق فى عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب (٢٥٤) وتنبه للعرض قبل ان تبته وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز

بلقاع رب العالمين (ماياتهم من ذكر) شئ من القرآن (من ربه) محذوب فى التنزيل اتيانه مبتدأ تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف فى حدوها (الا) استعوه من النبي عليه السلام أو غيره من يتلوه (وهم يلعبون) يستهزئون به (لاهيمة) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهيمة حالان من الضمير فى استعوه ومن قرأ الآية بالرفع يكون خيرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهيمة وهي من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما رادها ومنها قال ابو بكر الوراق القاب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة واهو الها (واسرا) وبالغوا

الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتر بصوا) أى فانتظروا (فستمعون) أى اذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوي) أى المستقيم (ومن اهتدى) أى من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام) * وهي مكية وعدد آياتها مائة واثنان عشرة آية والف ومائة وعشرون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا * (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (اقرب للناس حسابهم) أى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل لهم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم فى غفلة معرضون) أى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا نهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ماياتهم من ذكر من ربه محذوب) يعنى ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكركمهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذى ذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما فى القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الا استعوه وهم يلعبون) أى لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهيمة قلوبهم) أى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (واسرا والنجوى الذين ظلموا) أى بالغوا فى اخفاء التنجى وهم الذين أسركوا ثم بين سرهم الذى تنجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا الا بشره مثلكم) يعنى انهم أنكروا الرسال البشر وطلبوا الرسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من أشكاله أقرب (أفتأتون السحر) أى أتحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) أى تعلمون أنه سحر (قل) لهم يا محمد (ربى يعلم القول فى السماء والارض) أى لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لا قوالهم (العليم) بافعالهم قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعنى أباطيل وأهواويل وآهافى النوم (بل افتراء) أى اختلاقه (بل هو شاعر) وذلك ان المشركين اقتصروا القول فى النبي صلى الله عليه وسلم وفيما

فى اخفاء (النجوى) وهي اسم من التنجى ثم ابدل (الذين ظلموا) من واو اسرا واذا بان انهم الموسومون بالظلم فيما يقوله أسرا به وأجاء على لغة من قال أكلوى البراغيت أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسرا والنجوى فقدم عليه أى والذين ظلموا أسرا والنجوى (هل هذا الا بشره مثلكم) افتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله فى محل النصب بدل من النجوى أى وأسرا وهذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقوالهم المضمر والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الاما كما وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومجربته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وأنتم تشهدون وتعيانون انه سحر (قال ربى) حجة وعلى وحطص أى قال محمد وغيرهم قل ربى أى قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يعلم القول فى السماء والارض) أى يعلم قول كل قائل هو فى السماء والارض سرا كان أوجهرا (وهو السميع) لا قوالهم (العليم) بما فى ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخالفاً لأحلام وآهافى نومه فتروهمها وحيما من الله اليه ثم الى انه كلام منترى من

عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج والباطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وايس الامر كما ينظن (فلبا تننا
 باية) بحجزة (كما أرسل الاقون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا و ابراع الاكمة واحياء الموتى و صفة التشبيه في قوله كما أرسل الاقون
 من حيث انه في معنى كما أتى الاقون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للايمان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد و بين قولك أتى
 محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قباهم من قرية) من أهل قرية (أهلكها) صفة لقرية عند مجي الآيات المقترحة لانهم
 طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤ من هؤلاء المقترحون لو أتيناها - مما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم
 والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلما أعطينا هؤلاء
 ما يقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) نوحى حفص (فاستلوا أهل
 الذكرك) العلماء بالكتاب فانهم يعرفون أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشر ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم
 لاتعلمون) ذلك ثم بين انه كمن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحدا الجسد (٢٥٥) لارادة الجنس (لايا كاون الطعام)
 صفة لجسد ابعي وما جعلنا

يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فلبا تننا)
 يعنى النبي صلى الله عليه وسلم (باية) أي بحجة ان كان صادقا (كما أرسل الاقون) أي من الرسل بالآيات
 قال الله تعالى يحميها لهم (ما آمنت قباهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل قرية أتتهم الآيات
 (أهلكها) أي بالنكذيب (أفهم يؤمنون) أي ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما
 جاءتهم أفيؤ من هؤلاء (قوله تعالى) (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا
 الا بشر مثلكم والمعنى انهم نزل الملائكة الى الاولين انما أرسلنا رجالا نوحى اليهم مثلكم (فاستلوا أهل الذكرك)
 يعنى أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشر وان أنكروا نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين - وقال أهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق
 من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكرك القرآن أي فاستلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن
 (ان كنتم لاتعلمون) قوله عز وجل (وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا لا ياكلون الطعام) هذا رد لقولهم
 ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا
 خالدين) أي في الدنيا بل يموتون (فغيرهم) ثم صدقناهم الوعد) أي الذي وعدناهم باهلاك أعدائهم
 (فانجيناهم ومن نشاء) أي من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أي المشركين لان المشرك
 مسرف على نفسه (قوله عز وجل) (لقد أنزلنا اليكم) أي بامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم
 ونفركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه في حديثكم وقيل فيه ذكركم ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل
 فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكركم بمعنى الوعد والوعيد (أفلاتتعلمون) فيه بعث على التدبر لان الخوف
 من لوازم العقل (قوله تعالى) (وكم قصصنا) أي أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أي كافرة والمراد أهل
 القرية (وأنشأنا بعدها) أي أحدثنا بعدها (أهلها) (قوما آخرين فلما أحسوا باسنا) أي عذابنا
 بحاسة البصر (اذاهم منها يركضون) أي يسرعون هاربين من قرينهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا)
 أي قبل لهم لانه يركضون (وارجعوا الى ما تفرقت فيه) أي تعتمت فيه من العيش (ومسا كنتم لعلكم تستعلمون)

الانباء قبله ذوى جسد
 غير طامعين (وما كانوا
 خالدين) كأنهم قالوا هلا
 كان ملكا لا يطعم ويخلد
 امام معتقدين ان الملائكة
 لا يموتون أو مسمين بقايمهم
 الممتد وحياتهم المتطاوله
 خلودا (ثم صدقناهم الوعد)
 بانجائهم والاصل في الوعد
 مثل واختار موسى قومه
 أي من قومه (فانجيناهم)
 محل بقومهم (ومن نشاء)
 هم المؤمنون (وأهلكنا
 المسرفين) المجاوزين الحد
 بالكفر ودل الاخبار
 باهلاك المسرفين على أن
 من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا
 اليكم) بامعشر قريش
 (كتابا فيه ذكركم) شرفكم
 ان عاتبهم به اولانه بلسانكم
 اوفيه موعظتكم اوفيه

ذكركم دنيا كوالجمله أي فيه ذكركم صفة لكتابنا (أفلاتتعلمون) ما فعلتكم به على غيركم فتؤمنوا (وكم) نصب بقوله (قصصنا) أي
 أهلكنا (من قرية) أي أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهي وارده عن غضب شديد ومخط عظيم لان القصص أقطع الكسر وهو
 الكسر الذي يبين تلازم الاجزاء بخلاف القصص فانه كسر بلا يابه (وأنشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخرين) فسكنوا مساكنهم (فلما أحسوا)
 أي المهلكون (باسنا) عذابنا أي علموا علم حس ومشاهدة (اذاهم منها) من القرية واذا العذاب جاءتهم مبتدأ والخبر (يركضون) يهربون
 مسرعين والر كض ضرب الدابة بالرجل فيجوزان يركبوا واداهم يركضونها هاربين من قرينهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا في سرعة
 عدوهم على أرجلهم بالر كمين الر كضين لدواهم فقبل لهم (لا تركضوا) والقائل بعض الملائكة (وارجعوا الى ما تفرقت فيه) نعمتم فيه
 من الدنيا ولين العيش قال الخليل المنرف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (ومسا كنتم لعلكم تستعلمون) أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا
 الى نعيمكم ومسا كنتم لعلكم تستعلمون عدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فنجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في
 مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم تارون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمن المخدمين أو يسألكم الناس
 في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطامعون يستمطرون سحبا كطسكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا

وارجعوا الى منازلكم وأموالكم لعلمكم تسئلون ما لا يخرجوا ذلّا تقتلون فنودي من السماء بالثارات الانبياء وأخذتهم السيوف فتم (قالوا يا ويلنا انّا كاذبين) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فما زالت تلك) هي اشارة الى يا ويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أى الزرع المحصود ولم يجمع كالم يجمع المقدر (خامدين) ميتين نخود النار وحصيدان مدين مفعول ثان لجعل أى جعلناهم جامعين لماثلة الحصد والنخود كقولك جعلته حلوا حامضاً أى جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا لعبين) اللعب فعل يروق وأوله ولا نبات له ولا عين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سويها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد (٢٥٦) الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وانما سويهاها يستدل بهم على قدره مدبرها

وإنجازى المحسن والسيء على ما تقتضيه حكمتنا ثم تزهاته عن سمات الحدث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أى ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لا نتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كذا فاعلين) أى ان كذا ممن يفعل ذلك ولست ممن يفعله لاستحالة في حقنا وقيل هو نفى كقوله وان أدري أى ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرب عن اتخاذ اللهو وتزبه منه لذاته كأنه قال سبحانه أن نتخذ اللهو بل من سئمتنا أن نقذف أى نرمى ونسلط (بالحق) بالقرآن أو بالاسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فقدمه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان أصل استعمال القذف

قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية في أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عريا فبعث الله اليهم نبياً يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسطا الله عليهم يختصم قتلهم وسببهم فلما استمر فيهم القتل هر بوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلمكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ترؤفة ونعمة فاتبعهمم تختصم واخذتهم السيوف ونادى مناد من جوف السماء بالثارات الانبياء فلما اراد ذلك اقر وبالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا يا ويلنا انّا كاذبين) أى لا نفلسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عابوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) أى تلك الكاهنة وهى قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أى بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) أى ميتين ﴿ قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا لعبين) معناها ما سويها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويهاها الفوائد منها التفكير في خلقها وما فيها من العجائب والمنافع التى لا تعد ولا تحصى (لو أردنا أن نتخذوها) قال ابن عباس الله والمرأة وعند ما نه الولد (لا نتخذناه من لدنا) أى من عندنا من الحور العين لان عندكم من أهل الارض وقيل معناها لو كان ذلك جاترأنى حقنالم نتخذ هذه بحيث يظهر الحكم بل نسترد ذلك حتى لا تطاعوا علمه وذلك ان النصراني لما قالوا فى المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لا نتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجه يكونان عنده لا عند غيره (ان كنا فاعلين) أى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يابق بالربوبية (بل) أى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) أى نرمى ونسلط (بالحق) أى بالايمان (على الباطل) أى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فقدمه) فهلكه (فاذا هو زاهق) أى ذاهب والمعنى اننا بطل كذبهم بما بين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم وعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولمكم الويل) يا معشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يابق به من الصاحبة والولد (وله من فى السموات والارض) أى عبيد او ملوكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعنى الملائكة وانما يخص الملائكة من كانوا داخلين فى جملة من فى السموات اكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستخسرون) أى لا يعبون ولا يتبعون وقيل لا يتعظمون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسجدون الليل والنهار لا يفترون) أى لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتر فى جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرغ أو شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعنى الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهى من الارض (هم ينشرون) أى يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهة الا من يقدر على الاحياء والايجاد

والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف ليراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالاستعارة منه حسى والاستعارة على من فكانه قيل بل نور الحق الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوى الضعيف (فاذا هو) أى الباطل (زاهق) هالكا ذاهبا (ولمكم الويل مما تصفون) لانه من الولد ونحوه (وله من فى السموات والارض) خلقا وما كذا فى يكون شئ منه ووالله وبينهما تناف ووقف على الارض لان (ومن عنده) منزله ومكانه لا منزل ولا مكانا يعنى الملائكة بتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادة ولا يستخسرون) ولا يعبون (يسجدون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسجدون أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرغ أو شغل آخر فتسبيحهم جار مجرى النفس مناشم اضرب عن المشركين منكر اعليهم ومو بخالفه بأم التى يعنى بل والهزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحيون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر

الارض كالذهب والفضة والحجر وتعد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أي مدني أو متعلق بالتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيح وان لم يدعو ان أصنامهم تحي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموتى لانه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الانشغال العاجز عنه لا يصح أن يكون الهاد (٢٥٧) لا يستحق هذا الاسم الا القادر على

كل مقدور والانشاء من جهة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الباء وهما لبتان أنشرا لله الموتى ونشرها أي أحياها (لو كان فيهما آلهة الا الله) أي غير الله وصفت آلهة بالايجاز وصفت بغير لوقيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الامر أنك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكر الا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى ولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (لفسدتا) تخربتا لوجود التمانع وقد قررناه في أصول الكلام ثم زهذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يستل على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبده مع وجود

من العدم والانعام بالبع وجوه النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) أي في السماء والارض (آلهة لا الله) أي غير الله (لفسدتا) أي تخربتا وذلك من فيها لوجود التمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فأكثرتل يجر على النظام وقال الامام نضر الدين الرازي قال المنكحون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالاً وانما قلنا انه يفضي الى المحال لان لو فرضنا وجود الهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادراً على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادراً على تخريب كل ما يدور في خلقه ولو فرضنا ان أحدهما أراد تخريبه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنع معاً لوجدت معاً وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضاً محال لو جهن أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادراً على الاثبات بما يمتنع كون أحدهما أقدراً من الآخر بل لا بد وأن يستوي باقي القدرة واذا استوي باقي القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والالزام ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادراً والذي لم يقع مراده يكون عاجزاً والمجزئ نقص وهو على الآله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادراً على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لا يمكنه فاذا كان كل واحد منهما مستقلاً باليجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلهما جميعاً فيلزم استغناؤه عنهما معاً واحتياجه اليهما معاً وذلك محال وهذه حجة تامّة في مسألة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفاقاً على الشيء لو اختلفت المقدور لهما ما مراد لهما ما يلزم وقوعه مع ما هو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقدرات واعلم أنك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدة انية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في دلالة التمانع ففسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة يقول بالهتة عبادة الأصنام لزم فساد العالم لانها جادان لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به ﷻ وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه لله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يستل عما يفعل) أي لا يستل الله عما يفعل ويقضيه في خلقه (وهم يستلون) أي والناس يستلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يستل عما يحكم في عبادة من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يستلون سؤال توبيح يقال لهم يوم اقيامتكم فعلتكم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امثال أمر مولا هم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشي فعلتكم فماتت ﷻ قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أنكر عليهم اتخاذهم الا آلهة فقال أم اتخذوا من دونه

(٢٣ - خازن - ثالث) التجانس وجواز الخطا عليه وعدم الملك الحقيقي لاستعجاب ذلك وعدسها فمن هو مالك المولى ورب الارباب وفعله صواب كما أولى بان لا يعترض عليه (وهم يستلون) لانهم علموا كون خطاؤنا فما أخاطقهم بان يقال لهم فعلتكم في كل شيء فعلوا وقيل وهم يستلون يرجع الى المسبح والملائكة أي هم مسئولون فكيف يكونون آلهة والألوهية تنافي الجنسية والمسؤولية (أم اتخذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول لا انكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتكم الله تعالى بان يكون له شريك فقيل لمحمد

(قل هاتوا برهانكم) بحجتكم على ذلك وذا عقلي وهو يا باه كما مر أو عقلي وهو الوحي وهو أيضاً يا باه فانكم لا تجدون كتاباً من الكتاب السماوية الا وفيه توحيد وتزجيه عن الانداد (هذا) أي القرآن (ذ كرم من معي) يعني أمته (وذ كرم من قبلي) يعني أمة الانبياء من قبلي وهو واردة في توحيد الله ونفي الشركاء عن معي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي القرآن وهو نصب يعلمون وقري الحق أي هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من رسول الا وحي اليه) الا فوحى كوفي غير أبي بكر وحاد (انه لا اله الا أنا فاعبدون) وحدوني فهذه الآية مقررة لمسايقها من أي التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فتره ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقرَّبون وايسوا بولادها ذا العبودية تنافي الولادة (لا يسبقونه بالقول) أي بقولهم فأنيبت اللام من باب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله (٢٥٨) ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم بأمره يعملون) أي كان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً

مبنى على أمره لا يعملون عملاً لم يؤمر به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أي لمن رضى الله عنه وقال لا اله الا الله (وهم من خشية مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم من الملائكة اني آل من دونه) من دون الله اني مدني وأبو عمرو (فذلك مبتدأ أي ذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها وهذا على سبيل النرض والتمثيل لتحقيق عهدهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وتادة والضعف قد تحقق الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه

آلهته وهو اسنة فهم انكار وتوبخ (قل هاتوا برهانكم) أي بحجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفاً (هذا) يعني القرآن (ذ كرم من معي) أي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذ كرم من قبلي) أي من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذ كرم من معي القرآن وذ كرم من قبلي التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولداً أو كان معه آلهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا وحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) أي فوحدوني وقيل لما توجهت الخجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أي عن التأمل والتفكير وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو (وقوله تعالى) وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تره نفسه مما قالوا (بل عباد) أي هم عباد يعني الملائكة (مكرمون) أي أكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أي لا يتقدمونه (بالقول) أي لا يتكلمون الا بما أمرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عالمون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا ان ارتضى) قال ابن عباس الامن قال لا اله الا الله وقيل الامن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشية مشفقون) أي خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم اني اله من دونه) قبل عني به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحد من الملائكة لم يقل اني اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم) كذلك نجزي الظالمين) أي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها (عز وجل) (أولم ير الذين كفروا) أي ألم يعلم الذين كفروا (ان السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيئاً واحداً ما ترفقتين (ففتقناهما) أي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب بن جراح خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً بوسطهما ففتحهما ما وقيل كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب حياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة فان قلت قد خاق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج

وعبادته (أولم ير الذين كفروا) ألم يرمي (ان السموات والارض كانتا) أي جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن هذا (رتقا) بمعنى المفعول أي كانتا متوقفتين وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع من توقيتين (ففتقناهما) ففتقناهما والفتق الفصل بين الشئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك فلنانه واردة في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام الرئي المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسموات بتباينها جازان في العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من تخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لافضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما ما بالهواء وقيل كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كما سما خلقنا من الماء لفرط احتياجه اليه وحيه له وقوله صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل

(أفلا يؤمنون) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا في الأرض رواسي) جبالاً ثوابت من زسا إذا ثبت (أن تميمهم) لثلاث أطراف بهم تحذف لا واللام وإنما جاز حذف لعدم الالتباس كما زاد ذلك في الآية يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجاً) أي طرفاً واسعاً جمع فج وهو الطريق الواسع وأنصب على الحال من (سبلاً) متقدمة فإن قلت أي فرق بين قوله تعالى تسلكوا منها سبلاً فجاجاً وبين هذه قلت الأول للاعلام بأنه جعل فيها طرفاً واسعاً والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقتها على تلك الصفة فهو بيان لما بهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بهم إلى البلاد المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) في موضعه عن السقوط كقَالَ رَعِيْنَا السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ أَبَا يُدْهِمٍ إِلَّا لِبَلَدٍ مِثْلِ هَذَا قَالِ تَتَذَكَّرُونَ) (عن آياتها) عن الأدلة التي فيها كالشمس (٢٥٩) والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها فيؤمنون

هذا اللفظ يخرج الأغلب والأكثر يعني أن أكثر ما على وجه الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالاً ثوابت (أن تميمهم) أي لثلاث تميمهم قيل إن الأرض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأسأها الله وأثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (فجاجاً) أي طرفاً واسعاً والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلاً) هو نفس سير الفجاج (لعلهم يهتدون) أي إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) أي من أن يسقط ويقع وقيل محفوظاً من الشياطين بالشهب (وهم) يعني الكفار (عن آياتها معرضون) أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا ينفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أي يسبحون ويسرون بسرعة كالسباح في الماء وإنما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال للملايعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يصفها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريدان الذي تجرى فيه النجوم مستديراً كاستدارة الرمح وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك مروج مكشوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الأفلاك اجرام صلبة لا تغيب ولا تخفى غير قابلة للخرق والالتام والنمو والذبول والحق أنه لا سبيل إلى معرفة صفات السموات إلا بالخيار الصادق فسبحان الخالق المدبر خلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية ﴿قوله عز وجل﴾ (وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد) يعني الدوام والبقاء في الدنيا (أفانتم فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتر بص بمحمد ريب المنون نشمت بموته فنفي الله الشهامة عنهم ذوا المعنى إن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشر إلا أنت ولا هم فإن مت أنت أبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل **فقل للشامتين بنا أبقوا * سياتي الشامتون كلقينا**

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فان الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (وتبلىكم) أي تختبركم (بالشر والخير) أي بالشدّة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تسكرهون (فتنة) أي ابتلاء للنظر كيف تسكركم فيما تحبون وتصبركم فيما تسكرهون (والبناترجعون) أي للحساب والجزاء ﴿قوله عز وجل﴾ (وإذا رأوا الذين كفروا إن) أي ما يتخذونك (الأهزوا) أي سخر بأقيل نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بنى عبد مناف (أهـ) الذي يذكر آلهتكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهتكم والذي يذمكم على المدح والذم مع القرينة (وهم يذكروا الرحمن هم كافرين) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة وهو مسيلة الشرط كانوا يقدرون أنه سميت فنفي الله عنه الشهامة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشر إلا أنت أنت أبقى هؤلاء) كل نفس ذائقة الموت وتبلىكم) وتختبركم بمعنى ابتلاء وان كان عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الغنى والنعمة (فتنة) مصدر مؤن كدلتبلىكم من غير لفظه (والبناترجعون) فتجاز بك على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (وإذا رأوا الذين كفروا إن يتخذونك) ما يتخذونك (الأهزوا) مفعول ثانٍ يتخذونك نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بنى عبد مناف (أهـ) الذي يذكر آلهتكم) والذي يكون بخير وبجلافة فان كان إذا كره صدقاً فهو ثناء وان كان عدواً فذم (وهم يذكروا الرحمن) أي يذكروا الله وما يجب أن يذكروه من الوحدةانية (هم كافرين) لا يصدقون به أصلاً

الشرط كانوا يقدرون أنه سميت فنفي الله عنه الشهامة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشر إلا أنت أنت أبقى هؤلاء) كل نفس ذائقة الموت وتبلىكم) وتختبركم بمعنى ابتلاء وان كان عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الغنى والنعمة (فتنة) مصدر مؤن كدلتبلىكم من غير لفظه (والبناترجعون) فتجاز بك على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (وإذا رأوا الذين كفروا إن يتخذونك) ما يتخذونك (الأهزوا) مفعول ثانٍ يتخذونك نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بنى عبد مناف (أهـ) الذي يذكر آلهتكم) والذي يكون بخير وبجلافة فان كان إذا كره صدقاً فهو ثناء وان كان عدواً فذم (وهم يذكروا الرحمن) أي يذكروا الله وما يجب أن يذكروه من الوحدةانية (هم كافرين) لا يصدقون به أصلاً

فهم أجدق ان يخذوا هز وامنك فالماحق وهم مبعولون وقيل بذكر الرحمن أى بما أنزل عليه من القرآن هم كاذرون جاحدون والجملة فى موضع الحال أى يخذونك هزوا وهم على حالهى أصل الهز والسخر يتردى الكفر بالله تعالى وكرره للتأكيد ولأن الصلة كانت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل زلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والعجل مصدران وهو تقديم الشئ على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فكانه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول ان يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولادهم الانسان على افرط العجلة وأنه مطبوع عليهم منعه وزجره كأنه قال ليس بدع منه أن يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو مطبوع وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة جبر قال شاعرهم * النخل ينبت بين الماء والعجل * وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه (٢٦٠) كما أمره بقمع الشهوة وقدر كها فيه لانه أعطاه القوة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة

ومن عجل حال أى عجل
(سأريكم آياتي) نعماني
(فلا تستعجلون) بالآيات
بما هو بالياء عند يعقوب
واقفه سهل وعياش فى
الوصل (ويقولون متى هذا
الوعد) آيات العذاب أو
القيامة (ان كنتم صادقين)
قيل هو أحد وجهى
استعجالهم (لويعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون)
جواب لومحذوف وحين
مفعول به ليعلم أى ليعلمون
الوقت الذى يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد وهو
وقت تحيطهم فيه النار من
وراها وقد ام فلا يقدر
على دفعها ومنعها من
أنفسهم ولا يجحدون ناصر
ينصرون لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستعجال
والاستعجال ولكن جهلهم
به هو الذى هو عندهم

الكذاب قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان بنيته وخلقه من العجلة وعليها طبع وقيل لما
دخل الروح فى رأس آدم وعينيه نظار الى شمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتوى الطعام فوثب قبل ان تباع
الروح الى رحله عجل الى شمار الجنة فوقع فقيس خلق الانسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق
الانسان من عجل فى خالق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ فى آخر النهار يوم الجمعة فاسرع فى خلقه قبل
مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعته وتجييل
على غير قياس خلق بنيسه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة أطوارا طور ابعطور وقيل معنى
خالق الانسان من عجل أى من طين قال الشاعر * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أى بين الماء والطين وقيل
أراد بالانسان النوع الانسانى يدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا
يستعجلون العذاب وقيل زلت فى النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أى مواعدى فلا تطلبوا العذاب
قبل وقته فأراههم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعنى المشركين (متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما
يقولون ذلك لجهلهم وغفلاتهم ثم بين ما هو لولا الاستهزاء فقال تعالى (لويعلم الذين كفروا حين لا يكفون)
أى لا يدعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السباط (ولا هم ينصرون) أى لا يتبعون من
العذاب والمعنى لو علموا المسأفة واعلى كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
(بل تأتيمهم) يعنى الساعة (بغثة) أى خفاة (فتبهمهم) أى تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أى صرفها ودفعها
عنهم (ولا هم ينظرون) أى لا يجهلون للتوبة والمعذرة (ولقد استهزى برسل من قبلك) أى بما حكى الله من استهزأ
تومك (خالق) أى نزل وأحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أى عقوبة استهزأهم وفيه تسلية
لانى صلى الله عليه وسلم أى فكذلك يحق به ولأعوا بال استهزأهم قوله تعالى (قل من يكأونكم) أى
يحفظكم (بالليل والنهار) اذا انصرفتم فى معاشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم
من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أى عن القرآن ومواظبه (معرضون) أى لا يتأملون فى شئ منها
(أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال
(لا يستطيعون نصر أنفسهم) أى لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدتهم (ولا هم منا
يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا
هؤلاء) يعنى الكفار (وأبأهم) أى فى الدنيا بات أنعمنا عليهم وأمهلتناهم (حتى طال عليهم العمر) أى

(بل تأتيمهم) الساعة (بغثة) خفاة (فتبهمهم) فتحيرهم أى لا يكفونهم بل تفجأهم فتعابهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يقدر
دفعها (ولا هم ينظرون) يجهلون (ولقد استهزى برسل من قبلك خالق) نزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزأهم به بان له فى الانبياء أسوة وان ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق بال استهزؤن بالانبياء ما فعلوا (قل من يكأونكم)
يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من عذابه انما كليل أو نهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أى بل هم معرضون عن ذكره ولا
يخطر ونبههم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذار زقوا الكلاءة منه عرفوا من الكلى وصلحو للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله بسؤالهم عن
السكالى ثم بين أنهم لا يصحبون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكأونهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لسانى أم من معنى
بل فقال لهم آلهة تمنعهم من العذاب تجاوزت معانوا فلنأتم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فبين ان ما ليس
بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا يصحب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل متعنا هؤلاء وأبأهم حتى طال عليهم العمر)

أى ما هم فيه من الحفظ والسكواة الخ وهو من مانع بمنعهم من اهلاكتنا وما كلاً باهم وآباءهم الماضين الاتباع لهم بالحياة الدنيا وماهلاً
كلمتنا غيرهم من الكفار ومهلناهم حتى طال عليهم الامد فقت قلوبهم وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو امل كاذب (أفلا يرون ان اناتى
الارض ننقصها من أطرافها) أى ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها داراً سلاماً وذكر
ياقى يشير بان الله يجزيه على أيدي المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين (٢٦١) وتأتيها غالبية عليها فانقصت من أطرافها

(أفهم الغالبون) أى كفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من أطراف أرضهم أى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا (قل انما أنذركم بالوحي) أى أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شأى على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (اذا ما يندرون) يخسوفون واللام فى الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما يندرون فوضع الظاهر موضع المضمحل للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولن يا ويلنا انما كنا ظالمين) أى ولئن مستهم من هذا الذى يندرون به أدنى شئ لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وقروا انهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لان النسخ يدل على القلة يقول

امتد بهم الزمان فاغتروا (أفلا يرون) يعنى هؤلاء المشركين (ان اناتى الارض ننقصها من أطرافها) يعنى ننقص من أطراف المشركين وتريدنى أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتح ديار الشرك أرضاً فارضاً وقريه فقريه والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستجبون بالعذاب ان انا قد رتتنا فى اتيان الارض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقري مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن ارادتنا فهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام يعنى التقرير مع معناه بل نحن الغالبون وهم الغلوبون (قل) يا محمد (انما أنذركم بالوحي) أى أخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما يندرون) أى يخسوفون (ولئن مستهم) أى أصابتهم (نفحة) من عذاب ربك (قال ابن عباس) طرف وقيل شئ قليل (ليقولن يا ويلنا انما كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما قرءوا على أنفسهم بالظلم والشرك ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ونضع الموازين القسط) أى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها (ليوم القيامة) أى لاهل يوم القيامة قبل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم فى الاعمال فمن أحاطت حسنة بسايتها فاز ونجاو بالعكس ذل وخسر والصحيح الذى عليه أئمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية وتوزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الاقوال أنه ميزان واحد وانما جمع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأله به عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة متاينين المشرق والمغرب فلما رأى غشى عليه ثم أفاق فقال الهى من الذى يقدر ان يعلل كفته حسنات قال باء داود انى اذ ارضيت عن عبدى ملأتهما بتمرة فعلى هذا فى كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض طريقان أحدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيئات فى كفة والثانى أن يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولا نقيم لهم يوم القيامة وزناً قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر ﴿ وقوله تعالى ﴾ (فلا تطلم نفس شيئاً) أى لا تبخس مما لها وما عليها من خير وشر شيئاً (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) معناه انه لا ينقص من احسان بحسن ولا يزداد فى اساءة مسمى وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتيناها أى أحضرناها النجاسى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلاً من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجلاً مد البصر ثم يقول أتسكروا من هذا شيئاً أظلمت كيتبى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذرية قول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله فيقول احضروا ذلك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تطلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاماً والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب

نفحة بعطية ورضخها مع ان بناءها المراد فى المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفحة فى معنى القلة والزرارة يقال نفحة الدابة وهو يرحل ونفحة بعطية ورضخه والبناء للمرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشئ فنعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما فى قوله يا أيها الرسل والوزن اصحاحات الاعمال فى قول (القسط) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانتها فى نفسها قسطاً أو على حذف المضاف أى ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أى لاجلهم (فلا تطلم نفس شيئاً) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشئ مثقال حبة مثقال بالرفع مدنى وكذا فى لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتيناها)

أحضر بها عاوانت ضمير المتكامل لاضافته الى الحبة كعواهم ذهب بعض اصابعه (وكفى بنا حاسبين) عالين حافظين عن ابن عباس رضي الله
 عنهم لان من حفظ شيئا حاسبه وعلمه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وكرا) قبل هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق
 والباطل وضياء يستضاه به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذ كراى شرف أو وعظا وتنبه أو ذ كرا يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخلت
 الواو على الصفات كقوله وسيد احوصورا ونيبا وتقول مررت بزيدا كرايم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين)
 وحمل (الذين) جرح على الوصفية أو (٢٦٢) نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أي يخافونه في الخلاء

(وهم من الساعة) القيامة
 وأهوالها (مشفقون)
 حائفون (وهذا) القرآن
 (ذ كرا مبارك) كذا خير
 غز بالنفع (أزلناه) على
 محمد (أفأنتم له منكرون)
 استفهام توبيخ أي جاحدون
 انه منزل من عند الله (ولقد
 آتينا ابراهيم رسده) هداه
 (من قبل) من قبل موسى
 وهرون أو من قبل محمد عليه
 السلام (وكلبه) بابراهيم
 أو برسده (عالين) أي علمنا
 انه أهل لما آتيناها (اذ) اما
 أن تتعلق بآتينا أو برسده
 (قال لا يسه وقومه ما هذه
 التماثيل) أي الاصنام
 المصورة على صورة السباع
 والطيور والانسان وفيه
 تجاهل لهم ليحقر آلهتهم
 مع علمه بتعظيمهم لها (التي
 أنتم لها عاكفون) أي
 لاجل عبادتها مقيمون
 فلما عجزوا عن الاتيان
 بالدليل على ذلك (قالوا
 وجدنا آباءنا لها عاكفين)
 فقلنا نعم (قال) ابراهيم
 (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في
 ضلال مبين) أراد ان المقادير
 والمقادير منخرطون في

فيها غمسه واطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هي التي توزن لان الاعمال تجسد
 جواهر فتوزن والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بنا عالين حافظين لان
 من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان الحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبسه
 عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء تحقيق بالعقل ان يكون بأشد الخوف منه و يروى عن الشبلي انه
 رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونا فدفعوا * ثم منوا فاعتقوا هكذا سمية الملوك * بالمعاليك رفقا

﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعني الكتاب المفروق بين الحق والباطل وهو التوراة
 وقيل الفرقان لنصر على الاعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل
 الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة وضياء (وذ كرا للمتقين) يعني يتذكرون بعواظها
 ويعملون بما فيها (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلق اذا غابوا عن
 أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أي حائفون (وهذا ذ كرا مبارك) أي كما آتينا موسى
 التوراة فكذلك آتينا القرآن ذ كرا مبارك أي هو ذ كرا لمن آمن به مبارك يتسرك به ويطلب منه الخير
 (أفأنتم) بأهل مكة (له منكرون) أي جاحدون ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد آتينا ابراهيم رسده) أي صلاحه
 وهداه (من قبل) أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير
 (وكلبه عالين) أي انه من أهل الهداية والنبوة (اذ قال لا يسه وقومه ما هذه التماثيل) يعني الصور والاصنام
 (التي أنتم لها عاكفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عاكفين) أي فاقند ينابهم (قال)
 يعني ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطايا بين عبادتكم آياها (قالوا أجهنما بالحق)
 أي بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب (قال بل ربكم رب السموات
 والارض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أي على انه الاله الذي يستحق العبادة
 وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (ونالته لا كيدن أصنامكم) أي لا مكرن بها (بعدان تولوا
 مدبرين) أي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرافى نفسه ولم يسمع ذلك الارجل واحد
 من قومه فأفشاء علمه وهو القائل انما عنانتي يد كرههم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا
 رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم
 يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أحببنا ان يخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه الى
 الارض وقال اني سقيم أشتهي رجلى فتركوه ومضوا فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس نالته لا كيدن
 أصنامكم فسهوهم منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم ومسدت قبل باب الهوسم عظيم
 الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا الى باب الهو
 واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الآلهة وقالوا اذار جعنا وقد تركت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظرا ابراهيم
 اليهم والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم -م على طريق الأستهزاء الاتأ كلون فلما لم يجيبوه قال مالكم

سلك ضلال ظاهرا لا يخفى على عامل وأكذب انتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل يمتنع (قالوا أجهنما بالحق) لا
 بالجد (أم أنت من اللاعبين) أي اجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعاد الان يكون ما هم عليه ضلالا ثم أضرب
 عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثله بالربوبية الملك العلام وحدث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن)
 أي التماثيل فاني بعد المخلوق ويترك الخالق (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين ونالته) أصله والله وفي التناه
 يعني التجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطته ثم رد (لا كيدن أصنامكم) لا كسرتم (بعدان تولوا مدبرين) بعد

ذهابكم عنها الى عبدكم قال ذلك سر من قومه فسميهم رجل واحد فعرض بقوله اني ساقم أي ساقم ليخاف فرجع الى بيت الاصنام (فجعلهم
 جذازا) قطعاً من الجذ وهو القطع جمع جذاة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذي أي تجزؤد تكفيف وخفاف (الا
 كبير اللهم) للاصنام أو للكفار أي فكسرها كلها في يده الا كبيرها فعلق الفأس في عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون)
 فيسألونه عن كسرها فيبتين لهم عجزه أو الى ابراهيم ليخرج عليهم أو الى الله لا راد أو اعجز آلهم (قالوا) أي الكفار حين رجوعهم من عيدهم
 ورأوا ذلك (من فعل هذا يا لهتنا انه لمن الظالمين) أي من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرأته على الآلهة الحققة عندهم بالتوقيع
 والتعظيم (قالوا) معنا في يذ كرههم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لغت الأنا الأول وهو يذ كرههم أي يعيبهم لا بد منه للسمع لانك لا تقول
 سمعت يذ وتسكت حتى تذكراً عما يسمع بخلاف الثاني وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال (٢٦٣) فالمراد الاسم للمسمى أي الذي

يقال له هذا الاسم (قالوا)
 أي غرود وأثراف قومه
 (فالوايه) أحضر و ابراهيم
 (على أعين الناس) في
 تحمل الحال مع في معانيها
 مشاهد أي يمر أي منهم
 ومنظر (لعلهم يشهدون)
 عليه بما سمع منه أو بما
 فعله كأنهم كرهوا عتابه
 بلا بينة أو يحضرون
 عقوبتنا له فلما أحضروه
 (قالوا) أنت فعلت هذا
 يا لهتنا يا ابراهيم قال
 ابراهيم (بل فعله) عن
 المكسبي انه يقف عليه
 أي فعله من فعله وفيه حذف
 الفاعل وانه لا يجوز جاز
 أن يكون الفاعل مسندا
 الى الفتى المذكور في قوله
 سمعت في يذ كرههم أو الى
 ابراهيم في قوله يا ابراهيم ثم
 قال (كبيرهم هذا) وهو
 مبتدأ وخبره والاكثر انه
 لاوقف والفاعل كبيرهم
 وهذا وصف أو بدل ونسب
 الفعل الى كبيرهم وقصده

لا تنطقون فراغ عليهم ضمير باباليمين وجهه ل يكسره ن بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم العظيم علق
 الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (فجعلهم جذازا) أي كسرا قطعاً (الا كبير اللهم)
 أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرج وقيل رباطه على يده وكانت اثني وسبعين صنماً بعضها من
 ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس وورصاص وسحرج وخشب وكان الصنم الكبير
 من الذهب مكالاً بالجواهر في عينيه يا قوتتان تتقدان وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون
 الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهوم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه اعلهم يرجعون الى الصنم
 فيسألونه ما لهؤلاء تكسر واوأنت صحح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهم
 رأوا أصنامهم مكسرة (قالوا) من فعل هذا يا لهتنا انه لمن الظالمين) أي في تكسرها واجترأته عليها (قالوا)
 سمعت في يذ كرههم) أي يسبهم ويعيبهم (يقال له ابراهيم) أي هو الذي نطن أنه صنع هذا فبلغ ذلك غرود
 الجبار وأثراف قومه (قالوا) فأتوا به على أعين الناس) أي جبرأته ظاهراً على من الناس وانما قاله غرود
 (لعلهم يشهدون) أي عليه بانه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون
 عتابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) له (أنت فعلت هذا يا لهتنا يا ابراهيم قال) يعني ابراهيم (بل فعله
 كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسره ن وأراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة
 عليهم فذلك قوله (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) أي حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على
 النطق قدروا على الفعل فأرهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أن انعمت ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ننتين منهن في ذات الله قوله اني ساقم وقوله فعله
 كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي لفظ الترمذي قيل في قوله اني ساقم وقيل ساقم القلب معتم
 بضالته سمعاً وقوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعلى على
 طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختي أي في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل
 هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم
 يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة يذ كره كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام
 صورته صورة الكذب وان كان حقاً في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
 أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها وأخذته بها قال البغوي وهذه التأويلات لنتي الكذب عن
 ابراهيم والأولى هو الأول للعديث ويجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيتهم والاحتجاج
 عليهم كما أذن ليوסף حين أمر مناديه فقال أيها العبرانيين كسار قون ولم يكونوا سر قوا قال الامام فخر الدين

تقر به لنفسه وانما به لعل على أسلوب تعريض تبكيتهم والامام للجمعة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه
 لا يصلح الها وهذا كقولك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخبر شقيق أتيت أنت كتبت هذا وصاحبك أي فقلت له بل كتبت أنت كان قصدك
 بهذا الجواب تقر به لأمع الاستهزاء به لانيه عنك واثباته للام لان اثباته للعاجز منك والامر كأن ينسبك استهزائه واثباته للقادر ويمكن
 أن يقال غاطته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاستد الفاعل اليه لان النعل كما يسند
 الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يعوذ الى تجوزهم منهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعل كبيرهم فان من
 حق من يعبدو يدعي الها أن يقدر على هذا ويحكي أنه قال غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسره ن أو هو متعلق بشرط
 لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفياً لا خبر عنه أي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسألوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه
 وانما أضاف نفسه لهم لا شراً لهم في الحضور (فاسألوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وأنتهم يعلمون عجزهم عنه

(فرجعوا الى انفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذوا بخبايقهم (فقالوا انكم انتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة ما لا يتطابق لامن ظلمتموه حين قاتم من فعل هذا باآلهتنا ان الظالمين فان لا يدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابديه الباس (ثم تكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الاوّل ثم أدرّكتم الشقاوة أي ردوا الى الكفر بعد ان أقرّوا على انفسهم بالظلم يقال تكسوتهم قالته (٢٦٤) جعلت أسفله أعلاه أي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا

عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجلّة سدّت مسدّ مفغولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) تتجامل عليهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) هو في موضع المصدر أي نفعاً (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متعجب ضحير ما رأى من ثباتهم على عبادتهم بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفّف بهم واللام لبيان التأفّف به أي لكم ولا لهتمكم هذا التأفّف أف مدني وحنص أف مكي وشاى أف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها فإلّ لم يتمم الحجّة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لانهم أهول ما يعاقب به وأنظع (وانصروا آلهتمكم) بالانتقام منه (ان كنتم فاعلين) أي ان كنتم ناصرين آلهتمكم

الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب الصلحة ويأذن الله فيه فلنحوز هذا الاحتمال في كل ما أخبر بالانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع وبطرف التهمة الى كلها والحديث يحتمل على المعارض فان فيهما مندوحة عن الكذب وقوله (فرجعوا الى انفسهم) أي تفكروا وبقلوبهم ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما نراه الا كما قال (انكم انتم الظالمون) يعني بعبادتهم ما لا يتكلمون وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذا آلهتمكم حاضرة فاسألوها (ثم تكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الاوّل وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم أدرّكتم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاوّل وهو قوله ثم تكسوا على رؤسهم أي ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي فكيف نسألهم فلما التجّعت الحجّة لآبراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) أي ان عبدتموه (ولا يضركم) أي ان تركتم عبادته (أف لكم) أي تبالغتم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أي أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادّة فلما لم يتمم الحجّة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا آلهتمكم) يعني انكم لا تنصرونه الا بتحريق آبراهيم لانه يعيها ويطنع فيها (ان كنتم فاعلين) أي ناصرين آلهتمكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هبر بن نفس الله به الارض فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله عمرو بن كنعان بن سنجار بن بن عمرو بن كوش بن حام بن نوح

*** (ذكر القصة في ذلك) ***

فلما اجتمع عمر ودوقومه لآحراق آبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقربة يقال لها كوثى ثم جعرو له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفت لاجعن حطباً لآبراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبن في نار آبراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتساباً في دينها وكان الرجل يوصي بشرها الحطب من ماله لآبراهيم فلما جعروا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرقها وقد واعلها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا آبراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ايس جاع وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى آبراهيم فقيدهم ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي بنا لآبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فاذن انما نصرته فقال الله تعالى انه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيره فان استغاث بأحد منكم أو دعاه فليضره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيره فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أماناً خازن المياه وقال ان أردت أن تجتذت النار وأماناً خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال آبراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب ان آبراهيم قال حين أوقفوه ايلقوه في النار لاله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رواه في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا آبراهيم الك حاجة فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال آبراهيم حسبي من سؤالي علم بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبن الله ونعم الوكيل قال قال آبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار وقال الحمد صلى الله عليه وسلم

نصر اموزر فاختراره أهول اعاقبات وهو الاحراق بالنار والافرطتم في نصرته والذي أشار باحراقه عمرو بن لورجل من حين اكراد فارس وقيل انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً بكرثى وجعروا شهرها أصناف الخشب ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسئل ربك قال حسبي من سؤالي علم بحالي وما أحرق النار الا وناقه وعن ابن عباس انما سجد بقوله حسبي الله ونعم الوكيل

(قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما) أي ذات برد وسلام
فبولغ في ذلك كان ذاتها
برد وسلام (على ابراهيم)
أراد بردي فيسلم منك
ابراهيم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لم يقل ذلك
لأهلكته ببردها وإنما
الله تعالى نزع عنها طبعها
الذي طبعها عليه من الحر
والاحراق وأبقاها على
الاضاعة والاشراق كما كانت
وهو على كل شيء قدير
(وأرادوا به كيدا) أحراقا
(فجعلناهم الانحسرين)
فارسل على غرود وقومه
البعوض فآكلت لحومهم
وشربت دماءهم ودخلت
بعوضة في ماع غرود
فأهلكته (ونجيناها) أي
ابراهيم (ولو طأ) ابن أخيه
هاران من العراق (التي
الارض التي باركنا فيها
للعالمين) أي أرض الشام
وبركها ان أكثر الانبياء
منها فانتشرت في العالمين
آثارهم الدينية وهي أرض
خصب يطيب فيها عيش
الغنى والفقر وقبل مامن ماء
عذب في الارض الا وينبع
أصله من صخرة بيت المقدس
روي انه نزل بفلسطين ولو ط
بالموت فسكة وبينهما مسيرة
يوم وإبله وقال عليه السلام
انها ستكون هجرة بعد
هجرة فخبار الناس الى مهاجر
ابراهيم (وهبنا له اسحق

حين قال لهم الناس ان الناس قد جعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفى عنه النار الا الورد فانه
كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الورد في بلاد البخارى وقال
كان ينفخ على ابراهيم (قلنا) أي قال الله عز وجل (يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لو لم
يقبل سلامات ابراهيم من بردها في بعض الآ نار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفت فلم ينفخ في ذلك
اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات بردا وقيل أخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه
على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أجر ورجس قال كعب ما أحرقنا من ابراهيم الا ناقة قالوا وكان
ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو وقال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم مني من الايام التي كنت
في النار قيل وبعث الله تعالى ملكا الظل في صورة ابراهيم فقعده الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز
وجل جبريل قميص من حر الجنة وطفنفة فأنبسه القميص واقعدته على الطنفسة وقعد معه يتحدث وقال
جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضرب احبائي ثم نظر غرودا وشرف على ابراهيم من صرح
له فراه بالساقى روضة والمالك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهلك الذي بلغت
قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أمتك ان تضرك
قال لا قال نعم فخرج منها فقام ابراهيم عشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل
الذي رأيته معك مثلك في صورتك قاعد الى جنبك قال ذلك ملك الغل أرسله الى ربي ليؤنسي فيها فقال
غرود يا ابراهيم اني مقرب الى الهلكة فانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الاعبادته
وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تغارقه وترجع
الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها فذبحها غرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ومنعه الله عز وجل منه قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) أي أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم
الانحسرين) قيل بعناهم خسروا والسعي والنفقة لم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على غرود
وقومه البعوض فآكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في ماعه بعوضة فأهلكته قوله تعالى (ونجيناها
ولو طأ) يعني من غرود وقومه (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب
وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه مامن ماء عذب
الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي قتادة ان
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام أكثر الله من أرضه ومبها أكثره من
عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد
هجرة فخبار أهل الارض أزمهم مهاجر ابراهيم أخرجه أبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام
رغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوي لاهل الشام فقلت وما ذلك
يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي عن هز بن حكيم عن أبيه عن جده قال
قلت يا رسول الله أن تأمرني قال ههنا ونحبايده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب
لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من غرود
وملتهم وآمنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران
وهو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناحور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو أزر فخرج ابراهيم من كوثي
من أرض العراق مهاجرا الى ربه ومع لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادته حتى
نزل حران فكثبها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من
أرض فلسطين ونزل لوط بالموت فسكة وهي على مسيرة يوم وإبله من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها وما قرب
منها ذلك قوله تعالى ونجيناها ولو طأ الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى (وهبنا له اسحق

ويعقوب نافله) قيل هو مصدرك العافية من غير لفظ الفعل السابق أي وهبناه هبة وقيل هي والد الولد وقد سأل ولدا فأعطيه وأعطى يعقوب نافله أي زيادة وفضل من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) أي إبراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول الأول لقوله (جعلنا) والثاني (صالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في الدين (يهودون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا لهم فعل الخبرات) وهي جميع الأعمال الصالحة وأصله ان تفعل (٢٦٦) الخبرات ثم فعلا الخبرات ثم فعل الخبرات وكذلك قوله (واقام الصلوة وابتاء الزكوة)

والأصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا لنا عابدين) لا للاصنام فانهم يامعشر العرب أولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك (ولو طأ) انتصب بفعل يفسر (آتيناه حكما) حكمة وهي ما يجب فعله من العمل أو فضلا بين الخصوم أو نبوة (وعلمنا) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهي سدوم (التي كانت تعمل الخبائث) اللواط والضرط وحذف المارة بالخصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وادخلناه في رحمتنا) في أهل رحمتنا أو في الجنة (انه من الصالحين) أي جزاءه على صلاحه كما أهلكنا قومهم عقابا على فسادهم (ونوحا) أي واذا كرونوحا (اذنادى) أي دعاه على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجيبنا له) أي دعاهم (فجيبناه وأهله) أي المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من

ويعقوب نافله) أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافله وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم أئمة) أي قدوة يقتدى بهم في الخير (يهودون باسرا) أي يدعون الناس الى ديننا باسرا (وأوحينا لهم فعل الخبرات) أي العمل بالشرائع (واقام الصلوة) أي المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) أي الواجبة وخصه مالان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذلك الله والذكاة أفضل العبادات المالية وتجمعها ما لتعظيم لاسم الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) أي موحدون قوله عز وجل (ولو طأ آتيناه حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلمنا ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث آيات الذكور في أدبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بهم الثواب (انه من الصالحين) يعني الانبياء قوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل) أي من قبل ابراهيم ولوط (فاستجيبنا له) أي أجبتنا دعاهم (فجيبناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من العرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاعا للكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فأغرقتناهم أجمعين) قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرب) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان المارث كرم ما قد نزلت عن عقيدته وقيل كان زرعاً وهو أشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) أي رعيته ليلافسدهه وكانت بلاراع (وكننا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا و امر أي من لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع اثنتان لقوله وكننا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلتا على داود أحدهما صاحب حرب والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلافسدهه ففقدت فيه فافسدهه فلم تبق منه شيئا فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فغضب جافرا على سليمان فقال كيف قضيت بينكما فاجاب داود فقال سليمان لو وليت أمرك لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى وروى انه قال له بحق النبوة والابوة الاما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرب يفتق بذرهما ونسلها وصورها ومانعها ووزع صاحب الغنم لصاحب الحرب مثل حرثه فاذا صار الحرب كهيئته يوم أم كل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء عما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدهه الماشية المرسله من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربه وما أفسدهه بالليل ضمنه ربه لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محبصة ان نافلة ابراهيم بن عازب دخلت حائطه ليل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشى حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسل وذهب أصحاب الراى أن المسالك اذ لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلاً كان أو نهاراً فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمناه وألهمناه حكم

القضية

القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أي من اذاهم (انهم كانوا قوم سوء فأغرقتناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم

ذكرهم وانشاهم (وداود وسليمان) أي واذا كرهما (اذ) بدل منهما (يحكمان في الحرب) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلافسدهه وفسدته والنفس انتشار الغنم ليل بلاراع (وكننا لحكمهم) أرادهما والمتحكما الهما (شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا و امر أي منا (ففهمناها) أي الحكومة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه

وقصته ان الغنم رعت الحرت وفسدته بلاراع ليدلنا فتحا الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرت وقد استوت فبهاهما أى قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرت فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالقرى يقين فعزم عليه ليحكم من فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرت ينتفعون بالبنها وأولادها وأصوافها والحرت الى رب الغنم حتى يصلح الحرت ويعود كهيئته يوم أفسدتم بتراد ان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم فإمامي شريعتنا فلا ضمان (٢٦٧) عند أبي حنيفة وأصحابه رضى

الله عنهم بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهية سابق أو قائدا وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم أرسلوها أو نضع الضمان بقوله عليه السلام الجماعة جبار وقال مجاهد كان هذا صالحا وما فعله داود كان حكما والصلح خير (وكلا) من داود وسليمان (آتيناحكما) نبوة (وعلمنا) معرفة بموجب الحكم (وسخرنا) وذلكنا (مع داود الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (الطير) معطوف على الجبال أو مفصول معهما وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الاعجاز لانها جاد روى انه كان يمر بالجبال مسجوهاى تجاوبه وقيل كانت تسير معهما حيث سار (وكفا علمين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدرع واللبوس

القضية (وكلا) يعنى داود وسليمان (آتيناحكما وعلما) أى بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكم قد هلكوا ولو كان الله جده هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء فى أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكى بالا جتهاد وقال ويجوز الاجتهاد لان نبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد فى الحوادث اذ لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطأوا فلاثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فخطأ فله أجر واحد ومن قال به - ذايقول لا يجوز لان نبياء الحكم بالا جتهاد لانهم مستمعون عنه بالوحي واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيب بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطأ عنه وموضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم ان داود وقوم قدر الضرر فى الحرت فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب فى ذلك الضرر فى الحرت قيمة المثل فلا حرم - سلم الغنم الى المجنى عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فإما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت مواز به لمنافع الحرت فحكم به ومن أحكام داود وسليمان علم - ما السلام ماروى عن أبي هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب باين احدهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحا كذا الى داود فقضى به للابى فخر جتا على سليمان بن داود فاخبرناه فقال اثنتونى بالسكين أشقه بينهما - ما فقالت الصغرى لا تفعل رحلت الله هو ابنا فقضى به للصغرى أخرجاه فى الصححين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا قرأ بسم الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويستاق اليه (وكفا علمين) يعنى ما ذكر من التهنيم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقات داود وكانت من قبل صفاخ قالوا ان الله ألان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخفصة والحصاة وهو قوله تعالى (الخصمكم) أى تمنعكم (من باسكم) أى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليخصمكم الله به (فهل أنتم شاكرون) أى يقول ذلك داود وأهل بيته قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف متمتع بلطفه من القبض عليه بظاهر اللحم بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) أى شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشتد اشتدت وان أراد أن تلين لانت (تجرى بامرهم) الى الأرض التى باركنا فيها) يعنى الشام

اللباس والمراد الدرع (لخصمكم) شامى وخصص أى الصنعة وبالنون أبو بكر وجمادى الله عز وجل وبالياء غيرهم أى اللبوس وألله عز وجل (من باسكم) من حرب عدوكم (فهل أنتم شاكرون) استفهام بمعنى الامرأى فاشكر والله على ذلك (ولسليمان الريح) أى وسخرنا الريح (عاصفة) حال أى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجرى بامرهم) بامر سليمان (الى الأرض التى باركنا فيها) بكثرة الانهار والشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بم واتعمله الريح من فواحي الارض اليها

وذلك لانها كانت تجرى بسايمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكما بكل شئ عالمين) أي بصحة التدبير فيه وعلما ان ما يعطى سايمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لرب به قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امر أغزاء فلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا انه حتى يناله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضر به بخشب ثم نصب له على الخشب ثم جعل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا جعل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهر في روحته وشهر في غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمرزعة فاستحركها ولا تشير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بنا حديقته مكتوب فيه كسبه بعض صحابة سليمان اما من الانس أو من الجن نحن نزلناه وما بنيناها ومبينا وجدنا غدونا من اصطفخر فقلناه ونحن رايتون منه ان شاء الله فنزلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين اسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهباني ابراهيم وكان يوضع له من ذهب ووسط البساط فيقعد عليه وسحوه ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الراح وقال الحسن لما شعلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فمقر الخيل فابده الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحا به بيابل وروى ان سليمان سار من أرض العراق فقال بعد نيسة بلغ متخلا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر و يروح على مثل ذلك ثم عطف بمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فترها أياما وغدا منها فقال بكسرك ثم راح الى الشام وكان مستقره بعد نيسة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوهاله بالصالح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الاسليمان اذ قال الممسلة * قم في البرية فاحدد هاهن القند

وجيش الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفايح والعمد

قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخر ناله من الشياطين (من يغوصون له) أي يدخلون تحت الماء فيخربون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصناعات العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآتية ويتجاوزون في ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كالتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكالهم حافظين) أي حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا أو ذلوا ذلك أنهم كانوا اذا عملوا في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لا يفسد ما عمل ويخبره ﴿قوله تعالى﴾ (وأيوب اذا نادى ربه) أي دعا ربه

* (ذكر قصة أيوب عليه السلام) *

قال وهب من منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه وبناه وبسط له الدنيا وكانت له البشينة من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كاهاسهلهما وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كاه من الابل والبقر والغنم والخيل والحبر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أمان لكل أمان من الولا اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان براتبين حبيبا بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف وبلغ ابن السبيل وكان شاكر الانعم الله مؤدبا

(وكما بكل شئ عالمين) وقد أحاط علما بكل شئ فتجسرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علما (ومن الشياطين) أي ومخترنا منهم (من يغوصون له) في البحار بأمره لاستخراج الدر وما يكون فيها) ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقصور والحفان (وكما لهم حافظين) ان يزيغوا عن أمره أو يسدلوا أو يوجبدهم فساد فيهمهم مسخرون فيه (وأيوب) أي واذا كرى أيوب (اذ نادى ربه)

لحق الله فدا من منع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من العرة والعقاة والتشاغل عن
 أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر
 وقيل نعيم ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء اعمال وكان ابليس لا يحب
 عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله عيسى فحسب عن أربع فلما بعث محمد صلى
 الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب
 وذلك حين ذكره الله وثني عليه فأدرك ابليس الحسد والبغى فصعد سر يعا حتى وقف من السماء حيث كان
 يقف وقال الهى نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فثكرت وعافيته فحمدك ولو
 ابتليت به بنزع ما أعطيت له لخال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق
 فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين
 وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها
 الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ اتي
 عليه قال ابليس اذهب فأت الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى نار من
 تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قديم من
 كانوا عليها على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك وأحرقتها ومن فيها
 غيري فقال أيوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله وأعطانيها وهو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو أولى
 بها اذا شاء فزعها قال فتركت الناس مهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان
 الا في غير ورومهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على ان يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل
 ما فعل ليشتم به عدوه ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من
 بطن أمي وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك
 وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خبير النقل ورحل مع تلك
 الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فانحرك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من
 القوة فأتى لم أكلم قلبه قال عفريت من الجن عندي من القوة ما اذا شئت صحت صحبة لا يسمعها ذوروح
 الاخر جت روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صحبة فحشمت أمواتا من عند
 آخرها وومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بهرمان الرعاة الى أيوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد
 عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلب أيوب فقال
 عفريت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت رجاء صفة تنسف كل شئ تأتي عليه قال فات الفدادين
 في الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعر واحدا حتى هبت ريح
 عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كان لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بهرمانهم الى أيوب وهو قائم يصلي
 فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره
 كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر
 والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أتى ماله ولم يخرج منه بشئ صعد سر يعا حتى وقف في الموقف
 الذي يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى النمامتعة بولده فأت معطيه المال فهل أنت مسلط على ولده
 فان المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله
 حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزلهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها
 بعضها رميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثله رفع القصر وقلبه عليهم وصار وامنكسبين وانطلق الى
 أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجع بسبيل دمه فأخبره وقال لو رأيت
 بنيتك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسبيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت

بطونهم فتنازرت أعمارهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رث أوب وبكى وقبض قبضة من
 التراب فوضهها على رأسه وقال يا ليت أحيى لم تلدني فأغتمت ابليس ذلك فصعد سر يعا بالذي كان من جزع أوب
 مسرورا به ثم لم يلبث أوب أن فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله
 وهو أعلم فوقف بابيس خاسئا ذليلا وقال الهسى انما هوون على أوب المال والولدانه يرى انك ما تمتعت بنفسه
 فأنت تعبد له المال والولد فهل أنت مسل على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطت على جسده
 ولكن ابس لك سلطان على لسانه وقابه وقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب
 ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو
 الله بابيس سر يعا اليه فوجد أوب ساجدا فجل قبل أن يرفع رأسه فأنامه من قبيل وجهه فمفخ في منخر به
 نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنيه إلى قدمه نائل مثل البات الغنم ووقعت فيه حكمة فلك باطفاوه
 حتى سقطت كاهنم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحل حتى قرح
 لحمه وتقطع وتغير وأنت فأخرجه أهل القرية فغلبوه على كاسة لهم وجعلوا له عربشة ورفضه خلق الله كاهنم
 غير امراته وهي رجمة بنت افراتيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختاف اليه بما يصلمه وتزومه فلما رأى
 الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوادينه فلما طال به البلاء انطلق اليه
 أصحابه فبكوا ولا موه وقالوا تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم حتى حديدت السن قد
 آمن به وصدقهم فقال لهم الفنى انكم تكلمتم أيها الكهول وانتم أحق بالكلام منى لسانكم ولكن تركتم
 من القول ما هو أحسن من الذى قائم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم
 وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرن أيها الكهول حق من انتقصتم
 وحرمة من انتكتم ومن الرجل الذى عبتهم وانتم متهم ألم تعلموا ان أوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل
 الارض الى يومكم هذا ثم تعلموا ولم يطالعكم الله على انه سخط شيئا من أمره منذ آناه الله ما آناه الى يومكم هذا
 ولا على انه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه الله بها اولان أوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتوه
 الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ورضعتم في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يتلى
 المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين ولبس بلاؤه ولا ولد ذليلا على سخطه عليهم ولا هو انهم عليه
 ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أوب ليس من الله بم هذه المنزلة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان
 لا يجمل بالحليم ان يعذل أساه عند البلاء ولا يعبره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكر وبخزين ولكنه روجه
 ويكسى ويستغفر له ويحزن لحزنه ويبدله على مرأشدا أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فانه الله أيها
 الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكري الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان الله عبادا
 أسكتهم الخشية من غيرى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء المتغاة النبلاء الالباء المعلمون بالله ولكنهم اذا
 ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما الامر
 الله واجلالا فاذا اشتافوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخطائين
 وانهم لم لا يزال برأع ومع المقصرين المفرطين وانهم لا يكاسنقوا بأه قال أوب عليه السلام ان الله نزرع
 الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب بظهورها الله على اللسان وليست تكون الحكمة
 من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيم فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون
 من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أوب على الثلاثة وقال أتيتموني غضا بارهبتهم قبل ان
 تسترهبوا وبكيتهم قبيل ان تضربوا كيفى لوقلت تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله ان يخلصنى أو فرى بواعنى
 فرى بانا لعل الله ان يقبله ورضى عنى وانكم قد أعجبتم أنفسكم وطنتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو
 نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لو جدتم انكم عبوا بقدرته الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم
 فيما خسلا توفرونى وانامسوع كلامي معروفي حتى منتصف من خصمى فأصبحت اليوم وليس لى رأى ولا

كلام معكم فأنتم كنتم أشد علي من مصيبتى ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه
 فقال يا رب لا ي شئ خلقتني لبنتي اذ كرهتني لم تخافني بالبنتي عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت
 فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فالحقني يا رباني فالأوت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا
 وللمسكين قرارا ولليتيم وليا ولا لرملة قهرا الهى انا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبئس ذلك
 عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللغنة نصيبا وقد وقع على من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف
 يحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى أذاني وان سلطتك هو الذى أسعقتني وانحل جسمي ولو ان ربى نزع
 الهيبة التى فى صدرى وأطاق لسانى حتى أتكم على فى فأدلى بعذرى وأتكم ببراءتى وأخلصم عن نفسى
 لر جوت ان يعافيني عند ذلك مما بى ولكنه القانى وتعالى عنى فهو برانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعها فلما قال
 ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودى يا أيوب ان الله يقول له أنا قد نوت
 منك ولم أزل منك فرياقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخلصم عن نفسك واشدد أزرارك وقم مقام جبار
 يخلصم جبار ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخلصمى الاجبار مثلى لقد منك نفسك يا أيوب أما يبلغ لك الله
 مثلك أم أنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معى تدب اطرافها هل علمت باى مقدار
 قدرتها أم على أى شئ وضعت الكافها أبطاعتك حل الماء الارض أم يحكمك كانت الارض للماء غطاء
 أم كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقبلها دعم من تحتها هل يبلغ من
 حكمك ان تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أم كنت منى يوم أنبت الانهار
 وسكنت البحار أبطاعتك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها
 أم كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل تدرى على أى شئ أرسيتها أم باى مقدار
 وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدرى من أين الماء الذى أنزلت من السماء أم هل تدرى من
 أى شئ أنشأت السحاب أم هل تدرى من خزانة الثلج أم من جبال البرد أم من خزانة الليل بالنهار وخزانة
 النهار بالليل وأين خزانة الريح وبأى لغة تتكلم الأشجار ومن جعل العقول فى اجواف الرجال وشق
 الاذنين والابصار ومن ذلت الملائكة ملكه وقهر الجبارين بحبرونه وقسم الارزاق بحكمته فى كلام كثير
 يدل على آثار قدرته ذكرها لاوب فقال أيوب صغر شأنى وكل لسانى وعقلي ورأى وضعفت قوتى عن هذا
 الامر الذى يعرض على الهى قد علمت ان كل الذى قد ذكرت صنع يديك وتدير حكمك وأعظم من ذلك
 وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شئ ولا تخفى عليك خافية الهى أو ثقنى البلاء فتكلمت ولم أملك نفسى
 فكان البلاء هو الذى انطقنى لبث الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكم بشئ يسخطك ربى ولبنتى مت
 بغمى فى أشد بلائى قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذرى وسكت حين سكت لترحمنى كلفتمت منى فان
 أعود وقد وضعت يدي على فى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى أعوذ بك اليوم منك واستجير
 بك من جهد البلاء فأجرتنى واستغيت بك من عقابك فأغثنى واستعيتك على أمرى فأعسنى وأتوكل عليك
 فأكفنى وأعتصم بك فأعصمنى واستغفرك فأغفر لى فان أعوذ لشيئ تسكره منى قال الله تعالى يا أيوب نفذ
 فيك علمى وسعقت رحتى غضبى فقد غفرت لك ورددت عليك أهالك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك
 آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فأركض برجلك هذا مغتسل باردا وشراب فنه تناول وقرب عن
 أصحابك قربا ناواستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك وروى عن أنس رفعه ان أيوب لبث بيلاثة ثمانى عشرة
 سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطر وحاعلى كاسة
 لبني اسرائيل سبع سنين وأشهر اختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رجعة صبرت معه بصدق وكانت تأتية
 بالطعام وتحمدا لله معه اذا جرد أيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ باليس
 صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا أما أخرجك قال أعياى هذا العبد الذى لم
 ادع له مالا ولا ولدا ولم يزد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته فترحمه ملائكة على كاسة لا تقربه الا امرأته

فاستعنت بهم لتعينوني عليه فقالوا له فإني مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب
 فاشهر وأعلى قالوا من أين أتيت آدم حين أخرجه من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فاشأناك يا أيوب من قبل
 امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصها وليس يقربه أحد غيرهما قال أصبتم فانطلق إبليس حتى أتى رحمة امرأة
 أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صور رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذلك يحك قروحه ويتردد
 الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة تجزع فوسوس إليها كرها ما كانت فيه من النعم
 والمال وذكركها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وإن ذلك لا ينقطع عنه أبدًا فصرت فعلتم انهما قد
 خزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذه أيوب ويرأبغاءت تصرخ يا أيوب حتى متى بعد بك ربك أين المال
 أين الولد أين الصديق أين لونه الحسن أين جسمك الحسن أذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب أنك عدو
 الله فنفخ فيك وبلك أرايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم تمنعنا به قالت
 ثمانين سنة قال فخذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال وبلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء
 ثمانين سنة كما كلفي الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لجلدتك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله
 طعامك وشرايك الذي تأتيني به على حرام أن أذوق منه شيئاً اعزبي دعيني فلا أراك فطاردها فذهبت فلما
 نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرسا جدد الله وقال رب (التي مسني الضر وأنت أرحم
 الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برحلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم
 يبق عليه من درنه ودائه شيء ظاهر الا سقط وعاد شباباه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين
 أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحوا وكسى جلده فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان
 عليه وما كان له من أهل ومال الا وقد ضعفه الله وذكرك لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا
 من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا أيوب ألم أعنتك قال بلى ولكنهما ركبتك فن شبع منها قال فخرج
 حتى جاس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ارايت ان كان طردني الى من أكله اذ دعيت موت جوعا وضيع
 فانا كله السباع لا رجوع اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحلة التي كانت تعرف راذ الامور قد
 تغيرت فجمعات تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني أيوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله
 عن أيوب فدعاها وقال ما تريد يا أمة الله فبكيت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبذ اعلى الكناسة
 لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبكيت وقالت بعلي فقال هل تعرفينه اذ أرايتة قالت وهل
 يخفى على أحد رآه ثم جمعات تنظر اليه وهي تمهايه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيا قال فإني أنا
 أيوب الذي امرتني أن أذبح سخلة لابليس وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين
 وقال وهب لبنت أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة
 ليست كههيئة بني آدم في العظام والجسم والجمال على مركب إبليس من مركب الناص له عظامهم وجهاء فقال
 لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال اناله الارض وانا الذي صنعت
 بصاحبك ما صنعت لانه عبد الله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل
 ما كان لسك من مال وولده فانه عندي ثم أراها اياه يبطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان إبليس
 قال لها اجد لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد واعاني زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال
 لها وما أراها قال لقد أكل عدو الله لية تمنك عن دينك ثم أقسم ان عافاه الله ليضرب بهما مائة جلدة وقال عند ذلك
 مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له ودعاؤه اياها وياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة
 أيوب بصبرها معه على البلاء وخفض عليها وأراد ان يبري عين أيوب فامر ان يأخذ غنما يشتمل على مائة عدد
 صغير فيضرب بها ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدرد الى قلبه ولسانه يخشى ان يفتر عن
 الذكرك والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قيل في حقك لو كان لك
 عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها فأنته بطعام

(أني) أي دعا باني (مسني
 الضر) الضر بالفتح الضر
 في كل شيء وبالضم الضر
 في النفس من مرض أو
 هزال (وأنت أرحم
 الراحمين) العطف في السؤال
 حيث ذكر نفسه بما يوجب
 الرحمة وذكر ربه بغاية
 الرحمة ولم يصرح بالطلب
 فكانه قال أنت أهل ان
 ترحم وأيوب أهل ان يرحم
 فارحمه واكشف عنه الضر
 الذي مسه عن أنس رضي
 الله عنه أخبر عن ضعفه
 حين لم يقدر على النهوض
 الى الصلاة ولم يشتمل وكيف
 يشك من قيل له ان اوجدناه
 صابرا نعم العبد وقيل انما
 شك اليه تلذذا بالنجوى
 لامنه تضرر وبالشكوى
 والشكاية اليه غاية القرب كما
 أن الشكاية منه غاية البعد

(فاستجبنا له) أجبنا دعاه
 فكشفنا ضره انعاما به
 (وآتيناه أهله ومثلهم
 معهم) روى ان أئوب عليه
 السلام كان روميا من ولد
 اسحق بن ابراهيم عليه
 السلام وله سبعة بنين وسبع
 بنات وثلاثة آلاف بعير
 وسبعة آلاف شاة
 وخمسمائة فدان يتبعها
 جسمائة عبد لكل عبد امرأة
 وولد ونخيل فابتلاه الله
 تعالى بذهاب ولده وماله
 ومرض في بدنه ثمانى عشرة
 سنة أو ثلاث عشرة سنة أو
 ثلاث سنين وقالت له امرأته
 يومالودعوت الله عز وجل
 فقال كم كانت مدة الرخاء
 فقالت ثمانين سنة فقال أنا
 أستحي من الله أن أدعوه
 وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى
 فلما كشف الله عنه أحيا
 ولده بأعيانهم ورزقهم مثلهم
 معهم (رحمتن عندنا)
 هو مؤسول له (وذكري
 للعابدين) يعنى رحمة لا يوب
 وتذكره لغيره من العابدين
 ليصبروا كصبره فثابوا
 كتوابه (واسماعيل) بن
 ابراهيم (وادريس) بن
 شيث بن آدم (وذالكفل)
 أى اذ كرههم وهو الياس
 أوز كريا أو يوشع بن نون
 وسمى به لانه ذوالخط من
 الله والكفل الحفا كل من
 الصابرين أى هؤلاء
 المذكورون كلهم
 موصوفون بالصب

والثالث قول ابليس انى أداويه على أن يقول أنت شفيتنى وقيل مسنى الضرأى من شماتة الاعداء حتى
 روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا
 وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية
 وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب
 انما أشكوى بنى وخزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله
 تعالى لا يكون ذلك حزنا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فى مرضه فقال
 كيف تجدك قال أجدنى مغموما وأجدنى مكروا وقال لعائشة حين قالت وارا أساء بل أمارا أساء ﴿قوله
 تعالى (فاستجبنا له) أى اجبنا دعاه (فكشفتنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله
 فنبعت عين ماء فمره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامر ان يضرب
 برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء باردا فمره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه
 فصار كاصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسر من رد الله اليه
 أهله واولاده بأعيانهم احياءهم الله واعطاهم مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى ان الله
 رد الى المرأة شيئا من اولادها ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن أنس رفعه انه كان
 له أندران أندرا للقمح واندرا للشعير فبعث الله سبحانه فى أندراهما على أندرا القمح الذهب وأفرغت
 الاخرى على أندرا الشعير الورق حتى فاضا وروى أن الله تعالى بعث اليه مالا كما قال له ان ربك يقربك السلام
 بصبرك فخرج الى اندرك ففرج اليه فأرسل الله عليه حراد من ذهب فذهبت واحدة فاتبعتها وردها الى
 أندره فقال له الملك مايكفيلك ما فى أندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركانه (خ) عن أبى
 هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أئوب يغتسل عريا ناخر عليه حراد من ذهب فجعل أئوب يحسنى
 فى ثوبه فناداه ربه يا أئوب ألم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكنى لا غنى لى عن بركتك وقيل آتى الله
 يوب مثل أهله الذين هلكوا وقال عكرمة مزيل لا يوب ان اهلك فى الآخرة فان شئت علمناهم لك فى الدنيا وان
 شئت كانوا لك فى الآخرة وأتيناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الآخرة وارتى مثلهم فى الدنيا فعلى
 هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمتن عندنا)
 أى نعمته (وذكري للعابدين) أى عظة وعبرة لهم ﴿قوله عز وجل (واسماعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليه
 وسلم (وادريس) هو اخنوخ (وذالكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله أمر أئوب وصبره على البلاء
 أتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه
 صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادريس فقد تقدمت قصته وأما ذالكفل فاختلغ وافته قبيل ان نبيا من بنى
 اسرائيل وكان ملكا أوحى الله اليه انى أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فن تكفل انه
 يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطرو يقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام
 شاب فقال أنا تكفل لك بهذا فتكفل وفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذالك الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى
 أستخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلثا
 أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدر به العين فقال أنا فردد ذلك اليوم وقال
 مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فاتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف
 حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومه فدون الباب فقال من هذا فقال شيخ
 كبير مظالم فقام ففتح الباب فقال ان بنى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلاوا وفعلاوا جعل يماول عليه
 حتى ذهبت القائلة فقال اذ ارحت فانتبى حتى أخذ حقل فانتقل وراح فكان فى مجاسه ينظر هل يرى الشيخ
 فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة
 وقال وأخذ مضجعه فى الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظالم ففتح له وقال له ألم أقل اذا عدت فانتبى قال

أى اذ كر صاحب الحوت
والنون الحوت فأضيف
اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال
أى مرانما لقومه ومعنى
مغاضبته لومه انه أغضبهم
بفارقة تملقوهم حلول
العقاب عليهم عندها
روى انه برم بقومه اطول ما
ذكرهم فلم يعظوا
وأفاموا على كفرهم فراغهم
وظن أن ذلك يسوغ حيث
لم يعمله الا غضبا لله وبغضا
للكفر وأهله وكان عليه أن
بصار وينتظر الاذن من
الله تعالى في المهاجرة عنهم
فابتلى ببطن الحوت (فظن
أن لن نقدر) نضيق (عليه)
وعن ابن عباس رضى الله
عنهما انه دخل يوما على
معاوية فقال لقد ضربتني
أمواج القصر أن البارحة
ففرقت فيها فم أجد لنفسي
خلاصا الا بك قال وماهى
يامع اوية فقر الآية فقال
أو يظن نبي الله أن لا يقدر
عليه قال هذا من القدر
لامن القدرة (فنادى فى
الظلمات) أى فى الظلمة
الشديدة المتكاثفة فى بطن
الحوت كقوله ذهب الله
بنورهم وتركهم فى ظلمات
أو ظلمة الليل والبحر و بطن
الحوت (أن) أى بأنه
(لا اله الا أنت) أو بمعنى
أى (سبحانك انى كنت من
الظالمين) لنفسى فى خروجى
من قومي قبل أن نادى

انهم أخبت قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقلك واذا فت سجدونى قال فانطلق فاذا جلست فانتى
وفاتته القائلة فلما اجلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله
لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام بغيا فلم يأذن
له الرجول فلما أعياءه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستبقت
فقال يا فلان ألم أمرك قال أمان من قبلى فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كجأ غلقه واذا
الرجل معه فى البيت فقال أتنام والخصوم يبالبك فنظر اليه فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعبيتنى وفعلت
ما فعلت لا غضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف فى نبوته فقيل كان نبيا
وهو الياس وقيل هوز كريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما أنعم به
عليهم من النبوة وصيرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) أى
واذ كر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن
عباس فى رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصاها وبقى
منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيبا النبي أن سر الى خزير الملك وقل له بوجه نبيا قويا فأتى فى قلوب
أولئك حتى برسوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك من ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه
قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك بالخروجى قال لا قال فهل سمعنى الله
لك قال لا قال فهنا غيري أنبياء اقويا فأوحى الله اليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحجر الروم فركب
وقيل ذهب عن قومه مغاضبا اليه لما كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم
جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحياء منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة
من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذبا بالاكراهية لحكم الله وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم
يقتلون من جربوا عليه الكذب نغشى أن يقتلوا له ما بانهم العذاب اليه بعد ذهب مغاضبا وقال ابن عباس
أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم فقال التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب
وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل أنقال النبوة تنسخ
تحتها تنسخ الى ريع تحت الجمل الثقيل فقد فهمان يديه وخرج هار با منها فلذلك أخرج الله من أولى العزم
من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كاصبرا ولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت
وقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أى ان لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس فى روايه عنه وقيل معناه فظن
أن لن نقضى عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يعجز به فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا اليه
واستره الشيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبى الله أن يده لاشيطان فقد ذقه فى بطن
الحوت فسكت فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقبل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم
الارض السابعة فتاب اليه وراجع نفسه فى بطن الحوت (فنادى فى الظلمات) أى ظلمة الليل وظلمة البحر
وظلمة بطن الحوت (أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) أى حيث عصيتك وما صنعت من شئ
فلم أعبد غيرك فأخبره الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة عن روفع قال أوحى الله تعالى الى الحوت ان
خذوه ولا تخدش له لجأولا تكسر له عظما فاخذوه ثم أهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر
سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت
فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ابننا سمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى روايه صوتا معروفا من مكان مجهول
فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحسبته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم
وليلة عمل صالح قال نعم فسقوا له عند ذلك فأمر الحوت فقد ذقه فى الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له
ونجيناها من الغم) أى من تلك الظلمات (وكذلك نجى المؤمنين) أى من الكروب اذا دعوا واستغاثوا

فى الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجبنا له وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه بالنظم (فاستجبنا له بنا
ونجيناها من الغم) غم الزلة والوحشة والوحدة (وكذلك نجى المؤمنين) اذا دعوا وناوا استغاثوا بنجى شأى وأبو بكر بأدغام النون فى الجيم عند

البعض لان النون لا تدغم في الجيم وقيل تقد ره يحيى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا واصل الفعل الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز وفيه تسكين الياء بانه الضرورات وقيل اصله نهي من النبي صلى الله عليه وسلم فذقت النون الثانية لاجتماع النونين كما حدثت احدي التاءين في تنزل الملائكة (وزكر يا اذنادي ربه رب لا تدنني فردا) قال ربه ان ترزق ولدا مرتة ولا يدعه وحيدا بل وارث ثم ورد امره الى الله مستسما فقال (وانت خير الوارثين) أي فان لم ترزقني من يرثني فلا ابال فانك خير وارث أي باق (فاستجبنا له وهبنا له يحيى) ولدا (واصلحنه زوجه) جعلناها صاحبة للولادة بعد العقار أي (٢٧٥) بعد عشرها وحسنة وكانت سيئة

الخلق (انهم) أي الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون في الخيرات) أي انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعا وخوفا كقوله بحذر الاخرة ورجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فبنا والرغبة منا (وكانوا لنا شاعين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذا كرتي (أحصنت فرجها) حفظت من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أحرنا فيها روح المسيح أو امرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها وازاد الروح اليه تعالى لتشرى عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول نان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما مجتمع وعهما آية واحدة وهي ولادتها ياء من غير فعل أو التقدير وجعلناها

بنافان قلت قد تسلب بجواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظان أن لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلي فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت به ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلي لقوله اذ ذهب مغاضبا فعمله على انه لقومه أو للمالك أو لي بحال الانبياء وأما قوله فظان أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أي لن نصيق عليه وذلك أن نونس ظن انه مخبر ان شاء أقام وان شاء خرج وان الله تعالى لا يضيع عليه في اختباره وقيل هو من القدر لان القدرة وأما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما جعله أو لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذه الاشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان نونس ابن المرسلين اذ بقى الى الفلك المشهون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة متقدما من التفصيل والله أعلم بقوله عز وجل (وزكر يا اذنادي ربه) أي دعار به فقال (رب لا تدنني فردا) أي وحيد الا ولدي يساعدي وارزقني وارثا (وانت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الرازقين (فاستجبنا له وهبنا له يحيى) أي ولدا (واصلحنه زوجه) أي جعلناها لولدا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) يعني الانبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعني انهم ضموا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفرع الى الله لكان الرغبة في ثوابه والرغبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا شاعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الخذر الذي لا يبتسط في الامور خوفا من الوقوع في الاثم قوله تعالى (والتي أحصنت فرجها) أي احصانا كليانا من الحلال والحرام جميعا كما قالت عيسى بشر ولم أكن بغيا وهي مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تشرى عيسى كبيت الله وناقته الله (وجعلناها وابنها آية) أي دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أي ولادتها ياء من غير أب آية قوله تعالى (ان هذه أمتمكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة الجامعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي لادين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلنوا في الدين فصاروا فرقا وأحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل الينا راجعون) فنجز بهم بأعمالهم (فن

آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه وبدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتمكم أمة واحدة) الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبياء وأمة واحدة حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الاشارة أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ببيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعوا فرقا وأحزابا ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة كل الينا راجعون) فنجز بهم على أعمالهم (فن

يعمل من الصالحات) شيئا (وهو (٢٧٦) مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسميه) أي فان سعيه مستكور مقبول والكفران

يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسميه) أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكرو ويثاب عليه (وانا له كاتبون) أي لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ﴿ قوله عز وجل (وحرام على قرية أهله تكاها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهله تكاهاهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية تكاهاهم لا تكاهاهم أن يقبل أعمالهم لا يتوبون ﴿ قوله عز وجل (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بني آدم (وهم من كل حذب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الحكاية وجهان أحدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ما روى عن النواص بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فغضب فيه ورفع حتى ظنننا انه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة نفضت فيه ورفع حتى ظنننا في طائفة النخل فقال غير الدجال أخو فني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا بحبيبه دونكم وان يخرج واست فيكم فكل امرئ يحج بنفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطعا عينه طائفة كفى أشبهه بعد العزى بن قطن فن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاتب عيناوعاش شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما البشعة في الارض قال أربعون يوما يوم كسفته ويوم كشهرو ويوم كبعه وسائر أيامه كما ماكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسفته أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدر والله قدره قلنا يا رسول الله وما أسرع في الارض قال كالغيث استدرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمرهم السماء فتمطر والارض فتبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دراواسا بغضه ضرورا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محملين لبس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتنبعه كنوزها كبعاسيب النخل ثم يدعور جلا مملئا شبا با فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فيبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ طأ رآه قطر وانزاعه تحدر منه جان كالؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر به نفسه الامان ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب الذي قتله ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصههم الله منه فيعصع على وجوههم ويحدتهم بدر جاتهم في الجنة فيبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادي لايدان لاحد ان يقاتلهم فخرز عبادي الى الطور وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان هذه زمرة ماء ويحصرني الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لآحدهم خيرا من مائة دينار لآحدهم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النعف في رقابهم فيصبحون فرسي كوت نفس واحدة ثم يهب نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجحدون في الارض موضع شبرا املا هزمهم وتنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتعملهم فتطر حهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يمكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزأفة ثم يقال للارض انبقي غرتك ودري بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانتو يستقلون ببعدها وبيبارك في الرسل حتى ان اللقمة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقمة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقمة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فيبينما هم كذلك اذ بعث الله يحيى طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحر فعايهم تقوم الساعة أخرجه مسلم ﴿ شرح غريب ألفاظ الحديث ﴿ قوله حتى ظنننا في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القفاعة من الشيء وقوله نفضت فيه ورفع صوته ورفع من شدة ما تكلم به في أمره وقيل انه خفض من أمره فهو يناله ورفع من شدة قننته والتخويف من أمره قوله انه شاب

مثل في حرمان الثواب كان الشكر مثل في اعطائه وقد نفى في الجنس ليكون أبلغ (واناه) للسمي أي الحفظه بامرنا (كاتبون) في صحيفة عمله فثيبه به (وحرام) وحرم كوفي غير حفض وخلاف وهو ما لعتان كل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهله تكاها) أنهم لا يرجعون) والمعنى ومنع على مهلك غير يمكن ان لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام على قرية أهله تكاها أي قدرنا أهله لا كهم أو حكمنا بأهله لا كهم ذلك وهو المذكور في الآيات المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور وانهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هي التي يحكي بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني (اذا وما في حيزها) فتحت يأجوج ومأجوج) أي فتح سد هما حذف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شامى وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد

قطعا

(من كل حذب) نشر من الارض أي ارتفاع (ينسلون) يسرعون

(واقرب الوجد الحق) أي القيامة وجواب إذا (فاذا هي) وهي إذا المأجأة وهي تقع في المأجأة سادسة سادسة الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتا كد ولو قيل فهي شاخصة أو اذا هي شاخصة كان سيديا وهي من غيرهم ونقطة الابصار ويفسره (شاخصة ابصار الذين كفروا) أي مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم (٢٧٧) فيه (يا يلنا) متعلق بمحذوف تقدر به

يقولون يا يلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا في غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها انكم وما تعبدون من دون الله (يعني الاصنام وابليس وأعوانه لانهم ابتاعتم له واتباعهم خطوا وتم في حكم عبادتهم (حصب) حطب وقرى حطب (جهنم أتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ما ردوها) ما دخلوا النار (وكل) أي العابد والمعبود (فيها) في النار (خالدون لهم) لا يكفرون (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل (وهم فيها يسمعون) شيئا مما لهم صاروا صما وفي السماع نوع أنس فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم مننا الحسنى) الخصلة المفضلة في الحسن تأنيب الاحسن وهي السعادة أو البشري بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جدوا بالقول ابن الزبيري عند تلاوته عليه السلام على صناديق قر يش انكم وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزرا والنصارى المسيح وبنو

قطط أي جمع الشعر وقوله طائفة أي خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة أي أنه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول في الشيء وقوله فعات أي أفسد قوله أفدره واله قدره أي قدره واقدر يوم من أيامكم المعهودة واولوا فيه بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيتهم وقوله فيصحبون محباين أي متحابين قد أجدبت أرضهم وغلت أسماهم قوله كيد عاصيب النخل جمع يعسوب وهو غل النخل ورئيسها قوله فيقطعهم جزلتين رمية الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهر ودتين رويت بالبدال المهملة وبالجمجمة أي شقين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبيغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم أي لا قدرة ولا قوة ولا حد بقتالهم والتعفف دود يكون في أفوف الابل والغنم فربما جمع فريس وهو القتل وقوله زهمهم أي يرحمهم المنذمة قوله كل زلفة أي كالمراة وجمعها زلف و يروي بالقفاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصاة أي الجماعة قيل يبلغون أو يعين وقحف الزمانة في الحديث قشرها والرسيل بكسر الراء اللين واللقة النافذة ذات اللين والقمام الجماعة من الناس والغخذون القبيلة وقوله يتهاجون أي يختلفون والتهاج الاختلاف وأصله القتل * (الوجه الثاني) * في تفسير قوله تعالى وهم من كل حذب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننذاكر فقال ما نذاكرون قالوا نذكر الساعة قال انما لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والادجال والادابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وأخر ذلك نار يخرج من بين تطرد الناس الى محشرهم وقوله عز وجل (واقرب الوجد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو ان رجلا اتقني فلما بعد خروج يا جوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة لفلا المهر (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا ومن شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (يا يلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها وقوله عز وجل (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) أي حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم في النار كما يرمى بالحصاء وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ما ردوها) أي ما دخل الاصنام النار وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان عماء الرجل صدره غماغم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب (وهم فيها يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت آخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره وقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم مننا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى الأي الا الذين سبقت لهم مننا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقته من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عن ذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع وعبادة من عبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديق قر يش في الحطيم وحول الكعبة ثمانمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخضعه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبيري السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم

ملاح الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لان لا يعقل الا انهم أهل عناد فز بدنى البيان (أولئك) يعني عزرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم مننا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال انما هم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم مننا

العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية (لا يسمعون حسبيها) صوتها الذي يحسّ وحركته تلهمها وهذه مغفلة في الابهاد عنها أي لا يقر بونها حتى لا يسمعو صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقبون والشهوة طلب النفس المذمة (لا يحزنهم الفرع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة مهشين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم بكم في الدنيا العامل في (يوم تطوى السماء) لا يحزنهم أو تتفاهم تطوى السماء يزيد وطياتكم برنجومها ومجور سورها وهو ضد النشر نحب معها واطوبها (كطلى السجل) أي الصحيفة (للاكتب) حزمة وعلى وحفص أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من (٢٧٨) المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب أي كطوى الطومار للكتابة أي لما يكتب فيه لان الكتاب أصله

المصدر كالبناء ثم وقوع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بني آدم اذ رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كابدأنا أول خلق نعيده) انتصب الكاف بفعل مضمير يفسره نعيده ومما وصله أي نعيده مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أرحال من ضمير الموصول السانط من اللفظ الثابت في المعنى وأول الخلق ايجاده أي فكما أوجده أولا يعيده فانما تشبها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء والتسكير في خلق مثله في قولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تنصليهم رجلا رجلا فكذلك معني أول خلق

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبيرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبيرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيبرا وانصارى تعبد المسيح وبنو ملاح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقتم لهم مننا الحسنى يعنى عزبرا والمسيح والملائكة أولئك عنها يعبدون وأتزل في ابن الزبيرى ماضر بوهلك الاجدال بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من ان يعقل وما لن لا يعقل (لا يسمعون حسبيها) يعنى صوتها وحركة تلهمها اذا تزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشتهت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقبون وقوله تعالى (لا يحزنهم الفرع الاكبر) قال ابن عباس يعنى النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا أهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرج (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة منؤمنهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا وقوله عز وجل (يوم تطوى السماء كطلى السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطلى الصحيفة على مكتوبها والطي هو الارج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذ رفعت اليه والمعنى تطوى السماء كطوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفرع الاكبر في ذلك اليوم (كابدأنا أول خلق نعيده) أي كابدأناهم في بطون أمهاتهم عراغرا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفافة عراغرا لا كابدأنا أول خلق نعيده قوله عزرا أي قلنا وقوله تعالى (وعدا عابدين) يعنى الاعداء والبعث بعد الموت وقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعدما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتاب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعدها يعنى قبل (ان الارض يرثها عبادى الصالحون) يعنى أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان أرض الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي فى القرآن (لبلاغ) أي وصولا الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الانذار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي مؤمنين لا يعبدون أحدا من

أول الخلق معني أول الخلق لان الخلق مصدر لا يجمع (وعدا) مصدر مؤن كدلان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أي دون وعدا كائنا لاجمالة (انا كنا فاعلين) ذلك أي محققين هذا الوعدا ستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الالهوال (ولقد كتبنا في الزبور) كتب داود عليه السلام (من بعد الذكر) التوراة (ان الارض) أي الشام (يرثها عبادى) ساكنة الباء حزمة غيره بفتح الياء (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام أو الزبور يعنى المزبور أي المكتوب يعنى ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى اللوح لان الكل أخذوا منه دليله قراءة حزمة وخلف بضم الزاى على جمع الزبور والارض أرض الجنة (ان في هذا) أي القرآن أو في المذكور في هذه السورة من الانذار والوعود والوعيد والمواعظ (لبلاغ) الكفاية واصله ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) ووحيد

وهم أمة محمد عليه السلام (وما أرسلناك إلا رحمة) وقال عليه السلام إنما أُرِجَتْ هِدَاةٌ (للعالمين) لأنه جاء بما أسعدهم من اتبعوه ومن لم يتبع
 فإتباعاً من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هورجة للمؤمنين في الدارين والكافر من في الدنيا تأخيراً العقوبة فيهم أو قيل هورجة
 للمؤمنين والكافرين في الدنيا تأخيراً عذاب الاستئصال والمسح والخسف ورجمة مفعوله أو حال أي ذارجة (قل إنما) إنما قصر الحكم على
 شيء أو قصر الشيء على حكم نحو إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وفاعل (يوحى إلى) إنما الحكم الواحد) والثقة بروح الوحي وحداثة الهوى
 ويجوز أن يكون المعنى أن الذي يوحى إلى فتكون ماموصولة (فهل أتم مسلمون) استفهام بمعنى الأمر أي أسألو (فان تولوا) عن الإسلام
 (فقل أذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أي مستويين في الإعلام به ولم أخص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية
 (وان أدري أقر يب أم بعيد ما توعدون) أي لأدري مني يكون يوم القيامة لأن الله تعالى (٢٧٩) لم يطلعني عليه ولكني أعلم بأنه كان

لا تخالفة أولاً أدري مستق
 جعل بكم العذاب ان لم تؤمنوا
 (انه يعلم الجهر من القول
 ويعلم ما تكتمون) أي انه
 عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرونني
 به من الطعن في الاسلام
 وما تكتمونه في صدوركم
 من الاحقاد للمسلمين وهو
 مجاز بكم عليه (وان أدري
 لعله فتنه لكم) وما أدري
 لعل تأخير العذاب عنكم
 في الدنيا امتحان لكم لينظر
 كيف تعملون (ومتاع الى
 حزين) وتتمتع لكم الى
 الموت ليكون ذلك حجة
 عليكم (قل رب احكم بالحق)
 افض بيننا وبين أهل مكة
 بالعدل أو بما يحق عليهم
 من العذاب ولا تحاسبهم
 وشدد عليهم كما قال واشدد
 وطأ تلك على مضر قال رب
 حفض على حكاية قول
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم رب احكم بزيدي
 احكم زيدي عن يعقوب (وربنا
 الرحمن) العاطف على

دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس
 عالمين وقيل هم العالمون العاملون ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قبل كان الناس أهل
 كفر وجاهلية وضلال وأهل الكآين كانوا في حيرة من أمر دينهم أطول مدتهم وانقطاع قوتهم ووقوع
 الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب
 فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى
 وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن
 ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا تأخيراً العذاب
 عنه ورفع المسح والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أُرِجَتْ هِدَاةٌ (قل إنما يوحى
 الى إنما الحكم الواحد فهل أتم مسلمون) أي منقادون لما يوحى الى من انحصار الالهية والتوحيد لله
 والمراد بهذا الالهة فهم الأمر أي أسألو (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يسألوا (فقل أذنتكم) أي أعلمتكم
 بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أي انذارا بيننا نسوي في علمه لا أستبدأ نأبه دونكم لتأهبوا لما يراد بكم
 والمعنى أذنتكم لي وجهه نستوي نحن وأنتم في العلم به وقيل معناه تستوون في الايمان به وأعلمتكم بما هو
 الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أي وما أعلم (أقر يب أم بعيد ما توعدون) يعني يوم القيامة
 لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي لا يغيب عن علمه شيء منكم في عذابتكم
 وسركم (وان أدري لعله فتنه لكم) أي لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ابري كيف صديعكم وهو أعلم
 بكم (ومتاع الى حزين) أي تتمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أي افضل بيني وبين من كذبتني
 (بالحق) أي بالعذاب كأنه استجمل العذاب لقومه فعدبوا يوم بدر وقيل معناه افضل بيني وبينهم بما يظهر
 الحق للجميع وهو أن تصرفي عليهم والله يحكم بالحق طلب أولم يطلب ومعنى الطالب ظهور الرغبة من
 الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أي من الشرك والكفر والكذب والباطل كأنه
 سبحانه وتعالى قال قل داعي الى رب احكم بالحق وقل متوعد الكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
 والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة الحج) *
 وهي مكة غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهروا الى ضراط الجسد وهي عمان
 وسبعون آية وألف ومائتان واحد وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفاً
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي احذروا عاقبه واعلموا بطاعته (ان زلزلة الساعة شيء عظيم)

خلقته (المستعان) المطالب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالباء كانوا يصفون الحال على خلاف ما حزن عليه وكانوا يطعمون
 أن تكون الشوكه لهم والغلبة فيكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونخلهم أي الكفار وهو
 المستعان على ما تصفون * (سورة الحج مكتوبة وهي عمان وسبعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أمر بني
 آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهل صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) لينظر والى تلك الصفة بصرهم
 وينتور وهابقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ورجوهم من شدة ذلك اليوم بامثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي
 يؤمنهم من تلك الافزع والزلزلة شدة التعريك والازعاج وازدادة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هي التي تزلزل الارض على
 مجاز الحكمي أو الى الظرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار وقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة

فيها للمعتزلة في تسمية المعلوم شيئا فان هذا اسم لها حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة أو الساعة بتره (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن أرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليندل على ان ذلك الهول اذا حدث وقد أقيمت الرضيع نديها ترنعت عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذا المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها ان ترضع وان لم تبشر الارضاع في حال وصفها (٢٨٠) به (وتضع كل ذات حمل) أي حبلها (ولها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة

عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكاري) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلفانة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسى نفسى (وما هم بسكاري) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) يخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردد هم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكاري من الخوف وما هم بسكاري من الشراب سكاري فيهما بالامالة حمزة وعلى وهو كعطشى في عطشان وروى انه نزلت الايتين ليل في غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم يقرأ كثيرا كما من تلك الليلة (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان يجرى في الشرقيه وجهان أحدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده (كتب عليه) أي قضى على الشيطان (انه من تولاه) أي اتبعه (فانه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال ثم الزم الحجة منكبرى البعث فقال

الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة و وصفها بالعظم ولائى أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أسراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) أي الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير تمام على هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتحويله لاعلى حقيقته كما تقول أصابنا امر يشيب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكاري) على التشبيه (وما هم بسكاري) على التحقيق والمكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكاري من الخوف وما هم بسكاري من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيد وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فيمتد توضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقية في ذراع الجارواني لا رجوان تسكون نواربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الايتين نزلت في غزوة بنى المصطلق ليل في غزوة بنى المصطلق ليل في غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم يقرأ كثيرا كما من تلك الليلة (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان يجرى في الشرقيه وجهان أحدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده (كتب عليه) أي قضى على الشيطان (انه من تولاه) أي اتبعه (فانه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال ثم الزم الحجة منكبرى البعث فقال

بلى أروى عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى (ويتبع) في ذلك (كل شيطان مرید) عات مستمر في الشر ولا وقف (باليها) على مرید لان ما بعده صفة (كتب عليه) قضى على الشيطان (انه) ان الامر والشان وهو فاعل كتب (من تولاه) تبعه أي تبع الشيطان (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه الى عذاب السعير) النار قال لزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة للتأكييد وورد عليه أبو علي وقال ان من ان كان للشرط فالفاء تدخل بجزاء الشرط وان كان بمعنى الذي فالفاء تدخل على خبر المبتدأ والتقدير فالامر انه بضله قال والعطف والتأكييد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايته الى النار ثم الزم الحجة على منكبرى البعث

فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث) يعني ان اربتم في البعث فزبل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء
 وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فانا خلقناكم) أي اباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة)
 أي قطعة من جامدة (ثم من مضغة) أي لحمية صغيرة قدر ما مضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة المسماة من النقصان والعيب كان الله عز وجل
 يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقه أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك (٢٨١) فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في

خلقهم وصورهم وطولهم
 وقصرهم وتماهم ونقصانهم
 وانما نقلناكم من حال الى
 حال ومن خلقة الى خلقة
 (لنبين لكم) بهذا التدرج
 كمال قدرتنا وحكمتنا وان
 من قدر على خلق البشر
 من تراب أولا ثم نطفة نانيا
 ولا مناسبة بين التراب والماء
 وقدر ان يجعل النطفة علقة
 والعلقه مضغة والمضغة
 عظما ما قدر على اعادتها بدءا
 (ونور) بالرفع عند غير
 المفضل مستأنف بعد وقف
 أي نحن نثبت (في الارحام
 ما نشاء) ثبوته (الى أجل
 مسمى) أي وقت الولادة
 وما لم نشأ ثبوته أسقطته
 الارحام (ثم نخرجكم) من
 الرحم (طفلا) حال وأريد
 به الجنس فلذا لم يجمع أو
 أريد به ثم نخرج كل واحد
 منكم طفلا (ثم لتبلغوا)
 ثم نزيدكم لتبلغوا (أشدكم)
 كمال عقلكم وقوتكم وهو
 من ألفاظ الجوع التي لا
 يستعمل لها واحد (ومنكم
 من يتوفى) عند بلوغ الاشد
 أو قبله أو بعده (ومنكم من
 رد الى أرذل العمر)
 أخسه يعني الهرم والخرف

(يا أيها الناس ان كنتم في ريب) أي شك (من البعث) أي بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعني اباكم
 آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذر يتعمن المني وأصلها الماء القليل (ثم من علقة) أي من دم
 جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دماغيا غليظا (ثم من مضغة) وهي لحمية قليلة قدر ما مضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال
 ابن عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي
 به المرأة لوقت وغير المخلقة السقط فكله سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس
 والتخليط والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الاحوال كلها وروى عن عاقمة عن ابن مسعود موقفا عليه
 قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة
 قد نفها في الرحم وما لم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذ كر أم أنثى أشقى أم سعيدا الاجل
 ما العمل ما الرزق ماى أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم
 الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى ياتي على آخر صفة والذي أخرجه في الصحيحين عنه قال حدد لنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خالق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة
 مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح
 فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
 فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى (لنبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا
 في تصريف خلقكم وتسلطنا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما تاتون وما
 تدررون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم أن تغير المضغة الى الخلقه هو اختيار الفاعل المختار فان
 القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونور في الارحام ما نشاء) أي لا تسقطه ولا تمنعه (الى
 أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم
 (طفلا) أي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة
 والعقل والتميز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الهرم
 والخرف (الكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في أول
 طفولته ضعيفا البنية ضعيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى
 الارض هامدة) أي يابسة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات
 (وربت) أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وأنبئت) هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف
 الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نضيرا وابهيج هو المبهج وهو الشئ المشرق
 الجليل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهم ما هو المطالب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك
 لتعلموا (بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي انه اذا لم يستبد
 منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبد منه اعادة الاموات (وانه على كل شئ قدير) أي من كان كذلك كان

(٣٦ - خازن - ثالث)
 (الكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي الكيلا يعلم شيئا من
 بعدما كان يعلمه أو الكيلا يستفيد علموا ينسى ما كان عالمه به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) مبيته يابسة فاذا
 أنزلنا عليها الماء اهتزت وتحركت بالنبات (وربت) وانتفتحت وربات حيث كان يزيد ارتفعت (وأنبئت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن
 سار للناظر بن اليه (ذلك) مبتدأ أخبره (بان الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من
 أصناف الحكم حاصل هذا وهو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وأنه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وانه على كل شئ قدير) قادر

(وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله) في صفاته فيصطبه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لأنه يهدي إلى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحى والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لا يباعنقه عن طاعة الله كبر أو خيلاء وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه إلى غيره (ليضل) تعليل للمجادلة ليضل مكي وأبو عمر (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي جمع له عذاب الدارين (ذلك بما قدمت يدك) أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكفى عنها بما يدلان اليد الآلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحد بغير ذنب ولا يذنب غيره وهو عطف (٢٨٢) على بما أي وبأن الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لا فترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولأن قليل الظلم

منه مع علمه بفتحها واستغنائها كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال أي مضطربا (فإن أصابه خير) صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمان) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وإن أصابته فتنة) شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جهته أي ارتد ورجع إلى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمته فر واطمان والافر وطار على وجهه قالوا نزلت في أعارب قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم إذا صحبته وتحت فرسه مهر أسويا وولدت امرأته غلاما سويا

قادرا على جميع الممكنات (وإن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وانها حق وإن البعث بعد الموت حق ﴿قوله تعالى﴾ (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لا يباعنقه عن طاعة الله كبر أو خيلاء (يضيء) أي يهدي عن سبيل الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب يوم بدر صبراهو وعقبة بن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أي يقال له ذلك بما قدمت يدك (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي في عذابهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يتصرف في عبده فيحكمه عدل وهو غير ظالم ﴿قوله عز وجل﴾ (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصحبها جسمه ونجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا ابن حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمان له وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فقيل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لأنه لم يدخل فيه على الثبات والتمسك وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكونية وطمانينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المناقبة بعد الله بلسانه دون قلبه (فإن أصابه خير) أي صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمان به) أي رضى به وسكن إليه (وإن أصابته فتنة) أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر في الدنيا العز والكرامة وتلا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود في النار (ذلك هو الخسران المبين) أي الظاهر (يدعو من دون الله ما لا يضره) ان عصاه ولم يعبدوه (وما لا ينفعه) أي ان أطاعه وعبدوه (ذلك هو الضلال البعيد) أي عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى في الآية الأولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في هذه الآية يدعو من ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الآية الأولى ما لا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله ان ضره أي ضربه وقل انهم لا يضره ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو

يعتقد

وكانت له ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الأخير واطمان وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت الا شرا

وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءته وحوز يد خسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على أحد (يدعو من دون الله) يعني الصنم فإنه بعد الردة يفعل كذلك (ما لا يضره) ان لم يعبدوه (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفي الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتها ههنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقده انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعا وصرائح حين يرى استضاراه بالاصنام ولا يرى لها اثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه

(لبئس المولى) أى الناصر صاحب (ولبئس العشير) المصاحب وكرر يده و كأنه قال يده و يده و من دون الله ما يضره و ما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شقيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لان عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا و الآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا و الآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمد بسبب) بحبل (الى السماء) الى السماء (٢٨٣) بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعاً لان المختنق

يعتقد بجهله و ضلاله انه ينتفع به حين يستشفع و قبل الآية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضر او ينفعوا و حجة هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لا تضر و لا تنفع و هذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعاً فلو كان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى و لبئس العشير) أى الناصر و المصاحب المعاشر **قوله** عز و جل (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) أى باوليائه و أهل طاعته من الكرامته و باهل معصيته من الهوان **قوله** تعالى (من كان يظن ان لن ينصره الله) يعنى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا) أى باعلاء كلمته و اظهار دينه (و الآخرة) أى وفى الآخرة باعلاء درجته و الانتقام ممن كذبه (فليمد بسبب) أى بحبل (الى السماء) أى سقف البيت على قول الاكثرين و المعنى ليشدد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أى الحبل بعد الاختناق و قيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فليظنر هل يذهب كيد) أى صنيعه و حيلته (ما يعظ) أى فليختنق غيظا و ليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع و النظر بعد الاختناق و ليكنه كما يقال للحاسد مت غيظا و قيل المراد بالسماء السماء المعروفة و المعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه و يكيد فى أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذى يأتيه فليظنر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة و هو يقدر على اذها بغيظهم هذا الفعل فاذا كان ذلك ممتمعا كان غيظه عديم الفائدة و فى الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه و روى ان الآية نزلت فى قوم من أسد و غطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام و كان بينهم و بين اليهود مخالفة فقالوا لا يمكننا ان نسلم لاننا نخاف ان لا ينصر محمد و لا يظهر أمره فتقطع المخالفة بيننا و بين اليهود فلا يمروننا و لا يؤونا و قيل النصر معناه الرزق و معنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا و الآخرة فليبلغ غاية الجزع و هو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا و قول العرب من ينصر فى نصره الله أى من يعطاه الله (و كذلك أنزلناه) يعنى القرآن (آيات بينات) و اصحاب (وان الله يهدي من يريد) أى ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم مؤمنون أو ثبت الذين آمنوا و يزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئين و النصارى و المجوس و الذين أشركوا) يعنى عبدة الاوثان قبيح الاديان ستة و احد لله و هو الاسلام و خمسة للشياطين و هو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أى يحكم بينهم (يوم القيامة) و قيل يفصل بينهم فى الاحوال و الاماكن جميعا فلا يجاز بهم جزء واحد بغير تفاوت و لا يجمعهم فى موطن واحد (ان الله على كل شئ شهيد) أى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجزى فى ذلك الفصل ظلم و لا حيف و قد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة البقرة **قوله** عز و جل (ألَمْ تر) أى ألم تعلم و قيل ألم تر بقلبك (ان الله يسجد له من فى السموات و من فى الارض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب) قيل يسجد هذه الاشياء تتحول لطلالها و قيل ما فى السماء نجوم و لا شمس و لا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطالعته و قيل معنى يسجد لها الطاعة فانه مامن جاد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع و مسجده كما وصفهم بالخشية و التسبج و هذا مذهب أهل السنة و هو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لتجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاعتها افعال المكاف و هو السجود الذى كل خضوع عدونه فان قلت هذا

يقطع نفسه بحبس مجاربه و بكسر اللام بصرى و شامى (فليظنر هل يذهب كيد) ما يعظ (أى الذى يعظله) أو ما صدر به أى غيظه و المعنى فليصور فى نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يعظله و سعى فعله كيد على سبيل الاستهزاء لانه لم يكذب بحسوده انما كادته نفسه و المراد ليس فى يده الاما ليس بمذهب لما يعظ (و كذلك أنزلناه) و مثل ذلك الا تزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) و اصحاب (وان الله يهدي من يريد) أى ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم مؤمنون أو ثبت الذين آمنوا و يزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئين و النصارى و المجوس و الذين أشركوا) قيل الاديان خمسة أربعة للشيطان و واحد للرجن و الصائبون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال

و الاماكن فلا يجاز بهم جزء واحد او لا يجمعهم فى موطن واحد و خبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيد ان أباه قائم (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به حافظ له فليظنر كل امرئ معتقده و قوله و فعله و هو أبلغ و عيد (ألَمْ تر) ألم تعلم يا محمد عما يقوم مقام العيان (ان الله يسجد له من فى السموات و من فى الارض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب) قيل ان السكلى يسجد له و كالا تقف عليه كما لا تقف على تسبيحها قال الله تعالى و ان من شئ الا يسجد بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم و قيل سعى مطاوعة غير المكاف له فيما يحدث فيه من أفعاله و تسخير له يسجد له تشبهاً بالمطاعته يسجد المكاف الذى كل خضوع عدونه

التأويل يعطاه قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصاً من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عام في حق الكل الا ان بعضهم تجردوا تكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجداً بذاته لسكرته ممتد بظاهرة وأما المؤمن فانه ساجد بذاته وبنظيره أيضاً فلا جمل هذا الفرق حصل التخصيص بالذکر وقيل معنى الآية والله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموماً فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فيبين ان كثير من الناس يسجدون طوعاً ودون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عز وجل (ومن بين الله فخاله من مكرم) أي من ينله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

* (فصل) * هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيس للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها وقوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم قسمان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم زلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من بحثوا للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عباد فيهم زلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر وعلي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة ففرج اليهم فتة من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفرأ وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا لكفاء كرام ثم نادى مناد بهم يا محمد اخرج المينا لكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلدنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم لكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة وشيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يجهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما حاضر ثمان كلاهما أثبت صاحبه فمكر حمزة وعلي باسما فهما على عتبة فذفعا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله وشحها يسيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألسنت شهيد يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم انا أحق بما قال منه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنابنينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسداً فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي مله كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحتاج الجنة والنار فقالت النار أو ثرت بالمكبرين والمكبرين وقالت الجنة فإلى لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وعزأتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم لمن من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي اعذب بلمن من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكم ما لها فلما أوتوا النار فلا تمنني حتى يضع الله تبارك وتعالى رجليه في النار فقلت فقلت في ربهم وقيل بعضهم الى بعض ولا يظلم بلمن خلقه أحد أو أماً الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقاً وللجاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالأشارة الى سبب تقدم

(وكثير من الناس) أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفته والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابتداءه السجود (ومن بين الله) من الشقاوة (فخاله من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء (هذان خصمان) أي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى أهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الجنة خصم (في ربهم) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله

(فالذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كان الله يعذر لهم نيرانا على مقدار جثثهم تشتم عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لانه كأن لا محالة فهو كالاثبات المحقق (يصب من فوق رؤسهم) يكسر الهاء والميم بصري ويضمهما حزة وعلى ويخلف ويكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الجيم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذت بها (يصر) يذاب (به) بالجيم (مافي بطونهم والجلود) أى يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثري الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سباط مختصة بهم (من حديد) يضر بون بها (كما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتغال من منها باعادة الجار أو الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعنى كما أرادوا (٢٨٥) الخروج من النار من أجل غم يلحقهم

فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم بلهبها فتلقبهم الى أعلاها فضربوا بالمقامع فهو وافيا سبعين خريفا والمسراد اعادتهم الى معظم النار لانهم ينفصلون عنها بالكفاية ثم يعودون اليها (وذوقوا) أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الاريسم الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا عن معاوية هو جديهن من حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (ق) عن ابي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التجان أدنى لؤلؤة منها اتضى عما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبس فى الآخرة قوله تعالى (وهدا) من الهداية أى أرشدوا (الى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لاله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهدا الى صراط الحميد) أى الى دين الله وهو الاسلام والحمد لله والمحمود فى أفعاله قوله عز وجل (ان الذين كفروا) أى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام (الذى جعلناه للناس) أى قبله لصلاتهم ومنسكاو متعبدا (سواء العاكف) أى المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاؤا وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أى

ذكرة وهو أهل الاديان الستة وأيضافه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر ما آل الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبيرة ثياب من نحاس مذاب وليس من الآتية شئ اذا جرى أشد حرمانه وسبى باسم الثياب لانها تحيط بهم كحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الجيم) أى الماء الحار الذى انتهت حرارته (يصر به) أى يذاب بالجيم الذى يصب من فوق رؤسهم (مافي بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجيم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسالت مافي جوفه حتى يهرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) أى سباط من حديد وهى الجر ز من الحديد وفى الخبر لو وقع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض (كما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بانفسهم (أعيدوا فيها) أى رددوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم تجيش بهم فتلقبهم الى أعلاها فيردون النار ويخرج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهبون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أى تقول لهم الملائكة كذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى فى وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الاريسم الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا عن معاوية هو جديهن من حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (ق) عن ابي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التجان أدنى لؤلؤة منها اتضى عما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبس فى الآخرة قوله تعالى (وهدا) من الهداية أى أرشدوا (الى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لاله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهدا الى صراط الحميد) أى الى دين الله وهو الاسلام والحمد لله والمحمود فى أفعاله قوله عز وجل (ان الذين كفروا) أى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام (الذى جعلناه للناس) أى قبله لصلاتهم ومنسكاو متعبدا (سواء العاكف) أى المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاؤا وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أى

الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد أى الاسلام أو هداهم الله فى الآخرة وألهمهم ان يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهذا هم الى طريق الجنة والحمد لله المحمود بكل لسان (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون عن الدخول فى الاسلام ويصدون حال من فاعل كفر وأى وهم يصدون أى الصدود منهم مستمردا ثم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فإنه يراد به استمرار وجود الاحسان منه فى الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذى جعلناه للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا يتباع دو ومكة وان أريد به البيت فالمعنى انه قبله لجميع الناس (سواء) بالنصب جفص مفعول ثان لجعلناه أى جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وغير المقيم بالعامى وأوقفه أبو عمر وفى الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمستند

مترادفان ومفعول مرد
مترادفان ولبتناول كل متناول
كانه قال ومن يرد فيه مراداً
تأعديلاً عن القصد ظالمًا
فالأحد العدول عن القصد
(نذقه من عذاب أليم) في
الأخرة وخبران محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه
قد يروى أن الذين كفروا
ويصدون عن المسجد
الحرام نذيقهم من عذاب
أليم وكل من ارتكب فيه
ذنبا فهو كذلك (واذبوأنا
لأبراهيم مكان البيت)
واذكر يا محمد حين جعلنا
لأبراهيم مكان البيت مباءة
أي مرجعاً يرجع إليه
للعقارة والعبادة وقد رفع
البيت إلى السماء أيام
الطوفان وكان من ياقوتة
جزءها عالم الله إبراهيم
مكانه بريح أرسلها فكنت
مكان البيت فبناه على اسمه
القديم (أن) هي المفسرة
للقول المقدر أرى قائلين له
(لا تشرك بي شيئاً وطهر
بيتي) من الأصنام والأقدار
وبفتح الياء مدنى وحقص
(للطائفين) أي يطوف به
(والقائمين) والمقيمين بمكة
(والركع السجود) المصلين
جمعاً ركع وساجد (وأذن
في الناس بالحج) نادى بهم
والحج هو القصد البليغ إلى
مقصد منيع وروى أنه
صعد أباقيس فقال يا أيها
الناس حجوا بيت ربكم

الطارئ المنتاب إليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادى في تعظيم حرمته
وقضاء النسب به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية
هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه
الترمذى وأبو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادى سواء في النزول
به ليس أحدهما أحق بالانزال من الآخر غير أنه لا يرجع أحداً أحداً إذا كان قد سبق إلى المنزل وقول ابن
عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هو ما سواه في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان
الحجاج إذا قدم مكة لم يكن أحداً من أهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يعلقوا
أبوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وأجارتها قالوا إن أرض مكة لا تملك لأنهم لو ملكت
لم يستوالعاكف فيها والبادى فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد
بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول الأقرب إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة وأجارتها وهو
قول طاوس وعمر بن دينار واليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم
بغير حق أضاف الديار إلى مال كيهما وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل
دار أبي سفيان فهو آمن فسبب الديار إهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم
فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أي في المسجد الحرام (بالحد بظلم) أي
يميل إلى الظلم قيل الحد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء كان منهيًا عنه من قول أو فعل حتى
شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر
وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتل أو تظلم فيه من لا يظلم وقال مجاهد تضاعف السبب بمكة كما
تضاعف الحسنات وقيل احتسكار الطعام بمكة بدل ليل ماروى يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن احتسكار الطعام في الحرم الحد فيه أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه
بالحد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لوان رجليهم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولوان رجليهم
بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو بيلداً أخرأذقه الله من عذاب أليم قال السدي إلا أن يتوب وروى عن
عبد الله بن عمر وأنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم
في الحل فسئل عن ذلك فقال كأنك تحدث أن من الحد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله ﴿ قوله
تعالى (واذبوأنا لأبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بيننا واتخاذ مكان البيت
لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدرك
جهة بيتي فبعث الله تعالى رجاخجو جافكنت له ما حول البيت عن الأساس وقيل بعث الله سبحانه بقدر
البيت فقامت بحال البيت وفهارة من يتسكع بالبراهيم ابن على قدرى فبنى عليه (أن لا تشرك بي شيئاً) أي
عهدت إلى إبراهيم وقتلناه لا تشرك بي شيئاً (وطهر بيتي) أي من الشرك والأوثان والأقدار (للطائفين) أي
الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين فيه (والركع السجود) أي المصلين ﴿ قوله عز وجل (وأذن
أي أعلم ونادى الأذان في اللغة الإعلام (في الناس) قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالحج) فقال
إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الأذان وعلينا الأبلغ فقام إبراهيم على المقام حتى صار
كأطول الجبال وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس إن الله
ربكم قد نبى بيننا وكتب عليكم الحج إلى البيت فاجيبوا ربكم فاجبه كل من حج من أصلا بآبعا ورحام
الأمهات لبك اللهم لبك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً وروى إبراهيم
صعد أباقيس ونادى وزعم الحسن أن المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة

فاجاب من قدره أن يحج من الاصلاب والارحام بليك اللهم لبك وعن الحسن أنه خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والأول أظهر وجواب الامر

(يا توك رجالاً) مشاة جمع راجل كقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كأنه قال رجالاً وكانوا الضامر البعير المهزول وقد دم الرجال على الركبان انظار الفضيلة المشاة كلور وفي الحديث (بأئين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله يا تون صفة للرجال والركبان (من كل فحج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فأنتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنين وخرجت وأنا شاب فاكتمت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال زمرن هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه محب واستار لا يمنعك بعد عن زيارته * ان المحب ان يهاهز زوار والام (في ليشهدوا) ليحضر وامتعلق بأذن أو يأتوك (منافع لهم) نكره لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا ان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهیوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر البلاد والاطوان وفرقة الاولاد والخلان والتبعية على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء (٢٨٧) فالحاج اذا دخل البادية لا يتكلم فيها الا على عتاده ولا ياكل الا

الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يا توك رجالاً) أي مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي ركبنا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ يذكر المشاة تشر يفاهمهم (بأئين) أي جماعة الابل (من كل فحج عميق) أي من كل طريق بعيد في أي مكة حاجاً فكانه قد أتى ابراهيم لانه محبب نداءه قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما رضى به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليهما من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والتخرو أيام التشرى وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر و أيام التشرى لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام (فكوا امنها) أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيئاً فأمر الله بخالفهم واتفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن ياكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم على بيدي من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة ففخر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين بدنة ونحر على ما غبر واشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة بيضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكل من لحها وشرب من مرقها وأخرجهم مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله بيضعة أي بقاعة واختلف العلماء في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان ياكل منه شيئاً قال الشافعي لا ياكل منه شيئاً وكذلك ما أوجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا ياكل من جزاء الصيد والنذر وياكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك ياكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الامن فديه الاذى وجزاء الصيد والنذر وعند أصحاب الرأي انه ياكل من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا شيء له قوله تعالى (ثم ليعضوا ففتنهم) أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحق وقص الشرب وتنف الابلا وطعم

من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحده الاماسعي في مماشاه لعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يانس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخطوط وطيبه مرآة لتاسياتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط ملففاً في كفن غير مخطوط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحج بعرفات آمليين رغبارها سائلين خواف وطمعاً وهم من بين مقبول ونخذول كوقوف العرصان لاتكلم نفس الا بانه فتنهم شقي

وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومعنى هو موقف النبي للمذنبين الى شفاعته الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمناً من الايذاء والقتال النموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالماً من الضأ والزوال غير ان الجنة تحفت بمكازه النفس العادية كما ان الكعبة تحفت بتألف البادية فرحبا بين جاورها تلك البوادي شوقاً الى اللقاء يوم التنادي (ويذكروا اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وأخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين بترجمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكوا امنها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدى التمتع والقران لانه دم نسل فاشبهه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار (ثم ليعضوا فتنهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفعاً وبه قيل قضاء التفت قص الشارب والاطفار وتنف الابط والاستعداد والتفت الوسخ والمراد قضاء ازالة التفت وقال ابن

فجر وابن عباس رضي الله عنهما غشاها النفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) مواجب حجهم والعرب تقول اسكل من خرج عمارا وجب عليه وفي بنذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والنشد يد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل الثلاث ساكنة عند غير ابن عباس وأبي عمرو (باليبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده إبراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخليل لكرامتها وعتاق الرقيق لخروج وجهه من ذل العبودية الى كرم الحرية اولانه أعتق من الغرق لانه رفعه من الطوفان أو من (٢٨٨) أيدي الجبابرة كمن جبار سار اليه ليهدمه فثغره الله أو من أيدي الملائكة فلم يملك قط وهو مطاف

أهل الغبراء كان العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا حاجته معيبة الطرب وجذبته جواذب الطالب جعل يقطع مناسك الارض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عين البيت لم يزد التسلي به الا اشتياقا ولم يفده التشنج باستلام الحجر الاحترافا فيرده الاسف لهفان و يرده الالهف حوله في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا يرفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدياد الاثم وترتفع ألف حوبة بتوبة ونائبها الوقوف بعرفات بسمعة الابتهاج في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف

الاطفار والاستعداد وليس الشيب والحاج أشعث أعبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء النفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج أي ليقومها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخرج عمارا وجب عليه نذره أو لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعارمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهي اليه ويمشي أو يعاود هذا الطواف سنة لاشي على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الأول خب ثلاثا ويمشي أو يعاود في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولقضا أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعي ثلاثة أشواط ويمشي أو يعاود يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صبغية ليلة النفر فقالت ما أرا في الاحابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلق أطاف يوم النحر قبل نعم قال فانفري قوله عقرى حلق معناه عقرها الله أي أصابها بالعقرة وبوجع في حلقها وقيل معناه مشومة مؤذبة ولم يردبه الدعاء عليها وانما هو شيء يجري على السنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت عيملك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن يفر الثالث طواف الوداع لارخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في أن يفارقتها حتى يطوف سبعارمل ثم يركع فاعليه دم المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تحريمه فلم يظهر عليه جبار قطا وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملاستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكها وقيل الحرمات ما واجب القيام به وحرم التفرط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمرعاتها وحفظ حرماتها (فهو خير له عند ربه) أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم (الاما يتلى عليكم) أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان

أي الامر ذلك أو تقديره ليعلموا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمات ما لا يحل انتهاكها جميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة رجسا من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمرعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها (الاما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة والدم الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الا ما بين في كتابه فخافوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما أحل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرهما والمحدث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان

واجتنبوا قول الزور (لان ذلك من أعظم الحرمات وأسبغها حظرا ومن الأوثان بيان للرجس لان الرجس مهمم يتناول غير شئ كانه قبل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وسبى الأوثان رجسا على طريقة التشبيه يعنى انكم كانه تفرقون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها جوع بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور (٢٨٩) وهو الانحراف لان الشرك من باب الزور اذا الشرك زاعم ان

رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) أى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا فى روايته ولا نعرف لا عين سمعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين فى تلبيتهم ليس لك لا شريك لك الا شريك هو لك مما كره وما لك ﴿ قوله تعالى ﴾ (حنفاء لله) أى محاصرين له (غير مشركين به) فدل ذلك على ان المكلف ينوى بما ياتيه من العبادة الاخلاص لله بهم الا غيره وقيل كانوا فى الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوان وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أى يحجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خسر) أى سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أى تسلبه به الريح (أو تهوى به الريح) أى تهب (فى مكان صحيح) أى يعبد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمن كبعده من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا يحاله اما بسلاط الطير لجه أو بسقوطه فى المكان الصحيح وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلا كالبس وراه اهلا بان صور حاله بصور حال من خسر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه فى حواصلها أو عصفته به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء فى علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المتخطفة والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفته به فى بعض المهامى المتلذذة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ذلك) يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) أى تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها الهدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى فى البدن (منافع) قيل هي درها ونسائها وصوفها وبرها وركوب ظهورها (الى أجل مسمى) أى الى أن يسهما أو يوجها يهدى بافاد فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناها لكم فى الهدى ما منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركوها وتشر بوانم ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعنى الى أن تخرها وهو قول عطاء واختلف العلماء فى ركوب الهدى فقال مالك والشافعى وأحمد واسحق يجوز ركوبها والجل عليها من غير ضررهم الماروى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انما بدنة فقال اركبها أو يلك فى الثانية أو الثالثة أخرجاه فى الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبها الا أن يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أى بالتجارة والسواق الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أى بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج (ثم صلتها الى البيت العتيق) أى منخرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم وروى عن جابر فى حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرته ههنا ونى كلها منخر فانخر وافى رحالك ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم

لو شئ يحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كنفاء (ومن يشرك بالله فكأنما خسر) سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أى تسلبه بسرعة فتخطفه أى تخطفه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه والهوى السقوط (فى مكان صحيح) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها كما ويجوز أن يكون مفترقا فان كان تشبيها كما كانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلا كالبس بعده بان صور حاله بصورة حال من خسر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعها فى حواصلها أو عصفته به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وان كان مفترقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء البردية بالطير المتخطفة والشياطين الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفته به فى بعض المهامى المتلذذة (ذلك) أى الامر ذلك (ومن يعظم شعائر الله)

(٣٧ - (خازن) - ثالث) تعظيم الشعائر وهى الهدايا لانها من معالم الحج أن يتخارها عظام الاحرام حسنا سمنا غالية الايمان (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فذوت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى أن نحر (ثم صلتها) أى وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت اذا الحرم حريم البيت ومثله فى الإتساع قولك بلغت البلد وانما

انصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كما هو تغليظها كما هو تغليظها الى البيت العتيق بآياه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قباكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحجرة أى موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أى اراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أى عند ذبحها وذبحها (فالهكم اله واحد) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط الذبح بمعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن يذكروا اله على وجه التقرب وجعل العلامة في ذلك أن يذكروا اسمه تقدست أسماؤه على الناسك وقوله (فله أسلموا) أى أخلصوا واله الذكركر خاصة واجعله اله سالما أى خالصا لا تشوبه بأشراك (وبشر المحبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذين لا ظالمون واذ ظالمون ينتصروا (٢٩٠) وقيل تفسيره ما بعده أى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبته (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب

جعلها أى يحل للناس من احرامهم الى البيت العتيق بطوفون به طواف الزيارة ﴿ قوله تعالى (ولكل أمة) أى جماعة مؤمنة سلت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أى مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم) من بهيمة الانعام) أى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيدها بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جازأ كله ﴿ قوله عز وجل (فالهكم اله واحد) أى سوا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد (فله أسلموا) أى أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المحبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذ ظالمون لا ينتصرون ثم رخص لهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أى من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمي الصلاة) أى في أوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) أى يتصدقون ﴿ قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمتها وضخامتها يريد الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) أى من أعلام دينه قبل لانها تشعر وهو ان تطعن بحد بدنة في سنامها فيعلم بذلك انها هدى (لكم فيها خير) أى نفع في الدنيا وثواب في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أى عند نحرها (صواف) أى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها ويدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زباد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال بعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذوجبت جنوبها) أى سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض (فكلوا منها) أمر باباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل عن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يربك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجي على القوم فيعرض لهم لاجل لجهم (كذلك) أى مثل ما وصفنا من نحرها قياما (نحرها لكم) أى انتم كنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) أى انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لاطخوا الكعبة بدماها بزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أى ان ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) أى ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجهه الله (كذلك نحرها لكم) بمعنى البدن (لتنكبوا الله على ما هداكم) (وأطعموا القانع والسائل)

من قنعت اليه اذا خضعت له وسألته فتوعا (والمعتر) الذي يربك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضى بما عنده ورشدكم وبما يعطى من غير سؤال من قنعت فتوعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال (كذلك نحرها لكم) أى كما أمرناكم بنحرها بنحرها لكم وهو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال نحرها لكم أى ذلناها لكم مع قوتها وعظمت اجرامها التي تمسكونا من نحرها (لعلكم تشكرون) لستى تشكروا انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضاه الله اللحوم المتصدق بها والادماء المراقبة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقرنون بهم الا ببراءة النسبة والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا والابل نضحوا الدماء حول البيت واطغفوا بالدم فلما ساج المسكون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كذلك نحرها لكم) أى البدن (لتنكبوا الله) لستموا الله عند الذبح وألتمعظمو الله (على ما هداكم)

على ما أُرشدكم إليه (وبشر المحسنين) المعتقلين أو امرءه بالثواب (ان الله يدفع) مكر وبصرى وغيرهما يدفع أى يباليغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه ان النصر رسلا والذين آمنوا ثم على ذلك بقوله (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانة الله (كفور) لنعمة الله أى لانه لا يحب أضدادهم وهم الخويرة الكفيرة الذين يخوفون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويفسدونها (اذن) مدنى وبصرى وعاصم (الذين يقاتلون) بفتح التاء مدنى وشامى وحفص والمعنى أذن لهم فى القتال فذف المأذون فبذلك لا يقاتلون عليه (بانهم ظالموا) بسبب كونهم مقاتلين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مصر وبمشجوع يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأتت هذه الآية وهى أول آية فيها بالقتال بعد ما نسي عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على (٢٩١) نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدفع عن الذين آمنوا (الذين) فى محل جريد من الذين أُنصب بأعنى أو رفع باضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق الا أن يقولوا بنا الله) أى بغير موجب سوى التوحيد

وأرشدكم لعالم دينه ومنازل حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدا بنا والمجد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس المؤمنون قوله تعالى (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويعنهم منهم وينصرهم عليهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) أى خوان فى أمانة الله ككفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فاعلوا معه شر بكا وكفروا ونعمه وقيل من تقرب الى الاضنام بذبحته وسمى غير الله عابها فهو خوان كفور قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظالموا) أى أذن الله لهم بالجهاد لقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يحيون من بين مصر وبمشجوع ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم أؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم بأعينهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يعنونهم من الهجرة بأنهم ظلموا أى بسبب ما ظلموا واعدوا عليهم من الايذاء (وان الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا بنا الله) يعنى انهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتعظيم والتكبير لا موجب الاخراج (ولو ادفع الله الناس بعضهم ببعض) أى بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء (وبيع) هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع الصابئين والبيوع للنصارى (وصالوات) هى كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صالونا (ومساجد) يعنى مساجد المسلمين (يدكر فيها اسم الله كثيرا) يعنى فى المساجد ومعنى الآية (ولو ادفع الله الناس بعضهم بعضا لهدمت صوامع) أى لهدمت صوامعهم بعضا لهدم فى شريعة كل نبي مكان صلاتهم فهدم فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى البيوع والصوامع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (واينصرون الله من ينصره) أى ينصرونه وينبىه (ان الله لقوى) أى على انصر من ينصر دينه (عزير) أى لا يضام ولا يمنع مما يريد قوله عز وجل (الذين ان مكناهم فى الارض) أى نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالعرف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة ان تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) أى آخر امور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع قوله تعالى (وان يكذبوا) فيه

الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومثله هل تنعمون منا الا أن آمناب الله ومحمل ان يقولوا جريدا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم الاسباب قواهم (ولو ادفع الله) دفاع مدنى ويعقوب (الناس بعضهم بعضا لهدمت) وبالتخفيف مجازى (صوامع وبيوع وصالوات ومساجد) أى ولا اظهارة وتسليطه المسلمين على الكافرين بالجهاد لاستولى المشركون على أهل المال المختلفة فى

أزمنتهم وعلى متعبديهم فهدموا ولم يتركوا النصارى يبيعوا ولا الرهبانهم صوامع ولا لليهود صالوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لانها صلى فيها ولا للمسلمين مساجد وأغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدان الفريقيين وقدم غير المساجد عليها لتقديمها وجودا وأقربها من الهدم (يدكر فيها اسم الله كثيرا) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم (ولينصرون الله من ينصره) أى ينصرونه وينبىه وأولياؤه (ان الله لقوى) على نصر أولياؤه (عزير) على انتقام أعدائه (الذين) بحمله نصب بدل من من ينصره أو جرتابح الذين أخرجوا (ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالعرف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكناهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذا الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيدهما وعدة من اظهارة أولياؤه واعلاء كرامتهم (وان يكذبوا) هذه تسلية ليجر صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل

مكة اياه اى لست باحدى في التكذيب (فقد كذبت قباهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (واصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقيظ ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنوا اسرائيل وانما كذبه غير قومه او كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره (فأملت للكافرين) أمهاتهم وأخوت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان تكبير) انكارى وغيرى حيث أبدلتهم بالنعم نعموا بالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب (فكأن من قرية أهل كنها) أهل كنها بصري (وهى ظالمه) حال أى وأهلها مشركون (٢١٢) (فهى خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقطا (على عروشها) يتعلق بخاوية والمعنى انها

ساقطة على سقوفها أى خربت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا يحمل لاهى خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهل كنها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كائنا منصوبا للمحل على تقدير كبر من القرية أهل كنها (و بئر معطلة) أى متروكة لنفقد لولاها ورشاؤها وفقدت قدما أو هى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت أى تركت لا يستقى منها الهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنين من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهل كنها وهم بئر معطلة اذن ساقطها وتصير مشيد أهلنا عن ساكنيه أى أهل كنها البادية والحاضرة جميعا نفلت القصور عن أربابها والآبار عن رادها والظهور ان البئر والقصر

تسليمة وتعزيبه لاني صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك (نقد كذبت قباهم) قوم نوح وعاد وثود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذب قومه وهم بنوا اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظام معجزاته فما ظنك بغيره (فأملت للكافرين) أى أمهاتهم وأخوت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) أى عاقبتهم (فكيف كان تكبير) أى انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل (فكأن من قرية أهل كنها) وقرى أهل كنها على التعظيم (وهى ظالمه) أى وأهلها الظالمون (فهى خاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى على سقوفها (و بئر معطلة) أى وكمن بئر معطلة أى متروكة بخلافة أهلها (وقصر مشيد) أى رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد بالين أما القصر فعلى قلته جبل والبئر فى سمعه واكمل واحد منهما قوم كانوا فى نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت فى بلدة يقال لها حاضرواء وذلك ان أربعة آلاف نفر من آمن بإصلاح عليه السلام لما تجردوا من العذاب أتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضر ومات صالح فسمى المكان حضرموت لذلك واسمات صالح بنوا حاضرواء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فاقاموا وادروا وتناسا لواجب كثير وعبدا والاصنام وكثروا فإرسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان مخالفا فيهم فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ﴿ قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالصة (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أى يعلمون بها (أو أذان يسمعون بها) يعنى ما يذكرونهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فانم لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) المعنى ان عمى القلب هو الضار فى أمر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر باخه ومتمتعو بصر القلوب هو البصر النافع (و يستجولونك بالعذاب) نزلت فى النضر بن الحرث (وان يخلف الله وعده) أى انه أنجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعنى يوما من الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام الآخرة يدل عليه ما روى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا معاشر صاعيا ليلك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخولون الجنة قبل أعينها الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود وزيادة فيه وأخرج الترمذى نحوه ومعنى الآية أنهم يستجولون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم فى الآخرة كالف سنة وقيل ان يوما من ايام العذاب فى النفل والاستقالة كالف سنة فكيف يستجولونه وقيل معناه ان

على العموم (أفلم يسيروا فى الارض) هذا حث على السفر ليرى ما صار من أهل كنها لله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا يوما (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أى يسمعون بها أو أذان يسمعون بها أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فانم لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الضمير فى فانم الضمير القصة أو ضمير مهمم يفسره الابصار أى سمعت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ونكل انسان أربع أعين عينان فى رأسه وعينان فى قلبه فاذا أبصر ما فى القلب وعمى ما فى الرأس لم يبصره وان أبصر ما فى الرأس وعمى ما فى القلب لم يبصره وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب والى يقال ان القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شئ (و يستجولونك بالعذاب) الآجل استنزاع (وان يخلف الله وعده) كانه قال ولم يستجولونك به كأنهم يجوزون القوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف وان يخلف الله وعده وما وعدا به يصيبونهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) يعدون

مكي وكوفي غير عاصم أي كيف يستجلبون بعدذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سابعكم لان أيام الشدا تدطوال (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمه) أي وكمن أهل قرية كانوا مسلمة ظالمين قد أنظرتم حينئذ ثم أخذتمها) بالذاب (والى المصير) أي المرجع الى فلا يفوتني شيء وانما كانت الاولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بالاولان الاولى زعت بدلائن فكيف كان تكبير واما هذه فكمها حكم ما تقدمه من الجاهل المعطوفتين بالواو وهما اولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك (قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين) وانما يقل بشيروند بلذكر الفر يقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أقل يسبروا ووصفوا بالاستجبال وانما أقسم المؤمنون وثوابهم ليغاطوا أو قد يره نذير مبين وبشير فبشر أو لا فقال (فألذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أي حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعي في أمر فلان اذا أفسده بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكي وأبو عمرو عاجزه سابقه كان كل واحد منهم ما في طلب اعجاز الاسحر عن اللعان به فاذا سبقه قيل أعجزه وبجزه والمعنى سعوا في معناه بالفساد من الطعن فيها حيث سحرها وسحر او شعرا أو أساطير (٢٩٣) مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان

كهدمهم للاسلام يتم لهم (أولئك أصحاب الجحيم) أي النار الموقدة وما أرسلنا من قبلك من لا بداء الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيده النفي (ولانبي) هذا دليل بين على ثبوت التعابير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض انهما واحد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وانما أمران يدعو الى شريعته من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي

يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر على شأه أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيسبستوى في قدرته وقوع ما يستجلبونه من العذاب وتأخيره وهذا من قول ابن عباس (وكأين من قرية أمليت لها) أي أمهاتها (وهي ظالمه) أي مع استمرار أهلها على الظلم (ثم أخذتمها) أي أنزلت بهم العذاب (والى المصير) يعني مصيرهم الى الآخرة ففيموعبده وتهديد قوله عز وجل (قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين) أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والانذار وأن يقول لهم انما بعثت لكم منذرا (فألذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما أنا نذير مبين أردف ذلك بأن أمره بوعده من آمن ووعده من عصى فقال ألذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستراصغار ذنوبهم وقيل للكبراء ايضا مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في ابطال آياتنا (معجزين) أي مشبطين الناس عن الايمان وقرئ معاخرين أي معاندين مسابقين وقيل معناه طمانين ومقدرين انهم يحجزوننا ويفوتوننا فلان قدر علمهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولاجنة ولا نار (أولئك أصحاب الجحيم) قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تخنى ألقي الشيطان في أميته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قول قوم عنه وشق عليه ما رأى من مباحثهم عما جاءهم به من الله تعالى تخنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقي الشيطان على لسانه ما كان يحدثه بنفسه وهو يمهته تلك الغرائب العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرخوابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقراء السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذوا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطعا السجود وتفرقت قريش وقدرتهم ما معوا من ذكرا لهمتهم

حافظ شرع غيره (الاذا تخنى) قرأ قال تخنى كتاب الله أول ليلة * تخنى داود الزبور على رسل (ألقي الشيطان في أميته) تلاوته قالوا انه عليه السلام كان في نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرائب العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يظن له حتى أدركته العصمة فتنب عليه وقيل نهبه برب عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لانه لا يخلواما أن يتكلم النبي عليه السلام بها عداوانه لا يجوز لانه كفر لانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبرابحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممنوع لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان في حقه أولى أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لاعتاد على قوله ولانه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال النخعي زلنا الذكر واناله لحافظون فلما ابتلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكنت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متعلا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوق عدي بعضهم انه عليه السلام هو الذي تكلم بهم فكون هذا القاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقدروى انه نادى يوم أحد لان محمدا قد قتل وقال يوم بدر غالب لكم اليوم من الناس وانى جباركم

ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه
 تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم آناه جبريل فقل
 يا محمد ماذا صنعت اقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خزنا شديدا
 وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزبه وكان به رحما وسامع بذلك من كان بارض
 الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجد قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع
 أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي كانوا حدثوا به من اسلام
 أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على
 ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شمرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك
 من رسول الا وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي الا نبي النبي هو الذي تكون نبوته الهاما أو مناهما فكل
 رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا اتى أي أحب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان
 في أمنيه أي في مراده وقال ابن عباس اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد الهه سبلا والمعنى ما من نبي
 الا تخفى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا ألقى الشيطان عليه ما مرضى قومه فينسخ الله ما بقى الشيطان وقال
 أكثر المفسرين معنى تخفى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيه أي في تلاوته قال حسان في عثمان

حين قتل تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لقي حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار
 عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصد ولا عمد ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى
 لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزىل من حكيم حديد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه
 وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة أحدها توهمين أصل هذه القصة
 وذلك انه لم يروها أحد من أهل العجمة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها المفسرون
 والمؤرخون والمولعون بكل غريب الملقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة
 اضطراب روايتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فاقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة
 وآخر يقول قرأها وهو في نادى قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها
 فخرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله
 عليه وسلم اسعرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتلك الى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح
 من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فمجد فيها وسجد من كان معه غير ان
 شيخا من قريش أخذ كفما من حصى أو تراب فرفعه الى جهته قال عبد الله فلقدر أيتيه بعد قتل كافر أخرجه
 البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
 والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
 تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه السكبي وهو
 ضعيف جدا فهذا توهمين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو أن اللمحة قد قامت بالدليل الصحيح
 واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وزهته عن مثل هذه الذليلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح اله
 غير الله أو ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينهه جبريل عن ذلك
 فهذا كما تمتع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولولا تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه بالبين
 ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى
 الله عليه وسلم كان اذا قرأ آية من القرآن ترتلا ويصل الآي تفصيلا كما صرح عنه في قراءته فيجتمعت ان
 الشيطان ترصد لتلك السمكات فدرس فيهما ما اختلقه من تلك السمكات محميا كالصوت النبي صلى الله عليه وسلم

(فينسخ الله ما يليق الشيطان) أي يذهب به ويبطله ويخبرانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يشتهر بحفظها من حقوق الزيادة من الشيطان (والله عليم) أي أوحى إلى نبيهم بقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه وزياله ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقوله (ليجعل ما يليق الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين في قلوبهم مرض) شذوفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكوا وطماعة (وان الظالمين) أي المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضم الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (إني شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (أنه) أي القرآن (الحق من (٢٩٥) ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخت) فتطمئن (له قلوبهم وان

الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) فيتأولون ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه الحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تطعمهم حيرة ولا تعثر بهم شبهة (ولا يزال الذين كفروا في مرية) شك (منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيمهم عذاب يوم عقيم) يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يتكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتي بخبر أو شديد لارحة فيه أو لا مثل له في عظيم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحالك أنه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته (الملك يومئذ) أي يوم القيامة والتنوين عوض عن الجمله أي يوم يؤمنون أو يوم نزول مريتهم (لله) فلا منازع له فيه (بحكم بينهم) أي يقضى ثم بين حكمه فهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) (الذين هاجر روافي سبيل الله) (ثم يلقى الله رزقهم الله رزقا حسنا) أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذذ العين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لارازق الخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجندي أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من لرزق ما لا يقدر عليه غيره (أيدخلنهم مدخلا رضونه) يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالفروع عنهم (قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا

فسمعهم من دنا منهم من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحقه قهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيها وانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان النبي يكون بمعنى حديث النفس ومعنى التلاوة فعلى الأول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أي خطر بباله ومعنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمتى اشتغل خاطر فحصل السهوى في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمتى بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهوى في اسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقرب على هذا السهوى بل ينه عليه ويذكره للوقت والحين كما صرح في الحديث لقد أذكريني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهوى عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم (قوله عز وجل (فينسخ الله ما يليق الشيطان) أي يبطله ويذهب به (ثم يحكم الله آياته) أي يشتهر (والله عليم حكيم) (قوله عز وجل (ليجعل ما يليق الشيطان فتنة) أي محنة وبلية والله تعالى يعجز عباد بما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) أي شك وفاق (والقاسية قلوبهم) أي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين إني شقاق بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) أي التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (أنه الحق من ربك) أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) أي يعتقدوا والله من الله عز وجل (فتخت له قلوبهم) أي تسكن اليه (وان الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أي إلى طريق توحيد وهو الاسلام (قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيم الساعة بغتة) أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيمهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا يلبث له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخبر وقيل لانه لا مثل له في عظيم أمره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (الله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (بحكم) أي يوصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فإولئك لهم عذاب مهين) (قوله تعالى (والذين هاجر روافي سبيل الله) أي فارقوا أو طأنهم وعشارهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذذ العين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لارازق الخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجندي أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من لرزق ما لا يقدر عليه غيره (أيدخلنهم مدخلا رضونه) يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالفروع عنهم (قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا

آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فإولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق الأول بفضيلة فقال (والذين هاجر روافي سبيل الله) ثم جوامن أو طأنهم بجاهدن (ثم قتلوا) في الجهاد قتلوا شاميا (أو ماتوا) حتف أنفهم (ليرزقهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) لانه الممتنع للخلق بلا مثال المنكف للرزق بلا ملال (ليدخلنهم مدخلا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (رضونه) لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذذ العين (وان الله لعليم) بأحوال من قضى نجه بجاهد أو آمال من مات وهو ينتظر معاها (حليم) بامهال من قائلهم معاها روي ان طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان مننا معك فانزل الله هاتين الايتين (ذلك) أي الامر ذلك

وما بعده مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) سمي الابتداء بالجزاء عقوبة لا يستتله من حيث انه سبب ذلك مسبب عنه (ثم يفتي عليه لينصره الله) أي من جازي بمثل ما فعل به من الظالم ثم ظلم بعد ذلك ففتي على انه ان ينصره (ان الله اعفو) نحو آثار الذنوب (غفور) بستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فن عفوا وأصلح فأجره على الله وأن تعفو أقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للفضل وهو ضامن لنصره في الكفرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغى وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكرها بين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كاقبل العفو عند القدرة (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أي ذلك النصر للمطلوب بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عبادهم من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سميع وان اختلفت في النهار الاصوات (٢٩٦) بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشئ في اليبالي وان تولت الظلمات

عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازي الظالم بمثل ظلمه وقبيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم يفتي عليه) أي ظلم باخراجه من منزله يعني ما أناه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحو جوههم الى مطارقة أوطانهم ثم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فذكره المسلمون قتالهم وسالوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوههم فذلك بعينهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصره الله ان الله اعفو) أي عن مساوي المؤمنين (غفور) يعني لذنوبهم (ذلك) أي ذلك النصر (بان الله) القادر على ما يشاء فن قدرته انه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) في معنى هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطولع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير) ذلك بان الله هو الحق) أي ذوالحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان ما يدعون) يعني المشركين (من دونه هو الباطل) يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع (وان الله هو العلي) أي العالی على كل شيء (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه ﴿قوله عز وجل﴾ (لم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) أي بالنبات (ان الله لطيف) أي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان (خبير) أي بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له ما في السموات وما في الارض) أي عبيد او ملكا (وان الله لهو الغني الحميد) يعني الغنى عن عباده الحميد في أفعاله (لم تر أن الله سخّر لكم ما في الارض) أي الدواب التي تركب في البر (والفلك) أي وسخّر لكم السفن (تجري في البحر بأمره) يعني سخّر لها الماء والريح ولولا ذلك ما جرت (ويسلك السماء ان تقع) أي لكيلا تسقط (على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعني انه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذار رؤف رحيم بكم (وهو الذي أحياكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) أي لحوذ لنعم الله عز وجل ﴿قوله تعالى

(ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) عراقى غير أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف يخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجري فيهما وادراكه قولهم وفعلهم بسبب ان الله الحق الثابت الهيمته وان كل ما يدعى الهادونه باطل الدعوة وانه لا شئ أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانا (لم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة بابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بدء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان فاروح وأغدو شاكر له ولو قات فرحت

وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما وقع فتصبح ولم ينصب جوا بالالا سنفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات (لكل الاخضر ارفينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فنشكر ان نصبتة نصبت شكركه وشكوت من تفر يطه فيه وان رفعته أثبت شكركه (ان الله لطيف) واصل عمله أرفضه الى كل شئ (خبير) يصلح الخلق ومنافعهم أو للاطيف المختص بدقيق التدبير الحبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما في السموات وما في الارض) ما كوا وملكا (وان الله لهو الغني) المستغنى بكل قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض (الحميد) المحمود بنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الارض (لم تر أن الله سخّر لكم ما في الارض) من البهائم مذلة للركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطف على ما تجري حال لها أي وسخّر لكم الفلك في حال جريها (ويسلك السماء ان تقع على الارض) أي يحفظها من أن تقع (الاباذنه) بأمره أو بمشيئته (ان الله بالناس لرؤف رحيم) بامسالك السماء لثلاث تقع على الارض عددا لاهم مقرونة باسمائه يشكروه على آلائه ويذكروه باسمائه وعن أبي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقارئها البتة (وهو الذي أحياكم) في أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لا يصلح جزائكم (ان الانسان لكفور) لحوذ لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم ولا يعرف نعمة الانشاء

المبدى لوجوده ولا الافناء المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكا) مر بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشر بعة الله اذ هو شر بعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تحكمتهم من أن ينازعوك (في الامر) أمر الذبايح والدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تأكلون ما قاتلتم ولا تأكلون ما قاتله الله يعنى الميتة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك اعلى هدى مستقيم) طريق قوم ولم يذكروا فى لكل أمة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبهم من الآى الواردة فى أمر النساءك فغطت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعدن معناها فلم تجده معافا (وان جادلوك مرء) وتعنتا كما يطعمه السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله أعلم بما تعملون) أى فلا تجادلهم وادفعهم هذا القول والمعنى ان الله أعلم بما عملكم وما تستحقون عليهما من الجزاء فهو مجاز يكفه وهذا وعيد وانذار ولكن رفق ولين وتأديب يحاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله (٢٩٧) للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم

بالثواب والعقاب ومسالمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقي منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) أى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيها (فى كتاب) فى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أى علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم أشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به ينزل مكي وبصرى) سلطانا حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) أى لم يتمسكوا فى عبادتهم لها ببرهان سماوى من جهة الوحي ولا حجة لهم عليها دليل عقلى (وما

(لكل أمة جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال عبد اوقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعنك فى الامر) أى فى أمر الذبايح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان وزيد بن حنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون ما قاتلتم ولا تأكلون ما قاتله الله ومعناه لا تنازعهم أنت قوله تعالى (وادع الى ربك) أى الى الاعمان به والى دينه (انك اعلى هدى مستقيم) أى على دين واضح قويم (وان جادلوك) أى خاصموك فى أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أى من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) أى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين الجنة وثواب قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى قوله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب) أى فى اللوح المحفوظ (ان ذلك) أى علمه بجميعه (على الله يسير) أى هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) أى حجة ظاهرة من دليل سمعى (وما ليس لهم به علم) أى انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لاعتنا علم ولا دليل عقلى (وما للظالمين) أى المشركين (من نصير) أى مانع يمنعهم من العذاب (واذ اتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الانكار والكرهية يتبين ذلك فى وجوههم (يكادون يسطون) أى يقعون ويسطون اليك أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى بجمود وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أى قل لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أى بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذى تستمعون (النار) أى هى النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل فى الاكثر نكتة عجيبة غريبة جازان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال فى الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرقيقة المتلقة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاسمعوا له) أى تدبروه حتى تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفذ والمعنى جعل لى شبيهه وشبهى الاوثان أى جعل المشركون الاصنام شركا يعبدونها بين حالها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (لن يخلقوا ذبايا) أى واحد فى صغره وضعفه وقتله لانهم لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أى خلقته والمعنى ان

(٣٨ - - خازن) - ثالث) للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم و يصب مذهبهم (واذ اتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن (تعرف فى وجوه الذين كفروا والمنكر) الانكار بالعبوس والكرهية والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوتب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهية والصخر بسبب ما تلى عليكم (النار) خبر مبتدأ محذوف كأنه قال ما هو فقيل النار أى هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن الله تعالى شر يكافأ به فى الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب بين) مثل فاسمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آله باطلة (لن يخلقوا ذبايا) لن تخلقوا ذبايا لانه كما ذاب لاستقذاره أبلاستكباره (ولو اجتمعوا له) خلق

الذباب ومجمله التصب على الخمال كانه قيل مستحيل منهم ان يتخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا خلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما أنزل في تعجيب قريش حيث وصفوا بالالهية التي تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك (وان يسلبهم الذباب شيئا) شيئا ثانيا مفعولى يسلبهم (لا يستقدوه منه) أى هذا الخلق الاقل الاذلى لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدر واعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا يطولونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أى الصنم يطلب ما سلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية (٢٩٨) بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان

وهو جاد وهو غالب وذال مغلوب (ما قدره الله حق قدره) ما عرفه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكه (ان الله لقوى عزيز) أى ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شيئا به أو يقوى بنصر أوليائه عزيز ينقم من أعدائه (الله بصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكره ومن أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسول الله على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو سميع لاقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الامم فى الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ماضى (وما خلفهم)

هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدر واعلى خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستقدوه منه) قال ابن عباس كانوا يطولون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما سلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أى لو طلب الصنم ان يتخلق الذباب لمجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ما قدره الله حق قدره) أى ما علموه حق عظمتهم وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يمنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) أى غالب لا يقهر ﴿قوله عز وجل﴾ (الله بصطفى من الملائكة) أى يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) أى يختار الله من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (ان الله سميع) أى لا قوا لهم (بصير) أى لا فعالهم لا تخفى عليه خافية ﴿قوله تعالى﴾ (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) أى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يتخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم (والى الله ترجع الامور) أى فى الآخرة ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا ركعوا واسجدوا) أى صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أى وحده وقيل أخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم تتفلحون) أى لى تسعدوا وتفرحوا بالجنة

* (فصل فى حكم سجود التلاوة هنا) * لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا فى السجدة الثانية فروى عن عمرو بن عبد الله بن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى أنهم قالوا فى الحج سجدة واحدة والشافعى وأحمد وأبو حنيفة يدل عليه ما روى عن عقبه بن عامر قال قلت لرسول الله فى الحج سجدة واحدة قال نعم ومن لم يسجد هما فلا يقربهما أخرجه الترمذى وأبو داود وعن عمرو بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدة واحدة وقال ان هذه السورة فضلت بسجدة واحدة أخرجه مالك فى الموطأ وذهب قوم الى ان فى الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك يدل انهم قرئوا بالسجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة سجود التلاوة فذهب الشافعى وأحمدوا كثيرا لاهل العلم

مالم يأت أو ما عملوا أو ما سجدوا أو أمر الدنيا أو أمر الآخرة (والى الله ترجع الامور) أى اليه مرجع الامور كلها والذى هو الى بهذه الصفات لا يستل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجع شأى وحجزة وعلى (يا أيها الذين آمنوا ركعوا واسجدوا) فى صلواتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بالركوع وسجدوا فأمروا أن تكون صلواتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة للصلاة لا التلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولادى الى الصلاة التى هى ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكري ثم الى العبادة بغير الصلاة كاصوم والحج وغيرهما ثم بالحج على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تتفلحون)

أى كى تفوز واوا فعلوا هذا كما وأنتم واجعون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكوا وعلى أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغز وأوجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو كلمة حق عند أمير جاثر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله (٢٩٩) (حق جهاده) وهو ان لا يخاف فى الله

لومته لآئم يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وحدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حقا جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعل لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله

ويوم شهدناه سليمان و عامرا (هو اجتباكم) اختاركم كدليله ونصرته (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتميم وبالاعمار والقصر والافطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (ملة أبيكم ابراهيم) أى اتبعوا ملة أبيكم أى أئمتكم أو نصب على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم وسماه أبواؤن لم يكن أبيا للامة كلها لانه أبورسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبيا لامة لان أمة الرسول فى حكم أولاده قال عليه السلام انما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أى الله بدليل قراءة أى الله سماكم (من قبل) فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) أى فى

الى أمه أربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة فى الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد فى إحدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود بروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن إحدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمر بن العاص قال أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وضح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقرأ وأذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة هو واجب قوله عز وجل (وجاهدوا فى الله حق جهاده) أى جاهدوا فى سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفرغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال لا تخافوا الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما يجاهدون فى سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه أعمال الله حق عمله وعبادته قبل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هى العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله أخرجه فى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى وقيل بجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمارجع من غزوة تبوك قال رجعا من الجهاد الاكبر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوى بغير سند قيل أراد بالاصغر جهادا الكفار وبالاكبر جهادا النفس (هو اجتباكم) أى اختاركم كدليله والاستغفال بخدمته وعبادته وطاعته فأى رتبة أعلى من هذا وأى سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يتلى شئ من الذنوب الا جعل الله له منه شحرا جابضا بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق فى أوقات فرضكم مثل هلال شهر رمضان والقطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والقطر فى السفر والتميم عند عدم الماء أو كل الميتة عند الضرورة والصلاة القاعدا والقطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التى رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الامة مخلصتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم فى الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بنى سرائيل من الآصار التى كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة أبيكم ابراهيم) لانها أدخلت فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أبيا للامة كلها فكيف سماه أبيا فى قوله ملة أبيكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو وكقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم كالوالد وفى قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولان أحدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى ان الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله وبنوا جعلنا مسلمين للثمن ذر ينشأ من ملة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فبنا (وفى هذا) أى وفى القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يعنى يوم القيامة ان قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) يعنى تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أى تقواه وتوكلوا عليه وقيل

القرآن أى فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) انه قد بلغكم رساله بكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فأقيموا الصلاة) بواجبائها (وآتوا الزكاة) بشرائطها (واعصموا بالله)

وقولوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أي مالكم وناصركم وموتولى أموركم (فنعم المولى) حيث يمنعكم رزقكم بعصيانكم
(ونعم النصير) أي الناصر وهو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاة وناصره والله الموفق للصواب * (سورة المؤمنين مكية وهي
مائة وعثمان عشرة آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد أفلح المؤمنون) قد نقيضنا ما هي تثبت المتوقع ولما تنفيبه وكان المؤمنون
يتوقعون مثل هذه البشارة وهي (٣٠٠) الاخبار بشبات الفلاح لهم فحوظوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظاهر بالمطلوب والنجاة

من المروءة أي فاز وبما
طلبوا ونجسوا مما هو
والإيمان في اللغة التصديق
والمؤمن المصدق لغة وفي
الشرع ككل من نطق
بالشهادتين موافقا قلبه
لسانه فهو مؤمن قال عليه
السلام خلق الله الجنة فقال
لها تكلمي فقالت قد أفلح
المؤمنون ثلاثا أنا حرام على
كل بخيل من أعلانه بالربا
أبطل العبادات البدنية
وليس له عبادة مالية (الذين
هم في صلواتهم خاشعون)
خائفون بالقلب ساكنون
بالجوارح وقيل الخشوع
في الصلاة جمع الهمزة لها
خفيا والاعراض عما سواها وأن
لا يجاوز بصره من الصلاة وأن
لا يلتفت ولا يعيث ولا يسدل
ولا يرفع أصابعه ولا يقبل
الحصى ونحو ذلك وعن
أبي البرداء هو إخلاص
المقال واعظام المقام واليقين
التام وجمع الاهتمام
وأضيفت الصلاة إلى المصلين
لأن المصلي له الانتفاع المصلي
بما أحسنه وهي عبادته
وذاخيره وأما المصلي له فغنى
عنها (والذين هم عن اللغو
معرضون) اللغو كل كلام

تسكروا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكرهه وقيل معناه ادعوا ربكم أن يثبتكم
على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى
ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم * (تفسير سورة المؤمنين وهي مكية) *
وهي مائة وعثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كقوله أربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان
(بسم الله الرحمن الرحيم) *

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه
دوي كدوي الخجل فأترى الله عليه يوما فكت ساعة ثم سرى عنه فقرا قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات من
أولها أو قال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي
قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوافي الجنة وقيل
الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلواتهم خاشعون) قال ابن عباس تخشعون أدلاء خاضعون وقيل
خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبنة وقيل هو من أفعال الجوارح
كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى
فالخشوع في صلواته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية
الخشوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن
يكون ساكنا مطرقا ناظرا إلى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على عينه ولا من على شماله
(ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو إختلاس يختلسه
الشیطان من صلاة العبد الإختلاس هو الإختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله
مقبلا على العبد وهو في صلواته ما لم يلتفت فإذا يلتفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود
والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلواتهم فاشد قوله في ذلك حتى قال لمنتهن عن
ذلك أول الخشوع قال أبو هريرة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى
السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلواتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم إلى موضع السجود وقيل الخشوع
هو أن لا يعيث بشيء من جسده في الصلاة لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعيث بجليته في
الصلاة فقال لو خشع قلبه هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسه الحصى فإن الرجة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي
والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهممة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه
من القراءة والذكر ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن
المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب
(والذين هم للزكوة فاعلون) أي الزكاة الواجبة مؤدون فعبء عن التأدية بالفعل لأنها فعل وقيل الزكاة ههنا

ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني أن لهم من الجدم ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه هي
الوصف بالأعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على النفس اللذين هما قاعدان بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون)
مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج المالك من النصاب
إلى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المالك الذي هو التزكية وهو المراد هنا بفعل المالكين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأفعال كالضرب
والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزك كقول الضارب والقاتل والمزك كقول المزدك والمزك كقول المزدك وهو

الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الاعلى أزواجهم) في موضع الحال أي الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زيد على البصرة أي واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسربهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون الاعلى أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة الاعلى ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقال الفراء الامن أزواجهم أي زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي اماتهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء لهذا يباع كما يباع البهائم (فانهم غير ملومين) أي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نساءهم واماتهم (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فاولئك هم العادون) السكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم التمتع والاستمتاع بالكف لارادة (٣٠١) الشهوة (والذين هم لاماناتهم وعهدهم

لاماناتهم مكي وسهل سمي الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمر بالانصاف والعدل والامانة الى أهلها وانما تؤدى العيون للامانة والمراد به العموم في كل ما اتمنوا عليه وعهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) حافظون والراعي القائم على الشئ بحفظه واصلاح كراعي الغنم (والذين هم على صلواتهم كوفي غير أبي بكر (يحافظون) يداومون في أوقاتها واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها ولانها وحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت وجعت آخر اليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (اولئك) الجامعون لهذه

هي العمل الصالح والاول اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوءة الرجل والمرأة وحفظه التمتع عن الحرام (الاعلى أزواجهم) على معنى من (أو ما ملكت أيمانهم) يعني الاماء والجوارى والآية في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعني بعدم حفظ فرجه من امر أنه وأمه فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأثى وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) أي التمس وطلب سوى الزواج والولادة ونحوه من الجوارى المملوكة (فاولئك هم العادون) أي الظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمتاع بالبدن حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوماً يمشرون ويأيدهم جبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبيرة عذب الله أمة كانوا يعشون بهذا كبيرهم ﴿ قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون يحفظون ما اتمنوا عليه والعهد الذي عاهدوا الناس عليها يقومون بالوفاء به والامانات تختلف فبما ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالدائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أي يداومون وراعون أوقاتها واتمام أركانها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخر قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرار او وصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها ﴿ قوله عز وجل (اولئك) يعني أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعني يرثون منازل أهل النار من الجنة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون ذكره البغوي وغيره سند وقيل معنى الوارثية هو ان يؤول أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤول أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة ثمانية درجعة ما بين كل درجعة ودرجعة كباين السماء والارض والفردوس أعلاها درجعة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألت الله فاسأله الفردوس أخرجه الترمذي (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ قوله عز وجل (واقد خلقنا الانسان) يعني ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفة الماء وقيل هي المني لان النطفة تسلسل من الظاهر من طين يعني طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة أي سلسل من كل تر به (ثم جعلناه نطفة) يعني الذي هو

الاداء وصف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا واورثادون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أي الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من سلالة) من لا ابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسلسل من بين الكدر وقيل انما سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لانه سلسل من كل تر به (من طين) من اللين كقوله من الارثان (ثم جعلناه) أي نسله نحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء عذب وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة أي ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعني من نطفة مسالوة من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليلا

(في قرار) مستقر بمعنى الرحم (مكنين) حصين (ثم خلقنا النطفة) أي صبرنا هابلدالة تعديه الى المفعولين وانخلق يشعدي الى المفعول واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقه جراء (نخلقنا العلقه مضغعة) لما قدر ما مضغ (نخلقنا المضغعة عظاما) فصبرنا هاعظاما (فكسونا العظام لحما) فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظاما العظم شامى وأبو بكر عظاما العظام يزيد عن عظاما العظام عن أبي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذا الانسان ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكور (خلقنا آخر) أي خلقنا مابينا للخلق الاول حيث (٣٠٢) جعله حيوانا وكان جسدا واناطا وسيمعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غضب

الانسان جعلناه نطفة (في قرار مكنين) أي حر يزوهر الرحم وسمى مكنيا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقه) أي صبرنا النطفة قطعة دم جامد (نخلقنا العلقه مضغعة) أي جعلنا الدم الجسامد قطعة لحم صغيرة (نخلقنا المضغعة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستتر العظم فجعله كالكسوة قبل ان بين كل خلق وخلق أو بعين يوما (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي مابينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جسدا واناطا بعدما كان أنبكم وسمى بما كان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بحائب صنعته وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشي الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أي استحق التعظيم والشناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أي المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر
ولانت تفرى ما خلقتو بعرض القوم يخلق ثم لا يفرى

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أي بعدما ذكر من تمام الخلق (لميتون) أي عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أي للحساب والجزاء وقوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) أي بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تر كظام سدى بغير أمر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا نتخفى علينا خافية (وأترلنا من السماء ماء بقدرة) أي يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدرة ما يكفهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فأسكناه في الارض) بمعنى ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكاه في الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء في الارض من السماء (واناعلى ذهابه لقادرون) وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان وحيجان والهرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيجون وحيجون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل استودعها الجبال وأجرها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأترلنا من السماء ماء بقدرة فأسكاه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم

بيضة فان رخت عنده يضمن البيضة ولا رد الفرج لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) المقدرين أي أحسن المقدرين تقدر افرتك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبيل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا نوحى اليه فأنا نبى نوحى الى فارتد وخلق بكلمة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضي الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعد ما ذكرنا من أمركم لميتون عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

للجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) جمع طريقته هي السموات لانها طرق الملائكة وتمت قبل انهم (وما كنا عن الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه انما خلقنا فوقهم ليقف عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم (وأترلنا من السماء ماء) مطرا (بقدرة) بتقدير يرسلون معه من المضرور يصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجتهم (فأسكناه في الارض) كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض فشاء الارض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (واناعلى ذهابه لقادرون) أي كقادرنا على انزاله فقد در على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر

(فانشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فوا كه كثيرة) سوى النخيل والأعناب (ومنها ما يكون) أي من الجنات أي من غارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغفلها أي انتهاط عمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها رزقون وتتبعشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلاو اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسم الجبل مر كامن مضاف ومضاف اليه كأمري القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسورا للسين كقراءة الحجازي وأي عمر وللتعريف والجمعة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف للتأنيث ككهرام (تنبت بالدهن) قال الزجاج الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن تنبت مكي وأبو عمرو اما لان أنبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا أنبت البقل أو لان مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه (٣٠٣) الدهن (وصبغ للآكلين) أي ادم لهم قال مقاتل جعل الله

لهم قال مقاتل جعل الله تعالى هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هي أول شجرة تنبت بعد الطوفان وخص هذه الاقواع الثلاثة لانها اكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم في الانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم) لعبرة نستعقبكم) وفتح النون شامئ ونافع وأبو بكر وسق وأسق لغتان (بمافي بطونها) أي تخرج لكم من بطونها لبنا سائغا) ولستم فيها منافع كثيرة) سوى الابلان وهي منافع الاصواف والابرار والاشعار (ومنها ما يكون أي لحومها وعلمها) وعلى الانعام في السبر (وعلى الفلك في البحر) (تحمّلون) في أسفاركم وهذا يشير الى ان المسراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك

كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الاثمار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى واناعلى ذهابه لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والدياور وى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس **﴿** ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى (فانشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) انما أفردهما بالذكرة لكثرتهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والقوا كه رطبا ويا بسا (لكم فيها) أي في الجنات (فوا كه كثيرة ومنها ما يكون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وانشاءنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحشبية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر واياله وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم بحارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بشمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادم الذي يكون مع الخبز وصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة اداما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة بنبت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى في الارض نحو ثلاثة آلاف سنة **﴿** قوله عز وجل (وان لكم في الانعام لعبرة) أي آية تعتبرون بها (نستعقبكم بمافي بطونها) أي البانها وجه الاعتبار فيه ان اللبن يتخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه من مباحثي فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويدرغذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها ما يكون) يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعلمها) أي وعلى الابل (وعلى الفلك تحمّلون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر **﴿** قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) أي ما لكم معبود سواه (أفلاتتقون) أي افلاتتقون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور (يريد أن يتفضل عليكم) أي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأتمله تبسيع (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعني ببلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) أي الذي يدعوننا اليه نوح (في آياتنا الاولين ان هو الا رجل به جنة) أي جنون (فتربصوا به حتى حين) أي الى الموت فتستريحوا منه (قال رب انصرني

التي هي السفن لانها سفن البر قال ذوالرمة * سفينة تحت تحدي زمانها * يريد ناقته (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من اله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل الامر بالعبادة (أفلاتتقون) أفلاتتقون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (فقال الملا الذين كفروا من قومه) أي أشرفهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) يا كل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) ارسال رسول (لانزل ملائكة) لارسل ملائكة (ما سمعنا بهذا) أي بارسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للعجور ولم يرضوا بالنبوة للبشر (في آياتنا الاولين ان هو الا رجل به جنة) جنون (فتربصوا به حتى حين) فانظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي أمره فان آفاق من جنونه والاقلمتموه (قال رب انصرني

بما كذبون) فلما أبس من إيمانهم دعاء الله بالانتقام منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم إياي اذ في نصرتي اهلأ كههم أو انصرتي بدلها
 كذبون كقولك هذا ذلك أي بدل ذلك والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم (فأوحينا اليه) أي أجبنا دعاه فأوحينا اليه
 (أن اصنع الفلك بأعيننا) أي تصنعه وأنت واثق بحفظ الله للثور ورتبنا لك أوجظظنا وكلاءتنا كان معك من الله حفاظا يكأونك بعينهم
 لتلايتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم عليه من الله عين كآلة (ووحينا) أمرنا وتعلمنا اياك صنعتهاروى أنه أوحى اليه أن
 يصنعها على مثال جوجو الطائر (فأذآء أمرنا) أي عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أي فار الماء من تنورا الخبز أي أخرج سبب الغرق من
 موضع الحرق ليكون أبلغ في الأندار والاعتبار روى أنه قيل لنوح اذ آرت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما
 نبع الماء من التنور أخسبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل
 بالشام وقيل بالهند (فأسلك فيها) فادخل في السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة المذكروا أمة الانثى كالجمال والنوق
 والحسن والرمال (اثنين) واحد من مزدوجين كالجل والناق والحصان والمكة روى أنه لم يحمل الاما يلدو بيض من كل حفص والمفضل
 أي من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأ كيدوزيادة بيان (وأهلك) ونسألك وأولادك (الامن سبق عليه القول) من الله باهلا كه وهو ابنة
 واحدى وزوجته فحى بعلى مع سبق (٣٠٤) الضار كاجى باللام مع سبق النافع في قوله ولقد سبقت كما متنا لعبادنا المرسلين ونحوها الهاما

كسبت وعلها ما اكتسبت
 (منهم) ولتخطبني في الذين
 ظلموا انهم مغرقون) ولا
 تسألني نجاة الذين كفروا
 فاني أغرقهم (فأذا استويت
 أنت ومن معك على الفلك)
 فاذا تمكنتم عليها راكبين
 (فقل الحمد لله الذي نجانا
 من القوم الظالمين) امر
 بالحمد على هلاكهم والنجاة
 منهم ولم يقل فقولوا وان
 كان فاذا استويت أنت
 ومن معك في معنى اذا
 استويت لانه نبههم وامامهم
 فكان قوله قولهم مع ما فيه
 من الاشعار بفضل التوبة
 (وقل) حين ركبت على
 السفينة او حين خرجت
 منها (رب أنزلني منزلا) أي

بما كذبون) أي اعنى باهلا كههم بتكذيبهم إياي (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي جبر أي
 مناقله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لتلايتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان
 جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فأذآء أمرنا) أي عذابنا (وفار التنور) قيل هو
 التنور الذي يخبر فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذ آرت الماء يفور من
 التنور (فأسلك فيها) أي فادخل في السفينة (من كل زوجين اثنين) أي من كل حيوان ذكر وأنثى
 (وأهلك) أي وسأثر من آمن بك (الامن سبق عليه القول) أي وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار
 وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنة كنعان (ولتخطبني في الذين
 ظلموا وانهم مغرقون) قوله عز وجل (فأذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) أي
 في السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أي الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا)
 قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد
 بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وأنت خير المنزلين) معناه انه قد يكون الانزال من
 غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أثره ويكأوه في سائر أحواله
 ويدفع عنه المكارة بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك (ان في ذلك) أي الذي ذكر من
 أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله (لايات) أي دلالات على قدرتنا (وان كا) أي وما كآا لمبتلين)
 أي الاختبر بن اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لتنظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم (وقوله تعالى
 ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعد اهلا كههم (قرنا آخرين) يعني عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعني
 هو دا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله ما لكم من اله
 غيره أفلاتتقون) أي هذه الطريقة التي أنتم عليها تخافة العذاب (وقال الملا من قومه الذين كفروا

انزالا أو موضع انزال منزلا) أي بكرة أي مكانا (مباركا) أي منزلا (وأنزلنا في السفينة النجاة فها بعد الخروج
 منها كثر النسل وتتابع الخيرات (ان في ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لايات) لعبر او مواعظ (وان) هي المنخفضة من المثقلة واللام هي الفارقة
 بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنالمتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد واختبر بن هذه الآيات عبادنا لتنظر
 من يعتبر ويذكر قوله تعالى ولقد تر كناها آية فهل من مذكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) هم عاد
 قوم هود وشهد له قول هود واذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح وحيى قصة هود على ارفقة نوح في الاعراف وهو ذو الشعراء (فأرسلنا
 فيهم) الارسال يعدي بالي ولم يعد في هنا وفي قوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية ولسكن الامم القرية جعلت موضعا للارسال
 كقول روية * أرسلت فيهما صعبا الفحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم (أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلاتتقون) ان مفسرة
 لارسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملا من قومه) ذ كرمقالة قوم هود في جوابه في الاعراف وهو دغير واوانه على
 تعد رسؤال سائل قال فما قال قوم فقيل له قالوا كيت وكيت وهنما مع الواوانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه انه اجتمع في الحصول
 هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاع وحيى بالفاء في قصة نوح لانه جواب لقوله واقع
 عقبيه (الذين كفروا) صفة للملا أو لقومه

(وكذبوا باقاع الآخرة) أي لبقاء ما فهم من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم ونعمناهم) (في الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والاولاد (ما هذا) أي النبي (الابشر مثلكم) أي كل مما تاتأ كلون منه ويشرب مما تشربون) أي منه مخفف لدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (وائن أطمعتم بشر مثلكم) أي فيما يأمر كبهه وبينها كمنعه (انكم اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوهم من قومهم (لخاسرون) بالانقياد لنا. كمن ومن حقههم انهم أبو التابع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم انكم اذا متم) بالكسر نافع وحزة وعلى وحذص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما انكم تخرجون) يبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثني انكم لتأ كيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثاني باظرف ونخر جون خبر عن الاول والتقدير أيعدكم انكم تخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هيات هيات) وبكسر التاء زيد وروي عنه بالكسر والتنوين فيهما والوكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمرة أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث (ان هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحيائنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لاجل الحياة الا هذه الحياة التي نحن فيها دونت منا وهذا الان ان النافذة دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوزنت لا التي لئني الجنس (تموت ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن فيأتي قرن آخر وفيه تقديم وتأخير أي (٣٠٥) نحيا ونموت وهو قرعة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما (وما نحن

وكذبوا باقاع الآخرة) أي بالمصير اليها (وأترفناهم) أي نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحياة الدنيا) ما هذا الا بشر مثلكم يا كل مما تاتأ كلون منه ويشرب مما تشربون) أي من مشربكم (ولئن أطمعتم بشر مثلكم انكم اذا لخاسرون) أي الخسرون (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم تخرجون) أي من قبوركم (أحياء) (هيات هيات) قال ابن عباس أي بعد بعد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفلا منهم للتفكير في بدء أمرهم وقدره الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هي الحياة الدنيا ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) أي بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الارجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) أي بصدقين بالبعث بعد الموت (قال ربي انصرفي بما كذبون قال عاقبل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وقيل صاحبهم جبريل فتصدت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غنماء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيسوا ويس الغنماء من نبات الارض (فبعدا) أي ألزمتنا بعد من الرحمة (للقوم الظالمين) قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا (كما جاء أمقرسوها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) أي بالهالك فاهلكوا بعضهم في أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) أي عوارق صايتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم (فبعدا القوم لا يؤمنون) قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا واسطان مبين) أي بحجة بيينة كالعصا واليدوغ برهما

رضى الله عنهما) (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الرجل افترى على الله كذبا) أي ما هو الامفتر على الله في ما يدعيه من استنبات له وفيما يدعيه من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرفي بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عاقبل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك مارأيت قدما ولا حديثا وفي معناه عن قسرب وما زائدة أو بمعنى شئ أو زمن وقيل يدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذا عاينوا ما يجعل بهم

(٣٩ - خازن) - ثالث) (فاخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاحب عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أي بالعدل (فجعلناهم غنماء) شبههم في دمارهم بالغنماء وهو جميل السيل مما يلي واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلاك كما يقال بعد بعدا أو بعد أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان ان دعوى عليه بالبعث نحو هيت لك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة) من صلة أي ما تسبق أمة (أجلها) المكتوب لها الوقت الذي حدهلاكها وكتب (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فعلى والالف للتأنيث كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لا يتون لانه غير منصرف تترى بالتنوين مكى وأبو عمرو زيد على أن الالف للاتفاق كطلح وهو نصب على الحال في القراءتين أي متتابعين واحدا بعد واحد وناؤها فيهما بدل من الواو والاصل وتري من التردد وهو الفرد فقلت الواو ناء كتراث (كما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول يلبس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فاتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) في الالهلاك (وجعلناهم أحاديث) اخبارا يسمع بهم او يتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه الصلوة والسلام وتكون جمعا للاحدثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا ونجبا وهو المراد هنا (فبعدا القوم لا يؤمنون) ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون (بدل من أخاه) (بآياتنا) التسع (واسطان مبين) وحجة ظاهرة

(الى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الايمان ترفعوا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكور والمؤنث (وقومهما) أي بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان الملك فهو عابده عند العرب (فكذبوهما فكأنوا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى) أي قوم موسى (الكتاب) التوراة (اعلمهم يتدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) نذل على قدر تناعلي ما نشاء لانه خلق من غير نطفة وحد لان الاجوبة فيهما واحدة والمراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فخذت الاولي الدلالة الثانية عليها (وآتيناهما) جعلنا ما واهما أي منزلهما (البروة) شامى وعاصم برة غيرهما أي أرض مترفعة وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وما يعنى انه (٣٠٦) لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وما ظهر جار على وجه الارض أو انه مفعول أي

مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا أدركه بعينه أو فاعيل لانه نفاع بظهوره وجره من الماعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان أمرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيقا ان يؤخذ به ويعمل عليه وهو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يا كل من الغنائم والعبسى عليه السلام لانصال الآية بذكره وكان يا كل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حلل الامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ

(الى فرعون وملئه فاستكبروا) أي تعظما وعان الايمان (وكانوا قوما عالين) أي متكبرين فاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (انؤمن لبشرين مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) أي مطيعون متذللون (فكذبوهما فكأنوا من المهلكين) أي بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (اعلمهم يتدون) أي استكبرهم حتى به قومه قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أي دلالة على قدر تدالانه خلقه من غير ذكروا نطقه في المهدي فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدت من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة (وآتيناهما الى ربة) أي مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بن المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الايواء انها فرقن بابنها الهياكل وقوله (ذات قرار) أي منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجاري الذي تراه العيون قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعلموا صالحا) أي استقيموا على ما يوجبها الشرع (انى بما تعملون عليم) فيمتد بر من مخالفة ما أمرهم به وإذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلان يكون تتخذ والغيرهم أولى لما روى عن أنى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء ياب يارب ومطعمه حرام وشربه حرام وماله حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم قوله عز وجل (وان هذه أمةكم) أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها (أمة واحدة) أي ملة واحدة وهى الاسلام (وانار بكم فاتقون) أي فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامرهم واحد وانار بكم فاتقون (فنتقطعوا) أي تفرقوا فصاروا فرقا وهم وداونصارى ونجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (أمرهم) أي دينهم (بينهم زبرا) أي فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أي كتبوا المعنى تمسك كل قوم بكتاب آمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أي مسرورون ومحبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (في غمرتهم) قال ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل في غميتهم وغفلتهم (حتى حين) أي الى أن يموتوا (أيحسبون أنما نغدوهم به من مال وبنين) أي ما نعطيهم ونجعل لهم مدا من المال والبنين في الدنيا (نسارع لهم

والامر للترفيه والاباحة) (واعلموا صالحا) موا فبالشر يعنى انى بما تعملون عليم) فاجاز بكم على اعمالكم (وان هذه) كوفي على الاستئناف وان حجازى وبصرى يعنى ولان اى فاتقون لان هذه اوم عطوف على ما قبله اى بما تعملون عليم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه (امتمكم) اى ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها (املة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام وانصاب امه على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وانار بكم) وحدهى (فاتقون) نخافوا عقابى في مخالفتكم امرى (فنتقطعوا امرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع اى قطعوا امر دينهم (زبرا) جمع زبراى كتبنا مختلفة يعنى جعلوا دينهم ادبا نارقيل تفرقوا في دينهم فرقا كل فرقة تنتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعوا حرفه وقرئ زبرا جمع زبراى قطعوا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقاعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب والدين ومن الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم) في غمرتهم (يجهلتهم) وغفلتهم (حتى حين) اى الى ان يقتلوا ويموتوا (أيحسبون أنما نغدوهم به من مال وبنين) ما يعنى الذى ونحسب ان (نسارع لهم

في الخيرات) والعائد من خبر ان الى اسمها محذوف اي نساخ لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الاستدراج لهم الى المعاصي وهم بحسبونه مسارع لهم في الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين وقد اخبرنا ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله لا يحسبون اي انهم اشبه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك انه استدراج او مسارعة في الخير ثم بين ذلك اكراما وليامته فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (اي خائفون) والذين هم بايات ربهم يؤمنون (اي يكتب الله كل الايام الفرقون بين كتبته كالذين تقطعوا امرهم بينهم وهم اهل الكتاب) والذين هم بربهم لا يشركون (كشركي العرب) والذين يؤتون ما آتوا (اي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقري يؤتون ما آتوا بالقصر اي يطعمون ما فعلوا) وقولهم وجهلة) خائفان لا تقبل منهم لتقصيرهم (انهم ٣٠٧) الى ربهم راجعون) الجمهور على ان

التقدير لانهم وخبر ان الذين (اولئك يسارعون في الخيرات) يرغبون في الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) اي لا اجل الخيرات سابقون الى الجنات اولاجلها - بقوا الناس (ولانكاف نفسا الاوسعها) اي طاقتهما يعني ان الذي وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقاة وكذلك كل ما كفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق (والدينا كتاب) اي اللوح او صحيفة الاعمال (ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب او نقصان ثواب او بتكليف ما لاوسع له به (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة في غلة غامرة لها ما عليه هؤلاء الموصوفون من

في الخيرات) أي نجل لهم ذلك في الخيرات ونقدمه ثوابا ليعملهم لمرضاة الله عنهم (بل لا يشعرون) أي ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمنا (والذين هم بايات ربهم يؤمنون) أي بصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من اعمال البر (وقولهم وجهلة) أي خائفان ذلك لا ينجمهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم الى ربهم راجعون) أي انهم يؤمنون انهم الى الله صابرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقولهم هم وجهلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابن الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات أخرجه الترمذي وقوله (أولئك يسارعون في الخيرات) أي يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أي اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله عز وجل (ولانكاف نفسا الاوسعها) أي طاقتهما من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض (والدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أي بين الصدق والمعنى قد اثبتت لكل عامل في اللوح المحفوظ فهو يعطى به ويبيئه وقيل هو كتاب اعمال العباد التي تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا زاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من هذا) أي القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا المحكومة عليهم (من دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقاوة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أي رؤسهم وأعنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشد وطأ تلك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاههم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف (اذا هم بجوارون) أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لاتجاروا اليوم) أي لاتجزعوا ولا تضجوا اليوم (انكم منا لاتنصرون) أي لاتمنعون منا ولا ينفعكم نضركم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي ترجعون القهقري وتناخرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي

المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة منخط. بما ذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيون لا يقطعون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متعصمهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام وقتلهم يوم بدر وحي هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الشرطية (اذا هم بجوارون) بصرخون استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لاتجاروا اليوم) فان الجوار غير نافع اسم (انكم منا لاتنصرون) أي من جهة تنالنا ليقبحكم نصر أو معونة (قد كانت آياتي تتلى عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقري والنكوص ان يرجع القهقري وهو أقب مشبهة لانه لا يرى ما وراءه (مستكبرين) متكبرين على المسلمين حال من تنكصون (به) بالبيت أو بالحرم لانهم يقولون لا يظنور علينا أحد لانا أهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتي لانها في معنى كتابي ومعنى

استكبرهم بالقرآن تكذيبهم به اسما كبريا من مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) ثم روت بذكر
 القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمررون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سمررا وسمررا وسمررا نحو
 الخاضع في الاطلاق على الجمع وقرئ سارا أو بقوله (تسجرون) وهو من الهجر الهذيان تسجرون نافع من أهجر في منطقه اذا أخش
 (أفلم يدبروا العول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا له الحق المبين فيصدقوا به وعن جاء به (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) بل آجاءهم مالم
 يأت آباءهم الأولين فاذلك أنكره واستبدعه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق
 أي عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه أو جههم عقلا وأتقهم
 ذهنا (بل جاءهم بالحق) الابليج والصرط المستقيم وبما خالف شهوراتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجذوا له مردا ولا مدفا فاذلك
 نسبوه الى جنون (وأكثرهم للحق (٣٠٨) كارهون) وفيه دليل على ان آفاهم ما كان كارها للحق بل كان نارا كاللايمان به أنفة واستنكافا

من توبخ قومه وان يقولوا
 صبأ وتزلزل دين آباءه كابي
 طالب (ولو اتبع الحق)
 أي الله (أهواءهم) فيما
 يعتقدون من الآلهة
 (لفسدت السموات
 والارض) كإفاله لو كان
 فيهما آلهة الا الله لفسدنا
 (ومن فيهن) خص العقلاء
 بالذكوران غيرهم تبح
 (بل أتيناهم بذكرهم)
 بالكتاب الذي هو ذكركم
 أي وعظمتهم أو شرفهم لان
 الرسول منهم والقرآن
 بلغهم أو بالذكر الذي
 كانوا يفتنون به ويقولون لو أن
 عندنا ذكرا من الأولين
 الآية (فهم عن ذكركم
 معروضون) بسوء اختيارهم
 (أم تستلهم خراج فراج
 ر بل نخير) مجازي وبصري
 وعاصم خراج فراج على
 وحرة شامى خراج فراج

بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله
 وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحد فإيمانون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به
 أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاوّل أظهر (سامرا) يعني انهم يسمررون بالليل حول البيت وكان عامة
 سمرهم ذكر القرآن وتسميته سمررا وسمررا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله
 (تسجرون) من الهجر وهو الاقشاق في القول وقيل معنى تسجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تنه ذنون وتقولون مالا تعلمون (أفلم
 يدبروا القول) يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد
 صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) يعني فأنكروا ويريدون نافذ بعثنا من قباهم رسالا الى
 قومهم فكذلك بعثنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن
 عباس أليس قد عرفوا محمد صلى الله عليه وسلم لم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقته وأمانته ووفاءه بالعهود
 وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) أي
 جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل
 (وأكثرهم للحق كارهون) قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو
 اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمي لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل
 القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم
 بذكرهم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكركم) أي شرفهم (معروضون
 أم تستلهم) أي على ما جئتم به (خرجا) أي أخرجوا جعلوا (خرجا ر بل نخير) أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه
 خير (وهو خير الرازقين) تقدم تفضيره (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أي الى دين الاسلام (وان
 الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لنا كبون) أي اعادون عنسه وماثلون (ولو
 رجفناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قطع وجدوبة (للجوا) أي اتمادوا (في طغيانهم يعمهون) أي لم
 يتزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم
 سنين كسنى يوسف فاصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشدك الله والرحم
 ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد أكلوا القدر والعظام وشكوا اليه الضر فادع الله أن

وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج يكشف
 القرية وتخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قديلا من عطاء الخلق فالكثير
 من الخلق خير (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق ان يستجيبوا لك (وان
 الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون) لعادون عن هذ الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رجفناهم وكشفنا ما بهم
 من ضر) المأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أشدك الله والرحم ألسنت
 تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر
 وهو القحط الذي أصابهم برجته لهم ووجدوا الحصب (للجوا) أي اتمادوا (في طغيانهم يعمهون) يترددون يعني لعادوا الى ما كانوا عليه من
 الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانؤمنين ولا هب عنهم هذا التماق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب

فما وجدنا بعد ذلك منهم استمكانة أي خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أي وهم على ذلك بعد وذلالم يقل وما
 تضرعوا ووزن استمكان استعمل من الكون أي انتقل من كون إلى كون كما قيل استعمال اذا انتقل من حال إلى حال (حتى اذا افتحنا) فتحنا
 يزيد عليهم باياذا عذاب شديد) أي باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل (اذاهم فيه ملبسون) متحبرون أي يسون من كل خير وجاء
 أعتاهم وأشدهم شكيم في العناد ليس تعطيلك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فصار في فهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا
 بنار جهنم خفيئذ يلبسون كقوله ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون (وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والاذن) خصها بالذكري لانها
 يتعاقب مع امن المنافع الدينية والدنيوية مما لا يتعلق بغيرها (قليلامتشكرون) أي تشكرون شكر اقليل واما زيادة لتأكيدهم على حقها والمعنى
 انكم لم تعرفوا اعظام هذه النعم ووضعتهم وها غيروا مواضعها فلم تعملوا ابصاركم واهمكم في آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم
 ولم تشكروا له شيئا (وهو الذي ذرأكم) خلقكم وشركم بالناسل (في الارض واليه (٣٠٩) تحشرون) تجتمعون يوم القيامة بعد

تفرقكم (وهو الذي يحيي ويميت) أي يحيي النسم بالانشاء ويميتها بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) أي يحيي أحدهما عقب الآخر واختلافهما في الظلمة والنور وفي الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصرفهما غيره (أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث او فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أي أهل مكة (مثل ما قال الاولون) أي الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا) انذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئتنا لمبعوثون متنافاع وحزرة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أي البعث (من قبل) يحيى

يكشف عما هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لهم) أي ما خضعوا وما ذلوا لهم (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا افتحنا عليهم باياذا عذاب شديد) قال ابن عباس بنى القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذاهم فيه ملبسون) أي آيسون من كل خير ﴿ قوله عز وجل (وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والاذن) أي اتسمعوا بها وتبصر واوتعتلوا (قليلامتشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم (واليه تحشرون) أي تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل جمعاهما مختلفين في عقابن وبخلافان في السواد والبياض (أفلا تعقلون) أي ماترون من صنعه فتعبروا (بل قالوا مثل ما قال الاولون) أي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ما أنكروا الاولون مع وضوح الدلالة (قالوا) انذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئتنا لمبعوثون أي المحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) أي هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم يزل به حقيقة (ان هذا الاسطير الاولين) أي أكاذيب الاولين ﴿ قوله تعالى (قل) أي يا محمد لاهل مكة (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) أي خالقها وما لكها (سيقولون لله) أي لا بد لهم من ذلك لانهم يقولون انها مخلوقة لله (قل) أي قل لهم يا محمد اذا اقروا بذلك (أفلا تذكرون) أي فاعلموا ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيايتهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي عبادة غيره وقيل معناه أفلا تتحذرون عقابه (قل من يده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء (وهو يجبر) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يتنعم منه من اراده بسوء (ان كنتم تعلمون) أي فأجيبوا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) أي فأنى تحذعون وتصرفون عن توحيد وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناهم بالحق) أي بالصدق (وانهم لكاذبون) أي فيما يدعون من الشرك والولد

محمد (ان هذا الاسطير الاولين) جميع اسطر جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لاحقيقة له وجمع اسطر وأوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الحجية على المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها) ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقررون بانه الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتماعوا أن من فطر الارض ومن فيها كان قادر على إعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية أفلا تتقون بالتخفيف جزرة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تتقونه فلا تسركوا به أو أفلا تتقون في سجودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من يده ملكوت كل شيء) الملك والواو والهاء للمبالغة فتنبى عن عظم الملك (وهو يجبر ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أحرقت فلان على فلان اذا أغشمت منه ومنعته بمعنى وهو يعيث من يشاء من يشاء ولا يعيث أحد منه أحدا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) تحذعون عن الحق وعن توحيد وطاعته والحادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذا السؤال لمن وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لاننا اذا قلت من رب هذا فمعناه ان هذا احتجاب لان كقول الشاعر اذا قيل من رب المزالف واقرى * ورب الجداد الحرد قيل الخالد أي لمن انزال ومن قرأ بحذقه فعلى الظاهر لاننا اذا قلت من رب هذا الجوابه فلان (بل أتيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون)

حتى قولهم اتخذ الله ولدا وادعاهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الالهية (اذ الذهب كل اله بما خلق) لان فرد كل واحد من الالهة بالذي خلقه فاستبد به وتميز ملك كل واحد منهم عن الاخر (وله ابعاضهم على بعض) واغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا سالكمهم مما ترونهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز المالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد يسده ملكوت كل شئ ولا يقال اذ لا تدخل الاعلى كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط والاسوال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة للدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب بان حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الالناد والاولاد (علم) بالجر صفة لله وبالرفع مدني وكوفي غير حرف ص خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالي عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب انا ترينى ما لوعدون) ما والنون مؤ كدان أى ان كان لا بد من ان ترينى ما تعدهم من (٣١٠) العذاب فى الدنيا وفى الآخرة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى فلا تجعلنى قريبا لهم

ولا تعدنى بعداجم عن الحسن رضى الله عنه أخرجه الله ان له فى أمته نعمة ولم يخبره متى وقتها فامر أن يدعوه هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعذبه مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والقاعى فى الجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (واناعلى أن ترينى ما تعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تألمتم فما رجه هذا الانكار (ادفع بالتي) بالخصلة التى (هى أحسن السيئة) هو أبغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال

(ما اتخذ الله من ولدا وما كان معه من اله) أى من شريك (اذ الذهب كل اله بما خلق) أى لان فرد كل واحد من الالهة بخلقها الذى خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الا تخرعن الاستيلاء على ما خلقه هو (واعلا بعضهم على بعض) أى طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد يسده ملكوت كل شئ ويقدر على كل شئ ثم تره نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أى من اثبات الولد والشريك (علم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أى تعظم من أن يوصف بما لا يليق به ﴿ قوله عز وجل (قل رب) أى يارب (اماتر بنى ما لوعدون) أى ما وعدتهم من العذاب (رب) أى يارب (فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى لانهم لى بهم لا كهم (واناعلى أن ترينى ما تعدهم) أى من العذاب (لقادرون ادفع بالتي هى أحسن) أى بالخلعة التى هى الصلح والاعراض والصبر (السيئة) يعنى أذا هم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أى يكذبون ويقولون من الشرك ﴿ قوله عز وجل (وقل رب أعوذ بك) أى امتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس ترغابهم وقيل وسواسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالأغواء الى المعاصى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أى فى شئ من أمورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له * عن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لا أدري أى صلاة هى قال الله أكبر كبيراً ثلاثاً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكراً وأصلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نفثه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسيره هذه الالفاظ فى متن الحديث وتريده ايضا حاقوله نفثه الشعر أى لان الشعر يخرج من القلب فيلنظ به اللسان وينفثه كما ينثف الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينفخ وينفخ ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة لان الجنون ينحسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يحاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولاً ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلى أعمل صالحاً فيما تركت) أى ضيعت وقيل تركت أى منعت وقيل خلفت

ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن اساعتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضى الله عنه هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك أو الفحش والسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل بحكمة اذ المداواة محثوث عليهم امام تؤدى الى ثم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكركم فجازهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وسواسهم ونحساتهم وهمزة النحر وهمزات جمع الهمة ومنه همماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصى كما تمم الرضاة للدواب حثاله على المشى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالاعتوذ من نحساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالنعوذ من أن يحضروه أصلاً أو عند تلاوة القرآن أو عند النزوع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بصفون أى لا يزالون بشركون الى وقت نبى عالموت أو لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاض عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستتره عن الحليم ويعزبه على الانتصار منهم (قال رب ارجعون) أى ردونى الى الدنيا خاطب الله بانفذاً للجمع لا تعظيم كخطاب الملوك (لعلى أعمل صالحاً فيما تركت)

في الموضوع الذي تركت وهو انه ثلث الدنيا وصار الى العقبي قال قتادة ما منى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولا الى بيتك ما فرط لعلي
ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب (كلا) ردد عن طلب الرجعة وانكارها واعتباد (انها كلمة) المراد بالرجعة العاقبة من الكلام المنتظم
بعضها مع بعض وهو قوله ربار رجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لاحتمال لا يتخلها ولا يسكت عنها الاستيلاء الحسرة والندم عليه
(ومن ورائهم) أي امامهم والضمير للجماعة (برزخ) - قل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الي يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث
وانما هو اقنط كلئ لما علم ان لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ في الصور) قيل انها النفخة الثانية (فلا انساب بينهم يومئذ)
وبالادغام بوجز واجتماع المثمين وان كانا من كثنين يعني يقع التقاطع بينهم حيث ينفردون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم
بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) (٣١١) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون

في الدنيا لان كلا مشغول
عن سؤال صاحبه بحاله
ولا تناقض بين هذا وبين
قوله وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون فللقائمة
مواطن في موطن يشتد
علمهم الخوف فلا يتساءلون
وفي موطن يطيقون
فيتساءلون (فمن ثقلت
موازينه) جمع موزون
وهي الموزونات من الاعمال
الصالحة التي اهاوزن وقدر
عند الله تعالى من قوله فلا
نقيم لهم يوم القيامة وزنا
(فاولئك هم المفلحون ومن
خفت موازينه) بالسبيات
والمراد الكفار (فاولئك
الذين خسروا أنفسهم)
غبنوها (في جهنم خالدون)
بدل من خسروا أنفسهم ولا
يحل للبدل والمبدل منه لان
الصلة لا يحل لها أو خبر
بعده خبر لاولئك أو خبر
مبتدأ محذوف (تلقى) أي
تحرق (وجوههم النار وهم
فيها كالحون) عابسون

من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ما منى ان
يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليجتمع الدنيا يقضى الشهوات ولكن منى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم
الله امرأه اعمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة دوزجر أي لا يرجع اليها (انها) يعني
مسألة الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا ينالها (ومن ورائهم - برزخ) أي من امامهم ومن بين أيديهم
جابر (الي يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة سجابا وما نعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى
انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقنط كلئ لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ﴿قوله تعالى
(فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الأولى نفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض فلا انساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على
رؤس الاقارب والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء
أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم أي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ
كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة
أنت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان لاقامة أحوال ومواطن في موطن يشتد علمهم الخوف فيشتغلون
عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يطيقون افاقة فيتساءلون ﴿قوله عز وجل (فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا) أي غبنوا (أنفسهم في جهنم
خالدون تلقى) أي تسفح وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون وقد بدت أسنانهم
وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار * عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفاه العيا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخ شفاه السفلى
حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى
عليكم) يعني قوارع القرآن وزواجره تحفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي
التي كذبت علينا فلم نهتد (وكأقوام ضالين) أي عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا)
أي لما تكبره (فانا ظالمون قال اخسوا فيها) أي ابعدها فيها كما يقال للكاب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون)
أي في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أبس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام

فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) وترعون انما ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا)
ما كبتنا (شقوتنا) شقاوتنا حرة وعلى وكلاهما مصدر أي شقيننا بعمالنا لسببنا التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كبت علينا من
الشفاعة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا
لانهم انما يقولون ذلك القول اعتادوا انهم من كفرهم من النفر يطي أمره فلا يحتمل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما
ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسوا فيها)
استكوا سكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخطف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك
الا الشهيق والزفير أن يحضروني ولا تكلموني بالياء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلاء

(انه) ان الامر والشان (كان فريق من عباده يقولون ربنا آمننا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخر يا مفعول ثان وبالضم مدنى وجزرة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا ان في اية النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضى الله عنهم وقيل اهل الصفة خاصة ورمعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتمهم سخرين (حتى انسوكم) بتشاكلهم بهم على تلك الصفة ذكري) فتركتوه اى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) استهزاهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم (انهم) اى لانهم (هم الفائزون) ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اى جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين وجزاهم بما صبروا اجنة انهم جزوة وعلى على الاستئناف اى انهم هم الفائزون لانتم (قال) اى الله او (٣١٢) المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مى وجزرة وعلى امر الملائكة ان يسألهم (كم لبثتم فى الارض)

فى الدنيا عدد سنين) اى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدديين (قالوا) لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولمساهم فيه من عذاب الان المحتسب يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة (فاستل العادين) اى الحساب او الملائكة الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلاه زمكى وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) اى ما لبثتم الا زمانا قليلا او لبثا قليلا (لوانكم كنتم تعاون) صدقهم الله تعالى فى تقاليم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها قبل ان جزوة وعلى (انفسيتم انما نخلقناكم عبثا) حال اى عابثين او مفعول له اى للعبث (وانكم بينا لا ترجعون) وبفتح التاء وكسر الجيم جزوة وعلى ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم او على عبثا اى للعبث وانتم ككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء * (تفسير

يتسكاهم به اهل النار ثم لا يتسكاهون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون ما لا يكلمون من اهل جهنم اربعين عاما يامالك لي قبض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ما كنون ثم ينادون ربهم ربنا اخر جناتنا فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا ميتين ثم يرد عليهم اخسوا فيها ولا تسكاهون فما ينس القوم بعد ذلك بكامة ان كان الا الزفير والشهيق ذكروه البغوى بغير سند واخرجه الترمذى بمعناه عن ابى الدرداء قوله فما ينس القوم بعد ذلك بكامة اى سكتوا ولم يتسكاهوا بكامة وقيل اذا قال لهم اخسوا فيها ولا تسكاهون انقطع رجائهم واقبل بعضهم ينجح فى وجه بعض وطبقت عليهم جهنم (انه كان فريق من عباده) يعنى المؤمنين (يقولون ربنا آمننا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخر يا) اى تسخرون منهم وتستهزئون بهم (حتى انسوكم ذكري) اى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزل فى كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) اى على اذ كانوا استهزؤا بكم فى الدنيا (انهم هم الفائزون) اى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعنى ان الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم فى الارض) اى فى الدنيا وفى القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه انهم تسو امددة لبثهم فى الدنيا لعظيم ما هم بصدده من العذاب (فاستل العادين) يعنى الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى آدم ويحصونها عليهم (قال ان لبثتم) اى ما لبثتم فى الدنيا (الا قليلا) سماه قليلا لان المروان طال لبثه فى الدنيا فانه يكون قليلا فى جنب ما يلبث فى الآخرة (لوانكم كنتم تعلمون) اى قدر لبثكم فى الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (انفسيتم انما خلقناكم عبثا) اى لعبا واطلا للحكمة وقيل العبت معناه لتعبوا وتعبثوا وخلقتم الهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة او امر الله عز وجل (وانكم بينا لا ترجعون) اى فى دار الآخرة للجزاء وى البغوى بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرفاه فى اذنه انفسيتم انما خلقناكم عبثا وانكم بينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذاق قيت فى اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو ان رجلا موقفا قرأها على الجبل لزال ثم تراه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) اى هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) اى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم الخلق لوقا (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) اى لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة فى دعوى الشرك (فانما احسابه) اى جزاؤه (عند ربه) اى هو مجاز به بعمله (انه لا يفلح الكافرون) اى لا يسعد من يجرد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين)

انما خلقناكم او على عبثا اى للعبث وانتم ككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء * (تفسير فثيب المحسن ونعاقب المسيء) فتعالى الله عن ان يخلق عبثا (الملك الحق) الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه والى الذى لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكريم لان الرحمة تنزل منه وانسبته الى كرم الاكريم وقرئ شاذ برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان) اى لا حجة له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من احسن الى زيد لا حق بالاحسان منه فان الله مشيبه او صفة لازمة تجى بها التوكيد كقوله بطير بجانحه لان يكون فى الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان (فانما احسابه) اى جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) اى فهو مجاز به لانه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد ابلغ المؤمنين وخطمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخطمة ثم علمنا سوال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وانت خير الراحمين) لان

رحمته اذا دركت احد اغنثه من رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته * (سورة النور مدينة وهي ستون واربع آيات) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (سورة) خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة (انزلناها) صفة لها قرأ طلحة سورة علي زيدا ضربته أو علي أنزل سورة والسورة الجامعة لجل آيات بها نعمة لها ونامتة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أي فرضنا أحكامها التي فيها أصل الفرض القطع اي جعلناها مقطوعا بها وبالشد يد مكي والوعر والمعبأة في الإيجاب وتو كيدته أولان فيها فرائض شتى وألكتها المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم) (وانزلنا فيها آيات بينات) أي دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا وتتخففوا من حزمه وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدتهما أو الخبر فاجلدوا وأودخلت الفاء لتكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذي يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على اضممار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه إشارة الى انه لا يبلغ (٣١٣) ليصل الامم الى اللطم والخطاب للآفة لان

اقامة الحد من الدين وهي على الكل الا انهم لا يكتمهم الاجتماع فينوب الامام منهاهم وهذا حكم حريص بحصن اذ حكم المحصن الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والترزح بنسكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافي والتغريب المروي منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذهب ما بهن من الاية (ولا تأخذ كيهما رافة) أي رجة والفتح لغة وهي قرعة مكي وقيل الرافة في دفع المكر وهوالرجة

* (تفسير سورة النور وهي مدينة وهي اثنان وقيل أربع وستون آية) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) اي أو جينا ما فيها من الاحكام والزمن كما العمل بها وقيل معنا قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أو جيناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وانزلنا فيها آيات بينات) أي واضحات (لعلكم تذكرون) أي تتعظون ﴿ قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكفر وموجب للحد وهو ايلاح فرج في فرج مشتمسى طبعاً محرم شرعاً والشرط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ وبشرط الاحصان في الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا ينصف وقوله فاجلدوا أي فاضر بوايقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب الى رأى الامام وقال مالك بجلد الرجل مائة جلدة وغرب وتجلد المرأة ولا تغرب وان كان الزاني محصناً فعليه الرجم (ولا تأخذ كيهما رافة) أي رجة ورفة فتعطلوا الحدود ولا تقموا بها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبيرة والبخعي والشافعي وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب بل أو جعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب (في دين الله) أي في حكم الله وروى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذ كيهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فارجعت (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه ان المؤمن لا تأخذ الرافة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهيج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد) أي وليحضر (عذابهما) أي حدهما اذا أقيم عليهما (طائفة) أي نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعداً وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا ﴿ قوله عز وجل (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركه الا زانية لا ينكح الا زانية ولا يشركه الا مشركه) (خازن) - ثالث)

في اتصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلوا في دين الله ولا يأخذهم الذين في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (في دين الله) أي في طاعة الله وأحكامه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهيج والتهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمرة أي فاجلدوا ولا تعطلوا الحدود (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميته هذا دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حاكمة ليعتبروا وينتجروها وأرفها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الخافة حول شئ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة إلى اربعين رجلاً (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركه) والزانية لا ينكح الا زانية ولا يشركه الا مشركه (اي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصالح من النساء وانما يرغب في خبيثته من شكاه او في مشركه والخبيث المسافة كذلك لا يرغب في نكاحها الصالح من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكاه من الفسقة والمشركين فالآية تزهد في نكاح البغايا اذا زنا عدل الشرك في القبح والايمن قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرماً في اول الاسلام ثم نسخ قوله وانكحوا الايمانى نكحكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزاني يستقدر الزانية ولا يشتمها

وهو صحيح لكنه يقتضى اذا قولك الزانى لا تزنى الا زانية والزانية لا تزنى بها الا زان وسئل صلى الله عليه وسلم عن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال اوله
سفلح واخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب في العفاف ولكن في الفواحر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير
مرغوب فيها للاعفاء ولكن الزناة (٣١٤) وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزانى اولاً ثم قدم عليها ثانياً لان تلك الآية سبقت

لعقوبتهما على ما جئنا
والمرأة هي المادة التي منها
نشأت تلك الجنابة لانهم الوالم
تطعم الرجل ولم يوص
له ولم تمكنه لم يطعم ولم
يتمكن فلما كانت اصلافي
ذلك بدى بذكرها واما
الثانية فسوقة لذكر
النكاح والرجل اصل فيه
لانه الخاطب ومنه بدء
الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم
على النهى وفي المرفوع
ايضاً معنى النهى ولكن
اباغ واكد ويجوز أن
يكون خبراً مضاعفاً على معنى
ان عادت ما جارية على ذلك
وعلى المؤمن ان لا يدخل
نفسه تحت هذه العادة
ويصون عنها (وحرم ذلك
على المؤمنين) أى الزنا أو
نكاح البغايا قصد التكسب
بالزنا اولاً فيهم من التشبه
بالفساق وحضور مواقع
التهمة والتسبب لسوء
المقالة فيه والغيبة ومجالسة
الخطائين كم فيهم من
التعرض لافتراء الاثم
فكيف جزاوجة الزانى و
القعب (والذين يرمون
المحصنات) وبكسر الصاد
على اى يقدون بالزنا
الحرث والعفاف المسلمات
المكافات والقذف يكون
بالزنا وبغيره والمراد هنا

وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم
فقراء لامال لهم ولا عسائر وفي المدينة نساء بغاياهن اخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في
نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين
ان يتزوجوا تلك البغايا لانهم كن مشركين وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن
ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرضن بهن ممن أم مهزول جارية السائب
ابن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مائة كلفة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على
تلك الصفة فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترط له ان تنفق عليه فانزل
الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد
الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقه له
في الجاهلية فلما أتى مكة دعت عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا فالت فأنكحتني فقال حتى أسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقاً فامسك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئاً فنزلت الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك
فدعا نى فقراها على وقال لا تنكحها أخرجه الترمذى والنسائى وأبو داود والفاط متقاربة المعنى فعلى قول
هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية
الزانى لا تزنى الا زانية أو مشركة والزانية لا تزنى الا زان أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية
عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان
ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزانى الزانية فهما زانان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان
حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأندكحو الاياى منكم
فدخلت الزانية في هذا العموم واحض من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لا تمنع بدلاس فقال طلقها قال انى أحبها وهى جميلة قال استمتع بها وفى
رواية غيره فامسكها اذا روى هذا الحديث أبو داود والنسائى عن ابن عباس قال النسائى رفعه أحد الرواة
الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة
في زنا وحرض على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية ان الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة
من النساء وانما يرغب في نكاح فاحرة خبيثة مثله أو مشركة والفساقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصالحة من
الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثله أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أى صرف الرغبة بالسكينة
الى نكاح الزانى وانى وترك الرغبة فى الصالحات العفاف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج
بالزانية ﴿ قوله تعالى (والذين يرمون) أى يقدون بالزنا (المحصنات) يعنى المسلمات الحرث والعفاف (ثم
لم يأتوا باربعة شهداء) أى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصناً
أو محصنة بالزنا فقال له يازانى أو يازانية أو زنى فحبب علمه جلد ثمانين ان كان القاذف حراً وان كان عبداً
يجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشروط الاحصان خمسة الاسلام والعقل
والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف
فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن
القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل القرية وقد ثبت صدقهما بالكليات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر

قذفهن بالزنا بان يقول يازانية لذكر المحصنات عقيب الزانى ولا يشترط أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أى ثم لم
يأتوا باربعة شهداء يشهدون على الزنان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفى فيه شاهدان وعلمه التعزير وشروط احصان
القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ان كان

أو يا خبيث أو يا مؤجر أو قال امرأتى لا ترد بلا مس فهذا ونحوه لا يكون قذف إلا أن يريد ذلك وأما التعريض
 مثل أن يقول أما أنا فما زنت أو ليست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة وقال مالك يجب
 فيه الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) أولئك
 هم الفاسقون) فيه دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم الفاسق لا يقع الأعلى صاحب كبيرة (الذين
 تابوا من بعد ذلك وأصلحو فإن الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم
 هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته
 بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى (الذين تابوا وقالوا هَذَا الاستثناء
 يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق وإذا تاب تقبل شهادته ويؤزل عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمرو بن
 عباس وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي
 وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف
 لا تقبل أبداً وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول الخنعي وشريح وأصحاب
 الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحسد قال الشافعي هو قذف هو قذف أن يحسده منه حين يحسد لأن الحدود
 كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله وتقبلونها في شرهائه وذهب الشافعي إلى أن حد القذف يسقط
 بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف
 فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت إذا قبلت شهادته بعد التوبة بغيره فمعنى قوله
 أبداً قلت معنى أبداً مادام مصر على القذف لأن أبداً كل إنسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر
 لا تقبل أبداً براد بذلك مادام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته وقوله عز وجل (والذين يرمون) أى يقذفون
 (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أى يشهدون على صحته قالوا (الأنفسهم) أى غير أنفسهم (فشهادة
 أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن
 عويمر الجعاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً يقتله فقتلوه
 أم كيف يفعل سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
 فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال للرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر
 لم تأتني بخبر قد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التي سألت عنها قال عويمر والله لا انتهى حتى أسأله
 عنها فجاءه عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرايت رجلاً وجد مع امرأته
 رجلاً يقتله فقتلوه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً
 فاذهب فأت بها قال سهل فتلانعا وأما مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من تلاعها قال
 عويمر كذبت عليها يا رسول الله أن أمسكتها فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك
 قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجاه في الصحيحين زاد في روايته ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم افتاروا إن جاءت به أمم أدمع العينين عظيم الألتين خديج الساقين فلا أحسب عويمر إلا قد صدق
 عليها وإن جاءت به أحمر كأنه وحة ولا أحسب عويمر إلا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه قوله أمم أدمع العينين عظيم الألتين خديج الساقين
 كالعظاءة تلصق بالأرض وأراد بها في الحديث المبالغة في قصره (خ) عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف
 امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشر يك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حدثني ظهورك
 فقال يا رسول الله إذا رأيت أحداً على امرأته رجلاً ينطلق ياتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة

موضع النفي فتم كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ما عرف وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلدود الشهادة على التأييد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل في جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله (الذين تابوا من بعد ذلك) أى القذف (وأصلحو) أحوالهم استثناء من الفاسقين ويدل عليه (فإن الله غفور رحيم) أى يعفو ذنوبهم ورحمهم وحق الاستثناء أن يكون منصوباً عندنا لأنه عن موجب وعندنا جعل الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية أن يكون مجروراً بدلاً من هم في لهم ولما ذكر حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) أى يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (الأنفسهم) يرتفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم

أربع) بالرفع كوفي غير أبي بكر على أنه خبر والمبتدأ شهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لأنه في حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر والعمل فيه المصدر الذي هو شهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله أنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا

والاحد في ظهره فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق وليزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد
 فنزل جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف
 النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فقرأ فقام هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
 يعلم ان أحدكما كاذب فهل منك تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفتها وقال انما موجهة
 قال ابن عباس فتلصكت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضع قومي سائر اليوم فضت فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابع الاليتين خدج الساقين فهو لشر يلك بن
 سحمة فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وفي رواية
 غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكع وقد
 تفخذها رجل لم يكن لي ان أهيج حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ
 حاجته ويذهب وان قلت مارأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
 الانصار ألا تسمعون ما يقول سبواكم قالوا لا نعلم فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكر او اطلق امرأته
 واجترأ رجل من ان يتزوجها فقال سبواكم يا رسول الله باي أنت وأمي والله اني لاعرف انهم من الله وانهم احق
 ولكن عجب من ذلك ما اخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله باي الا ذلك فقال صدق الله ورسوله
 قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقه فقرأ في جلامع امرأته بزني
 هم فامسك حتى أصبح فلما أصبح غد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله
 اني جئت الى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فذكره رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ما تأمبه ونقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في
 وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا وانى لارجوان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بضر به قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد بجلد هلال وتبطل شهادته فيبيناهم
 كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضر به اذ نزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين
 عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ارسولوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منك تائب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بدينهما فقبل لهلال اشهد فشهدت أربع شهادات بالله ان لمن
 الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله
 أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجهة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني
 الله عليها كالم يحسدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من
 الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله ان الكاذبين فقال لها عند الخامسة
 ووقفها اتق الله ان الخامسة موجهة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلصكت ساعة وهمت
 بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضع قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين ففرق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يبرى ولدها ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزر وجهها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت
 به غلاما كأنه جل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لا يدري من أبوه الا وورق هو الابيض وروى
 ابن عباس ان عويمر المصالي عن زوجته نخولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فودى الصلاة جامعة فعلى
 العصر ثم قال لعويمر فقام فقال أشهد بالله ان نخولة لزانة وانى لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني
 رأيت شر يكاعلى بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها الحبلية من غيرى وانى ان الصادقين

(والخامسة) لاخلاف في
 رفع الخامسة هنا في المشهور
 والتقدير والشهادة
 الخامسة (ان لعنة الله
 عليه) فهي مبتدأ وخبر
 (ان كان من الكاذبين)
 في بار ماها به من الزنا

ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ما فر بهما منذ أربعة أشهر وان لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على
 عو وعمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالعود فقطع ثم قال لحوله قومي فقامت فقالت
 أشهد بالله ما أنا برانية وان عو وعمر من الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكاً على بطنى وانه
 لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله اني حبلت منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه
 ما رأى قفا على فاحشته وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على حوله تعني نفسها ان كان من
 الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لسكانى في أمرهما رأى ثم قال
 تحينوا الولادة فان جاءت به أصهيب أتيج بضرب الى السواد فهو لشريك بن سماعة وان جاءت به أورق جعدا
 جاليا خدج الساقين فهو غير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باسبه خلق بشريك * بيان حكم الآية ان
 الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الأجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان
 كانت غير محصنة غير ان المخرج منها مختلف فاذا قذف أجنبية أو أجنبية يعاقب عليه الحد الا ان يأتي بأربعة
 يشهدون بالزنا أو يقر المَقْدُوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه
 الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلاً لا يمكنه إقامة البينة ولا
 يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه
 لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترف هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك
 ولد يدينه فله ان يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيم ويلقنه كلمات اللعان
 فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة من الزنا وان كان قد رماه برجل بعينه
 سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولداً وحمل يدينه يقول وان هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا
 ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة من
 كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة
 وحرمت عليه على التأييد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام
 تتعلق بلعان الزوج ﴿ قوله عز وجل (ويدراً) اي يدفع (عنها العذاب) أي الحد (ان تشهد أربع
 شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج
 اذا لاعن ووجب على المرأة حد الزنا فان أرادت اسقاطه عن نفسها فاتها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين
 الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي
 من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة
 لم يسقط الحد عنها بل للعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجب اللعان فان لم يلاعن
 حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان
 حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن إقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن إقامة
 البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعاً
 وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكل
 الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عايله لا فيما عايله فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأييد التحريم وعند أبي
 حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا كذب نفسه جازله أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به
 الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح بمينه صح لعانه حوا كان
 أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربعه ومالك
 والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم وقال الزهري والاوزاعي وأصحاب الرأي لا يجزى اللعان الا بين مسلمين
 حزين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن

الزوج (لمن الكاذبين)
 فيما رماني به من الزنا
 (والخامسة ان غضب الله
 عليها ان كان) أي الزوج
 (من الصادقين) فيما
 رماني به من الزنا ونصب
 حفص الخامسة عطف على
 أربع شهادات وغيره
 رقعها بالابتداء وان غضب
 الله خبره وخفف نافع ان
 لعنة الله وان غضب الله
 بكسر الضاد وهما في حكم
 المثقلة وان غضب الله
 سهل ويعقوب وحفص
 وجعل الغضب في جانبها
 لان النساء يستعملن
 اللعن كثيراً كما ورد به
 الحديث فربما يجترئن
 على الاقدام لكثرة جري
 اللعن على السنن
 وسقوط وقوعه عن قلوبهن
 فذكر الغضب في جانبهن
 ليكون رادعاً لهن
 والاصل ان اللعان عندنا
 شهادات مؤكدة بالايمان
 مقرونة باللعن فائمة مقام
 حد القذف في حقه ومقام
 حد الزنا في حقها لان الله
 تعالى سماه شهادة فاذا
 قذف الزوج زوجته بالزنا
 وهما من أهل الشهادة
 صح اللعان بينهما واذا
 التعننا كبين في النهر لا تقع
 الفرقة حتى يفرق القاضي
 بينهما وعند زفر رحمه الله
 تعالى تقع بتلاعنهما
 والفرقة تطليقة بائنة

وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد ونزات آية اللعان في هـ لال بن أمية أو عو عرجيت قال وجدت على بطن امرأتي خولة
 شريك بن سماعة فكذبته فلاعن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما

(ولو لا فضل الله) تفضله
 (عليكم ورحمته) نعمته
 (وان الله تواب حكيم)
 جواب لولا لا يحذف أي
 لفضلكم أو لعاجلكم
 بالعقوبة (ان الذين جاؤا
 بالافسك) هو أبلغ ما يكون
 من الكذب والافتراء أصله
 الافك وهو القلب لانه قول
 ما فؤك عن وجهه والمراد
 ما أفل به على عائشة رضي
 الله عنها قالت عائشة فقدت
 عقدا في غزوة بنى المصطلق
 فتخلفت ولم يعرف خاو
 الهودج لحظتي فلما ارتحلوا
 أناخ لي صفوان بن المعطل
 بعيره وساقه حتى أناههم
 بعدما نزلوا فهلك في من هلك
 فاعتلت شهرا وكان عليه
 الصلاة والسلام يسأل
 كيف أنت ولا أرى منه لاطلما
 كنت أراه حتى عثرت حالة
 أبي أم مسطح فقالت تعس
 مسطح فأنكرت عليها
 فأنحرتني بالافسك فلما
 سمعت أزدت مرضاوت
 عند أبي لا يزال يدمع وما
 اكتحل بنوم وهما يظنان
 ان الدمع فاتق كبدى حتى
 قال عليه الصلاة والسلام
 ابشري يا حيرة فقد أنزل
 الله براءتك فقلت بحمد الله
 لا بحمدك (عصبة) جماعة
 من العشرة الى الاربعين
 واعصوا صوبوا اجتمعوا وهم
 عبدالله بن ابي راس النفاق
 وزيد بن رفاعه وحسان بن
 ثابت ومسطح بن اثاثة وجماعة
 بنت جحش ومن ساعدكم

يحتلن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود
 وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلف اللعان بأربعة أشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان
 وان يكون بحضور جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الا لخلال بشئ منها أو أما المكان فهو أن
 يلاعن في أشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه
 وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة
 والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان ﴿قوله تعالى
 (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أي لعاجلكم بالعقوبة واكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله
 تواب) أي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة (حكيم) أي فيما فرضه من الحدود ﴿قوله عز وجل
 (ان الذين جاؤا بالافسك عصبة منكم) الايات سبب نزولها مروى عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير
 وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله
 عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من
 بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم
 يصدق بعضها قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أفرغ بين
 أزواجه فأخرج سهمها خرج سهمها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أفرغ بيننا في غزوة غزاهها
 فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أوجل في هودج وأنزل
 فيه فمسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقف ودنونا من المدينة آذن ليلته بالرحيل
 فقمعت حين آذنوا بالرحيل فمست حتى جاؤت الجيش فلما قضيت من شأنى أقبلت الى رحلي فلمست صدورى
 فاذا عدي من خزع أطفار قد انقطع فرجعت فالتست عقدي فحسنى ابتغازه قالت وأقبل الرهط الذين
 كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجى فراحوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء
 اذا ذل حفا فالحم لم يمان ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقه من المعام فلم يستكر القوم خفة الهودج حين
 رفعوه وجاهوه وكنت جارية حديثه السن فبعثوا بالجل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فحنت
 منازلهم وليس جهاداع ولا يجيب فتمت منزلى الذى كنت به وطننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى قبينا
 أنا جالسة فى منزل غلبتنى عيني فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراعا الجيش
 فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سوادا انسان نائم فأنا نى ففرقتى حين رأىنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب
 على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فغمرت وجهى بحجابى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير
 استرجاعه وهو ي حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقودى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد
 ما نزلوا معرسين وفى رواية موغرى بن نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبدالله
 ابن ابي ساول فقدمنا المدينة فاشتمكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يشبضون فى قول أصحاب الافك
 ولا أشعر بشئ من ذلك وهو بري بنى فى وجعى انى لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى
 منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى برى بنى منه ولا أشعر بالشرحتى
 نعتت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلالى ليل وذلك قبل أن نتخذ
 الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التتره وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا
 فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأهبا بنت سحر بن عامر خالة ابي بكر
 الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا ثمى فعمرت أم مسطح فى مرطها
 فقالت تعس مسطح فقلت لها بشئ ما قلت أنسبين رجلا قد شهد بدر ا فقالت يا همتاه أولم تسمعى ما قال قالت
 وما قال فاحبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أتأذن لى أن أتى أبوى قالت وأنا حينئذ أريدان أتيقن الخبر

من (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين من

من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أباي فقلت لابي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت
يا بنية هو في علي نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضئته عند رجل يحبها ولها ضراوة الا كثرت عليها قالت
فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم
ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت
الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فاما أسامة فاشار عليه بما يعلم من براعة أهله والذي يعلم لهم في نفسه
من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا تعلم والله الاخبر او اما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم
يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريك من عائشة قالت له بريرة والذى بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا
قط أخصه عليها أكثر من انها جارية تحديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن ساول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر من يعذرنى من رجل قبل بغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي
الاخيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الاخيرا وما كان يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ
أحد بني عبد الاشهل فقال انا أعذرک منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من
اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرک فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان
بنت عمه من نغذه وكان رجلا صالحا ولكن احبلمته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا
تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله
لنقتلنه فانك مناقق تجادل عن المناققين فتشاور الحبان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكتت و بكيت
بوي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندي
أبوأي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن ان البكاء فاق كبدى قالت فبينما هما جالسا نسا من عندي وأنا أبكي
اذا ستأذنت على امرأه من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يجلس ولم يجلس عندي من يوم قبل لي ما قبل قبلها وقد مكث شهر الا يوحى اليه في شأنى بشئ
قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان
كذبت بريرة فسيبرئك الله وان كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه
ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي حتى ما أحس منه قطرة وقلت
لابي أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لابي
أجيب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت وأنا جارية تحديثة السن لا أفرا كثير من القرآن ابني والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس
حتى استغفروا أنفسكم وصدقتم به فلئن ذلت لكم ابني بريرة والله يعلم اني بريرة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت
لكم يا امرءة والله يعلم اني منه بريرة تصدقنى فوالله ما أجدلى ولكم مثالا الا يا يوسف اذ قال فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا والله حينئذ أعلم اني بريرة وان الله مبرئى
ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن ان ينزل الله فى شأنى وحيا يتلى ولسألت فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم
الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت
فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله
عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البراءة حتى انه ليحدث رمنه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشانى من نقل
القول الذى أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها
ان قال لي يا عائشة احدى الله وفي رواية قال أبشرى يا عائشة فاما الله فقد برأك فقالت لى أحيى قولى الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أجد الا الله هو الذي أنزل برأيتي قالت فانزل الله عز وجل
 ان الذين جاؤا بالافك عصبه منكم العشر الايات فانزل الله عز وجل هذه الايات في برأيتي قالت فقال أبو
 بكر وكان ينفق على مسطح بن اثانة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فانزل
 الله ولا يتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي
 فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحى سمى
 وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
 فعهما الله بالورع وطفقت أختها حنة تحارب لها فهلكت فممن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا
 الذى بلغنى من حديث هو لا الرهط زاذنى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول سبحان
 الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق
 على صحته أخرجه فى الصحيحين زاذن البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن
 أبي بن سؤل وقال عروة أخبرته انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره وبشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم
 لى من أهل الافك الاحسان بن ثابت ومسطح بن اثانة وحننة بنت جحش فى ناس آخرى لاعلم لى بهم غير أنهم
 عصبه كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها احسان وتقول انه الذى قال

فان أبى والدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها احسان يشدها شعر ابنته من أبياته فقال

حصان رزان ما تزن بريية * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقلت عائشة انك لست كذلك قال مسروق فقلت لها أتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى
 كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأى عذاب أشد من العمى وقالت انه كان ينافع أو يهاجى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم * حل غريب ألفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثنى طائفة أى قطعة من حديثها قوله
 كان أو عى أى أحفظ له قولها آذن أى اعلم بالرجل قولها فاذا اعتدلى من جزع أطفار هو نوع من الخرز
 وهو الحجر اليماني المعروف قولها لم يهبان أى يكتر لحن من السمن فيثقلان قولها انما ياك كان العلقمة من
 الطعام هو ضم العين أى البلغة من الطعام وهو قدر ما يسلك الرمق قولها وليس بهام منهم داع ولا يجيب أى
 ليس بها أحد لا من يدع ولا من يرد جوابا قولها فتمت أى قصدت قولها قد عرس من وراء الجديش فادلج
 التعريس نزول المسافر فى آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سيرا آخر الليل وبالتخفيف سيرا الليل كله
 قولها باسترجاعه هو قوله ان الله وانما اليه راجعون قولها انفمرت أى غطيت وجهى بجلبابى أى ازارى قولها
 موغر بن فى نحر الظهير الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أى أولها قواها والناس يفيضون أى يخوضون
 ويتحدثون قولها وهو يريبنى يقال رابى الشئ يريبنى أى شككت فيه قولها ولا أرى من النبي صلى الله عليه
 وسلم اللطف أى الرقى بها واللطف فى الافعال الرقى وفى الاقوال لين الكلام قولها حتى نهقت أى أفقت من
 المرض والمناصع الخالية تفضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالى والمرط
 كساع من صوف أو خز قولها تعض مسطح أى عثر وهو من الدعاء على الانسان أى سقط لوجهه قوله يا هنتاه
 أى بلهائم كأنها تنسبها الى البهائم وقلة المعرفة قولها لا يرقأ لى أى لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت بمعنى النبي
 أى ما رأيت منها أمرا أنجسه بالصاد المهملة أى أعيبه والداجن الشاة التى تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله
 عليه وسلم من يعذرنى أى من يقوم بعذرى ان أنا كفافته على سوء صنيعه ان عانت أو عاقبت فلا تلومونى على
 ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من نذته أى من قبيلة قولها وانكن احتملته الحمية أى حله الغضب
 والافسة والتعصب على الجهل لاقرابة قولها افتناورا الحبان أى نار وامنضوا القتال والمخاصمة قولها فلم يزل
 يخفضهم أى يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت أمت قبل هو من الامم وهو صغار الذنوب

(لا تحسبوه) أي الالفك (شر الحكم) عند الله (بل هو خير) (ير الحكم) لان الله أنابكم عليه - وأترل في البراءة منه غافى عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساء ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي على كل امرئ من العصبة حزاء ثمة على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكى ان صفوان مر بهم ووجهها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجاتها ثم وبعج الحائضين فقال (لولا) هلا (اذ سمعتموه) أي الالفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهم فلمؤمنون كنف من واحدة وهو كقوله ولا تبارزوا أنفسكم (خبراً) عفا فواصلها وذلك نحو (٣٢١) ما يروى ان عمر رضى الله عنه قال لرسول

الله عليه الصلاة والسلام انا قاطع بكذب المنافقين لان الله عصمك من وقوع الذباب على جارك لانه يقع على الخجاسات فيتطبخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القدر فكيف لا يصمك عن صحبة من تكون مطلقة بمنزل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ما وقع ظلك على الارض لثلا يضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال على رضى الله عنه ان جبريل أخبرك ان على نعليك قدر او أمرك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القدر فكيف لا يأمرك باخراجها بتقدير ان تكون مطلقة بشئ من الفواحش وروى ان أبا أيوب الانصارى قال لامرأته الأثرين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تقطن بحرم رسول الله

وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قولها قاصدمعى أى انقطع حريانه قولها ما رام أى ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانه الدر وجمعها جان فسمى عنه أى كشف عنه وقول زينب أحمى سمى وبصرى أى أمنعها ممن أن أخبر بما لم أسمع ولم أصر قولها وهى التى كانت تسامىنى من السهو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أى منعها من الوقوع فى الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أى من ستر أنثى قوله ويس - توشيه أى يستخرجها بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان فى عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأه حصان أى متعففترزان أى ثابتة ما تزنى أى ترمى ولا تنهم بريبة أى بأمر يرب الناس حبيبة وتصبح غرثى أى جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافله والمعنى انه لا اعتاب أحدا من هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة فى حسان انه كان ينافح أى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالالفك أى بالكذب والالفك أسوأ الكذب لكونه مصر وفاعن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالالفك عصبة أى جماعة منكم أى عبد الله بن أبي سؤلوسمطاح بن اناثة وحسان بن ثابت وحنة بنت محشر ووجه طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبي ابن سؤلوسمطاح بن اناثة المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الى الايمان فى الظاهر وقيل قوله منكم مخرج من مخرج الاغاب فان حسان بن ثابت ومسطاح بن اناثة وحنة بنت محشر كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شر الحكم) يعنى الالفك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولولاها ولنبي صلى الله عليه وسلم وصفوان (بل هو خير الحكم) يعنى ان الله أحرى على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والنضل لسكم (لكل امرئ منهم) أى من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما جترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذى تولى كبره) أى تحمل مقامه وبدأ بالخوض فيه واقام بأشاعته وهو عبد الله بن أبي ابن سؤلوسمطاح بن اناثة من العصبة (له عذاب عظيم) يعنى عذاب النار فى الآخرة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة بخلد والحديجيا ثمانين ثمانين قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) أى الحديث الكذب وهو قول أهل الالفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خبراً) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول أهل الالفك ان يكذبوا ويحسبوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فبين عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبه للمؤمنين (وقالوا هذا الفل مبین) أى كذب بين لا حقيقة له (لولا) أى هلا (جاؤا عليه) أى على ما زعموا (بأربعة شهداء) أى يشهدون بذلك (فأذلم يا أيوب بالشهداء فأولئك عند الله) أى فى حكم الله (هم الكاذبون) وهما ذم من باب الزواجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذلم يا أيوب بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قلت قيل هذا

(٤١ - (خازن) - ثالث) - سوا فقال لا قالت ولو كنت أنابدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة تخبر منى وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظنتم بانفسكم خبيراً واقتم لبيالغ فى التوب بغير طريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضى ان لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أخيها قول عائشة ولا طاعن وهذا من الادب الحسن الذى قل القائل به والحفاظ له وايتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه (وقالوا هذا الفل مبین) كذب ظاهر لا ياتى به ما (لولا) جاؤا عليه بأربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا اصدقين بأربعة شهداء (فأذلم يا أيوب بالشهداء) الاربعة (فأولئك عند الله) أى فى حكمه وشر يعنسه (هم الكاذبون) أى القاذنون لان الله تعالى جعل التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنهم لم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين

(ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخره لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه الامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدم
 أي ولو لا أن قضيت أن أفضل عليكم في الدنيا بضرور النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم في الآخرة في العفو والمغفرة
 لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال أقاض في الحديث وخاض واندفع (اذ) طرف لمسكم أول أفضتم (تلقونه)
 يأخذ به بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقفه وتلقفه (بألسنتكم) أي أن بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع
 فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) انما قيل بذلك لافواههم ان القول لا يكون الا بالفم لان
 الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قول لا يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علمه في القلب كقوله
 يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه) أي خوضكم في عائشة مرضى الله عنها (هيننا) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة
 جزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخاف ذنبالم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم (ولو لا) وهلا (اذ) سمعتموه قلمت ما يكون لنا أن
 نتسك بهم (ذا) فصل بين لولا ولاقتم بالظرف (٣٢٢) لان للظرف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها الوقوع عاها وانها ان تنزل عنها فلذا

يتبع فيها ما لا يتبع في غيرها
 وفائدة تقديم الظرف انه
 كان الواجب عليهم ان
 يتنادوا اول ما سمعوا
 بالافك عن التسكهم به فلما
 كان ذكر الوقت أهم قدم
 والمعنى هلا قلمت اذ سمعتم
 الافك ما يصح لنا أن نتسك
 بهم (ذا) سبحانه) للتعجب
 من عظام الامر ومعنى التعجب
 في كلمة التسبيح ان الاصل
 ان يسبح الله عند رؤية
 العجيب من صنائعه ثم كثر
 حتى استعمل في كل متعجب
 منه أو تنزيه الله من أن
 تكون حرمته نبيه فاحرة
 وانما جاز ان تكون امرأة
 النبي كافرة كما مرأة نوح
 ولو لم يجز أن تكون
 فاحرة لان النبي مبعوث الى
 الكفار ليدعوهم فيجب

في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأوالمكهم الكاذبون في غيبى وعلى وقيل معناه فأولئك عند الله في
 حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذ لم يأت بالشهود ويجب زجره ﴿ قوله تعالى
 (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخره لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا اني
 قضيت ان أفضل عليكم في الدنيا بضرور النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم في الآخرة
 بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للذقة وهذا الفضل هو
 تأخير العذاب وقبول التوبة بمن تاب (اذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان
 الرجل منهم يلقي الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض (وتقولون بأفواهكم
 ما ليس لكم به علم) أي من غير ان تعلموا أنه حق (وتحسبونه هيننا) أي وتظنون أنه سهل لا اثم فيه (وهو
 عند الله عظيم) أي في الوزر (ولو لا اذ سمعتموه قلمت ما يكون لنا ان نتسكهم به) ذا سبحانه) قيل هو للتعجب
 وقيل هو للتنزيه (هذاب من عظيم) أي كذب عظيم يهت ويحير من عظامه روى ان أم أيوب الانصاري
 قالت لابي أيوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقيل سبحانه هذا من عظيم فترات الآية على
 وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل بنها كماله (ان تعودوا المثل ابدان كنتم مؤمنين
 وبين الله لكم الآيات) أي في الامر والنهي (والله عليم) أي بأمر عائشة وصفوان (حكيم) أي حكم
 ببراءتهم ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا ويذيع (في الذين آمنوا)
 قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل
 من أحب ان تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع
 المؤمنين (لهم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والدم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله
 يعلم) أي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وأنتم لاتعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من
 يجب ان تشيع الفاحشة فيجازه على ذلك وأنتم لاتعلمون ذلك (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أي لولا انعامه
 عليكم لعاجلتكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحاً وحسان بن ثابت وحنيفة (وان الله رؤوف رحيم) ﴿ قوله

أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر فيهم منفر عندهم وأما الكسختنة فن أعظم المنفرات (هذاب من ان) زور يهت تعالى
 من يسمع (عظيم) وذ كر فيما تقدم هذا افك مسين ويجوز أن يكونوا أمروا به امامبا الغة في التبري (يعظكم الله أن تعودوا) في ان تعودوا
 (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدا) مادتم احياء مكافين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم لئنه عطا واذ كبره لوجب
 ترك العود وهو الايمان الصادق كل فيجب (وبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة (والله عليم) بكم
 وباعمالكم (حكيم) يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أي
 ما قبح جدوا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبة لها (لهم عذاب أليم في الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي
 وحسانا ومسطحاً الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرائر الصدور (وأنتم لاتعلمون) أي انه
 قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها ولو لا فضل الله عليكم ورحمته للعجل لكم العذاب وكرر المنية بترك المعالجة بالعقاب مع
 حذف الجواب مبالغة في المنية عليهم والتوبيخ لهم (وان الله رؤوف) حيث أظهر براءة المسذوف وأتاب (رحيم) بغفرانه جناية القاذف

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آتاه ووساوسه بالأصغاء إلى الألف والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) فان الشيطان (يا أيها الفعشاء) ما أفرط فحبه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتفترعه ولا ترتضيه، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما كان منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة المعصية لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الألف (ولكن الله ترك من يشاء) يظهر النائبين قبول توبتهم اذا محضوها (والله سميع) لقولهم (عليهم) بضم ثاءهم واخلاصهم (ولا ياتل) ولا يحلف من اتلى اذا حلف افتعال من الالية أولا يقصر من الاول (اولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا ان يوتوا (٢٢٢) أي لا يوتوا ان كان من الالية أو في القربي والمسكين

القربي والمسكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أولا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحنة لحانية اقترفوها وليغفروا ليصغروا العفو البستر والصفح الاعراض أي وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (الانجبون ان يغفر الله لكم) فليغفروا لهم ما يرجون ان يفعل بهم رحم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بادب الله واغفروا وارحوا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدر يماحرا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفاقه (ان الذين يرمون المحصنات) العافلات) أي عن الفواحش والعافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات اعلموا شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي اسنابول المنافق وروى عن خصمه قال قلت لسعيد بن جبيرة من قذف مؤمنة بلعنة الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ الذين يرمون المحصنات الى قوله نالوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لا أولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا لآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل ان يحتتم على أذراهم (وأيديهم وأرجلهم) بروى انه يحتتم على الافواه فتسكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسبهم العدل (ويعلمون ان الله

تعالى) يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آتاه ومسالكه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) أي بالقبايح من الاقوال والافعال وكل ما يكره الله عز وجل والالية عامية في حق كل أحد لان كل مكاف بمنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما كان منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صلح والالية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين حاضروا في الألف ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله ترك من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أي لا قوالكم (عليهم) أي بما في قلوبكم (ولا ياتل) أي ولا يحلف من الالية وهي القسم (اولو الفضل منكم والسعة) يعني الغني يعني أبا بكر الصديق (ان يوتوا أولو القربي والمسكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطح او كان مسكينا مهاجرا بدر يا ابن خالته أبي بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الآية (وليغفروا ليصغروا) أي عن خوض مسطح في أمر عائشة (الانجبون) يخاطب أبا بكر (ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى انما أحب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أتزعما عنه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولو الفضل وقوله الانجبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على عاوة شأنه ومربته منها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر واغفروا ليصغروا فدل ان أبا بكر كان ثانيا اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على عيب فرأى غير ما خبر بها من اذيات الذي هو خبير ويكفر عن عيبه ومنها الحديث الصحيح من حلف على عيب فرأى غير ما خبر بها من اذيات الذي هو خبير وليكفر عن عيبه قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) أي العافلات) أي عن الفواحش والعافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات اعلموا شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي اسنابول المنافق وروى عن خصمه قال قلت لسعيد بن جبيرة من قذف مؤمنة بلعنة الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ الذين يرمون المحصنات الى قوله نالوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لا أولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا لآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل ان يحتتم على أذراهم (وأيديهم وأرجلهم) بروى انه يحتتم على الافواه فتسكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسبهم العدل (ويعلمون ان الله

ولما مكروا لهن لم يجربن الامور) (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنه من أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات اذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أرادت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه تذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة) لعنوا في الدنيا والآخرة (ولهم عذاب عظيم) جعل القذف معلومين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعمل في (يوم تشهد عليهم) يذبون وبالباية جزاء وعلى (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم) ما كانوا يعملون) أي بما أفكروا أو بهتوا والعمل في (يومئذ يوفهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهلها وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبي يوفهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصف الله بان ينتصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك ان الله

هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يعظف الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظا في اذنب عائشة رضي الله عنها فاجزى ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكدر وأكدر وما ذلك الاماروي عن ابن عباس رضي الله عنه من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الامن خاض في امر عائشة وهـ ذامنه وتظيم ومبالغة في امر الافك ولقد بر الله تعالى اربعة باربعة بر اوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالخبر الذي ذهب بثوبه ومريم رضي الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآتي العظام في كتابه المعجز المتلوعلى وحده الدرهم هذه المبالغات فانظر كيف بينا وبين تبرئة أولئك وما ذلك الا لاطهار عـ لو منزله رسوله والتمنيبه على انافة صـ له صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبثيات) من القول يقال (للخبثيين) من الرجال والنساء (والخبثيون) منهم يتعرضون (للخبثيات) من القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أولئك مبرؤن مما يقولون) أي فيهم وأولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الحكام وهو كلام (٢٢٤) جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وامر بت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة

والطيب ويجوز ان يكون اشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان راد بالخبيثيات والطيبات النساء الخبيثات يتزوجن الخبيثات والخبيثات تتزوج الخبيثات وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أو خبر بعد خبر (ورزق كريم) في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافي لانك لا تقدمين الاعلى مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشى عليها فرحبا ما تلا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها اعطيت نسعا ما اعطيتن امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجني وترؤني بكر او ما تزوج

هو الحق المبين) أي الم وجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه بين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين ﴿ قوله عز وجل (الخبثيات للخبثيين) قال أكثر المفسرين معنى الخبيثيات الكلمات والقول للخبثيين من الناس وهـ له (والخبثيون) أي من الناس (للخبثيات) من القول (والطيبات) أي من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لا يلدق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يلدق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يلدق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يلدق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا بالخبيث من الرجال والنساء وهـ ذام ذلكم الذين قد فؤا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا بالطيب من الرجال والنساء وهـ ذام ذلكم الذين يبرهنها باطهار والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثيات من النساء للخبثيين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبثيات من النساء أمثال عبد الله ابن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون (مما يقولون) يعني أصحاب الافك (لهم مغفرة) أي عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة وروى ان عائشة كانت تفخر بأسيما اعطيتها لم اعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورته في سرقه حرير وقال هـ ذم وجمتك وروى انه أتى بصورته في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكر اغبرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها دفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في الحاف وتزات برأته من السماء وانها ابنة الصديق وخليفته رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنوا) أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأذنوا نسوا خطأ من الكتاب وفي هـ ذم الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طاب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه اني داخل وقيل هو من آنت أي ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتخضع حتى يعرف أهل البيت (وتسأوا على أهلها) بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختافوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم

بكر اغبري وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجرى وقبري بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وينزل عليه الوحي وأنا كما في الحافوا ابنة خليفته موصد يقه ونزل عذري من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا في حقها حسان رزان ماتن بريبة * ونص عذري من لحوم الغرافل حليله خير الناس دينوا منصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل عقيلة حتى من لؤي بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل مهذبة قد طيب الله خبيها * وطهرها من كل شين وباطل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم) أي بيوتنا لستم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنوا) أي تستأذنوا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قرأه والاستئناس في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء اذا بصره ظاهر امكشوف أي حتى تستعلموا أو يطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيره أو بتحميده أو بتخضع (وتسأوا على أهلها) والتسليم ان يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فان أذنه والارجع وقيل ان تلاقا يقدم التسليم والا فلا استئذان

(ذلكم) أي الاستئذان والنسليم (خبر لكم) من تحية الجاهلية والمؤرور وهو الدخول (٣٢٥) بغیر اذن فكان الرجل من أهل الجاهلية

أذادخل بيت غيره يقول
حييتم صباحا وحييتم مساء
ثم يدخل فر بما أصاب
الرجل مع امرأته في الخاف
واحد (لعلكم تذكرون)
أي قبل لكم هذا الذي
تذكروا وتغفلوا وتعملوا
ما أمرتم به في باب الاستئذان
(فان لم تجدوا فيها) في
البيوت (أحدا) من
الأذن (فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا
من ياذن لكم أو فان لم تجدوا
فيها أحدا من أهلها ولستم
فيها حاجة فلا تدخلوها الا
بإذن أهلها لان التصرف
في ملك الغير لا بد من أن
يكون برضاة (وان قيل لكم
ارجعوا) أي اذا كان
فيها قوم فقالوا ارجعوا
(فارجعوا) ولا تلجوا في
اطلاق الاذن ولا تلجوا في
تسهيل الحجاب ولا تقفوا
على الابواب لان هذا مما
يجلب الكراهة فاذا نهى
عن ذلك لادائه الى الكراهة
وجب الانتهاء عن كل ما
يؤدي اليها من قرع الباب
بعنف والتصيح بصاحب
الدار وغير ذلك وعن أبي
عبيد ما قرعت بابا على عالم
قط (هو أزر كى لكم) أي
الرجوع أطيب وأطهر لما
فيه من سلامة الصدور
والبعد عن الريبة وأنفع
وأتم خيرا (وانه بما تعملون
عليهم) وعيد للمخاطبين

كفى الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثر ان يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل
وتقدرا الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنون كما ذكرنا في مصنف ابن مسعود وروى عن كند بن حنبل قال
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام
عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال أخرج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فاعلمه
الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليكم أأدخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي
موسى قال أوسع عبيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على
عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعتك قالت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لمتقين عليه بينة أنتم أحدكم مع من
النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا صغرا القوم فكنت أصغر القوم فقامت معه
فأخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان
بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من
تألفه وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر وقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها
بومئذ شور أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم فجامع
الرسول فان ذلك له اذن أخرجه أبو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والاقدم الاستئذان ثم
يسلم وقال أبو موسى الاشعري وحذيفة استأذن على ذوان المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار ان
رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على أي قال نعم فقال الرجل اني معهما في البيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليهما فقال الرجل اني خادمهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن
عليهما أحب ان تراهما ريانة قال لا قال فاستأذن عليهما أخرجه مالك في الموطأ من سلا وقوله تعالى
(ذلكم خبر لكم) أي فعل الاستئذان خبر لكم وأولى بكم من التهجم بغیر اذن (لعلكم تذكرون) أي هذه
الآداب فتعملوا بها وقوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) أي في البيوت (أحدا) أي ياذن لكم في دخولها
(فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أي في الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعني اذا كان في البيت
قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أزر كى لكم) أي
الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الأحوال واذا
حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا اجاز كان ابن عباس يأتي دور الانصار لطلب الحديث
فوقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج وراءه قال يا ابن عم رسول الله لو أخذت
بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا
(ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من حجر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مدرى برجل وفي رواية يحل به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطمعت به في
عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع
في بيت قوم بغیر اذنهم فقد حل لهم ان يفتوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرأ اطلع عليك بغیر اذن
فقدفته ففقات عينها كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون عليم) أي من الدخول
بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس
فيها ساكن فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي اتم (ان تدخلوا بيوتنا غير مسكونة) أي بغیر استئذان
(فيها متاع لكم) أي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة وأرواها ويؤروا

بانه عالم بما ترون وما يذرون مما خوطبوا به فوف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا) في أن تدخلوا (بيوتنا غير مسكونة) استئذني من
البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوادث التجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كالاستهكان

من الحر والبرد واثراء الحال والساع والشراء والبيع وقيل الخربات يشبه برزخه او المشاع التسبرز (والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)
وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من التبعض والرادغض البصر عما يحرم
والاقتصار به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنالان الزنا لارخصه فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفها
وقدمها في رواية الى رأس المحارم (٣٢٦) والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أى غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أظهر

أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان ولمنفعة انزولها واتقوا الحر والبرد واثراء الامتعتهم ما قبل بيوت
التجار وحواليتهم في الاسواق يدخلها البيع والشراء وهو منفعتهم فليس فيها استئذان وقيل هي جميع
البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستئذان إنما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير
استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى عما لا يحل
النظر اليه قبل معناه بغضوا أبصارهم وقيل من هنالان التبعض لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر وإنما
أمر وان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفحاة
قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة
فان لك الاولى ولست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة المرأة ولا المرأة الى عورة الرجل ولا يفضى الرجل الى الرجل في ثوب
واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة في ثوب واحد وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أى عما لا يحل قال أبو
العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا في هذا الموضوع فانه أراد به الاستئذان حتى لا يقع بصر
الغير عليه فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع
الاترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات
في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فمضيق وكفها ان أبيع
النظر الا ما استثنى منه وحفظ الفرج الا ما استثنى منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج
قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك
أزكى لهم) أى غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) أى انه خبير باحوالهم وأفعالهم
وكيف يجيئون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل (وقل للمؤمنات
يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أى عما لا يحل لهن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذا قبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أفعلميا وان أنتم ألسمتما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود وقوله تعالى (ولا
يبدين) أى لا يظهرن (زينتهن) أى لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخليل والخضاب في الرجل
والسوارف والمعصم والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر
اليها والمراد من الزينة النفا الى مواضعها من البدن (الما ظهر منها) أى من الزينة قال سعيد بن جبير
والضحك والاوراعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الشيا وبقال ابن عباس هي الكحل والخاتم
والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبى النظر اليه للضرورة مثل تحمّل
الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غض البصر ونما رخص في
هذا القدر للمرأة ان تبدية من بدنها لانه ليس بعورة تؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضرن
بخمرهن) أى يلبقن بما نعهن (على جيوهن) أى موضع الجيب وهو النحر والصدر أى ليسترن بذلك

من دنس الاثم (ان الله
خبير بما يصنعون) فيه
ترغيب وترهيب يعنى انه
خبير باحوالهم وأفعالهم
وكيف يجيئون أبصارهم
يعلم خائفة الاعين وما تخفى
الصدور فعملهم اذا عرفوا
ذلك أن يكونوا منس على
تقوى وحذر في كل حركة
وسكون (وقل للمؤمنات
يغضضن من أبصارهن
ويحفظن فروجهن) أمرن
بغض الابصار فلا يحل
للمرأة أن تنظر من الاجنبى
الى ما تحت سرته الى ركبته
وان اشتدت غضت بصرها
وأسا ولا تنظر الى المرأة الا
الى مثل ذلك وغض بصرها
من الاجانب أصلاً ولى بها
وانما قدم غض الابصار
على حفظ الفروج لان
النظر بريد الزنا ورائد الفجور
فبذر الهوى طموح العين
(ولا يبدين زينتهن) الزينة
ما زينت به المرأة من حلى
أو كحل أو خضاب والمعنى
لا يظهرن مواضع الزينة
وهي الخلى ونحوها مباح
فأراد بها مواضعها لاظهارها
ومواضعها الرأس والاذن

والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للا كليل والقرط والقلادة والوشاح والدمج والسوار والخلخال شعورهن
(الما ظهر منها) الاما حرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمات في سترها حرج بين فان المرأة لا تجرد بدنها من مزاولة
الاشياء بيدها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى في الطرقات وظهور قدميها
وخاصة الفقيرات ممنهن (وليضرن) وليضرن من قولك ضربت بيدي على الخائط اذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوهن)
بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت جيوهن واسعة تبرد ومنها صدرهن وما حوالها وكن بسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة

فامر ان يسد لهما من قدامهن حتى تغماهن (ولا يبدن زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (الا
لبعولتن) لالزواجهن جمع بعول (أو ابائهن) ويدخل فيهم الاجداد (أو آباء بعولتن) فقد (٢٢٧) صاروا محارم (أو ابائهن) ويدخل
فيهم النوافل (أو ابناء
بعولتن) فقد صاروا محارم
أيضا (أو اخوانهن أو بنى
اخوانهن أو بنى أخواتهن)
ويدخل فيهم النوافل وسائر
المحرم كالاعمام والاقوال
وغيرهم دلالة (أو نسائهن)
أي الحرائر لان مطلق هذا
اللفظ يتناول الحرائر (أو
ماملكت أيمانهن) أي
امائهن ولا يجعل لبعدها أن
ينظر الى هذه المواضع منها
تحصيا كان أو عنينا أو فلا
وقال سعيد بن المسيب لا
تغرنكم سورة النور فانها
في الاماء دون الذكور
وعن عائشة رضی الله عنها
انها أباحت النظر اليها
لبعدها (أو التابعين غير)
بالنصب شامخ ويزيدون
بكر اهل الاستثناء والحال
وغيرهم بالجر على البدل
أو على الوصفية (أولى
الاربية) الحاجة الى النساء
قبل هم الذين يتبعونكم
اي صلبوا من فضل طعامكم
ولا حاجة لهم الى النساء
لانهم لاهل يعرفون شيئا من
أمرهن أو شيئا من صلحاء أو
العنين أو الخصى أو المنث
وفي الأثران المفضل والأقول
الوجه (من الرجال) حال
(أو الطفل الذين) هو جنس
فصلح أن يراد به الجمع (لم
يظهر وأعلى عورات النساء)

شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدرهن (خ) عن عائشة قالت بحرم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل
الله وليضربن بخمرهن على وجوههن شققن مروطين فاخترن بهن المارط كساء من صرف أو خز وكان
وقيل هو الارار وقيل هو الدرع (ولا يبدن زينتهن) يعني الخفية التي لم يجلهن كشفها في الصلاة ولا
للأجانب وهي رداء الوجه والكفين (الابعولتن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والجمار الا للزواجهن
(أو ابائهن أو آباء بعولتن أو ابائهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن)
فيجوز لهن أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظروا الى ما بين السر والركبة ويجوز للزوج أن ينظر
الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها (أو نسائهن) أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به انه
يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الاماين السر والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تجرد من ثيابها عند
الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نساءنا ولا من أجنبية في الدين
فكانت أبعدهن من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب
أن يدخلن الحمام مع المسلمين وقيل يجوز لك يجوز أن تكشف للمرأة المسلمة لانها من جسمه النساء (أو
ماملكت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وأن ينظر الى مولاه الاماين
السرة والركبة كالبحارم وهو ظاهر القرآن روي ذلك عن عائشة وأم سلمة وروي أنس ان النبي صلى الله عليه
وسلم أتى الى فاطمة فبعدها وهو يدها على فاطمة فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها
لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أولك وغلماك
وقيل هو كالأجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير
أولى الاربية من الرجال) قرئ غير نصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدن زينتهن للتابعين اذا
الاربية منهم فانهم لا يبدن زينتهن ان كان منهم ذار به وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربية والاربية
الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الاربية هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لاهمة لهم الا
ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الاصح العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا
يشتهين وقيل هو المحبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهب شهوته وقيل هو المنث (م) عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم منث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربية
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نساءه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت
باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ماههنا لا يدخل عليك
فاحجبه زاد أو داود في رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت باربع أي ان لها في
بطنها أربع عكبن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكبن الاربع من الجانبين وذلك صفة
لها باليمن (أو الطافل الذين لم يظهر وا على عورات النساء) أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع
فيطالعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرهما من الصغر وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا احد
الشهوة وقيل العاقولية اسم للصبي الممحتلم (ولا يضر بن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت
المرأة اذا مشت ضربت برجلها اسمع صوت خلخالها أو يبين خلخالها فنهن عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب
عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد عدل ذلك بقوله تعالى
ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله خسر عنه أن يعلم به ما عليهن من الخلق وغيره (وتوبوا الى
الله جميعا) أي من التصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمر به ونهاه عن من الآداب
المذكورة في هذه السورة قيل ان أو امر الله ونواهي في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان

أي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء اذا طلع عليه أو لم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه (ولا يضر بن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقة خلخالها فيعلم انه اذا ن خلخال فنهين عن ذلك
اذ سمع صوت الزينة كاطهارها ونهيه في صوت الخلق وسواها

(وتوبوا الى الله جميعا أيا المؤمنون) أيا شامى اتباع اللزومة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولان بعدها ألفانى التقدير (لعلكم تفلحون) العبد لا يتخلو عن سهو وتقصير فى أوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتمام الفلاح اذا تابوا وقبيل أخرج الناس الى (٣٢٨) التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وطاهر الاية يدل على أن العصيان لا ينافى الايمان

(وانكحوا الاياى منكم) الاياى جمع أيم وهو من لزوج له رجلا كان أو امرأة بكر كان أو ثيبا وأصله أيايم فقلت (والصالحين) أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرار من كان فيه صلاح (من عبادكم وامانتكم) أى من غلمانكم وجوارىكم والامر للندب اذ النكاح مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (بغنىهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزق وفى الحديث التسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله (والله واسع) غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلاق (عليه) يبسط الرزق لمن يشاء وقيل فى الآية دليل على ان تزويج النساء والاياى الى الاولياء كان تزويج العبيد والاماء الى المولى قلنا للرجل لايلى على الرجل الايم الاباذنه فكذا لا يلى على المرأة الا باذنها لان الايم ينتظمها (وايسستعفف الذين) وايستعففوا وفى العفة كائن المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحا) استطاعة تزويج من المهر

ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستعفار ووعده بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى (أيا المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الاغر أغر مريضة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوائته انى لا توب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنتعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حنبل الكشي (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بنو به عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلانة (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عز وجل (وانكحوا الاياى منكم) جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لزوج له من رجالكم ونساءكم (والصالحين من عبادكم) أى من عبيدكم (وامانتكم) بيان حكم الاية الامر المذكور فى الآية أمر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن ناقت نفسه الى النكاح ووجد أهنته أن يتزوج وان لم يجد أهنته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو ورض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم فى قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود والودود فى مكاتبكم الامم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائى (م) عن عبد الله بن عمر و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أما من لا يتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالغنى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعى قد ذكركم الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لا يأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزويج الاياى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وتوبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح و ابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاورامى وعبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد واسحق وجوز أصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دينية يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولد شرط فى النكاح ما روى عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكح الابولى أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايم المرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلفها المهر بما استحلت من فرجها فان تشاحوا فالسلطان ولى من لا ولى له ﷺ وقوله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنىهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجب لمن يتغنى بالغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنىهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنىهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلام من سعته (والله واسع) أى انه ذو الافعال والجلود (عليه) أى بما يصلح خلقه من الرزق ﷺ قوله تعالى (وايستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أى لم يطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنىهم الله من فضله) أى يوسع عليهم من رزقه

والنفقة (حتى يغنىهم الله من فضله) حتى يقدروهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام بامعشر الشباب من استطاع (والذين منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فانظر كيف ترتب هذه الاوامر فأمر أولياء (٦) قوله تشاحوا فى بعض النسخ اشبحر وااه معصم

نعصم من الفتنه ويبعد عن موقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحسن للدين المغني عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند الحجز عن النكاح الى ان تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم) أي الممالك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسر (فكاتبوهم) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والكتابة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لملوكه كاتبك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالاً ومؤجلاً ونحوها وغير منحهم لاطلاقه الامر (ان علمتم فيهم خيراً) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندب معلقة بهذا الشرط (وأن تؤهم من مال الله الذي آتاكم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة بغيرها وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التملك فلا يقع على الحط سأل صبيح (٣٢٩) مولاه حوياً طباً ان يكتبه فأبى فزلت واعلم ان العبيد

أربعة فن مقتنى للخدمة وما ذون في التجارة ومكاتب وأبى في مال الاول ولي العزلة الذي حصل العزلة بالنيار انخلوة وترك العشرة والثاني ولي العشرة فهو نجبي الحضرة يخاطب الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبارة وبأمرهم بالعبارة فهو خليفه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم الله ويأخذ الله ويعطى في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدينا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مغزاه ومخاها والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن في الناس بفواهمه بائن منهم بسرته فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطناً ثم وصلهم فيما لهم عليه الله

(والذين يبتغون الكتاب) أي يطلبون المكاتبه (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحو يطلب بن عبد العزى سأل مولاه ان يكتبه فأبى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حوياً يطب على مائة دينار وذهب له منها عشر من دينار فاذاها وقتل يوم حنين في الحرب * بيان حكم الآية وكيفية المكاتبه وذلك ان يقول الرجل لملوكه كاتبك على كذا من المال ويسمى المالا معلوماً تؤدى ذلك في نجسين أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق و يصير العبد أحق بكاتبه بعد الكتابة واذا عتق باء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا حجز عن أداء المال كان لمولاه ان يفسخ كتابته و يردده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيد المرادى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بق عليه مدهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد ان يكتب عبده الذي علم فيه خيراً اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار والمرادى ان سير من أبانجد بن سير بن سأل أنس بن مالك ان يكتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سير بن الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضر به بالدره وتلا فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيراً) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر نذب واستخيار ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جواز فاقا بالعبد ومن تمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحاله واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيراً فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل لا لاروى ان عبد السلمان الفارسي قال له كاتبني قال لك مال قال لا قال تريد ان تطعم مني أو ساخ الناس ولم يكتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيراً وقيل صدقاً وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الا كسب مع الامانة فاحب ان لا يمنع من المكاتبه اذا كان هكذا وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلاً بالغا فاما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما مالا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى (وأن تؤهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للموالى فيجب على السيد ان يحط

(٤٣ - (خازن) - ثالث) ظاهراً وما هو منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام يأكل ما باكون ويشرب ما يشربون وما يدبر بهم انه ضيف الله برى السموات والارض قائمات بامرهم وكأنة قيل فيه فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال فخال ولي العزلة أصفى وأحلى وحال ولي العشرة أوفى وأعلى ونزل الاول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزر وعند السلطان أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذر ين وجمع الخالين ومنبع الزلايين فباطن أحواله مهتدى ولي العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولي العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه في اليوم والليله خمس وفي المسائين درهما خمسة وفي السنة شهر وفي العمر زورة فكانه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى في ذلك رقبته خوفاً من البقاء في بقعة العبودية وطمعاً في فتح باب الحرية ليسرح في رياض الجنة فيمتنع بمبياهو يفعل ما يشاؤه ويمواه والرابع الاباق فأكثرهم ففهم القاضي الجائر والعالم غير العامل والمراى والواعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل مالا يفتنه بوصول فضلاء من السارق والزاني والغاصب نعتهم أخيراً النبي عليه الصلاة والسلام ان الله ابتصر من الدين قوم لا خلاق لهم في الآخرة

(ولا تكرر هو اذ تياتكم على البغاء) كان لابن أبي سث جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة وأروى وقرينة بكرههن على البغاء وضرب عليهن
الضرائب فشكيت ثنتان منهن الى (٣٣٠) رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزات ويكنى بالفقى والفتاة عن العبد والامه والبغاء الزنا للنساء

عن مكاتبه من مال اليتيم متابة شيئا وهو قول عثمان وعلى والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا
في قدر ما يحط فقبل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال
الآخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ماشاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما
له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال
سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة ان يجز فيرجع اليه صدقته
ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو امر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم
من مال الله أى سوهوهم الذى جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب
وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حديث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات
المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترفع الكتابة سواء ترك مالا ولم يترك
وهو قول عمرو بن دينار وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعي
وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء ما بقى عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الا حرا وهو
قوله عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة
يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وتدو جد وتبعه اولاده وأكسبه كفى الكتابة الصحيحة لان
الكتابة الصحيحة لا تملك المولى فسخها المالك يجز المكاتب عن اداء النجوم وقوله تعالى (ولا تكرر هو اذ تياتكم)
أى ائمةكم (على البغاء) أى الزنا (ان أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي بن سلول
يقول لجاريتة اذهبي فابغينا شيئا قال فانزل الله ولا تكرر هو اذ تياتكم على البغاء ان أردن تحصنا وفي رواية
اخرى ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها اميمة كان يكرههما على الزنا فشكيتا ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرر هو اذ تياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون
أنزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كانت له جارية يقال لها مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على
الزنا ضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة
لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يترك خيرا فقد استكثرنا منه وان يترك شراف قد آن لنا
أن ندمه فانزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت بهرد وجاءت الاخرى بيد ينادى فقال له ما
ار جعافا زينا فقالا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكنا اليه
فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على
سبب وهو الذى ذكر في سبب نزول الآية فخرج النهى على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثانى انما
شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع
طوعا الثالث ان معنى اذا أى اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكرههن على الزنا ان لم يردن
تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان فى هذه الآية تقدما
وتأخيرا تقديره وانكحروا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا تكرر هو اذ تياتكم على البغاء (لتبغوا) أى
لتطالبوا (عرض الحيوة الدنيا) أى من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن (ومن يكرههن) يعنى على
الزنا (فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم) يعنى بالمكروهات والوزر على المكروه وكان الحسن اذا قرأ هذه
الآية قال الله الله الله الله وقوله تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات مبينات) أى من الحلال والحرام (ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم) أى شهما من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من
كان قبلهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر وقوله عز وجل

جاءت وهو مصدر لغت (ان أردن تحصنا) تعفغان
الزنا وانما تقدم هذا الشرط لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فاشترط المطيعة
للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره اكرها ولا نهائزات على سبب وقوع النهى على تلك الصفة وفيه توبيخ للموالى أى اذا رغبت فى التحصن فانتم أحق بذلك (لتبغوا عرض الحيوة الدنيا) أى لتبغوا باكرههن من على الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم) أى الله من وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لله والله لله والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التاف فكانت آئمة أولهم اذا تابوا (ولقد أنزلنا اليك آيات مبينات) يقع الياء مجازى وبصرى وأبو بكر وجناد والمراد الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجازان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف أى أجرى مجرى المفعول به كقوله ونوم شهدناه وبكسرهما غيرهم أى بينت هى

الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين معنى تبين ومنه المثل قد بين الصح الذى عينين (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم أى قصة بحبيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عاشت رضى الله عنها (وموعظة) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لاولادهم معتموه ولولادهم معتموه يعظكم الله ان تعودوا المثل أبدا (لامتقين)

أي هم المنتفعون بهم أو ان كانت موعظة لكل فلينظر قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره وجهدي الله نوره ولان زيد كرم
وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذونور السموات ونور السموات والارض الحق شبه بالنور في ظهوره وبيان كقوله الله
ولي الذين آمنوا يخترجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة شرافته وشوااضائه حتى
نضي عليه السموات والارض و جازان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة
(كمشكوة) كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج (٣٣١) ضخيم ناقب (المصباح في زجاجة)

في قنديل من زجاج شامى
بكسر الزاي (الزجاجة
كانها كوكب دري) معنى
بضم الدال وتشديد الياء
منسوب الى الدر لفسرط
ضياته وصفاته وبال كسر
والهمزة عمر ووعلى كانه
يدراً انظلام بضوته وبالضم
والهمزة أو بكر وجزءه شبه
في زهرته بأحد الكواكب
الدراري كالشترى والزهرة
وتحويهما (توقد) بالتخفيف
جزءه وعلى أو بكر الزجاجة
وتوقد بالتخفيف شامى
وتأفح وحفص وتوقد
بالتشديد مكى وبصرى أى
هذا المصباح (من شجرة)
أى ابتداء تقويه من زيت
شجرة الزيتون يعنى رويت
ذباته بزيتها (مباركة)
كثيرة المنافع أولانها نبتت
في الارض الستى بورك
فيها للعالمين وقيل بارك فيها
سبعون نبيا منهم ابراهيم
عليه السلام (زيتونة)
بدل من شجرة نعتها (لا شرقية
ولا غربية) أى منبتها الشام
يعنى ليست من المشرق ولا
من المغرب بل في الوسط
منهما وهو الشام وأجود

(الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون
وبعدياته من حيرة الضلالة يخرجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السموات والارض
بالانبياء وقيل معناه من السموات والارض من السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء
والعلماء والزمانين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يدكر هذا
اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليله * فقد سار عنها نورها وجالها

(مثل نوره) أى مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره
لذي أعلى المؤمن وقيل السكينة عائدة الى المؤمن أى مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل
هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمي طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا
وتفضيلا (كمشكوة) هي الكوة لتي لا منفذ لها قبل هي باعثة الحبشة (فيها مصباح) أى سراج وأصله من
الضوء (المصباح في زجاجة) يعنى القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها بين من كل شئ
وضوءه من يدى الزجاج ثم وصف الزجاجة نقل تعالى (الزجاجة كأنها كوكب دري) من در الكوكب اذا
اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من در النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري
أى شديد الانارة نسب الى الدر في صفاته وحسنه وان كان الكوكب أضوا من الدر لكنه يفضل الكوكب
بصفاته كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى أحد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل
والمرنج والمشتري والزهرة وعطار وقيل شبه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانها يلمحتهما
السكوف بخلاف الكواكب (توقد) أى اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أى من زيت شجرة
مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادم وهو أص في الادهان
وأضوؤها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لانها هي الارض المباركة وهي
شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن نابت أو أبي أسيد الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا
الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذى وقوله (لا شرقية ولا غربية) أى ليست شرقية
وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغايرة اذا طلعت بل مصاحبة
للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حذفتها من
الامر من يكون زيتها أضوا وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انما ليست في مقنأة لان تصيبها الشمس ولا
في مضجعة لا يصيبها الظل فهى لا تضرها الشمس ولا تظل وقيل معناه انها متدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا
في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض لا شرقى ولا غربى وقيل ليست هذه
الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا كانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد
زيتها يضىء) أى من صفاته (ولولم تمشه نار) أى قبل ان تمشه النار (نور على نور) أى نور المصباح على
نور الزجاجة

الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطالع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغايرة والعشى جميعا فهى شرقية
وغربية (يكاد زيتها) دهنها (يضىء) لولم تمشه نار) وصف الزيت باصفاءه والوميض وانه لتلاؤه يكاد يضىء من غير نار (نور على نور)
أى هذا النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناسر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبقى بقية مما يقوى النور وهذا لان
المصباح اذا كان في مكان متضائق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شئ على زيادة
الانارة وكذلك الزيت وصفاته وضرب المثل يكون بدنى محسوس معهود لا يعلى غير معان ولا مشهور دقا بوقته لما قال في المأمون

لا تنكر واضربى له من دونه
 مثل اشرو داني الندى والباس
 فانه قد ضرب الاقل لنوره
 مثلا من المشكاة والنبراس
 (يهدى الله لنوره) أى
 هذا النور الثابت (من
 يشاء) من عباده أى يوفق
 لاصابة الحق من يشاء من
 عباده بالهام من الله أو
 بنظره في الدليل (ويضرب
 الله الامثال للناس) تقريرا
 الى افهامهم ليعتبروا
 فيؤمنوا (والله بكل شئ
 عليم) فيبين كل شئ بما يمكن
 ان يعلم به وقال ابن عباس
 رضى الله عنه مثل نوره أى
 نور الله الذى هدى به المؤمن
 وقرأ ابن مسعود رحمه الله
 مثل نوره في قلب المؤمن
 كمشكاة وقرأ أبى مثل نور
 المؤمن (في بيوت) يتعلق
 بمشكاة أى كمشكاة في بعض
 بيوت الله وهى المساجد
 كأنه قيل مثل نوره كما يرى في
 المسجد نور المشكاة التى من
 صفتها كبت وكبت أبو توفد
 أى توفد في بيوت أو يسبح
 أى يسبح له رجال في بيوت
 وفيها تكبر يرفسه توكيد
 لحوز بنى الدارجالس فيها
 أو يحدوف أى سجوا في
 بيوت (أذن الله) أى أمر
 (ان ترفع) تبنى كقوله بناها
 رفع سمكها فسواها واذرفع
 ابراهيم القواعد أو تعظم
 من الرفعة وعن الحسن
 ما أمر الله ان ترفع بالبناء

* (فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) * اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى
 ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والخلاء الى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التى فيها
 زجاجة صافية وفى تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت باق النهاية فى الصفا والرفق والبياض فاذا كان كذلك
 كان كالملا فى صفائه وصلح ان يجعل مثله هداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه
 وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرنى عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه
 الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توفد من شجرة مباركة
 هى شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك
 الزيت يضىء ولولم تمسه نار وروى عن ابن عمر فى هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم
 والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لاشرقية ولا غربية ليهودى ولا نصرانى توفد من شجرة
 مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظى
 المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين سمي الله محمدا مصباحا كما
 سماه سبحانه سيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء من صابغ لاشرقية ولا غربية
 يعنى ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى
 الى الشرق يكاد ينهاضىء ولولم تمسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى
 اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبى بن
 كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن توفد من
 شجرة مباركة هى شجرة الاخلاص لله وحده فمثل شجرة التف به الشجر فهى خضراء ناعمة نضرة
 لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شئ من الفتن فهو بين
 أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد ينهاضىء أى يكاد قلب
 المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له الموافقة اياه نور على نور قال أبى أى فهو يتقلب فى خمسة أنوار قوله نور
 ومله نور ومدخله نور ومخرج نور ومسيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه
 فى قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضىء قبل ان تمسه النار فاذا امتسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك
 يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتبه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال
 الكلبى نور على نور يعنى ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح
 هو قرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فيه ولسانه
 والشجرة المباركة شجرة المعرفة فى قلبه يكاد ينهاضىء أى نور المعرفة يشرق فى قلب المؤمن ولولم تمسه
 النار وقيل تكاد حجة القرآن تضع وان لم يقرأ نور على نور يعنى القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من
 الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فاذا دأب ذلك نور على نور وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء)
 قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) أى يبين الله الاشياء للناس
 تقريرا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك (والله بكل شئ عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أى ذلك
 المصباح يوقد فى بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله فى الارض تضىء
 لاهل السماء كما تضىء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم ينها الانبي الكعبة بناها
 ابراهيم واسمعيل في علاها قبله وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله أن ترفع) أى تبنى
 وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتظهر عن الانجاس والافذار (ويذكر فيها اسمها) قال ابن
 عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أى يصلى له فيها (بالغدوة والآصال) أى بالغداة والعشى قال أهل

ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمها) يتلى فيها كتابه وهو عام فى كل ذكر (يسبح له فيها بالغدوة والآصال) أى يصلى التفسير
 له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء من الغدوة لان صلواته واحدة وفى الآصال صلواته والا

جمع أصل جمع أصيل وهو العشي (رجال) فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر وبسند إلى أحمد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدور رجال مرفوع بمبادل عليه يسبح أى يسبح له (لاتلهيمهم) لاتشغلهم (تجارة) فى السفر (ولا يسبع) فى الحضر وقيل التجارة الشراء إطلاقاً لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعدما علم لأنه أوغل فى الآلهاء من الشراء لأن الربح فى البيعة الرابعة (٢٣٣) متيقن وفى الشراء مطمئن (عن

ذكر الله) باللسان والقلب (واقام الصلاة) أى وعن إقامة الصلاة التاء فى إقامة عوض من العين الساكنة للاعلال والأصل اقوام فلما قلبت الواو ألتا جمع ألتان فحذفت أحدهما لاتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضاً عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت وإيتاء الزكوة) أى وعن (إيتاء الزكاة والمعنى لاتجارة لهم حتى تلهيمهم كولياء العزلة أو يبيعون ويشترتون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متشاكين كإيتاء العشرة) يخافون يوماً أى يوم القيامة ويخافون حال من الضمير فى تلهيمهم أو صفة أخرى لرجال (تقلب فى القلوب) ببولوغها إلى الخناجر (والأبصار) بالشخص والزرقة أو تقلب القلوب إلى الآيات بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزهم الله أحسن مما عملوا يزيدهم من فضله) أى يسبحون ويخافون

التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالعبادة صلاة الفجر والى تؤدى بالأصال صلاة الظهر والعصر والعشاء من لأن اسم الأصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الحج والعبادة عن موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التيسيع بالغدو وصلاة الضحى والأصال صلاة العصر عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحى لا يعنيه لذلك كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر الصلاة لا غويينها مما كتاب فى عليين أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكور فى هذه المساجد لأن النساء ليس علمن حضور المساجد لجمعة ولإجماعة (لاتلهيمهم) أى لاتشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكور لأنهم أعظم ما يشتغل الإنسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا يسبع) أى ولا يشغلهم ببيع (عن ذكر الله) أى حضور المساجد لإقامة الصلوات (واقام الصلاة) يعنى إقامة الصلاة فى وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقبى الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان فى السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا وأحوا نبتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية رجال لاتلهيمهم تجارة ولا يسبع عن ذكر الله واقام الصلاة (وايتاء الزكاة) يعنى المفروضة قال ابن عباس إذا حضر وقت أداء الزكاة لا يجسسونها يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار) يعنى إن هؤلاء الرجال وإن بالغوا فى ذكرك الله والطاعات فأنهم مع ذلك وجاؤون خائفون لعلهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته قيل إن القلوب تنظر بمن الهول والفرع وتشتخص الأبصار وقيل تنقلب القلوب بين الخوف والرجاء فى الدنيا من الشك إلى اليقين وترفع عن الأبصار الأعظمية وقيل تنقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتنقلب الأبصار من هول ذلك اليوم من أى ناحية يؤخذهم من أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم من قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل ينقلب القلب فى الجوف فيرتفع إلى الخنجر فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الأمر وشدة (ليجزهم الله أحسن مما عملوا) يعنى أنهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزهم الله أحسن مما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذكروا أحسن تنبيهها على أنه لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل أنه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة إلى سبعاً ثم ضعف (وزيدهم من فضله) يعنى أنه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (وأنه يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه وفضله ^١ قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلاً لخال المؤمنين وأنه فى الدنيا والآخرة فى نور وأنه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضمير مشمل لأعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يظن من رآه ماءً فاذق من له لم يشأً والقبيعة القاع وهو الميسط من الأرض وفيه يكون السراب (بحسبه) أى يتوهمه (الظلمان) أى العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أى جاء ما قدر أنه ماء وقيل جاء إلى موضع السراب (لم يجده شيئاً) أى لم يجده على ما قدر وظنوه وجه التشبيه الذى يأتى به الكافر من أعمال البر يعتقد أنه ثواب عند الله وليس

ليجزهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً يزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً (وأنه يرزق من يشاء بغير حساب) أى يشب من يشاء ثواباً لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات المهتمين بنور الله فالذين ضلوا عنه فالمدكورون فى قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى فى القلابة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كونه ماءً يجرى (بقبيعة) بقاع أو جمع قاع وهو الميسط المستوى من الأرض كبحرة فى جاز (بحسبه الظمان) يظن العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أى جاء إلى ما توهم أنه ماء (لم يجده شيئاً) كظنهم

(ووجد الله) أي جزاء الله كونه يجد الله غروراً رحماً أي يجد مغفرته ورحمته (عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أي أعطاه جزاء عمله وأذا
 كاملاً وحده بعد تدم الجمع - جلا على كل واحد من الكفار (والله سربع الحساب) لأنه لا يحتاج إلى عدو عدا - ولا يشغله حساب عن حساب
 لتوقرب حسابها لان ما هوأت قرب شبه ما يعمل من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه
 من عذابه ثم تخيب في العاقبة أمه و يلقى خلاف ما قدر بسر ابواه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسب بماء فيأتيه فلا يجد
 ما رجاه ويجذب بانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبته - هم يحسب - بدون انهم
 يحسنون صنعاً قيل تولت في عتبة بن (٣٣٤) ربيعة بن أمية كان يترهب ماتم - اللذين في الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات في بحر)

كذلك فاذا وافي عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم
 فظلمات حسرتة وتناهى غم فشم به حاله بحال الظلمات الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب
 في البر تعلق قلبه به فاذا جاء لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافع فاذا احتاج الى عمله لم يجده
 (غنى عنه شيئاً ولا نفعه) (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء
 عمله (والله سربع الحساب) معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحدة عن واحدة ثم ضرب
 للكفار مثلاً آخر فقال تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى ان أعمال الكفار ان كانت حسنة
 فهي كسراب بقية وان كانت فيجبة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها
 كظلمات (في بحر الجحيم) أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يعشاه) أي يعالوه (موج من فوقه موج)
 أي تراكم (من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه ان البحر اللجج يكون تعمره مظالم اجدا بسبب
 غمورة الماء فاذا تراكفت الامواج ازدادت ظلمة فاذا كان فوق الامواج سحب بلغت الظلمة النهاية القسوى
 (اذا أخرج يده لم يكدر يراها) أي لم يقرب ان يراها اشد الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت
 اليد من اقرب شيء يراها الانسان قال لم يكدر يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر
 وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل
 شبه بالبحر اللجج قلبه وبامواج ما يتعشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحب الختم والطبع على قلبه قال
 ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى
 الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله نورا فلما له نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينة
 وايماناً فلا دين له وقيل من لم يمهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس
 الدين في الجاهلية وليس الموحد فله جاء الاسلام كفر وعاند الاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار قوله
 عز وجل (لم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) أي باسماط اجنحتهن في الهواء وقيل
 خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في
 السموات والارض (كل قد علم صلواته وتسبيحه) قيل الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب
 اجنحة الطير صلواته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلواته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح
 منهم قد علم صلواته وتسبيحه (والله عالم بما يفعلون والله مالك السموات والارض) أي ان جميع الموجودات
 ما سكته وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يحاسبها
 احد سواه (والى الله المصير) أي والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى (لم تر ان الله يترجم) أي
 يسوق (سحاباً) بامر الى حيث يشاء من أرضه وبلاده (ثم يؤول بينه) أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة

أو هنا كاو في أو كصيب
 (لجج) عجميق كثير الماء
 منسوب الى اللج وهو معلم
 ماء البحر (يعشاه) يعشى
 البحر أو من فيه أي يعالوه
 و يعطيه (موج) هو ما
 ارتفع من الماء (من فوقه
 موج) أي من فوق الموج
 موج آخر (من فوقه
 سحب) من فوق الموج
 الاعلى سحب (ظلمات)
 أي هذه ظلمات ظلمة
 السحاب وظلمة الموج وظلمة
 البحر (بعضها فوق بعض)
 ظلمة الموج على ظلمة البحر
 وظلمة الموج على الموج وظلمة
 السحاب على الموج (اذا
 أخرج يده) أي الواقع فيه
 (لم يكدر يراها) مبالغة في لم
 يرها أي لم يقرب ان يراها
 قضا عن أن يراها شبه
 أعمالهم أو لاني فوات نفعها
 وحضور ضررها بسر ابلم
 يجده من خلد من بعيد
 شيئاً ولم يكفه خيبة وكذا ان
 لم يجده شيئاً كغيره من
 السراب حتى وجد عذبه

الزبانية تعذله الى النار وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها الكون باطالة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات تراكمه من لج البحر والامواج بعضها
 والسحاب (ومن لم يجعل الله نورا فلما له نور) من لم يمهده الله لم يدع الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
 فن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل (الم تر) ألم تعلم يا محمد علميا يقوم مقام العيان في الايقان (أن الله يسبح له من في السموات
 والارض والطير) عطف على من (صافات) حال من الطير أي يصفن اجنحتهن في الهواء (كل قد علم صلواته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أو
 لله وكذا في صلواته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعث ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يمدون
 اليها (والله عالم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شيء (والله مالك السموات والارض) لأنه خالقهم ومن ملك شيئاً فبتمامه اياه (والى الله المصير)
 مرجع الكل (لم تر ان الله يترجم) يسوق الى حيث يريد (سحاباً) جمع سحابة دليلة (ثم يؤول بينه) ثم يؤول بينه) وتذ كيرة للفظ أي يضم بعضها الى

بعض (ثم يجعله ركنا) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فوقه ويخارج به جمع خلال كجبال في جبل (ويتركب) وينزل مكي ومدني وبصري (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من التبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) للبيان والاوليان للابتداء والآخر للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفسر ينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله في السماء جبال برد كخلق في الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أي يصيب الانسان وزرعه (ويصرفه من يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عن يشاء فلا يذبه (يكاد سنا برقه ضوءه) (٣٢٥) يذهب بالابصار) يتخيلها يذهب

يزيد على زيادة الباء) يقال
الله الليل والنهار) يصرفهما
في الاختلاف طولاً وقصراً
والتعاقب (ان في ذلك) في
ازجاء السحاب وانزال
الودق والبرد وتقلب الليل
والنهار (لعبارة لاولى
الابصار) لذوى العقول
وهذا من تعدد الدلائل
على ربوبيته حيث ذكر
تسبيح مسن في السموات
والارض وما يطير بينهما
ودعاهم له وتسخير السحاب
الى آخر ما ذكره في برهين
لأئحة على وجوده دلالة
واختم على صفاته ان انظر
وتدبر ثم بين دلالة آخرة قال
تعالى (والله خلق كل
خالق كل حزة وعلى (دابة)
كل حيوان يدب على وجهه
الارض (من ماء) أي من
نوع من الماء مختص بتلك
الدابة أو من ماء مخصوص
وهو النطفة ثم خالف بين
المخلوقات من النطفة فمنها
هوام ومنها ثم ومنها
أناسي وهو كقوله يسقى

بعضها لى بعض (ثم يجعله ركنا) أي مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) في المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو يخرج القطار (وينزل من السماء) من جبال فيها من برد (قبل معناه) وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد ووقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيها كونه وأمواله (ويصرفه عن يشاء) أي فلا يصرفه (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوءه وبريقه (يقال الله الليل والنهار) أي يصرفه ما في اختلافهما وتعاقبهما في الليل ويذهب بالنهار وباليوم والنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر قلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه في أشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصروف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم وقوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه الاشياء (لعبارة لاولى الابصار) أي دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده وقوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لاننا شاهدتهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضهم يحاونوا خلق منه الملائكة وجعل بعضهم ناراً فخلق منه الجن وجعل بعضهم طيناً فخلق منه آدم (فمنهم من يمشي على بطنه) أي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشي على رجلين) يعني مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشي على أربع) يعني كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال سلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق من غير نطفة لابدان يتكوّن من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلاء فلم يستعمل في غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلاً والحسيس تبعاً وأولى فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الا عجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آله المشي وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجا ولا نحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان لمحقابا لا غالب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمدها على أربع في المشي أو الباقي تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل

بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها حالها وقومها والامم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المقصود ثم ان اجناس الحيوانات من جنس الماء وانما هو الاصل وان تختلف بينه وبينها وسائط قالوا ان أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشبه المميز وغير المميز غلب المميز على ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم يمشون في ثم قيل (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشياً باستعارة كما يقال في الامر المسمى قدم مشي هذا الامر أو على طرائق المشا كما نذكر الزحف مع الماشين (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهائم وقد مدها وأعرف في القدرة وهو الماشي بغير آله مشي من أرجل أو غيرها ثم المشي على رجلين ثم الماشي على أربع (يخلق الله ما يشاء) كقوله يشاء (ان الله على كل

شيء قد ير (لا يتعدر عليه شيء) لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء) باطله ومثبتته (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذي وصل
الى جنته والآيات للزام حتمه لما ذكر بعد ما افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون
وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخضون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافر ون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون
آمننا بالله وبالرسول) بالسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أى من
بعد قولهم آمننا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخضين وهو اشارة الى القائلين آمننا وأطعنا الى الفريق المتولى وحده
وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا اعتقادهم ما يعتقده هؤلاء الاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم
(واذ ادعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تر يدكرم زيد (لحکم) الرسول (بينهم اذا فر بق منهم معرضون)
أى فاجامن فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصم في أرض فجع اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمد ابيحيف علينا (وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (يا توأبيه)
الى الرسول (مذعنين) حال أى (٣٣٦) مسرعين في الطاعة طلبا لحقهم لارضابحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى

انهم لم يعرفتهم انه ليس معك
الاحق المر والعدل البحث
يتمنعون عن المحاكاة اليك
اذاركهم الحق لثلاث تنزعه
من أحداقهم بقضائك
عليهم لخصومهم وان ثبت
لهم حق على خصم أسرعوا
اليك ولم رضوا بالاجحكومتك
لتأخذلهم ماوجب لهم في
ذمة الخصم (أفي قلوبهم
مرض أم ارتابوا أم يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله)
قسم الامر في صدورهم
عن حكومته اذا كان الحق
عليهم بان يكونوا مرضي
القلوب منافقين أو
مرتابين في أمر نبوته أو
خائفين الخيف في قضائه
ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله
(بل أولئك هم الظالمون)

شيء قد ير) أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنع ما منع
ولادافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله
يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته
﴿قوله تعالى﴾ (ويقولون) يعنى المنافقين (آمننا بالله وبالرسول وأطعنا) أى يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد
(ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمننا ويدعوا الى
غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودى
خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن
الاشرف فان محمد ابيحيف فانزل الله هذه الآية (واذ ادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى الرسول ليحكم
بحكم الله بينهم (اذا فر بق منهم معرضون) يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يا توأبيه
مذعنين) أى مطيعين منقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما
يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أفي قلوبهم مرض) أى كفر ونفاق (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا
استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) أى يظلم (بل أولئك هم
الظالمون) أى لانفسهم باعراضهم عن الحق ﴿قوله عز وجل﴾ (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله الى
الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم ادب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو
(ان يقولوا سمعنا وأطعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة (وأولئك) أى من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع
الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أى ما عمل من الذنوب (ويتقه) أى فيما بعد
(فأولئك هم الفائزون) أى المتناجون ﴿قوله تعالى﴾ (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن
يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أمت أمتنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما

أى لا يخافون أن يحيف عليهم اعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه في مجالس نزل
رسول الله عليه الصلاة والسلام فن ثم يأتون المحاكاة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب اقوى لان أولى الامرين
بكونه اسمالكان أو غلها ما في التعريف وان يقولوا أو غل بخلاف قول المؤمنين (اذ ادعوا الى الله ورسوله ليحكم) النبي عليه الصلاة والسلام
ليحكم أى ليذلل الحكم (بينهم) بحكم الله الذى أنزل عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن
يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سنته (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض
الولك انه سأل عن آية كافية تثبت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبو عمر وروا بكرة بنبة الوقف وبسكون القاف
وبكسر الهاء ثلثة حذفت وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لانهم بذلوا ذبيها
بجهودهم وجهود غيره مستعاز من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها وروا كدتها وعن ابن عباس رضى الله
عنها من قال بالله فقد جهد عينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا حذفت الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى
المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب بحكم الحال كانه قال جاهدن إيمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى لئن أمرنا محمد بالخروج

(ومن كفر بعد ذلك) أي بعد الوعد (٣٣٨) والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون) هم الكاملون

في نفسهم حيث كفروا تلك النعمة الجسمية وجسر واعلى غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتله عثمان رضي الله عنه فاقتلوا بعدما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والاية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاضر الفصل وان طال (وأقوال الزكوة) و أطيعوا الرسول) فيها يدعوك اليه وكررت طاعة الرسول تأكيذا لوجوبها (لعلكم ترجون) أي لكي ترجوا فأنتم امن مستحلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الارض) أي فائتين الله بان لا يقدر عليهم فيها فالتمه الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وبألباء شامى وجزرة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا دم ذكروه والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (ومأواهم النار) معطوف على لاتحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا والاية وتون الله

طعننا
فيهم
اللعان
تون
سنة
فهم يفتنون
فهم يفتنون
سنة

حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز واثن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطالب من يقبله منه فلا يجرد أحدا يقبله منه وليايقن الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فليقولن ألم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكامة طيبة قال عدى فرأيت القامئة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكانت فبين افتتح كنوز كسرى بن هرمز واثن طالت بك حياة لترين ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم لم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا لمخ في الاية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغیره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين عن سنة سنة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك الخلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلى ستا قال على قلت لحدا القائل اسعد امسك سنة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بخو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وستة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الاربعين سنة وستة أشهر وثلاثة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) أي العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وبجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن أخي عبيد الله بن سلام قال لما أُرِدَ قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرتك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خير لي منك داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان الله سيفاقمهم وداوان الملائكة قد جاؤا رتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه انه في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتنظردن جيرانكم الملائكة تلبسوا بالله سيفه المغمود عنكم فلا يغمدونكم في يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فماتل نبي قط الاقتل به سبعون ألفا ولا خليفة الاقتل به خمسة وثلاثون ألفا قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وأقوال الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحون) أي اذموا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (لاتحسبن الذين كفروا معجزين) أي فائتين عنا (في الارض) ومأواهم النار ولبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن عباس وجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامان الانصار يقال له مدلج بن عمرو والى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحاله كرهه ورؤيته عند ذلك فأ نزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأ نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خد منا وغلامنا بنا يدخلون علينا في حال كرهها فأ نزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الامر وفيه قولان أحدهما انه على الذنب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهر واعلى عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلافه واقبى اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم

ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا اليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بان يستأذن العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أي الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقيل يسكون اللام تخفيها فقال

(ثلاث مرات) في اليوم والليله وهى (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب
البقطة (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهى نصف النهار في القبط لانها وقت وضع الثياب للقبول (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت
التجر من ثياب البقطة والاتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أى هى اوقات ثلاث عورات فغذف المبتدأ والمضاف وبالنصب كوفى
غير محض بدلان ثلاث مرات أى اوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الانسان يجتنب تسره فيها والعورة الخلال
ومنها العورة المحتسل العين تدخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمر وعلى عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه
فقال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول فى هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد زلت عليه الآتية
ثم عززهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح (٣٣٩) بعدهن) أى لا اثم عليكم ولا على المذكورين

فى الدخول بغير استئذان
بعدهن ثم بين العلة فى ترك
الاستئذان فى هذه الاوقات
بقوله (طوافون عليكم)
أى هم طوافون بجوانح
البيت (بعضكم) مبتدأ
خبره (على بعض) تقديره
بعضكم طائف على بعض
فغذف طائف لدلالة
طوافون عليه ويجوز أن
تكون الجملة بدلان التى
قبلها وأن تكون مبنية
مؤكدة بمعنى ان بكم وهم
حاجبة الى المخاطبة والمداخلة
بطوافون عليكم للخدمة
وطوافون عليهم للاستخدام
فلو حزم الامر بالاستئذان
فى كل وقت لافضى الى
الحرج وهو مدفوع عن
الشرع بالنص (كذلك
يبين الله لكم الآيات) أى
كبابين حكم الاستئذان بين
لكم غير من الآيات التى
احتجستتم الي بيانها (والله
عليم) بمصالح عباده (حكيم)
فى بيان مراده (واذ بلغ
الاطفال منكم) أى الاحرار

فقال أبو حنيفة لا يكون بالغاحتى يبالغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية تسبع عشرة سنة وقال
الشافعى وأبو يوسف ومحمد وأحد فى الغلاء والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكافوا وتجري عليه الاحكام وان
لم يجتنب (ثلاث مرات) أى ليستأذنوا فى ثلاثة اوقات (من قبل صلاة الفجر) حين تضعون ثيابكم من الظهيرة
أى وقت المقيب (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع
الثياب فر بما يبدو من الانسان ما لا يجوز ان يراه أحد من العبيد والصبيان فأمرهم بالاستئذان فى هذه
الاقوات وغير العبيد والصبيان يستأذن فى جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات
لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعنى العبيد والخدم والصبيان (جناح)
أى حرج فى الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أى بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أى
العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون فى أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أى يطوف
بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء فى حكم هذه الآتية فقيل انها
منسوخة حتى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عن عكرمة أن نفر من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى
فى هذه الآتية التى أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليس لغيركم منكم ملكة
أيمانكم الآتية فقال ابن عباس ان الله حلیم رحيم بالمؤمنين يجب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا
حجاب فر بما يدخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان فى تلك
العورات فخاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحد يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وروى رواية عنه نحووه وزاد
فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان فى تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة وروى سفيان عن موسى
ابن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآتية ليستأذنكم الذين ما كت أيمانكم أم نسوخته قال لا والله
قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبيرة فى هذه الآتية ان ناسا يقولون نسخت
والله ما نسخت ولكنها ما يمانهاون به الناس قبل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآتية وقوله ان
أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتا واذ حضر القسمة أو لوالقربى الآتية وقوله عز وجل
(واذ بلغ الاطفال منكم الحلم) أى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أى يستأذنوا فى جميع
الاقوات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته)
أى دلالاته وقيل أحكامه (والله عليم) أى بامور خلقه (حكيم) بمبادئ وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن
الرجل على أمه فانما أتت هذه الآتية فى ذلك وسئل حذيفة استأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل
رأيت منها ما تكره ﴿ قوله ﴾ (والقواعد من النساء) يعنى اللاتى تعدن عن الحيض والولادة الكبر فلا

دون المماليك (الحلم) أى الاحتلام أى اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى
الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال والذين ذكر وامن قبلهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسئلوا
الآتية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم فى الدخول بغير اذن الا فى العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن
وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحتملوا على ان يستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا بالذن والناس
عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات يجدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله اتقاكم واذ حضر القسمة وعن
سعيد بن جبيرة يقولون هى منسوخة والله ما هى منسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) فيما يبين من الاحكام (حكيم) بمصالح
الانام (والقواعد) جمع فاعدا لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطائى والحائض أى اللاتى تعدن عن الحيض والولادة الكبرهن (من النساء)

حال (اللائي لا يرجون نكاحاً) بطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدأ وهي القواعد والجر (فليس عليهن جناح) ثم ودخلت الفاعل ما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالف واللام (ان يضعن) في أن يضعن (ثيابهن) أي الظاهرة كالخفة والجلباب الذي فوق الخمار (غير) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التحفيف وحقيقة التبرج تكاف (٣٤٠) اظهار ما يجب اخفاؤه (وان يستعفنن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ

يلدن ولا يحضن (اللائي لا يرجون نكاحاً) أي لا يردن الأزواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي اذا رآهن الرجال استقدروهن فأما من كانت فيها قيمة جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وأن يستعفنن) أي فلا يلقين الجلباب ولا الرداء (خير لهن والله سميع عليم) قوله عز وجل (ليس على الاعمى حرج) اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله بأبها الذين آمنوا لآلئاً كلاراً أموالكم بينكم با أباطل تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الاموال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام والطيب والاعرج لا يمشي من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمرضى يضعف عن تناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على معنى في أي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى والمرضى والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول بما آكل أكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما اجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصاً لهؤلاء في الاكل من بيوت من سمهم الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم الى بيت ابيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى فكان أهل الزمانه يتخرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مغانج بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها واحمامنا يغيب فانزل الله هذه الآية وخصه لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام مستأنف قيل لما نزلت ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يصلح لاحد مننا أن يأكل عند احد فأنزل الله تعالى (ولا على أنفسكم) (أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت اولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الآباء لما جاء في الحديث أنت وما لك لا يملك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت عمتكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه) قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقبته في ضيعته وما شئت له لباس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ما شئت له ولا يحمل ولا يدخروا وقيل يعني بيوت عميدكم وما يملككم ذلك أن السيد يملك منزله عبده والمفتاح الخزان ويجوز أن يكون المفتاح الذي يفتح به واداملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس ان يأكل كل الشيء اليسير وقيل ما ملكتكم مفاتيحه أي ما خزنته عندكم وما ملكتكم (أو صدقتكم) الصديق هو الذي صدقت في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرب بن عمر وخرج غازي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن حاله فقال تخربت ان آكل من

خبره (خبر لهن والله سميع عليم) بما يقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال عبد بن السيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغز ومع النبي صلى الله عليه وسلم لم يضعوا مغانج بيوتهم عند الاعرج والمرضى والاعرج وعند أقاربهم وياذونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (ان تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت اولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الاولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت وما لك لا يملك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صاروا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت عمتكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه) لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتكم مفاتيحه) جمع مفقح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضى الله

عنه وهو وكيل الرجل وقبته وما شئت له أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ما شئت له وأريد بك المفتاح كونها في يده وحفظه وقيل أراد بيته بيت عبده لان العبد وما في يده مولاة (أو صدقتكم) يعني أو بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحداً وجمعاً وهو من صدقتك في مودته وأصدقته في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كبسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاجبرته أعتقها

سرور بذلك فاما الآتي فمدغاب الشخ على الناس فلا يؤكل الا باذن (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا) مجتمعين (أواشتابا) متفرقين
 جمع شت نزلت في بني ايمث بن عمرو وكانوا يخرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد من انتظار ان يراه الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل
 ضرورة أو في قوم من الانصار اذا نزل بهم صب لايأكلون الا مع ضيفهم أو يخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل
 وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلت بيوتا) من هذه البيوت لنا كوا (فسلموا على انفسكم) أي فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم
 ديناً وقرابة أو بيوتاً فارغة أو مسجداً فقولوا السلام عليه وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب يسلموا لانهم في معنى تسليمها وقد جلت
 (من عند الله) أي نابتة بامر مشروعة من لدنه أولان التسليم والتحية طلب سلامة (٢٤١) وحياة للمسلم عليه والحياء من عند الله

(مباركة طيبة) وصفها
 بالبركة والطيب لانها دعوة
 مؤمن لمؤمن يرجي بهامن
 الله زيادة الخير وطيب
 الرزق) كذلك بين الله لكم
 الآيات لعلمكم تعقلون
 لسي تعقلوا وتفهموا (انما
 المؤمنون الذين آمنوا بالله
 ورسوله واذا كانوا معاً على
 أمر جامع) أي الذي يجمع
 له الناس نحو الجهاد
 والتدبير في الحرب وكل
 اجتماع في الله حتى الجمعة
 والعيد (لم يذهبوا حتى
 يستأذنه) أي ويأذن لهم
 ولما أراد الله عز وجل ان
 يريهم عظم الجناية في
 ذهاب الذهاب عن مجلس
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بغير اذنه اذا كانوا معاً
 على أمر جامع جعل ترك
 ذهابهم حتى يستأذنه
 ثالث الايمان بالله والايمان
 برسوله وجعلهما كالشبيب
 له والبساط لذكره وذلك
 مع تصدير الجمله بانما ويقاع
 المؤمنين مبتدأ مخبر عنه
 بموصول أحاطت صلته

طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح ان تأكلوا من منازل هؤلاء اذا
 دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتردوا وتحملوا (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً أو اشتاباً) نزلت
 في بني ايمث بن عمرو وهم حرم من كفاة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجدي ضيفاً يأكل معه فربما قعد
 الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الاكل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى
 يأتي من يشار به فاذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوى قرابته
 وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لا اجزع أي اخرج من أكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه
 الآية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا
 كيف شاءوا جميعاً أي مجتمعين أو اشتاباً أي متفرقين (فاذا دخلت بيوتاً فسلموا على انفسكم) أي ليسلم
 بعضهم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم
 على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام عليه وانما على عباد الله الصالحين
 السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت
 أحد فقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله
 وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلت بيوتاً فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام
 علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة
 والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك بين الله لكم الآيات لعلمكم تعقلون) أي عن الله أمره
 ونهيهم وآياته ﴿ قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معاً على أمر
 صلى الله عليه وسلم) (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور
 في أمر نزل (لم يذهبوا) أي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنه) قال المفسرون كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم
 يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحث برأه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن
 شاء منهم قال مجاهد واذا امام الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون
 مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا
 اذا لم يكن حدث سبب منعه من المقام فان حدث سبب منعه من المقام بان يكون في المسجد فحيض امرأة
 منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين
 يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فانذرتهم منهم) أي في
 الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفروا لهم الله) أي ان رأيت لهم عذراً في
 الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) ﴿ قوله عز وجل (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

بذكر الايمان ثم عقبه بما يزيد توكيداً أو تشديداً حيث عادة على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
 بالله ورسوله) وضمنه شيئاً آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمان وعرض بحال المنافقين وتسللهم لو اذنا (فاذا استأذنوك)
 في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فانذرتهم منهم) فيرفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واستغفروا لهم الله ان الله غفور رحيم)
 وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدمهم في الدين والعلم
 يظاهرونهم ولا يتفردون عنهم الا باذن قبل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعاء الرسول
 بينكم كدعاء

بعضكم بعضاً) أى إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمراً فدعاكم فلاتنقضوا ما بينكم وبينه ولا تقبلوا دعاءه أبداً على دعاء بعضكم بعضاً ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلاتقولوا يا محمد ودونكن يابى الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفض (قد يعلم الله الذين يتسألون) يخرجون قليلاً قليلاً (منكم لو إذا) حال أى ملاوذين الواوذاً والملاوذة هوان يلون هذا بذلك وذلك بهذا أى يتسألون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى الذين يصعدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه وما أريد أن خالفكم إلى ما أنتم عليه من الأمر إذا صد عنه ودونه والضمير فى أمره لله سبحانه والرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودنيته ومفعول يحذر (أن تصيبهم فتنة) محتمة فى الدنيا أو قتل أو لزال أو هوال أو تسلط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباح النعم استدرجاً أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة والآية تدل على أن الأمر للإيجاب (ألأن الله مافى السموات والأرض) ألا تنبيه على أن (٣٤٢) لا يخالفوا أمر من له مافى السموات والأرض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليدنو كد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين

بعضكم بعضاً) قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول أحذروا دعاء الرسول إذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاه غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعوه بعضكم بعضاً يا محمد يا عبد الله ولكن نغموه وعظموه وشرفوه ووقولوا يابى الله يا رسول الله فى لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسألون) أى يخرجون (منكم لو إذا) أى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قبل كانوا فى حط الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفين وقال ابن عباس لو إذا أى يلون بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلونون بعضهم أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه (أن تصيبهم فتنة) أى لا تصيبهم فتنة أى بلاء فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجيع فى الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (ألأن الله مافى السموات والأرض) أى ماله كما وعيداً (قد يعلم ما أنتم عليه) أى من الأيمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أى من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلوهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع فى صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم
 * تفسير سورة الفرقان وهى مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة واثنان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة وثلاثون حرفاً *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قبل معناه جاء بكل بركة وتخبر وقيل معناه تعظيم (الذى نزل الفرقان) أى القرآن سماه فرقاناً لأنه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لأنه نزل مفرقاً فى أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتشكثير التفرقة (على عبده) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أى للانس والجن (نذيراً) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذى له ملك السموات والأرض) أى هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولداً) أى هو الفردى وحدانيته وفيه

و يرجع تأكيد العلم إلى تأكيد الوعيد والمعنى ان جميع مافى السموات والأرض تختص به خلقاً وملكاً وعلماً فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون فى سترها (ويوم يرجعون اليه) ويقع الباع وكسر الجيم يعقوب أى ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة فى قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه ويجوز ان يكونا جميعاً للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاماً ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة بما عملوا بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى ان ابن عباس رضى الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر فى الموسم

رد وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسلمت والله أعلم * (سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك) تفاعل من البركة وهى كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر وترتيد عن كل شئ وتعالى عنه فى صلواته وأفعاله وهى كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضى فحسب (الذى نزل الفرقان) هو مصدق فى فرق بين الشيبين إذا فصل بينهما وهى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام وألأنه لم ينزل جملة ولكنه مفرقاً مفضولاً بين بعضه وبعض فى الأتزال الأتري إلى قوله وقرأ نافرقتاه لقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيراً) من ذرا أى مخوفاً وأنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذى) رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو على الأبدال من الذى نزل وجوز الفصل بين البذل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعالى له فكان المبدل منه لم يتم الأبه أو نصب على المدح (له ملك السموات والأرض) على الخلوص (ولم يتخذ ولداً) كما زعم اليهود

والنصارى في عزير المسيح عليه السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كزعمت الثنوية (وخلق كل شيء) أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله
 الجوس والثنوية من النور والظلمة تو بزدان واهر من ولا شبهة فيمن يقول ان الله شيء ويقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا
 يكون مفعولا له على ان لفظ شيء اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا اوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد (فقدرة تقدره
 فهما لما يصلح له بالاخلال فيه كإتانه خلق الانسان على هذا الشكل الذي تراه فقدرة للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا وقدرة بالبقاء
 الى أمدمع يوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لاندر ارجهم تحت العالمين اولدلالة نذر عليهم لانهم المنذرون (من دونه آلهة) أي الاصنام
 لا يخلقونه شيئا وهم يخلقون أي انهم آثروا على عبادة من هو منفر دبالا لوهبة والملك والخلق والتقدير عبادة معززة لا يقدر ان يخلق شيء وهم
 يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) امانة (ولا حياة) أي
 احياء (ولاشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزم عبدجها (وقال الذين كفروا ان (٣٤٢) هذا ما هذا القرآن (الافك) كذب
 (افتراه) اختلقه واخترعه

رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام
 (وخلق كل شيء) مما تعلق عليه صفة المخلوق (فقدرة تقدره) أي سواء وهبها لما يصلح له لا خلل فيه ولا
 تفاوت وقيل قدر كل شيء تقدره من الاجل والرزق فحرت المقادير على ما خلق ﴿ قوله تعالى (واتخذوا)
 يعني عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعني الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم
 ضرا ولا نفعا) أي دفع ضرر ولا جزئ (ولا يملكون موتا) أي امانة (ولا حياة) أي احياء (ولاشورا) أي
 به ثابا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الافك)
 أي كذب (افتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل
 عبيد بن الحضرمي الحشبي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم
 المشركون أن محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعني قائله - هذه المقالة (فلما
 وزورا) أي بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتبها)
 يعني النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث
 رستم واسفنديار ومعنى اكتبها نسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان
 تكتب له لانه كان لا يكتب (فهى على عليه) أي تقرأ عليه لحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعني
 غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أترله) يعني القرآن (الذي يعلم السر) أي الغيب (في
 السموات والارض انه كان غفورا رحيفا) أي لولا ذلك لعاجلهم بعدا به (وقالوا مال هذا الرسول يعنون
 محمد صلى الله عليه وسلم (يا كل الطعام) أي كائنا كل نحن (ويعشى في الاسواق) أي يلبس المعاش كما يخشى
 نحن واذا كان كذلك فمن أمن له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عننا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بذلك لانك بشر
 مثلنا والملك لا يأكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبذل وما قالوه فاسدان أكله الطعام لكونه
 آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن سخيا في الاسواق
 وليس شيء من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا أنزل اليه ملك) أي يصدقه ويشهده
 (فيكون معه نذرا) أي داعيا (أو يلقى اليه كثر) أي ينزل عليه كثر من السماء ينفعه فلا يحتاج الى التصرف
 في طلب المعاش (أو تكون له جنة) أي بستان (يا كل منها) أي هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كثر

أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فحفظ ما على عليه ثم يتلو علينا (قل) يا محمد (أترله) أي القرآن (الذي يعلم السر
 في السموات والارض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه
 الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيفا) فيهم لهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها
 بكارتهم (وقالوا مال هذا الرسول يعنون محمد صلى الله عليه وسلم (يا كل الطعام ويعشى في الاسواق) حال والعامل فيها هذا (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذرا) أو
 يلقى اليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها) أي ان صح انه رسول الله فيأكله يأكل الطعام كائنا كل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما ترد
 يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستعنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الافتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساند في الانذار
 والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون مر فودا كثر يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان
 يأكل هو منه كلما سير أو نأ كل نحن كقراءة على وجزرة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتسكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو
 فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا يعني هلا حكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين في قوله

أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فحفظ ما على عليه ثم يتلو علينا (قل) يا محمد (أترله) أي القرآن (الذي يعلم السر
 في السموات والارض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه
 الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيفا) فيهم لهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها
 بكارتهم (وقالوا مال هذا الرسول يعنون محمد صلى الله عليه وسلم (يا كل الطعام ويعشى في الاسواق) حال والعامل فيها هذا (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذرا) أو
 يلقى اليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها) أي ان صح انه رسول الله فيأكله يأكل الطعام كائنا كل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما ترد
 يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستعنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الافتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساند في الانذار
 والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون مر فودا كثر يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان
 يأكل هو منه كلما سير أو نأ كل نحن كقراءة على وجزرة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتسكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو
 فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا يعني هلا حكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين في قوله

(وقال الظالمون) ايهم باعينهم غير انه وضع الظاهر موضع المظهر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قرش (ان تتبعون الارجلا مسحورا) مسحورا سحر فخرن اوداه مسحور وهو الرثة عنوا انه بشر لاملك (انظر كيف ضربوا) بينوا (لك الامثال) الاشباه اى قالوا فبك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المتهزى والممل عليه والمسحور (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا اليه (تبارك الذى ان شاء جعل للخير من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) اى تكاثر خير الذى ان شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكى وسامى وأبو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا (٢٤٤) جازى جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل انوابا عجب

(وقال الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا) اى تخدوعا وقيل مصر وفاقن الحق (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) اى الاشباه التى لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) اى عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهوى ويخربوا عن الضلالة ﴿ قوله تعالى (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) اى من الذى قالوا افضل من البستان الذى ذكره واو قال ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) اى بيوتها شديدة عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي لي يجعل لي بطحا عمكة ذهابا قلت لا يارب وكن اشبع يوما وجوع يوما اذ قال ثلاثا او نحوها فاذا اجعت تضمرت اليك وكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لو شئت اسارت معي جبال مكة ذهابا عنى ملك ان حجزته لتساوى الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبي اعاك فظفرت الى جبريل فاشار الى ان وضع نفسك فقلت نبي اعاك قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأتى كل متكئا يقول انا عبد آكل كيا بيا كل العبدوا جلس كما يجلس العبد كرهذين الحديشين البغوى بسنده ﴿ قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) اى القيامة (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) اى نار المسعرة (اذار ائهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله اذار ائهم قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه ائهم زبانياتها (سعوا لها تغيطا) اى غلبانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) اى صوتا فان قلت كيف يسمع التغيط قلت معناه اراو اعلاوا لها تغيطا وسعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوعى * متقلدا سيفا ورحما

اى وحاملار محاقيل سعوا لها صوت التغيط من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خرلوجه (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) اى مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل (دعوا ههنا ثبورا) قال ابن عباس ويلاوقيل هلا كما وفى الحديث ان أول من يكسى حله من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويستحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبورا هرهه ينادون يا ثبورا حتى يقفوا على النار فينادى يا ثبورا هرهه ينادون يا ثبورا هرهه فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلا ككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة ﴿ قوله عز وجل (قل أذلك خير) اى الذى ذكرت من صفة النار وأهلها (أم جنة الخلد التى وعد المتقون) كانت لهم جزاء ومصيرا) اى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤون) اى ان جميع المرادات لا تحصل الا فى الجنة لافى غيرها فان قلت قد يشتهى الانسان شيا وهو

من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتجيب مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهيا بالمكنزين بهانارا شديدة فى الاستعار (اذار ائهم) اى النار اى قابلتهم (من مكان بعيد) اى اذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد (سعوا لها تغيطا وزفيرا) اى سعوا صوت غلبانها وشبه ذلك بصوت التغيط والزافر اذ اذار ائهم زبانياتها تغيطوا وزفر وغضبا على الكفار (واذا ألقوا منها) من النار (مكانا ضيقا) ضيقا كى فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصلت الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنه انه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين)

لا

اى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال

أر يقرب مع كل كافر شيطانه فى سلسله وفى أرجلهم الاصفاذ (دعوا ههناك) حيث ذ (ثبورا) هلا ك اى قالوا وان ثبورا هرهه هذا حينك فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) اى انكم وقعتم فى عالبس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) اى المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التى وعد المتقون) اى وعد ههنا فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال أذلك خير ولا خير فى النار توبيخا للكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله كأنه كان لتحقيقه أو كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها ما يشاؤون) اى ما يشاؤنه

(خالدين) حال من الضمير في يشاؤون والضمير في (كان) لما يشاؤون (على ربك وعدا) أى موعودا (مسؤلا) مطلوبوا أو حقه بقا ان يسأل أو قد سأه المؤمنون والملائكة في دعواتهم وبنوا آتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتينا الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث عند الجهور وبالياه مكي ويزيد ويعقوب وحفص (وما بعدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسبح وعزير وعن الكافي بمعنى الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانهم أريد به الوصف كانه قيل ومعهم وبديهم (فيقول) وبالنون شامى (أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداية الطريق والاصل الى الطريق أو لاطريق وصل مطاوع أضله والمعنى أنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما يقبل أضلتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل ويزيد أتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لو لا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكرهم وايلائهم حرف الاستفهام ليعلم انه المسؤول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالسؤال عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبيكت عبادتهم بشكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم مما قبل لهم وقصدوا به تنزيههم عن الانداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيره هم انما هم قالوا (ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من (٣٤٥) دونك من أولياء) أى ما كان يصح لنا ولا

يستقيم ان تتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك نتخذ زيدا واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو واتخذ وليا والى مفعولين نحو واتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهتهم من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى لواحد وهو من أولياء والاصل ان نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفي والقراءة الثانية من المتعدى الى المفعولين فالمفعول الاول ما بنى له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء لان

لا يحصل في الجنة كان يشتمى الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيد ذلك الخاطرة عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره (خالدين) أى في نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى أشد الغم عندى فى سرور * يتيقن عنه صاحبه انتقالا
 (كان على ربك وعدا مسؤلا) أى مطلوبوا وذلك ان المؤمنين سألو اربهم في الدنيا حين قالوا ربنا آتينا الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاه الله المؤمنين جنه وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا وما سئلتم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم وبنوا أدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿ قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) بمعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل بمعنى الاصنام ثم يخاطبهم (فيقول أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أى أخطوا الطريق (قالوا) يعنى المعبودين (سبحانك) زهو الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء) يعنى ما كان ينبغي لنا ان نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك (ولكن متعتهم وآباءهم) أى بطول السمر والجمعة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكرك) معناه تركوا المواظف والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكى أى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوك) هذأ خطاب مع المشركين أى كذبكم المعبودون (بما تقولون) أى انهم آلهة (فما يستطيعون) أى الآلهة (صرفا) أى صرف العذاب عن أنفسهم (ولانصرا) أى لانصر أنفسهم وقيل لانصر ونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أى يشرك (نذقه عذابا كبيرا) ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أى بالحمد (من المرسلين الا انهم

(٤٤ - خازن) - ثالث) من لا تزد في المفعول الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحد من ولي (ولكن متعتهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكرك) أى ذكر الله والايمان به والقرآن والشرايع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أى هلكى جمع بائر كعائد وعود ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوك) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الحجاب قد جاء كرسولنا بين يديكم على فطرة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا احسان أقصى ما يراد بنا * تم القول فقد جاءنا خراسانا (بما تقولون) يقولكم فيهم انهم آلهة والبساء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قبل بالياه ومعناه فقد كذبوك بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) أى فما يستطيع آلهتهم ان يصرفوا عنكم العذاب او ينصروكم وبالتاء حفص أى فما يستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصرا أنفسكم ثم خاطب المشركين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أى يشرك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل الخلق شركاء خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فسر بالخلو في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الاعلى قول المعتزلة والخوارج (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم

لياً كلون الطعام ويمشون في الأسواق) كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجمله بعد الاصله لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك
 أحدا من المرسلين الا آكلين وممشين وانما حذف كفاءه بالجاء والمجرور رأى من المرسلين ونحوه وما من الا لله مقام معلوم أى وما من أحد
 قيل هو احتجاج على من قال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الأسواق وتسليمه للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة)
 أى محنة وابتلاء وهذا نصير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عير به من الفقر ومشي في الأسواق يعنى انه جعل الاغنياء فتنة للفقر
 فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجر وأم لا تصبرون فيزداد عذابكم وحتى ان بعض الصالحين تبرم بضلك عيشه
 فخرج صخباً قرأ أى خصه فى مواكب ومراكب فخطب بياله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبراً بنا أى وجعلناك فتنة لهم لانك لو
 كنت غنياً صاحب كنوز ورجحان (٢٤٦) لكنت طاعتهم لك للدينياً ومزوجة بالدينياً فاعلمنا اننا فقير التكون طاعة من يطيعك خاصة

لنا (وكان ربك بصيراً) عالماً
 بالصواب فيما يتلى به أو
 بن يصبر ويجزع (وقال
 الذين لا يرجون) لا يأملون
 لقاءنا) بالخير لانهم كفرة
 لا يؤمنون بالبعث أولاً
 يخافون عقابنا املان
 الزاجى فلق فيما رجوه
 كالحائف أولان الرجاء فى
 لغتهم الخوف (لولا
 هلا) أنزل علينا الملائكة
 وسلا دون البشر أو شهدوا
 على نبوته ودعوى رسالته
 (أوتى ربنا) جهرة فيخبرنا
 برسالته واتباعه (لقد
 استكبروا فى أنفسهم)
 أى أفسحروا والاستكبار
 عن الحق وهو الكفر
 والعناد فى قلوبهم (وعتوا)
 وتجاوزوا الحد فى الظلم
 (عتوا كبيراً) وصف العتو
 بالكبر فبالغ فى افراطه
 أى أنهم لم يجسر واعلى
 هذا القول العظيم الا أنهم
 بلغوا غاية الاستكبار
 وأقصى العتو واللام فى

لياً كلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الأسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة
 من الله تعالى على رسوله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشر ما تلى
 يا كلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى بليمة قال ابن عباس أى جعلنا
 بعضكم بلاء بعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتبعوا أنتم الهدى قيل نزلت فى ابتلاء
 الشريفة بالوضيع وذلك ان الشريفة اذا أراد ان يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فانف وقال أسلم بعده
 فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت
 فى أبى جهل والوليد بن عقبه والعاص بن وائل السهمى والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا أبان بن
 مسعود وعمار بن ياسر وبلا ولا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذو بهم قد أسلموا قبلهم فقالوا انسلم فكون مثل
 هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستعزبين من قريش كانوا يقولون انظر والى هؤلاء الذين تبعوا
 محمد صلى الله عليه وسلم من مواليها وأراد لنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (أتصبرون) أى على هذه الحالة
 من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغنى فتنة الفقير يقول ما لى لم أكن مثله والصحيح فتنة المرئى
 والشريفة بالوضيع (وكان ربك بصيراً) أى لمن صبر ولن يجزع (ق) عن أبى هريرة يبلغ به النبي صلى
 الله عليه وسلم قال اذا انظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه فى المال والجسم لفظا
 البخارى وسلم انظر والى من هو أسفل منكم ولا تنظر والى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله
 عليكم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يخافون البعث والرجاء يعنى الخوف اغتنامة (لولا
 أنزل علينا الملائكة) فيخبرنا ان محمد صادق (أوتى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أى تعظموا (فى
 أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيراً) أى طغوا وقيل عتوا فى القول زهو أشد الكفر والفحش وعتوهم
 طغهم رقيه الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أى عند الموت وقيل يوم القيامة (لابشرى
 يومئذ مجبرين) وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل
 لا بشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن (ويقولون حجراً محجوراً) قال ابن عباس تقول الملائكة حراماً محرمان
 يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراماً
 محرماً عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم
 شدة ورأوا ما يكروهون قالوا حجراً محجوراً ففهم يقولون ذلك اذا عابوا الملائكة قوله عز وجل (وقدمنا الى
 ما علموا من عمل) يعنى من أعمال البر التي عملوها فى حال الكفر (فجعلناه هباء منثوراً) أى باطلاً لا ثواب له

لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أى يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بمبادل عليه (لابشرى) أى يوم لانهم
 يرون الملائكة بمنعون البشرى وقوله (يومئذ) مؤكديوم يرون أو باضمار اذ كرى يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى
 بالجنة يومئذ ولا ينتص بيرون لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف ولا يبشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنقى باللا يعمل
 فيما قبله لا (للمجبرين) ظاهر فى موضع ضمير أو عام يشاؤهم بعمومهم وهم الذين اجتمروا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء
 يتناول أكمل المسميات (ويقولون) أى الملائكة (حجراً محجوراً) حراماً محرماً عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراماً عليكم غما البشرى
 للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقري به ما هو من حجره اذا منعوه هو من المصادر المنصوبة بانفعال متروك اظهارها وصحجورا
 لنا كيد يعنى الحجر كما قالوا موت مات (وقدمنا الى ما علموا من عمل) جعلناه هباء منثوراً (هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء

وأعمالهم التي جوهاني كفرهم من صله رجم وأغاثة ما هو فوقى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف ساطانه وعصاه فقدم الى أشياهم وقصد الى ماتحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثر والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبهها بالغبار والمنثور والمفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تمييز والمستقر المسكن الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحدثون (٣٤٧) (وأحسن مقبلا) مكانا بارون اليه للاسترواح الى الأرزاجهم ولا نوم في الجنة ولكنه سمي مكان استراحتهم الى الحور مقبلا على طريق التشبيه وروى انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي لفظ الاحسن

لا نهم لم يعملوا لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمر ناهو ورواه البهاء هو ما يرى في الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالابدى ولا يرى في الغل والمنثور والمفرق قال ابن عباس هو ما تسفبه الرياح وتنزبه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حواف الدواب عند السير من الغبار قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقبلا) أي موضع القبلة وذلك أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا ندر من أول النهار الى وقت القبلة حتى يسكنوا وما ساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقبلة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقبلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله وروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كباين العصر الغروب الشمس قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضباب ولم يكن الابن اسرائيل في تبهم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فتنزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء ينزلون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حق الملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره (وكان يوما على الكافر من عسيرا) أي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة به صلاحها في الدنيا قوله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه) أراد بان الظالم عقبة بن أبي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه أشرف قومه وكان يكثر مجالس النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل كل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خاف فلما أخبر أبي بن خلف قاله يا عقبة صباأت قال لا والله ما صباأت ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامي الا أن أشهده فاستخفيت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا الذي أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبرق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا أزال خارجا من مكة الاعلوت وأسل بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لم تبرق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد براقه في وجهه فاحترق خدها فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة فقال له أمية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارثا فنزل الله فيه يوم بعض الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أي ندما وأسد على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صدده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل بيده حتى يباغ مرفقيه ثم يبتنان ثم يأكلهما هكذا كلما بنت يده أكلها على ما فعل تحسرا وندامة (يقول باليتنى اتخذت) أي في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أي ليتنى اتبعته محمدا صلى الله عليه وسلم

تم كتم يوم (ويوم) واذا كثر يوم (تشقق السماء) والاصل تشقق فذف التاء كوفي وأبو عمر وغيرهم أدغمها في الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشق به السماء كما تقول شققت السنم بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) ونزل الملائكة منى وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفي أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعمته ومعناه الثابت لان كل ملك نزول يومئذ فلا يبقى الا ما كره (الرحمن) خبره (وكان) ذلك اليوم (يوما على الكافر من عسيرا) شديدا

يقال عسر عليه فهو عسير وعسر يفهم منه يسره على المؤمنين في الحديث يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة بصاها في الدنيا (ويوم بعض الظالم على يديه) عض اليمين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من رواد نها فتمد كر الراد فتو يدل به على المدد فيرفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكثي عنه واللام في الظالم للعهد وأريد به عقبة لما بنين أول للجنس فبدأ بعقبة وغيره من الكفار (يقول باليتنى اتخذت) في الدنيا (مع الرسول) محمدا صلى الله عليه وسلم (سبيلا)

طريقا الى النجاة والجنه وهو الايمان (يا ويلنا) وقرئ يا ويلنا بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهو هلكته يقول له تعالى فهذا
أوانك وانما قلبت الياء ألفا كقبي صحارى ومدارى (ليتني لم ألتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام فان أرب بالظالم عقبه قمار وى ايه اتخذ
ضيافة فدعا اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبى بن خلف وهو خليله وجهى
من وجهك حرام الا ان ترجع فارمدا فعنى باليتنى لم ألتخذ أيا خليلا فكنتى عن الله وان أرب يديه الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان
ظليلا له اسم علم لا سمخه فجعله كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلنى عن الذكركر) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الايمان (بعد
اذجاعنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله سمى شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حمله على سمخه المضل ومخالفة
الرسول للانسان المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان تركه من يواليه وهذا كناية كلام الله أو كلام الظالم
(وقال الرسول) أى محمد عليه الصلاة (٣٤٨) والسلام فى الدنيا (يارب ان قومى) قرىشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى

واتخذت معه طريقا الى الهداية (يا ويلنا) دعا على نفسه بالويل (ليتني لم ألتخذ فلانا خليلا) قيل يعنى أبى بن
خلف (لقد أضلنى عن الذكركر) أى عن الايمان والقرآن (بعد اذجاعنى) يعنى الذى كرم مع الرسول صلى الله
عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرّد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) أى
كثير الخذلان يتركه ويترأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتماعا
على معصية الله (ن) عن أبى موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الخليلين والمتحابين اجتماعا
السوء كخامل المسلك ونافخ الكبر فخال المسلك اما أن يحذيك واما أن يتباع منه واما أن تجدمنه يحاطبنا
ونافخ الكبر اما أن تحترق ثيابك واما أن تجدمنه يحاخبيشة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذى وله ما عن أبى سعيد الخدرى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل كل طعامك الا تقي ﴿قوله عز وجل﴾ (وقال
الرسول) يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى متروكا
واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السبي من القول فرجموه الله سحر
وشعر والمعنى ان محمد صلى الله عليه وسلم يشكوه قومه الى الله عز وجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن
مهجورا فغزاها الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) أى وكما جعلت لك أعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك
جعلنا (لكل نبي عدوا من المجرمين) أى المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا
من قومهم فصبروا فاصبر أنت كصبر وافانى ناصرك وهايدك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا)
﴿قوله تعالى﴾ (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أى كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل
على عيسى والزبور على داود وصالحات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلمنا ذلك (لنثبت به فؤادك) أى
أنزلناه مفرقا لتقوى به قلبك فتعبه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤن وأنزلنا
القرآن على نبي أى لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن
أمور تحدث فى أوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه
ترتيلا) قال ابن عباس وينادى بيانا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفرقا أى بعد آية (ولا
يأتونك) يعنى بالحمد هو لاء المشركون (بمثل) أى يضر بونه لك فى ابطال أمرك (الاجتنالك بالحق) أى بما

تركوه ولم يؤمنوا به من
الهمجران وهو مفعول ثان
لا تتخذوا وفى هذا تعظيم
للسكينة وتخويف لآلئهم
لان الانبياء اذا شكوا اليه
قومهم حل بهم العذاب ولم
ينظر وانم أقبل عليه مسلما
ووعده النصر عليهم فقال
(وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين وكفى
بربك هاديا ونصيرا) أى
كذلك كان كل نبي قبلك
مبتلى بعداوة قومهم وكفلك
بى هاديا الى طريق قهرهم
والانتصار منهم وناصرك
عليهم والعدو يجوز أن
يكون واحدا وجمعوا الباء
زائدة أى وكفى بربك هاديا
وهو تمييز (وقال الذين
كفروا) أى قرىش أو
الهود (لولا نزل عليه
القرآن جملة) حال من
القرآن أى مجتمعا
(واحدة) يعنى هلا أنزل

عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفريق وهو فضول من القول ومما روي بالاطائل
تحتة لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا ونزل ههنا معنى أنزل والالكان متدا فعا بدليل جملة واحدة وهذا
اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالاتبان بسورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفة معجزهم حتى لا ذابوا بالمناسبة وفرغوا الى المحاربة وبنوا
المهيج ومالوا الى الحجج (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك اشارة الى مدلول قوله
لولا نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فاعلم أن ذلك (لنثبت به) بفرقة (فؤادك) حتى تعب وتحفظه لان المتلقن انما
يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيئا وجرأ عقيب جزؤلو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أولنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول
وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معاروف على الفعل الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك
فرقناه ورتلناه أى قدرناه آية بعد آية ووقفه بعد وقفه أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه وترسل وتثبت أو
ينادى تبيينا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت (ولا يأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل فى لبطلان (الاجتنالك بالحق)

الأئينالك بالجواب الحق الذي لا يجده عنه (وأحسن تفسيراً) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أي من سؤلهم وإنما حذف من مثلهم لان في الكلام دليل عليه كجاءت رأيت يزاد وعمران كان عمر وأحسن وجهه فيسه دليل على انك تريد من زيد وما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فلو افسر هذا الكلام كبت وكبت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة بحماسة يقولون هلا أتزل عليك القرآن جله إلا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ان تعطاه وما هو أحسن تكشيفاً لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تزيله مفارقة وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التشاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الاعجاز من ان ينزل كله جله (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ أولئك مبتدأ ثانٍ وشر خبر أولئك وأولئك مع وشر خبر الذين أو التقدير هم الذين أو أعنى الذين وأولئك مستأنف (مكاناً) أي مكانة ومنزلة أو مسكنة ومنزلة (وأضل سبيلاً) أي وأخطأ طريقاً وهو من الاسناد المجازي والمعنى ان حاملهم على هذه السؤالات انكم تضلون سبيله وتحشرون مكانة ومنزلة ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحورين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانة ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآيتون عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشرون الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أركانهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة (٣٤٩) والسلام الذي أمسككم على أقدامكم

يحشرون على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة كتاباً تينالك القرآن) وجعلنا معه آخاهرون بدل أو عطف بيان (وزيرا) هو في اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو المبدأ والوزارة لا تنافي النبوة قد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمنون بأن يوزر بعضهم بعضاً (فقلنا أذهبنا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقدره فذهب اليهم وانذرا فكذبواهما (فدمرناهم تدميراً) التدمير الاهلاك بامر عجيب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها

ترد به ما جاز به من المثل وتبطله فسمى ما لو ردون من الشبه به مثلاً وسمي ما يدفع به الشبه حقاً (وأحسن تفسيراً) أي احسن بياناً وتفصيلاً ثم ذكر ما ل هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يساقون ويحشرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكاناً) أي منزل أو مصيراً (وأضل سبيلاً) أي اخطأ طريقاً يقول تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه آخاهرون وزيراً) أي معينا وظهيراً (فقلنا اذهبنا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني القبط (فدمرناهم) فيه اختصار أي فكذبواهما فدمرناهم (تدميراً) أي أهلكتناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فذلك ذكره بلفظ الجمع (أعزقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم (وأعدنا للظالمين) في الآخرة (عذاباً أليماً) أي سيرى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (وعادوا نوحاً) أي أهلكتنا عاداً ونوحاً (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس تزول عليهم وكانوا أصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيباً يدعوهم الى الاسلام فمادوا في طغيانهم وأذوا شعيباً فيبيناهم حول البئر في منازلهم انهارت البئر وسف بهم وبيدارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفتح الهمزة قتلوا انبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبيرة كان نبي يقال له حنظلة بن صهوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النخار وهم الذين ذكروهم الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين ذلك كتبيراً) أي وأهلكنا قرونا كثيراً بين عاد ونوح وأصحاب الرس) وكلا ضربناه الامثال) أي في الاشياء في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تبيراً) أي أهلكتناهم هلاكاً يقول تعالى (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطراً السوء) يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة وهي أصغر ها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم

لانهم ما المقصود من القصة أعنى الزام الحجة بعبث الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) أي ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعني نوحاً وادريس وشيثاً وكان تكذيبهم لواحد منهم تكذيباً للجميع (أعزقناهم) بالظروفان (وجعلناهم) وجعلناهم فاقدمهم (لنناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعدنا) وهياًناً (للاظالمين) لقوم نوح وأصله وأعدنا لهم الا انه أراد تظليلهم فاطهر وهو علم لكل من ظلم ظلم شركاً وينتأواهم بعمومه (عذاباً أليماً) أي النار (وعاداً) دمرنا عاداً (ونوحاً) جزرة وحنظلة على تأويل القبيلة وغيرهما ونوحاً على تأويل الحى اولانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيباً فيبيناهم حول الرس وهي البئر غير مطوية انهارت بهم فحسف بهم وبيدارهم وقيل الرس قرية قتلوا انبيهم فيها كروا وهم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمماً (بين ذلك) المذكور (كثيراً) لا يعلمها الا الله أرسل اليهم فكذبواهم فاهلكوا (وكلا ضربناه الامثال) بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تبيراً) أي أهلكتناهم اهلاكا (وقرونا) وهو أنذرنا وأحذرنا والثاني تبرنا لانه فارغله (ولقد أتوا) يعني أهل مكة (على القرية) سدوم وهي أعظم قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله أربعا وأهلك بقية واحدة (التي أمطرت مطراً السوء) أي أمطرت الله عليها الحجارة يعني ان قريشاً ومراراً كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السوء مطراً السوء مفعل من الاصل أمطرت القرية مطراً أو مصدر محذوف الزوائد أي امطار السوء (أفلم

يكونوا رويها) أما شاهدوا ذلك باصا رهم عند سمرهم الشام في شكروا فيؤمنوا (بل كانوا يرجون نشورا) بل كانوا قوما كفورا بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أولا. يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لاطعمهم في الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا رأوك ان يتخذونك) ان نافية (الاهزوا) اتخذهم زوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذهم موضع هزأ وهو هزأ به (أهد الذي) محتى بعد القول المضمرة وهذا استصغار واستهزاء أي قائلين أهد الذي (بعث الله رسولا) والمخدوف حال والعائد الى الذي مخدوف أي بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان سبرنا عنا) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المجازات عليهم حتى شارفوا برجمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاحهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعبد ودلالة على انهم لم يفوتوه وان طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أي من أطاع هواه فيما ياتي وينرفه وعابده هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هـ الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروي ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا امر بحجر أحسن منه ترك (٢٥٠) الاول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكيل) أي

يكونوا رويها) يعني اذا مروا بها في اسفارهم فيعتبروا وينعظوا ان مدائن قوم لوط كانت على طرف يقفهم في مرهم الى الشام (بل كانوا يرجون نشورا) أي لا يخافون بعثا قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) ثلاث في أبي جهل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهد الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) أي قد قارب ان يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا ان سبرنا عليها) أي على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أي في الآخرة عينا (من أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس رأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى بحجر فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد (أفأنت تكون عليه وكيل) أي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما به هواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) أي ما تقول سمع طالب الافهام (أو يعقلون) أي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا يسمعون لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (انهم) أي ما هم (الا كالانعام) أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكير ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لان البهائم تهتمدى لمراعيتها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يعاينون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك قوله تعالى (ألم ترى ان ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لشمس معه (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بظلالها (ثم قبضناه) يعني الظل (اليناقضا يسيرا) أي بالشمس التي تاتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طاعت

حفظنا تحفظه من متابعه هواه وعبادة ما به هواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبلغ ففقط (أم) تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) أم منقطع معناه بل أنتحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمت حاجتي حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلمو الجاهلية والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق أدنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والاضلاله فقد دركهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم

أرجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربهما وتسجد له وأطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها من يسيء اليها وتطلب ما ينفعها الشمس وتجتنب ما يضرها وتمتدى لمراعيتها ومشاربها وهؤلاء لا يتقادرون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يدابون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهاالك ولا يهتمون للعق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي وقالوا للملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمي يجمع الكل ابتلاء فان غلبت النفس والهوى فضلت الانعام وان غلبت الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر اكثر لان فيهم من لم يصد عن الاسلام الاحب اليه وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن (ألم ترى ان ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مد الظل) أي بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور ولانه ظل ممدود لشمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة وظل ممدود لشمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أي أخذنا ذلك الظل الممدود (الينا) الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أي جزأ جزأ بالشمس التي تاتي عليه وجاء بهم لتفاضل ما بين الامور فكان الذي أعظم من الاول والثالث أعظم من الثاني شبه تباعدا بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت

(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام السائر كاللباس (والنوم سباتا) راحة لا بد انكم وقطع الاعمال لكم والسبت القطع والنام مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمنبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعضده ذكرا للنشور في مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعث من النوم كشور الميت أي ينشر فيه الخلق للعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها انظار لنعمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فو قفا كذلك تموت فتتشر (وهو الذي أرسل الرياح) الریح مكي والمراد به الجنس (بشرا) تخفيف بشر جمع بشور (بين يدي ورحمته) أي قدام المطر لانه ريح تمحباب ثم مطر وهذه استعارة مألوفة (وأترلنا (٣٥١) من السماء ماء) مطرا (طهورا)

بليغا في طهارته والظهور
صفة كقولك ماء طهور رأى
طاهر واسم كقولك لما
يتطهر به طهورا كولو ضوه
والوقود لما يتوضأ به وتوقد
به النار ومصدر بمعنى
التطهر كقولك تطهرت
طهورا حسنا ومنه قوله
عليه الصلاة والسلام لا صلاة
الابطهور رأى بطهارة وما
حكى عن ثعلب هو ما كان
طاهرا في نفسه مطهرا
لغيره وهو مذهب الشافعي
رحمه الله تعالى ان كان هذا
زيادة بيان الطهارة فحسن
ويعضده قوله تعالى وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم
به والافليس فعول من
التفعيل في شئ وقياسه على
ما هو مشتق من الافعال
المتعدية كقطوع ومنوع
غير سديد لان بناء الفعل
للمبالغة فان كان الفعل
متعديا فالفعال متعدوان
كان لازما فلزم (لتحبي به)
بالمطر (بلدة ميتا) ذكر
ميتا على ارادة الباسد أو

الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبض خفيها (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي سترت استتروا به
والمعنى ان ظلمة الليل تعشى كل شئ كاللباس الذي يشتمل على لابس (والنوم سباتا) أي راحة لا بد انكم
وقطع الاعمال لكم (وجعل النهار نشورا) أي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لا بتغاعر زقكم وطلب الاستغال
(وهو الذي أرسل الرياح) بشر بين يدي رحمة (يعني المطر) (وأترلنا من السماء ماء طهورا) الطهور وهو
الطاهر في نفسه المطهر بغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو
الطهور وماؤه الحل ميتته أخرجهم أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان
من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير يختص بالماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الطهور وهو الطاهر حتى
جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والرقيق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بماء جاز ازالة
الحدث به وذهب بعضهم الى أن الطهور وما تكرر ومنه التطهير وهو قول مالك حتى يجوز الوضوء بالماء اذا
توضئ به مرة وان وقع في الماء شئ غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيا
لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب أو راق الاشجار فتجوز الطهارة به كالماء في طول المكث في قراره
وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيترقح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للجمهورية
لا للمخالطة وان كان شيا يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخسل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا
يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه نظر ان كان الواقع شيا طاهرا لا يزال طهوريته بجوز الوضوء به
سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيا نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتي نجس الماء وان
كان قدر قلتي فاكثر فهو طاهر بجوز الوضوء به والقلتان نجس ما تترطل بالبغداد يدل عليه ما روى
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والذواب فقال اذا
كان الماء قلتي لم يحمل الخبث أخرجهم أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد واسحق وجماعة من
أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد اوصافه وذهب جماعة الى
ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء
والنخعي والزهرى واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقي لك من بئر بضاعة
ويلقى فيها الحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور
لا ينجسه شئ وفي رواية قال قلت يا رسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر أطرح فيها خرقي الحيض والحوم
الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور ولا ينجسه شئ وقوله تعالى (لتحبي به) أي
بالمطر (بلدة ميتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) أي نسقي من ذلك الماء (أنعاما وأناسي
كثيرا) أي بشرا كثيرا والانسى جمع انس وقيل جمع انسان ﴿ قوله عز وجل (ولقد صرقتناه بينهم)

المسكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) أي ونسقي الماء البهائم والناس ومما خلقنا من أنعاما وأناسي مما
خلقنا وسقي وأسقي لغتان وقرأ الفضل والبرجي ونسقيه والانسى جمع انس على القياس ككبرى وكراسى وانسان وأصله اناسين
كسرحان وسراحين فبلدت النون ياعو أدغمت وقدم احياء الارض على سقى الانعام والانسى لان حياتها سبب حياتها وتخصيص الانعام
من الحيوان اشار بان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والانسى
ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس يتخون بالقرب من الاودية والانهار فيهم غنية عن سقى السماء واعقابهم وقاياهم وهم كثير يعيشون بما
ينزل الله من رحمة وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقى الاناسي من جهة ما أنزل الله الماء وصفه
بالظهور واكثر ما لهم وبيان ان من رحمة ان يؤتوا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الظهور به يشرط الاحياء (ولقد صرقتناه بينهم)

ليذكروا) ليدكر واحرز نوعا على يردوا قد صرنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكرا نشاء
 السحاب وانزال القطر ليتفكر واو يعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فأبى أكثر الناس الا كفورا) فابى أكثرهم الا كفوران
 النعمة و بحودها وقلة الاكتران لها أو صرنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والافات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من اهل وطل وجود
 نورا ذرديمة فابوا الا الكفور وان يقولوا ما نابتوه كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل
 مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف واكن يختلف
 فيه البلاد ويستترع من هنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي ومن نسب الامطار الى الانواع ومحمدان تكون هي والانواع من خلق الله
 تعالى كفوران رأى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواع امارات ودلالات عليها ليكفر (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلاتطع الكافرين)
 أى لو شئنا لبعثنا عنك اعباء نذارة (٣٥٢) جميع القرى وبعثنا في كل قرية نبييا نذرها ولكن شئنا ان نجعل لك فضائل جميع المرسلين

يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بعام من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ
 هذه الآية وهذا كذا روى مروعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسما تمطر فيها بصره الله حيث يشاء
 وروى عن ابن مسعود رفعه قال ليس من سنة بامطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق
 فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي
 حوّل الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف
 المطر تصريفه وبلاوطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف ارجع الى الريح (ليذكروا) أى ليتذكروا
 ويتفكروا في قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أى بحودا وكفورهم هو انهم اذا مطر واقالوا
 مطر نابتوه كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية
 في اثنى سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال
 أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما
 من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
 نذيرا) أى رسولا يذريهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وجنناك نزل النذارة لتستوجب بصرك ما أعدنا
 لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلاتطع الكافرين) فليأيدعوك اليه من موافقتهم ومداهنتهم
 (وجاهدهم به) أى بالقرآن (جهادا كبيرا) أى شديدا قوله تعالى (وهو الذى مرجح البحرين) أى
 خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل أرسله ما فى بحارهم (هذا عذب فرات) أى شديدا العذوبة
 يعيل الى الخلاوة (وهذا ملح أجاج) أى شديدا الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) أى حاجزا بقدرته فلا
 يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أى سترامنوعا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد
 الملح العذب قوله تعالى (وهو الذى خلق من الماء) أى من النطفة (بشر فجعله نسا وصورا) أى جعله ذا
 نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا
 يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله
 بالنسب سبعاء بالسبب سبعاء ويجمعها قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه فى
 تفسير سورة النساء (وكان ربك قدرا) على ما أزد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكرا

بالرسالة الى كافة العالمين
 فقصرنا الامر عليك
 وعظمتك به فتكون وحدك
 ككاهم ولذا خسو طب
 بالجمع بأبها الرسل فقابل
 ذلك بالشكر والصبر
 والتشديد ولا تطاع الكافرين
 فيما يدعونك اليه من
 موافقتهم ومداهنتهم وكما
 آثرتك على جميع الانبياء
 فان رضائى على جميع
 الاله او أورد بديها تهيجه
 وتهيج المؤمنين وتحريكهم
 (وجاهدهم به) أى بالله
 يعنى بعونه وتوفيقه أو
 بالقرآن أى جادلهم به
 وقرعهم بالحجزعنه (جهادا
 كبيرا) عظيما موقعه عند
 الله لما يحتمل فيه من
 المشاق ويجوز أن يرجع
 الضمير في به الى ما دل عليه
 ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
 نذيرا من كونه نذركافة

القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قرية فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده والانى
 من أجل ذلك وعظما فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وهو الذى مرجح البحرين) خلاهما
 متجاورين متلاصقين تقول مرجح الدابة اذا خلتها ترمى وسمى الماء من الكثيرين الواسعين بحرين (هذا) أى أحدهما (عذب فرات) صفة
 لعذب أى شديدا العذوبة حتى يقرب الى الخلاوة (وهذا ملح أجاج) صفة للملح أى شديدا الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته يفسل
 بينهما ومنعهما التمازج فهما فى الظاهر مختلطتان وفى الحقيقة منفصلتان (وحجرا محجورا) وسترامنوعا عن الاعين كقوله سبحانه مستورا (وهو
 الذى خلق من الماء) أى النطفة (بشرا) انسانا (فجعله نسا وصورا) أى تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال
 فلان بن فلان وفلان بنت فلان وذوات صهر أى انا ناصهر بهم من كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكرا والانى (وكان ربك قدرا) حيث
 خلق من النطفة الواحدة بشر نوعين ذكرا وانثى وقيل فجعله نسباً أى قرابة وصهرامصاهرة يعنى الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان
 التواصل يقع به او بالمصاهرة لان التواليد يكون بهما

(ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم) ان عبدوه (ولا يضرمهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصيته ربه (طهيرا) ومعينا ومظاهرا
 وفعل بمعنى مفاعل غير عز وزواظهير والمظاهر كالعوزين والمعاون والمظاهرة والمعونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه
 على معصية الرحمن (وما أرسلناك الا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذر للكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أحر) جعل (الا
 من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) والمراد الافعل من شاء واستثنائه من الاحقرول ذى شفقة عليك قدسعى لكى تحصل مال ما أطلب منك ثوابا على
 ما سمعت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته بصورة الثواب كأنه يقول ان حفظت
 مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب ورضائي به كرضا الثواب واعمرى انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى
 الله سبيلا تقر بهم اليه بالاعيان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالانفاق الى رضائه سبيلا فليفعل وقيل تقدره
 لأسألكم على ما أدعوك اليه أحر الا اتخاذهم وسبب الا الى ربه بطاعته فذلك أحرى لان الله بأجرى عليه (وتوكل على الحى الذى لا يموت)
 اتخذ من لا يموت وكذا لا يكلمك الى من يموت ذليلا يعنى ثوبه وأسند أمرك اليه فى استكفاء شرورهم ولا تنسك على حى يموت وقرأها بعض
 الصالحين فقال لا يصح لذى عقل ان يثق بعدها بخلق والتوكل الاعتماد عليه فى كل (٣٥٣) أمر (وسبح) من أن يكلم الى غيره من

توكل عليه (بجوده)
 بتوفيقه الذى يوجب الحمد
 أو قل سبحان الله وسبحمده
 أو ترزه عن كل العيوب
 بالثناء عليه (وكنى به
 بذنوب عباده خبيرا) أى
 كفى الله خبيرا بذنوب عباده
 يعنى انه خبير بأحوالهم
 كاف فى جزاء أعمالهم (الذى
 خلق السموات والارض
 وما بينهما فى ستة أيام) أى
 فى مدة مقدار هذه المدة لانه
 لم يكن حينئذ ليل ونهار
 روى عن مجاهد أولها يوم
 الاحد وآخرها يوم الجمعة
 وانما خلقها فى ستة أيام
 وهو يقدر على ان يخلقها
 فى لحظة تعلمنا خلقه الرفق
 والتثبت (ثم استوى على
 العرش الرحمن) أى هو

والاثنى (ويعبدون من دون الله) يعنى هؤلاء المشركين (مالا ينفعهم) أى ان عبدوه (ولا يضرمهم) أى ان
 تركوه (وكان الكافر على ربه طهيرا) أى معينا أعان الشيطان على ربه بالمعاصى لان عبادتهم الاصنام
 معاونة للشيطان وقيل معنى طهيرا هيئنا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهره ولم تلتفت اليه
 وقيل أراد بالاكافر بأجهل والاصح انه عام فى كل كافر ﴿ وقوله تعالى (وما أرسلناك الا مبشرا) أى
 بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيرا) منذر بالالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما أسئلكم
 عليه) أى على تبليغ الوحي (من أحر) فتقولوا انما يطالب محمد أمم والناس ما يدعوننا اليه فلا نتبعه (الامن
 شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) معناه اسكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى
 لأسألكم لنفسى أحر ولكن أمتع من انفاق المال الا فى طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته ﴿ قوله
 عز وجل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن
 لا يطالب منهم أحر البتة أمره ان يتوكل عليه فى جميع أموره وانما قال على الحى الذى لا يموت لان من توكل
 على حى يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فانه حى لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه
 ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) أى صل له شكر اعلى نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكنى به
 بذنوب عباده خبيرا) يعنى انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجاز بهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره
 لانه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كأنه قال اذا قدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه فى مجازاتكم
 بما تستحقون من العقوبة ﴿ قوله عز وجل (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى
 على العرش الرحمن) فاستل به خبيرا) أى فاسأل الخبير بذلك يعنى بما ذكره من خلق السموات والارض
 والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الانسان لاترجع فى طلب العلم بهذا الى غيرى وقيل معناه فاسأل
 عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أى
 ما نعرف الرحمن الارحمان اليمامة يعنون مسيلة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما أمرنا)

(٤٥ - (خازن) - ثالث) الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدأ والرحمن
 خبره (فاسأل) بلا همزة مكى وعلى (به) صلته سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم
 فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلته (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا
 بخبرك رجته أو فاسأل رجلا خبير به ورجته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل
 به هذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلة وكان
 يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أى اذا قال محمد عليه الصلوة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلواته واخضعوا له (قالوا وما
 الرحمن) أى لانعرف الرحمن فنسجده فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه لانه
 لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم (أنسجد لما أمرنا) لذى تأمرنا بالسجود أو لأمرنا بالسجود بما يحمد من غير
 علم منا به يأمرنا على وجزة كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما أمرنا بما يحمد أو بأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد عاندوا لان معناه عند أهل
 اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لان فعلا من ابيته المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش

(وزادهم) قوله امجد والرحمن (نفورا) تباعد عن الايمان (تبارك الذي جعل في السماء برجاً) هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت والقمر بيت فالجمل والعقرب بين المريج والنور والميزان بين الزهرة والجوزاء والسنبلة بين عطارد والسرطان بيت والقمر والاسديت الشمس والقوس والحوت بين المشتري والجدى والدلو بين تازحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة برج وج فالجمل والاسد والقوس مثلثة نار وبقية الثور والسنبلة والجدى مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لانها هذه الكواكب كالمنازل لسكانها وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم السكار لظهورها (وجعل فيها) في السماء (سراجاً) يعني الشمس لتوقدها (٣٥٤) سراجة على أي نجومها (وقرأ منبرا) مضياً بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار

خلفه) فعلة من خلف كالركبة من ركبه وهي الحالة التي يخاف عليها الليل والنهار واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفه يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد أن يذكر) يتدبر في تدبيرهما واختلا فهما فيعرف مدبرهما يذكر جزوه وخلف أي يذكر الله أو المنسى فيقضى (أو أراد شكورا) أي يشكر نعمته به عامه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعدهما صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أولياءه بعد ما وصف أعداءه (على الارض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشايهين والهون

أنت يا محمد (وزادهم) أي قول القائل امجد والرحمن (نفورا) أي عن الايمان والسجود * (فصل) * وهذه السجدة من عزائم السجدة فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراءتها قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء برجاً) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجها لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الجمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها الكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجاً) يعني الشمس (وقرأ منبرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه) قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما اقتضاه في الآخر قال شقيق جاعر جل العبر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فعمل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن أراد أن يذكر) أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) يعني شكر نعمته به عليه فيهما قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والافعال خلق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلما) أي سدا من القول يسلون فيه لاسفة هون وان سفه عليهم حملوا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قيل ان يؤمر وابقال ثم نسختها آية القتال ويروي عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه اذ اوصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا اوصف ليالمهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقياما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وقوله عز وجل (والذين يقولون ربنا صرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أي ملها دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سألت الله الكفار عن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهالك الدائم (انها) يعني جهنم (ساعت) بسئت (مستقرا ومقاما) أي

الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضر بون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا موضع وبطر اولذا كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله و يمشون في الاسواق (واذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلما) سدا من القول يسلون فيه من الايداع والافك أو تسلما منكم تتارككم ولا نجاهلكم فاقبم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالانقطاع عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة وهذا اوصف نهارهم ثم وصف ليالمهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل غمت أولم تتم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقياما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا صرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) هلا كاللازم ومنه الغريم الملازمة وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم حافظون ميثاقون متضرعون الى الله في صرف العذاب عنهم (انها ساعت مستقرا ومقاما) أي ان جهنم وساعت

في حكم بسبب وفيها ضمير مبهم يفسر مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقامها هي وهذا الضمير هو الذي زبط الجملة باسم
 ان وجعلها خبرا لها او بمعنى آخرت وفيها ضمير اسم ان ومستقر حال او تمييز ويصح ان يكون التعليقان متداخلين ومترادفين وأن يكونا
 من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد في النفقة اولم يأكلوا التمتع ولم يلبسوا للتصاف وعن ابن
 عباس رضي الله عنهما لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاززة القدر وسبح رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال
 عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف (ولم يفتروا) بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي
 ويفتح الياء وكسر التاء مكبي وبصري والقتر والافتقار والتقتير التضييق الذي هو تقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أي الاسراف
 والافتقار (قوما) أي عدلا بينهم ما قاله وام العدل بين الشئيين والمنصوبان أي بين ذلك قوما خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغسل
 والتقصير وبذلك أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عن ابن عبد العزيز عن نفقة متدين
 زوجته ابنته فقال الحسن بن السيئتين فعرف عبد الملك انه أراد ما في هذه الآية وقيل أو تلك (٢٥٥) أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا

لا يأتون طعما للتعلم
 والذلة ولا يلبسون ثيابهم
 للجمال والزينة ولكن لسد
 الجوع وستر العورة ودفع
 الحر والقرو قال عمر رضي
 الله عنه كفى سرفا أن لا
 يشتهي الرجل شيئا إلا
 أكاه (والذين لا يدعون
 مع الله الها آخر) أي لا
 يشركون (ولا يقتلون
 النفس التي حرم الله) أي
 حرمها يعني حرم قتلها (الا
 بالحق) بقود أو رجم أو
 ردة أو شرك أو سعي في
 الارض بالفساد وهو متعلق
 بالقتل المحذوف أو بلا
 يقتلون (ولا زنون) ونفي
 هذه الجائر عن عبادة
 الصالحين تعريض لما كان
 عليه أعداؤهم من قريش
 وغيرهم كانه قيل والذين
 طهرهم الله مما أنتم عليه

موضع قرار واقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت
 والافتقار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاززة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد
 التبذير والافتقار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يبيع عباه ولا يعبر بهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف
 (وكان بين ذلك قوما) أي قسدا وسطا بين الاسراف والافتقار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية في صفة
 أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأتون طعما للتعلم والذلة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا
 يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقو بهم على عبادتهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويقبهم
 من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهي شيئا الا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله الها
 آخر) (ق) عن ابن عباس ان اناسا من أهل الشرك كانوا قد تلووا كثيرا ورواؤنا كثيرا فأتوا محمد صلى الله
 عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما علمنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله
 الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الابالحق ولا زنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
 لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال ان
 تدعوتك نداه وخطقتك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حمله حارك
 فانزل الله تعالى تصديقهم والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الابالحق ولا زنون
 (ومن يفعل ذلك يلق أناما) أي ومن يفعل شيئا من ذلك يلق أناما قال ابن عباس انما يريد جزاء الامم وقيل
 عقوبة وقيل الانام وادى في جهنم وروى في الحديث ان الغي والانام يتران في جهنم يسيل فمهما صيد أهل
 النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك
 يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويخالف فيه مهانا) أي ذليلا ﴿ قوله تعالى (الامن تاب) أي عن
 ذنبه (وآمن) أي بربه (وعمل عملا صالحا) أي فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
 قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الامن
 تاب فصار آيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل ما فرح بهم اذ فرح به بانا فتحنا لك فتحا ممينا ليغفر لك
 الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿ وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)

(ومن يفعل ذلك) أي المذكور (يلق أناما) جزاء الامم (يضاعف) يبدل من يلق لانهم في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقاء الانام
 كقوله متى تأتانا لهم بنافي ديارنا * تجد حطبا حولا وبارا تأجعا فجزم لهم لانه بمعنى تأتانا الاتيان هو الامام يضعف مكى ويزيد يعقوب
 يضعف شامى يضاعف أبو بكر على الاستفاف أو على الحال ومعنى يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أي يعذب على مرور الايام في الآخرة
 عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة تضاعفة المعاقب
 عليه (ويخالف) جزمها جزم يضاعف ورفع رافعه لانه معطوف عليه (فيه) في العذاب فهي مكى وحفص بالاشباع وانما حفص
 الاشباع بهذه الكامة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الكفاية الاشباع (مهانا) حال أي ذليلا (الامن تاب) عن
 الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد نوبته (فأولئك يبدل الله
 سيئاتهم حسنات) أي يوفقهم للعباد بعد تقبيل أو نحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها
 حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل بخنفا البرحي (وكان الله غفورا) يكفر السيئات (رحيما) يبدلها بالحسنات

(ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا بحصول الثواب (والذين لا يشهدون الزور) أي الكذبة بمعنى ينفرون عن محاضر الكذابين وبجبالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى ما لم تسوغه الشر بعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواضع عيسى عليه السلام يا كم وبجبالسة الخطائين أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن (٣٥٦) فتادة المراد بجبالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون لله والثناء (واذا مروا باللغو)

قال ابن عباس يدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقبيل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عنفة واحصانا وقبيل يبذل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنة يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعم آخراهل الجنة دخولا الجنة واخراهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغارا ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارا فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فلو قدر أيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذ وقيل ان الله تعالى يحجو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني أدى الفرائض عن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) أي يعود اليه بعد الموت (متابا) أي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقيل هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أي تب الى الله وقبيل ومعناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقبيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الاذوقوا الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويعضم وجهه ويطوف به في الاسواق وقبيل لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقبيل الكذب وقبيل النوح وقبيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقبيل الزور للهو والعبور الغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو نحو به الباطل بما يوهوم انه حق (واذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلقى ويترك (مروا كراما) يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا صفحوا فغلب هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقبيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بجبالس اللهو والباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهوان ينزه المرء نفسه ويكرمه عن هذه المجالس السيئة (والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه انه ليس فيه نقي الخروا وانما هو اثباته ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها كبروا على اسمائها باذان واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم باذانهم صم وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يدكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فينبعونه قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) أي ابرارا أتقياء صالحين فيقرن أعيننا بذلك

بالفحش وكل ما ينبغي أن يلغى ويقترح والمعنى واذا مروا بأهل اللغو والمستغنين به (مروا كراما) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث بكفوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وعن الباطل مرضى الله عنه اذا ذكروا الفسروج كانوا عنها (والذين اذا ذكروا بايات ربهم) أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن لم يخروا عليها صما وعميانا) هذاليس بنفي الخروا بل هو اثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه لا يلقى زيدا مسلما هو نقي للسلام للالقاء يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونحوه عنه لا كالمناقين وأشباههم دليله قوله تعالى ومن هدنا واجتبتنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا) من اللبيان كأنه

قبل هب لنا قررة أعين ثم بينت القررة ففسرت بقوله من أزواجنا (وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قررة أعين وهو من قولهم قيل رأيت منك أسدا أي أنت أسد أولا ابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذو ديننا أو بعمرو وكوفي غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قررة أعين) وانما تنكر لاجل تنكير القررة لان المضاف لاسبيل الى تنكيره لا لتنكير المضاف اليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قبيل أعين على القلة دون عيون لان المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين انها أعين خاصة وهي أعين المتقين والمعنى انهم سألوها بهم ان يرزقهم أزواجا وأعقابا بعمل الله تعالى يسرون بكلامهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن

ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين اماما) أي أئمة يقتدون بنافي الدين فاكثروا بالواحد دلالة على الجنس
ولعدم اللبس أو واجعل كل واحدنا اماما قبل في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب و يرغب فيها (أو تلك يجزون الغرفة)
أي الغرفات وهي العلالى في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليلا له قوله (٢٥٧) وهم في الغرفات آمنون (بما صبروا)

أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار وبجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفي غير حفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاه بالسلامة يعني أن الملائكة يحبونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا وسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسن) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساعت مستقرا ومقاما (قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم) ما متضمنة لمعنى الاستغناء وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى السلام أو لولا عبادتكم له أي انه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم أو ما يصنع بعدا بكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى ما يفع الله بعدا بكم ان شكرتم (فقد

قيل ليس شئ أقر عين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتفرغ عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرعة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرعة العين أن يصادف قلبه من رضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) أي أئمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نفتدى بالمتقين وتفتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألو الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المنقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم (أو تلك يجزون) أي يتأبون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) أي على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها تحية) أي ملكا وقيل بقاعدتها (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات وقوله تعالى (خالدين فيها احسن مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة وقوله تعالى (قل ما يعبا بكم ربى) أي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) اياه وقيل معناه لولا عبادتكم لولا ايمانكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبا بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لاطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبا أي ما يبالي بعبادتكم ربى لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفرون في فاعفروا لكم (فقد كذبتم) أي الكافرون يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم الى توحيد عباده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لان كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لان كذب مضمنا يلحق بعضهم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون و اسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قدمضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الشعراء)
وهي مكية الا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا وى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام
(بسم الله الرحمن الرحيم)
قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم بحرف ط المعنى علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) أي هذه الآيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية

ما يعبا ما يبالي بعبادتكم لولا دعاؤكم معه آلهة (بسم الله الرحمن الرحيم) * (طسم) طس ويس وحم مسألة كوفي غير الاعشى والبرجى وحفص ويظهر النون عند الميم زيد وجرزة وغيرهما يدعها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف البسيطة تلك آيات الكتاب المبين

(لعنك يا خع) قاتل ولعل للاسفاق (نفسك) من الحزن يعني أشفق على نفسك ان تغتلبها حسرة وحرنا على ما فاتك من اسلام قومه (ألا يكونوا مؤمنين) لثلاث يومين أو لا تمنع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (نزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أي فتطلس لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول ان زرتني أكرمك أي أكرمك كذا قاله الزجاج (أعناقهم) رؤسنا وهم مقدموهم أو جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت فينا في بني أمية فتكون انما عليهم الدولة فتدل لنا أعناقهم بعد صعوبة وخطرة هوان بعد عزة (وما يأتهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي وما يجدد لهم الله بوجبه موعظة وتذكير الاجدد والاعراض عنه وكفرا به (فقد كذبوا) بحمد صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسبأتهم) فسبأهم (أبناء) أخبار (ما كانوا يستهزئون) وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة مما الشئ (٣٥٨) الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسبأتهم انبأه وأحواله التي كانت خافية عليهم

(أولم يروا الى الارض كم أنبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة بما كل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكاثر ومفرط الكثرة وبه نبيه على كمال قدرته (ان في ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ان في نبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجح ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة

مدينة لجميع الاحكام (لعنك يا خع نفسك) أي قاتل نفسك (أن لا يكونوا مؤمنين) أي ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحصر على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجي أعناض عن خبر عن الاعناق قلت أصل الكلام فظالوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قبل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤسنا وهم مقدموهم أي فظلت كبراً وهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما يأتهم من ذكر من الرحمن) أي وعظاوند كبير (محدث) أي محدث اثره فهو محدث التنزيل وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أي عن الايمان به (فقد كذبوا فسبأتهم) أي فسوف يأتهم (أبناء) أي أخبار وعواقب (ما كانوا يستهزئون أولم يروا الى الارض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد ان لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأت كل الناس والانعام وقال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان في ذلك) أي الذي ذكر (لاية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق على فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وان ربك لهو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة والولياته ﴿ قوله تعالى ﴾ (واذ نادى) أي واذا كرى يا محمد اذ نادى (ربك موسى) أي حين رأى الشجرة والنار (أن ائت القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باسئام عبادهم وسوءهم سوء العذاب (فرعون) يعني القبط (الآيتقون) أي بصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بعبادته والايان به (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) أي بتكذيبهم أباي (ولا ينطق لساني) أي لعقده التي كانت على لسانه (فارسل الى هرون) لبوا زرفي ويعينني على تبليغ الرسالة

(الرحيم) لمن آمن منهم ٣ وآية مع الاخبار بكثرته لان ذلك مشار به الى مصدر انبتنا والمراد ان في كل واحد من تلك (ولهم) الازواج لاية أي آية (واذ) مفعول به أي اذ كراذ (نادى) دعا (ربك موسى ان ائت) أن بمعنى أي (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر وبني اسرائيل بالاستعباد وذب الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون ولكنهم معا بارتان تعقبان على مؤدى واحد (الآيتقون) أي انتم ستم زاحرا فقد أن لهم ان يتقوا وهي كلمة تحث واغراعو يحتمل انه حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال رب اني أخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيئ (أن يكذبون ويضيق صدري) بتكذيبهم أباي مستأنف أو عطف على أخاف (ولا ينطق لساني) بان تغلبي الحجة على ما أرى من المحال وأسمع من الجدال وينصهما يعقوب عطف على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده يتقدر الرفع (فارسل الى هرون) أي أرسل اليه جبريل واجعله ٣ قوله وآية هكذا بالاصل ولعله سقط منه واقرأ ونحو ذلك اه

نبيا يعينني على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس عون في تبليغ الرسالة وتمهيد العذرة في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لاعلى التعلل (ولهم على ذنب) أي تبعه ذنب بعقل القبطي فحذف المضاف أو سمى تبعه الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سبحة (فأخاف أن يقتلوني) أي يقتلوني به قصاصا وليس هذا تعلا لا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعدده بالسكالة والدفع بكامة الردع وجمع له الاستجابتين معاني قوله (قال كذا فذهبنا) لانه استدفعه بلاعهم فوعده الله الدفع برده عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فاجابه بقوله اذهب أي جعته رسولك فذهب فاذهب اعطف فاذهب اعلى الفعل الذي يدل عليه كانه قيل ارتدع يا موسى فماتن فاذهب أنت وهرون (باياتنا) مع آياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك (انامعكم) أي معكم بالعون والنصرة (٣٥٩) ومع من أرسلتم اليه بالعلم والقدرة

(مستمعون) خبر لان ومعكم لغوا وهما خبران أي سامعون والاستماع في غير هذا الاصغاء للسمع يقال استمع فلان حديثه أي أصغى اليه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فأنتيا فرعون) فقولنا انار رسول رب العالمين لم يشن الرسول كجائني في قوله انار رسول ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى لرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بدمن تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فيستوى في الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولا نهما للاتحادهما وانفاقهما على شريعة واحدة كأنه من رسول واحد أو أريد ان كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (معنا بني اسرائيل) يريد خلعهم يذهبوا معنا الى

(ولهم على ذنب) أي دعوى ذنب وهو قوله القبطي (فأخاف أن يقتلوني) أي به (قال) الله تعالى (كلا) أي لن يقتلوك (فأذهبنا باياتنا انامعكم مستمعون) أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنتان قلت أجزاهما مجرى الجماعة وهو جائز في لغة العرب (فأنتيا فرعون) فقولنا انار رسول رب العالمين فان قلت هلا نبي الرسول كفي قوله فأنتيا فقولنا انار رسول ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بدمن تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة بخازن التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى اناذوا رساله كما قال كثير لقد كذب الواشون ما فتهت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم برسول

أي رساله وقيل انها مالاتفاقهما في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كأنهم من رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني اسرائيل) أي خلعهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبد لهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعين سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فناطق موسى برسالة ربه الى مصر وهرون بها فآخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكبل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هرون ان الله قد أرسلني الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطالبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمنع لقولها وذهبنا الى باب فرعون وذلك بالليل فدعا الباب ففرع البوابون وقالوا لمن بالباب فقال أناموسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنوننا يا ابايا يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعا هرون وقيل انها انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخل على فرعون وأدبار رساله الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته (فقال) له (ألم تر بك فينا وليدا) أي صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) أي ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتلت القبطي (وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتى وحق تر بيتي يقول ربيناك فينا ككافأ تبا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهي رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناها وأنت من الكافرين بفرعون والهيته (قال) يعني موسى (فعلتها اذا وأمان الضالين) أي من الجاهلين بان ذلك يؤدي الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لاعلى وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من الخطئين (ففررت منكم) أي الى فلسطين وكانت مسكنها فأتيا بابيه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك (قال ألم تر بك فينا وليدا) وانما حذف فأتيا فرعون فقال لا اختصارا او الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة أي ألم تكن صغيرا فر بينناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) قبل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي فعرض اذا كان ملكا (وأنت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبازي أو كنت على ديننا الذي تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتيقن (قال فعلتها اذا) أي اذ ذلك (وأمان الضالين) الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال عن الشيء هو الذاهب عن معرفته أو الناسين من قوله أن تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاءه لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناها انك جازيت نعمتى بما فعلت فقيل له موسى نعم فعلتها اجاز بالك تسليما لقوله لان نعمته كانت جدي ربان تجازي بنحو ذلك الجزاء (ففررت منكم) الى مدين

(لما خفتكم) أن تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملا يا تمرون بك ليقتلوك فالخرج الآية (فوهب لى ربي حكما) نبوة
 وعلمنا فالز اعنى الجهل والضلالة (وجعلنى من المرسلين) من جملة رساله (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) كره على امتنانه عليه
 بالترية فابطله من أصله وأبى ان تسمى نعمة لانها نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح آبائهم
 هو السبب فى حصوله عند تربيته ولو تركهم لم يباه أبواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجهم من حجر أبويه اذا حققت
 وتعبيدهم بذليهم واتخاذهم عبيدا ووجد الضمير فى تمنها وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن
 منه ومن ملئه المؤمنين بقوله ان الملا يا تمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمعه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شنعاء
 مهممة لا يدري ما هى الا بتفسيرها (٣٦٠) ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على (قال فرعون

ومارث العالمين) أى انك
 تدعى المنر رسول رب العالمين
 فخاصفته لانك اذا اردت
 السؤال عن صفة زيد تقول
 ما زيد تعنى أطويل أم قصير
 أفتيه أم طبيب نص عليه
 صاحب الكشاف وغيره
 (قال) موسى بحبيله على
 وفق سؤاله (رب السموات
 والارض وما بينهما) أى
 وما بين الجنسين (ان كنتم
 موقنين) أى ان كنتم
 تعرفون الاشياء بالادليل
 فكفى خاق هذه الاشياء
 دليلا وان كان ربحى منكم
 الايقان الذى يؤدى اليه
 النظر الصحيح ففكم هذا
 الجواب والالم يرفع والايقان
 العلم الذى يستفاد بالاستدلال
 ولذا لا يقال الله موقن
 (قال) أى فرعون (ان
 حوله) من أشرف قومه
 وهم خصمائه ترجل عليهم
 الاساور وكانت للملوك
 خاصة (الاستمعون) مجيبا
 قومه من جوابه لانهم

مدى (لما خفتكم فوهب لى ربي حكما) يعنى النبوة وقبل العلم والفهم (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها
 على ان عبدت بنى اسرائيل) أى اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل
 ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى
 اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية وتلك نعمة على طريق الاستفهام
 فخذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وفتتها * وطرفها من دموعها غرق
 وقولها والى ربك واقفة * تستر كنى هكذا وتنتقل

أى أتتركتنى والمعنى أتمن على ان ربي يبنى وتنسى جنائيتك على بنى اسرائيل بالاستعباد والمعاملان القبيحة أو
 يريد كيف تمن على بالترية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه فقد سذل فتعبد بنى اسرائيل قد أحبط حسناتك
 التى ولولم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم أرفع اليك حتى تربيته وتكفانى ولكان لى من أهلى من يربى بنى ولم
 يلقه فى اليم (قال فرعون ومارث العالمين) يقول أى شئ رب العالمين الذى ترعم المنر سوله أى يستوصفه
 الهه الذى ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلماذا عدل موسى عن
 جوابه وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التى انجز الخلائق عن الاتيان بمثلهما (قال رب السموات والارض وما
 بينهما ان كنتم موقنين) انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الابعاد كونه لكم فان أيقنتم بذلك لم يمكن
 تقمعا وانه لا جواب لكم عن هذا السؤال الاما ذكرته من الجواب وقال أهل المعانى أى كما تقولون هذه
 الاشياء التى تعابونها فاقنوا ان اله الخالق هو الله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير
 فرعون فى جواب موسى (قال ان حوله) أى من أشرف قومه قال ابن عباس كانوا خصمائه ترجل عليهم
 الاسورة (الاستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التجرب من جواب موسى يعنى انى انما أطلب منه
 الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يحيب بنى بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم
 موسى فى البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعنى ان موسى ذكر ما هو أقرب اليهم فقال ربكم يعنى
 انه خالقتكم ونالق آبائكم الاولين (قال) يعنى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) يعنى
 المقصود من السؤال طاب الماهية وهو يجب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى
 الرسالة لمجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يحيب عنه ويتكلم بكلامه لا يقبله ولا يعرف صحته وكان
 عندهم ان من لا يعترف بما يعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
 تعقلون) فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن

سؤالك

فرعون قد هموا وينكرون حدوتها وان لهمار بافاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهدوا حدوته وفناه

فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أى هو خالقتكم ونالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فمأ بنفسكم وانما قال الرب آبائكم لان فرعون
 كانى يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) حيث تزعم انى الوجود الها
 غيرى وكان فرعون ينكر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فاستدلوا بما أقول فترعون ربكم وهذا غاية الارشاد
 حيث عم وألا بخلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد
 منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر
 على تقد ر مستقيم فى ذوال السنة وحساب مستومن أظهر ما استدلبه وظهوره انقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء

والامامة على نمرود بن كنعان وقيل سألته فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما اجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد
 عن الجواب حيث سألته عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وانما رصنعه فقال معجبا لهم من جواب موسى الا تستمعون فعاد موسى الى مثل قوله
 الاول فحنسه فرعون زاعما انه حاد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبيانا ان الفرد الحقيقي انما يعرف بالصفات وان السؤال عن
 الماهية مجال واليه الاشارة في قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان اكم عقل علمكم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم
 يتبهاه أن يدفع ظهوراً نارصنعه (قال لئن اتخذت الهات غيبرى) أى غيرى الهات (لا جعلنك من المسجونين) أى لا جعلنك واحدا ممن عرفت
 حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد بحسنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان
 ذلك أشد من القتل وأشد ولو قيل لا جعلنك لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر (قال أولو جنتك) الوالو العال دخلت عليها هزمة الاستهتاهم
 أى أتفعل بي ذلك ولو جنتك (بشيء مبين) أى جانيا بالمعجزة (قال فأتبه) بالذي يبين صدقك (إن كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب
 الشرط مقدرا أى فاحضره (فالتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لاشي يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر
 روى ان العصا ارتفعت في السماء فدرمبل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول (٣٦١) يا موسى من منى بما شئت ويقول فرعون

أسالك بالذي أرسلك الا
 أخذتم فاخذها فعادت
 عصا (وتزع يده فاذا هي
 بيضاء للناظرين) فيمدل
 على ان بياضها كان شياً
 يجتمع النظارة على النظر
 اليه لخروجها عن العادة
 وكان بياضها نور ياروى
 ان فرعون لما أبصر الآية
 الاولى قال فهل غيرها
 فاخرج يده فقال لفرعون
 ما هذه قال فرعون يدك
 فادخلها في ابطنه ثم زعها
 ولها شعاع يكاد يغشى
 الابصار ويسد الافق (قال)
 أى فرعون (للملاحولة)
 هو منصوب نصبين نصب
 في اللفظ والعامل فيه
 ما يقدر في الظرف ونصب

سؤالك الاماذا كرت (قال) فرعون حين لزمته الخبة وانقطع عنه الجواب تكبر عن الحق (لئن اتخذت الهات
 غيرى لا جعلنك من المسجونين) قيل كما سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان
 يهوى فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين نوءه بالسجن (أولو
 جنتك بشي مبين) أى بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جنتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من
 أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان (قال) يعنى فرعون (فأتبه) أى انالان
 نسجتك حينئذ (ان كنت من الصادقين فالتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) قيل انها الماصارت حية ارتفعت
 في السماء فدرمبل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي أرسلك الا أخذتم فاخذها موسى فعادت عصا
 كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها
 شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (وتزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملاحولة
 ان هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلماذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد
 ان يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى (فماذا تأمرن)
 يعنى ما رأيكم فيه وما الذى أعمله فعند ذلك (قالوا أرجه وأجاه) أى أخره وأجاه (وابعث في المدائن حاشرين
 يأثوك بكل سحار عليم) قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقلوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شهية في
 أمره ولكن أخره واجعله سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة قوله تعالى (فجمع السحرة لميعات يوم معلوم)
 يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النبروز (وقيل للناس
 هل أنتم مجتمعون) أى لتنظر واما يفعل الفريقات ولن تكون الغلبة (لعلنا تتبع السحرة ان كانوا هم
 الغالبين) لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهر ون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا
 لفرعون أن لنا اجران كلنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك

(٤٦ - (خازن) - ثالث) في المحل وهو النصب على الحال من الملاى كائنين حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم)
 بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فمذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرن)
 تشيرن في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهى المشاورة أو من الامر الذى هو ضد النهى لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر
 دعوى الالهية وتوحيط عن منكببيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه مخوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أو جعلهم
 آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأجاه) أجزامهم ولا تباعث قتلها مخوفا من الفتنة (وابعث في المدائن حاشرين) شرط يحشرون
 السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأثوك بكل سحار عليم) فخاؤا بكامة الاحاطة وتصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه
 (فجمع السحرة لميعات يوم معلوم) أى يوم الزينة وميعاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقت لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله
 تعالى موعدكم يوم الزينة وان يحشرون الناس ضحى والميعات ما وقت به أى حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم
 مجتمعون) أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استجبالهم (لعلنا تتبع السحرة) في دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أى
 غالبوا موسى ولا يتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض السكى ان لا يتبعوا موسى فساوا الكلام مساقى الحكاية
 لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا اجران كلنا نحن الغالبين)

قال نعم) وبكسر العين على وهما الغتان (وانكم اذ ان المربين) أي قال فرعون نعم لكم أجمعين وتكونون مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أن لنا الحرفي معنى حراء الشر طرادا لثمة عليه وكان قوله انكم اذ ان المقربين معطوفا على دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء (قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته (فالقوا حبالهم) سبعين ألف حبل (وعصيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصا (وقالوا بعزة فرعون اننا نحن الغالبون) أنفسنا وبعزته وقوته وهومن أيمان الجاهلية (فالق موسى عصاه فاذا هي تلقف) تبلع ما يافكون ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وزورونه ويخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى (فالق السحرة ساجدين) عبر عن الخرور باللقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالتقاء ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قالوا آمناب العالمين) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأموا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا ان يعزله وقيل ان فرعون لما سمع (٣٦٢) منهم آمناب العالمين قال يا اي عنيتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم)

بذلك (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقد توأما تم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال ما فاعلتهم ثم صرح فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم (ولا صلبنكم أجمعين) كانه أراد به تهيب العامة لئلا يتبعوهم في الأيمان (قالوا لاضير) لا ضرر وخبر لا يحذوف أي في ذلك أو علينا) انالى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أراد ولا ضرر علينا في ذلك بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا وألاضير

كله وأكده بقوله (قال نعم وانكم اذ ان المقربين قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) أي بعظمة فرعون (اننا نحن الغالبون) فالق موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون أي ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قبل ان عصا موسى صارت حية وابتاعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة (فالق السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا ما جاؤا زحوا السحرة علموا انه ليس بسحر ثم لم يبالوا وان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمناب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتمديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين) قالوا لاضير انالى ربنا منقلبون) أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لاننا نلقب ونصير الى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤمنين مغفرانه وهو قولهم (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا) أي الكفر والسحر (أن) أي لان (كأول المؤمنين) أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضر وا ذلك الجمع (قوله تعالى) (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قبل اوحى الله الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أهل ارضهم أربعين سنة في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضر بوابدعنا على أبوابكم فاني سأمر الملائكة فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأمرهم ان لا يدخلوا بيوتنا على بابهم ثم اخبروا فاطير افانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فأتيتك أمرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لفرعون ان لنا في هذه الليلة عيد فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا (فارسل فرعون في المداين حاشرين) يعني الشرط يحشرون الجيش قبل كانت المداين ألف مدينة واثني عشر ألف قرية فارسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف وخرج فرعون في الكرى العظيم في مائتي ألف ملك مسورين مع كل ملك ألف فلذلك قال (ان هؤلاء شرذمة قليلون) قال أهل التفسير كانت الشرذمة

علينا فيما تنوع عدنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وارجاها وألاضير الذين علينا في قتلك انك ان تلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطعم في مغفرته ويرجو رحمة لما رزقنا من سبق الى الايمان (وأوحينا الى موسى ان أسر) ويوصل الهمزة بحجازي (بعبادي) بني اسرائيل سعادهم عباده لايمانهم بنبيه أي سر بهم لئلا يهدوا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه على الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعني اني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على ان تقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشغلوا بعبادتهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أرباب في بيت ثم اذبح الجداء واضر بوابدعنا على أبوابكم فاني سأمر الملائكة ان لا يدخلوا بيوتنا على بابهم ثم اذبحوا فاطير افانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فأتيتك أمرى (فارسل فرعون في المداين حاشرين) أي جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء شرذمة قليلون) والشرذمة الطائفة القليلة ذكروهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو القلة أراد بالقلة الدالة لاقلة العدد أي انهم لقلتهم لا يسالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وانما استعمل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين

ألفا لكثرة من معدن الضحك كالأربعة آلاف الف (وانهم لنا الغائثون) أي أنهم يفعلون أفعالا نفعنا وتضيق صدورنا وهي خروجهم من مصرنا وحملهم علينا وقتلهم أبقارنا (وانا لجميع حاذرون) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المتية لنا والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدى في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا تخرج سارعنا الى حسم فسادهم وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وانهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوز لانهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومثل (كريم) بهيجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب (٣٦٣) على آخر جناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه

الذين قتلهم فرعون ستمائة ألفه قاتل لم يعد وادون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون (وانهم لنا الغائثون) الغيث الغضب يعني انهم أغضبوا بنا بغيرتهم فينا وقتلهم أبقارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير اذن منا (وانا لجميع حذرون) أي خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أي ذوو قوة واداءة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذر الآتي بالتحقيق من المتأسس بحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه الا حافيا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافى النيل فيها عيون وأنهار جارية (وكنوز) يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوز لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس حسن قيل أراد مجالس الامراء ورؤساء التي كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديراباج مخصوصة بالذهب والمعنى انا آخر جناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أي كما وصفنا (وأورثناها بني اسرائيل) وذلك ان الله عز وجل رد بني اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة (فاتبعوهم مشرقين) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضعافها (فلما تراءى الجمعان) أي تقابلت بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي سيدركون وقومهم ولا طاقة لنا بهم (قال) يعني موسى لثقتهم بوعده الله تعالى اياه (كلا) أي لن يدركونا (ان معي ربي شهيد) أي يدلني على طريق النجاة (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق) أي فضر به فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرى بوج كالجبال قال يوشع يا كريم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فاض يوشع الماء لا يوارى حافر ابنته وقال الذي يكتم ايمانه يا كريم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بالجمامه حتى طار الزبد من شره ثم أتبعه البحر فانرسب في الماء وذهب القوم بصنعون مثل ذلك فلم يقدر وافجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضر به فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا ابده (وأرلنا ثم الاخرين) أي فرينا فرعون وجنوده الى البحر وقد مناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليطلق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدا ليطلق آخركم أولكم فكان بنوا اسرائيل يقولون مارا أيضا احسن سباق من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارا بنا احسن دعة من هذا الرجل (وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الاخرين) يعني انه تعالى جعل البحر

خبر مبتدأ محذوف أي الامر كذلك (وأورثناها بني اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم وأموالهم (فاتبعوهم) فلتحقوهم فاتبعوهم يزيد (مشرقين) خال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طوعها أي ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أي تقابلت بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنوا اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي قربان يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعده الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الفان بالله فلن يدركوكم (ان معي) معي حفص (ربي) شهيدني أي شهيدني طريق النجاة واضرارهم شهيدني بالياء يعقوب (فاوحينا الى موسى ان

اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانفلق) أي فضر به فانفلق وانشق فصارت اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أي جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المنطاد في السماء (وأرلناهم) حيث انفلق البحر (الاخرين) قوم فرعون أي قربانهم من بني اسرائيل أو من البحر (وانجينا موسى ومن معه أجمعين) من العرق (ثم اغرقنا الاخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب في الاجال وغيره من الحوادث فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوائفهم وروى ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليطلق آخركم أولكم ويستقبل القبط فيقول رويدا ليطلق آخركم أولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع اوسى أين أمرت فهذا البحر امامك وغشيتك آل فرعون قال موسى ههنا فاض يوشع الماء وضر بموسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكوث لكل شيء والكان بعد كل شيء

(ان في ذلك) أي فيما فعلنا موسى وفرعون (لاية) اعبره بحجبه لا توصف (وما كان أكثرهم) أي المفرقين (مؤمنين) فالواو مؤن منهم
 الآسية وخرقيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك له العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام
 غلى اوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبأ إبراهيم) خبره (اذ قال لبيبه وقومه) قوم إبراهيم أو قوم الاب (ما تعبدون) أي أي شئ
 تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليربهم ان ما يعبدونه ليس يستحق للعبادة (قالوا تعبدوا صنما) وجواب
 ما تعبدون صنما كيدس لئولئك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا تعبدوا في الجواب
 افتخارا ومباهاة بعبادتهم ولذا عطفوا على تعبد (فانظروا لها عاكفين) فنقسم على عبادتها طول النهار وانما قالوا فنظروا لانهم كانوا يعبدونها
 بالنهار دون الليل أو معناه الدوام (قال) أي إبراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف للدلالة (اذ تدعون) عليه (أو
 ينفعونكم) ان عبدتموها (أو يضرون) (٣٦٤) أي ان تركتم عبادتها (قالوا بل) اضراب أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضرو ولا تعبدوا شئ

من ذلك ولكن (وجدنا
 آباءنا كذلك يفعلون)
 فقلنا بهم (قال أفرايتم
 ما كنتم تعبدون أنتم
 وآباؤكم الاقدمون)
 الاولون (فانهم) أي الاصنام
 (عدو لي) العدو والصدوق
 يجبان في معنى الوحدة
 والجماعة يعني لو عبدتهم
 لكانوا أعداء لي في يوم
 القيامة كقوله سيكفرون
 بعبادتهم ويكونون عليهم
 ضدا وقال الفراهون
 المقلوب أي فاني عدوهم
 وفي قوله عدو لي دون لكم
 زيادة نصح ليكون أدعى
 لهم الى القبول ولو قال فانهم
 عدو لكم لم يكن بتلك
 المثابة (الارب العالمين)
 استثناء منقطع لانه لم يدخل
 تحت الاعداء كانه قال اسكن
 رب العالمين (الذي خلقني)
 بالتكوير في القرار المسكين
 (فهو يهدين) لمناهج الدنيا
 ومصالح الدين والاستقبال

ببساطي خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فغرقهم
 (ان في ذلك لاية) يعني ما حدث في البحر من انقلابه آية من الايات العظام الدالة على قدرته ومعجزته لموسى
 عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعني أهل مصر قبل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وخرقيل
 مؤمن آل فرعون ومريم ابنة مامو بالتي دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر (وان ربك له
 العزيز الرحيم) قوله تعالى (واتل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لبيبه وقومه ما تعبدون) أي أي شئ
 تعبدون وانما قال إبراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليربهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق
 العبادة في شئ (قالوا تعبدوا صنما فنظروا لها عاكفين) أي نقيم على عبادتها وانما قالوا فنظروا لانهم كانوا
 يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) أي يسمعون دعاءكم (اذ تدعون أو ينفعونكم) يعني
 بالرزق (أو يضرون) أي ان تركتم عبادتهم وإذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلم يلزمهم
 الخسة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انه لا تسمع قولوا ولا تجلب نفعوا ولا تدفع ضرا
 ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالا استدلال
 (قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أي الاولون (فانهم عدو لي) أي أعداء لي وانما
 وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جادات لا تعقل قلت معناه فانهم
 عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوا وتزولوا هم منزلة الاحياء العقلاء أطلق
 إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب هو من أراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد دعاك (الارب
 العالمين) أي ولكن رب العالمين فانه ربي وولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم
 كل ما تعبدون أعداء على الارب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال (الذي خلقني فهو
 يهدين) الى طريق النجاة (والذي هو يطعمني ويسقيني) أي يرزقني ويغذي بي بالطعام والشراب (واذا
 مرضت) أصابني مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للدواب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو
 يشفين) أي يبرئني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحييني) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة
 (والذي أطعم) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قبل خطيئته كذباته
 الثلاث وتقدم الكلام عابها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان جدعان كان في
 الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعا له قال لا ينفعه له لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

في يهدين مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدين للاهم الافضل والاتم الاكمل أو الذي خلقني لاسباب خدمته فهو وهذا
 يهدين الى آداب خلقته (والذي هو يطعمني) أضاف الاطعام الى ولي الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقيني) قال ابن عطاء
 هو الذي يحييني بطعامه وروي بن بشرابه (واذا مرضت) وانما لم يقل أمرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يصف اليه بما يقتضي الضر
 قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو يشفين) بمشاهدة الحق قال الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفين بكشف منة الافعال
 (والذي يميتني ثم يحييني) ولم يقل اذا مت لانه الخرج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعده اللقاء وأدخل ثم في الاحياء لترأخيه عن
 الافناء وأدخل الفناء في الهداية والشفاء لانهم ما يعقبان الخلق والمرض لا معامعا (والذي أطعم) طمع العبيد في المرابي بالافعال لا على
 الاستحقاق بالسؤال (ان يغفر لي خطيئتي) قيل هو قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربي للبارغ هي أختي لسارة وما هي الامعار بض جارة
 وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة (يوم الدين يوم) الجزاء

(رب هب لي حكما) حكمة أو حكما بين الناس بالحق أو بؤونة لان النبي عليه السلام ذو حكمه وذو حكم بين عباد الله (والحقيقي بالصالحين) أي الانبياء
 ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الآخرة) أي ثناء حسنا وذكرا جميلا في الامم التي تجي بعدي
 فاعطى ذلك لكل أهل دين يتولونه ويشنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلني من) يتعلق بمحذوف أي وارثا من
 (ورثة جنة النعيم) أي من الباقيين فيها (واغفر لابي) اجعله أهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من الصالحين)
 الكافرين (ولا تخزني) الاخزاء من الخزي وهو الهوان أو من الخزية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد
 لانه معلوم أو الصالحين وان يجعل من جملة الاستغفار لايه أي ولا تخزني في يوم يبعث الصالحون وأي فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول
 (ولا بنون) أحدا (الامن أي الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض أي ان المال
 اذا صرف في وجوه البر ونوه الصالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى
 من أي الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كان غناه في دنياه بما له وبنيه وقد جعل من مفعول لا ينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا
 رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم (٣٦٥) الشرائع ويجوز على هذا الامن أي الله

بقلب سليم من فتنه المال
 والبنين وقد صوب الجليل
 استثناء الخليل اكرام الله ثم
 جعله صفة له في قوله وان
 من شيعته لابراهيم اخيه
 ربه بقلب سليم وما أحسن
 مراتب عايشه السلامة من
 كلامه مع المشركين حيث
 سألهم أولا عما يعبدون
 سؤال مقرر لا مستطعم ثم
 أقبل على آلهتهم فابطل
 أمرها بانها لا تضر ولا تنفع
 ولا تسمع وعلى قلب سليم
 آباءهم الا قدمين فأخرجهم
 من أن يكون شبهة فضلا
 عن أن يكون حجة ثم صور
 المسئلة في نفسه دونهم حتى
 تخلص منها الى ذكر الله

وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للالهية الامن بفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما)
 قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والحقيقي بالصالحين) أي بمن سلف قبلي من
 الانبياء في المنزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الآخرة) أي ثناء حسنا وذكرا جميلا
 وقبول عام في الامم التي تجي بعدي فأعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويشنون عليه
 (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي من تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابي) انه كان من
 الصالحين) قيل دعاء لبيته على رجاء أن يسلم فيغفر له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تخزني) أي ولا
 تفضخني (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الامن أي الله بقلب سليم) أي خالص من
 الشرك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن
 لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المظنن الى السنة (وأزلفت
 الجنة) أي قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) أي أظهرت (للعاوين) أي للكافرين (وقيل لهم) يعني يوم
 القيامة (أي ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أي يمنعونكم من عذاب الله (أو يتصرفون)
 لانفسهم (فككبكبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم
 (فيها) أي في جهنم (هم والعاورون) يعني الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس
 أجمعون) يعني اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يخضعون) يعني العابدين
 والمعبودين (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم) أي نعد لكم (رب العالمين) فنعدكم (وما أضلنا) يعني
 دعانا الى الضلال (الاجرمون) يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين
 اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من
 شافعين) يعني من يشفع لنا يعني كان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صديق جيم) أي قريب

تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمة ثم اتبع ذلك ان دعاء عبوات المخلصين
 وابتهل اليه ابتهاج الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة ونواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيمن
 الضلال وتخي الكفرة الى الدنيا لم يتوبوا (وأزلفت الجنة للمتقين) أي قربت عطاف جملة أي ترف من موقف السعداء فينظرون اليها
 (وبرزت الجحيم) أي أظهرت حتى يكاد يأخذهم لها (للعاوين) للكافرين (وقيل لهم) أي ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو
 يتصرفون) يوتخون على اسراهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بآلهتهم لانهم وآلهتهم
 وقود النار (فككبكبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) في الجحيم (هم) أي الآلهة (والعاورون) وعبدتهم الذين برزت لهم والسكبكية
 تكسر والكب جعل التكر وفي اللفظ دلالة على التكر وفي المعنى كأنه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة ثم مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله
 منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يخضعون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح
 التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم) نعد لكم أي الاصنام (رب العالمين)
 في العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أي رؤسائهم الذين أضلواهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فما لنا من شافعين) كالمؤمنين من الانبياء
 والاولياء والملائكة (ولا صديق جيم) كترى لهم اصدقاء اذ لا يتصدقون في الآخرة لا المؤمنون وأما أهل النار فينبههم التعادي الاخلاء يومئذ

بعضهم لبعض عدواً المتقين أو غيرهم من شافعين ولا صدق فيهم من الذين كذبوا عنهم شفاعاً وصدقاً فالله أعلم
 شفاعتهم عند الله وكان لهم الاصدق من شياطين الانس والجن من الاحتمام وهو الالهة الذي يهيم بها على ملكة من الخاصة وهو
 الصدوق الخاص وجمع الشافع وحده الصدوق لكثرة الشفعة في العادة وأما الصدوق وهو الصادق في وادله الذي يهيم بها على ملكة من الخاصة
 وسئل حكيم عن الصدوق فقال اسم لا معنى له وجزان يراد بالصدق الجمع (فلو ان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فمكون من المؤمنين) وجواب لو
 محذوف وهو لعلنا كتب وكبت أو لوفى مثل هذا بمعنى التعمي كأنه قيل فلبت لنا كرة لمباين معنى لو وليت من التلاقي (ان في ذلك) فيما ذكر من
 الايحاء (لاية) أي عبرة لمن اعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقاً منهم آمنوا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من كذب ابراهيم
 بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذي قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكرون قبيل نوح في زمن آدم عليه
 السلام ونظير قوله المرسلين والمراد (٣٦٦) نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماه الاذابة أو برداً وكانوا يذكرون

بعث الرسل أصلاً فلا يجمع
 أولان من كذب واحدا
 منهم فقد كذب الكل لان
 كل رسول يدعوا الناس الى
 الايمان بجميع الرسل وكذا
 جميع ما في هذه السورة (اذ
 قال لهم أخوهم) نسبا
 لا ديناً (نوح ألا تتقون)
 خالق الانام فتركو عبادته
 الاصنام (اني لكم رسول
 أمين) كان مشهوراً بالامانة
 فيهم كعمد عليه الصلاة
 والسلام في قريش (فاتقوا
 الله وأطيعون) فيما أمركم
 به وادعوك اليه من الحق
 (وما أسئلكم عليه) على
 هذا الامر (من أجر) جزاء
 (ان أجرى) بالفتح مدني
 وشاعى وأبو عمرو وحفص
 (الاعلى رب العالمين)
 فلذلك أرى به (فاتقوا الله
 وأطيعون) كرهه ليقدره
 في نفوسهم مع تعليق كل

يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصدق وهو الصادق في المودة مع
 موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في
 الجنة ما فعل صدوقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله زوجه لآخر جواله صديقه الى الجنة فيقول
 من بقي في النار من شافعين ولا صدوق جسيم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من
 الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعت يوم القيامة (فلو ان لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فمكون من
 المؤمنين) أي انهم آمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لاية) وما كان أكثرهم مؤمنين (أي مع
 هذه الدلائل والايات) (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم
 قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح قبل القوم مؤثمة وتصغيرها
 قومية فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان
 الاخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحداً من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي
 أخوهم في النسب لافي الدين (ألا تتقون) أي ألا تخافون فتركو كوا الكفر والمعاصي (اني لكم رسول أمين)
 أي على الوحي وكان معروفاً عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (وأطيعون) أي فيما أمرتكم
 به من الايمان والتوحيد (وما أسئلكم عليه من أجر) أي من جعله جزاء (ان أجرى) أي نوابي الاعلى
 رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قيل كرهه ليو كده عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تسكرا ومعنى
 الاول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في مخالفتي واني لست آخذ منكم
 أجر (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أي السفلة قال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الحماكة والاساكفة
 (قال) يعني نوحاً (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم
 وأحوالهم شيء انما كلفتم ان ادعواهم الى الله تعالى وما لي الاطواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر
 في الديانات وقيل معناه اني لم أعلم ان الله يهديهم ويضلهم ووقفهم ويخذلهم (ان حسابهم الاعلى ربي لو
 تشعرون) أي لو تعلمون ذلك ما غيرتموهم بصنائعهم (وما أتى بطارد المؤمنين) أي عنى وقد آمنوا (ان أنا الا
 نذير مبين) معناه أخوف من كذبت في آمن فهو القريب يبين ومن لم يؤمن فهو البعيد عني (قالوا لئن لم تنته
 يا نوح) أي عما تقول (لنتكفرن من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من

واحد منهما بعله تعلقه الاول كونه آية اخيما بينه وعله الثاني حسم طمعه منهم كأنه قال اذا عرفتم رسالتى وأمانتى
 فاتقوا ثم اذا عرفتم احتراسى من الاجر فاتقوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للعال وقد مضى بعد هاد ليله قراءة يعقوب وأتباعك
 جمع تابع كشاهد وأشهد وأتبع كبطل وأبطال (الارذلون) السفلة والارذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لانصاع نسبهم وقلة نعيمهم
 من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا ترضى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى
 المؤمن رذلاً وان كان أفقر الناس وأوضعههم نسبة بما زالت اتباع الانبياء كذلك (قال وما علمي) وأي شيء أعلم (بما كانوا يعملون) من
 الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طمعوهم استرذلوهم في ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بل ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال ما على
 الاعتبار الظواهر دون التقديس عن السرار (ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم (وما أتى بطارد
 المؤمنين) أي ليس من شأنى ان أتبع شهوراً كما بطرد المؤمنين طمعا في ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) ما على الا أن نذركم نذارا بيننا لبرهان
 الصبح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم أعلم بشأنكم (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لنتكفرن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة

(قال رب ان قومي كاذبون) ليس هذا الخبر بالكذب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبوني في وحيك ورسالتك
(فافتح بيني وبينهم فتحاً) أي فاحكم بيني وبينهم حكماً والفتاحة الحكومة والفتاح الحماكة لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين
الخصومات (وتجني ومن معي) معي حفص (من المؤمنين) من عذاب علمهم (فأتجنيها ومن معي الفلك) الفلك السفينة وجعه ذلك فالواحد
بوزن قفل والجمع بوزن أسد (المشعرون) المملو ومنه شحنة بالبداء أي الذي يملؤه كفاية (ثم أغرقنا به) أي بعد انجاء نوح ومن آمن
(الباقيين) من قومه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنتقم بأهانة من جحد واصر (الرحيم) المنعم بأمانته
من وحدوا قري (كذبت عاد المرسلين) هي قبيلة وفي الاصل اسم رجل هو أبو القبيلة (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين
فاتقوا الله) في تكذيب الرسول الامين (واطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجزى (٣٦٧) الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ربيع

مكان مرتفع (آية) لبرج
حمام أو بناء يكون لارتفاعه
كالعلامة يسخر ون بمن
مرهم (تعشون) تلعبون
(وتتخذون مصانع)
ما أخذ الماء أو قصورا
مشيدة أو حصونا (لعلكم
تخلدون) ترجون الخلود
في الدنيا (واذا بطشتم)
أخذتم أخذ العقوبة
(بطشتم جبارين) قتلا
بالسيف وضرباً بالسوط
والجبار الذي يقتل ويضرب
على الغضب (فاتقوا الله)
في البطش (واطيعون)
فيما أذعوك اليه (واتقوا
الذي أسدكم كما تعلمون)
من النعم ثم عددها عليهم
فقال (أمدكم بانعام وبنين)
قرن البنين بالانعام لانهم
يعينونهم على حفظها
والقيام عليها (وجنات
وعيون اني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم) ان
عصيتوني (قالوا سواء

المشعورين) قال رب ان قومي كاذبون فافتح) أي احكم بيني وبينهم فتحاً) أي حكماً (وتجني ومن معي من
المؤمنين فأتجنيها ومن معي الفلك المشعرون) أي الموقر المملو من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا
بعد الباقيين) أي بعد انجاء نوح ومن معه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم) قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين) أي
أمين على الرسالة فكيف تهمونني اليوم) فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجزى الاعلى
رب العالمين أتبنون بكل ربيع) قال ابن عباس أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين
الجبليين وقيل المكان المرتفع (آية) أي علامته وهي العلم (تعشون) أي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا
يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخر وامنهم ويعبثونهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام
فأنكر عليهم هو ياخذها ومعنى تعشون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس أبنية وقيل
قصور ومشيدة وحصوناً مائة وقيل ما أخذ الماء يعني الحياض (لعلكم تخلدون) أي كما تكلمت بقول فيها
خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) أي واذا أخذتم وسطوتكم (بطشتم جبارين) أي قتلا بالسيف وضرباً بالسوط
والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) فيسخر زيادة
زرع حب الدنيا والشرف والفاخر (واتقوا الذي أمدكم كما تعلمون) أي أعطاكم من الخير ما تعلمون
ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (اني
أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتوني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم أن (قالوا سواء علينا أوعظت
أم لم تكن من الواعظين) أي انهم أظهر واقله أكثر انهم بكلامه واستخفافهم بما أورد من المواعظ والوعظ
كلام بلين القاب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الاخلاق الاولين) قرئ بفتح الخاء أي اختلاق الاولين
وكذبهم وقرئ خالق بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا
حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أي انهم أظهر واقله أكثر انهم بكلامه واستخفافهم بما أورد من المواعظ والوعظ
(فكذبوه فاهل حكاهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز والرحيم) قوله
تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر ان أجزى الاعلى رب العالمين أتتركون فيما همتا آمنين) أي في الدين انما العذاب
(في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) أي ثمرها الذي يطلع منها (هضم) قال ابن عباس لطيف وعنه بانع
نضج وقيل هو اللبن الرخو وقيل منهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج

علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا تقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآي (ان هذا الاخلاق
الاولين) ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الانشاء الاعادة الاولين أو ما نحن عليه من الاولين الاخلاق الاولين متى وبصرى
ويزيد على أي ما بحث به اختلاق الاولين وكذب المتنبيين قبلك كقولهم أساطير الاولين أو خلقنا تخلق الاولين غوت ونحيا كاحياء (وما
نحن بمعذبين) في الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أي هودا (فاهل حكاهم) بريح صرصر عاتية (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز والرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم
عليه من أجر ان أجزى الاعلى رب العالمين أتتركون) انكار لان يتركوا الدين في نعيمهم لا زالون عنه (فيما همتا) في الذي استقر في هذا
المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضاً جمل ثم تفصيل (وزروع ونخل)
وصطف نخل على جنات مع ان الجنة تتناول النخل اول شيء تفضي للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كفضل السيف

(هضم) لين نضج كأنه قال ونخل قدار طب ثمرة (وتختون) تنقبون (من الجبال بيوتافرهين) شامى وكوفي مذقين حال وغيرهم فرهين اشربين
والفرهة الكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافر من أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على
المجاز الحكيم والمراد الامر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل (الذين
يفسدون في الارض) بالفلم والسكر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم مصعب ليس معشئ من الصلاح كما تكون حال بعض
المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحورين) المسحور الذى مسح كثر احدى غلب على عقله وقيل هز من السحر الرثة وانه بشر
(ما أنت الا بشر مثلذات بآية ان كنت من الصادقين) في دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا تراحوها فيه (ولكم شرب
يوم معلوم) لا تراحوكم هي فيدروى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا جعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين
واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونجت سقبا مثلها في العظم وصدرها ستون ذراعا واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم
شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهابة لان قوله لها شرب ولو لكم شرب يوم معلوم من المهابة (ولا تسوها بسوء) بضرب أو
عقر أو غير ذلك (فياخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم
بسيبه كان موقعه من العظم أشد (٣٦٨) (فعقروها) عقرها دارو ولكنهم راضون به فاضيف اليهم روى ان عاقرها فالأعقرها حتى

ترضوا أجمعين فكانوا
يدخلون على المرأة في
خدرها فيقولون أترضين
فقول نعم وكذلك صبيانهن
(فاصبحوا نادمين) على
عقرها خوفا من نزول
العذاب بهم لاندم توبة أو
ندموا حين لا ينفع الندم
وذلك عند معاينة العذاب
أو على ترك الولد (فاخذهم
العذاب) المقدم ذكره
(ان في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم
أخوه لوط ألا تتقون انى

أو النعومة وقيل هو المدرك (وتختون من الجبال بيوتافرهين) وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها
والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين مجبين بصنعكم (فاتقوا الله وأطيعون ولا
تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في
الارض) أى بالمعاصى (ولا يصلحون) أى لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا انما أنت من المسحورين) أى من
المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من الخلوقين المعلنين بالطعام والشرب (ما أنت الا بشر مثلنا) والمعنى
انت بشر مثلنا ولست بذلك (فأت بآية) يعنى على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعنى انك رسول البنا
(قال هذه ناقة لها شرب) أى حفظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تسوها بسوء) أى بعقر (فياخذكم
عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين) أى على عقرها المار أو العذاب (فاخذهم العذاب ان في ذلك
لاية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من آجران
أجرى الاعلى رب العالمين أتأتون الذكرا من العالمين) يعنى نكاح الرجال من بنى آدم (وتذرون ما خلق
لكم ربكم من أزواجكم) يعنى أتتركون العضو المباح من النساء ويميلون الى اذبار الرجال (بل أنتم قوم عادون)
أى معذرون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا الثمن لنته يالوط لتسكون من المخرجين) أى من قريتنا (قال
انى لعملك من القالين) أى من التاركين المبعضين (رب نجى وأهلى مما يعملون) أى من العمل الخبيث
قال الله تعالى (فنجيناها وأهله أجمعين العجوزا) أى امرأته (في الغابرين) أى بقيت في المهلكين (ثم دمرنا

(الآخرين)

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من آجران أجرى الاعلى رب العالمين أتأتون
الذكرا من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتأتون الذكرا ومن الناس مع كثرة الاناث أو أتطون أنتم من بين من عداكم من العالمين
الذكرا أى أنتم تختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينسكح من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) من تبين
لمساخق أو تبعض والمراد بما خاق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم اذبار الزوجات والمملوكات ومن أجازة
فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بان توصفوا بالعدوان حيث
ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا الثمن لنته يالوط) عن انكارك علينا وتقبیح أمرنا (لتسكون من المخرجين) من جملة من أخرجناهم من بين
أطهرنا وطردناه من بلدنا ولههم كانوا يخرجون من أخرجه على أسوأ حال (قال انى لعملك من القالين) هو أبلغ من أن يقول قال فقولاك
فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانهم مساهم لهم فى العلم والقلى البغض يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان
قلاه من حيث الدين (رب نجى وأهلى مما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناها وأهله أجمعين) يعنى بناته ومن آمن معه (العجوزا) هى امرأة
لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وان لم تشاركهم
فى الايمان (في الغابرين) صفة لها أى فى الباقيين فى العذاب فلم تخرج منه والغابرى اللغة الباقي كأنه قبل العجوزا غارة أى مقدر اغبورها اذ
الغور لم يكن صفتها وقت نجيتهم (ثم دمرنا

الآخرين) والمراد بتدبيرهم الاتفالك بهم (وأما ما ناعلهم مطرا) عن فتادة أمطار الله على شذاذ الة وم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالاتفالك حتى أتبعه مطر من حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذر ين) والمخصوص بالذم وهو مطرهم كذوف ولم يرد بالمنذرين توما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) بالهمزة والجرهي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشاي وكذا في ص علم لبلد قيل أصحاب الايكة هم أهل مدين التجوا الى غيضة اذ ألح عليهم الوهج والادح انهم غيرهم زلوا غيضة بعينها بالبنديه وأكثر شجرهم المقل بدليل انه لم يقل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبه بل كان من نسب أهل مدين ففي الحديث ان شعيبا أحامدين أرسل اليهم والى أصحاب الايكة (المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني اكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أو فوا السكيل) أتموه (ولا تسكوتوا من المحسر ين) ولا تنصوا الناس حقوقهم فالسكيل واف وهو مأور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتر كه دليل على انه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهى الميزان والقبان فان كان من القسطا وهو العدل وجعلت العين مكرونة فوزنه فعلان والافهور باعج (ولا تخسوا الناس) يقال تخسوا الناس (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها فى الافساد نحو قطع (٣٦٩) الطريق والغارة واهلاك الزروع

وكانوا يفعلون ذلك فنوا عنه يقال عثا فى الارض اذا أفسدو عثى فى الارض لغت فى عثا (واتقوا الذى خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أى اتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسكرين وما أنت الا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عندهم التسخيرة والبشرية وتركتها فى قصة نوح ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسكرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وان نطق لمن الكاذبين) ان تخففه من الثقلة واللام

الآخرين) أى أهلكناهم (وأما ما ناعلهم مطرا) يعنى السكبريت والنار (فساء مطر المنذر ين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذب أصحاب الايكة المرسلين) أى الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد اذ قال لهم شعيب (لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم) (ألا تتقون اني اكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) انما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حتى الله عنهم على صيغة واحدة لا تفاقهم على تقوى الله وطاعته والاحلاص فى العباداة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أو فوا السكيل ولا تسكوتوا من المحسر ين) أى الناقصين لحقوق الناس فى السكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أى بالميزان العدل (المستقيم ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) يعنى الخليفة والامم المتقدمة (قالوا انما أنت من المسكرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نطق لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا) أى قطعنا (من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون) أى من نقصان السكيل والوزن وهو يجازيك بما عملكم وليس العذاب الى وما على الادعوة والتبليغ (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظالة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فاطلتهم سخابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصة فى سورة الاعراف وهو دافعا عن الاعادة هنا والله أعلم بمراده (قوله عز وجل (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعنى ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين (نزل به الروح الامين) يعنى جبريل عليه السلام سماه روح وحال انه خالق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن

(٤٧ - خازن) - ثالث) دخلت للفرق بينهما بين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن ونافى مقعوله لان أصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد المنطلق فلما كان بابا كان وطننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك فى البابين فقبل ان كان زيدا لم تطلقا وان ظننته لمنطلقا (فاسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهما جعرا كسفتوهى القطعة وكسفته قطعة (من السماء) أى السحاب والظلة (ان كنت من الصادقين) أى ان كنت صادقا فانك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعنا من السماء عقوبة (قال ربى) بفتح الراء حجازي وأبو عمرو وسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أى ان الله أعلم بما عملكم وبما تستحقون عليهم من العذاب فان أراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظالة) هى سخابة اطلت بهم بعد ما حبست عنهم الرجوع وعدوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها ما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كررتقر والمعانيها فى الصدور ليكون أبلغ فى الوعظ والاحزر ولان كل قصة منها كتتريل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جدره بان تفتح عما افتتحت به صاحبها وان تحتهم بما اختتمت به (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به) تخفف والفاعل (الروح الامين) أى جبريل لانه أمين على الوحى الذى فيه الحياة حجازي وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباعلى القراءتين لانه يه

(على قلبك) أي حقلك وفهمك ما أباه وأنتبه في قلبك اثبات ما لا ينسى كقولك ستقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذر من بلسان عربي) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما صحفته العامة والباء ما ان يتعلق بالمنذر من أي لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام أو ينزل أي نزل بلسان عربي لتنذره لأنه لو نزل بلسان أعجمي لتخافوا عنه أصلاً ولقالوا ما نضع بما لانفهمه فبعض ذر الأنداز به وفي هذا الوجه ان نزل به بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزل له على قلبك لانك تفهمه وتفهيمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لانك تسمع أحرف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كان بلغة التي نشأ عليها لم يكن قلبه ناظر إلا إلى معاني الكلام وان كان بغيرها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها وان كان ما هرا بغيرها فهذا تقر برأيه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (وانه) وان القرآن (لنزل بالاولين) يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلاً على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة (أولم يكن لهم آية) شامحة جاءت آية باسمه كان وخبره (ان يعلمه) أي القرآن لو جرد ذكره في التوراة وقيل في يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبره وكان وقيل كان تاماً والفاعل آية وان يعلمه بدل منها وخبر مبتدأ محذوف أي أولم تحصل لهم آية وغيرها يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره (٣٧٠) وان يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية (علموا بني اسرائيل)

كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتسلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انما كنا من قبله مسلمين وخط في المصحف علموا واولم قبل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجميين) جمع أعجم وهو الذي لا يفصح وكذلك الاعجمي الآن فيعلم زيادة النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبسن والمعجمي الذي من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين

على وجهه لانياته (على قلبك) يعني على قلبك حتى تعي وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لأنه هو المخاطب في الحقيقة وأنه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مستخرجه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب أخرجنا في الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزنته تغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى (لتكون من المنذر من) أي المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهمه وما فيه (وانه) يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لنزل بالاولين) أي كتب الاولين (اولم يكن لهم آية) يعني أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه) يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علموا بني اسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا زمانه وانما نجد في التوراة نعتة وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسود وأسيد وقوله تعالى (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الاعجميين) جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربياً في النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان (فقرأ عليهم) يعني القرآن (ما كانوا مؤمنين) أي قالوا لا نفقه قولك وقيل معناها آمنوا به أئمة من اتباعه من ليس من العرب (كذلك ساكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) أي

وقيل الاعجميين تخفيف الاعجميين كما قالوا الا شعرون أي الاشعر لوان يحذف باء النسبة ولو لاهد التقدير لم يحزان يجمع القرآن جمع السلامة لان مؤنثه عجماء (فقرأ عليهم ما كانوا مؤمنين) والمعنى انا أنزلنا القرآن على رجل عربي مبين يفهمه وعرفوا فصاحته وانهم معجزوا انضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انهم عند الله وليست باسطاء يركز عواظهم يؤمنوا به وسماه شعراً تارة وسحراً أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الاعجم الذي لا يحسن العربية فضلان يقدر على نظام مثله فقرأ عليهم هكذا معجز الكفرة به كما كفروا واتحملوا بخودهم عذرا ولسموه سحراً ثم قال (كذلك ساكناه) أي أدخلنا التكذيب والكفر وهو مدلول قوله ما كانوا مؤمنين (في قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاضرار عليه يعني مثل هذا السالك ساكناه في قلوبهم وقرأناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أي وجه يدبر أمرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب به كما قال ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحاح مبين وهو حجة على المعتزلة في خلق افعال العباد خبيرها وشهداها وقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله ساكناه في قلوب المجرمين موقع الموضع والمخلص لانه مسوق لثبات كونه مكذبا محجودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجوده حتى يعاينوا الوعد ويحوز ان يكون حالاً أي ساكناه فيها غير مؤمن به

(حتى يروا العذاب الاليم) المراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان بأس فلا ينفعهم (فيا أتيتهم بغتة) بغاة (وهم لا يشعرون) بآتيانه (فيقولوا) وفتياتهم مع ما لو فان على يروا (هل نحن منظر ون) يسألون النظر والامهال طرفتين فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستجلبون) توبخ لهم وانكار عايمهم قولهم فأمطر علينا بحجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحمائه والتذرع اذانه وسكن الى ما لوفاته والله تعالى يقول (أفأرأيت ان متعناهم سنين) قيل هي سنة ومدة الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استجلبهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم يمتعون بما عمارطوال في سلامة وآمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستجلبون أشرا وبطرا واستزاء وانكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم (٢٧١) حينئذ ما مضى من طول أعماهم

وطيب معايشهم ووعن
ميمون بن مهران انه لاقى
الحسن في الطواف وكان
يقضى لقائه فقال له عطني فلم
يزده على ثلاثة هذه الآية
فقال ميمون قد وعظمت
فبايعت وعن عمر بن عبد
العز زانه كان يقرؤها
عند جلوسه للحكم (وما
أهلكنا من قسرية الا لها
منذرون) رسل ينذرونهم
ولم تدخل الواو على الجلة
بعد الا كفي وما أهلكنا من
قريه الا لها كتاب معلوم
لان الاصل عدم الواو اذ
الجملة صفة لقرية واذا زيدت
فلتأ كيد وصل الصفة
بالوصف (ذكرى)
منصوبة بمعنى تذكرة لان
أندر واذا كر متقاربان
فكانه قيسل مذكرون
تذكرة أو حال من الضمير في
منذرون أي ينذرونهم
ذوي تذكرة أو مفعلولة
أي ينذرون لاجل التذكرة
والموعظة أو مرفوعة

القرآن (حتى يروا العذاب الاليم فيا أتيتهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظر ون) أي لنؤمن
ونصدق ونؤمن والوجه ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستجلبون) قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستجلبون (أفأرأيت ان متعناهم
سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم ينهكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا
يتمتعون) أي في تلك السنين الكثير والمعنى انهم وان طال تمتعهم بتعمير الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغنى عنهم
طول التمتع شيئا ويكونوا كلهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أي رسل
ينذرونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجية عليهم (وما ننزل به
الشياطين) يعني ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين باقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك
فقال (انهم عن السمع لم عزولون) أي محجوبون بالري بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع (فلا تدع مع الله
الها آخرفتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن
عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولوا اتخذت الها غيري لعذبتك ﴿ قوله تعالى (وأندر
عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله أمرني أن أندر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا
وعرفت اني متى أبادهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عايم حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل
ما تؤمر به يدبلك بلك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليمه رجل شاة واملأ لنا من لبن ثم اجمع لي بني
عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكانوا يؤمنون بخوار بعين رجل لا يزيدون
رجلا أو يتقصونه فهم أعمامه أبو طالب وحزرة العباس وأبولهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت
فغثت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال
خذوا باسم الله قال كل القوم حتى مالهم بشي من حاجة وAIM الله ان كان الرجل الواحد ليا كل مثل ما قدمت
لجميعهم ثم قال اسق القوم فغثت بذلك العس فشر بواحي روي واجمعوا AIM الله ان كان الرجل الواحد
ليشر بمثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكاهم بدره أبولهب فقال محرك صاحبكم فتفرق
القوم ولم يكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي فان هذا الرجل قد سبقني الى ما صنعت من
القول فتفرق القوم قبل أن أكلهم فاعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني
بالطعام فقر به ففعل كما فعل بالامس فاكوا وشربوا ثم تكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني

علي انما خير من يتداحضون بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة بأهل كما فعلوا له
والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما أزمناهم الحجية بارسال المنذر من اليهم ليكون هلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل
عصيانهم (وما كنا ظالمين) فهلك قوم ما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تأتي القرآن على محمد أتزل (وما ننزل به) أي القرآن
(الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يتدرون عليه (انهم عن السمع لم عزولون) لمنوعون بالشهب (فلا تدع
مع الله الها آخرفتكون من المعذبين) مورد النهي لغيره على التعريض والتحريل له على زيادة الاخلاص (وأندر عشيرتك الاقربين)
خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لا يغني عنهم من الله شيئا وان الحجية في اتباعه دون قر به ولما نزلت سعد الصفا ونادي
الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبد المطالب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صغية عم رسول الله اني لأملك لكم من الله شيئا

(واخفض جناحك) وأن جانبك وتواضع وأصله ان الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوف كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فان اصولك فقل انى برى عما عملون) يعنى أنذر (٢٧٢) فقولك فان اتبعوك وأطاعوك فاحفض جناحك لهم وان اصولك ولم يتبعوك فبرأ منهم ومن

عبد المطلب انى قد جئتكم بخيرى الدنيا والاخرة وقد أمرنى الله عز وجل ان أدعوكم اليه فايكم يواز رنى على أمرى هذا ويكون أخى ووصى وخليفة فيكم فاجم القوم عنها جميعاً وأنا أحدتهم سنا فقلت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فاخذ بزقبتي ثم قال هذا أخى ووصى وخليفة فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقال القوم يصحكون ويقولون لانى طالب قد أمرك ان تسمع لعلى وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ما نزلت وأنذر عشيرتک الاقر بين سعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذى لم يستطع أن يخرج يرسو لرسولاً لينظر ما هو فاجاء أبو لهب وقريش فقال رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقياً قالوا ما جربنا عليك كذباً قال فانى نذرتكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جئتنا فنزلت تبث يداى أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسبه وفى رواية قد تب وفى رواية للبخارى لما نزلت وأنذر عشيرتک الاقر بين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حتى صدر الصفا فهتف باصباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكروا عنده (ق) عن أبى هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتک الاقر بين قال يا معشر قريش أوكامه نحوها أشترأوا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً يا صفيية عمرة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت رسول الله ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئاً (م) عن قبصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت وأنذر عشيرتک الاقر بين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى روضة جبل فعلاً أعلاه جراً ثم نادى يا بنى عبد مناف انى نذرتكم انما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فغشى أن يسبقوه فجعل يهتف باصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولاً وبالاقرب فالاقرب من أهله ثانياً لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أن تجتمع (واخفض) أى ان (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت مامعنى التبعية فى قوله من المؤمنين قلت معناه ان اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وأسننهم دون المؤمنين بأسننهم وهى المنافقون (فان اصولك) أى فيما تأمرهم به (فقل انى برى عما عملون) أى من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه ومضرو هو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته (الذى راى صلواتك وقيل راى انما كنت وقيل راى حين تقوم لداثك) (وتقبلت فى الساجدين) قال ابن عباس وبرى تقبلت فى صلواتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول راى اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه برى تقبلت بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من مقدمه عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لاراكم من وراء ظهري وقيل معناه برى تصرفك وذهابك ومجئتك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقبلت فى أصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى أخرجك فى هذه الامة (انه هو السميع) أى لقولك ودعائك (العليم) أى بنيتك وعمالك قل يا محمد (هل أنبتكم) أى أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل أفك) أى كذاب (أنيم) أى فاجروهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع

أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفل شرونا يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه ومضرو وقالوا المتوكل من اذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضى الله عنه التوكل ان تقبل بالكتابة عمادونه فان حاجتك اليه فى الدارين فتوكل مدنى وشامى عطف على فقل او فلان دع (الذى راى حين تقوم) متهجداً (وتقبلت) أى وبرى تقبلت (فى الساجدين) فى المصلين اتبع كونه رحيماً على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكراً كان يفعلها فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقبله فى تصفح أحوال المهجدين من اصحابه ليطالع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم انهم كيف يعبدون الله ويعملون لا يخترتهم وقيل معناه راى حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقبله فى الساجدين تصرفه فيما

بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى قتلا هذه الآية (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله هون عليه ما نامة مشاقى العبادات حيث أخبر برؤيته له اذ لامسقة على من يعلم انه يعمل عمراً مولاه وهو كقوله يعينى ما يتحمل المحملون من أجلى ونزل جواباً لقول المشركين ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبتكم) أى هل أخبركم أيها المشركون (على من تنزل الشياطين) ثم نبأ فقال (تنزل على كل أفك أنيم)

مرتكب للاثام وهم الكهنة والمثبتة كسليح وطليحة ومسلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الافا كين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلاقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالجم يستمعون الى الملا الا على فيحفظون بعض ما يشكاهون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم ويلاقون حال اى تنزل ملقنين السمع او صفة لسلك الافا لانه في معنى الجمع فيكون في محل الجزاء او استثناء فلا يكون له محل لانه قيل لم تنزل على الافا كين فقيل يفعلون كيت وكيت (واكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يستمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة وقيل الافا كين يلقون السمع الى الشياطين ويتلقون وحيمهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافا كين كاذبون يفترون على الشياطين (٢٧٢) ما لم يوحوا اليهم والافا كين الذي يكثر

الافا كين ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافا كين فاراد ان هؤلاء الافا كين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفرط عليه وعن الحسن وكاهم وانما فرقت بين وانه لتنزىل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبشكم على من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرقت بينهن بايات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدثت حديثا وفي صدرك اهتمام بشئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه * ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون اسماءهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاؤون) اى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم ونزىل بقى الاعراض والقدرح في الانساب ومسرح من لا

ثم يلقون ذلك الى اوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلاقون السمع) اى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (واكثرهم كاذبون) لانهم يخاطبون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار الذين كانوا يحجون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمى وهبيرة بن ابي وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وابو عمرو بن عبد الله الجمحى وامية بن ابي الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يستمعون اشعارهم حين يحجون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا يروون عنهم قوله -م فذلك قوله يتبعهم الغاؤون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاؤون هم السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كل واحد غواة من قومهم السفهاء فنزلت هذه الآية (الم تر انهم فى كل واد) من اودية الكلام (يهيمون) يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب على وجهه لاقصد له وقال ابن عباس فى كل لغوى يخوضون وقيل يدحجون بالباطل ويمحجون بالباطل وقيل انهم يدحجون الشئ ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادى مثل لغون الكلام والغوص فى المعانى والقوافى (وانهم يقولون مالا يفعلون) اى انهم يكذبون فى شعرهم وقيل انهم يدحجون الجود والكرم ويحشون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويمحجون الناس بادى شئ صدر منهم (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان مبتلى جوف احدكم فيحيا حتى يريه خبيره من ان يمتلى شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويحجون ويناحون عن محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل فى الشعر ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكان مات مؤمنا منهم به نضح النبل * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة تمشى بين يديه وهو يقول

خداونى الكفار عن سبيله * اليوم نضر بكم على تنزيهه

ضربا يزل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خطيله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلع عنه يا عمر فلهى أسرع ففهم من نضح النبل أخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى وقدر روى فى غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك ثلث الصحیح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء

يستحق المسدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاؤون اى السفهاء والراؤون والشياطين والمشركون قال الزجاج اذا مدح أو هجأ شاعر بما لا يكون واحداً ذلك قوم واتباعه فهم الغاؤون يتبعهم نافع (الم تر انهم فى كل واد) من الكلام (يهيمون) خبر ان اى فى كل فن من الكذب يتخذون اوفى كل لغوى يخالج ويخوضون والهائم الذاهب على وجهه لاقصد له وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتنائهم حتى يفضلوا اجبن الناس على عنتره وابلغهم على حاتم عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن يجانبني مصرعات * وبت أفض اغلاق الختام فقال قدو جب عليك الحد فقال قدرداً الله عنى الحد بقوله (وانهم يقولون مالا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد * ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت

رضي الله عنهم (وذكروا
الله كثيرا) أي كان ذكر
الله وتلاوة القرآن أعجب
عليهم من الشعر وإذا قالوا
شعرا فالوه في توحيد الله
تعالى والثناء عليه والحكمة
والموعظة والزهد والأدب
ومدح رسول الله والصحابة
وصالحه الأمة ونحو ذلك مما
ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد
الذكر الكثير ليس بالعدد
والغفلة لكنه بالحضور
(واتصروا) وهجوا (من
بعدهما ظلموا) هجوا أي
ردوا هجاء من هجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين وأحق الخلق
بالهجاء من كذب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهجاء
وعن كعب بن مالك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له اهجهم فوالذي نفسي
بيده لهو أشد عليهم من
النبل وكان يقول لحسان
قل وروح القدس معك
* ونخم السورة بما يقطع
أبجاد المنبرين وهو قوله
(وسيعلم) وما فيه من الوعيد
البايع وقوله (الذين
ظلموا) وإطلاقه وقوله
(أي منقلب ينقلبون)
وابهامه وقد تلاها أبو بكر
لعمر رضي الله تعالى عنه
حين عهد اليه وكان الساف
يتواظفون بها قال ابن
عطاء سيعلم المعرض عنا
مالذي فانه منا أو أي منصوب
يدنقون على المصدر لا يعلم
لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أي ينقلبون أي الانقلاب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قرينة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح
أؤفاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجو اقر يشافانه أشد اعجاباً من
رشق النبل فأرسل الى ابن ربيعة فقال اهجهم فمجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى
حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد أن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه
لجمل يجره فقال والذي بعثك بالحق لا فرينهم بلساني فرى الاديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان
أبا بكر أعلم فر يش بانسابها وان لي فيهم نسيباً حتى يلخص لك نسيبي فاناه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله
قد نلص لي نسيبك والذي بعثك بالحق نبي الاسلنك منهم كما نسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاءهم حسان فشتي واشتني فقال حسان

هجوت محمد فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء * هجوت محمد ابراً تقياً
رسول الله شيمته الوفاء * فان أبي ووالدي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
نكأت بنتي ان لم تروها * تثير النقع من طرفي كداء * يبار بين الاعنة مصعدات
على أكتافها الاسل الظماء * تظلل جياتنا من مطرات * تلطمن بالخر النساء
فان أعرضتم عنا عمرنا * وكان الفخ وانكشف الغطاء * والا فاصبر والضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد أرسلت عبداً * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جنداً * هم الانصار عرضتها للقاء * لذاني كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء * فن يهجو رسول الله منكم * وعدحو وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

* (فصل في مدح الشعر) * (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر
الحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال
ان من البيان جهر وان من الشعر حكيم أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت وراء
النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شي قلت نعم قال هيبه فأنشدته بيتاً
فقال هيبه ثم أنشدته بيتاً قال هيبه حتى أنشدته مائة بيت زاد في روايه أنه قد كاد يسلم في شعره * عن جابر بن سمرة
قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء
من أمر الجاهلية وهو ساكت ورجما بسهم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة
الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر
وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهم ما وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشد في
المسجد فيروى انه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشد القصيدة التي قالها فقال

أمن آل نعمي أنت غاد فبكر * غداة غد أم راح فمهج

فأنشده القصيدة الى آخرها وهي قريبت من تسعين بيتاً ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جيعها وكان حفظها
بجرة واحدة وقوله تعالى (وذكر والله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (واتصروا من بعد
ما ظلموا) أي اتصروا من المشركين لانهم بدؤوا بالهجاء ثم أوعده شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين
ظلموا) أي أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء (أي منقلب
ينقلبون) أي أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده
وأسرار كتابه

* سورة النمل مكتوبة وهي ثلاث وتسعون آية * (بسم الله الرحمن الرحيم) (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبین) أي وآيات كتاب مبین وتلك إشارة إلى آيات السور والكتاب المبین اللوح وآياته أنه قد نخط فيه كل ما هو كائن فهو بيبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته أنه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخني والجواد ونكر الكتاب ليكون أخص له وقيل إنما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لأن القرآن والكتاب اسمان عالمان للمنزّل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب في كتابه بلطف التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى) في محل نصب على الحال من آيات أي هداية وبشارة فالعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة أو الجرح على أنه بدل من كتاب أو وصفته أو الرفع على هي هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أي تلك آيات وهداية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلاة) يدعون على فرائضها وسنتها (ويؤتون الزكاة) يؤدرون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلاة الموصول ويحتمل أن تتم الصلاة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهوؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الأهؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف (٣٧٥) العاقبة يحمله على تحمل المشاق (ان الذين لا يؤمنون

* (تفسیر سورة النمل وهي ٣٢ مائتان وثلاثون وست آيات وألف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبین) أي وآيات كتاب مبین (هدى وبشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أي الخس بشرانطها (ويؤتون الزكاة) إذا وجبت عليهم طيبة بما أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينة لهم أعمالهم) أي العبيجة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم في القلب بما فيه المنافع والذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم يعمهون) أي يترددون فيها متخبرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي أشده وهو القتل والاسر (وهم في الآخرة هم الخاسرون) أي انهم خسروا أنفسهم وأهلبيهم وساروا إلى النار ﴿قوله تعالى﴾ (وانك لتلقى القرآن) أي تؤناه وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) أي حكيم عليم بما أنزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالامور العلمية فقط والعلم أعم منه لان العلم قد يكون علما وقد يكون نظرا والعلوم النظرية أشرف (اذ قال) أي واذا ذكر يا محمد اذ قال (موسى لاهله) أي في مسيره بأهله من مدين إلى مصر (اني آنست) أي أبصرت (نارا ساآتيمك منها تخبر) أي امكثوا مكانكم ساآتيمك تخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتيمك بشهاب قيس) الشهاب شعلة النار والقيس النار المقبوسة منها وقيل القيس هو العود الذي في أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) أي تستدفون من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك

بالآخرة زينة لهم أعمالهم) يخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أنس بن زين له سوء عمله فراه حسنا (فهم يعمهون) يترددون في ضلالاتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال (وهم في الآخرة هم الخاسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخرسوا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن)

لتؤناه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أي حكيم وأي علم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساطة وتبسط لما يريد أن يسوق بعدهما من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب باذ كركانه قال علي ان ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لاهله) لزوجه ومن معه عند مسيره من مدين إلى مصر امكثوا (اني آنست) أبصرت (نارا ساآتيمك منها تخبر) عن حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتيمك بشهاب) بالتنوين كوفي أي شعلة مضيئة (قيس) نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قيس على الاضافة لانه يكون قيسا وغير قيس ولا تدافع بين قوله ساآتيمك هنا ولعل على آتيمك في القصص مع ان أحدهما ترجح والاخره يقين لان الراحي اذا قوي رجاؤه يقول ساأفعل كذا وسيكون كذا مع تجوز الخيبة وتجيئ به بسين التسوية عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة أو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما ما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكائنين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الالفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة تدل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز الشكاح بغير لفظ التزوج (لعلكم تصطلون) تستدفون بالنار من البرد الذي أصابكم والطاء بدل من ناء فاعل لاجل الصاد (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) موسى (أن بورك

قوله وهي مائتان الح كذا بالاصول التي بأيدينا وهو مخالف لما في الكشاف والطايب والنسفي اه

تحفة من الثقبلة وتقد به نودى بانه بورك والضمير ضمير الشأن و جاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة أو مفسرة لان في النداء معنى القول أى قبل له بورك أى قدس أو جعل فيه البركة والخير (من في النار ومن حولها) أى بورك من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أى موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه و اظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين) (٣٧٦) هو من جملة ما نودى فقد تزدها عمالايك به من التشبيه وغيره (يا موسى

انه أنا الله العزيز الحكيم) الضمير في انه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزير الحكيم صفتان للخبر أو يرجع الى ما دل عليه ما قبله أى ان مكلمك أنا والله بيان لانا والعزير الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودى أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قبل له بورك من في النار وقبل له ألق عصاك ويدل عليه ما ذكر في سورة القصص وان ألق عصاك بعد قوله ان يا موسى انى أنا الله على تكثير بحرف التفسير (فلما رأها تهتز) تتحرك حال من الهاء في رأها) كأنها جان حية صغيرة حال من الضمير في تهتز (ولى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من وثوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أولم يرجع يقال قد يعقب فلان اذا رجع

من في النار) أى بورك على من في النار وقبل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نار ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذى رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركك النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها هم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعنى قدس من في النار وهو الله تعالى عني به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمع من جهتها كذا روى انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من سبعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن سبعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث بحجاب النار لو كشفها لحرقت سبحات وجهها ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم زه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) قبل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه أنا الله وهذا تمهيد لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وألق عصاك) تقد به فلقاها فصارت حية (فلما رأها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكترضاظر اربها (ولى مدبرا) أى هرب من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) يريد اذا أمنتمهم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله (الامن ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) قيل هو ما يصد من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات العاطفية وسماه ظمعا لقول موسى انى ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسي فاغفر لى فغفر له قال ابن جرير قال الله تعالى لموسى انما أخفك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتنهاى الخبر عن الرسل عند قوله الامن ظلم ثم ابتدا الخبر عن حاله من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقد به الامن ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب و بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم أى اغفر له وأزىل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فاني غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كملها ولا ازرار فأدخل يده في جيبها وأخرجها فاذا هى تبرى مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) أى من غير برص (في نسع آيات) أى آية مع نسع آيات أنت

يقابل بعد ان نودى (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابي اياهم مرسل أو لا يخاف لدى المرسلون من غيرى (الامن ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون أول لكن من ظلم منهم من زلمه من المرسلين فناء غير ما أدنت له مما يجوز على الانبياء كلفرط من آدم و نونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثم يدل حسنا) أى اتبع توبة (بعد سوء) زلة (فاني غفور رحيم) أقبل توبته واغفر لته وأرجه فاحقق أمينته وكأنه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطى رب انى ظلمت نفسي فاغفر لى فغفر له (وادخل يدك في جيبك) جيب قبضك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تعاب نور الشمس (من غير سوء) برص وبيضاء ومن غير سوء

خالان (في تسع آيات) كلام مستأنف وفي يتعلق بمحذوف أي اذهب في تسع آيات أو والقي عصال وأدخل يدك في جملته تسع آيات (إلى فرعون وقومه) إلى يتعلق بمحذوف أي مرسل إلى فرعون وقومه (أنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلم يجمعهم آياتنا) أي معجزاتنا (مبصرة) حال أي ظاهرة بينة تجعل الابصار لها وهو في الحقيقة لتأملها الملائم بها إياها بالنظر والتفكير فيها وأوجعت كأنها تبصر فتهدى لأن الأعمى لا يقدر على الهدى فضلاً أن يهدى غيره ومنه قولهم كلمة عيناه وعوراء لأن الحكامة الحسنة ترشد والسيئة تعوي (قالوا هذا صر مبین) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (ومجدوا بها) قبل الجحود لا يكون الامن علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لأن الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشيء الجاهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتاً كذا ذكر في شرح التأويلات وذكر في الدوان يقال مجد حقه ومبغته بمعنى والواو في (واستيقنتها) للعالم وقد بعدها ضمير والاستيعان أبلغ من (۲۷۷) الايقان (أنفسهم) أي مجدوها بالسنة منهم واستيقنوها في

مرسل من فعلي هذا تكون الآيات إحدى عشرة العساو واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في نواديبهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (إلى فرعون وقومه) أي خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أي الذي نراه (صحر مبین) أي ظاهر (ومجدوا بها) أي أنكروا الآيات ولم يقرروا النها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا النها من عند الله والمعنى أنهم مجدوا بها بالسنة واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلموا وعلموا) أي شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عقوبة المفسدين) يعني الفرق قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجمال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقال الحمد لله الذي فضلنا) أي بالنبوة والحكاب والملك ونسخنا الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير الذين فضلنا عليهم من لم يؤت علما ولم يؤت مثل علمها وفيه انها فضلا على كثير وفضل عليها كثير وقيل انهم مال يفضلا أنفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى (ورث سليمان داود) يعني نبوته وعلمه ومملكته دون ساثر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا أعطى سليمان ما أعطى داود وزيدته تسخير لريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمي صوت الطير منطقا لخصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدا للموت وبنوا للخراب وصاحت فاختمة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدن يدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم ولا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى مل سمائه وارضه وصاح قمرى قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطعة تقول من سكت سلم والبيعات تقول ويل ان كانت الدنيا همهم والصفدع يقول سبحان ربى القدوس والبازي يقول سبحان ربى وبمحمد والصفدعة تقول سبحان الذى كور بكل لسان وعن

مرسل من فعلي هذا تكون الآيات إحدى عشرة العساو واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في نواديبهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (إلى فرعون وقومه) أي خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أي الذي نراه (صحر مبین) أي ظاهر (ومجدوا بها) أي أنكروا الآيات ولم يقرروا النها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا النها من عند الله والمعنى أنهم مجدوا بها بالسنة واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلموا وعلموا) أي شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عقوبة المفسدين) يعني الفرق قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجمال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقال الحمد لله الذي فضلنا) أي بالنبوة والحكاب والملك ونسخنا الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير الذين فضلنا عليهم من لم يؤت علما ولم يؤت مثل علمها وفيه انها فضلا على كثير وفضل عليها كثير وقيل انهم مال يفضلا أنفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى (ورث سليمان داود) يعني نبوته وعلمه ومملكته دون ساثر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا أعطى سليمان ما أعطى داود وزيدته تسخير لريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمي صوت الطير منطقا لخصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدا للموت وبنوا للخراب وصاحت فاختمة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدن يدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم ولا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى مل سمائه وارضه وصاح قمرى قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطعة تقول من سكت سلم والبيعات تقول ويل ان كانت الدنيا همهم والصفدع يقول سبحان ربى القدوس والبازي يقول سبحان ربى وبمحمد والصفدعة تقول سبحان الذى كور بكل لسان وعن

(۴۸ - خازن - نالت) النعمة فيه وقال الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما ومن لم يؤت مثل علمها وفيه انها مفاضلا على كثير وفضل عليها كثيرا وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتيها فقد أوتي فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الامدانا لهم في الشرف والمثلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضى الله عنه (ورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملك دون ساثر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا أوتي النبوة مثل أبيه فكانه ورثه والافال النبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بكمائها ودعاء للناس الى التمدد في بذكر المحجزة التي هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضهم من بعض روى أنه صاحت فاختمة فاخبر انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدن يدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رجة فقال

تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قريء فآخبرانه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطة تقول من سكت سلم والديك يقول اذ كروا الله يا فليل والنسر يقول يا ابن آدم عس ماشئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس (وأوتينا من كل شئ) المراد به كثرة ما أوتي كما تقول فلان بعلم كل شئ ووثله وأوتيت من كل شئ (ان هذا هو الفضل المبين) قوله وارد على (٣٧٨) سبيل الشكر كقوله أناسيد ولد آدم ولا فخر أرى أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخر والنون في علمنا وأوتينا نون الواحد

مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السنجي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يجر له رأسه ويميل ذنبه فقال لا صحابه أي تدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاه وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اناسا لولك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمانا صدقنا قال سلوا تفقهها لا تعنتا قالوا أخبرنا ما تقول القبرة في صفة رها والديك في صفة رها والديك في صفة رها والديك في صفة رها والديك في صفة رها وماذا يقول الزر زور والدراج قال نعم اما القبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذ كروا الله يا فليل وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في الجحار وأما الجحار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذ التقي الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزر زور فانه يقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يارزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عس ماشئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس أنس واذا صاح القنبر قال الهي الهي العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ومد العالمين كما بمد القاري ﴿ وقوله تعالى (وأوتينا من كل شئ) أي مما أوتي الانبياء والمولك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملوك ونسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا هو الفضل المبين) أي الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغار جهاتك ذلك أربعين سنة فلك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع واعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أي جمع (سليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن المختلفة في مسير له (فهم يوزعون) أي يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحر فرسخا في فرسخ وكان يوضع كراسي الذهب في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كراسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر

وروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء على الارض اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح في سمعك فيحكى انه مر بجرات فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشي الى الحرات وقال اني جئت اليك لثلاث تني ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي ليكنوا واجتمعين وذلك لكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان أكبر مما يزع القرآن (حتى اذا أتوا على وادي النمل) أي ساروا حتى اذا بلغوا وادي

على

النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلي لان اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء (قالت غلاة) عرجاه تسمى طاحية ومنذرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فساله ابو حنيفة فرضى الله عنه وهو شاب عن غلاة سليمان ا كانت ذكرا أم أنثى فالحق فقال ابو حنيفة رضى الله عنه كانت أنثى فقبل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت غلاة ولو كانت ذكرا القال قال غلاة وذلك ان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والانثى فيعير بينهما بعلامتها نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة (٣٧٩) أنثى وهو وهى (يا أيها النمل ادخلوا

مساكنكم) ولم يقل ادخلن
لانه لما جعلها قاتلة والنمل
مقولا لهم كما يكون في أولى
العقل أجرى خطابهم من
مجرى خطابهم (لا
يحطمنكم) لا يكسر نسك
والحطام الكسر وهو وهى
مستأنف وهو في الظاهر
نهي سليمان عن الحطام
وفي الحقيقة نهى له عن
السيرو والوقوف على
طريقة لأرئيك ههنا أى
لا تحضر هذا الموضع وقيل
هو جواب الامر وهو
ضعيف يدفعه نون التأكيد
لانه من ضرورات الشعر
(سليمان وجنوده) قيل
أراد لا يحطمنكم جنود
سليمان فجاء بها وأبلغ
(وهم لا يشعرون) لا
يعلمون بمكانكم أى لو
شعروا لم يفعلوا قالت ذلك
على وجه العذر واصفة
سليمان وجنوده بالعدل
فسمع سليمان قولها من ثلاثة
أميال (فتبسم ضاحكاً من
قولها) متعجباً من حذرها
واهدأ ثم المصالحا ونصحتها
للنمل وأفرح بالظهور وعدله
وضاحكاً حاله مؤكدة لان
تبسم بمعنى ضحك وأكثر

على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به
وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناماً تعبد بفارزة سليمان فلما جاززه بنى البيت فاوحى
الله اليه ما يبكيك قال يارب اباك في هذاني من أنبيائك ومعهم قوم من أوليائك مروا على ولهم بطول ولم يصلوا
عندى والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فأتى سوف أمولك وجوهاً مجدداً وأنزل فيك
قرآناً جديداً وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي الى واجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونى وافرض
عليهم فرضة يزفون اليك زفير الاسرار وكرهاً ويحنون اليك حين الناقاة الى ولدها والحمامة الى بيضها
وأطهر لكم من الأدران والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر وادى السد بر وادى الطائف فأتى
على وادى النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واديسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم
وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالجحش والمشهور انه النمل الصغير (قالت غلاة) قيل كانت عرجاه
وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاحية وقيل جرى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه
جعل لهم عقولاً كآدميين فخو وطبوا وخطاب الآدميين وهذا ليس بمسئد أن يخلق الله فيها عقلاً ونطقاً
فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أى لا يكسر نسك (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير
علمت النملة ان سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا وطواكم ولم يشعر بكم
فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشئ الا حمله الريح حتى تلقه الى مسامع سليمان
فلما بلغ وادى النمل جنس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطام من سليمان وجنوده
وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانوا أرادوا النزول عند منقطع الوادى فاذلك قالت غلاة لا يحطمنكم
سليمان وجنوده لانهم ما دمت الريح تحملهم لا يخاف حطامهم (فتبسم ضاحكاً من قولها) قيل أكثر ضحك
الانبياء تبسموا وقيل معنى ضاحكاً تبسموا وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ن) عن عائشة رضى الله عنها
قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستحجماً معاقباً ضاحكاً حتى أرى منه لهوانه انما كان يتبسم * عن عبد
الله بن الحرب بن جزة قال ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى فان
قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيطان أحدهما ما دل من قولها على ظهور رحمة ورحمة جنوده وشفتهم
وذلك قولها وهم لا يشعرون يعنى انهم لو شعروا بما يفعلون الثانى سروره بما آناه الله مما لم يوت أحد من ادراك
سعه مما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حذر به على
ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل
صالحاً وترضاه وأدخلى برحمتك فى عبادك الصالحين) أى أدخلنى فى جملتهم وأثبت اسمى مع اسمائهم
واخشع رضى فى زميرهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل
أدخلى الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل (وتفقد الطير) أى طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب
ما فقد من الطير (فقال مالى لأرى الهدى) وكان سبب تفقده الهدى وهو سؤاله عنه اخلاؤه بالنوبة وذلك
ان سليمان كان اذا نزل منزلاً تظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدى فنظر فرآه
خالياً وروى عن ابن عباس انه كان دلبه على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى

ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعنى) ألهمنى وحقيقته كفى عن الاشياء الاعن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك
التي أنعمت على) من النبوة والمالك والعلم (وعلى والدى) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحاً وترضاه) فى بقية عمرى
(وأدخلى برحمتك) وأدخلى الجنة برحمتك لا بصالح على اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء فى الحديث (فى عبادك الصالحين) أى فى زمرة
أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى ان النملة أحسبت بصوت الجنود لا تعلم اهم فى الهواء فامر سليمان الريح فوفقت لتلايد عن حتى
دخلن مساكنهم ثم دعا بالدعوة (وتفقد الطير فقال مالى) مكر وعلى وعاصم وغيرهم يسكنون البياع والتفقد طلب ما غاب عنك (لأرى الهدى

أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدد فقال مالي لأراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لسائرته أو
غير ذلك ثم لاح انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت
الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدد (٣٨٠) فتأفف وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فتستخرج الشياطين

الماء فتفقدته لذلك وذكر
انه وقعت ففجعت من الشمس
على رأس سليمان فنظر
فاذا موضع الهدد وهو
قد عاير يف الطير وهو
النسر فسأله عنه فلم يجد
عنده علمه ثم قال لسيد الطير
وهو العقاب على به فارتفع
فنظر فاذا هو مقبل فقصده
فناشده الله فتركه فلما
قرب من سليمان أرنى
ذنبه وجناحيه يجرحهما على
الارض وقال يا بني الله اذكر
وقولك بين يدي الله فارتعد
سليمان وعفاه عنه (لا عذبه
عذبا شديدا) ينتفر يشه
والقائه في الشمس أو
بالنفر يق بينه وبين الفه
أو بالزامة خدمة أقرانه أو
بالحبس مع أزداده وعن
بعضهم أضيق السجن
معاشرة الأزداد أو بإداعه
القفص أو بطرحه بين
يدي النمل أي كاه وحل
له تعذيب الهدد لما
رأى فيه من المصلحة كما حل
ذبح البهائم والطيور للاكل
وغيره من المنافع واذما نخر
له الطير لم يتم التسخير الا
بالتأديب والسياسة
(أولاد تخنه أولياتيني)
بالنون الثقيلة لبسا كل
قوله لا عذبه وحذف
نون العماد للتخفيف لباتيني

في الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجى الشياطين فيخفرونه ويستخرجون الماء منه قال
سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هـ ذا قال نافع بن الأزرق يا وصال انظر ما تقول ان النبي متابع الفخ
ويحس عليه التراب فيجى الهدد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر
حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى
الماء فطلبوه فلم يجدوه ففقد الهدد ليدله على الماء فقال مالي لأرى الهدد على تقديراته مع جنوده وهو
لا يراه ثم أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أي أكان وتبل بل كان من الغائبين ثم أوعده على
غيته فقال (لا عذبه عذبا شديدا) قيل هو أن ينتفر يشه وذنبه ويلقيه في الشمس معطالا يمنع من الغل
ولامن غيره وقيل لا ودعنه القفص ولا حبسه مع ضده وقيل لا فرق بينه وبين الفه (أولاد تخنه أولياتيني
بسلطان مبين) أي بحجة بينة على غيته وكان سبب غيته الهدد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ
من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتحجز للمسيروا مستحب جنوده من الجن والانس
والطيور والوحش فحملتهم الريح فلما رآى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم وكان في كل يوم ينحدر طول مقامه خمسة
آلاف ناقتة يذبح خمسة آلاف نور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج
منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصره على جميع من ناواه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد
عنده في الحق سواء لا تاخذ في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يتدين يا بني الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن
أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا بني الله قال مقدارا ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد
الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء والزوال
أي وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسنة تزهو خضرت فاحب النزول به ليصلي ويتعدي فلما
نزل قال الهدد اشد تغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فيبينها هو ينظر فيبينها
وشمالا رأى بيستانا بلقيس فنزل اليه فاذا هو به هدد آخر وكان اسم هدد سليمان بعفور واسم هدد
اليمن يعفير فقال يعفير لعفور ومن أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحب سليمان بن داود قال
ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطيور والوحش والرياح فن ان أنت يا يعفير قال أنا
من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس
دونه فانها ملك اليمن وتحت يدها أربع مائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربع مائة مقاتل ولها
ثلثمائة وزير يديرون ملكها ولها اثنا عشر ألف فاد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي
حتى تنظر الى ملكها قال أحاف أن يفتدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدد اليمني
ان صاحبك يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها أو ما سليمان فانه نزل على
غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا ففقد الهدد فلم يره فدعا بعير يف الطير وهو النسر فسأله عن
اهدد فقال أصح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لا عذبه الاية ثم دعا
العقاب وهو أشد الطير فقال له على بالهدد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالتصعة
بين يدي أحد كم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب بريده فعلم الهدد
أن العقاب يقصده بسوءه فقال له بحق الله الذي قواله وأقدرك على الامار حتى ولم تتعرض لي بسوء فتركه
العقاب وقال ويحك شككتك أمل ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو ان يذبحك ثم طار متوجهين نحو سليمان
فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطيور فقالوا ويلك أين غبت في يومك هـ اذا فقد قوعك نبي الله وأخبروه

بنونين مكي الاولى للتاكيد والثانية للعماد (بسلطان مبين) بحجة له فيها عذر ظاهر على غيته والاشكال انه حلف
على أحد ثلاثة أشياء اثبات منافعها ولا مقال فيه والثالث فعل الهدد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتي بسلطان حتى قال والله يا تيني
بسلطان وجوابه أنه معنى كلامه ليكون أحد الامور يعني ان كان الاثبات بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس

(غير بعيد) أي مكنا غير
طويل أو غير زمان بعيد
كقوله عن قريب ووصف
مكثه بقصر المدة على اسرعه
للدلالة خوفا من سليمان
فلما رجع ساله عما اتى في
غيبته (فقال أحطت)
علمت شيئا من جميع جهاته
(بما لم تحط به) اللهم الله
الهدهد فكأن سليمان
بهذا الكلام مع ما أوتي
من فضل النبوة والعلوم
الجلية ابتلاء له في علمه وفيه
دليل بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شيء
ولا يكون في زمانه أحد أعلم
منه (و جئتك من سبأ) غير
منصرف أبو عمرو وجعله
اسما لقبيلة أو المدينة وغيره
بالتثنية جعله اسم الجمع
أو الالب الأكبر (بنبا يقين)
النبا الخبر الذي له شان
وقوله من سبأ بنما من محاسن
الكلام ويسمى البديع
وقد حسن ويدع لفظا ومعنى
هنا ألا ترى أنه لو وضع
مكان بنبا خبر لكان المعنى
صحيحا وهو كجاء أصح لماني
النبا من الزيادة التي يطابقها
وصف الحال (اني و جئت
امرأة) هي بلقيس بنت
شراحيل وكان أبوها ملك
أرض اليمن ولم يكن له ولد
غيرها فها بنت على الملك
وكانت هي وقومها يجوسوا
يعبدون الشمس والضمير
في (تملكهم) راجع الى
سبأ على تأويل القوم أو
أهل المدينة (وأوتيت)

بما قال سليمان فقال الهدهد أو ما استثنى نبي الله قالوا بلى وسكنه قال أو لياتيني بسلطان مبين قال نجوت اذا
فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان فاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب
منه الهدهد فرح رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرحهما على الأرض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ رأسه
فداه اليه وقال له أين كنت لا عذبتك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذ كرت وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان
ذلك ارتعد وعفاه عنه ثم قال ما الذي أبطالك عني فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فيكث غير بعيد)
معناه أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك اللهم
الله الهدهد هذا الكلام فكأن سليمان تنبها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفًا
له في ترك الإعجاب والاحاطة بالشيء علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (و جئتك من
سبأ) قيل هو اسم للباد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في
الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيمان منهم ستة وتشام
أربعة (بنبا) أي بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذلك فقال (اني) أي الهدهد (وجدت امرأتهم ملكهم)
هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن قد ولده أربعون
ملكًا وأخوه م وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك اطراف ليس أحد منهم كفؤا لي وأبي
ان يترج منهم فخطب الى الجن فزوجه منهم امرأة يقال لها ربيعة بنت السكن قيل في سبب وصوله
الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فرما اصطاد الجن وهم على صورة الطيأ فيخيل عندهم
فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذهم صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متعبدا فرأى
حيثين يقتتلان بيضاء ووداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وجعل البيضاء
وصب عليها الماء فافقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذمعه شاب جميل نحاف
منه قال لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحببتني والاسود الذي قتلته هو عبيد لنا قد رد علينا وقتل عدة منا
وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجهنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس
وجاء في الحديث ان أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن
يبايعوها فأطاعها قوم وأبي آخرون وملكوا عليهم جدا لا آخر يقال انه ابن أخي الملك وكان خبيثا سيئ
السيرة في أهل مملكته حتى كان يمديه الى حريم عيتمو يفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدر واعليه فلما
رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه فعرضت نفسها عليه فأجاب الملك وقال ما معنى ان ابتدئك
بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب الا لانك كفؤ كرسيم فأجرح رجال أهلي واخطبني منهم فجمعهم
وخطبها فقالوا انراها تبتعل فقال بلى انما قدر غبت في فذ كروا ذلك لها فقالت نعم فزوجهها منه فلما زفت
اليه خرجت في ملاء كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخرج حتى سكر ثم قتلته وخرت رأسه
وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزيرها وأحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من
يأنف لكر عتته أو كراتم عشرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا الأرضي غيرك
فلكوه واولوا ان ذلك النكاح كان مكر او خديعة منها (خ) عن أبي بكر قال لما بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال ان يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ﴿قوله تعالى
(وأوتيت من كل شيء) يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم عال
فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمت ملك سليمان قلت يحتمل له استعظام ذلك
بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه شيء له وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر
والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أليات على كل بيت باب مغلق
قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان

سال وقد مقبرة (من كل شيء) من أسبب الدنيا ما يلدق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا
وطوله في الهواء ثمانون ذراعا كان من ذهب وفضة وكان مرصها بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر ودر ووزمرد وعليه سبعة

أبانت على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم عرشه لذلك وقد أحنى الله تعالى على سليمان ذلك المصلحة رأها كما أحنى
 مكان يوسف على يعقوب عابهما السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل)
 أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) الى الحق ولا يبعدن الهدى الهدى الهدى الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود وحرمه السجود للشمس
 الها مان الله كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الراجح العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا)
 بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لتلاي سجدوا وحذف الجار مع أن وأدغمت النون في اللام ويجوز أن تكون لامزيدة ويكون المعنى فهم
 لا يهتدون الى أن يسجدوا وبال تخفيف يزيد على وتقديره الاياه اولاعا يسجدوا فالالتنبيه ويكون اللذاعومناداهم وحذوف فن شدد لم يقف
 الاعلى العرش العظيم ومن خفف (٣٨٢) وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الاياه يسجدوا ووقف على الايام ابتداء يسجدوا وسجدة التلاوة

واجبة في القراءتين جميعا
 بخلاف ما يقوله الزجاج انه
 لا يجب السجود مع التشديد
 لان مواضع السجدة اما
 أمر بها أو مدح لآتيها
 أو ذم لتاركها واحدى
 القراءتين أمر والاخرى
 ذم للتارك (الله الذي يخرج
 الخبء) سمى الخبء بالصدر
 (في السموات والارض)
 قتادة خبء السماء المطر
 وخبء الارض النبات
 (ويعلم ما يخفون وما
 يعلنون) وبالتاء فهما على
 وحفص (الله لا اله الا هو
 رب العرش العظيم) وصف
 الهدد عرش الله بالعظيم
 تعظيم له بالنسبة الى سائر
 ما خلق من السموات والارض
 ووصفه عرش بلقيس تعظيم
 له بالاضافة الى عروش ابناء
 جنسها من الملوك الى ههنا
 كلام الهدد فلما فرغ
 من كلامه (قال سليمان
 لله هدهد) (سنظر) من
 النظر الذي هو التأمّل

طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا وقوله عز
 وجل اخبار عن الهدد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يسجدون
 الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان
 لانه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام (فهم لا يهتدون) أي
 الى الصواب (الاي سجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الاياها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ
 بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لتلاي سجدوا (الله الذي يخرج الخبء) يعنى الخفي الخبء (في
 السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون)
 والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو
 قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو
 المستحق للعبادة والسجود لا غيره

* (فصل) * وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت قد
 وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة
 اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض
 لفصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدد من كلامه (قال سليمان) (سنظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم
 كنت من الكاذبين) ثم ان الهدد دلهم على الماء فاحتفروا الركابا وروى الناس والذواب ثم ان سليمان
 كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا باسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع
 الهدى اما بعد أن لا تعلو اعلى وأتوني مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون
 جلا لا يطأون ولا يكثر من فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب
 بكاتبى هذا فآلقه اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لبقول الهدد وجدتها وقومها يسجدون
 للشمس فقال فآلقه الى الذين هذا ذنبهم (ثم قول عنهم) أي تخ عنهم فقفر يما منهم (فانظر ماذا يرجعون)
 أي ردون من الجواب وقيل تقدير الاية فآلقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم قول عنهم أي انصرف الى فاخذ
 الهدد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها
 ناعمة مستلقية على فهاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى
 الهدد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة

(أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالانحراف في سالك والوزراء
 الكاذبين كان كاذبا بالاحتمال واذا كان كاذبا انهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا بصورته من عبد الله سليمان بن داود
 الى بلقيس ملكة سبا باسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلو اعلى وأتوني مسلمين وطبعه بالسك وختمه بخاتمه
 وقال للهدهد (اذهب بكاتبى هذا فآلقه) يسكون الهاء تخفيفا أو عرو وعاصم وحزرة ويختلسها كسر التدل الكسرة على الباء المحذوفة
 يزيد وقالون ويعقوب فالقهسى باثبات الباء غيرهم (اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون
 للشمس من دون الله وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم قول عنهم) تخ عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ايكون
 ما يقولونه يسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي ردونه من الجواب فاخذ الهدد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على
 نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة فانتهت فرعة أو أنها او الجنود نحو اليها فر فر ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت فارقة فلما رأت الخاتم

(قالت) لعمري ما حاضرت عاتفة (يا أيها الملائي) وفتح الباء مدني (ألقى إلى كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه أو تختموم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بيسم الله الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تبيين لما ألقى إليها كأنها لما قالت اني ألقى إلى كتاب كريم قيل لها من هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن في (الأتعلاوا) لا ترفعوا (علي) ولا تتكبروا كما تفعل المملوك مفسرة كقوله وانطلق الملا منهم أن امشوا بعني أي امشوا (وأتوني مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الانبياء مبنية على الإيجاز والاختصار (قالت يا أيها الملا أفنوني في أمري) أشيروا علي في الامر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من النعناع في السن والمراد هنا بالفتوى الإشارة إليها بما عندهم من الرأي وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطيب أنفسهم (٢٨٣) لهما الوهاو يقوموا معها (ما كنت قاطعة

أمرًا) فاصلة أو مضمية
 حكما (حتى تشهدون)
 بكسر النون والفتح لحن
 لان النون انما تفتح في
 موضع الرفع وهذا في
 موضع النصب وأصله
 تشهدون في حذف النون
 الاولى للنصب والياء لانه
 الكسرة عليها بالياء في
 الوصل وان وقف يعقوب
 أي تحضروني أو تشيرونني
 أو تشهدوا انه صواب أي
 لأبت الامر الا بحضوركم
 وقيل كان أهل مشورتها
 ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
 كل واحد على عشرة آلاف
 (قالوا) يجيبين لها (نحن
 أولوا قوة وأولوا بأس شديد)
 أرادوا بالقوة قوة الاجساد
 والاسلحة وبالباأس الشجاعة
 والبلاء في الحرب (والامر
 اليك فانظري ماذا تأمرين)
 أي موكل اليك ونحن
 مطيعون لك فرينا بامر
 نطعن ولا نخالفن كأنهم
 أشاروا عليها بالقتال أو

والوزراء والجنود فرفر ساعة والناس ينظرون فرفعت بلفظ رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت إليها سجدت لها فغاء الهدد وسد الكوة بجزءها فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما سبطت الشمس قامت تنظر فرمى بالعجيفة إليها فاخذت بلفظ الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجعلت الملا من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قبل مع كل قبل مائة ألف والقبيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جازوا وأخذوا بحمالهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملا اني ألقى إلى كتاب كريم) قيل سمته كرمي لانه كان يختم وماروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كرم أي شريف اشرف صاحبه ثم بينت من الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو وكذلك بل ابتدأ سليمان بيسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكر بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكر ما في الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (الأتعلاوا علي) قال ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تمنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (واتنوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملا أفنوني في أمري) أي أشيروا علي فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمرًا) أي قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) قالوا (يعني الملا يجيبين لها) (نحن أولوا قوة) أي في الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقيل اراد بالقوة كثرة العدد والباأس والشجاعة وهذا تعرض من منهم بالقتال أي ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيها الملكة أي في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) أي تجدين ما طيعين لامرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول اليه أمره (ان المملوك اذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي اهانوا أشرفها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر تحذروهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو لئلا كيد لما قالت ثم قالت (واني مرسله اليهم بهدية) أي إلى سليمان وقومه أو صانعها على ملكي وأخست بهر بها أم لك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرعه من الا أن تبعه في دينه وهو قولها (فانظري ثم يرجع المرسلون) وذلك أن

أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين تبسح رأيك فلما أحست منهم الميل إلى المحار بة قامت إلى المصالحة ورثت الجواب فزيفت أولاماد كروها وأرثهم الخطأ فيه حيث (قالت ان المملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلو اعزتها وأهانوا أشرفها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحج الساعي في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر وإذا احتج بالقرآن على وجه التعريف فقد جرح بين كفرين (واني مرسله اليهم بهدية) فنانظرة (بهم) أي بمالان الالف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها أم يردّها لانها عرفت عادة المملوك وحسن مواقع الهدايا

تليبا الجوارى وحلمين
واكبي نخيل مغطاة بالديباغ
تحتللة اللجج والسروج
بالذهب المرصع بالجواهر
وخمسمائة جارية على رمالك
في زى العلمان والفلبنة
من ذهب ونضة وناجام كالا
بالدر والياقوت وحقافيه
درة عذرا وخزعة معوجة
الثقب وبعثت رسلا ومرت
عليهم المنذر بن عمرو
بدليل قوله تعالى بم يرجع
المرسلون وكتبت كتابا فيه
نسخة الهدايا وقالت فيه
ان كنت نبيا فيز بين
الوصفاء والوصائف واخبر
بماني الحق وانقب الدرة
ثقبوا سلك في الخرز فخطا
ثم قالت للمنذر ان نظر
الملك نظر غضبان فهو
ملك فلا يهولك منظره وان
رايته بشاشا لعايقه ونبي
فاقبل الهدى واخبر
سليمان الخبر كله فامر
سليمان الجن فضربوا
لبينات الذهب والفضة
وفرشوها في ميدان بين
يديه طوله سبعة فراسخ
وجعلوا حول الميدان حائطا
شرفه من الذهب والفضة
وامر باحسن الدواب في
البر والبحر فربطوها عن
عين الميدان ويساره على
اللبانات وامر باولاد الجن
وهم خلق كثير فاقدموا عن
اليمن واليسار ثم قعد على
سريه والكراسي من
جانبه واصافت الشياطين

بلعيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجرتها فاهدت رصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة
وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى
لبس العلمان الاقيبة والمناطق والبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت في ايديهم اسم اساو والذهب وفي
اعناقهم اطواق الذهب وفي آذانهم افرطه وشنوقا مرصعات با انواع الجواهر وجلت الجوارى على خمسمائة
ركمة والعلمان على خمسمائة برزون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر واعشبية الاديباغ
و بعثت اليه لبينات من الذهب ولبنات من الفضة وناجام كالا بالدر والياقوت وارسات بالمسك والعنبر والعود
اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمانية غير مثقوبة وخزعة جزم معوجة الثقب ودمت جلا
من اشرف قومه ايقاله المنذر بن عمرو وصفت اليه رجالا من قومها يحبون عقل ورأى وكتبت مع المنذر
كتابا ند كرفيه الهدية وقالت ان كنت نبيما بين الوصفاء والوصائف واخبرنا بماني الحق قبل ان تفحصه
وانقب الدرة ثقبوا مستويا وادخل في الخرز خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت
اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يكلمنه بكلام فيه
غافلة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فانظر اليك نظر اقيه غضب فاعلم انه
ملك فلا يهولك امره ومنظره فانما اعزمنه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبي ففهم قوله ورد
الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واوقف بلقيس الهدى مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان
يضربوا البنات من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا البن الذهب
والفضة وان يخلوا مقدار تلك البنات التي معهم وان يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال ابي
دواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله مارا اينما احسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا فاختلقت الوانها
لها اجنحة واعراف ونواص قال على بم الساعة فاقبوا ما قال شذوها بين عين الميدان وشماله ثم قال للجن على
باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن عين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريه ووضع له
اربعة آلاف كرسي على عين الميدان وعلى شماله وامر الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور والسباع
فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظر الى ملك سليمان راوا اول الامر الدواب
التي لا يرى مثلها تروى في لبينات الذهب والفضة فلما راوا ذلك تقامرت انفسهم وخبو امامهم من الهدايا
وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طرفهم موضع اعلى قدر امامهم من اللبن
في ذلك الموضع فلما راى الرسول موضع البنات خالبا خافوا ان يتهموا بذلك فوضوا امامهم من اللبن في ذلك
الموضع ولما راوا الشياطين هالهم مارا وافرغوا فقالت لهم الشياطين جوزوا بالباس عليكم فكانوا عمرون
على كرايس الانس والجن والوحش والطيور حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم
تلقيبا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبرهم رئيس القوم بما جاؤا فيه واعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال ابن الحق
فاتي به فخره فقام جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمانية غير مثقوبة وخزعة معوجة الثقب قال
الرسول صدقت فانقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بشهها وسأل الانس والجن فلم
يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة اخذت شعرة في فيها ودخلت
فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم
قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى
خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم
ميز بين العلمان والجوارى بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها
وتضربه بالاشرى وتغسل وجهها والغلام ان يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء
على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فيز بين العلمان والجوارى ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله تعالى

صفا وافر اسخ والانس صفا وافر اسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم وراوا الدواب تروى فقال
على اللبن رما وبما معهم من الهدايا ووقفوا بين يديهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال ابن الحق فامر الارضة

فاخذت شعرة ونفذت في الدرة واخذت دودة بيضاء الخيط فيها ونفذت فيها وادع الماء فكانت الحارفة تأخذ الماء بيدها فتقهله في الاخرى ثم تضرب به وجهه او الغلام كما يأخذ به ويضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاءه) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال اعدوني بمال) بنونين واثبات الباء في الوصل والوقف مكي وسهل وافقه ما عدني واؤمروني بالوصل اعدوني حزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلاياء ففهموا الخطاب للرسول (فما أتاني الله) من النبوة والملك والنعمة وافتح اليه عدني واؤمروني وحفص (خبر مما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل انتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدي كان العطية اسم المعطي فتضاف الى المهدي والمهدي له تقول هذه هدية فلان تريده التي اهداها او اهديت اليه والمعنى ان ما عدني خير مما اعندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستراده عليه فكيف رضيت اني بان عد بمال بل انتم قوم لا تعلمون الا طاهر من الحياة الدنيا فاذا ذلك تفرحون بما تزدون ويهدي اليكم لان ذلك مبلغ هممكم وحال خلاف حالكم وما ارضى منكم بشئ ولا افرح به (٣٨٥) الا بالايمن وترك المجوسية والفرق بين

قولك اعدوني بمال وانا
اغنى منكم وبين ان تقوله
بالفاء اني اذا قلته بالواو
جعلت مخاطبي عالما اني اادي
في الغنى وهو مع ذلك عدني
بمال واذا قلته بالفاء فقد
جعلته ممن خفيت عاياه
حالي فانا اخبره الساعة بما
لا احتاج معه الى امداه
كأنني اقول له انكر عليك
ما فعلت فاني اغنى عنه وعليه
ورد فما آتاني الله ووجهه
الاضراب انه لما انكر عليهم
الامداد وعلل انكاره
اضرب عن ذلك الى بيان
السبب الذي حملهم عليه
وهو انهم لا يعرفون سبب
رضاه ولا فرح الا ان يهدي
اليهم حظ من الدنيا التي
لا يعلمون غيرها (ارجع
اليهم) خطاب للرسول او
الهدد بجملا كتابا آخر
اليهم اثبت بقرينة وقومها
(فلما أتيتهم بجنود لا قبل

فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال اعدوني بمال فما آتاني الله) أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة
والملك (خير) أي أفضل (مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) معناه انتم اهل مفخرة ومكافرة بالدنيا
تفرحون باهداء بعضكم الى بعض وأما أنا فلا افرح بالدنيا وابست الدنيا من حاجتي لان الله قد أعطاني منها
ما لم يعط أحدكم ذلك أكرم في الدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو وأمر الوذر (ارجع اليهم) أي
بالهدية (فلما أتيتهم بجنود لا قبل) أي لا طاقة (لهم بها ولخبر جنهم منها) أي من أرض سبأ (أدلة وهم
صاغرون) أي ان لم يأتوني مسلمين فال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت ورسول بلقيس اليها أي
من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا ملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى
سليمان اني قادمة عليك بمولوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرضها
فجعلته في آخر سبعة آيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب وركت به حراسا يحفظونه
ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسر برما لكي لا يخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا ينادي
في أهل مملكتهما تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قبل من مولوك اليمن كل قبل تحت
يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه
نفرج يوما جلس على سريره فسمع رجلا يقرأ بياضه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منابها هذا المكان وكان
على مسيرة فرسخ من سليمان فقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملائكة أيكم يأتي بي بعرضها قبل أن يأتوني
مسلمين) قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان في احضار عرضها ليربها فقدره
الله تعالى واظهاره بمجزة الله على نبوته وقيل أراد أن ينكره وبغيره قبل مجيئها الخبير بذلك عقلها وقيل
ان سليمان علم انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سر بها قبل أن يحرم عليه أخذها لانه أعجبه
وصفه لما وصفه له الهدد وقيل أراد ان يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة (قال عفريت
من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان
وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك)
أي مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضى فيه الى منتصف النهار وقيل نصفه
(واني عليه) أي على جملة (لقوى أمين) أي على ما يقبض من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع
من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف

(٤٩ - (خازن) - ثالث)
أي لا يدرون أن يقابلوه هم (ولخبر جنهم منها) من سبأ (أدلة وهم صاغرون) الذي ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار
ان يعقروا في أسر واستعباد فلما رجع اليها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا به طاقة ثم جعلت عرضها في آخر سبعة آيات
وغلقت الابواب وركت به حراسا يحفظونه وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك لانظر ما الذي تدعوا اليه وشخصت اليه في اثني عشر ألف قبل
تحت كل قبيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملائكة أيكم يأتي بي بعرضها قبل أن يأتوني مسلمين) أراد أن يربها بذلك
بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء الجناب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذ قبل أن
تسلم لعلها اذا أسلمت لم يحل له أخذها لانه بعد عند أهل التحقيق أو أراد ان يؤتى به فينكره ويغير ثم ينظر أثبته أم تنكره اختبارا لعقلها
(قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (واني عليه)
على جملة (لقوى أمين) أي به كل هولاء خدمته شيئا ولا يذله فقال سليمان ان عليه السلام أريد ان عمل من هذا (قال الذي عنده علم من الكتاب)

أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا الالوح المحفوظ أو الخضر أو آصف
 ابن برخيا كاتب سليمان وهو الأصغر وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وهو يحيى ياقوم باذا الجلال والاكرام
 أو بالهناء والكل شئ الها واحد الاله الأنت وقيل كان له علم تجارى الغيوب الهاما (أنا آتيلك به) بالعرش وآتيلك فى الموضوعين بجوزان
 يكون فعلا وأسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك وروى ان
 آصف قال سليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس
 سليمان بقدره الله تعالى قبل ان يرد طرفه (٣٨٦) (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) نابت اليه غير مضطرب (قال هذا) أى حصول

مرادى وهو حضور العرش
 فى مدة ارتداد الطرف
 (من فضل ربي) على
 واحسانه الى بلا استحقاق
 منى بل هو فضل خال من
 العوض صاف عن الغرض
 (ليسا لوني أشكر)
 ليحتسنى أشكر انعامه
 (أم أكفر ومن شكر فأنما
 يشكر لنفسه) لانه يحط
 به عنها عبء الواجب
 ويصونها عن سمة الكفران
 ويستجلب به المزيد يرتبط
 به النعمة فالشكر قيد
 للنعمة الموجودة وصيد
 للنعمة المفقودة وفى كلام
 بعضهم ان كفران النعمة
 يوارى قلبا أقشعت نافرة
 فرجعت فى نصابها فاستدع
 ساردها بالشكر واستدم
 رانها بكرم الجوار واعلم
 ان سبوغ ستر الله تعالى
 متخلص عما قزيب اذا
 أنت لم ترج الله وقار أى لم
 تشكر لله نعمته (ومن
 كفر) يترك الشكر على
 النعمة (فان ربي غنى)

ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه
 لانه أعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قرآناه علما وفهما فعلى هذا يكون مخاطب العفريت الذى كلفه
 فاراد سليمان اظهار معجزة فتحدهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى
 للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به اذا الجلال والاكرام وقيل يحيى ياقوم وروى ذلك عن عائشة وروى
 عن الزهري قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب بالهناء والكل شئ الها واحد الاله الأنت اتنى بعرضها
 وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو
 اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فملوا السرى ويجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدي سليمان
 وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرى سليمان
 فقال ما قال (أنا آتيلك به قبل ان يرد اليك طرفك) قال سليمان هات أنت النبي ابن النبي وليس أحد
 عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فى عبا العرش فى الوقت (فلما رآه) يعنى
 رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أى نحو ولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف (قال هذا
 من فضل ربي ليلونى) يعنى انتم كن من حصول المراد (أشكر) أى نعمته على (أم أكفر) فلا أشكرها
 (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامه لان
 الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فان ربي غنى) أى عن شكره لا يضره ذلك
 الكفران (كريم) أى بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال
 نكرو والهاعرشها) يعنى غير واسر بها الى حال تنكروها اذا رآه قيل هو أن يزدقيه أو ينقص منه وقيل انما
 يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر احمر (تنظرا ثم تدى) الى معرفة
 عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما جعل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب
 وغيرهما ان الشياطين خافت أن يترجوها سليمان فتفتشى اليه أسرار الجن لان أمها كانت جنة واذا ولدن
 ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها البرهده وهما قالوا ان فى عقلا شيا
 وان رجلا كحافر الجار وانهم اشعراء السابقين فاراد سليمان أن يختبر عقلا بتسكير عرشها وينظر الى قدمها
 بيناء الصرح (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك قالت كانه هو) قيل انها عرقته ولكنها شبت عليهم كما
 شمو اعلمها وقيل انها كانت حكيمه لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا قالت
 كانه هو فعرف سليمان كمال عقلا بحيث لم تقروم تنكروم وقيل اشبه عليها أمر العرش لانها تركته فى بيت
 عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فاعنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم
 من قبلها) أى من قبل الآتية فى العرش (وكننا مسلمين) أى منقادين لمنطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل

عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطى ما كان من ان الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو قوله
 البناوله المنقولة فضل علينا (قال نكرو والهاعرشها) غير رأى اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (تنظر) بالجزم على الجواب (أنت تدى)
 الى معرفته عرشها وللجواب الصواب اذا سئلت عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) بليقيس (قيل أهكذا عرشك) بالالتبيه
 والكاف للتشبيه وذو السهم اشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قالت كانه هو) فأجابت أحسن جواب فلم
 تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلا حيث لم تقطع فى المحتمل للامر من أو ماشبهوا واعلمها بقولهم أهكذا عرشك شبت عليهم بقولها
 كانه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بليقيس أى وأوتينا العلم بقدره الله تعالى وبهجة نبوتك بالآيات المتقدمة
 من أمر الهدى والرسل من قبل هذه المعجزة أى احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكننا مسلمين) منقادين لآياتها مطيعين لامر الله ومن كلام

سليمان وملئته عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها وأوتينا العلم بأسلامها ومجيباتها طاعة من قبل مجيباتها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أي وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم إلى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (٣٨٧) (إنها كانت من قوم كافرين) أو كلام مبتدأ أي قال الله

قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدى والرسل من قبلها أي من قبل الآتية في العرش وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما شاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بجزء العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم بأسلامها ومجيباتها طاعة من قبل مجيباتها طاعة وكنا مسلمين لله قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (إنها كانت من قوم كافرين) أخبر الله أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الإعبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك أن سليه ان لما اختبر عقلها بتكبير العرش وأراد أن ينظر إلى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفها لما أخبرته الجن ان رجليها ككافر حمار وهي شعراء السابقين أمر الشياطين فعملوا لها قصر من الزجاج الأبيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحتها الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رآته حسبت لجة) أي ماء عظيما (وكشفت عن ساقها) لتغوص الماء إلى سليمان فاذا هي أحسن النساء ساقا وقد ما لآنها كانت شعراء السابقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال انه صرح مجرد) أي ملمس (من قوارير) زجاج وليس بماء فبينت سترت ساقها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها ما بلغت الصرح وظننته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يعزقني وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في أمر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى أمرها إلى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة اني لم يمدني حد يد فقط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا الاندرى فسأل الشياطين فقالوا نحتاج لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها جدا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبيسنون ونجدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه فقالت ومثلي يا بني الله ينسكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسايطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله قالت فان كان ولا يد فرجني ذات ببع لك همدان فرجها اياه وذهب بها إلى اليمن وملك زوجها ذات ببع على اليمن ودعا زوجه ببع ملك الجن وقال له اعمل لذي تبغ ما استملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الماول وعلم الجن موت سليمان فقبل رجل من قومهم حتى باع جوف اليمن وقال باع لي صرته يا عشرين ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك لذي تبغ وملك بلقيس وبق الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث

تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سوا السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل (قيل لها ادخلي الصرح) أي القصر أو صحن الدار (فلما رآته حسبت لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقها) ساقها بالهمزة مكى روى ان سليمان أمر قبل قدميها فبنى له على طريقتها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحتها الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما قيل ذلك ليزيدها استعظام الامر وحقا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يترجوها فنقضى اليه بأسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والانس فيخترجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد قوة لواله ان في عقلا شيا وهي شعراء السابقين ورجلها ككافر الحمار فاختر عقلها بتكبير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها

ورجلها فكشفت عنها ما فاذا هي أحسن الناس ساقا وقد ما الانه شعراء فصرف بصره (قال) لها (انه صرح مجرد) ملمس مستو ومنه الامر (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فذكره شعراء فعملت لها الشياطين النورة فآزالتها فنيكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قال المحققون لا يحتمل أن يحتمل سليمان لينظر إلى ساقها وهي أجنبية فلا يصح القول بذلك

(واقدر سلنا الى غودا خاهم) في النسب (صالحا) بدل (ان عبدو الله) بكسر الهمزة في الوصل عاصم وحزة و بصري يضم النون غيرهم
اتباع الالباء والمعنى بان عبدو الله وحدوه (فاذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة وهي العامل في اذا والمعنى فاذا
قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله قال الملائكة الذين استكبروا ومن قومه للذين
استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انما أرسلنا رسلا بالبينات وانما كنا نعبد الله وانا بالمؤمنين فقلنا
الفريق الكافر يا صالح اتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستجيبون بالسيئة) بالعذاب الذي توعدون (قبل الحسنة) قبل
التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفر بالتوبة والايان قبل نزول العذاب بكم (لعلمكم ترجون) بالاجابة (قالوا اطيرنا
بلن) تشاء منا بل لانهم قطعوا عند معيتم لتكذيبهم فنسبوه الى نجسهم والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف اسكون
الطاء (وبين معن) من المؤمنين (قال طائر كم عند الله) أي سبيكم الذي يحسى عن من خبير كوشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو علمكم مكتوب
عند الله فأنزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه كل انسان ألزمت طائرته في عنقه وأصله ان المسافر اذا امر بطائر فيجزه فان مر سائحان من
واذا امر بارحاشاهم فلما نسبوا (٣٨٨) الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببه ما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو

السبب في الرحمة والنقمة
(بل أنتم قوم تقتنون)
تخبرون وتعذون بدينكم
(وكان في المدينة)
مدينة ثمود وهي الحجر
(تسعه رهط) هو جمع
لواحد له ولذا جاز قبيز
التسعة به فكانه قيل تسعة
أنفس وهو من الثلاثة الى
العشرة وعن أبي ذؤاد أنهم
قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقرب الناقة وكانوا
أبناء أشرفهم (يفسدون
في الارض ولا يصلحون)
يعنى ان شأنهم الافساد
البحر لا يحاط بشئ من
الصالح كما ترى بعض
المفسدين قد يدر منه بعض
الصالح وعن الحسن

عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل (واقدر سلنا الى غودا خاهم صالحا ان عبدوا
الله) أي وحدوه لا يشركوا به شئاً (فاذا هم فريقان) أي مؤمن وكافر (يختصمون) أي في الدين كل
فريق يقول الحق معنا (قال) يعنى صالحا للفريق المكذب (يا قوم لم تستجيبون بالسيئة) أي بالبلاء
والعقوبة (قبل الحسنة) أي العاقبة والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة اليه من الكفر
(لعلمكم ترجون) أي لا تعذون في الدنيا (قالوا اطيرنا) أي تشاء منا (بل وبين معن) قيل انما قالوا ذلك
لتفريق كلمتهم وقيل لامسالك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال
طائر كم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر يا رب الله مكتوب عليكم سمي طائر الاله لاشئ أسرع من نزول
القضاء المحتموم وقال ابن عباس الشؤم الذي أنما لكم من عند الله بكفركم وقيل طائر كم أي علمكم عند الله سمي
طائر السرعة صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تقتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه
تعذون قوله تعالى (وكان في المدينة) يعنى مدينة ثمود وهي الحجر (تسعه رهط) يعنى من أبناء أشرفهم
(يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على
عقر الناقة ورأسهم قد ار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعنى يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أي القوم
(لبنينته) أي لتقتلنه ليلاً (وأهله) يعنى قومه الذين آمنوا معه ثم لنقران لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا)
أي ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندرى من قتله ولا هلاك أهله (وانا لصادقون) أي في قولنا ما شاهدنا ذلك
(ومكر وامكرا) أي غدر واغدر احين قصدوا تبييت صالح وأهله (ومكر نامكرا) أي جازيناهم على مكرهم
بتجيب العذاب (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أمادمرناهم) أي أهلكتناهم أي التسعة
قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك اليلة الى دار صالح يحرسونه فانت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم
وسيقوهم فرمتم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهالك الله جميع القوم

يظلمون الناس ولا يخشون الناس من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معائب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا
تقاسموا بالله) تحالفوا بحرفي محل الحال باضمار قد أي قالوا متقاسمين أو امر أي أمر بعضهم بعضا بالتقاسم (لبنينته) لنقتلنه بيا أي ليلاً
(وأهله) ولده وتبعه (ثم لنقران لوليه) لولي دمه لتبنيته بالتعاقب يضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتعاقب يضم اللام جزءة على (ما شهدنا) ما حضرنا
(مهلك أهله) حفص مهلك أبو بكر وجاد والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان
الاهلاك أي لم تعرض لاهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناها (وانا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكر وامكرا
ومكر نامكرا وهم لا يشعرون) مكرهم ما حضرهم من تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه مكر الماكر
على سبيل الاستعارة وروى انه كان صالح مسجد في الحجر في شعب يصلى فيه يقولوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل
الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناه فبعث الله صخرة من الهضب حياهم فبادر واقتطعت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدر واما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجس صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم أمادمرناهم) بفتح الالف كوفي وسهل وبكسرهما غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره هي تدبيرهم أو نصبه على معنى لانا راعى أنه خبر كان أي في مكان عاقبة مكرهم الامار

بالصحة

(وقومهم أجمعين) بالصحة (فذلك بيوتهم خاوية) ساقطه فهدمته من شوى النجم اذا سقط أو ضالته من الخوا وهى حال عمل فم امدل عليه تلك (بما ظموا) بظلمهم (ان فى ذلك) فيما فعل بنود (لا به لقوم يعلمون) قدر تنافيت مغفون (وأخبينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا أربعة آلاف تجوامع صالح من العذاب (ولو طاد اذقال) واذ كر لو طاد اذ بدل من لو طاد أى راذ كر وقت قول لوط (لقومه أتأتون الفاحشة) أى اتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسمقوا اليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لاهم كانوا يرتكبونها في نادهم مع النبي صلى الله عليه وآله لا يستر بعضهم من بعض بحجته وانما كفى المعصية أو تبصرون أن نار العصاة قبلكم وما نزلهم ثم صرح فقال (أننكم) بهم مرتين كوفى وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذ كرو لم يخلق الذكركلذ كرو الانثى للذنى فهو مضادة لله فى حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة منع علمكم بذلك أو يزيد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبية فى قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبية لانه أقوى اذا اصل أن يكون الكلام بين الحاضر من (فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا أخر جوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فغير كان جواب واهمه أن قالوا (من قريتكم أنهم أناس يتطهرون) يتزهون عن القاذورات (٣٨٩) ينكرون هذا العمل القذرو بغيتنا

انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لانت الحليم الرشيد (فانحناه) نقلناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله الامراءه قدرناها) بان تشديد سوى جاد وأبى بكر أى قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين فى العذاب (وأطرنا عليهم مطرا) حجاره مكتوب عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الاذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بحميدته ثم بالصلاة على المصطفى من عباده طوطشة لما يتلو من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل مستكلم فى كل

بالصحة (وقومهم أجمعين) فذلك بيوتهم خاوية بما ظموا (أى بظلمهم وكفرهم) (ان فى ذلك لآية) أى لعبرة (لقوم يعلمون) أى قدرتنا (وأخبينا الذين آمنوا كانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف ﴿قوله تعالى﴾ (ولو طاد اذقال لقومه أتأتون الفاحشة) أى الفعله القبيحة (وأنتم تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضهم بعضا وكانوا لا يبصرون عتواتهم (أننكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعد ذلك قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا أخر جوا آل لوط من قريتكم أنهم أناس يتطهرون) يعنى من أدبار الرجال (فانحناه وأهله الامراءه قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليهم ان جعلناهم من الباقين فى العذاب (وأطرنا عليهم مطرا) أى الحجارة (فساء) أى قبئس (مطار المنذرين) ﴿قوله عز وجل﴾ (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمد على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آله خير مما يشركون) فيه تبيك للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آله خير لمن عبده أم الاصنام ان عبدها فان الله خير من عبده وآمن به لا غنا عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب وهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكلال قدرته ﴿قوله﴾ فالنوع الاول قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آله خير أم الذى خلق السموات والارض ﴿قوله﴾ ثم ذكر نعمه فقال (و نزل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حنائق) أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن والبهجة

أمر ذى بال بان يتبرك بهم ما يستظهر بمكان ما وهو خطاب للوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آله خير أم يشركون) بالباء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى توازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتكبحهم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شئ الا لداع يدعوه الى اشارة من زيادة خير ومنفعة فقبل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثره لزيادة الخير ولكن هوى وعشائنيته وعلى الخطأ المفرط والجهل المورط ويعلمون ان الاشارة التى هى آثار رحمة وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أما يشركون وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمة وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أما يشركون وأمن خلق السموات ان اللام متصلة اذ المعنى أي ما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمز قولما قال آله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقرر بالهم بان من قدر على خلق العالم خير من جاد لا يقدر على شئ (وأ نزل لكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيذا للمعنى اختصاص الفعل بذاته وايدان بان انبات الحنائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنهما بما وجد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالهاء (حنائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداث وهو الاحاطة (ذات) ولم يقبل ذوات لان المعنى جماعة حنائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان المناظر يتيسر به ثم رجع معنى الاختصاص بقوله

(ما كان اسمك أن تبتوا شجرها) ومعنى التكينونة الانبعاث أو اذ ان تأتى ذلك فعمل من غيره (أله مع الله) أغبره بقرن به ويجعل شربك كاله (بل هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطأ باغ في تحطه من أجهم (أمن جعل الارض) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وجعل خلالها) ظرف أى وسطها وهو المفعول الثانى والأول (أنهارا) وبين البحر من مثله (وجعل لها) للارض (رواسى) جبالا لمنعها عن الحركة (وجعل بين البحر من) العذب والمالح (حاجزا) مانعا ان يتخاطبا (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرارا فتعال من الضرورة وهى الحالة المحوججة الى اللجاء يقال اضطره الى كذا والفعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله أو المذنب اذا استغفر أو المظلوم اذا دعا أو من رفع يديه ولم يلف نفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضرر أو الجور) ويجعلكم خلفاء (٣٩٠) الارض) أى فيها وذلك نوازتهم سكاها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أربابا لخلافة الملك والتسلسل

الحسن يتبع به من راء (ما كان لكم أن تبتوا شجرها) يعنى ما ينبغي لكم لانكم لا تفتقدون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المذنب للشجرة بان أغرسها أو أسقىها الماء فالله هـ هذه الشهية بقوله ما كان لكم أن تبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لا يقدر عليه الله تعالى ولا يتأتى لاحد وان تأتى ذلك لغيره بحال (أله مع الله) يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) بشر كون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل النوع الثانى قوله عز وجل (أمن جعل الارض قرارا) أى دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لا تبتدأ بها لها (وجعل خلالها أنهارا) أى وسطها بانهارا تطرد بالمياه (وجعل لها رواسى) أى جبالات (وجعل بين البحر من) يعنى العذب والمالح (حاجزا) أى مانعا لا يتخاطب أحدهما بالآخر (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) أى توحيد ربهم وقدرته وسلطانه النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أى المكروب المجهد وقيل المضرور بالحاجة المحوججة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (اذا دعاه) يعنى فيكشف ضره (ويكشف السوء) أى الضر لانه لا يقدر على تغيير حاله من فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذى لا يعجز والقاهر الذى لا يغلب ولا ينازع) ويجعلكم خلفاء الارض) أى سكانها وذلك انه وورثهم سكاها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن فى الارض (أله مع الله قلبا لامتدكرون) أى تتعظون النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) أى يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أى قدام المطر (أله مع الله تعالى الله عما يشركون) النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أى نطقا فى الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (أله مع الله قل ها توأبرهاتكم) أى حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين) قوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) نزلت فى المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أيات يعثون) يعنى ان من فى السموات وهم الملائكة ومن فى الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادرك علمهم) أى بلغ

(أله مع الله قلبا لامتدكرون) وبالنباء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلى وحفص وما مزيدة أى تذكرون تذكرا قلبيا (أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (فى ظلمات البر والبحر) ليلا وبعلامات فى الارض نهارا (ومن يرسل الرياح) الريح مكى وحزمة وعلى (بشرا) من البشارة وقدم فى الاعراف (بين يدي رحمته) قدام المطر (أله مع الله تعالى الله عما يشركون) أى يبدأ الخلق) ينشأ الخلق (ثم يعيده) وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للعادة لانه أزيحت علمتهم بالتمكن من المعرفة والقرار فلم يبق لهم عذر فى الإنكار (ومن يرزقكم من السماء) أى المطر (والارض) أى ومن الارض النبات (أله

مع الله قل ها توأبرهاتكم) حجتكم على انتم كما (ان كنتم صادقين) فى دعواكم ان مع الله الها آخر (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى على ان يكون ممن فى السموات والارض واكنه جاء على لغة بنى تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجزون النصب والبدل فى المنقطع كما فى المتصل ويقولون ما فى الدار أحد الا جاور وقال عائشة رضى الله عنها من زعم انه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت فى المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيات) متى (يعثون) ينشرون (بل ادرك) مكى وبصرى ويزيدوا الفضل أى انتمى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افعل بل ادرك غيرهم استحكم وأصله تدرك فاذنمت التاء فى الدال وزيد ألف الوصل يمكن التكلم بها (علمهم)

في الآخرة) أي في شأن الآخرة وعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفة وهم
 شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها معون) والاضرابات الثلاث تنزل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أو لآبائهم
 لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخفون في شك ومريبة فلا يزالونه والازالة مستطاعة ثم عاها أو أحوالا
 وهو العمى وقد جعل الآخرة مبدء أعمالهم ومنشأه فلذا دعا ابن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكير
 ووجه ملامة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتفكير من المعرفة بما قبله وهو
 اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل
 به ان عندهم عجز أبلغ منه وهو انهم يقولون للكان الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه
 واستحكام العلم به وجزأت يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله ثم تكلمهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل المهزوم ذلك حيث
 شكوا وعوا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلول فضا لان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويحوز ان يكون أدرك بمعنى
 انتهى وفي من قولك أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعادم وقد فسرنا الحسن باضعل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو
 فلان اذا تتابعوا في الهلاك (وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابا وأبوابا وأنا أننا نخرجون) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام في اذا وانا
 في قراءة عاصم وحذرة وخلف انكار بعد انكار وجود عقيب محمود ودليل على (٣٩١) كفرهم أو كذبهم في العلم والعمل في اذا

مادل عليه يخرجون وهو
 تخرج لان اسم الفاعل
 والمفعول بعد همزة
 الاستفهام أو ان اولام
 الابتداء لا يعمل فيما قبله
 فكيف اذا اجتمع عن
 والضمير في انالهم ولا تأتهم
 لان كونهم ترابا قد تناولهم
 وآباءهم لكنهم غلبت
 الحكاية على الغائب
 وآباؤنا عطف على الضمير
 في كالان المفعول جري
 مجرى التوكيد (لقد
 وعدنا هذا) أي البعث
 (نحن وآباؤنا من قبل)

ولحق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها
 ماشكوا فيه وعوا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل
 هم منها معون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة
 يستوى علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله
 تعالى (وقال الذين كفروا) أي مشركو مكة (أنذا كنا ترابا وأبوابا وأنا أننا نخرجون) أي من قبورنا أحياء
 (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشيء
 (ان هذا) أي ما هذا (الأساطير الاولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الارض
 فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق
 مما يذكرون) نزلت في المستهزئين الذين اتسموا بعقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل
 عسى ان يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناه ردفكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب
 فحل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يجعل لهم
 بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تخفي (وما
 يعلنون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر

من قبل محمد صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا في المؤمنون نحن وآباؤنا على هذا البدل على ان المقصود بالذكر هو البعث
 هنا وعت المبعوثون (ان هذا الأساطير الاولين) ما هذا الأحاديثهم وأكاذيبهم (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
 المجرمين) أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى قدم مدم عليهم ربهم بذنوبهم وقوله مما
 خطبوا تم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فبساوا (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر (مما يذكرون) من
 مكربهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا لفتح وهو قراءة غير ابن كثير بالكسر وهو قرأته (ويقولون
 متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذب (قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون)
 استعجلوا العذاب الموعود فقبل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزبدت اللام للتأكييد كالباء في ولا تأمروا بالبدع
 الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى واعل وسوف في وعد الملوكة ووعيدهم
 يدل على صدق الامر ووجه فعل ذلك جري وعد الله ووعيده (وان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بترك المعالجة بالعذاب
 (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وان ربك ليعلم
 ما تكن تخفي) صدورهم وما يعلنون) يظهر من القول فلايس تأخير العذاب عنهم لحفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم ما تخفون
 وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبتهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كنت الشئ وأكفنته
 اذا سترته وأخطيته (وما من غائبة)

في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمي الشيء الذي يغيب ويخفي غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء في العاقبة والعاقبة ونظائرهما الرمية
والذي يحسبه والنطقة في انحاء السماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاوهما للمبالغة كالراوية كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة الا وقد
علمه الله واطا طبه واثبتته في الواح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي بين
لهم (أ- كثر الذي هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا في المسيح فتخز بواقبه احرابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد
نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لولا انصفوا واخذوا به واسألوا ربهم اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدي ورحمة للمؤمنين) لمن
انصف منهم-م وآمن أي من بني (٣٤٢) اسرائيل او منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضي بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه)

بعده لانه لا يقضى الا
باعدل فسمي المحكوم به
حكما او بحكمته ويدل عليه
قراءة من قرأ بحكمه جمع
حكمة (وهو العزيز) فلا
يرد قضاؤه (العليم) بمن
يقضى له ومن يقضى عليه
أو العزيز في انتقامه من
المبطلين العليم بالفضل
بينهم وبين المحققين (فتوكل
على الله) أمره بالتوكل
على الله وقلة المبالاة بآداء
الدين (انك على الحق
المبين) وعلل التوكل بانه
على الحق الابج وهو الدين
الواضح الذي لا يتعلق به
شك وفيه بيان ان صاحب
الحق حقيق بالوفاق بالله
و بنصرته (انك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
اذ اولوا مدبرين وما أنت
بهادي العمى عن
ضلاتهم) لما كانوا لا يعون
ما يسمعون ولا به ينتفعون
شبهوا بالموتى وهم احياء
صاح الحواس وبالصم
الذين ينطقون فلا يسمعون
وبالعمى حيث يضلون
الطريق ولا يقدر احد ان

وشي غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) يعني في الواح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل) أي بين لهم (أ- كثر الذي هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا
فيما بينهم فصاروا احرابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن
(لهدي ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) أي يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة
(بحكمه) أي الحق (وهو العزيز) الممتنع الذي لا يرده أمر (العليم) أي بأحوالهم فلا يخفي عليه شيء منها
(فتوكل على الله) أي فتق به (انك على الحق المبين) أي البين (انك لا تسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم
الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذ اولوا مدبرين) أي معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع
صوتا سواء أقبل أو أدبر قلت هو توكيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو
يفهم بالاشارة فاذا اولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم لم يفرطوا في اعراضهم عما يدعون اليه كآيت الذي
لا سبيل الي سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادي العمى عن ضلاتهم) معناه ما أنت بمرشد
من أسماء الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن أنه
من الله (فهم مسلمون) أي تخلعون عن قولهم تعالى (واذ وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب
وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالاعتراف ولم ينهوا عن المنكر
وقيل اذ المبرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخر جنالهم دابة من الارض) (م) عن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادر وبالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان
والدجال والدابة ونحوها صفة ما حدثكم يوم العامرية (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى
وأيتها كانت قبل صاحبها فلا خرى على اثرها قريبا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلبو وجهه المؤمن وتخلم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل
الحق يجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى
البغوي باسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج
خروجها قصي اليمن فيفسد كرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكت زمانا طويلا ثم تخرج
خروجها أخرى قريبا من مكة فيفسد كرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في
أعقاب المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو
وتدنو كذا قال عمر وما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن ابن الخار ج في وسط من ذلك فارفض الناس
عنها وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يجر والله نخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فقلت
وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب البرية ثم رأت في الارض لا يدركها طاب ولا يجزها هارب حتى
ان الرجل ليقوم فيعود منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الا تصلني فيقبل عليها بوجهه

ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصره الا الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله اذ اولوا مدبرين لانه اذا تبعه عن الداعي بان
تولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا في الروم وما أنت تهدي العمى وكذا في الروم حمزة (ان تسمع الامن
يؤمن بآياتنا) أي ما يجدي اسماعك الاعلى الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) تخلعون من قوله بلى من
أسلم وجهه لله يعني جعله سائلا لله خالصا (واذ وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب
ووقوعه حصوله والمراد مشاركة الساعة وظهورها وشرطها وحين لانفع التوبة (أخر جنالهم دابة من الارض

تسكاهم) هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب ورش و جناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون غر وخاصة هرة وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثنا عشر ذراعا يخرج من الصفاق تسكاهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروجهم من الآيات وتقول ألعنة الله على الظالمين أو تسكاهم بطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح أن كوفي وسهل على حذف الجار أي تسكاهم بان وغيرهم كسر والان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول (٢٩٣) أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى

بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من التبويض أي واذ كر يوم تجتمع من كل أمة من الأمم زمرة (ومن يكذب بكذب) من التبييض (باياتنا) المنزلة على آياتنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال لهم تعالى تهديدا) أ كذبتم يا باني المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للتحال كأنه قال أ كذبتم يا باني بادئ الرأي من غير تفكير ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول

فسمي في وجهه فنجاور الناس في ديارهم ويصلحون في أسفارهم ويشتريون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يامؤمن ولا تكفريا كافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فيبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها لمعدنات وروريش ان يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسمي الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصا هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسبرون الى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشب الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسميها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسيها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخصرتها خاصة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمر قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها حمية وقال وهب وجهها وجه جمل وسائر خلقها تخلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا يحمدون القرآن لا يوقنون (تسكاهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخذ به الله تعالى (ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تسكاهم بتخفيف اللام من الكتم وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية تسكاهم وتكاهم فقال كل ذلك نفع تكلم المؤمن وتكلم الكافر ﴿ قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي نحشر من كل قرن جماعة (ومن يكذب باياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار (حتى اذا جاؤا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أ كذبتم يا باني ولم تحيطوا بها علما) أي ولم تعرفوها حق معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) أي حين لم تفكروا فيها وقيل معنى الآية أ كذبتم يا باني غير العالمين بما لم تفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) أي وجب العذاب عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة وقيل ان أفواههم مخرومة (أم يروا انا جعلنا) أي انا خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصر) أي مضيا يصبر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) أي يصدقون فيعتبرون ﴿ قوله تعالى (ويوم ينفع في الصور) هو قرن ينفع فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجتمع في القرن ثم ينفع فيه فتذهب في الاجساد فتجيبها بها الاجساد (ففرع) أي فصعق (من في السموات ومن في الارض) أي ما نوا والمعنى انه يلقي عليهم الفرع

(٥٠ - حازن) - ثالث) عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (أم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصر) حال جعل الالبصار للنهار وهو لاهله والتقابل مرعي من حيث المعنى لان معنى مبصر البصر وافية طرق القلب في المكاسب (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه لم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما لعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذ كر يوم (ينفع في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والناصح اسرافيل عليه السلام (ففرع من في السموات ومن في الارض) اختير فرع على يفرع

لا شعاع بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (الامن شاء الله) الامن ثبت الله قلبه من
الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وجملة العرش وعن جابر
رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (وكل آتوه) حجرة
وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله (٣٩٤) آتوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره

تعالى وانقيادهم له (وترى
الجبال تحسبها) بفتح السين
شامى وحجرة ويزيد وعاصم
وبكسرهما غيرهم حال من
المخاطب (جامدة) واقفة
ممسكة عن الحركة من جد
في مكانه اذ لم يبرح (وهي
تمر) حال من الضمير المنصوب
في تحسبها (مر السحاب)
أي مثل مر السحاب والمعنى
انك اذا رأيت الجبال وقت
النفخة ظننتها ثابتة في
مكان واحد لعظماها وهي
تسير سيرا سريعا كالسحاب
اذا ضربته الريح وهكذا
الاجرام العظام المتكاثرة
العدد اذا تحركت لا تكاد
تبين حركتها كما قال النابغة
في صفته جاش
بأر عن مثل الطود تحسب
انهم
وقوف لحاج والركاب ثم ملج
(صنع الله) مصدر عمل فيه
مادل عليه تمر لان مرورها
تمر السحاب من صنع الله
فكأنه قيل صنع الله ذلك
صنعا واذ كرام الله لانه لم
يذكر قبيل (الذي أتقن كل
شيء) أي أحكم خلقه (انه
خبير بما يفعلون) مكي
وبصري غير سهل وانو بكر
غير محي وغيرهم بالتاء أي

الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب
العالمين (الامن شاء الله) روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الامن شاء الله قال هم
الشهداء مقلدون أسيا فهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل اليهم
الفزع وقيل يعني جبريل وميكائيل وسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة وروى ان الله
تعالى يقول الملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذ نفسه ثم يقول من يقى بملك الموت فيقول سبحانك ربى
تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقى جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ
نفس ميكائيل فياخذ نفس ميكائيل فيقع كالمطود العظيم فيقول من يقى من خلقي فيقول سبحانك ربى تباركت
وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت بملك الموت فيقول يا جبريل من يقى فيقول تباركت
وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقى وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفانى فيقول الله يا جبريل لا بد من
موتك فيقع ساجدا يخفق بجانبه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على طرب من
الطراب وروى أنه يبقى مع هؤلاء الاربعة حلة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح
جملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطوى السجل للكتاب ثم
يقول الله أنا الجبار المن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى الله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء ثم ينفخ
فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى أخذ بقائه من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله
عز وجل أمر رفع رأسه قبلى ومن قال أنا خير من نونس متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان
والحور ومالك والزبانية وقوله تعالى (وكل الذين أحيوا بعد الموت) (آتوه) أي جاؤه (داخرين)
أي صاغرين ﴿ قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي قائمة واقفة (وهي تمر من السحاب) أي تسير
سيرا السحاب حتى تقع على الارض فتسوي بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر
عنه البصر لكثرته وعظامه وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال
يوم القيامة لا يرى لعظماها كأن سير السحاب لا يرى لعظامه (صنع الله الذي أتقن كل شيء) يعني انه تعالى
لما قدم هذه الاشياء كلها التي لا يقدر علمها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي اتقنها وأحكمها وأتى بها
على وجه الحكمة والصواب (انه خبير بما يفعلون) ﴿ قوله تعالى (من جاء بالحسنة) أي بكامة الاخلاص
وهي شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنه كل طاعة عملها الله عز وجل (فله خير
منها) قال ابن عباس فيها يصل الى الخير بمعنى انه له من تلك الحسنه خير يوم القيامة وهو الثواب والامن
من العذاب أما من يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من الايمان وقيل هو جزاء الاعمال
والطاعات والثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل
معنى خسر منها الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرة اضعافها لان الحسنه استحقاق العبد والتضعيف تفضل
الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في
السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يبعث
من رعب وهيبه وان كان المحسن بأمن وصول ذلك الضرر اليه فاما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب

انه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أي بقول لا اله الا الله عند الجهور (فله خير
منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها في موضع رفع صفة خير أي بسببها (وهم من فزع
كوفي أي من فزع شديد مقطر الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم
والراد يوم القيامة (آمنون) أمن يعدي بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله

(ومن جاء بالسبيته) بالشرك (فكبت وجوههم في النار) يقال كبت الرجل ألقىته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أي ألقوا في النار. ويقال لهمم تبيكتا عند الكعب (هل تجزون الاما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك والمعاصي (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرمها) جعلها حراماً آمناً من فيها الا حبي البها ولا يتخلى سداها ولا يعرض شوكتها ولا ينفر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو ما لك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتسع ما يوحى اليك من ربك أمر رسوله بان يقول أمرت ان أخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكاً كما فعلت قريش وان أكون من الخنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمها اليها لأنها أحب بلادها وأعظمها عنده وأشار اليها (٣٩٥) بقوله هذه إشارة تعظيم لها وتقریب

دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحده ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبية وملكوته كالتابع لدخولها تحتها (فن اهتدى) باتباعه اياي فيما أبصده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في المسئلة الخفية واتباع ما أزل على من الوحي (فانما هتدى لنفسه) فمغفرة اهتدائه واجعة اليه لاني (ومن ضل فقل انما اتامن المنذرين) أي ومن ضل ولم يتبعني فلا على وما أنا الا

فهم آمنون منه وأما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاله والذلا ينقل منه أحد (ومن جاء بالسبيته) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبروا وطرحوا جميعهم في النار (هل تجزون الاما كنتم تعملون) أي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الاما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك ﴿وقوله تعالى﴾ (انما أمرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما أمرت (ان أعبد رب هذه البلدة) يعني أمرت ان أخص بعبادتي وتوحيدى الله الذى هو رب هذه البلدة بمعنى مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها إشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحده (الذي حرمها) أى جعلها الله حراماً آمناً لا يفسد فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يتخلى سداها ولا يدخلها الا محرماً وانما ذكر انه هو الذى حرمها لان العرب كانوا يعترفون بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لان الاصنام (وله كل شيء) أى خلقا وملكا (وأمرت ان أكون من المسلمين) لله المطيعين له (وان أتلو القرآن) أى أمرت ان أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به (فن اهتدى فانما هتدى لنفسه) أى نفع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) أى عن الايمان وأخطأ طريق الهدى (فقل انما اتامن المنذرين) أى من المخوفين وما على الا البلاغ نستحنى آية القتال (وقل الحمد لله) أى على جميع نعمه وقيل على ما وقعنى من القيام باداء الرسالة والانتذار (سير يك آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أى فتعرفون الآيات والدلالات (ومار بك بغافل عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة القصص)

رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ما حوله من نعمته النبوة التي لا توارى بها نعمة وان يهدد أعداءهم بما سير بهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنوا به او قيل هو انشقاق القمر

وهي مكة الا قوله تعالى الذين أتيناهم الكتاب الى قوله لا يتبعى الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذى فرض علينا القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأربع مائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله عز وجل﴾ (طسم تلك) إشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو الوحي المحفوظ وقيل هو الكتاب الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام (نتلو عليك من نبا) أى خبر (موسى وفرعون بالحق) أى بالصدق (لقوم يؤمنون) أى يصدقون بالقران (ان فرعون علا) أى تجبر وتكبر (في الارض) أى أرض مصر (وجعل أهلها شيعا)

والنحان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (ومار بك بغافل عما تعملون) بالتمام مدنى وشامى وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالباية غيرهم أى كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالعقله والسهو لا يجوز ان عليه *(سورة القصص مكة ثمانون وثمان آيات)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)* *(طسم تلك آيات الكتاب المبين) يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد ويقال بنته فبان لازم ومتعد أى مبين خبره وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعود والوعيد والاحلاص والتوحيد (نتلو عليك) نقر أعليك أى يقرؤه جبريل بامرنا ومفعول نتلو (من نبا موسى وفرعون) أى نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) حال أى محققين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون علا) جملة مستأنفة كالتفسير للجمل كان فاقه لا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا) طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر واقتخر بنفسه ونسى العبودية (في الارض) أى أرض مملكته يعنى مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا بشيعونه على ما يريد

و يطعونه إلا تلك أحسد منهم أن يلقى عنقه أو فرقا تخلفه بكرم طائفة و يهين أخزى فأكرم القبلى وأهان الاسرائيلى (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم) أى يترك البنات احياء للخدمة و سب ذبح الابناء ان كاهنا قال له ولده مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فما معنى القتل ويستضعف حال من الضمير فى وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و يذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أى ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (وزيد أن من) تنفضل وهو دليل لنافى مسألة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون على ان الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسير النبى موسى وفرعون واقصا صاله أو حال من يستضعف أى يستضعفهم فرعون ونحن زيد ان عن عليهم و ارادة الله تعالى كائنه فجعلت كالمقارنة لاستضعفهم (على الذين استضعفوا فى الارض و نجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم فى الخير أو قادة الى الخير أو ولائهم و لا (و نجعلهم الوارثين) (٢٩٦) أى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (و يمكن) ممكن له اذا جعل

له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم فى الارض) أى أرض مصر والشام أن يجعلها حيث لا تنبؤ بهم ويسلط عليهم وينفذ أمرهم (وزى فرعون وهامان و جنودهما) بضم النون و نصب فرعون وما بعده وبالياء و رفع فرعون وما بعده على و جزة أى برون منهم ما حذروا ومن ذهب ملكهم وهلاكهم على يده مولود منهم ويرى نصب عطف على المنسوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (منهم) من بنى اسرائيل و يتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقى من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالرؤيا أو باختيار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحى رساله ولا تكون هى رسولا (أن أرضه) أى

أى فرقا فى أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعنى بنى اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم) سمي هذا استضعفا لانهم عجزوا وضعوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين) أى بالقتل والتخبر فى الارض (وزيد أن من) أى نعم (على الذين استضعفوا فى الارض) يعنى بنى اسرائيل (و نجعلهم أئمة) أى قادة فى الخير يقتدى بهم وقيل ولائهم و لا (و نجعلهم الوارثين) يعنى املك فرعون وقومه بان نجعلهم فى مساكنهم (و يمكن لهم فى الارض) أى توطن لهم أرض مصر والشام و نجعلها لهم سكا (وزى فرعون وهامان و جنودهم ما كانوا يحذرون) أى يخافون وذلك أنهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل و كانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون ﴿ قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى) هو وحى الهام وذلك بان قذف فى قلبها واسمها هو حان من نسل لاوى بن يعقوب (ان أرضه) قيل أرضه ثمانية أشهر وقيل أر بعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكى ولا يتحرك فى حجرها (فاذا خفت عليه) أى الذبح (فالقيه فى اليم) أى فى البحر وأراد به نيل مصر (ولتخافى) أى عليه من الغرق وقيل الضيعة (ولتخزنى) أى على فراقه (انارادوه اليك و جاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بنى اسرائيل لما كثروا بصرا استطلوا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوه الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام * (ذكر القصة فى ذلك) * قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابله من القوابل التى وكاهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم فعالت قبالتها فلما ان وقع موسى بالارض هالها فانور عينى موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتنى الامرادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شي مثل حبه فاحفظى ابنك فانى أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أختها يا أمها هذا الحرم بالباب فلنفته بخرقة وألقتهم فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تهقل ما صنع قال فدخولوا فاذا التنور مسجور ورؤا أم موسى ولم يتغير لها اللون ولم يظهر لها البن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لا خته فأئن الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي فى التنور فأنطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتمته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحياح فسرعون فى طلب الولدان سافت على ابنها فقذف الله فى قلبها أن تتخذ تابونا له

أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينمو عليه (فالقيه فى اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولتخافى) من الغرق والضياع (ولتخزنى) بفراقه (انارادوه اليك) بوجه لطيف لتر بيته (وجاعلوه من المرسلين) وفى هذه الآية أمران ونهيان ونهران و بشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لتوقع والحزن غم يلحقه لموافق وهو فراقه والاضطراب به فهنت عنهما وبشرت برده الهما وجعله من المرسلين و روى انه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف ولد و روى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فاعاجلتها فلما وقع الى الارض هالها فانور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك الا لاقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظه فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلنفته فى خوقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما صنع لها طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى اليها بالقائه فى اليم فالقته فى اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر

(فالتقطه آل فرعون) أخذوه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أي يصير الأمر إلى ذلك لأنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلده الوالد وهى لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة قال صاحب الكشاف هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك (٣٩٧) لتكرمنى ولكن معنى التعليل فيها

وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطع له شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المحبة (وحزنا) وحزن على وحزوة وهما الغنان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطئين تخفيف خاطئين أو جعفر أى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربي عدوهم ومن هو سب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين فى كل شئ فليس خطوهم فى تربية عدوهم يبدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرعة عينى لى ولك) روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدر واعليه فعالجوا كسره فاعياهم فذنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعاالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه فأجوهه وكانت لفرعون بنت رصاء فنظرت الى وجهه فقالت الغواة من قومه هو الذى تحذر منه فأذن لى فى قتله فهم بذلك فقالت آسية قرعة عينى ولك فقال فرعون لللالى وقى الحديث لوقال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل

ثم تقذف التابوت فى النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً صغيراً فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لى أخبؤه فى التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وجلته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشرب يديه فلم يدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضر به وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رده الله عليه لسانه فكلم فانطلق أيضاً يريد الامناء فأناهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً فضر به وأخرجوه وبقى حيران فجعل لله عليه ان رده عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر الله ساجداً فقال يارب دنى على هذا العبد الصالح فذله عليه فأمن به وصدقته وقال وهب لما حلت أم موسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش النساء فتفتش لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه علمت تابوتاً مطبقاً ثم ألقتة فى اليم وهو البحر لئلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والمحررة فنظروا فى أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبيل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيطبخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون فى جواربها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواربها تلاحهن وتنفض الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر قد تعلق بالشجر انتوى به فابتدره بالسفن من كل ناحية حتى وضعه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدر واعليه وعالجوا كسره فلم يقدر واعليه فذنت آسية فرأت فى جوف التابوت نوراً لم ير غيرهما فعاالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبي صغير فى التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ايامه يمص منه لبننا فالقى الله محبته فى قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسبل من أشد اقمن ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمتها الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انانظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا ربي به فى البحر فزعمت فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرعة عينى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكانت لا تلدها وستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لو قال يومئذ قرعة عينى لى كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقبل لآسية سميه قالت سميه موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر لان مو هو الماء وساهو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشئ من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) أى عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى آئين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لم يشعروا انه الذى يذهب بملكهم (وقالت امرأت فرعون قرعة عينى لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه

الفرض أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما سلمت وقرعة خبر مبتدأ محذوف أى هو قرعة لى ولك صفتان لقرعة (لا تقتلوه) خاطبته بطلب الملوكة أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه تخايل البين ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء) أو نتخذه ولداً) أو نتبناه فانه أهل لان يكون ولداً للملوك

(وهم لا يشعرون) حال وذو حالها آل فرعون وتقد بر الكلام فاتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبينه وقوله ان فرعون الآية جلة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لعنى خطايتهم وما أحسن نظام هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصرار (فؤاد أم موسى فارغا) صفران من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت وقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) انظهر به والضمير موسى والمراد بامرته وقصته وأنه ولدها قبل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وابناه وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول وابناه شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة أى (٣٩٨) انها كادت (لولا ان ربطناعلى قلبها) لولا ان ربطناعلى قلبها والربط على القلب تعويته

بالهام الصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو ان ارادوه البك وجوابا لولا لمخدوف أى لا بدته أو فارغان من هم حين سمعت ان فرعون تبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانهم تلك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا ان اطامنا قلبها وسكننا فاقه الذى حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الراضين بوعد الله لا تبدي فرعون قال يوسف بن الحسين امرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها السكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (فصبه) اتبعى أثره لتعلمي خبره (فبصرت به) أى أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهم لا يشعرون) انها أخته (وحرمناعليه) المنوع

ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما انظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاطه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أمالامسا كمين ترجهنم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليداً كبير من ابن سنة وأنت امرت ان تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندى وقيل انها قالت انه آثانا من أرض أخرى وليس هو من بنى اسرائيل فاستحياء فرعون وألقى الله سبحانه عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا الله به ولكن الله السقاء الذى كتبه الله عليه قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى خالبا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للروح الذى أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تاقبه في اليم ولانخاف ولا تحزن والعهد الذى عهد اليها أن برده اليها يجعله من المرسلين ففأها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقتة ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في يد عدوه الذى فررت منه فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أى لتصرح بأنه ابنها من شدة وجعلها قال ابن عباس كادت تقول وابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجهة وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتا عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحى الذى أوحى الله اليها أن بردها اليها (لولا ان ربطناعلى قلبها) أى بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بوعد الله ايها (وقالت لاخته) أى لريم أخت موسى (فصبه) أى اتبعى أثره حتى تعلمى خبره (فبصرت به عن جنب) أى عن بعد قيل كانت تمشى جانباً وتنظره اختلاساترى انها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها أخته وانها ترقبه (وحرمناعليه المراضع) المراد به المنوع قبيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كما أتوا برضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبيل) أى قبل بحجى أم موسى وذلك لما رأت أنه أخت موسى التى أرسلتها أمه في طلب ذلك (فقالت) يعنى أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمونه ورضعونه وهى امرأة قتل ولدها فاحب ما تدعى اليه أن تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) أى لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذاؤه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدليناعلى أهله قالت ما أعرفه ولكن فأت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك لرغبة في سرور الملك واتصاله به وقيل قالوا من هم قالت أى قالوا اولادك ولدك قالت نعم هرون وكان هرون ولد في السنة التى لا يقتل فيها قالوا صدقت فأتيناجها فانطلقت اليها وأخذ برئتها بحال ابنها وجاءت بها المراضع) تحريم منسج

لا تحريم شرع أى منعناه أن يرضع ثديا غير ثدى أمه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة اليهم التى ترضع أوجع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثرها ومن قبل أن تزده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أى موسى (لكم وهم له ناصحون) النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد وى انها لما قالت وهم له ناصحون قال همام انها تعرفه وتعرف أهله فتذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون بعاله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ربيها استأنس والنعم نديمها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللين لا أرى بصي الا قبلى فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعند هاتين واستقر في علمه انه سيكون نبيا وذلك قوله

(فرددناه الى أمه كي تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفرقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أي وليثبت علمها شهادة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وانما محل لها ما ناخذ من الدينار كل يوم كما قال السدي لانه مال حربي لانه أجره على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أي لتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة تمام العقل وهو جمع (٣٩٩) شدة كنعمة وأنعم عند سيبويه

(واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة وروى انه لم يبعث نبي الاعلى رأس أربعين سنة (آتيناه حكما) نبوة (وعلمنا) فقها أو علما بمصالح الدارين (وكذلك تجزي المحسنين) أي كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالأمميين قال الزجاج جعل الله تعالى آيتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهم ما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال ولبس ما نروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا ذم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة) أي مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من الفاعل أي غفلة وهو ما بين العشاء من أو وقت القائلة يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذ يشكاهم بالحق وينكر عليهم فاحافوه فلا يدخل المدينة الاعلى تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذان شيعته) ممن شابه على دينه من بني اسرائيل قتل

اليهم فلما وجد الصبي رجع أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباهم باقبل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) أي بردموسى اليها (ولا تحزن) أي ولتلا تحزن (ولتعلم ان وعد الله حق) أي برده اليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعد هاتين برده اليها (ولما بلغ أشده) قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أي بلغ أربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) أي عقلا وفهما في الدين فعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا (وكذلك تجزي المحسنين) قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى والمدينة قيل هي منف من أعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها جابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقبولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فادركه المقيبل بارض منف فدخلها وليس في أطرافها أحد وقيل كان موسى شيعته من بني اسرائيل يسعون منه ويقعدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى أنكروا ذلك منه ونافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا حائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فادركه فرعون قتلها قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باخراجه من مدينته فانخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخول على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يتخاصمان ويتنازعان (هذان من شيعته) أي من بني اسرائيل (وهذان عدوه) أي من القبط وقيل هذان مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من الشبيعة هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه قاتون وكان القبطي يريد ان يأخذ الاسراييلي بحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يتخاصم الى أحد من بني اسرائيل يظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والاخر من القبط (فاستغاثه الذي من شيعته) يعني الاسراييلي (على الذي من عدوه) يعني الفرعوني والاستغاثه طلب العوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه أخذوه وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أجله عليك وكان موسى قد أوى بسطة في الخلق وشدة في القوة (فوكزه موسى) أي ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) أي قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفعه في الرمل (قال هذان من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) أي بين الضلالة وقيل في قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لاني عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى

هو السامري وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره (وهذان عدوه) من مخالفيه من القبط وهو قاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غائبين على جهة الحكاية أي اذا نظر اليهما الناظر قال هذان شيعته وهذان عدوه (فاستغاثه) فاستنصره (الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظمنا لنفسه واستغفر منه لانه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربي المستأمن أو لانه قتله قبل أن يؤذنه في القتل وعن ابن جرير ليس لني ان يقتل ما لم يؤمر (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة

(قال الرب) بارب (اني ظلمت نفسي) بفعل صار قتلا (فاغفر لي) زلتني (فغفر له) ذلته (انه هو الغفور) باقالة الزلل (الرحيم) بازالة الحبل (قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا) معنا (المعجربين) للكافرين وبما أنعمت علي قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك علي بالمغفرة لآتين فلن أكون ظهيرا للمعجربين أو استعطف كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون ان عصمتي ظهيرا للمعجربين وأراد بظاهرة المعجربين حكمة فرعون وانتظامه في جلته وتكثيره سواده حيث كان ركب بركو به كالولد مع الوالد (فاصحب في المدينة خائفا) علي نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به (يترب) حال أي يتوقع المكر وهو الاستقادة منه أو الاخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا علي نفسه يترب نصرته به وفيه دليل علي انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذي) اذا للمفاجأة وما (٤٠٠) بعدها مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالامس يستنصره) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلي الذي

المقتول يعني انه من جنود الشيطان وخر به (قال رب اني ظلمت نفسي) أي بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو علي سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتصغير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب ﴿وقوله (فاغفر لي) أي ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي أي فاستره علي ولا توصل خبره الي فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول الي فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أي بالمغفرة والستر الذي (أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمعجربين) معناه فان لا أكون معادنا لاحد من المعجربين قال ابن عباس لسكافرين وفيه دليل علي أن الاسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتنلي في اليوم الثاني أي لم يقبل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمعجربين (فاصحب في المدينة) أي التي قتل فيها القبطي (خائفا يترب) أي ينتظر سوء والترقب انتظار المكر وهو قتل ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذي استنصره بالامس يستنصره) أي يستغيث به من بعد قال ابن عباس أي فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن شهد عليه فيبيناهم بطوفون لا يجدون بينة اذمر موسى من الغدر أي ذلك الاسرائيلي يقابل فرعونيا فاستغاثه علي الفرعوني وكان موسى قد ندم علي ما كان منه بالامس من قتل القبطي (قاله موسى) للاسرائيلي (انك لغوي مبين) أي ظاهر الغوايه قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسبيلك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه (فلما أن أراد أن يماش بالذي هو عدو لهما) وذلك ان موسى أخذته الغيرة والرفقة للاسرائيلي فديده ليمطش بالقبطي فظن الاسرائيلي انه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبين (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفضى عليه الاسرائيلي ذلك فسمع القبطي فأتى فرعون فاخبره بذلك (ان تريد الآن تكون جبارا في الارض) أي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاطم ولا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا ان موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخر جوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شبيعة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شعرون وقيل شعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) أي يسرع في مشيه وأخذطر يقاقر بها حتى سبق الي موسى وأخبره وأذره بما سمع (قال يا موسى ان الملائمة أي يتشاورون بك) أي يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) أي من المدينة (اني لك من الناصحين) أي في الامر بالخروج (فخرج منها) يعني موسى (خائفا) علي نفسه من آل فرعون (يترب) أي ينتظر الطالب هل يلحقه فيأخذ به ثم لجأ الي الله تعالى

خطصه موسى استغاث به
ثانيا من قبطي آخر (قال له موسى) أي للاسرائيلي (انك لغوي مبين) أي ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسبيلك والرشد التدبير أن لا يفعل فعلا يفضي الي البلاء علي نفسه وعلي من يريد نصرته (فلما ان أراد) موسى (أن يبطش بالذي) بالقبطي الذي (هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلي لانه ليس علي دينهما أولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال) الاسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توهم انه أراد أخذه لا أخذ القبطي اذ قاله انك لغوي مبين (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالامس ان تريد) ما تريد (الآن تكون جبارا) أي قتالا بالغضب (في الارض)

أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفضى لعلمه علي موسى عليه السلام علم القبطي ان قاتله موسى فاخبر فرعون ففهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أو حال من رجل لانه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال يا موسى ان الملائمة أي يتشاورون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسبيلك والاتسار يقال الرجلان يتشاوران لان كل واحد منهما يامر صاحبه بشئ أو يشير عليه بامر (فاخرج) من المدينة (اني لك من الناصحين) للبيان وليس بصلاة الناصحين لان الصلة لا تتقدم علي الموصول كأنه قال اني من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقبالك ومرجبالك (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترب) التعرض له في الطريق أو ان يلحقه من يقتله

(قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون (ولما توجه تلقاه مدين) نحوها والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت مدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن بربه (قال عيسى ربي ان يهديني سواء السبيل) أي وسطه ومعظم نفعه فباعه ملك فاطلق به الى مدين (ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماء هم الذي يسقون منه وكان بئر (ا) وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من اناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تزدودان) تطردان عنهما عن الماء على الماء من هو أقوى منهما فلا يتم كتمان من السقي أولًا فلا تخلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ما خطبكم) ماشأ أنسك وحققتة ما مخلطو بكأي ما مطلوب بك من الزيادة فسمى المطلوب خطبًا (فالتا لانسقي) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدرشأى ويزيدوا ويعرجوا ويرجع الرعاء جمع راع وقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يكتنه سقى الاغنام (كبير) في حال أوفى السن لا يقدر (٤٠١) على رعى الغنم أبدنا اليه عذرهما في توليها السقي بانفسهما

(فسقى لهما) فسقى لهما (لاجلهم) رغبة في المعروف واثابة للملوف وروى انه نعى اقوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبا في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعل في يسقون وتزدودان ولانسقى وفسقى لان الغرض هو الفعل لا المفعل ألا ترى انه انما رجهما لانها كانتا على الزيادة وهم على السقي ولم يرحهما لان مذودهما غنم ومسقىهم ابل مثلا وكذا في لانسقى وفسقى فاقصود هو السقي لا المسقى ووجه المطابقة جوابها سؤاله انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا تقدر على مزاحمة

العلم انه لا يجأ الا اليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي الكافرين ﴿ قوله تعالى (ولما توجه تلقاه مدين) أي قصدت نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى خائفا لابلطهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خفق قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله موسى (قال) يعني موسى (عسى ربي ان يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لمادعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فاطلق به الى مدين ﴿ قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أي على الماء (أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) أي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تزدودان) أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط باغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن ان تندرت ذودها والقول الأول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ما خطبكم) أي ماشأ أنسك لا تسقيان مواشيكم مع الناس (فالتا لانسقى) أي أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقى قننا نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر ان يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل من آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رجاهما فاقطع خضرته من على رأس بئر أخرى كانت بقرحها لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونجاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بتججرا ليرفعه الا عشرة نفر فباعه موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) أي عدل الى أصل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب اني لما أتزت الى من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما أتزت الى من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمره وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريا

الرجال ونسختي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضى شعيب عليه السلام لانتبه بسقى المشايبة لان هذا الامر في نفسه ليس بمحذور والدين لا يباهوا بالمال وعة فعداات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال النجم ومذهب أهل البدوية غيب مذهب أهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتشقة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى اذ لا تقص في الشكوى الى المولى (فقال رب اني لما) لاى شئ (أتزت الى من خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق له اما سبعة ايام وقد لصق بظهرة بطنه ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما أتزت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثرودة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرح به وشكره وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتوكلت كما به ان الافتقار لما ورد على سره من الانوار

(خفاء نه احداهما تسمى على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليحزبك ابحر ما سميت لنا) على استحياء في موضع الحال أي مستحبة وهذا دليل كمال
 ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعو الى ضيافتها ولم تعلم ايحيها لم لا فاتته مستحبة قد استترت بكمدرها وفي ما سميت مصدر به أي
 جزاء سبقك روى انهم المار جمعنا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما محفل قال لهم اما اعلمكما قالتا وجدنا رجلا صالحا حار جنا فسقى لنا فقال
 لاحداهما اذهبي فادعيه في قبةعاهموسى عليه السلام فالزقت الريح ثوبها بحبسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي على الطريق (فلما
 جاءه وقض عليه القصص) أي قصته وحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلة سمى به المقصود (قال له) لا تخف نجوت من القوم
 الظالمين) اذلاسلطان لفرعون بارضا ونا فيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو انثى والمسمى مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع
 وأما أخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روى انها لما قالت ليحزبك كره ذلك
 وانما اجابها الثلاثيخيب قصده لان (٤٠٢) للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألسنت جئت عاقلا

بلى ولكن أخاف أن يكون
 عوضا مما سميت لهما وانا
 أهل بيت لا يبيع ديننا
 بالدنيا ولا نأخذ على
 المعروف ثمنا فقال شعيب
 عليه السلام هذه عادتنا
 مع كل من ينزل بنا فاكل
 (فالت احداهما ما يأت
 استاجرته) اتخذه
 اجير الرعي الغنم روى ان
 أكبرهما كانت تسمى
 صفراء والصغرى صفراء
 وصفراء هي التي ذهبت
 به وطلبت الى ابيها أن
 يستاجرته وهي التي تزوجها
 (ان خبير من استاجرت
 القوى الامين) فقال وما
 عالم بقوته وأمانته فذكرت
 تزع الدلو وأمرها بالمشي
 خلفه وورود الفعل بلفظ
 الماضي للدلالة على ان
 أمانته وقوته أمران متحققان
 وقولها ان خبير من استاجرت

قبل الناس واغنامهما محفل بطان قال لهم اما اعلمكما قالتا وجدنا رجلا صالحا حار جنا فسقى لنا اغنامنا فقال
 لاحداهما اذهبي فادعيه الى قال الله تعالى (خفاء نه احداهما تسمى على استحياء) قيل هي الكبرى واسمها
 صفراء وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من
 النساء عراجه ولا جعول لكن جاءت مستتره قد وضعت كمدرها على وجهها استحياء وقيل استحييت منه لانها
 دعته لثكافته وقيل لانهار سول ابيها (قالت ان ابي يدعوك ليحزبك ابحر ما سميت لنا) قيل لما سمع موسى
 ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد من انذاهب فبشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت
 الريح تضرب ثوبها فتصفر ردفها ففكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق اذا
 أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذ هو بالمشاء معها فقال اجلس يا فتى فتمش فقال موسى
 أعوذ بالله قال شعيب ولم ذلك ألسنت يجتمع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا مما سميت لهما وانا
 أهل بيت لا نطاب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكنك عادتى وعادة
 آباؤي نقرى الضيف ونطعم الطعام بغلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه
 القصص) أي أخبره بما مره أجمع من خبر ولادته وقتله القبطى وقص فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من
 القوم الظالمين) يعنى من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت
 احداهما ما يأت استاجرته) أي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا (ان خبير من استاجرت القوى الامين) يعنى ان
 خبير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت أما قوته
 فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا رفعه الا عشرة وقيل أر بعون رجلا وأما أمانته فانه قال لى امشى
 خلفي حتى لا تصف الريح بدنك (قال شعيب عند ذلك) انى أريد أن أتكلمك (أى أزوجه) (احدى
 ابنتي هاتين) قيل زوجها الكبرى وقال الاكثر وانه زوجها الصغرى منهما واسمها صفراء وهى التى
 ذهبت فى طلب موسى (على أن تاجرني ثمانى حجج) أى تكون لى أجيرا ثمان سنين (فان أتممت عشرا
 فن عندك) أى فان أتممت العشرين فذلك تفضل منك وتبرع لى بواجب عليك (وما أريد أن أشق
 عليك) أى ألزمك تمام العشر الا أن تبرع (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) أى فى حسن العصبية
 والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصالح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله لانه لا تكال على توفيقه

القوى الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والامانة فى القائم بامرک فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل ومعونته
 القوى فى دينه الامين فى جوارحه وقد استغنت بهما هذا الكلام الجارى مجرى المثل عن ان تقول استاجرته لقوته وأمانته وعن ابن مسعود
 رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا أو يكر فى عمر (قال لى أنى أريد أن أتكلمك) أزوجه
 (احدى ابنتي هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما وهذه مواعده منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقد القال قد أتكلمك
 (على أن تاجرني) تكون أجيرا لى من أجرته اذا كنته أجيرا (ثمانى حجج) طرف والحجة السنة ووجهها حجج والتزوج على رعى الغنم جائز
 بالاجماع لانه من باب القيام بامر الزوجية فلا يناقضه بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرا) أى عمل عشر حجج (فن عندك) فذلك
 تفضل منك لى بواجب عليك أو اتمامه من عندك ولا أحتمه عليك وانك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام
 أم الاجابين وحقيقة قولهم شفقت عليك وشق عليه الامر أن الامر اذا تعاطمك فكأنه شق عليك طنك بانثين تقول نارة أطيعه وطور الا
 أطيعه (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة والوفاء بالعهود ويجوز أن يراد بالصالح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد

بأشراطه مشيئة الله فيه ما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه موثته لانه ان شاء فعل وان يشاء لم يفعل ذلك (قال موسى ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه وشعب والحبر (بيني وبينك) يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشروطتي عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لانا فيما شرطت على ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال (أيما الاجلين قضيت) أي أي أجل قضيت من الاجلين يعني العشرة أو الثمانية أو أي نصب بقضيت ومازائدة ومؤكدة لاجلهم أي وهي شرطية وجوابها (فلا عدوان على) أي لا يعتدي على في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في أيهما ولكن جعل الاقل كالآتم في الوفاء وكان طلب الزيادة على الآتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على ما تقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعتدي بعلى لانه (٤٠٣) استعمل في موضع الشاهد والرقب روى ان شعيبا كانت

عنده عصي الانبياء عليهم السلام فقال اوسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبطها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فسهوا وكان مكفوفاً فضعها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الالهى سبع مرات فعلم ان له شأناً ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان السكالك وان كان بها أكثر الان فيها تنبتا أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فحشى على أثرها فاذا عشب وري يفلح يرثله فنام فاذا التنين قد أقبل فارتبه العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملامى البطون

ومعونته (قال) يعني موسى (ذلك بيني وبينك) أي ما شرطت على فلك وما شرطت من تزوج احدهما على والامر بيننا على ذلك (أيما الاجلين قضيت) أي أي الاجلين أعمت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على) أي لا ظلم على بأن أطالب بها أكثر منه (والله على ما تقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على خير العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل روى عن أبي ذر مر فوعدا اذا سئمت أي الاجلين قضى موسى فقبل خيرهما وأبرهما واذا سئمت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منها وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فترزوج صغرها وقضى أوفاهما وقال وهب أنكسحه الكبرى وروى شداد بن اوس مر فوعدا سكي شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوق الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فأوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيئاً لك لقاءى يا شعيب لذلك أخذ منك كلبى موسى ولما تعاقد هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عساه يدفع بها السباع عن غنمه فيسبل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبي الأ كته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فأعطاه موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أيك أن يجعل لنباعض الغنم فطلبت من أيها ذلك فقال اسكبا كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيباً أراد أن يجازى موسى على حسن رعيه كراماله واصله لابنته فقال له اني قد وهبت لك من ولد أغنامي كل أبق وبلقاء في هذه السنة فأوحى الله تعالى الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت حملها ما بين أبق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامر أنه فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أي آتمه وفرغ منه (وسار باهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشرين سنة أخرى ثم استأذنه في العود الى مصر فأذن له فسار بأهله له أي بزوجه فاصد الى مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور ناراً) وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لاهله امكثوا اني آنست نار العلي آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أوجدوه من النار) أي قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه (لعلمكم تصالون) أي تستمدفون (فلما أنها نودى من شاطئ الوادى الايمن) يعني من جانب الوادى الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبياً وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) أي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضر اترف وقيل كانت عوصاً وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين)

غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم ان موسى والعصا ما نأوا قال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاً فأوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاً فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى أوفاهما وتزوج صغرها وهذا بخلاف الرواية التي مرت (وسار باهله) بامر أنه نحو مصر قال ابن عطية ما تم أجل المحنة وقدنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة وسار باهله اي شتر كوامه في لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور ناراً قال لاهله امكثوا اني آنست نار العلي آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل الطريق (أوجدوه من النار) أي قطعة من النار لعلمكم تصالون فلما أنها نودى من شاطئ الوادى الايمن بالنسبة الى موسى (في البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العوصج (أن ياموسى) أن مفسرة أو تخففة من الثقيلة (انى أنا الله رب العالمين)

قال جعفر ابصر نار ادلته على الانوار لانه رأى النور في هيئة النار فلما ادنا منها شمته انوار القدس وأحاطت به جلايب الانس تطوب بالاطاف
خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك كما مشر يفا على ما سأل وأمن مما خاف والجدوة بالغات الثلاث وقرئ بهن فعاصم
بفتح الجيم وجزءه وخلف بضمها وغيرهم بكسرهما العود الغليظ كانت في رأسه نار أولم تسكن ومن الأولى والثانية لابتداء الغاية أى أناء النداء
من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل الاشتغال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب
(وأن ألقى عصاك) ونودى أن ألقى عصك فألقاها فقلها الله تعباناً (فلما رأها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية في سعيها وهى تعبانى في
جنتها (ولى مدبر اولم يعقب) يرجع فقيل له (ياموسى أقبى ولا تخف انك من الآمنين) أى أمنت من أن ينالك مكره ومن الحية (اسلك)
أدخل (يدك في جيبك) جيب قبيص (تخرج بيضاء) لها شعاع كشمع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الذهب)
حجازى بفتحين وبصرى الذهب حفص الذهب غيرهم ومعنى السك الخوف والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق أى لاجل الحية
عن ابن عباس رضى الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فرغ موسى
واقفاها بيده كما يفعل الخائف من (٤٠٤) الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل

يدك تحت عضدك مكان
اتقاءك بها ثم أخرجهما
بيضاء ليحصل الامران
اجتناب ما هو غضاضة عليك
واظهار معجزة أخرى والمراد
بالجناح اليد لان يدى
الانسان بمنزلة جناح الطائر
واذا أدخل يده اليمنى تحت
عضده اليسرى فقد ضم
جناحه اليه وأراد بضم
جناحه اليه تجلده وضبطه
نفسه عند انقلاب العصا
حية حتى لا يضطرب ولا
يرهب استعارة من فعل
الطائر لانه اذا خاف نشر
جناحه وأرخلهما وال
جناحه مضمومان اليه
مشهران ومعنى من الرهب
من أجمل الرهب أى اذا
أصابك الرهب عند رؤية

قيل ان موسى لما رأى النار فى الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله
تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم
هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته
بجميع أجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن
ألقى عصاك) أى فلقاها (فلما رأها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) هى الحية الصغيرة والمعنى انها فى سرعة
حركتها كالحية السريعة بالحركة (ولى مدبر) أى هار بامنها (ولم يعقب) أى ولم يرجع قال وهب انهم لم
ندع شجرة ولا خضرة الا بلعنتها حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقة الشجر والصخر فى جوفها فحينئذ ولى
مدبر اولم يعقب فنودى عند ذلك (ياموسى أقبى ولا تخف انك من الآمنين) قوله عز وجل (اسلك
يدك) أى أدخل يدك (في جيبك) يخرج بيضاء من غير سوء) أى برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها
شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الذهب) أى من الخوف والمعنى اذا هالك أمر يدك وما
تراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الأولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره
فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه
وقيل المراد من ضم الجناح السكون أى سكن وركل وانخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف أن
يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك وأخرجها من كك لانه تناول
العصا بيده فى كنه (فذا نك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) أى آيتان (من ربك الى فرعون وملئه
انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفسا) يعنى القبطى (فأخاف أن
يقتلون) أى به (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) أى بياننا وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من
وضع الجرة فى فيه (فأرسله معى ردا) أى عونا (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يخص
الدلائل ويحجب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (انى أخاف أن يكذبون) يعنى

الحية فاضم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى
واضمم اليك جناحك واسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذا الغرض فى أحدهما
خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك فى أنه أدخل يمينك تحت يسارك (فذا نك) مخففاً منى ذلك ومشردا
مكى وابوعمر ومثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) حجتان نيرتان بينتان وسيمت الحجة برهانان
لانها من قولهم للمرأة البيضاء برهرة (من ربك الى فرعون وملئه) أى أرسلناك الى فرعون وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوما
فاسقين) كافرين (قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) به بغير ياء وبالياء يعقوب (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى)
حفص (ردا) حال أى عونا يقال ردأته أعنته وبلاهمز مدنى (يصدقنى) عاصم وجزءه صفة أى ردأه صدقنى وغيرهما بالجزم جواب لارسله
ومعنى تصديق موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليشبث دعواه لان يقول له صدقت ألا ترى الى قوله هو أفصح منى
لساننا فأرسله وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرر البرهان لا لقوله صدقت فمحببان وبالق فيه يستويان (انى أخاف أن يكذبون) يكذبونى
فى الحالين يعقوب

(قال سنشد عضدك بأخيك) سنقر يلبه اذ البت شد بشدة العضد لانه قوام البدن والجملة تقوى بشدة البدن على مزاولة الامور (وتجعل لك سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبه في قلوب الاعداء (فلا يصلون اليك باياتنا) الباء تتعلق بيه لكونه لا يصلون اليك بسبب اياتنا وهم الكلام أو فجع ل كسلطانا أي تسلطنا كباياتنا ويجذف أي اذهب باياتنا وهو بيان للعالمون لاصلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدم عليه (أنتم اومن اتباعكم الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أي سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمجزئة من عند الله (وماسمعناهم ذاني اياتنا الاقرين) حال منصوبة عن هذا أي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أي ربي أعلم منكم بحال من أهله الله لانه لا يفلح الا العظيم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعدده حسن العقبي يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا بالمأهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحموده لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الا نيا وعاقبتها أن يتختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى وغير وارمى وهو حسن لان الموضوع موضع سؤال وبحت عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الايات (٤٠٥) العظيم سحر مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى

هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وبجحة الآخر ربي أعلم بحجازي وأبو عمرو ومن يكون جزرة وعلني (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من الله غيري) قصد بنفي علمه بانه غير نفي وجوده أي ما لكم من الله غيري وهو على ظاهره وان الها غير غير غير معلوم عنده (فأودلى يا هامان على الطين) أي اطحني الا حرا واتخذها وانما يقبل مكان طين هذا لانه أول من عمل الا حرقوه يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبارة اذ أمر هامان وهو

فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) أي سنقر يلبه وكان هر ونبصر (وتجعل لك سلطانا) أي يحقو برهاننا (فلا يصلون اليك) أي بقتل ولا سوء (باياتنا) قيل معناه نعطيكم من المنجزات فلا يصلون اليك (أنتم اومن اتباعكم الغالبون) أي لكوا ولا يتابعكم الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) أي واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أي محتاق (وماسمعناهم ذاني اياتنا الاقرين) أي بالذي تدعوننا اليه (في اياتنا الاقرين) وقال موسى ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده (أي انه يعلم المحق من المبطل) (ومن تكون له عاقبة الدار) أي العقبى المحموده في الدار الاخرة (انه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من الله غيري) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأودلى يا هامان على الطين) أي اطحني الا حرقيل انه أول من اتخذ آجرا وبنى به (فاجعل لي صرحا) أي قصر عال يلبو قيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده نخسوان ألف ببناء سوى الاتباع والاحراء وطحن الا حرا والخص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابه فرمى بها نحو السماء فرددت اليه وهي ماطحة كما قال قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس ففصر به بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه في البحر وقطعت في المغرب فلم يبق أحد عمل شيئا فيه الا هلك فذلك قوله (لعلني أطلع الى اله موسى) أي أنظر اليه وأقف على حاله (واني لاظنه) (يعني موسى) (من الكاذبين) أي في زعمه ان الارض والخلق الها غيري وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الارض) أي تعظموا عن الايمان ولم يقادوا للحق بالباطل والعالم (بغير الحق وظنوا أنهم البنا لا يرجعون) أي للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فألقيناهم في البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعني حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أممات) أي قادة ورؤساء

وزره بالايقاد على الطين منادى باسمه يباي وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر (فاجعل لي صرحا) قصر عال (لعلني أطلع) أي أصعد والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب انه تعالى في مكان كما كان هو في مكان (واني لاظنه) أي موسى (من الكاذبين) في دعواه ان له الها وانه أرسله النار سولا وقد تناقض الخذول فانه قال ما علمت لكم من الله غيري ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت لموسى الها وأخبره انه غير متيقن بكذبه وانه تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلني أطلع الى اله موسى روي ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق ففصر عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعت في البحر وقطعت في المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (في الارض) أرض مصر (بغير الحق) أي بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبير يا عر داني والعظمة ازارى فن نازعني واحدا منهما القيت في النار وكل مستكبر سواء فاستكبره بغير الحق (وظنوا أنهم البنا لا يرجعون) يرجعون نافع وجزرة وعلى وخلف ويعقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المنفخ الذي دل به على عظمة شأنه شههم استقلاله عددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن أخذ بكفه فطر جهن في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أممات) قادة

(يدعون الى النار) أي عمل أهل النار قال ابن عطاء عزع عن أمراءهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة تخلق أفعال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) ألزمتهم طردوا وبعادوا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم طرف للمقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من (٤٠٦) الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشاد والسعادة كأن البصير نور العين الذي

يبصر به الاجساد يريد آتينا التوراة أنوار القلوب لانها كانت عميلا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدي) وارشاد الانهم كانوا يخبطون في ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يا محمد (بجانب الجبل) (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (اذقضينا الى موسى الامر) أي كلفناه وفر بناء نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين لا وحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ماجرى من أمر موسى في ميقاته (ولكننا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتناول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فارسلناك مجددا لتلك الاخبار ميمنا ووقع فيه

(يدعون الى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا ينعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي خربوا وبعادوا عذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من كانوا قبل موسى (بصائر للناس) أي يبصر واذلك فهم تدوا به (وهدي) أي من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) أي ان آمن به (لعلهم يتذكرون) أي بما فيه من الواعظ (وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت يا محمد (بجانب الجبل) الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (اذقضينا الى موسى الامر) أي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أي الحاضر من ذلك المقام الذي أوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك (ولكننا أنشأنا قرونا) أي خلقنا بعد موسى أمما (فتناول عليهم العمر) أي طالت عليهم المدة فسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد واليمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوها فاعيا (وما كنت ناويا) أي مقبعا (في أهل مدين) أي كقمام موسى وشعيب فيهم (تتلوا عليهم آياتنا) أي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة تخبرهم (ولكننا كنا مرسلين) يعني أرسلناك رسولا وازلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتواها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (اذنادينا) يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرني محمدا وأمته قال انك ان فعلت ذلك ولكن ان شئت ناديت أمتهم وأسمعتك صوتهم قال بلي يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أي أرحام الامهات ليسكن الله لهم امين ان الحمد والنعمة لك والمال لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وغفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل ان تسألوني وقد أحببتكم قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمتك رحمة بارسالك والوحي اليك والاطلاع على الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوم ما آتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم فجمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذقضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ناويا في أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله اذنادينا اليه المناجاة فلهذا أعظم أحوال موسى ولما بينها الرسول ولم يكن في هذه الاحوال حاضر ابن الله أنه بعثه وعزفه هذه الاحوال الدالة

التحريف وأعطيتك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهد موسى وما جرى عليه ولكننا أوحيناها اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراك كين بعده (وما كنت ناويا) مقبعا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرها عليهم تعلمهم من يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وتتلوا في موضع نصب خبر ثمان أحوال من الضمير في ناويا (ولكننا كنا مرسلين) أرسلناك واخترتناك بها وعلمنا كماها (وما كنت بجانب الطور اذنادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك) لتنذر قوم ما آتاهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون)

ولولا أن تصيبهم مصيبة (عقوبة) بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاو بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغليباً لاكثر على الأقل (فيقولوا) عند العذاب (و بنالوا أرسلت النار سولا فنتبعم آياتك ونسكون من المؤمنين) لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تخصيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الأمر إذا الأمر باعث على الفعل والباعث والمحض من واحد والفاء تدخل في جواب الأمر والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عقوبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت النار سولا بحيثين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليزموا الحق ولا يلزموها كقولها لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فإن قامت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها فإنه قلت القول هو المقصود بأن يكون سبباً للإرسال وليكن العقوبة لما كانت (٤٠٧) سبباً للقول وكان وجوده بوجودها

جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السنية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أي كفار مكة (لولا أوتي) هلا أعطى (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جلة واحدة (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتي موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوفي أي ذوا سحر أو جعلوا ههما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر (وقالوا أنا بكل

على نبوته صلى الله عليه وسلم ومجزته كانه قال في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ﷺ قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة وبقمة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت النار سولا فنتبعم آياتك ونسكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناها لما بعثناك إليهم رسولاً واكتنا بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمد أصلي الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوتي) محمد (مثل ما أوتي موسى) يعني من الآيات كالعصا والبيضاء وقيل أوتي كتاباً جلة واحدة كما أوتي موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) قيل ان اليهود أرسلوا إلى قريش أن يسألوا محمد أصلي الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخزروا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعني التوراة والقرآن يقوى كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعني محمدًا وموسى وقيل ان مشرك مكة بعثوا إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد أصلي الله عليه وسلم فأخبروهم أن نعتهم في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا أنا بكل كافرون) يعني من التوراة والقرآن وقيل محمد وموسى (قل) يا محمد (فأوتوا كتاب من عند الله هو أهدي منهما) يعني بالتوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين فان لم يستحيوا لك) أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) يعني ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما أتوا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ﷺ قوله عز وجل (ولقد وصلناهم القول) قال ابن عباس يينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا الكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلناهم خير الدنيا بخبر الآخرة حتى كانوا عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يذكرون) أي يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد أصلي الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) تزأت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وأمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بال المسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فثنا بأموالنا فواسيناهم المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأنابوا بهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه

واحد منهما) (كافرون) وقيل ان أهل مكة كما كفروا محمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا أوتي التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأوتوا كتاب من عند الله هو أهدي منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل على (أتبعه) جواب فأوتوا (ان كنتم صادقين) في أيهما سحران (فان لم يستحيوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم) فان لم يستحيوا دعاهم إلى الاتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ما تبقى لهم حجة الاتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أحد أضل ممن اتبع في الدين هواه بغير هدى حال أي شخذي ولا يخلى بينه وبين هواه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ولقد وصلناهم القول لعلهم يذكرون (التوصل تكبير الوصل وتكريره يعني ان القرآن أناهم من متابعات واصلوا وعدا ووعيدوا وقصصا وعبادوا وما عظم لذكروا في لفظوا) (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) تزأت في مؤمنى أهل الكتاب

(واذا يتلى) القرآن (عليهم) قالوا آمنابه انه الحق من ربنا انا كنا من قبله من قبل نزول القرآن (مسلمين) كانوا على دين الاسلام مؤمنين بحمد عليه السلام وقوله انه تعدل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله آمنالانه يحتمل أن يكون ايماننا قريبا العهد وبعيد فاخبر واثان ايمانهم به متقدم (أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالقرآن والتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية وبالعلم الاذى (٤٠٨) (ومارزقناهم ينفقون) يزكون (واذ اسمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين

(أعرضوا عنه وقالوا) للاعنين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أمان منكم بأن نقابل لغوكم بمثله (لانتفى الجاهلين) لانز يد مخالطتهم وصحبهم (انك لاتهدى من أحببت) لانقدر ان تدخل في الاسلام كل من أحببت ان يدخل فيه من قومك وعبرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخلق فعل الهداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بين مختار الهداية وقبيلها ويتعطف باللائل والاشيات قال الزجاج أجمع المفسرون على انها نزلت في أبي طالب وذلك انه قال عند موته يامعشر بنى هاشم صدقوا محمداتفلحوا فقال عليه السلام ياعم تأمرهم بالصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي أنا قد علمت انك صادق ولكنني أكره أن يقال

الايات الى قوله ومارزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا يتلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنابه انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكرا النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن شخصين لله التوحيد ومؤمنين بحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق (أولئك يؤتوا أجرهم مرتين) يعني بإيمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) أي على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديتها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصغ والعفو (ومارزقناهم ينفقون) أي في الطاعة (واذ اسمعوا اللغو) أي القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبالكتم تركتم دينكم فبعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المشاركة والمعنى سلمت منا لانعارضكم بالشتم (لانتفى الجاهلين) يعني لانحب دينكم الذي أنتم عليه وقيل لانز يد أن تكون من أهل الجهل والسفه وهذا قيل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى (انك لاتهدى من أحببت) أي هدايته وقيل أحببته لقرابته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك أن الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان (وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن قدره الهدى (م) عن أبي هريرة قال قال انك لاتهدى من أحببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راودعها بأطالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك به يوم القيامة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقتررت به اعينك ثم أنشد

واقدمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أرحم راسبة * لو جرتني سحابة ذك مينا

ولكن على مله الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الآية (وقالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يعني مكة نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا نعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك نخذنا أن نخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حوما آمنا) وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا الحرم والحرم من المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداة (يجي اليه) أي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق

جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع واليمن ولكنهم لم يتسددوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خالق الهداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حوما آمنا) قالت قريش نحن نعلم انك على الحق وانك تخاف ان اتبعناك ونخالقنا العرب بذلك ان يتخطفوا من أرضنا فالتعميم الله الخبر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمه البيت وأمن قطانه بحرمته والثمار تجي اليه من كل أوب وهم كفرة فأني يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسأهم الامن اذا ضموا الى حومة البيت حومة الاسلام واسند الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (يجي اليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي يجلب ويجمع

(ثمرات كل شيء) معنى الكفاية الكثرة كقوله وأثبت من كل شيء (رزقاً من لدنا) هو مصدر لان معنى يجي إليه رزق أو مفعول له أرحال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لدنا أى قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا الخطف اذا آمنوا به (وكم أهل كل من قرية بطارت معيشتها) هذا نحو يقال هل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها محذوف الجاروا يصل الفعل أى فى معيشتها والبطر سوء احتسالم الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الا نار يشاهدونها فى الاسفار كبلاد غودر قوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قبلا) من السكنى أى لم يسكنها الا المسافر وما الطريق يوماً وساعة) وكان نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أى لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) فى كل وقت (حتى يبعث فى أمها) وبكسر الهمزة جزاء على أى فى القرية التى هى أمها أى أصلها ومعظمها (رسولاً) لالزام الحجة وقطع المعذرة أو ربما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الارض حتى يبعث فى أم القرى يعنى مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولاً (٤٠٩) يعنى محمد عليه السلام يتلوا عليهم

آياتنا) أى القرآن (وما كلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق) وما كان ربك مهلك القرى) يعنى الكافرة أهلها (حتى يبعث فى أمها رسولاً) حتى يبعث فى أم القرى وهى مكة رسولاً الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث فى أم القرى وهى مكة رسولاً يعنى محمد صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعنى انه يؤدى اليهم ويلقاهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كلفهم القرى الا أهلها طالمون) أى مشركون (قوله عز وجل (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) وأى شئ أصبتموه من أسباب الدنيا فها هو الا تمتع وزينة أيا ما قلائل وهى مدة الحياة الفانية) وما عند الله خير وأبقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهى دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أى ان الباقي خير من الفانى وقيل من لم يرج الآخرة على الدنيا فليس يعاقل ولهذا قال الشافعى من أوصى بثلث ماله لاعتقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشغولين بطاعة الله تعالى لان أعتل الناس من أعطى القلب وأخذ الكثير وما هم الا المشغولون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعداً حسناً) يعنى الجنة (فهو لاقية) أى مصيبه وصائر اليه (كن متعناه متاع الحياة الدنيا) أى وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أى فى النار وقيل هذا فى المؤمن والكافر وقيل نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم لم وأبى جهل وقيل فى على وجزرة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوايد بن المغيرة (قوله عز وجل (يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى فى الدنيا انهم شركائى) قال الذين حق عليهم القول) أى وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين آغويننا)

والامن (ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك (قوله عز وجل (وكم أهل كل من قرية) أى من أهل قرية (بطارت معيشتها) أى أشرت وطغت وقيل عاشوا فى البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام) فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قبلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ونسكوها قبلاً وقيل لم يعمر منها الا قراها وأكثرها خراب (وكان نحن الوارثين) يعنى لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق) وما كان ربك مهلك القرى) يعنى الكافرة أهلها (حتى يبعث فى أمها رسولاً) حتى يبعث فى أم القرى وهى مكة رسولاً الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث فى أم القرى وهى مكة رسولاً يعنى محمد صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعنى انه يؤدى اليهم ويلقاهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كلفهم القرى الا أهلها طالمون) أى مشركون (قوله عز وجل (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أى تمتعون بها أيام حياتكم ثم هى الى فناء وانقضاء) وما عند الله خير وأبقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهى دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أى ان الباقي خير من الفانى وقيل من لم يرج الآخرة على الدنيا فليس يعاقل ولهذا قال الشافعى من أوصى بثلث ماله لاعتقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشغولين بطاعة الله تعالى لان أعتل الناس من أعطى القلب وأخذ الكثير وما هم الا المشغولون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعداً حسناً) يعنى الجنة (فهو لاقية) أى مصيبه وصائر اليه (كن متعناه متاع الحياة الدنيا) أى وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أى فى النار وقيل هذا فى المؤمن والكافر وقيل نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم لم وأبى جهل وقيل فى على وجزرة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوايد بن المغيرة (قوله عز وجل (يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى فى الدنيا انهم شركائى) قال الذين حق عليهم القول) أى وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين آغويننا)

عنهم ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعداً حسناً) أى الجنة فلا شئ أحسن منها الا نهداً دائماً (فهل لاقية) أى راتبه ومدركه ومصيبه (كن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فأنهم لمحضرون نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل لعنه الله وأبى على وجزرة وأبى جهل أو فى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أى أبعده هذا التفاوت الحلى بسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبب لان لقاء المؤمن موعود مسبب عن الوعد ثم لثراخى حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كقيل عضد فى عضد شبه المنفصل بالمتصل (يوم يناديهم) ينادى الله الكفار نداء توبيح وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكار (فيقول أين شركائى) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولاً تزعمون فأن تقدرة كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين فى باب فذلت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أى الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه واثبت وهو قوله لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء الذين آغويننا)

أى دعواتهم الى الشرك وسؤلناهم النى صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر (أغو ينأهم) والكاف فى (كأغو بنا) صفة صدر محذوف تغديره أغو ينأهم فغو واغيا مثل ماغو ينأ يعنون ألم نغو الا باختيار نافه ولا كذلك غو وا باختيارهم لان اغوا نأ لهم لم يكن الا وسوسة وتسو يلا فلا فرق اذا بين غينا وغياهم وان كان تسو ينادا عيالهم الى الكفرة قد كان فى مقابلة مدعاه الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قاضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا أنفسكم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاره من الكفر (ما كانوا يابعدون) بل بعدون أهواهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجلتين من العاطف لكونها مقررتين اعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أى الاصنام لتخاضعكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أى لما رأوا العذاب (و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حتى أولأ ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لانهم اذا ربحوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبهه السماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفى عليهم الجواب فلم يدروا بما اذا يجيبون اذ لم (٤١٠) يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر وا تخبروا ان يكون

عنده عذر وحجة لانهم يتساوون فى الجزع عن الجواب (فأما من تاب) من الشرك (وأمن) بربه وما جاء من عنده (وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أى فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكا فى رضى على الايمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا انزل هذا القرآن على رجل من القرشيين عظيم يعنى نفسه أو أبا مسعود (وربك يخلق ما يشاء) وفيه دلالة خلق الافعال ووقف على (ويختار) أى وربك يخلق

أى دعواتهم الى الغي وهم الاتباع (أغو ينأهم كأغو بنا) أى أضلناهم كأضلنا (تبرأنا اليك) ما كانوا يابعدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعنى للكفار (ادعوا شركاءكم) أى الاصنام لتخاضعكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أى لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) معناه لو أنهم هم كانوا يهتدون فى الدين ما رأوا العذاب فى الآخرة (و يوم يناديهم) أى يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) أى خفيت واشتبهت عليهم (الانباء) يعنى الاخبار والاعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) أى لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وأمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أى من السعداء الناجين وعسى من الله واجب وقوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القرشيين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفى أخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون) وربك يعلم ما تكن أى تخفى (صدورهم وما يعلنون) أى يظهرون (وهو الله لا اله الا هو له الاوهل الحمد فى الاولى والآخرة) أى بحمده أولياؤه فى الدنيا ويحمدونه فى الآخرة فى الجنة (وله الحكم) أى فضل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمعزة ولاه المعصية بالشقاوة (واليه ترجعون) وقوله عز وجل (قل) أى قل يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) أى أخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى دائما (الى يوم القيامة) لانهار فيه (من اله غير الله بآياتكم

ما يشاء وربك يخلق ما يشاء) أى ليس لهم أن يختاروا على الله شيئا ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف (بضياء) فى ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذا المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة فى أفعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد أبعدهم ما لنفى اختيار الخلق تقر ولا اختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو ما نل الى الاعتزال والخيرة من الخير يستعمل بمعنى المصدر وهو الخبر وبمعنى المخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى الله برى عن اشراكهم وهو منزوع عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ما تكن) تضر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده (وما يعلنون) من مطاعهم فيه وقولهم هلا اختيار عليه غيره فى النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لا اله الا هو) تقر بذلك كقولك القبلة الكعبة لاقبله الاهى (له الحمد فى الاولى) الدنيا والآخرة) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والحمد لله على وجه اللذ لا الكافة (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وبقض الناء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أرأيتم محذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) هو مفعول ثان لجعل أى دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلاثة سردو واحد فرد والميم من بدة ووزنه فعول (الى يوم القيامة) من اله غير الله بآياتكم

بضياء أفلا سمعون والمعنى أخبروني من بعد على هذا قل رأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمد الى يوم القيامة من انه غير الله يا تيكم بليل
تسكنون فيه أفلا تبصرون ولم يقل بنهار تصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق
به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بثلاث المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا سمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر
من ذكر منافعه وهو وصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللغو والنشر
(وله لكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز ان يكون معناه لتسكنوا فيه ما ولتبتغوا من فضل الله فيها ويكون المعنى جعل لكم
الزمان ليسلانهار التسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ
لاتخاذ الشركاء ليؤذن ان

لا شيء أوجب لغضب الله من
الاشراك به كما لا شيء أدخل
في مرضاته من توحيد
(وزرعنا) وأخرجننا (من
كل أمة شهيدا) يعني نبيهم
لان الانبياء للامم شهداء
عليهم بشهدون بما كانوا
عليه (فقلنا) للامم (ها أتوا
برهانكم) فيما كنتم عليه
من الشرك ومخالفة الرسل
(فعلوا) حينئذ ان الحق
لله التوحيد (وضل عنهم)
وغاب عنهم غيبة الشيء
الضائع (ما كانوا يفترون)
من ألوهية غير الله والشفاة
لهم (ان قارون) لا ينصرف
للجمعة والتعريف ولو كان
فاعولا من قرنت الشيء
لانصرف (كان من قوم
موسى) كان اسرائيليا ابن
عم لموسى فهو قارون بن
بصهر بن قاهت بن لاوي
ابن يعقوب وموسى بن
عمران بن قاهت وكان

بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا سمعون) أي سماع فهم وقبول (قل رأيتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمد الى يوم القيامة) أي لا ليل فيه (من اله غير الله يا تيكم بليال تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي
ما أنتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في
حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولا جله
يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما ما قاما في الجنة
فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدافين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس
غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان باظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل
(ولتبتغوا من فضله) أي بالنهار (وله لكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي
الذين كنتم تزعمون) كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقرير والتوبيخ (وزرعنا) أي أخرجننا وقيل
ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالته وهم وضع لهم (فقلنا) أي للامم
المكذبة لرسولهم (ها أتوا برهانكم) أي بحجتكم بأن معي شريكا (فعلوا أن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل
عنهم ما كانوا يفترون) أي يختلفون في الدنيا من الكذب على الله قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم
موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن بصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن
قاهت وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل أقر آمنه للتوراة ولكنه نفاق كما نفاق السامري (فبغى
عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زادني
طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرت اياه
خيلة أخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناهم من الكنوز ما أن مفاخسه) جمع مفتح
وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاخسه يعني خزائنه (لتنوع بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتبيلهم إذا
جاولها لتقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى
الاربعة وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاخسه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل
كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفاخس كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب
فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتح على قدر الاصبح وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعة بغلا (اذ قال
له قومه لا تفرح) أي لا تبظر ولا تأسر ولا تفرح (ان الله لا يحب الفرحين) أي الاشرار البطريرين الذين
لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدين الا لمن رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق
الدنيا عن قريب لم يفرح واقد أحسن من قال

يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأبني اسرائيل للتوراة واسكنه نفاق كما نفاق السامري (فبغى عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه
فرعون على بني اسرائيل فظلمهم أو من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم في الثياب شبرا (وآتيناهم من الكنوز ما أن
مفاخسه) ما بمعنى الذي في موضع نصب باآتيناهم وأسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به أو
مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انهم المقاليد (لتنوع بالعصبة) لتثقل العصبة فالعصبة للتعدي يقال ناعية الجمل اذا انقله حتى أماله والعصبة
الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاخس خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتح ولا يزيد المفتح على أصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة
(اذ قاله قومه) أي المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام وتحمل اذ نصب بتنوع (لا تفرح) لا تبظر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم
ولا يفرح بالدين الا لمن رضى بها واطمأن الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين)

الطارق بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو ان تأخذ ما يكفيلك ويصلحك وتقبل معناه واطلب بدنياك آخرك فان ذلك حفظ المؤمن منها (وأحسن) الى عباد الله (كأحسن الله اليك) أو أحسن بشكرتك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد في الارض) بالظلم والبغي (ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته) أي المال (على علم عندي) أي على استحقاق لاني من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلها ذهبا أو العلم بوجود المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة تعلم قال سهل ما نظرت أحدا الى نفسه فافلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل ربه منه الله تعالى عليه في جميع الأفعال والأقوال والشقي من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل ربه منه الله فافتخر بها وادعاهال نفسه فوشوهمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) (٤١٢) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بان الله قد

أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأعنى لانه قد قرأه في التوراة كانه قيل أولم يعلم في جهل ما عنده من العلم هذا حتى لا يغير بكثرة ماله وقوته أو نفي لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندي قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستتوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعرفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسميهم فلا يستلون أولا يستلون لتعلم من جهتهم بل يستلون سؤال توبخ أولا يستل عن ذنوب الماضين

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي لا تترك ان تعمل في الدنيا لا الآخرة حتى تجوز من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها لا الآخرة بالصدقة وصله الرحم وقيل لاناس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتمت خسا قبل خمس شيا بك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولا تبغ) أي ولا تطلب (الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعني قارون (انما أوتيته على علم عندي) أي على فضل وخير علمه الله عندي فرأى في أهله لذلك ففضاني بهذا المال عليكم كفضاني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن نون ثلثه وعلم قارون ثلثه فغدهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي للاموال (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يستلون سؤال استعلام وانما يستلون سؤال توبيخ وتقرير وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسميهم قوله عز وجل (نخرج على قوم في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحجر والصفرة والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعون ألف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة تجارية بيضاء عليهم الخيل والثياب الحجر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا باليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم) أي من المال (وقال الذين أتوا العلم) أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين غنوا مثل ما أوتى قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن)

المجرمون من هذه الامة (نخرج على قوم في زينته) في الحجر والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعون ألف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة تغلام وعن يساره ثلثمائة تجارية بيضاء عليهم الخيل والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزينا (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا (باليت لنا مثل ما أوتى قارون) قاله غبطة والغايط هو الذي يقنى مثل نعمة صاحبه من غير ان نزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يقنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تمننوا فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاء الخبطا (انه لذو حظ عظيم) الحظ الجدد وهو الخبز والدولة (وقال الذين أتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا بقاء العقبي لغايط قارون (ويلكم) أصل ويملك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضي وفي التبيان في اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي الزمكم الله ويلكم (نواب الله خير لمن آمن

وعمل صالحا ولا يلقاها) أي لا يلقن هذه الحكمة وهي ثواب الله خير (الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (نفسنا به وبداره الارض) كان قارون يؤذي موسى عليه السلام (٤١٣) كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة

أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أي ذلك خير مما أوتى قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الحكمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا ﴿قوله تعالى﴾ (نفسنا به وبداره الارض)
* (ذكر قصة قارون) *

قال أهل العلم بالخبر والسير كان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون واقراءهم للتوراة وأجلهم وأعنانهم وكان حسن الصوت فبني وطغي وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان باسم قومه ان يعلقوا في أردبتهم خيوطا ربعة في كل طرف خيطا أخضر كالون السماء يذكرون به اذا نظروا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أردبتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا في أردبتكم خيوطا خضرا كالون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتهم يفعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطمعه وقال انما فعل هذا الار باب بعبيد هم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدعصيانه وبغيه فلما قطع موسى بني اسرائيل البحر جعلت الجبورة لهرون وهي رأس المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقرابنهم الى هرون فيضعها على المذبح فتتزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الجبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا فقال اما أنا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى ترى بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال ها تواعصمكم فز مهاوا ألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصمهم حتى أصحوا فاصبحت عصاهرون قداهم تزلها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما ما هو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الاعتزاز وتجبر او معاداة لوسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضر ب على جدرانها صفاغ الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون اليه ويرحون فيطعمهم الطعام ويحسدونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنهما دينار وعلى كل ألف درهم عنهما درهم وكل ألف شاة عنهما شاة وكذلك سائر الاشياء ثم جمع الى بيته فحسبه فوجده شيا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما شئت قال أمركم ان تجميعوا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعل على ان تقدم موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عاياه بنو اسرائيل فرضوه فدعواها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستمان ذهب وقيل قال لها قارون أتزلك وأخطئك بنسائي على أن تقدمي موسى بنفسك عدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتفرون خروجا لتأمرهم وتنهاتهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدته ومن زنى وله امرأة رجناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأتزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها أحدث قوبة أفضل من ان أؤذي رسول الله فقالت لا والله وان كان قارون جعل لي جعل على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا بيكى ويقول اللهم

قال أهل العلم بالخبر والسير كان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون واقراءهم للتوراة وأجلهم وأعنانهم وكان حسن الصوت فبني وطغي وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان باسم قومه ان يعلقوا في أردبتهم خيوطا ربعة في كل طرف خيطا أخضر كالون السماء يذكرون به اذا نظروا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أردبتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا في أردبتكم خيوطا خضرا كالون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتهم يفعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطمعه وقال انما فعل هذا الار باب بعبيد هم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدعصيانه وبغيه فلما قطع موسى بني اسرائيل البحر جعلت الجبورة لهرون وهي رأس المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقرابنهم الى هرون فيضعها على المذبح فتتزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الجبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا فقال اما أنا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى ترى بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال ها تواعصمكم فز مهاوا ألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصمهم حتى أصحوا فاصبحت عصاهرون قداهم تزلها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما ما هو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الاعتزاز وتجبر او معاداة لوسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضر ب على جدرانها صفاغ الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون اليه ويرحون فيطعمهم الطعام ويحسدونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنهما دينار وعلى كل ألف درهم عنهما درهم وكل ألف شاة عنهما شاة وكذلك سائر الاشياء ثم جمع الى بيته فحسبه فوجده شيا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما شئت قال أمركم ان تجميعوا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعل على ان تقدم موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عاياه بنو اسرائيل فرضوه فدعواها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستمان ذهب وقيل قال لها قارون أتزلك وأخطئك بنسائي على أن تقدمي موسى بنفسك عدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتفرون خروجا لتأمرهم وتنهاتهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدته ومن زنى وله امرأة رجناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأتزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها أحدث قوبة أفضل من ان أؤذي رسول الله فقالت لا والله وان كان قارون جعل لي جعل على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا بيكى ويقول اللهم

فاعتزلوا جميعا غير رجائين ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذهم فاخذتهم الى الارض فخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذهم فانطابت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك من ارفم ترجمه فوعزني لواء استرجني مرة فترجمته فقال بعض بني اسرائيل انما أهلكه ليرث ماله فدعا الله حتى نحسف بداره وكبره

(فما كان له من فئحة) جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من المنتهين
من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه من مفاصحه (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه من دنياه) بالامس (تطرف لتمنوا
ولم يردبه اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعاره) يقولون وي كائن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقر (وي منفصلة
عن كائن عند البصريين قال سيبويه) كناية على الخطأ وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعني ان القوم قد تنبهوا على خطئهم
في تمنهم وقولهم باليت لنا مثل ما أوفى قارون وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا نتمناه بالامس (لخسف بنا) وبفتحتين حذف
و يعقوب وسهل وفيه ضمير الله (٤١٤) تعالى (وي كانه لا يفلح الكافرون) أي تندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون (تلك الدار

الآخرة) تلك تعظيم لها
وتفخيم لشأنها يعني تلك
التي سمعت بذكرها وبلغت
وصفها وقوله (تجعلها)
خبر تلك والدار نعمتها (الذين
لا يريدون عاقبة في الارض)
بغيا ابن جبير وظلما الضحاك
أو كبرا (ولافسادا) عملا
بالمعاصي أو قتل النفس أو
دعاه الى عبادة غير الله ولم
يعلق الموعد بترك العلو
والفساد ولكن بترك ارادتهما
وميل القلوب اليهما كما قال
ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فعلق الوعد بالترك وعن
على رضى الله عنه ان الرجل
ليحبه أن يكون شر النعلة
أجود من شر النعل صاحبه
فيدخل تحتها وعن الفضيل
انه قرأها ثم قال ذهبت
الاماني ههنا وعن عمر بن
عبد العزيز انه كان يرددها
حتى قبض وقال بعضهم
حقيقته لتغير عن متابعة
فرعون وقارون متشبها
بقوله ان فرعون علفي
الارض ولا تبغ الفساد في
الارض (والعاقبة) المحمودة
(للمتقين من جاء بالحسنة

ان كنت رسولاً فاغضب لي فأوحى الله اليه اني أمرت الارض ان تطيعك ففرها بما شئت فقال موسى يا بني
اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
فلم يبق مع قارون الا رجلا ثم قال موسى يا أرض خذهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وقربه
فأخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم
الى الاوساط ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه في ذلك ينصرفون الى موسى ويناشده
قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة
غضبه ثم قال يا أرض خذهم فاطبقت عليهم الارض فأوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون
سبعين مرة فلم تغيثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لا غنثه وفي بعض الآمال أن جعل الارض بعد ذلك طوعا
لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجمل في الارض كل يوم فامتر جيل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة
واصبح بنوا اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعنا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى
حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئحة) أي جماعة (ينصرونه من
دون الله) أي يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من المنتهين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس) أي صار أولئك الذين تمنوا رزقه الله من الاموال والزينة ينسدمون على ذلك التمني
(يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر ثم وقيل هي كلمة تقر بمعناها أما ترى صنع الله واحسانه وقيل وليك
بمعنى وليك اعلم أن الله وروى اني مفضولة من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا امتد من على ما سلف
منهم وي وكأن معناه أظن وأقدر ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقر) قال ابن عباس أي
يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا أن من الله علينا) أي بالامان (لخسف بنا ويكأنه لا يفلح
الكافرون) قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي استبجرا
عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس ونهاونابهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن
على أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة (ولافسادا) قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى
وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة قلن انني
عقاب الله باداء أو امره واحتجاب نواهيهم وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره قوله تعالى (ان الذي فرض
عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن (لراذلك الى معاد) قال ابن
عباس الى مكة أخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق بخافة الطالب فلما أمن رجع
الى الطريق ونزل بالحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاقت اليها فأتاه جبريل عليه السلام

فله خير منها) مر في التمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات
موضع الصبر لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا افضل تمنحهم بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون)
الامثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزي السيئة الا بما عملها ولا يجزي السيئة بعشر أمثالها وبسبعين (ان الذي فرض عليك
القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبلغه والعمل بما فيه (لراذلك) بعد الموت (الى معاد) أي معادوا الى معاد ليس غيرك من البشر فلذا نكره
أو المراد به مكة والمراد به اليوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معاداله شأن ومرجعها لاعتداد أغلب رسول الله ونهرها لاهلها ولظهور عز
الاسلام وأهلها وذل الشرك وخر به والسورة مكبرة ولكن هذه الآية نزلت بالحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آبائه ولما

وعدرسوله الردالى معاده قال (قل) للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محل نصب. فجعل مضمر أى يعلم (وما كنت ترجوان يلقى) نوحى (اليك الكتاب) القرآن (الأرجمة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما أتى اليك الكتاب الأرجمة من ربك أو الأبعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك أتى اليك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعد إذ أنزل اليك) الآيات أى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيد عباده (ولا تكونن من المشركين) ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم (٤١٥) لانه لو وصل اصار (لانه الا هو) صفة

لالها آخر وفيه من الفساد ما فيه (كل شئ هالك الا وجهه) أى الاياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال يجاهد يعنى علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء فى خلقه (والله ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم (سورة العنكبوت) مكية وهى تسع وستون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان قوة أحد النقصين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعانى المفردات ولكن بضمين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيا حتى تقول حسبت زيدا علما وظننت الفرس جوادا لان

وقاله أتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالحنيفة ابست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لطفى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالقرينين ﴿ قوله عز وجل (وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب) أى نوحى اليك القرآن (الأرجمة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين أبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعد إذ أنزل اليك) والى معرفته وتوحيدته (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل لأنه خاطبه به خصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدع مع الله الها آخر فإثارة هذا النهى قلت الخطاب مع المراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيل على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا اله الا هو كل شئ هالك) أى فان (الوجه) أى الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الاما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق (والله ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزىكم بأعمالكم والله أعلم بمراده * (تفسير سورة العنكبوت) *

وهى مكية وآياتها تسع وستون آية وكلما تسع مائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ قوله عز وجل (الم أحسب الناس) أى أظن الناس (أن يتركوا) أى بغير اختيار وابتلاء (أن) أى بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى لا يبتلون فى أمورهم وأنفسهم كالأختبر بهم لنبيين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية فى أناس كانوا بمكة قد أقرؤا بالاسلام فكذب اليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عمدا من المدينة فاتبهم المشركون فقاتلهم الكفار فقتلهم من قتل ومنهم من نجى فأمر الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وعمارة بن بأس وغيرهم وقيل فى عمار كان يعذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع بن عبد الله مولد عمرو وكان أول من قتل

قوله زيدا عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون تابعا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان قد بره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب لقولهم آمنا والخبر وأما غير مفتونين فتممة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصبير كقول عنزة ﴿ فتركه جزر السباع ينشئه ﴾ ألا ترى انك قبل المجرى بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حواصل ومنه قتل الام وهو اسهات بالنعق والحط وأنواع المصائب فى النفس والاموال ومصاير الكفار الاوطان وجهادة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والنقروا الحط وأنواع المصائب فى النفس والاموال ومصاير الكفار على أذا هم وكيدهم وروى انها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا من أذى المشركين أوفى عمار بن بأس وكان

يعذب في الله (واقدمتنا) اختبرنا وهو موصول بحاسب أو بلا يفقتون (الذين من قبلهم) بأنواع الفتن فمنهم من بوضع المنشار على رأسه فيفترق
 فرقتين ما يصر فذلك عن دينه ومنهم من مشط بامشاط الحديد ما يصره ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في
 الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيسالم بزل ان يعلم موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى
 وليميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصر في أيام
 البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وخرع في أيام البلاء فهو من الكاذبين (أم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك
 والمعاصي (ان يسبقونا) أي يفوقنا يعني ان الجزاء لحقهم لا محالة واشتمال صلة ان على مسند ومسنده اليه سدم مسند مفعولين كقوله أم
 حسبتم ان تدخلوا الجنة أو يجوز ان يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضرب فيها ان هذا الحساب ان يطل من الحساب الاقل
 لان ذلك يقدرانه لا يمتحن بالامانة (٤١٦) وهذا يظن انه لا يجزي بمساويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين (ساعما يحكمون)

من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من
 هذه الامة فجرع أبواه وامرته فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (واقدمتنا الذين من قبلهم) يعني
 الانبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنوا اسرائيل بفرعون فكان بسوءهم سوء العذاب
 (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية
 فليظهن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلوم وقيل ان آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع
 وما هو واقع ﴿قوله تعالى﴾ (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (ان يسبقونا) أي يجز ونا فلا
 تقدر على الانتقام منهم (ساعما يحكمون من كان يرجو لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث
 والحساب وقيل من كان يطعم في ثواب الله (فان أجل الله لات) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل
 يوم القيامة لسكان والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليست عدله وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم)
 أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيمشيهم أو يعاقبهم أو يعفو ﴿قوله تعالى﴾ (ومن جاهد فأنما يحاهد
 لنفسه) أي له ثوابه وهذا يحكم الوعد لا يحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفي الجهاد هو الصبر على الاعراء
 والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغني عن العالمين) أي عن أعمالهم
 وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلا أعطى جميع ما خلقه لعبد من
 عبده لا شئ عليه لا يستغنا عنه وهذا الوجه الرجا التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين
 فلا أهل كهم بعذابه فلا شئ عليه لا يستغنا عنهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنسفرن عنهم سيئاتهم)
 أي لنبتلها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذ هاب السبب بالحسنة (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا
 يعملون) أي باحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا ﴿قوله عز وجل﴾ (ووصينا
 الانسان بوالديه حسنا) معناه بواجب ما وعدنا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهم ما يحسن
 نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك
 الزهري وأمه حنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاقرين وكان بارا بابه
 قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما أكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو اموت فتغير بذلك
 أبا الدهر ويقال باقاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليله لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم
 مكثت كذلك يوما آخر وليله فجاءها فقال يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسك ففانفسا ما تركت ديني

ما في موضع رفع على معنى
 ساء الحكم حكمهم أو
 نصب على معنى ساء حكماء
 يحكمون والمخصوص بالذم
 محذوف أي بس حكماء
 يحكمونه حكمهم (من
 كان يرجو لقاء الله) أي
 يأمل ثوابه أو يخاف حسابه
 فالرجاء يحتملها (فان
 أجل الله) المضروب للثواب
 والعقاب (لات) لا محالة
 فليبادر للعمل الصالح الذي
 يصدق رجاءه ويحقق أمه
 (وهو السميع العليم) لما يقوله
 عباده (العليم) بما يفعلونه
 فلا يفوته شئ ما وقال الزجاج
 من للشرط ويرتفع بالابتداء
 وجواب الشرط فان أجل
 الله لات كقوله وان كان
 زيد في الدار فقد صدق الوعد
 (ومن جاهد) نفسه بالصبر
 على طاعة الله أو الشيطان
 بدفع وساوسه أو الكفار

(فانما يحاهد لنفسه) لان منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم وعبادتهم
 وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنسفرن عنهم سيئاتهم) أي الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة (ولنجزيهم
 أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم في الاسلام (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصي حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه
 يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول أمرته بان يفعل ومنه قوله ووصي بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكامة التوحيد وأمرهم بها وقولك
 وصيت زيدا بعمر ومعناه وصيته بتعهد عمر ومرعاهه وتحذوك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناها ببناء والديه حسنا
 أو بيبلاء والديه حسنا أي فعلا احسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنة كقوله وقولوا للاناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك
 زيد باضمار اضرب اذا رأيتهم مائلا للضرب فتنبه باضمار أولهما وافعل مع حالان التوسية بمادة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا أولهما
 معروفا ولا تطعمهما في الشرك اذا جعل عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا يد من

فكلى

اضمار القول معناه وقتلنا (وان جاهداك) أي لانتشرك في ما ليس لك به علم (أي لا علم لك بالهيمته والمراد بنبي العلم نبي المعالوم كانه قال لتشرك في شيا لا يصح ان يكون الها (فلا تطعهما) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (الي مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فانبتشكم بما كنتم تعملون) فاجاز بكم حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعيد اتخذ من متابعتهم على الشرك وحث على التبات والاستقامة في الدين روي ان سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه ان لاتا كل ولا تشرب حتى يرتد فشق كالي النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي في أقسام والتي في الأحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ والخبر (لندخلتهم في الصالحين) في جملتهم والصالح من أبلغ صفات المؤمنين وهو معنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام (٤١٧) وأدخلكم في عبادك الصالحين

وقال يوسف عليه السلام
توفيتني مسلما وألحقني
بالصالحين أوفى مدخل
الصالحين وهو الجنة ونزلت
في المنافقين (ومن الناس
من يقول آمنا بالله فاذا
أؤذي في الله) أي أذامسه
أذى من الكفار (جعل
فتنة للناس كعذاب الله)
أي جزع من ذلك كما يجزع
من عذاب الله تعالى (ولئن
جاء نصر من ربك ليقولن
انا كذبتكم أي واذا نصر
الله المؤمنين وغنمهم
اعترضوهم وقالوا انا كذبتكم
أي متابعين لكم في دينكم
نابتين عليه بشائكم فاعطونا
نصيبنا من الغنم (أوليس
الله باعلم بما في صدور
العالمين) أي هو أعلم بما
في صدور العالمين من العالمين
بما في صدورهم ومن ذلك
مافي صدور هؤلاء من
الغنائق ومافي صدور المؤمنين
من الاخلاص ثم وعد
المؤمنين وأوعد المنافقين
بقوله (وليعلم الله الذين

ذكبي ان شئت وان شئت فلا تآكلني فلما أبست منه أكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر
لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهداك لتشرك في ما ليس لك
به علم فلا تطعهما) وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعد بالصبر اليه فقال تعالى (الي مرجعكم
فانبتشكم) أي فاخيركم (بما كنتم تعملون) أي صالح أعمالكم وسياتها أي فاجاز بكم عليها (والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين) أي في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل
الصالحين وهو الجنة قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذي) يعني أصابه بلاء من الناس
افتنن (في الله جعل فتنة للناس كعذاب الله) أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى
انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطبع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا أؤذي
في الله جزع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء
المنافقون للمؤمنين (انا كذبتكم) أي على عدوكم وكما مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا قتلنا فاذ كذبهم
الله تعالى فقال (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي من الايمان والنفق (وليعلم الله الذين
آمنوا) أي صدقوا وافتنوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلم المنافقين) أي بترك الاسلام عند
البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالسننهم فاذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في
أنفسهم افتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم الي بدر وهم الذين نزلت فيهم
الذين تتوفاهم الملائكة تطامى أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الي ههنا منسوبة وبقي
السورة مكي (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان (للذين آمنوا) أي من قرأش
(اتبعوا سبيلنا) يعني ديننا وله آياتنا ونحن الكفلاء بكل تبععة من الله تصيبكم فذلك قوله (وانحمل خطاياكم)
أي أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كما كذبهم الله عز وجل بقوله (وما هم بحاملين
من خطاياهم من شئ الاثم لم يكاذبون) في قولهم تحمل خطاياكم (وليعلم أنقالمهم) أي أوزار أعمالهم
التي عملوها بانفسهم (وانقالمع أنقالمهم) أي أوزارهم أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فان
قلت قد قال أولوا ما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحملن أنقالمهم وانقالمع أنقالمهم فكيف
الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون
أوزارهم ويحملون أوزار اسباب الضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيئة
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الي يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم
(وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أي سؤال توبيخ وتقرير بع لانه تعالى عالم بأعمالهم وافتراهم
قوله تعالى (واقدر أرسلنا نوحا الي قومه فلبث) أي أقام (فيهم) يدعوهم الي عبادة الله وتوحيد (ألف

(٥٣ - خازن) - ثالث) آمنوا وليعلمن المنافقين) أي حالهما ظاهرة عندهم من تلك الجزاء عليهما (وقال الذين كفروا والذين
آمنوا اتبعوا سبيلنا ولتحمل خطاياكم) أمرهم باتباع سبيلهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وأمرؤ أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف
الامر على الامر وارادوا الاجتماع هذان الامران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وان تحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أي ان
تبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديق قرش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا تبعن نحن ولا نتم فان كان ذلك فانا نحمل عنكم الاثم
(وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ الاثم لم يكاذبون) لانهم قالوا ذلك وقولهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفي نلوهم نمة الخلف
(وليعلم أنقالمهم) أي أنقالم انفسهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم (وانقالمع أنقالمهم) أي أنقالم آخر غير الخطايا التي ضمنوا المؤمنين
جملها وهي انقال الذين كانوا يبغون ضلالهم وهو كإقال لعمالوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يصلونهم بغير علم (وليسئلن يوم
القيامة عما كانوا يفترون) يخلفون من الاكاذيب والباطيل (واقدر أرسلنا نوحا الي قومه فلبث فيهم ألف

سنة الاخسين عاما) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن
 وهب انه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت بأطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل
 تسعمائة وخمسين سنة لانه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكما قيل تسعمائة وخمسين
 سنة كالملة واقية العدد الا ان ذلك أحصر وأعذب لفظا وأملا بالفائدة ولان القصة سميت لما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابد من
 طول المصاير تساية لتبنا عليه السلام فكان ذكر الالف فخيم وأوصل الى الغرض وحجى بالمميز أولا وبالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد
 في كلام واحد تحقيق بالاجتناب في البلاغة (فاخذهم الطوفان) هو ما أطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما (وهم
 ظالمون) انفسهم بالكفر (فاتجيبناه) اي نوحا (واصحاب السفينة) وكانوا ثمانمائة وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد
 نوح سام وحام وياثف ونسأوهم (وجعلناها) اي السفينة او الحادثة والقصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (وابراهيم) نصب
 باصمراذ كبر بدل عنه (اذ قال) بدل استعمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوح اي وارسلنا ابراهيم او طرف الارسلنا يعني
 ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مباحصم في ان يعط قومه وياسرهم بالعبادة والتقوى وقر ابراهيم الخفي وابوحنيفة رضي الله عنهما
 وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين (٤١٨) ابراهيم لقومه اعبدوا الله واتقوه ذاكم خير لكم) من الكفر (ان كنتم تعلمون) ان كان

لكم علم بما هو خير لكم مما
 هو شر لكم انما تعبدون
 من دون الله اوتانا اصناما
 وتخلقون وتكذبون او
 تصنعون وقر ابوحنيفة
 والسلي رضي الله عنهما
 وتخلقون من خلق يعنى
 التكثير في خلق (افسكا)
 وقرى اذكا وهو مصدر نحو
 كذب ولعب والالف تخفف
 منه كالكذب واللعب من
 اصلهما واختلافهم الالف
 تسميتهم الاوتان آلهة
 وشركا لله ان الذين تعبدون
 من دون الله لا يملكون لكم
 رزقا لا يستطعون ان
 رزقكم شيئا من الرزق
 فابتغوا عند الله الرزق
 كله فانه هو الرزق وحده لا
 رزق غيره) واعبدوه

سنة الاخسين عاما) فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهو لاقال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدة ان
 احدهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة
 فقد يتوهم السائل انه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقها فان قال مائة سنة الاشهر او الا سنة زال ذلك التوهم
 وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا وعلى مراتب العدد
 ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم
 حيث أعلم ان الانبياء قد ابتوا قبله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة الاخسين عاما يدعوهوم فصبر في الدعاء ولم
 يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لقله مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين
 سنة وبقى في قومه يدعوهوم ألف سنة الاخسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان
 عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك قوله تعالى (فاخذهم الطوفان) أي فاغرقهم (وهم ظالمون)
 قال ابن عباس مشركون (فاتجيبناه) واصحاب السفينة) يعني من الغرق (وجعلناها) يعني السفينة (آية)
 أي عبرة (للعالمين) قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة لله تعالى
 (وابراهيم) أي وارسلنا ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي اطيعوا الله وخافوه (ذاكم خير لكم
 ان كنتم تعلمون) أي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكم لا تعلمون (انما تعبدون من دون الله اوتانا
 وتخلقون انسكا) أي تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما يديكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من
 دون الله لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدر ان يرزقكم (فابتغوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه
 القادر على ذلك (واعبدوه) أي وحدوه (واشكروا له) لانه المنعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) أي في
 الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما
 على الرسول الا البلاغ المبين) قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يستعمل

واشكروا له اليه ترجعون) فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (وان تكذبوا فقد كذب أمم ان
 من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي وان تكذبوني فلا تضروني بنكذبيكم فان الرسل قبلي قد كذبتم أممهم وما ضرهم وانما ضرروا
 انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذبيهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترا به آيات الله
 ومجيزاته أو وان كنت مكذبا فمما بينكم في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية
 والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محبة أنه أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالام قبله قوم شيت وادريس
 ونوح وغيرهم وان تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وأخوها فان قلت فالجل
 الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكذوب زيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن اراد قصة ابراهيم عليه السلام
 ليس الارادة للتفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسالة له بأن أباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك
 قومه وعبادتهم الاوتان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم بما عسقر قريش ان تكذبوا محمد فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة تبنيها
 لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعد هاهنا من اربعها الكونها ناطقة
 بالوحد ودلائله وهدم الشرك وتوهم قواعده وصفة قدرة الله تعالى واسطانه ووضوح حجة وبرهانه (أولم يروا) وبالتاء كوفي غير حفص

(كيف يبدئ الله الخلق) أي قدر أو أذن ذلك وعلموه وقوله (ثم يعيده) ليس معطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو اخبار على حيايه بالاعادة بعد الموت كما وقع الظاهر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (ان ذلك) أي الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا مجذون كان من كلام ابراهيم فقد روي وأجبتنا اليه أن قل (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأوا بدأ يعني (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث وبالمدحيت كان مني وأبو عمرو وهذا دليل على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما ما نشأ أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب أن لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فلا تنبيه على هذا المعنى أبو زاسم وأوقعه مبتدأ (ان الله على كل شيء قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (و يرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله والاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة (٤١٩) السنة (واليه تقبلون) تردون وترجعون

(وما أنتم بمعجزين) ربكم أي لا تفوتونه ان هر يستم من حكمه وقضائه (في الارض) الفسحة (ولا في السماء) التي هي أفضح منها وابتطو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم (ولا نصير) ولا ناصر يمنعكم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته (ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي) جنتي (وأولئك لهم عذاب أليم) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء لا تتبع اقتلوه أو حرقوه (فأنجاه الله من النار) أي بان جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آياتا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويعلن بعضهم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتبرأ القادة من الاتباع ويعلن الاتباع القادة (ومأواك النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصر من) أي مانعين من عذابه (فأمن له لوط) أي صدقه برسالة لمارأي معجزاته وهو أول

أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انما وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذكار أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) أي يخلقهم نطفة ثم علقه ثم مضغه (ثم يعيده) أي في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) أي الخلق الاول والخلق الثاني (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكلام يعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يعذر عليه انشاؤهم معيد بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شيء قدير) أي من البداء والاعادة (يعذب من يشاء) عدلامه (و يرحم من يشاء) تفضلا (واليه تقبلون) أي تردون (وما أنتم بمعجزين) في الارض ولا في السماء (قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه أهل الارض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء أي لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي يمنعكم مني (ولا نصير) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (أولئك يئسوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آحرا الآيات في تذكار أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء لا تتبع اقتلوه أو حرقوه (فأنجاه الله من النار) أي بان جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آياتا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويعلن بعضهم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتبرأ القادة من الاتباع ويعلن الاتباع القادة (ومأواك النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصر من) أي مانعين من عذابه (فأمن له لوط) أي صدقه برسالة لمارأي معجزاته وهو أول

واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النار) حين نذفوه فيها (ان في ذلك) فيما فعلوا به وفعلنا (لايات لقوم يؤمنون) روي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقى ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آياتا مودة بينكم في الحياة الدنيا) جزوة حصة مودة بينكم مديني وشامي وحمادي ويحيي وخلف مودة بينكم مكي وبصري وعلى مودة بينكم الشموذي والبرجي والنصب على وجهين على التعليل أي لتوادوا بينكم وتتواصلوا الاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون منعولا ثانيا كقوله اتخذ الله هواه وما كافة أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبر الان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لاطرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) تتبرأ الاوثان من عابديها (ويعلن بعضهم بعضا) أي يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيعلن الاتباع القادة (ومأواك النار) أي ماوى العابدين والمعبودين والمتبوع (وما لكم من ناصر من) ثقة (فأمن له) لابراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخي ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار تمحرقه

(وقال) ابراهيم (ابن مهاجر) من كوثي وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهي من بريدة الشام ومن ثم قالوا الشكل نبي هجرة
 ولا ابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم (الحرابي) الى حيث امرني ربي بالهجرة اليه (انه هو العزيز)
 الذي يعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يامرني الا بما هو خير (وهبنا له اسحق) ولدا (يعقوب) ولدا ولد ولم يذكرا سمعيل لشهرته
 (وجعلنا في ذريته النبوة) أى في ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والانجيل والزبور والفرقان
 (وآتيناه) أى ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له وهو بقاء ضيقه عند قبره وليس ذلك لغيره (في
 الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر في الدنيا (وانه في الآخرة ثمان الصالحين) أى من أهل الجنة عن الحسن (ولوطا) أى واذا كبر لوطا
 اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) (٤٣٠) الفعلة البالغة في القبح وهى اللواط (ما سبقكم من أحد من العالمين) جملة مستأنفة

مقررة لفاحشة تلك الفعلة
 كان فائلا قال لم كانت
 فاحشة فليل لان أحد اقبلهم
 لم يقدم عليهم قالوا لم يترد كثر
 على ذكركم قوم لوط
 (أنتم لتأتون الرجال
 وتقطعون السبيل) بالقتل
 وأخذ المال كأهو عمل
 قطاع الطريق وقيل
 اعتراضهم السالبة بالفاحشة
 (وتأتون في ناديتكم) مجلسكم
 ولا يقال للمجلس ناد الاما
 دام فيه أهله (المنكر) أى
 المضارطة والمجامة والسباب
 والفحش في المزاح والحذف
 بالخصى ومضغ العلك
 والفرقة والسواك بين
 الناس (فما كان جواب
 قومه الا أن قالوا ائتنا
 بعذاب الله ان كنت من
 الصادقين) فيما تعدنا من
 نزول العذاب انكم أنتمكم
 شامى وحفص وهو الموجود
 فى الامام وكل واحدة
 هم مرتين كوفى غير حفص

من صدق ابراهيم وأما فى أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعنى ابراهيم
 (ابن مهاجر الى ربي) الى حيث امرني ربي فهاجر من كوثي وهي من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام
 ومعه لوط وامر أنه سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه
 قبل هاجره وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أى الذى لا يغلب والذى يعنى من أعدائى (الحكيم)
 الذى لا يامرني الا بما هو خير (وقوله تعالى) (وهبنا له اسحق) و يعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
 يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناه أجره فى الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل
 الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا فى الدنيا (وانه فى
 الآخرة ثمان الصالحين) أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح ﴿ قوله عز وجل (ولوطا)
 اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة (ما سبقكم من أحد من العالمين) أى لم يطعها
 أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أنتم لتأتون الرجال) يعنى انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون
 السبيل) وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بين مريهم من المسافرين فترك الناس المريهم لاجل ذلك وقيل
 معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون في ناديتكم المنكر) أى مجلسكم والنادى مجلس
 القوم ومخدعهم عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله (وتأتون في ناديتكم المنكر) قال
 كانوا يحذفون أهل الارض ويسخرون منهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غرب الحذف هو روى
 الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مريهم
 عابرسبيل حذفوه فاهم أصابه قال أنا وأولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه ويكسبه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل
 انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا فى مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام
 كان يبرق بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك ونظر يرف الاصابع بالجماعة وحل الازار
 والصفير والحذف والرعى بالجلا هو واللوطية (فما كان جواب قومه) أى لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه
 من القبائح (الآن قالوا) يعنى استهزاء (ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أى ان العذاب نازل بنا
 فعند ذلك (قال رب انصرني على القوم المفسدين) أى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم ﴿ قوله عز وجل
 (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) يعنى من الله باسحق ويعقوب (قالوا انما هم لكوأهل هذه القرية)
 يعنى قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا من المؤمنين) يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله (ان فيها
 لوطا قالوا) أى قالت الملائكة (نحن أعلم بما فيها نتجينه وأهله الامر أنه كانت من الغابرين) أى من

آينكم اينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أو عر واينكم اينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة وفى
 غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بمحملهم على ما كانوا عليه
 من المعاصى والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة لابراهيم بالولد والناذلة يعنى اسحق ويعقوب (قالوا انما هم لكوأهل
 هذه القرية) اضافة مهلكة لم تفد تعريفا لانها يعنى الاستقبال والقرية سدوم وفيها أجور من قاضى سدوم وهذه القرية تشعر بانها
 قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان أهلها كانوا من المؤمنين) أى الظالم
 قد استمر منهم فى الايام السالفة وهم عليه مصر ونظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) أى أهلها كانوا من المؤمنين
 هو روى عن الظلم وهو لوط (قالوا) أى الملائكة (نحن أعلم بما فيها نتجينه) عن فيها نتجينه يعقوب وكوفى غير عاصم (وأهله الامر أنه كانت
 من الغابرين) الباقيين فى العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعدم مقارفتهم ابراهيم بقوله

(ولما ان جاءت رسالتنا لوطاسي بهم) ساء عبيدهم وان صلوا كدت وجود الفعليين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهما وجداني جزوا واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس عبيدهم فاجأته المساعة من غير ريث خيفة عليهم من قومها ان يتناولوهم بالفجور سي بهم مدني وشامخي وعلى (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعا أي طاقته وقد جعله لوضاق الذرع والذراع عبارة عن فقد العاطقة كما قالوا رجب الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضر بذلك مثلثا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لا تخف ولا تخزن انما نخولك) وبال تخفف مكي وكوفي غير حفص (وأهلك) الكاف في محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أي وتنجي أهلك (الامرأتك كانت من الغابرين انما منزلون) منزلون شامخي (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) (٤٢١) هي آثار منازلهم الخربة وقيل الماء

الاسود على وجه الارض (لقوم) يتعلق بتركنا أو بيئته (يعقلون والى مدني) وأرسلنا الى مدني (أخاهم شعيبا) فقال يا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة أو خافوه (ولا تعشوا في الارض مفسدين) قاصدين الفساد (فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جنيريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها (فاصبحوا في دارهم) في بلدتهم وأرضهم (جائسين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك (وعدود) جزء وحفص وسهل ويعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتم

الباقين في العذاب (ولما ان جاءت رسالتنا لوطاسي بهم) أي ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه (وضاق بهم ذرعا) أي عجز عن تدبير أمرهم فخرن لذلك (وقالوا لا تخف) أي من قومك (ولا تخزن) علينا (انما نخولك وأهلك) أي انما هلكوا بهم ونخولك وأهلك (الامرأتك كانت من الغابرين انما منزلون) على أهل هذه القرية رجزا (أي عذابا) (من السماء) قيل هو الحسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون) ولقد تركنا منها) أي من قريان لوط (آية بينة) أي عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعني أقلها يتدبرون الآيات تدبر ذرى العقول قال ابن عباس الآية البيئته آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلها كانوا يبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامم وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض ﴿ قوله تعالى (والى مدني) أي وأرسلنا الى مدني ومدني اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدني وأولاده وعلى القول الثاني وأرسلنا الى أهل مدني (أخاهم شعيبا) فقال يا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم الآخر) أي افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعشوا في الارض مفسدين) فكذبوه فاخذتهم الرجفة) أي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة (فاصبحوا في دارهم جائسين) أي باركين على الركب ميتين (وعادا وعدودا) أي وأهلكنا عادا وعدودا (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) أي من منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي عبادتهم لغير الله (فصددهم عن السبيل) أي عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أي عقلاء ذري بصرهم وقيل كانوا مجيبين في دينهم وضلالتهم بحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أي أهل كها هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالدلائل الواضحات (فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) أي فأتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصاب وهو الحصى الصغار (ومنهم من أخذناه الصيحة) يعني عمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني فارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أي بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بالاشراك ﴿ قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها (مثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تاروى اليه وان ييتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوتان لا تحل لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت اتخذت بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وحبص أو نختمه من صخر

اليها عند مورك بها وكان أهل مكة يعمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصددهم عن السبيل) الذي أمروا بساؤا كه هو الايمان بالله ورسوله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فأتين أدركهم أمر الله فلم يقوه (فكلا أخذنا بذنبه) فيمرد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ريح عاصف فيها حصاب وهي لقوم لوط (ومنهم من أخذناه الصيحة) هي لمدني وعمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني فارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الاوتان في الضعف وسوء الاختيار (مثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي مثل العنكبوت فيما اتخذته لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الحرا والبرد ولا يقي ماتي البيوت فكذلك الاوتان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة جعل حاتم اتخذت حلالا

(وان أوهن البيوت لبنت العنكبوت) لا يثبت أوهن من بيتها عن علي رضي الله عنه ظهر وابتوتكم من نسيج العنكبوت فان تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقبل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تغذي بيتها بالاضافة الى رجل يبنى بيتها بالحجر وحص أو يخته من صخر وكذا ان أوهن البيوت اذا استقر يتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقر يتها يدنادينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (ان الله يعلم ما يدعون) بالباء بصري وعاصم وبالتاء غيرهما غير الاعشى والبرجي وما معنى الذي وهو مفعول بعلم ومفعول يدعون مضمر أي يدعونه بمعنى يعبدونه (من دونه من شيء) من في من شيء للذين (وهو العزيز) الغالب (٤٢٢) الذي لا شريك له (الحكيم) في ترك المعاجلة بالعقوبة وتوفيه تحمیل لهم حيث عبدوا

جماد الاعلم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدبير (وتلك الامثال) الامثال نفت والخبر (نضر بها) نبينها (للناس) كان سفهاء قرئش وجهلهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) به وباسمائيه وصفاته أي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كصور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاه هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على

فكان أوهن البيوت اذا استقر يتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقر يتها يدنادينا عبادة الاوثان لانها لا تضرب ولا تنفع (وان أوهن البيوت لبنت العنكبوت) أشار الى ضعفه فان الریح اذا هبت عليه أو لمسه لا مس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح ان أوهن البيوت لبنت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أوهن الاديان (لو كانوا يعلمون) أي ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا توكميد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذي يدعون من دونه ليس بشيء (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويستغل بعبادة من ليس بشيء أصلا (وتلك الامثال) أي الاشياء بمعنى أمثال القرآن التي شبهم بأحوال الكفار من هذه الامة بأحوال كفار الامم السابقة (نضر بها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يعقلها الا العالمون) يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم تلاه هذه الآية وتلك الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أي للحق واطهار الحق (ان في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ﴿وقوله تعالى (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلاة) فان قلت لم أمرهم بدين الشين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة فليس يقوى الاعتقاد الحق والسنة وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقه مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما مما يتكرر فلذلك أمرهم بما (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) أي ما قبح من الاعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومن درج عن معاصي الله فمن لم تأمره صلواته بالعرف ولم تنهه عن المنكر لم تزد صلواته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقبل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي والسينات كجروي عن أنس قال كان فتي من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئا الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلواته ستنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقبل معنى الآية انه ما دام في صلواته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشعلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قرأ القرآن الليل كما فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قرأته وفي رواية انه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق

فضل العلم على العقل (خلق الله السموات والارض بالحق) أي محققا يعني لم يخلفه ما باطل بل الحكمة وهي ان تكونوا بالليل مساكن عبادة وعبرة للمعتبرين منهم -م ودلائل على عظم قدرته الاترى الى قوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تقر بالى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمره ونهى عنه (وأقم الصلاة) أي دم على اقامة الصلاة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) الفعل القبيحة كالزنا مثلا (والمنكر) هو ما ينكر الشرع والعقل قبل من كان مراعى للصلاة جره ذلك الى أن ينتهى عن السينات يوما ما قدر وى انه قيل يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلواته لتردعه وروى ان فتي من الانصار كان يصلى معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلواته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف ان الصلاة تنهى اذا كنت فيها فانت في معروف وطاعة وقد حجزت عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلواته

ولا تخطه بيمينك) خص اليمين لان الكتابة غالباً تكون باليمين أى ما كنت قرأت كتاباً من الكتب ولا كنت كاتباً (إذا) أى لو كان شئ من ذلك أى من التسلية ومن الخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجد بعينه فى كتبنا أى لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لا يقرأ مشرك ومكة وقالوا العله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي مامات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أى القرآن (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) أى فى صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات لا يحاز وكونه محفوظاً فى الصدور بخلاف سائر الكتب فانهم لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف (وما يجمعها آياتنا الواضحة) (الظالمون) أى المتوغلون فى الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مكى وكوفى غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقصة والعصا ومائدة (٤٣٤) عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل إنما آيات عند الله) ينزل أيها شاه اولست أم لك شياً منها

(وانما أنا نذرم بينك) كلفت الانذار وابتائه بما أعطيت من الآيات وليس لى ان أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أى أولم يكفهم آية معنية عن سائر الآيات ان كانوا طابطين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون فى مكان دون مكان (ان فى ذلك) أى فى مثل هذه الآيات الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرجسة) لنعمة عظيمة (وذكري) وتذكرة (لقوم يؤمنون)

من كتب أى من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك) أى ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذ الارتاب المبطلون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤهم من كتب الاولين أو ينسخه منها وقبل المبطلون هم اليهود ومعناه انهم اذ الشكوا فيه وانهم مولك وقالوا ان الذى نجد نعته فى التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك التعت (بل هو آيات بينات) يعنى القرآن (فى صدور الذين أوتوا العلم) يعنى المؤمنين الذين حلوا القرآن وقال ابن عباس يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعته وصفته فى كتبهم (وما يجمعها آياتنا الا الظالمون) يعنى اليهود (وقالوا) يعنى كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى كما أنزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) أى هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها (وانما أنا نذرم بينك) أى إنما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدى (أولم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة آمن من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على عمر الدهور والزمان ثابتة لا تضحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) يعنى القرآن (لرجسة) وذكري لقوم يؤمنون) أى تذكريا وعظمتان آمن به وعمل صالحاً (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً) قال ابن عباس معناه يشهد لى فى رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما فى السموات والارض) أى هو المطلع على أمرى وأمركم ويعلم حقى وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ماسوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثانى لبيان قبح الاول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أى المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمن ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ويستجلبونك بالعذاب) نزلت فى النضر بن الحرث حيث قال فأمطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدت لى انى لأعذب قومك ولا أسستأصلهم وأخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة أعمالهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعنى العذاب وقيل الاجل (بغتهم وهم لا يشعرون) باتيانهم (يستجلبونك بالعذاب) أعاده تا كيدا (وان جهنم محیطة بالكافرين) أى جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها (يوم يعشاهم العذاب) أى يصيبهم (من

دون المتعنتين (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً) أى شاهد اصدق ما أدعيه من الرسالة وانزال القرآن فوقهم على وتكذيبكم (يعلم ما فى السموات والارض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمن الان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وروى ان كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت (ويستجلبونك بالعذاب) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية (ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فناءهم بأجلهم والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيرها الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب عاجلاً) وليأتينهم العذاب عاجلاً وليأتينهم العذاب فى الاجل المسمى (بغته) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يستجلبونك بالعذاب وان جهنم محیطة بالكافرين) أى سخط بهم (يوم يعشاهم العذاب) من

فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ولا وقف على الكافرين لان يوم طرف احاطة النار بهم (ويقول) بالياء كوفي ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (بإعبادي) وبسكون الياء بصري وكوفي غير عاصم (الذين آمنوا أن أرضي واسعة) وبتخ الياء شامي يعني ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلده وفيه ولم يتمش له أمر دينه فلهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه أسلم قلبا وأصح ديناً وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك متفاوتا كثيراً وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحت على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للامر الديني من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها الى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فربدينه من أرض الى أرض وان كان شبراً من الأرض استوجب الجنة (فاباى فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقدمه فاباى فاعبدوا فاعبدوني ووجه (٤٢٥) بالقاء في فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان

أرضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص ثم شجع المهاجرين بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واحدة قرارته وكرهه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها (ثم يناترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتهن من الجنة غرفا) لنزولهم من الجنة على لئلا ينهم كوفي غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى زيادة الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى

فوقهم ومن تحت أرجلهم وتقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون ﴿قوله تعالى﴾ (بإعبادي الذين آمنوا أن أرضي واسعة فاباى فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الامان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجر وافيا أي فهاجروا فيها وقال سعيد بن جبيرة اذا علموا في الأرض بالمعاصي فاهربوا منها فان أرضي واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فان أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلده يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تنهيه فيها العبادة وقيل معنى ان أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أي كل أحد ميت خوفهم بالموت لنهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم يناترجعون) فنجزيكم بأعمالكم ﴿قوله تعالى﴾ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتهن من الجنة غرفا) أي على جمع غرف فوهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ثم أجر العاملين) أي الله بطاعته (الذين صبروا) على الشدة اذ لم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجر والى المدينة فقالوا كيف نتخرج الى المدينة وتوليس لنا هادرا ولا مال فنن يعطمنابنا ويسقنا فانزل الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها مع الضعفها ولا تدخر شيئا لغيرها مثل البهايم والطير (الله يرزقها واياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أي لا قوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكلتم لرزقكم كإرزاق الطير تغدو خصا صا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انما تذهب اول النهار جيا عاضرة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شباعا مملئة الباطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس ليس من شيء يقار بكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفت في روعى الروح وعضم الرأء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبتخ الرأء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الخوف انه ليس من نفس تموت حتى

(٥٤ - (خازن) - ثالث) (العرف اما جوارحه مجرى لنزولهم أو لنوؤ بينهم أو حذف الجار واىصال الفعل أو تشبيهه الظرف المؤقت بالمهم) تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ثم أجر العاملين) أي يوقف على العاملين على ان (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي والوصول أجود لكون الذين نعتوا للعاملين (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ولسا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة فها هو الفقير والضعيف فنزلت (وكأين من دابة) أي وكمن دابة وكان بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحملها لضعفها عن حمل (الله يرزقها واياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا الا هو ويا الله وان كنتم مطيعين لحل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب اكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها الا تدخره انما يصعب في رزقها الله وقيل لا يدخر شيء من الحيوان قوت الا ابن آدم والفأرة والنملة (وهو السميع) اقوالكم نخشى الفقر والعيالة (العليم)

بما في ضمائرهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن الذي سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقدر بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم في الحديث ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحياهه الارض بعد موتها ليقولن الله) أي هم مقررون بذلك (قل الحمد لله) على انزاله الماء لاحياء الارض أو على أنه ممن أقر بخوم أقر وابه ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عابثا كاقرار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما يروجهم من الآيات وتقيم عليهم من (٤٦٦) الدلالات أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله (وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب) أي وما هي

تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجروا في الطلب ولا يحمنكم استبطاء الرزق ان تطالبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته ﴿ قوله عز وجل (ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) قيل معناهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر ان خلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدره) أي يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) أي يعلم مقدار الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحياهه الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب وموجد السبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أي على ان الفاعل له هذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم بانهم خالق هذه الاشياء ﴿ قوله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) الله هو الاستمتاع بالذات الدنيا وقيل هو الاشياء تستعمل بما لا يعنيه وما لا يهتم به واللعب هو العبث وفي هذا تصغير لادنيا وزد اعلم او عسى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم يصرفون (وان الدار الاخرة لاهي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الاخرة فلما آثروا الفاني على الباقي ﴿ قوله عز وجل (فاذا ركبوها في الفلك) معناهم على ما وصفه وابه من الشرك والعناد فاذا ركبوها في الفلك وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) أي تركوا الاصنام ورجعوا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجحهم الى البر اذا هم يشركون) أي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبو البحر جالوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يا رب يارب (ليكفر واما آتيناهم) أي ليحسدوا نعمته الله في اجابته اياهم ومعناه التمديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لاقادة لهم في الاشرار التي تمتعوا بها يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم فبئس تهديد وعيد ﴿ قوله عز وجل (أولم يروا انما جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعني العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل

لسرعة وزوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتصرفون وفيه ازدياد بالدنيا وتصغير الامرها وكيف لا يصغرهما وهي لا تزول عنده جناح بعوضة والاهو ما يتلذذ به الانسان فيلعب به ساعة ثم ينقض (وان الدار الاخرة لاهي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها هي ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقباصه حيوان نقلبت الياء الثانية واو ولم يقل لاهي الحياة لما في بناء فعلا من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فنجيئته على بناء دل على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ووقف على الحيوان لان التقدير (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدار من الاختاروا

اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو وصل لاصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فاذا ركبوها في الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناهم على ما وصفه وابه من الشرك والعناد فاذا ركبوها في الفلك (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورته من يخالص الدين لله من المؤمنين حيث لا يدكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر (فلما نجحهم الى البر) وآمنوا (اذا هم يشركون) عادوا الى حال الشرك (ليكفر واما آتيناهم) من النعمة قبل هي لام كي وكذا في (وليتمتعوا) فبين قرأها بالكسر أي لكي يكفر واو كي يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافر من نعمة التجارة فاصدين يتمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذا أنجاهم ويحسدون نعمة النجاة فخر بعبادة الله تعالى ازدياد الطاعة لالي التلذذ والتمتع وعلى هذا لا وقف على يشركون ومن جعله لام الامر متبنا بقراءة ابن كثير وجزء على وليتمتعوا يسكون اللام على وجه التهديد كقوله فبن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه في اصول الفقه يقف عليه (فسوف يعلمون) سوعند يبرهم عندئذ يبرهم (أولم يروا) أي أهل مكة (انما جعلنا حرما) نعوام صونا (آمنا) يأمن داخله (ويتخطف الناس من حولهم) يستلبون قتلوا وسبوا

(أقبل الباطل يؤمنون) أي بالشيطان والاصنام (وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد عليه السلام والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بان جعل له شريكا (أو كذب بالحق) بنبوته محمد عليه السلام والكتاب (لمجاهد) أي يتلوهما في تكذيبه حين سمعه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثوابهم في جهنم لان همزة الانكار اذا ادخلت على النفي صار ايجابا (٤٢٧) يعني الايثرون فيها وقد افترى وامثل هذا التكذيب على الله

وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصع عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حين اجترأوا مثل هذه الجرعة وذكر المثنوي في مقابلة لنبوتهم يؤيد قراءة الثاني (والذين جاهدوا) أطلق المجاهدة ولم يقيد بها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان واعداء الدين (فيما) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهديهم سبلنا) سبلنا أبو عمرو أي لنزديهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا عن الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهديهم الى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعمل انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهديهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا في رضانا لنهديهم الى الوصول الى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا لنهديهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في التوبة

مكة آمنون (أقبل الباطل) يعني الشيطان والاصنام (يؤمنون) بنعمة الله يكفرون) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي فزعم انه له شريكا فانه منزعه عن الشركاء (أو كذب بالحق) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لمجاهد أليس في جهنم مثوى للكافرين) معناه أما هذا الكافر المكذب ما وى في جهنم قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا والمشركين لنصر ديننا (لنهديهم سبلنا) لنشبههم على ما فاتوا عليه وقيل لنزديهم هدى وقيل لتوفيقهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهديهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهديهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في عقابهم في الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم

* (تفسير سورة الروم وهي مكية) *

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الم غلبت الروم في أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارسا كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قبصر رجلا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بنجين فالتقيا باذرعان وبصرى وهي أدنى الشام الى أرض العرب والحجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد نطهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فنخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك زيننا محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أنا احبك عليه والمناجبة بالحاء المهملة القمار والماهنة أي أراهنك على عشرة قلائص مني وعشرة قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فخاف أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فنخرج أبو بكر فلقى أباي فقال لعلك ندمت فقال لا فقال أزيدك في الخطر وأمددك في الاجل فاجعلها مائة قلووس ومائة قلووس الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشى أبي بن خلف ان يخرج أبو بكر من مكة أنه ولزمه وقال اني أخاف ان تخرج من مكة فاقم لي ضامنا كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف ان يخرج الى أحد أنه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لأدعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى أحد قال ثم رجع أبي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحة النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناجبتهم وقيل كان يوم بدر ووربطت الروم خيولهم بالمداين وبنوا بالعراق مدينة قوس وها رومية فمهر أبو بكر أباي وأخذ مال الخطر من ورثته

لنهديهم سبل الاخلاص أو جاهدوا في خدمة تئنا لنعصن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا أو جاهدوا في طلبنا نحر بالرضا لنهديهم سبل الوصول اليها (وان الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة في الدنيا والثواب والمغفرة في العقبى * (سورة الروم مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية) * والاختلاف في بضع سنين (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم غلبت الروم) أي غلبت فارس الروم (في أدنى الارض) أي في أقرب

أرض العرب لان الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي اطراف الشام أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أي في أدنى أرضهم الى عدوهم (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي غلبة فارس اياهم وقرئ يسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر الى المفعول (سيغلبون) فارس ولا وقف عليه لتعلق (في بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث الى العشرة قبيل احتربت فارس والروم بين أذرعان وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يؤمئذ كسرى أبو زبليخ الخيرة مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر (٤٢٨) اخواننا على اخوانكم وانظرونا نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على

فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت فذاحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر رأياً بعد في الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب أبي حنيفة ومحمدان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائرة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجنا على صحة ذلك بهذه القصة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل كل شيء

وجاءه للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطوهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينما أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لاصحابه لقد رأيت كافي جالس على سرير كسرى فباغت كلمته كسرى فكتب الى شهرمان اذا أتاك كتابي فابعث الى برأس أخيك فرحان فكتب اليه أيها الملك انك لم تجد مثل فرحان ان له لسكاية وصوله في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا عنه فبعث الى برأسه فراجعته فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس اني قد عزلت عنكم شهرمان واستعمت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولي فرحان الملك وانقاد له أخوه فاعطاه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعوا وطاعة وتزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة الى فرحان فلما قرأها استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تفعل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحها وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتل بكاتب واحد فرد فرحان الملك الى أخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم أما بعد ان لي البك حاجة لا تحمها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطارق مخافة أن يريدها يكرهه حتى أتاه عميونه فأخبره وان له ليس معه الا خسون فارسيا فلما التقيا مضرت له ما قبة فيهاد يباح فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيان بترجان يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخى فابيت عليه ثم أمر أخى بقتل فابي عليه وقد دخلناه جميعا ونحن نقاتله معن فقال قد أصبنا ما وأشار أحدهما الى صاحبه ان السربين اثنين فاذا جاورهما فاشفاقتلا الترجان معا بسكينيهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلواهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل ان غلبت الروم في أدنى الارض يعني قرب أرض الشام الى فارس وقيل هي أذرعان وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أي فارس لهم (سيغلبون) أي الروم لفارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل مادون العشرة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره (ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدو فرجوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصرون بشاء) أي يسده النصر ينصرون بشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالمؤمنين ﴿قوله تعالى﴾ (وعد الله) أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده) ولكن أكثر الناس لا يعلمون (أي ان الله لا يخلف وعده

ومن بعد كل شيء أو حين غلبوا وحين يغلبون كانه قبل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين ثم وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخر ليس الا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداؤها بين الناس (ويؤمئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غايبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغضا من شتمهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والبناء يتصل بفرح فوقه على الله على المؤمنين (ينصرون بشاء وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) العاطف على أوليائه (وعد الله) مصدر مؤن كدلان قوله ومن بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقولوه وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

ذلك (يعلمون) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدين أو قوله (ظاهر من الحياة الدنيا) يفيدان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرهما معا يعرف الجهال من التمتع بخلافها وباطنها انها مجاز الى الآخرة بتزود منها انها بالطاعة وبالاعمال الصالحة وتكبير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة طواجرها (وهم عن الآخرة غافلون) هم الثانية مبتدأ أو غافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أولم يتفكروا في أنفسهم) يحتمل أن يكون طرفا كأنه قيل أولم يتفكروا في أنفسهم أي في قلوبهم الفارقة من التفكير والتفكير لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصور لحال المتفكرين كقوله اعتقد في قلبك وأن يكون صلة للتفكير نحو تفكر في الامر وأجال فيه ففكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب اليهم من غيرهما من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال وانه لا بد لها من الانتهاء الى وقت تجازي فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلاق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا في قولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا الان في الكلام دللنا عليه (الابالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلا وعيبا بغير حكمة بالغفلة ولا لتبقي خالدة (٤٢٩) انما خلقها مقرونة بالحق مقرونة

بالحكمة وتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الآتري الى قوله أفسبتم انما خلقناكم عبداً وانكم لنا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير داعين اليه عبداً (وان كثير من الناس بلقاهم بهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجادون وقال الزجاج أي لكافرون بلقاهم بهم (أولم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود

ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفرفه فيشد كروزيه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وما لا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعها وقيل يعلمون وجودها والظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها ﴿ قوله عز وجل (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لا قامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فذيت وهو يوم القيامة (وان كثيرا من الناس بلقاهم بهم لكافرون أولم يسروا في الارض) أي يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأنار والارض) أي حرقوها وقلوبها للزراعة (وعمرها) يعني الامم الخالية (أكثر مما عمرها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يخسح حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي أساؤا العمل فاستحقوا (السواى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أي لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا يستهزئون) ﴿ قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم اليه يرجعون) أي فيجزى بهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه أنهم يبأسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم ويحجبهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعني أصنامهم التي عبدوها (شفعوا) أي يشفعون لهم (وكانوا

وغيرهم من الامم العاتية ثم وصف حالهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأنار والارض) وحرقوها (وعمرها) أي المدمرون (أكثر) صفة مصدر محذوف وما مصدرية في (مما عمرها) أي من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسالهم بالبينات) وتوقف عليها الحق المحذوف أي فلم يؤمنوا فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان تدميره اياهم ظلما لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامى وكوفي (الذين أساؤا السواى) تأنيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السواى الا انه وضع الظاهر وهو الذين أساؤا موضع المضمرة أى العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين (أن كذبوا) لان كذبوا وان وهو يدل على ان معنى أساؤا كفروا (بآيات الله وكانوا يستهزئون) يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يحييهم بعد الموت (ثم اليه يرجعون) وبالبناء أو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس) يبأس ويقهر يقال ناظرته فالبس اذا لم يبتس ويتبس من أن يتجج (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكتب (شفعوا) في المحصف بواو قبل الالف كما كتب علوانى اسرائيل وكذلك كتبت السواى بالالف قبل الياء اثباتا للهزة على صورة الحرف الذي منه حركتها (وكانوا

بشركائهم كافرين) أى يكفرون با لهتهم ويحسدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الضمير فى يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أى بستان وهى الجنة والتشكيك لإيهام أمرها وتفخيمه (يخبرون) (٤٣٠) يسرون يقال حبره إذا سره سروراته لعل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه

المسارفة قيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع فى الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث (فأولئك فى العذاب محضرون) مقيسون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد ويخفى من الوعيد فقال (فسيحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى تزوه عما يليق به أو صلواته (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الجدى فى السموات والارض) اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه وفى السموات سال من الجسد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وحين تطهرون) صلاة الظهر أى دخل فى وقت الظهيرة والقول الاكثر ان الصلوات الخمس فرضت بحكمة (يخرج الحى من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) أى

بشركائهم كافرين) أى جاحدين متبرئين بتمرؤن منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أى يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أى فى الجنة وقيل الروضة البستان الذى هو فى غاية النضارة (يخبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل فى معنى يخبرون هو السماع فى الجنة قال الاوزاعى ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلواتهم وتسبيحهم وقال اذا أخذ فى السماع فلا يبقى فى الجنة شجرة الاوردته وسأل أباهر بن رزجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحاً فيها يوحى إلى عباده ما يشاء من أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث يوم القيامة (فأولئك فى العذاب محضرون) قوله تعالى (فسيحان الله) يعنى فسبحوا الله وحمده صلواته (حين تمسون) أى تدخلون فى المساء وهى صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أى تدخلون فى الصباح وهى صلاة الصبح (وله الجدى فى السموات والارض) قال ابن عباس يحمد الله أهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) أى وصلواته عشيا يعنى صلاة العصر (وحين تطهرون) أى تدخلون فى الظهيرة وهى صلاة الظهر قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وقرأهاتين الآيتين وقال جعلت الصلوات الخمس ومواقبتها واعلم انه إنما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاعمال أدمها والانسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لانه محتاج إلى ما يعيش به من مأكل ومشرب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة فى غالب الاوقات وأمره بما فى أول النهار ووسطه وآخره وفى أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات فى جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته فى التسبيح والعبادة * (فصل فى فضل التسبيح) * عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده ٣ فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أخرجهما الترمذى وقال فيه ما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه فى صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى فى مسجد هاجر جع بعدما تعالى النهار فقال ما زالت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكاملها لتلوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاه نفسه ووزنه عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكسب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفى رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى يخرج

متصل بقوله حين تمسون (وحين تطهرون) صلاة الظهر أى دخل فى وقت الظهيرة والقول الاكثر ان الصلوات الخمس فرضت بحكمة (يخرج الحى من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) أى قوله فى كل يوم سائط من نسخة الطبع من الترمذى وفى بعض النسخ الذى بأيدىنا من الخازن بدون كل

البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما متى وشاء أبو عمر وروى أبو بكر وجمادو بالتشديد غيرهم
 (ويحيى الارض) بالنبات (بعدموتها) بيسها (وكذلك تخر جون) تخر جون حجرة وعلى ونخلف أى ومثل ذلك الاخراج تخر جون من قبوركم
 والكاف في محل نصب تخر جون والمعنى ان الابداع والاعادة يتساويان في قدرته وهو قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه روى ابن
 عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون والى الثالث وآخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له
 من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنة في قبره قال عليه
 السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخر جون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك
 ما فاته في ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربوبيته وقدرته (ان خلقكم) أى أباكم (من تراب ثم اذا أنتم بشر) أى آدم وذريته (تنتشرون)
 تتصرفون فيما فيه معاشكم واذا للمفاجأة وتقدروهم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
 أزواجا لتسكنوا اليها) أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من (٤٣١) أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم

وجنسه الامن جنس آخر
 وذلك لما بين الاثنين من
 جنس واحد من الالف
 والسكون وما بين الجنسين
 المختلفين من التنافر قال
 سكن اليه اذا مال اليه
 (وجعل بينكم مودة ورحمة)
 أى جعل بينكم النواد
 والتراحم بسبب الزواج
 وعن الحسن المودة كناية
 عن الجماع والرحمة عن الولد
 وقيل المودة للشابهة والرحمة
 للجور وقيل المودة والرحمة
 من الله والفرق من الشيطان
 أى بغض المرأة أو زوجها
 وبغض الزوج المرأة (ان
 فى ذلك لايات لقوم
 يتفكرون) فيعلمون ان
 قوام الدنيا وجود التناسل
 (ومن آياته خلق السموات
 والارض واختلاف
 ألوانهن) أى اللغات أو
 اجناس النطق وأشكاله

النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل
 يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيى الارض بعدموتها) أى بالطر وخراج النبات
 منها (وكذلك تخر جون) أى مثل اخراج النبات من الارض تخر جون من القبور للبعث والحساب (ومن
 آياته ان خلقكم من تراب) أى خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أى تنسطون
 فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا) أى جنسكم من بنى آدم وقيل خلق حواء من ضلع
 آدم (لتسكنوا اليها) أى لتبلىوا للزواج وتأنفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بين الزوجين
 المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ
 أحب الى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون) أى
 فى عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألوانهن) أى اختلاف اللغات
 العربية والجمجمة وغيرهما وقيل أراد اجناس النطق وأشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع مع منطقتين
 متدة قين حتى لو تكلم جماعة من ورعا ناط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبهه صوت أحد صوت الآخر
 (وألوانكم) أى أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل واحد ومن
 أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أى يعرف كل واحد
 بشكاه وحيلته وصورته فلما تفتت الاصوات والصور وتشاكت وكانت ضربا واحد لوقع التجاهل
 والالتباس ولتعاملت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدوم من الصديق والقريب من
 البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفى ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (ان فى
 ذلك لايات للعالمين) أى لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله) أى منامكم
 بالليل للراحة وابتغائكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون) أى
 سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أى للمسافر ليستعد للمطر (وطمعا) أى للمقيم
 ليستعد المحتاج اليه من أجل الزرع ونسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد
 موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) أى قدرة الله وانه القادر عليه (ومن آياته ان تقوم السماء والارض

(وألوانكم) السواد والبياض وغيرهما لاختلاف ذلك وقع التعارف والافلا وتشاكت واتفتت لوقع التجاهل والالتباس
 ولتعطلت المصالح وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله منقادون (ان فى ذلك لايات للعالمين) جمع
 عالم وكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله)
 هذا من باب اللف وترتيبه أى ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار والاولين بالقرنين الاولين بالقرنين الاخرين أو
 المراد منامكم فى الزمانين وابتغائكم فيهما والجمهور على الاول لتكرره فى القرآن وأسعد المعانى ما دل عليه القرآن (ان فى ذلك لايات لقوم
 يسمعون) أى يسمعون سماع تدبراً ذات واعية (ومن آياته يريكم البرق) فى يريكم وجهان اضمحار ان كفى حرف ابن مسعود رضى الله
 عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبه ما فسر المثل تسمع بالمعبدى خير من أن تراه أى ان تسمع أو سماعك قوله (خوفا) من الصاعقة أو من
 الاختلاف (وطمعا) فى الغيب أو خوفاً للمسافر وطمعاً للعاصر وهما منصوبان على المقبول له على تقد ر حذف المضاف واقامة المضاف اليه
 مقامه أى ارادة خوفاً و ارادة طمعا وعلى الحال أى خائفين وطماعين (وينزل من السماء) وبالتخفيف متى وبصرى (ماء) مطاراً (فيحيى به
 الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم (ومن آياته ان تقوم السماء والارض

بامرہ) أي باقامته وبتدبيره وحكمته (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا اتمت تخرجون) من قبوركم هذا كقوله يريك في اي قاع
 الجله موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكها بتغير عمد ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة
 واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعته وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بشي بانما العظم ما يكون
 من ذلك الامر واقداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبق نسيمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظروا كما قال ثم نفخ فيه اخرى
 فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاعل في جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر
 وقولك دعوة من مكان كذا يجوز ان يكون مكانك ويجوز ان يكون مكان صاحبك (وله من في السموات والارض كل له قانتون) منقادون
 لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه او مقررون بالعبودية (وهو الذي يبدؤ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيدهم) للبعث (وهو) أي البعث (أهون)
 أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو على
 هين لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فالعنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الاهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل
 وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا لله (٤٢٢) أكبر أي كبير والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وهو أهون

على الخلق من الانشاء لان
 قيامهم بصحبة واحدة
 أسهل من كونهم نطفات
 عالقاتهم مضغالى تكميل
 خلقهم (وله المثل الاعلى
 في السموات والارض) أي
 الوصف الاعلى الذي ليس
 لغيره وقد عرف به ووصف
 في السموات والارض على
 السنة الخلاق والسنة
 الدلائل وهو انه القادر
 الذي لا يعجز عن شئ من
 انشاء واعادة وغيرهما من
 المقدرات ويدل عليه قوله
 (وهو العزيز) أي القاهر
 لكل مقدور (الحكيم)
 الذي يجري كل فعل على
 قضايا حكمته وعلمه وعن
 ابن عباس رضي الله عنهما

بامرہ) قال ابن عباس وابن مسعود قانتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامرہ (ثم اذا دعاكم دعوة من
 الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا اتمت تخرجون) أي منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من
 الارض اذا اتمت تخرجون من الارض (وله من في السموات والارض كل له قانتون) أي مطيعون قال ابن
 عباس كل له مطيعون في الحياة والبقا والموت والبعث وان عصى في العبادة (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم
 يعيدهم) أي يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أي هو هين عليه وما من شئ عليه
 يعز يزوقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل
 هو أهون على الخلق اذ ذلك لانهم يقومون بصحبة واحدة فيكون أهون عليهم من ان يكونوا نطفات عالقاتهم
 مضغالى ان يصيروا جالسا وساعا وهو رايه عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أي الصفة العالما قال ابن
 عباس ليس كمثل شئ وقيل هو الذي لا اله الا هو (في السموات والارض وهو) أي في ملكه (العزيز
 الحكيم) أي في خلقه قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أي بين لكم شيا بما لكم ذلك المثل (من أنفسكم)
 ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكت أيمانكم) أي عبيدكم واما نكم (من شركاء فبما رزقناكم) أي
 من المال (فانتم فيه سواء) أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم
 أنفسكم) أي تخافون ان يشارككم في أموالكم ويقاسمكم كما تخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون
 بينهما ان ينفرد فيه بامرہ دون شريكه ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن
 عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مما ليكم ولا ترضوه لانفسكم فكيف
 ترضون ان تكون آلهتكم التي تعبدونها شركا وهم عبيدك (كذلك انفصل الآيات) أي الدلالات
 والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين
 ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) أي في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (ثم يهدي من

المثل الاعلى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لاله الا الله ومعناه وله الوصف الارفع
 الذي هو الوصف بالوحدانية وبعضه قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضرب به الله عز وجل ان جعل له شريكا من خلقه ومن
 لا ابتداء كانه قال أخذ مثلا وانترعه من أقرب شئ منكم وهي أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (مما ملكت أيمانكم) عبيدكم ومن للتبعيض
 (من شركاء) من مزبدة لنا كبد الاستفهام الجارى مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم بشر كبشر وعبيدكم كعبيد ان
 يشارككم بعضهم (فبما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) في ذلك الرزق (سواء) من غير تفضله بين
 حر وعبيد يحكم مما ليكم في أموالكم كحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في سواء أي متساوون خائف بعضكم بعضا مشاركتهم في المال
 والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا ترضون فيها حكا دون اذخهم خوفا من لائمه تلحقكم من جهنم (كخيفتكم أنفسكم) يعني كما
 يخاف بعض الاحرار بعضا في ما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان يجعلوا
 بعض عبيدهم شركاء (كذلك) موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (انفصل الآيات) نبيها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها
 (لقوم يعقلون) يدبرون في ضرب الامثال فلما لم ينزجروا وأضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى
 ان الشرك لظلم عظيم (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (ثم يهدي من

أضل الله) أى أضله الله تعالى (ومالهم من ناصرين) من العذاب (فاقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقومه وجهه (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله والفطرة الخلقية التى ترى الى قوله لا تبدل خلق الله فاجبى انه خلقهم قائلين للتوحيد والاسلام غير ناثنين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوب بالعقل مساوقا للنظر الصحيح (١٣٣) حتى لو تزكوا ما اخترنا وعلمنا ديننا آخر

ومن غوى منهم فباغوا
شياطين الجن والانس ومنه
قوله عليه السلام كل عبادى
خلقت حنفا فاجتلتهم
الشياطين عن دينهم
وأمرهم أن يشركوا بى
غيرى وقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون أبواه هم اللذان
يهودانه وينصرانه وقال
الزجاج معناه ان الله تعالى
فطر الخلق على الايمان به
على ما جاء فى الحديث ان
الله عز وجل أخرج من
صلب آدم كالذر وأشهدهم
على أنفسهم بأنه خالقهم
وقال واذا أخذ ربك الى قوله
قالوا بلى وكل مولود هو من
تلك الذرية التى شهدت بأن
الله تعالى خالقها بمعنى فطرة
الله دين الله (التي فطر
الناس عليها) أى خلق
(لا تبدل لخلق الله) أى
ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة
أو تغير وقال الزجاج معناه
لا تبدل لدين الله ويبدل
علمه ما بعده وهو قوله (ذلك
الدين القيم) أى المستقيم
(ولكن أكنر الناس
لا يعلمون) حقيقة ذلك
(منيين اليه) راجعين

أضل الله) أى عن طريق الهدى (ومالهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من عذاب الله ﷻ قوله تعالى (فاقم وجهك للدين) يعنى أخلص دينك لله وقيل سد ذلك الوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده ﷻ قوله تعالى (حنيفا) أى ما تلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) أى دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة لدين وهو الاسلام (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبدل خلق الله ذلك الدين القيم زاد البخارى قالوا يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تلج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا فطرت الله الآتية ولهم فى رواية قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعنى على العهد الذى أخذ الله عليهم بقوله ألسنت بربكم قالوا بلى فكل مولود فى العالم على ذلك الا فرادى الحنيفة التى وضعت الخلق عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وليكن لا اعتبار بالايمان الفطرى فى أحكام الدنيا وانما يعتبر بالايمان الشرعى المأمور به المكسب بالارادة والفعل الذى ترى الى قوله قالوا يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم آيويه الكافرين وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر يقول الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفا فاجتلتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال فى معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته أى خلائقه التى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشا كل لها فى امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين أو نصريين فيجعلونه على اعتقاد دينهم او قيل معناه ان كل مولود فى مبدأ الخلق على الفطرة أى على الجبل السليم والنجمة المستقيمة بقوله كما تلج البهيمة فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حنفا فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتد غيره ثم تمثّل لاولاد اليهود والنصارى وأتباعهم لا يتأثم والميل الى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والنجمة المستقيمة بقوله كما تلج البهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعنى هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء هوى المقطوعة الاذن أو الانف ﷻ قوله عز وجل (لا تبدل خلق الله) أى لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبدل خلق الله هو ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقى سعيدا وقيل الآية فى تحريم اخصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكنر الناس لا يعلمون) ﷻ قوله عز وجل (منيين اليه) أى فاقم وجهك لله أنت وأمتك منيين اليه لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة (واتقوه) أى ومع ذلك خافوه (وأقيموا الصلاة) أى داوموا على أداها فى أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامة (كل حزب بما لديهم فرحون) أى

اليه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا الضمير أو من قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه السلام أمر لامة فكأنه قال فاقموا وجوهكم منيين اليه والتقدير كونوا منيين دليله قوله ولا تكونوا (واتقوه وأقيموا الصلاة) أى أدها فى أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره فى العبادة (من الذين) بدل من المشركين باعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوه أديانا مختلفة لا اختلاف أهوائهم فارة واحزة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أى تزكوا دين الاسلام (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايح امامها الذى أضلها (كل حزب بما لديهم فرحون) فرح بذهب

مسرور بحسب باطله حقا (واذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا آذاهم من عرصة) أي خلاصا من الشدة (إذا فرق منهم برهم بشركون) في العبادة (ليكفروا) هذه لام كي وقيل لام الامر للوعيد (بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) بكفركم قلة الامر وعيد (فسوف تعلمون) وبالفتح معكم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) بحجة (فهو يتكلم) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم ويصحه (بما كانوا به يشركون) ما مصدر يماي بكونهم بالته يشركون او موصولة و يرجع الضمير اليها اي فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون او معنى الآية ام أنزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان ذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون (واذا آذنا الناس رجة) اي نعمة من مطر واسعة او حجة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) اي بلاء من جذب او ضيق او مرض (بما قدمت ايديهم) بسبب شوؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) من الرجة واذا الحاجة جواب الشرط نابت عن الفاعلنا تحيها في التعقيب (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) انكر عليهم بانهم قد علموا بانه (٤٣٤) القابض الباسط فالهم يقنطون من رجته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين عن المعاصي التي عوقبوا

بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رجته ولما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت ايديهم أتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك فقال (فات ذا القربى) أعط قريبتك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهم من الصدقة المسماة لهم ما وفيه دليل وجوب النفقة للعالم كما هو مذهبنا (ذلك) اي ابتداء حقوقهم (خير للذين يريدون وجه الله) اي ذاته اي يقصدون به عرفهم اياها خالصا (واولئك هم المفلحون) وما آتيتهم من ربالير بوفى اموال الناس) يريد وما اعطيتهم اكله الربا من ربالير بوفى اموالهم (فلا يربو عند الله) فلا

راضون بما عندهم قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) أي قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) أي مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا آذاهم من عرصة) أي خصبا ونعمة (اذا فرق بينهم برهم بشركون ليكفروا) بما آتيناهم) أي ليحجروا ونعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديدا ووعيدا خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أي حالكم في هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) أي ينطق (بما كانوا يشركون) أي بشركهم ويأمرهم به (واذا آذنا الناس رجة) اي الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أي فرحوا واطروا (وان تصبهم سيئة) أي جذب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت ايديهم) من السيئات (اذا هم يقنطون) أي يياسون من رجة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر ربه عند النعمة ورجوه عند الشدة (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره قوله عز وجل (فات ذا القربى حقه) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقه وهو الصدق عليه (والمسكين) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطالبون ثواب الله بما كانوا يعملون (واولئك هم المفلحون) قوله عز وجل (وما آتيتهم) أي اعطيتهم (من ربالير بوفى اموال الناس) أي في اجتلاب اموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطى غيره العطية يشبهه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يربو عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطى صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزم بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لا لئلا يمس عونه لالوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لأنه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) أي اعطيتهم من صدقة (تريدون وجه الله) أي بتلك الصدقة (فاولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالضعف ذوالاضعاف من الحسنات قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبادي

زكوة عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال اي وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربو عند الله لانكم لم تروا بذلك وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) يتبعون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة (فاولئك هم المضعفون) ذوروا الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار اتيتم من ربا بلا مدسكى اي وما غشيتهم ومن اعطاهم بالبر بوا منى اي لتزيدوا في اموالهم وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن لانه يفيد التعميم كأنه قيل من فعل هذا فسيبيله سبيل الخاطئين والمعنى المضعفون به لانه لا بد له من ضمير يرجع الى ما الموصولة وقال الزجاج في قوله فاولئك هم المضعفون اي فاهلها هم المضعفون اي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار الى مجزآ لهم فقال (الله الذي خلقكم) مبتدأ وخبر (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أي هو المختص بالخلق والرزق والاماتة والاحياء (هل من شركائكم) أي أصنامكم التي زعمتم انهم شركاء الله (من يفعل من ذلكم) أي من الخلق والرزق والاماتة والاحياء (من شئ) أي شيئا من تلك الافعال فلم يحييوا وعجزوا فقال استبعادا (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيدها لتعجز شركائهم وتجهل عدتهم (ظهر الفساد في البر والبحر) نحو القحط وقلة الامطار والرابع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس

والماورز

والدواب وكثرة الحرق والغرق وحقى البركان من كل شيء (عما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم وكفوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة وبالنون عن قبيل (اعلمهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم أكد تسيب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سير وافي الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بان يسير وافي نظاروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فاتم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأني فيه عوج (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق بيأني والمعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرد أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو مجرد على معنى لا يردده هو بعد ان يجي به ولا يردله من جهته (يومئذ يصدعون) يصدعون أي يتفرون ثم أشار الى غناهم فقال (٤٣٥) (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن

عمل صالحا فلانفسهم
عملهم دون) أي يسوقون
لانفسهم ما يسويوه لفسده
الذي عهد لفسده فراهه
ويوطئه لئلا يصيبه في
مضجعه ما ينغص عليه مرقده
من نتوء وغيره والمعنى انه
عهد لهم الجنة بسبب
أعمالهم فاضف اليهم
وتقديم الظرف في الموضوعين
للدلالة على ان ضرر الكفر
لا يعود الاعلى الكافر ومنفعة
الايمن والعمل الصالح
ترجع الى المؤمن لتجاوز
الجزى) متعلق بهم دون
تعليل له وتشكر (الذين
آمنوا وعملوا الصالحات)
وترك الضمير الى الصريح
لقد بر انه لا يفلح عنده الا
المؤمن (من فضله) أي
عطائه وقوله (انه لا يجب
الكافرين) تقر بر بعد
تقر بر على الطرد والعكس
(ومن آياته) أي ومن
آيات قدرته (ان يرسل

والمفاوز والغفار والبحر قبيل الدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمى المصيرحرا تقول
أجدب البر وانقطع مادة البحر وقيل البر يظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقوله المطر كما توتر
في البر توتر في البحر بخلاف اجواف الامداد من الأولو وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء
وتفخ أفواها ثم وقع فيه المطر صار اولوا (عما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن
عباس الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة
موتقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا يوجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل
هابيل اشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زاعقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان
الارض امتلأت طلبا ارضه لاله قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجوع راجعون من الناس وقيل
أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (اعلمهم يرجعون)
أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سير وافي الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي لتروا
منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فاهلكوا بكفرهم ﴿قوله عز وجل﴾ (فأقم
وجهك للدين القيم) أي لدين الاسلام (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد
على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرون ثم ذكر الفريدين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره)
أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلانفسهم عهدون) أي يوطئون المضاجع ويسوقونهم في القبور
(الجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليشبههم الله ثوابا أكثر من أعمالهم (انه
لا يحب الكافرين) فيه تهديد وعيد لهم ﴿قوله تعالى﴾ (ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات) أي تبشر
بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي بالمطر وهو الحصب (ولتجري الفلك) أي بهذه الرياح (بامرهم ولتنتعوا
من فضله) معناه لتطلبوا رزقا بالتجارة في البحر (واعلمكم تشكرون) أي هذه النعم ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد
أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات) أي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من
الذين أجرؤا) يعني اتعذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي مع انجائهم من العذاب
ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالفطر في العاقبة والنصر على الاعداء * عن أبي الدرداء قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة
ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رده عن عرض أخيه مرد الله عن
وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن ﴿قوله عز وجل﴾ (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي

الرياح) هي الجنوب والشمال والصباهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
وقد عدد الفوائد في ارسالها فقال (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولذا ذاقه الرحمة وهي نزول المطر وحصول
الحصب الذي يتبعه الروح الذي مع جوب الريح وزكاه الارض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليشركم
وليذيقكم (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها (بامرهم) أي بتدبيره أو بتسكينه كقوله انما أمره اذا أراد شيئا الا أن يهول
من فضله) يريد تجارة البحر (واعلمكم تشكرون) أي واتشكروا وانعمه الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات)
أي فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرؤا) أي كفر وبالاهلاك في الدنيا (وكان حقا
علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسول وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبدي علينا
نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذي يرسل الرياح) الريح مكي (فتثير سحابا

فيسقطه) أي السحاب (في السماء) أي في سميت السماء وشهها كقوله وفرعها في السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو
 الدور أو الصبا (ويجعله كسفا) قطعاً جمع كسفة أي يجعله منبسطاً يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعاً متفرقة غير منبسطة مرة كسفا
 يزيد وابتدأ كوان (فترى الودق) المطر (يخرج) في التارتين جميعاً (من خلاله) وسطه (فاذا أصابه) باودن (من يشاء من عباده) يريد
 أصابه بلادهم وأراضهم (إذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر للتأكيد كقوله فسكان
 عاقبتهم ما أنتم ما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم بأسهم فسكان الاستبشار على قدر
 اعقابهم بذلك (لبلسين) آيسين (فانظر الى آثار) شامى وكوفي غير أبي بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيى الارض بالنبات
 وأنواع الثمار) (بعدهم وثمان ذلك) أي الله (لحي الموتى) يعنى أن ذلك القادر الذي يحيى الارض بعد موتها هو الذي يحيى الناس بعد موتهم
 فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شئ قدير) أي وهو على كل شئ من المقدرات قادر وهذا من جملة المقدرات
 بديل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحاً) أي الدبور (فراوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجوع الضمير
 الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت (مصفراً) بعد اخضراره وقال مصفر الان
 تلك مصفرة حادثة وقيل قرأوا السحاب (٤٣٦) مصفر الان السحاب الاصفر لا يقطر واللام في ثن، وطئة للقسم دخلت على حرف الشرط

فسد مسد جوائى القسم
 و الشرط (انظروا) ومعناه
 انظروا (من بعدهم يكفرون)
 أي من بعد اصفراره أو من
 بعد الاستبشار ذمهم الله
 تعالى بانه اذا حبس عنهم
 المطر قطعوا من رحمة
 وضربوا أذقانهم على
 صدورهم مبداً سين فاذا
 أصابهم برحمة وورزقهم
 المطر استبشروا فاذا أرسل
 ريحاً فضرب زرعهم
 بالصفار ضجوا وكفروا
 بنعمة الله فهم في جميع هذه
 الاحوال على الصفة
 المذمومة وكان عليهم ان
 يتوكلوا على الله وفضله
 فقطنوا وان يشكروا

تنشره (فيسقطه في السماء كيف يشاء) يعنى مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا)
 أي قطعاً متفرقة (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه (فاذا أصابه) أي بالودق
 (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) أي يفرحون بالمطر (وان كانوا) أي وقد كانوا (من قبل ان ينزل
 عليهم من قبله لبلسين) أي آيسين (فانظر الى آثار رحمت الله) أي المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره في
 الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لحي الموتى) يعنى ان الذي احيى الارض بعد
 موتها قادر على احياء الموتى (وهو على كل شئ قدير) أي يفرحون بالزرع (يكتفرون) أي يبتعدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم
 يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذاباً على زرعهم لمجدوا وسالفا نعمتى (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
 الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون)
 تقدم تفسيره قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) أي بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذى
 ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جثيناً ثم طفلاً مولوداً ومطوماً فهذه احوال غاية الضعف
 (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي من بعد ضعف الصغار شباباً وهو وقت لقوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً) أي
 هرماء (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق ما يشاء) أي من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك
 من أفعال الطبيعة بل بحسنة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدر) على ما يشاء قوله تعالى
 (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أي يحلف المشركون (مالبشوا) أي في الدنيا (غير ساعة) معناه أنهم
 استقبلوا أجل الدنيا بما عاينوا الاخرة وقيل معناه الملبشوا في قبورهم غير ساعة) كذلك كانوا يؤفكون) أي
 يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا في قولهم مالبشوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا لا يعشوا

نعمته ويحمدوه عليها ففروا وان يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لا تسمع الموتى) أي موتى
 القلوب أو هو لآفة في حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا يسمع الصم مكي (اذا ولوا مدبرين) فان قلت الاصم
 لا يسمع مقبلاً أو مدبراً فما فائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلاً يفهم بالمرز والاشارة فاذا اولى لا يسمع ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادى
 العمى) أي عمى القلوب وما أنت تهدى العمى حجة (عن ضلالتهم) أي لا يمكنك ان تهدى العمى الى طريق قد ضل عنه باشارة منك لانه
 (ان تسمع) ما تسمع (الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون) منقادون لاوامر الله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) من النطف كقوله من
 ماء مهبين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعنى حال الشباب والبلوغ الاشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) يعنى حال الشيخوخة والهرم
 (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة (وهو العليم) باحوالهم (القدر) على تغييرهم وهذا الترديد في الاحوال أبين دليل على الصانع
 العليم القدير وفتح الضاد في الكل عاصم وحزرة ضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما العتات والضم أقوى في القراءة لما روى عن ابن عرقال
 قرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فقرأني من ضعف (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة
 من ساعات الدنيا ولانها تقع بغنة كما تقول في ساعة من تسبحة وحجرت علمائها كالنجم للثريا (يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولا وقف
 عليه لان (مالبشوا) في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) جواب القسم استقبلوا مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا الهول يوم القيامة وطول مقامهم
 في شدائدها أو ينسون أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصنف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب في الدنيا

ويقولون ذاهي الاحياء الدنيا وما نحن بمبعوثين (وقال الذين اوتوا العلم والايمان) هم الانبياء والملائكة والمؤمنون (لقد ابلستم في كتاب الله) في علم الله المثبت في اللوح اوفى حكم الله وقضائه (الي يوم البعث) ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وما اطاعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بقدر يعهم على انكار البعث بقواهم (فهذا يوم البعث وليكنتم كنتم) في الدنيا (لا تعلمون) انه حق لتقر بطلكم في طاب الحاق وتباعة والفناء لطواب شرط يدل عليه الكلام تقدره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه (فيومئذ لا ينفع) بالياء كوفي (الذين ظلموا) كفروا (معذرتهم) عذرهم (ولا هم يستعتبون) أي لا يقال لهم ارضوا بكم بتوبة من قولنا استعتبني فلان فاعتبه أي استرضاني فارضيته (واقدر بنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جنتهم ما ية ليقولن الذين كفروا ان انتم الامباطون) أي واقدر وعتنا لهم كل صفة كانتا مثل في غرابتها وعتنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم اذا جنتهم ما ية من آيات القرآن قالوا اجئنا بزور وباطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله (٤٣٧) منهم اختيار الضلال حتى يسهو المحققين

مبداين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على اذاهم أو عداوتهم (ان وعد الله) ينصرك على أعدائك واظهار دين الاسلام على كل دين (حق) لا بد من انجازه والوفاء به (ولا يستخفك الذين لا يوقنون) أي لا يحملك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملك على الخفة والعاقب حراما يقولون ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يتبدع منهم ذلك ولا يستخفك بسكون النون عن يعقوب والله الموفق للصواب * (سورة لقمان مكية وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

والمعنى ان الله أراد ان يفضحهم فلفوا على شئ تبين لاهل الجحيم انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد ابلستم في كتاب الله الي يوم البعث) أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من البعث في القبور وقيل معنى الآية وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله والايمان يعني الذين يقيمون كتاب الله قالوا لانكم من قبل انتم الي يوم البعث أي في قبوركم (فهذا يوم البعث) أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (وليكنتم كنتم لا تعلمون) أي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الا ان بدائل قوله تعالى (فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) أي لا تطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل الجرم لانها لا تقبل منهم قوله تعالى (واقدر بنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعتذار والايان بما فوق الكفاية من الاذار (ولئن جنتهم ما ية ليقولن الذين كفروا ان انتم الامباطون) يعني ما أنتم الاعلى باطل وذلك على سبيل العناد فان مات ما عسى توحيد الخطاب في قوله ولئن جنتهم والجمع في قوله ان انتم الامباطون قلت فيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ولئن جنتهم كل آية جاءت به الرسل ويمكن ان يقال معنا انكم كلكم أيها الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) أي في نصرك واطهارك على عدوك (ولا يستخفك) أي لا يحملك على الجهل وقيل لا يستخفك رأيك (الذين لا يوقنون) أي بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

* (تفسير سورة لقمان وهي مكية) *

وأربع وثلاثون آية وخمسة وثلاثون وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) أي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت في النضر بن

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعامل معنى الاشارة في تلك جزية بالرفع على ان تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أي هو وأوهى هدى ورحمة (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس الاعمى الذي يظن بك الناس كأن قدر أي وقد سعا أو الذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائلين بهذه الثلاثة لفضلها (أولئك على هدى) مبتدأ وخبر (من ربهم) صفة تلهدى (وأولئك هم المفلحون) عطف عليه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) نزلت في النضر ابن الحرث وكان يشتري أخبار الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثور فانا أحدثكم باحاديث الاكاسرة فبميسلون الي حديثه ويركون استماع القرآن والاهوكل باطل أهسى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لأصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يحلفان انه الغناء وقيل الغناء مقسدة لاقبال منفذة لعمال مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل رفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخرة على هذا المنكب فلا يزالان ينسربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت والاشترى من الشراء كروى عن النضر أو من قوله اشترى الكافر بالايمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه أي

يختارون حديث الباطل على حديث الحق وأضافة اللهو الى الحديث للثبوت بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد باكل الحسنة كما بنا كل المهمة الحشيش أو للتعبض كأنه قبل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه (ليضل) أي ليضل الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ليضل مكي وأبو عمر وأي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه يزيد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلا من بما عليه من الورزية (ويتخذها) أي السبيل بالنصب كوفي غير أبي بكر عطقا (١٣٨) على ليضل ومن رفع عطفه على يشتري (هزوا) بسكون الزاي والهززة حمزة وبضم

الزاي بسلاهم من حفص وغيرهم بضم الزاي والهززة (أو نزلت لهم عذاب مهين) أي يهينهم ومن لا يهينه يقع على الواحد والجمع أي الضمير وأمثاله (وإذا تتلى عليه آياتنا تولى مستكبرا) أعرض عن تدبرها مستكبرا رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كان لم يسمعها) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كأنه والضير ضمير الشأن (كان في أذنيه وقرا) ثقلا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم (وعدا الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد وحقا قيل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات

الحرث بن كادة وكان يتجربا في الخبر ويشتري أخبار الجهم ويحدث بها فقرأ يشاء يقول ان محمدا يحدثكم بحديث عادو وودأنا أحدكم يحدث بغير علم واستغديار وأخبار الا كاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فآثر الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والغنيمات ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات الله أو ذال الله والحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعلم المغنيات ولا يبعهن وأعمانهم حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري اللهو الحديث ايضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخرجه الترمذي وهذا لفظه عن أبي اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتبعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فبين وغنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية * وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن ثمن السكب وكسب المزمار وقال مكحول من اشتري جارية ضربا ليمسكها لغنائها وضر بها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا اللهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء المزمار والمعازف على القرآن قال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو ورددتها ثلاث مرات وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل اللهو ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أي يفعله عن جهل وحسب المرع من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الله مزحا (أو لئنك) يعني الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين) وإذا تتلى عليه آياتنا تولى مستكبرا) أي لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأسا (كان لم يسمعها) أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سماع (كان في أذنيه وقرا) أي ثقلا ولا يقر فيها (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخاف الميعاد) وهو العزيز الحكيم ﴿قوله تعالى﴾ (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطا كصفحة مستوية وهو قول المفسر بن وهب في الفضاء والفضاء لانها به له وكون السماء في بعضها دون بعض ليس ذلك الا بقدره قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدره الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما انه واجب الى السموات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني انه راجع الى العمود ومعناه بغير عمد مرئية (وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) أي لثلاث تحرك بكم (وبت فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي يسكنون فيها (وأترلنا من السماء ماء) يعني المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبئناهم ان كل زوج كريم) (هذا) يعني الذي ذكرت مسانعاينون (خلق الله فاروقا ما ذال خلق الذين من دونه) أي آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) ﴿قوله﴾

النعيم (وهو العزيز) الذي لا يعابه شيء فيهن أعداءه بالهذاب المهين (الحكيم) بما يفعل فيبأه بالنعيم انقيم (خلق عز السموات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسموات وهو استشهاده برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما يقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني ولا يحل لها من الاعراب لانها مستأنفة وفي محل الجر صفة تعمدا أي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته (وألقى في الارض رواسي) جبالا ثابت (أن تميد بكم) لثلاث اضطر بكم (وبت) ونشر فيها من كل دابة وأترلنا من السماء ماء فأنبئناهم ان كل زوج كريم) صنف (كريم) (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أي مخلوقه (فاروقا ما ذال خلق الذين من دونه) يعني آلهتكم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فاروقا ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة (بل الظالمون في ضلال مبين)

أضرب عن تكبيرهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعور ابن أخت
أيوب وابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يقبل مبعث داود عليه السلام
فلما بعث قطع الفتوى فقبل له فقال الأاكفني إذا كفت وقيل كان خياطاً وقيل تجاراً وقيل راعياً وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل وقال
عكرمة والشعبي كان نبياً والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وهي الإصابت في القول
والعمل وقيل تلمذ لالفنبي وتلمذه ألف فنبي وان في (أن اشكر الله) مفسرة والمعنى أي اشكر الله (٤٣٩) لان آية الحكمة في معنى القول

وقد نبه الله تعالى على ان
الحكمة الاصليّة والعلم
الحقيقي هو العمل بهما
وعبادته الله والشكر له
حيث فسرت آية الحكمة
بالحث على الشكر وقيل
لا يكون الرجل حكيماً حتى
يكون حكيماً في قوله وقوله
ومعاشرته وصحبته وقال
السري السقطي الشكر
أن لا تعصى الله بنعمه وقال
الجبلي أن لا ترى معه شريكاً
في نعمه وقيل هو الاقرار
بالعجز عن الشكر والحاصل
ان شكر القلب المعرفة
وشكر اللسان الحمد وشكر
الاركان الطاعة وروية
العجز في الكل دليل قبول
الكل (ومن يشكر فإنا
يشكر لنفسه) لان منفعة
تعود اليه فهو يريد المزيد
(ومن كفر) النعمة فان
الله غني غير محتاج الى
الشكر (حميد) حقيق
بان يحمده وان لم يحمده
أحد (واذ) أي واذا كراذ
(قال لقمان لابنه) انعم أو
اشك (وهو يعظه بابني)
بالاسكان مكي بابني حفص

عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعور ابن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان
ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضياً في بني
اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيماً ولم يكن نبياً الا عكرمة فانه قال كان نبياً وقيل خير بين النبوة
والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان ثانياً نصف الليل فنودي بالقمان هل لك أن تجعل خلفك في
الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خير في ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على قسمها
وطاعة وان أعلم ان الله ان فعل في ذلك أعانني وعصمتي فقالت الملائكة بصوت لايها لم بالقمان قال ان
الحاكم ما شد المنازل وأكدرها بغشاء الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى ان يتجوز ان أخذنا الطريق
أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليل لا خير من أن يكون شريفاً ومن يتخير الدنيا على الآخرة تفننه
الدنيا ولم يصب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطوقه فنام نومة فاعطى الحكمة فأنبه وهو يتكلم بها ثم
نودي داود بعد ذلك فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعطو الله عنه وكان
لقمان يوزر داود الحكمة وقيل كان لقمان عبداً حبشياً تجاراً وقيل كان خياطاً وقيل كان راعياً غنم
فروى انه لقبير جل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلانا الراعي قال بلى قال فيم بلغت ما بلغت قال بصدق
الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعينني وقيل كان عبداً سود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير
السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل
العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهم اوقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل
الحكمة شئ يحبه الله في القلب يتوره كإيتور البصر فيدرك المبصر وقوله (أن اشكر الله) وذلك لان
المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فإنا يشكر لنفسه) أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك
كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فان الله غني) أي غير محتاج الى شكر الشاكرين (حميد) أي
هو حقيق بان يحمده وان لم يحمده أحد ﴿ قوله تعالى (واذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشك (وهو
يعظه) وذلك لان أعلى مراتب الانسان ان يكون كاملاً في نفسه مكملها غيره فقوله ولقد آتينا لقمان
الحكمة أن اشكر الله اشارة الى الكمال وقوله واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ
بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (بابني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم) لان التوبة بين من يستحق العباداة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العباداة في غير
موضعها ﴿ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه احساناً) (وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة
وقيل ان المرأة اذا حملت توالي عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلاق ضعف والوضع
ضعف والرضاعة ضعف (وفصالة في عامين) أي فطامه في سنتين (أن اشكر لي ولو الديك الى المصير) لما جعل
الله فضله للوالدين صورة التربية الفاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي
ولو الديك ثم فرق فقال الى المصير يعني ان نعمتها مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر

بفتح في كل القرآن (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الاوهى منه ومن لانعمته الاصل (ووصينا الانسان
بوالديه احساناً) أي حلتتهن وهن على وهن أي تضعف ضعفاً فوق ضعف أي يتزايد ضعفها وتضعف لان الحمل كما ازداد
أو عظم ازدادت ثقلها وضعفاً (وفصالة في عامين) أي فطامه عن الرضاعة عامين (أن اشكر لي ولو الديك) هو نفسه بلوصيناً أي وصيناه
بشكرنا وبشكر والديه وقوله حلتته أمه وهن على وهن وفصالة في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى بالوالدين ذكر مات كآبده
الام وتعاين من المشاق في حله وفصالة هذه المدة الطويلة تذكيراً بحقيقة العنايم مفرداً وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله
ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (الى المصير) أي مصيرك الى وحسابك على

(وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم) أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشي يريد الاصنام (فلا تطعهما) في الشرك (وصاحبهما في الدين المعروف) صفة مصدر محذوف أي صحبا معا عرفا حسنبا مخلوق جميل وحلم واحتمال وبروصلة (واتبع سبيل من أناب الى) أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما في دينك وان كنت مأمورا بحسن معا صحبتهم في الدين وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه أوزار خدمتي (ثم الى مرجعكم) أي مرجعكم ومراجعهما (فانبتكم بما كنتم تعملون) فجازيك على أعمالك وأجاز بهما على كفرهما وقد اعترض بهما بين الأيتين على سبيل الاستطراد تأكيذا للمنافي وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني أن أوصيهما بالدين وأمرناه أن لا يطعهما في الشرك وان جهدا كل الجهد لقبحه (يا بني انما انك مثقال حبة من خردل) بالرفع مدني والضمير لاقصه وأنت المثقال للاضاقته الى الحبة كما قال * كما شرفت صدر القناقع من الدم * وكان (٤٤٠) تامه والباقي بالنصب والضمير للهية من الاساءة والاحسان أي ان كانت مثلا في

الصغر كحبة خردل (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض) أي فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أوجبت كانت في العالم العلوي أو السفلي والأكثر على انها التي عليها الارض وهي السبعين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الارض (يات بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عا ماها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهه وألطيف باستخراجه خبير بمسئرها (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فانها تورث المنع (ان ذلك) الذي وصيتك به (من عزم الامور) أي بما عزمه الله من الأمور أي قطع

بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الى قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) قال الخبي يعني ان طاعتها واجبة فان أفضى ذلك الى الاشرار في فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدين المعروف) أي بالمعروف وهو البر والصلوة والعشرة الجيلة (واتبع سبيل من أناب الى) أي اتبع دين من أقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الى يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وأمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم جهلهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسأوا فهو لآلهم سابقة الاسلام أسأوا بإرشاد أبي بكر (ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انما انك مثقال حبة من خردل) وذلك ان ابن لقمان قال لا يبه بأب ان علمت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله قال يا بني انما أي الخطيئة ان تلك مثقال حبة من خردل أي في الصغر (فتكن) أي مع صغرها (في صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر نور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السماء فذلك قال (أوفي السموات أو في الارض) والصخرة على متن الريح والريح على القدرة (يات بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجه وهو قوله (ان الله لطيف) أي باستخراجه (خبير) أي بمكانه ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبته وعظمتها فمات (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصبر على الاذى من الامور الواجبة التي أمر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خذك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلوك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه حجة فيقال فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحقر الفقراء فليكن الفقير والغني عندك سواء (ولا تمس في الارض مرحا) أي خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال) في مشيبه (نخور) أي على الناس (واقصد في مشيك) أي ليكن في مشيتك قصديبين الاسراع والتأني أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو ان يرى في نفسه الضعف ترهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيتك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وقيل انقص

قطع ايجاب الزام أي أمر به أمر احتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معز ومات الامور أي مقطوعاتها (من) ومقر وضائها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأمورا بها في سائر الامم (ولا تصعر خدك للناس) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعرا أو عمرو ونافع وحزة وعلى وهو يعني تصعر والصعر داعي يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولاهم شق ووجهك وصفته كما يفعله المتكبرون (ولا تمس في الارض مرحا) أي تمرح مرحا أو اوقع المصدر وقع الخلال أي مرحا ولا تمس لاجل المرح والاشتر (ان الله لا يحب كل مختال) متكبر (نخور) من يعدد مناقبه تمايلا (واقصد) القصد التوسط بين العلو والتقصير (في مشيك) أي اعتدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب ديب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى أسرع فأنما أرادت السرعة المرتفعة عن ديب المتماوت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا يمشون عن خيب اليهود وديب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (واغضض)

من صوتك) وانقص منه أى اخطض صوتك (ان أنكر الاصوات) أى اوحشها (لصوت الخير) لان أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن الثورى صياح كل شئ تسبيح الا الحار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكروا في تشبيهه الرافعين أصواتهم بالخير وتمثيل أصواتهم بالنفاق تشبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة يؤيده ما روى انه عليه السلام كان يحببه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون سجهو والصوت وانما هو صوت الخير ولم يجمع لانهم يردان يذ كر صوت كل واحد من آساده هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيدهم (ألم ترا وأن الله سخر لكم ما فى السموات) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما فى الارض) يعنى البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وأسمع) وأتم (عليكم نعمه) مدنى وأوعرو وسهل وحفص نعمته غيرهم والنعمه كل نفع قصديه الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (و باطنة) ما لا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم (٤٤١) وما أشبه ذلك وروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلى

على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق وانطق ونيسل العطايا وصرف البساليا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ما سوى من خلقت والباطنة ما ستر من عيوبك (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت فى النضر بن الحرث وقد مر فى الحج (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) وان كان الشيطان يدعوهم (الى عذاب السعير) قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يخلص لله دينه ويفوض اليه أمره (وهو محسن) أى فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه الى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) أى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أى لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم (ثم نضطرهم) أى نلجئهم ونزودهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات

(من صوتك ان أنكر) أى أقيج (الاصوات لصوت الخير) لان أوله زفير وآخره شهيق وهم اصوات أهل النار وعن الثورى فى هذه الآية قال صياح كل شئ تسبيح الا الحار وقيل معنى الآية هو العاسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولا شاة وقال له اذبحها واتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها واتنى بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولا فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أى الناس شر قال الذى لا يبالي أن يراه الناس مسبأً قوله عز وجل (ألم ترا) أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ) أى أتم وأكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يجعل عليكم فى النعمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة تطهير الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأميه بن خلف وأشبهاهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير) واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) معناه أيتبعونهم وان كان الشيطان يدعوهم (الى عذاب السعير) قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يخلص لله دينه ويفوض اليه أمره (وهو محسن) أى فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه الى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) أى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أى لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم (ثم نضطرهم) أى نلجئهم ونزودهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات

(٥٦ - (خازن) - ثالث)

هنا بالى وفى بلى من أسلم وجهه لله باللام فعناه مع اللام انه جعل وجهه وهوداته ونفسه سالما لله أى خالصا ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتقوى اليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هى ما يتعلق به الشئ (الوثقى) تأنيث الاوثق مثل حال التوكل بحمال من أراد أن يتسدى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من جبل متين ما مونة انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه فيجازى عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن يحزنك كفره من أحن أى لا يهمنك كفر من كفر (الينا مرجعهم فنبتهم بما عملوا) فدعاهم على أعمالهم (ان الله يعلم بذات الصدور) ان الله يعلم ما فى صدور عباده فيعلم بهم على حسب (نعمتهم) زمانا (قليل) بدينهم (ثم نضطرهم) نلجئهم (الى عذاب غليظ) شديد شبه الزامهم التعذيب وازهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشئ والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والقل على العذب (ولئن سألتهم من خلق السموات

والارض يقولون الله قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نهوا عليه لم ينتهوا (لله مافي السموات والارض ان الله هو الغني) عن جدا الحمد من (الحمد) المستحق للحمد وان لم يحمده قال المشركون ان هذا أي الوحي كلام سينفذ فاعلم الله أن كلامه لا ينقذ بقوله (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والجبر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطف على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أي ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر وعلى الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام في حال كون البحر ممدودا وقرئ يمده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر ممداد لكن أغنى عن ذكر المداق قوله يمده لانه من قولك مداق وادها جعل البحر الاكظم بمنزلة الدواة وجعل البحر السبعة مملوءة مداق فحسى تصب فيه مداها أبدا صببا لا ينقطع والمعنى ولو أن اشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتب بتلك الاقلام وبذلك المداق كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداق كقوله قل لو كان البحر ممداد السكاهات لربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهى الرفع وليس فيه (٤٤٢) ضمير راجع الى ذى الحال قلت هو كقولك جئت والجلس مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال

التي حكمها حكم الفاروق وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتقسيمها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد برت أقلاما أو ثرا لكاهات وهي جمع قلة على السكاه وهي جمع كثرة لان عناءه ان كاهاته لا تنق بكتبتها البحار فكيف بكاهه (ان الله عز بز) لا يحجزه شئ (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شئ فلا تنفذ كاهاته وحكمه (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) والخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فحذف للعلم به أي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله

والارض يقولون الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله مافي السموات والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بكتوب يسألونك عن الروح الآتية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة آناه أبحار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أو تيم من العلم الا قليلا تعيننا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألسنت تتلوهن يا جاهل انا أو تينا التوراة فيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد أنا كم الله بيمان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأ نزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود أمر واو قد قرئ ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بكتوب قيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يسألونك أن ينفذ فيقطع فأ نزل الله تعالى ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام أي فبريت أقلاما وقيل بعد ذلك شجرة قلم (والبحر يمده) أي يزيد وينصب اليه (من بعده سبعة أبحر) أي مداا والخلاتق يكتبون به كلام الله (مانفذت كلمات الله) لانها لانها نهاية لها (ان الله عز بز حكيم) ﴿ قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي الا تخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شئ (ان الله سميع) أي لا قوا السمع (بصير) باعمالكم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) أي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء التي ذكرت وهو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) أي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لانه أكبر من كل كبير ﴿ قوله تعالى (ألم تر أن الفلك) أي السفن والمركب (تجري في البحر بنعمت الله) أي ذلك من نعمته الله عليكم (ليريك من آياته) أي من عجائب صنائه (ان في ذلك لايات لكل صبار) أي على ما أمر الله (شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كظلال)

شأن عن شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا يعث (بصير) باعمالهم فيجاز بهم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار) أي يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أي كل واحد من الشمس والقمر (يجري) في فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالبياء عياش دل ايضا بتعاقب الليل والنهار وزيا دتهم ما ونقصانهم ما وجرى النير من في فلكهم ما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) بالبياء عرا في غير أبي بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادر ون العالمون فكيف بالجواد الذي يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلي الشأن الكبير السلطان (ألم تر أن الفلك) وقرئ الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل (تجري في البحر بنعمت الله) باحسانه ورحمته أو بالريح لان الريح من نعم الله (ليريك من آياته) عجائب قدرته في البحر اذا ركبتموها (ان في ذلك لايات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعماته وهم صفتا المؤمن فلا يمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن (واذا غشيهم) أي الكفار (موج كظلال)

الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلال كل ما أطلق من جبل أو بحاب أو غيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) أي باق على الإيمان والاحلاص الذي كان منه ولم يعد إلى الكفر أو مقتصد في الاحلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاحلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياتنا) أي بحقيقتها (الاصكل خنثار) غدار والخنثار قبح الغدر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا أو ما لا يجزي والدعن ولده) لا يقضى عنه شيئا والمعنى لا يجزي فيه فخذف (ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية أكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر فأراد يحسم اطماعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيدي لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه من ولد من ولد كذا في الكشاف (ان وعد الله) (٤٤٣) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا

تغسرنكم الحياة الدنيا) ترينتها فان نعمتها دانية ولنتها قانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا أو الأمل (ان الله عنده علم الساعة) أي وقت قيامها (وينزله بالتشديد شامى ومدنى وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الفارق من الفعل تقدروا ان الله يثبت عنده علم الساعة وينزل الغيث) في ابانه من غير تقديم ولا تأخير (ويعلم ما في الارحام) أذ كرام انى ونام ام ناقص (وما تدرى نفس برة او فاجرة) ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شر او عازمة على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس باى أرض تموت) أي ان تموت وربما أقامت بارض وضربت أو نادها وقالت

أى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناها ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فاذا انتج من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) أي عدل موقف في البر بما هداه عليه الله في البحر من التوحيد والتمسك على الإيمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح إلى البحر فجاهمهم بريح عاصف فقال عكرمة لئن اناجنا الله من هذا الاربعين الى محمد صلى الله عليه وسلم ولا ضمن يده في يدي فسكت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل خنثار) أي غدار (كفور) أي يجحد ولا نعمنا عليه ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي خافوا ربكم (واخشوا) أي خافوا (وما لا يجزي) أي لا يقضى ولا يغنى (والدعن ولده) ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الولد والوالد فنبه بالا على على الادنى وبالادنى على الاعلى فالولد يجزي عن ولده لكل شفقة عليه والولد يجزي عن والده لاله من حق التربية وغيره فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسى نفسى ولا بهم يتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ منهم نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا او ما هذا شأنه وهو كائن لو وعد الله به ووعدته حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي لانها قانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويعتق المغفرة ﴿قوله تعالى﴾ (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحرب بن عمر وبن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة وقتها وقال ان أرضنا أجذبت فقل لى متى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبل لى فتى تلد ولقد علمت أين ولدت فبأى أرض اموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أتبع الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت ان الله علم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة في أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليل أو نهارا (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليل أو نهارا الا الله (ويعلم ما فى الارحام) أذ كرام انى أجرام اسود نام الحلقة أم ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدرى نفس باى أرض تموت) أي ليس احد

لا أبرحها فترى به امرئ القدر حتى تموت في مكان لم يخطر بباله روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال له هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبامنه لاني أمرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدرية للعبيد لما فى الدراية من معنى الخنسل والخسيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعلمت حياها ما يختص بها ولا شئ أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتها كان معرفة ما عداها بعد وأما النجم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فانه يقول بالقياس والنظر فى الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على انه مجرد الفان والفان غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطأخ الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور فى منامه مصورا ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار باصبعه الخمس فغيرها المعبرون بخمس سنوات وبخمس أشهر وبخمس ايام فقال ابو حنيفة رضى الله عنه هو إشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله

(ان الله عليم) بالغيوب (خبر) بما كان وبما يكون وعن الزهري رضى الله تعالى عنه أكثر واقرأة سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم * سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي وتسع وعشرون آية بصرى * * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الم) على انهم السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعدد للحروف ارتفع ترتيبها خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) (٤٤٤) ولا ريب فيه اعتراض لاجل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل

لا ريب في ذلك اي في كونه من رب العالمين لانه معجز للبشر ومثله أبعث حتى من الرب ثم ضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد لان أم هي المنقاعة السكائنة بمعنى بل والهزمة معناه بل يقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجبيا منهم لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم ضرب عن الانكار الى آيات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتوا وجهلا (لتنذر قوما) أي العرب (ما أتاهم من نذير من قبلك) ما للنفق والجلالة صفة لقوما (لعلهم يهتدون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) استولى عليه باحدائه (مالكم من دونه) من دون الله (من ولي ولا شفيع) أي اذا جاوزتم رضاهم تجددوا لانفسكم ولبا

من الناس يعلم أين مضجعه من الارض في براوج عرفي سهل أو جبل (ان الله عليم) اي بهذه الاشياء وبغيرها (خبر) أي بيوطن الاشياء كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى اعلم بما أرادوا سرار كتابه

*** (تفسير سورة السجدة وهي مكية) ***

قال عطاء الاثلاث آيات من قوله ان كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى اعلم

*** (بسم الله الرحمن الرحيم) ***

قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أي لاشك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشركين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنه ما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذ لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بعبودية الله وتوحيده فتم لان مهمم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلهم يهتدون) يعني تنذرهم راجبا هتداءهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلاتنذرون) تقدم تفسيره قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاة والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يرجع) أي يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني إضافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يرجع اليه أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الامر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر ترجع الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقة وقال ابن أبي مليكة دخلت أمار عبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضى الله عنهما أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني

أي ناصرنا نصركم ولا شفيعا شفيع لكم (أفلاتنذرون) تنعظون بما عاظ الله (يدبر الامر) أي أمر الدنيا (من السماء الذي الى الارض) الى أن تقوم الساعة (ثم يرجع اليه) ذلك الامر كله أي بصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة (بما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للمشبهة بقوله اليه في آيات الجهة لان معناه الى حيث رضاه أو أمره كما لا تشبث لهم بقوله اني ذاهب الى ربي اني مهاجر الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الموصوف بما صام عالم ما غاب عن خلق وما شاهدوه

(العزير) الغاب أمره (الرحيم) البالغ لعاقبه وتيسيره وقيل لاوقف عليه لان (الذي) صفته (أحسن كل شيء) أي حسنه لان كل شيء مرتب على ماقتضته الحكمة (خلقه) كوفي ونافع وسهل على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البديل أي أحسن خلق كل شيء (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعله نسله) ذريته (من سلالة) من نطفة (من ماء) أي مني وهو بدل من سلالة (مهيمن) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله في أحسن تقويم (ونفخ) ادخل (فيه من روحه) الاضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبعلمه (وجعل لكم السمع والابصار والاذن) لتسمعوا وتبصروا وتعلموا (قليلًا ما تشكرون) أي تشكرون قليلا (وقالوا) القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم (أنذاضلنا في الارض) أي صرنا (٤٤٥)

لا تميز منه كإضلال الماء في اللبن أو غيبنا في الارض بالدفن فيها وقرأ على ضلنا بكسر اللام يقال ضل بضل وضل بضل وانصب الطرف في أي إذا ضلنا بما يدل عليه (أننا في خلق جديد) وهو نبعث (بل هم باقوا) ربهم كافرين) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه إلى ما هو ابغ وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم ملك الموت الذي مبعوث للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفى استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حتى من فلان إذا أخذته وافيًا كما لا من غير نقصان وعن مجاهد جويت ملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست

الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزير) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه وأهمل طاعته قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس ألقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه اللهم خلقه بما يحتاجون اليه وعلمهم آياته وقيل معناه أحسن إلى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلالة) أي من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناق الله ثم ذكر ما يرتب على نفخ الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق بعد ان كنتم نطفًا وما تانا (السمع والابصار والاذن) قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولاً كما في نظر إلى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووجد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلًا ما تشكرون) يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه الا قليلا (وقالوا) يعني منكري البعث (أنذاضلنا) هلكنا (في الارض) والمعنى صرنا ترابا (أننا في خلق جديد) استهتام انكاري قال الله تعالى (بل هم باقوا ربهم كافرين) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي انه لا ينفل عنكم وإذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا يشغل له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتترع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ نقر نقره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهي تتصلح وجوه الناس فيما من اهسل بيت الارض الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم إلى ربكم ترجعون) أي تصيرون إلى ربكم احياء فيجزى بكم بما عملتم قوله عز وجل (ولو ترى اذ المجرمون) أي المشركون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) أي يطأونها احياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون (ربنا ابصرنا) أي ما كتابه مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما اتينا به رسلك وقيل ابصرنا بما صنعنا ما قبل فيها (فارجعنا) أي فاردنا إلى الدنيا (نعمل صالحا انما موقنون) أي في الحال آمنوا ولكن لا ينفذ ذلك الايمان (ولو شئنا

يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الامر لذلك كاه وهو الخالق لانعمال الخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفى رسولنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها (ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (اذ المجرمون) هم الذين قالوا أنذاضلنا في الارض ولو واذ المصطفى وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ طرف له (ناكسوا رؤسهم) من الذل والخياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف اذ التقدير يقولون (ربنا ابصرنا) صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عيادوهما فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل صالحا) أي الايمان والطاعة (انما موقنون) بالبعث والحساب الآت (ولو شئنا

لكن لم نعطهم ذلك اللطف
لما علمنا منهم اختيار الكفر
وايثاره وهو حجة على المعتزلة
فان عندهم شاء الله ان
يعطى كل نفس ما به اهتدت
وقد أعطاهما لكنهما لم
تهتدوهم أولوا الآية بمشيمة
الجبر وهو ناريل فاسد لما
عسرف في تبصر الأدلة
(ولكن حق القول منى
لأملائن جهنم من الجنة
والناس أجمعين) ولكن
وجب القول منى بما علمت
انه يكون منهم ما يستوجبون
به جهنم وهو ما علم منهم انهم
يختارون الرد والتكذيب
وفي تخصيص الانس والجن
اشارة الى انه عصم ملائكته
عن عمل يستوجبون به
جهنم (فذوقوا) العذاب
(بما نسيتم لقاء يومكم هذا)
وهو الايمان به (انا نسيتكم)
تركا كفى العذاب كالنسي
(وذوقوا عذاب الخلد) أي
العذاب الدائم الذي
لا انقطاع له (بما كنتم
تعملون) من الكفر
والمعاصي (انما يؤمن بآياتنا
الذين اذا ذكروا بها) أي
وعظوا بها (خروا سجدا)
سجدا والله تواضعا وخشوعا
منى وشكر اعلى ما رزقهم من
الاسلام (وسجوا بحمد
ربهم) وترهوا الله عما
لا يليق به وأنوا عليه
حامدين له (رهم
نفس لا يستكبرون) عن الايمان به والسجود له
النوم قال سهل وهب اقوم هبته وهوان اذنهم في مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تعجبا في جنوبهم عن المضاجع
عاشي

لا تتنا كل نفس هداها) اي رسدها وتوفيقها للايمان (ولكن حق القول منى) اي وجب القول منى (لأملائن جهنم من الجنة والناس اجمعين) اي من كفار الجن والانس (فذوقوا) اي فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنه ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أي زكمت الايمان في الدنيا (هذا انا نسيتكم) اي تركناكم بالكتابة غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسي قطع الرجاكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب ﴿ قوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسجوا بحمد ربهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا مكانا لوضع جبهته في غير وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتنا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمر بالسجود فأبيت في النار وهذه من عزائم سجود القرآن فنس للقارئ ولاه مستمع ﴿ قوله تعالى (تعجبا في جنوبهم) أي ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعنى الفرش وهم المتسجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فيما معاشر الانصار كانصلى المغرب فلانرا جمع الى رحا لنا حتى نضلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تعجبا في جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غير يب صحح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاقاربين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاقاربين وقال عطاءهم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لآتوا وهما ولو جبووا أشهر الاقارب ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن وجاهد ومالك والوزاعي وجماعة

* (فصل في فضل قيام الليل والحث عليه) * عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة فأصبحت يوما قريما منه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وانه لبيد على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تعجبا في جنوبهم من المضاجع حتى باغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعروده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعروده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بأسانه وقال اكف علك هذا فقلت يا رسول الله وانا ما أخذون بما ننتكهم فقال شككتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد أسننتهم أخرجه الترمذي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقر به الى ربكم وتكفيرا للسياآت ومنهاة عن الآثام ومطرده الداء عن الجسد أخرجه الترمذي * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل نارعن وطائه وخفاه من بين جنبيه وأهله الى صلانه فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدى نارعن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله الى صلانه فيعجبني فما عندي وشقة مما عندي ورجل غزافي سبيل الله وانهم زم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه

فبقول (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع (تعجبا في جنوبهم عن المضاجع) عن المضاجع

(يدعون) داعين (رجيم) عايدين له (خوفا وطعما) مفعول له أي لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رخصته وهم المتعبدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القرية بمعنى صلاة الليل وعن أنس كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة فتزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العجم لا ينامون عنها (ومارزقناهم ينفقون) في طاعة الله تعالى (فلا تعلم) (٤٤٧) نفس ما أخفى لهم) ما يعني الذي أخفى على

حكاية النفس حمزة ويعقوب (من قرأه عين) أي لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر أي جزاء وجزاء (بما كانوا يعملون) عن الحسن رضي الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لعين رأت ولا أذن سمعت وفيه دليل على أن المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفا قائم بين أن من كان في نور الطاعة والایمان لا يستوى مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أي كافر أوهما محمولان على لفظ من وقوله (لا يستنون) على المعنى بدليل قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنات تأوي إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش (نزل بما كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أي مجلجولهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا

فيقول الله تعالى باللائمة انظروا إلى عبدى رجوع رغبة فيما عندى وشققة مما عندى حتى أهرق دمه أخرجه الترمذى بمعناه (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة عترة فارى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابح الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذى (خ) عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه في قصة بذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أحلكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال وفتن رسول الله يتلو كتابه * إذا اشق معروف من الفجر ساطع أروانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به مسوقات ما إذا قال واقع بيت يجافى جنبه عن فراشه * إذا استقلت بالكافرين المضاجع أخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحاحين غير هذا الحديث وقوله تعالى (يدعون رجيم خوفا وطعما) قال ابن عباس خوفا من النار وطعما في الجنة (ومارزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع ﴿ قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) أي مما تقر به أعينهم فلا يفتنون إلى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أي من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴿ قوله تعالى (أمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستنون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عتبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام في معنى فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وأنا شيخ والله انى أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا وفي الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزله الله هذه الآية وقوله لا يستنون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أي التي يأوى إليها المؤمنون (نزل) هو ما يهبط للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعني من الطاعات في دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كتبته تكذيبون ﴿ قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) أي سوى العذاب الأكبر قال ابن عباس العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وعنفه أنه الحدود وقيل هو الجوع عبيكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والأكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أي إلى الإيمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن أظلم ممن لا أحد أظلم) (من ذكر بآيات ربه) أي بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم أعرض عنها) أي ترك الإيمان

منها أعيدها وقيل لهم) أي تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذي كتبته تكذيبون) وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا من الأسر وما يحنونه من السنة سبع سنين (دون العذاب الأكبر) أي عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة وعن الداراني العذاب الأدنى الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران وقيل عذاب الأدنى عذاب القبر (لعلهم) لعل المعذبين بالعذاب الأدنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن لا أحد أظلم) (بآيات ربه) أي بالقرآن (ثم أعرض عنها) أي فتولى عنها ولم يتدبر فيها وشم لا استبعاد أي إن الاعراض عن مثل هذه

الآيات في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك
وجدت منك تلك الفرصة ثم تنتهزها ستباعد التركة الانتهاز (انامن المجرمين منتقمون) ولم يقل منه لانه اذا جعله اعظم كل ظالم ثم قود
المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاطلم النصيب الاو فر من الانتقام ولو قال بالضيمير لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب
التوراة) فلا تكن في مريية شك (٤٤٨) (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب او من لقاءك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاءه

موسى ربه في الآخرة
كذا عن النبي صلى الله عليه
وسلم (وجعلناه هدى لبني
اسرائيل) وجعلنا الكتاب
المنزل على موسى لقومه
هدى (وجعلنا منهم أئمة)
بهم زرين كوفي وشامى
(يهودون) بذلك الناس
ويدعونهم الى مافى التوراة
من دين الله وشرايعه
(بامرنا) اياهم بذلك (لما
صبروا) حين صبروا على
الحق بطاعة الله أو عن
العاصى لمصبروا جزوة على
أى لصبرهم عن الدنيا وفيه
دليل على ان الصبر غرة
امامة الناس (وكانوا
بآياتنا) التوراة (يوقنون)
يعلمون علم الايمان شك
(ان ربك هو يفصل) يقضى
(بينهم يوم القيامة) بين
الانبياء وأممهم أو بين
المؤمنين والمشركين (فبما
كانوا فيه يختلفون) فيظاهر
المحق من المبطل (أولم)
الواو للعطف على معطوف
عليه منوى من جنس
المعطوف اى أولم يدع
(يهد) يبين والفاعل الله
بدليل قرأته يدع يعقوب
نهد لهم) لاهل مكة (كم)
لا يجوز ان يكون كفاعل

بها (انامن المجرمين) يعنى المشركين (منتقمون) معناه انهم لمسلم برجعوا بالعذاب الاذنى فانامتهم منتقمون
بالعذاب الاكبر ﴿ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فلا تكن في مريية) أى فى شك
(من لقائه) أى من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رأيت ليلة أسرى بنى موسى رجلا آدم طوالا اجعدا كأنه من رجال شنوعة ورأيت عيسى برجل امرؤعا
مربوع الخلق الى الحجره والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله
اياه فلا تكن فى مريية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آتيت على موسى ليلة
المعراج ليلة أسرى بنى عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره فان قلت قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى
السماء السادسة عند مرآجته فى الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته
فى قبره عند الكتيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى
السماء السادسة وجد هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شىء قدير فان قلت كيف نصح
منه الصلاة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبي
صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يسبحون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه باجوبة أحدها
ان الانبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يسبحوا أو يصلوا
كما صح فى الحديث وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الأحياء فى هذه الدار التى
هى دار العمل الى أن تفتى ثم يرحلون الى دار الجزاء التى هى الجنة الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم
رأى حالهم الذى كانوا عليه فى حياتهم ومثاله كيف كانوا وكيف كان يحجمهم وصلاتهم الجواب الثالث
ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لکن الذکر والشکر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم
فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد
يعبد ربه فى الجنة أكثر مما كان يعبد فى الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين
قال الله فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية مافى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى
على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل فى قوله فلا تكن فى مريية من لقائه أى من تلقى موسى كتاب الله بالرضا
والقبول (وجعلناه) يعنى الكتاب (هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم) أى من بنى اسرائيل (أئمة) أى قادة
للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (يهودون بأمرنا) أى
يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) أى على دينهم وعلى البلا من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا
يوقنون) أى انهم امن الله تعالى (ان ربك هو يفصل) أى يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة) فيما
يختلفون) قيل هم الانبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون ﴿ قوله تعالى (أولم يهد لهم
(كم أهلكت) أى كثر من أهلكتنا (من قبلهم من القرون) أى الامم الخالية (عشرون فى مساكنهم) يعنى
أهل مكة يسرون فى بلادهم ومنزلهم اذا سافروا (ان فى ذلك لايات أفلا يسمعون) أى آيات الله
ومواعظه فيتعتون بها ﴿ قوله عز وجل (أولم يروا أناسوق الماء الى الارض الجرذ) أى الارض
اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها قال ابن عباس هى أرض باليمن وقيل هى أبين (فتخرج به) أى بذلك الماء
(زرعاً) كل منه أنعامهم) أى العشب والتبن (وأنفسهم) أى من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون) أى

يهدى لان كم لاسفهام فلا يعمل فيه ما قبله ويحمله نصب بقوله (أهلكتنا من قبلهم من القرون) كعاد وغود وقوم لوط فيعتبروا
(عشرون فى مساكنهم) أى أهل مكة يسرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم (ان فى ذلك لايات أفلا يسمعون) المواعظ فيتعتون (أولم
يروا أناسوق الماء) نجري المطر والانهار (الى الارض الجرذ) أى الارض التى حرز نباتها أى قطع الماء لعدم الماء أو لانه رعى ولا يقال للتى لا
تنبت كالسباخ حرز بدليل قوله (فتخرج به) بالماء (زرعاً كل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون)

بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على احيا الموتي (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المساون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه كائن (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لا يفتح الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهر أو لكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استجبت لامتهم على وجه التكذيب والاستهزاء آجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقبل لهم لاستهزاءهم ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلت في ذلك اليوم وأمتهم فلا يفتحكم الايمان أو استنظرتهم في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المتولين منهم فانهم لا يفتحهم إيمانهم في حال القتل كما يفتح فرعون إيمانه عند العرق (٤٤٩) (فأعرض عنهم وانتظر) النصر

وهلاكهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي يسده الملك وقال من قرأ ألم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن سعد رضي الله عنه قال سورة ألم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم

* (سورة الاحزاب مدنية) * وهي ثلاث وسبعون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) قال أبي بن كعب رضي الله عنه لزركم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم السبخ والشخبة اذا زيناها وجوهما البتة نكالا من الله والله عزير حكيم أراد أبي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأماما يحكى ان تلك

فيعتبروا ﴿ قوله تعالى (و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يومان نعم فيه ونسرتج ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزأوا متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا يفتح الذين كفروا إيمانهم) أي لا يقبل منهم الايمان ومن جعل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا يفتح الذين كفروا إيمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي هم يولون ايتوبوا ويعتذروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) أي وعدى لك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) أي بل حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا يا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل الكتاب وهل أتى على الانسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طاوس تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسر سورة الاحزاب وهي مدنية) *

ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبي العور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكلموه وتمام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكرا لهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعت لمن عبدها وندعك ووربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم لم عمر أن يخرجه من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تطع المنافقين الذين بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا العور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (ان الله كان عليما) أي

(٥٧ - (حازن) - ثالث) الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكتها الداجن في تأليفات الملاحدة والرافض (يا أيها النبي) وبالهمزة نافع أي يا أيها المخبر عن المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا الى أجبنا وانما لم يقل يا محمد كقوله بالآدم ياموسى تشرى فقال وتزوج بفضلته وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله (اتق الله) اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم فانهم أعداء الله والمؤمنين وروى ان أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا العور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله بن أبي وأعطاهم النبي الامان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكرا لهتنا وقل انها تنفع وتشفع وازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا (ان الله كان عليما) بحيث أجمعهم

(حكيميا) في تأخير الامر بقتالهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله الذي يوحى اليك) كان بما تعلمون خبيراً) أي لم يزل عالم بما علمهم وأعمالكم قبل انما سمع لان المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالباء أو بعمرو أي بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أستد امرئ اليه وكاله الى تدييره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موكولاً اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلاً (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وما جعل أزواجكم الا لئلا تظاهروا منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم) أي ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى انه تعالى كالم يجعل لانسان قلبين لانه لا يتخولوا ما أن يفعل بالآخر فعملان أفعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه وما أن يفعل من ذنوبه ما يفعل بذلك (٤٥٠) فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهها عالم بالطاموقناشاً كافي حاله واحدة لم يحكم أيضا ان تكون المرأة الواحدة

بخلقها قبل أن يتخاطبهم (حكيميا) أي فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعلمون خبيراً) أي تقي بالله وكل أمرئ اليه (وكفى بالله وكيلاً) أي حافظاً لكل وقيل كفيلاً برزقك ﴿قوله تعالى﴾ (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر جدي بن معمر الفهري وكان رجلاً يبيهاحفظ الماسمع فقال قر يش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهم زعم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجليه فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهم زعموا فقال له فما بال احدى نعليك في يديك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعملوا يومئذ انه لو كان له قلبان لمانسى نعله في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس رأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر خطرته فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا تروا ان له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرته يريد الوسوسة التي تحصل للانسان في صلواته وقيل في معنى الآية انه لما قال الله تعالى يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمراً بالتقوى فكانه قال ومن حقهها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضرب به الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبنين ولد غيره فكذلك لا يكون لرجل قلبان لانه لا يتخولوا ما ان يفعل باحدهما ما يفعل بالاخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه وما أن يفعل به هذا ما لا يفعل بذلك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهها عالم بالطاموقناشاً كافي حاله واحدة وهم ما حالان متنافيتان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له امان ولا يكون ولد الواحد ابن واحد من رجلين ﴿قوله﴾ تعالى (وما جعل أزواجكم الا لئلا تظاهروا منهن أمهاتكم) وصوره الظاهر ان يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أي يقول الله وما جعل نساءكم التي تقولون لهن هذا في التحريم كما أمهاتكم ولكنه منكم منكم مكر وزور وفيه كفارة وسبأ في الكلام عليه ان شاء الله في سورة المجادلة ﴿قوله﴾ تعالى (وما جعل أدعياءكم) يعني الذين يتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبنين وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن شراحيل السكبي وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرب بنت بحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية ونسخها النبي (ذلك قولكم يا فواهكم) أي لاحقية قوله يعني قولهم زيد بن محمد وادعاء النسب

الرجل زوجه لان الام مخدومة والمرأة فخدمته وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد دعياً لرجل وابنته لان البنوة اصاله في النسب والدعوة الصان عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون أصيلاً غير أصيل وهذا مثل ضرب به الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كآب سبي صغيراً فاشتراه حكيم بن حزام لعتمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمره غير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن بنت وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد

قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر احفظ العرب فقيل له ذو القلبين فاكذب الله قولهم وضربه مثلاً في الظهار والتبني والتشكيك في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجواب للتأكيدهم اللاتي سبوا بعد الهزيمة حيث كان كوفي وشامي اللاء نافع وبه وسهل وهي جمع التي تظاهرون عاصم من ظاهرا اذا قال لامرأته أنت على كظهر أي تظاهرون على وجزة وخاف تظاهرون شامى من اظهار بمعنى تظاهروا غيرهم تظاهرون من اظهر بمعنى ظهر وعدي بن ارضمنه معنى البعد لانه كان طلاقاً في الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدي بن والافاقلى في أصله الذي هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والذي فعل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولد اوجع على أفعلاء شاذ الان بابيه ما كان منه بمعنى فاعل كقنى وأتقاء وشقى وأشقاء ولا يكون ذلك في نحو رمى وسمى للنسب اللفظي (ذلك قولكم يا فواهكم) أي ان تزواكم للزوجة هي أم ولدي هو ابن قول تقولونه بالأسنتكم لاحقية قوله اذا الابن يكون بالولادة وكذا

الام (والله يقول الحق) أى ما هو حق ظاهره وباطنه (وهو يهدى السبيل) أى سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهو الذى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لا آباءهم هو أوسط) عدل (عند الله) وبين ان دعاءهم بآبائهم هو أدخل الامر فى القسط والعدل وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا أعجب مولد الرجل ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكركم من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة العلية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينهما ثم فصل بالطبيعة (فان لم تعملوا آباءهم) فان لم تعملوا آباءهم آباءهم (فآخوانكم فى الدين ومواليكم) أى فهم آخوانكم فى الدين وأولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أى وهذا مولاي وآخوانكم فى الدين والولاية فيه (١٥١) وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به أى لا اثم عليكم فيما فعلتموه

من ذلك سخطين جاهلين قبل ورود النهى (ولكن ماتعمدت قلوبكم) ولكن اثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهى أو لا اثم عليكم اذا فقمتم لولد غيركم يابنى على سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين وما فى موضع الجر عطف على ما الاول ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التنبى وعمده واذا وجد التنبى فان كان التنبى مجهول النسب وأصغر سنامه ثبت نسبه منه وعق ان كان عبدا له وان كان أكبر سنامه لم يثبت النسب وعق عند أبي حنيفة رضى الله عنه وأما المعروف بالنسب فلا يثبت نسبه بالتنبى وعق ان كان عبدا (وكان الله غفورا رحيمًا) لا يؤخذكم بالخطا ويقبل التوبة من المتعمد (النى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى أحق بهم

لا حقيقة له (والله يقول الحق) أى قوله الحق (وهو يهدى السبيل) أى يرشد الى سبيل الحق (ادعوهم لا آباءهم) أى الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو أوسط عند الله) أى عدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولود رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدعو الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لا آباءهم هو أوسط عند الله الآية (فان لم تعملوا آباءهم فآخوانكم فى الدين) أى فهم آخوانكم (ومواليكم) أى كانوا محررين وليسوا ببنينكم أى فهم باسماء آخوانكم فى الدين وقيل معنى مواليتكم أولياؤكم فى الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أى قبل النهى فنسبتموه الى غير آبيه (ولكن ماتعمدت قلوبكم) أى من دعائهم الى غير آباءهم بعد النهى وقيل فيما أخطأتم به ان تدعوه الى غير آبيه وهو يقطن انه كذلك (وكان الله غفورا رحيمًا) (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير آبيه وهو يعلم انه غير آبيه فالجنة عليه حرام ﴿ قوله عز وجل (النى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه عليهم وجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لان أنفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم فى الجمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فندمأذن من آباءنا وأمهاتنا فنزلت الآية (ق) عن أبي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدين والى الاخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإيمان مؤمن ترك ما لا فلتة عصبته من كانوا من ترك ديناً أو ضياعاً قلباً أتى فانما ولاءه عصبته الميت من برئه سوى من له فرض مقة - در وقوله أو ضياعاً أى عيالاً وأصله مصدر ضاع بضياع ضياعاً ان كسرت الضاد كان جمع ضائع ﴿ وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعنى أمهات المؤمنين فى تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأيد لافى النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام فى حقهن كفى حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخوانتهن هن أخوات المؤمنين ونالتهن قال الشافعى تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهى أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هى خالة المؤمنين وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق ان امرأه قالت لعائشة يا أمه فقالت استك بأمر جالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) يعنى فى الميراث قبل كان المسالمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل فى معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (فى كتاب الله) أى فى حكم الله (من المؤمنين) الذين آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم

فى كل شئ من أمور الدين والدينا وحكمه أنه فعلهم من حكمه فاعلمهم ان يبذلوه بدونه ويجعلوه فداءه وهو أولى بهم أى أرفق بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفى قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون أخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم فى الدين (وأزواجه أمهاتهم) فى تحريم نكاحهن وجوب تعظيمهن وهن في جوار ذلك كالارث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن (وأولوا الارحام) وذو القربان (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث وكان المسالمون فى صدر الاسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة (فى كتاب الله) فى حكمه وقضائه أو فى اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله (من المؤمنين)

والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لأولى الأرحام أي الأقر باع من هؤلاء بعضهم أولى بان يرتب بعضا من الأجناب وان يكون لابناء الغاية أي
أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أي الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الآن تفعلوا إلى أوليائكم
معروفا) الاستثناء من خلاف الجنس أي لكن فعلمكم إلى أوليائكم معروفا جزوا وهو أن توصوا لمن أحببت من هؤلاء بشئ فيكون ذلك بالوصية
للميراث وعدى تفعلوا بالي لأنه في معنى تسدوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي
التوارث بالأرحام كان مسطورا في الأوح (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) وإذا كرحين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة ولدعاء
إلى الدين القيم (ومنك) خصوصا وقد مر رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع
فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقد قدم من قدمه زمانه (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا
منهم ميثاقا غليظا) وثيقا وأعاد ذكر (٤٥٢) الميثاق لأنضمام الوصف اليه وإنما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أي الأنبياء

(عن صدقهم) عما قالوه
لقومهم أو ليسأل الصادقين
لأن نبياء عن تصديقهم لأن
من قال للصادق صدقت
كان صادقا في قوله أو يسأل
الأنبياء ما الذي أجابتهم
أمهم وهو كقوله يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا أجبت
(وأعد للكافرين) بالرسول
(عذابا أليما) وهو عذاب
على أخذنا لأن المعنى ان
الله أكد على الأنبياء الدعوة
إلى دينه لاجل اثابة
المؤمنين وأعد للكافرين
عذابا أليما وعلى ما دل
عليه ليسأل الصادقين كانه
قال فاناب المؤمنين وأعد
للكافرين (يا أيها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم) أي ما أنعم الله به
عليكم يوم الأحزاب وهو يوم
الخنندق وكان بعد حرب
أحد بسنة (اذ جاءكم

(والمهاجرين) يعني ان ذوى القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية المواردية بالموأخاة والهجرة
وصارت المواردية بينهم بالقرابة (الآن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين
وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالخلف والاختراع للهجرة أباح ان يوصى لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله
وقبل أراد بالمعروف والنصر وحفظ الحرمات بحق الإيمان والهجرة وقيل معناه الآن توصوا إلى قرابتكم بشئ
وان كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة (كان ذلك) أي الذي ذكر من أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض
(في الكتاب) أي في الأوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورا) أي مكتوبا ميثاقا لله تعالى (وإذا أخذنا
من النبيين ميثاقهم) أي على الوفاء بما جاملوا وان صدق بعضهم بعضا ويشر بعضهم ببعض وقيل على ان
يعبدوا الله ويدعوا الناس إلى عبادته وينصحو القومهم (ومنك) يعني بالحمد (ومن نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى بن مريم) نخص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم
من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كتر شريفه وتفصيلا لما روى البغوي باسناد الثعلبي عن
أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول
الله وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم (ومنك) ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)
أي عهدا شديدا على الوفاء بما جاملوا من تبليغ الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم
لكن يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم
صادقون بتكبير من أرسلوا اليهم وقيل يسأل الصادقين عن صدقهم عن علمه ته عز وجل ليسأل
الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) قوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق
(اذ جاءكم جنود) يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فارسنا عليهم رجحا) يعني
الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلق نضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلك عابد بالبور وقيل الصبار يح فيها روح ما هبت على
محزون الاذهب حزنه قوله تعالى (وجنود الم ترها) يعني الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله
عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القددور

جنود) أي الأحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير (فارسنا عليهم رجحا) أي
الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلك عابد بالبور (وجنود الم ترها) وهم الملائكة وكانوا ألقا ببعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية
فأخصرتهم وأسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقاعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القددور وماجت الخليل
بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فانهم زموامن غير قتال وحين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياقبا لهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينهم وبين القوم وأمر بالذراي
والنسوان فرغو في الأطم واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو
سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن العاقيل في هزارن وضامتهم اليهود من قريظة
والنضير ومضى على الفر يقين قريش من شهر لاحت بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر

وماجت الخليل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان النجاء النجاء هلموا الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهم زوموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما يعملون بصيرا) * (ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب)

قال البخاري قال موسى بن عتبة كانت في شوال سنة اربع مائة للهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطاب وكثانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهو ابن قيس و بوعمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني دائل وهم الذين خرجوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اناس تكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيمن نحن ومحمد قد بيننا خير ام دينه قالوا دينهم دينه وانتم اولي بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا وانشأوا المادعوهم اليهم من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان ٢ وقيسا وعيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم انهم سيكفونون معهم عليه وان قريش اشد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت قريش وقائدهم ابيس بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومعه عز بن ربيعة بن نوفل بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهده شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كابل فارس اذا حوصرنا ضرب بنا خندقا علينا

(وكان الله بما تعملون) أي بعملكم أي المؤمنين من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالباء أبو عمرو وأبو يعلى يعمل الكفار من البغي والسعي في اطفاء نور الله

٢ قوله غطفان الخ كذا بالاصل وفي المواهب خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان زاد شارحها بعين مهمله قال الجوهري وليس في العرب عيلان غيره اه

فعمل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن والزبي وسبعة من الانصار في أربعين ذراعا فخرنا حتى اذا كانت تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروية حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فاما أن يعدل عنها فان يعدل قريش واما أن يأمرنا فيها أمره فانا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركبته فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروية من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبنا منها شيء قليل ولا كئيب ففرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجاوز خطك فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام المعول من سلمان وضرب بهما ضربا يتصدعها ويرق منها ريق أضاع ما بين لاتبها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها ريق حتى أضاع ما بين لاتبها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها و برق منها ريق أضاع ما بين لاتبها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان وورق فقال يا بني أنت وأخي يا رسول الله لقد رأيت شيئا مارأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضرب بني الاولي فبرق البرق الذي رأيتهم فأضاع على منها قصور الحيرة وسدان كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل ان أمي ظاهرة عليها ثم ضربت ضرب بني الثانية فبرق البرق الذي رأيتهم أضاع على

مصحح

منها قصر وقصر من أرض الروم كأنها أبواب السكاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت
الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصر وصنعاء كأنها أبواب السكاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة
عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحضر فقال المنافقون ألا
تجيبون بمنكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصورا الخيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم
انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الاغروا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآتية (ق) عن أنس قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد
يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار
والمهاجرة فلو اجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما حينما أبدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل عن التراب وهو يقول

والله لولا الله ما هتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكة عينا * وثبت الاقدام ان لا قينا

والمشركون قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

و يرفع يده صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطمه رجعت الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في
عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد
حتى نزلوا بذي نعمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا طاهورهم
الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء
فرفعوا الى الاطام وخرج عدو الله حبي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب
عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن
أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فإني أن يفخه فناداه حبي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حبي انك
امرؤ مشوثم اني قد عاهدت محمدا فليست بنا قاض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدا فقال ويحك افتح أكلك
قال ما أبالاعل قال والله ان أغلقت دوفي الاخوف ان آكل معك فاحفظ الرجل ففخه له فقال ويحك يا كعب
جئت بك بعز الدهر وبحر طام جئت بك بقريش على قادتها وصادتها حتى أنزلتهم بمجمع الاسيال من رومة
وبغطفان على قادتها وصادتها حتى أنزلتهم بذي نعمى الى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا
حتى يستأصلاوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجمام قد هرق ماؤه وبرعد وبرق ليس
فيه شيء دعني ومحمدا وما أنا عليه فاني لم أر من محمدا الا صدقا وفاء فلم يزل حبي بن أخطب بكعب يفتمله في الذروة
والغارب حتى سمع له على ان أعطاه من الله عهدا وميثاقا فالتن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك
في حصنك حتى يصيدني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عباد أحد بني ساعدة وهو يومئذ
سيد بني الخزرج ومعهم عبد الله بن رواحة أحد بني الخزرج وخوان بن جبير أخو بني عمرو بن
عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما باغتنا من هؤلاء القوم أحق أم لا فان كان حقا فالحناؤى الحناؤى عرفه ولا
تفتوا الاعضاء للناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهر وابه للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم
على أختب ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا الاعتد بيننا وبينه ولا عهد فشاقتهم سعد
ابن عباد وشاتموه وكان رجال عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمهم فيما بيننا وبينهم أربي من
المشائمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة احذر

عضل القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع نجيب بن عدى وأصحابه فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر بشر وأيام عشر المسلمين وعظام عند ذلك البلاء واشتد الخوف واناهم عدوهم
 من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجس النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن
 قشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد بعدنا نأكل كنوز كسرى وقبصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى
 الغائب ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال اوس بن قيطي احسد بنى حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من
 العدو وذلك على ملامن ورجال قومه فأذن لنا فانرجع الى ديارنا فانما خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى
 الله عليه وسلم واقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قرييما من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل
 والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن
 عوف وهما قائدان غطفان فاعطاهما مائتا عمارة المدينة على ان يرجعا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه ففرج بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستأذناهم فاشارهم اقيه فقالا يا رسول الله انى أمرك الله به لا بد لنا من العمل به
 أم أمرت به فمصنعه أم شئ تصنعه لنا قال بلى شئ أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا انى قدر أيت العرب قد
 رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ
 يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لان عبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون ان
 يآكلوا منا ثمرة واحدة الا قرى أو بيعة فحين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم أموالنا لانهم اذا من
 حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذلك فتناول
 سعد الصحيفة فجعلها من الكتاب ثم قال اجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
 وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لؤى
 وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب والخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس اخو
 بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخر جواعلى خيلهم فمروا على بنى كنانة فقالوا اتهموا للحرب يا بنى كنانة
 فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت
 العرب تكيدها ثم تيموا ما كانوا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمته منه فحالت بهم في السبخة بين
 الخندق وبلغ وخرج على بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها منها واقبلت
 الفرسان تعنى نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احد فلما كان يوم
 الخندق خرج معلم اليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال على يا عمر وانك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل
 من قريش الى خلة بين الأخذت منه احداها ما قال أجل قال له على فانى أدعوك الى الله ورسوله والى
 الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال انى أدعوك الى النزول قال ولم يا بنى أخى فوالله ما أحب انى أقتلك فقال على
 لكنى والله أحب ان أقتلك لخمى عمر وعند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره أو ضرب بوجهه ثم أقبل على
 فتناولوا وتجاولوا فقتله على وخر جت خيله منهنمة حتى اقتحمته من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلا
 منيه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة الخزرجى
 وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموا بالجاراة فقال يا معشر العرب قتله أحسن من هذه فنزل اليه على فقتله
 فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لا حاجة لنا فى جسده وثمنه فشاكنكم به فغلب بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق
 فى حصن بنى حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معناتى الحصن وذلك قبل أن يضرب
 علينا بالحجاب فرسعد بن معاذ وعليه مدرع مقلصة قد خرحت منها ذراعاه كالهاوى فى يده حربة وهو يقول * لا بأس
 يا موت اذا حان الاجل * فقالت له ألق يا بنى فقد والله اخترت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله لو ددت أن
 درع سعد كانت أسبغ سماهى وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقتل منه

الاكل رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة قال سعد
 عرف الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقي لها فإنه لا قوم أحب
 الى ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه أخرجه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي
 شهادة ولا تمنني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه
 ان صفية بنت عبد المطلب كانت في قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنماع النساء والصبيان
 قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يعاوف بالحصن وقد حارب بنو قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والمسالمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا اليئاعنهم اذا انانا آت قات فقلت
 يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود
 وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب وانته
 لقد عرفت ما أنا باصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا اعجبته ثم أخذت عمودا ثم نزلت من
 الحصن اليه فضرته بالعمود حتى قتله فلم افرغت منه رجعت الى الحصن فقالت يا حسان انزل اليه فاسلبه
 فإنه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالي بسايبه حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان
 نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومي
 لم يعاوا باسلامي فامرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم انما أنت فينا رجل واحد تغذل عنانا
 استطعت فان الحرب بشدة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال لهم
 يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم فالوا صدقت است عندنا بتمتتم فقال لهم ان قريظنا
 وغطفان جاؤا الحرب محمد وقد ظاهرتموه عليه وان قريظنا وغطفان ليسوا كهيتكم البلد لكمه أموالكم
 وأولادكم ونساؤكم لا تقدرن على ان تحموا امنه الى غيره وان قريظنا وغطفان أموالهم وأبنائهم ونساؤهم
 وغيره ان رأواهم زهوا غنيمه أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخالوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل
 ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلابكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أسراهم يكونون بأيديكم
 ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمد حتى تناجزوه قالوا لعمري ما أشرب رأي ونصح ثم خرج حتى أتى قريظنا فقال
 لا بني سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي اياكم وفرأني محمدا فقد بلغني أمر رأيت حقا
 على ان أبلغكم نصحكم كما كتبوا على قالوا انفع عمل قال تعلمون ان معشر يهود قد رندموا على ما صنعوا بينهم
 وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عننا ان تأخذ من قريش وغطفان رجلا من
 أسراهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم تكون معك على من بقي منهم فإرسل اليهم ان نعم فان بعث اليكم
 يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر
 غطفان أنتم أهلى وعشيري وأحب الناس الى ولا أراكم تنهونني قالوا صدقت قال فما كتبوا على قالوا انفع
 فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما
 صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لم أرسل أبوسفیان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في
 نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انالسنابدار مقام قدهلك الخف والحافر فاغذوا القتال حتى تناجز محمد
 ونفر غمما بيننا وبينه فإرسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا
 حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم وليسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطوا نارهنا من رجالكم يكون بأيدينا
 ثقة لنا حتى تناجز محمد فاننا نخشى ان ضررناكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسير والى بلادكم وتقركونا
 والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش
 وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فإرسلوا الى بني قريظة انار الله لا ندفع اليكم
 رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقاتل بنو قريظة حتى انتهت اليهم

فر يش (واذراغت الابصار) مالت عن سنها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع (و بلغت القلوب الحناجر) الخنجر فرأس الغصن تهوي منهسى الخقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرقعة من شدة الفرع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الخنجر وقبل هو ومثل في اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة ترى ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (وتظنون بالله الغنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثابت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انهم يبتليهم بخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الاخر فظنوا بالله ما حكي عنهم قرأ أبو عمرو وجزء الظنون بعير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فهم ما مدني وشامي وأبو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف في الوقف مكي وعلى وحفص ومثله الرسول والسيد

الرسول هذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمر والى بلادهم واخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسوا الى قر يش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم احثي تعطوا نار هنا قالوا اعلمهم ونخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شامية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم ونار ح آ نيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلتل من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم ليشظار ما فعل القوم ليلالور وي محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي روى غيره عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتوه قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه على الارض ولحماناه على أعناقنا ولخدماناه وعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليله الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتيننا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نامن الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نامن الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لي بدمن القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وقت حتى أتيت فأنحيت يدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال انت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحذرن شيأ حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشدت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم مريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال وأبو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهمها فوضعت في كبد قوسي فاردت ان أرميه ولورمته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحذرن شيأ حتى ترجع الي ثم قال حتى ترجع فرددت سهمي في كفايتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل مائة من جنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال وأبو سفيان هو فأخذت بيد جلسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أمانت عرفني أنا فلان بن فلان رجل من هو اذن فقال أبو سفيان يا معشر قر يش انكم والله ما أصبحت بدارم مقام لهدلك الكراع والخف وأخافتمنا بنوقر بفاة وبالغنا عنهم الذي نكره واقينامن هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جلته وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فأطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعل قر يش فاستمر وارجع من الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كافي أمشي في حمام فأتيت وهو قائم صلى فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل فاما أخذ برته وفرغت قررت وذهب عني الدفاع فأدقاني النبي صلى الله عليه وسلم قائماني عند وجهه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدري بيطن قدميه فلم أزل نائم حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا فومان فذلك قوله عز وجل (اذجاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طلحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحوي بن أخطاب في جهود رقطة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قر يش وكثانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قر يش ومن تبعه أبو الاعداء عمرو ابن سفيان السبلي من قبل الحندق وكان الذي حرق غزوة الحندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الضمير من ديارهم (واذراغت الابصار) أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الى عدوها (و بلغت القلوب الحناجر) أي زالت عن أمانتها حتى بلغت الخلق من الفرع والخنجر وجوف الخلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رثته واذا انتفخت رثته رفعت القلب الى الخنجر فلهذا يقال للجبان انتفخ بهجره (وتظنون بالله الغنونا)

(هنالك ابتلى المؤمنون) امتحنوا بالصبر على الايمان (وزلوا وزلوا لاشديدا) وحركوا بالحرف فحربا ليغا (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين في قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله الى الملك القرم وابن الهمام * وليت الكتبية في المزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يسميهم بادخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الاغروا) روى ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال بعدنا محمد ففتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا هذا الاوعد غرو (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لامقام لكم) وبضم الميم حفص أي لافراركم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فارجعوا) عن الايمان الى الكفر أو من عسكر رسول الله الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أي بنوحارة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي ذات عورة (وما هي بعورة ان يريدون الافرار) العورة الخلس والعورة ذات العورة وهي قراءة ابن عباس يقال عور المكان عور اذا بدا منه خل يخاف (٤٥٨) منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة واعتذر وان بيوتهم عرضة للعدو

والسارق لانها غير محصنة فاستأذنه ليجسدها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولودخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أي ولودخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفر من خوفها منها مدينتهم أو بيوتهم من فواحشها كلها وانثالت على أهلها بهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفرع (الفتنة) أي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين (لا توهأ) لا عطسوها لا توهأ بلامد مجازي أي لجأوها وفعولها (وما تلبثوا بها) باجابتها (الايسير) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو ما تلبثوا بالمدينة

أي اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخاضون من المنافقين (وزلوا وزلوا لاشديدا) أي حركوا حركة شديدة (واذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الاغروا) هو قول أهل النفاق بعدنا محمد ففتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع ان يجازي زرحه هذا هو الغرور (واذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيطي وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نسي ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طيبة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقرير والتوبيخ (لامقام لكم) أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أي الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) يعني بني حارثة وبني سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي خالية ضائعة وهي مما يبالي العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة ان يريدون الافرار) أي انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال (ولودخلت عليهم من أقطارها) يعني لودخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من فواحش المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لا توهأ) أي لجأوها وفعولها ورجعوا عن الاسلام (وما تلبثوا بها) أي ما احتبسوا عن الفتنة (الايسير) أي لا سرعوا الاجابة الى الشرك طيبة بنفسهم وقيل معناها وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى جهلوا كواكب قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل غزوة الخندق (لا يولون الا دبار) أي لا ينضمون قبيلهم بنوحارة هموا يوم أحد ان يفسلوا مع بني سلمة فلما نزل ففهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غالوا عن وقعة بدر فاماروا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالنا لقاتلن فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أي عنده في الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) يعني الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (واذا لا تمتعون) أي بعد الفرار (الاقبلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من الله ان أراد بكم سوا) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجردون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي

بعد ارتدادهم الايسرافات الله يهلكهم والمعنى انهم يتعاونون باعورار بيوتهم ليفروا عن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصر المؤمنيين وعن مصافة الاحزاب الذين ملوهم هولاء ورجعوا هولاء الاحزاب كهم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كرتوا على المسلمين لسارعوا اليه وما فعلوا بشي وما ذلك الا لمتهم الاسلام وحجهم الكفر (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي بنوحارة من قبل الخندق أو من قبيل نظرهم الى الاحزاب (لا يولون الا دبار) منهن من (وكان عهد الله مسؤلا) مطلوبه مقتضى حتى يوفى به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) أي ان كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض المر وانية انه مر بجانب ماثل فاسرع فتلته هذه الآية فقال ذلك القليل نطاب (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي مما أراد الله انزاله بكم (ان أراد بكم سوا) في أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أي اطالة عمر في عافية وسلامة أو من يمنع الله من ان يحكم ان أراد بكم رحمة في العصمة من معنى المنع (ولا يجردون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ناصر

(قد يعلم الله المعوقين منكم) أي من يعوق عن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يمنع وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) في الظاهر من المسلمين (هلم البينا) أي فربوا أنفسكم البينا ودعوا محمد وهي لغة أهل الحجاز فأنهم يسرون فيه بين الواحد والجماعة وأما تخيم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال وهو صوت سمى به فعل متعدي نحووا حضر وقرب (ولا يأتون البأس) أي الحرب (الاقبلا) الا تباينا قليلا أي يحضرون ساعة رباعية وقفون قليلا مقدارا ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أشحة) جمع شحج وهو الخيل نصب على الحال من الضمير في يأتون أي يأتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو وأومنه عليه السلام (٤٥٩) (رأيتهم ينظرون إليك) في تلك الحالة (تدور أعينهم) عينا وشملا

(ناصر اعينهم) (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المذبذبين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم البينا) أي ارجعوا البينا ودعوا محمد صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قبل هم آتاس من المنافقين كانوا يشبثون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه الا أكافر أس ولو كانوا لجالا لثمتهم أي ابتلعهم يوسفان وأصحابه يدعو الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملك على قتل أنفسكم بيد أي سفيان ومن معه فأنهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحد اوانا شفق عليكم فانت اخواننا وجيراننا هلموا والنافاقيل عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بما في سفيان ومن معه وقالوا النبي قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحد اما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطأقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ﴿وقوله تعالى (ولا يأتون البأس) يعني الحرب (الاقبلا) أي رباعية من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالخيل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) أي في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يظرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الامن (بالسنة حداد) أي ذرية تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغنيمة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فليستم باحق بالغنيمة منا فمهم عند الغنيمة أن يجمع قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشحة على الخير) أي يشاحون المؤمن عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله أعمالهم) أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قبل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي احباط أعمالهم مع ان كل شيء على الله يسير ﴿وقوله تعالى (يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعني فرسها وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنوا وفرقوا وقد انصرفوا عنهم (وان بات الاحزاب) أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم يادون في الاعراب) أي يمتنون لو أنهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسئلون عن أنبيائكم) أي عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما فاتوا الا قليلا) يعني يقاتلون قليلا يجمعون به عذرهم فيقولون قد فاتنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رباعية من غير احتساب ﴿وقوله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأذى بضروب الاذى فصبروا وسلكوا مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء

ناصر اعينهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المذبذبين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم البينا) أي ارجعوا البينا ودعوا محمد صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قبل هم آتاس من المنافقين كانوا يشبثون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه الا أكافر أس ولو كانوا لجالا لثمتهم أي ابتلعهم يوسفان وأصحابه يدعو الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملك على قتل أنفسكم بيد أي سفيان ومن معه فأنهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحد اوانا شفق عليكم فانت اخواننا وجيراننا هلموا والنافاقيل عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بما في سفيان ومن معه وقالوا النبي قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحد اما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطأقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ﴿وقوله تعالى (ولا يأتون البأس) يعني الحرب (الاقبلا) أي رباعية من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالخيل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) أي في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يظرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الامن (بالسنة حداد) أي ذرية تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغنيمة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فليستم باحق بالغنيمة منا فمهم عند الغنيمة أن يجمع قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشحة على الخير) أي يشاحون المؤمن عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله أعمالهم) أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قبل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي احباط أعمالهم مع ان كل شيء على الله يسير ﴿وقوله تعالى (يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعني فرسها وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنوا وفرقوا وقد انصرفوا عنهم (وان بات الاحزاب) أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم يادون في الاعراب) أي يمتنون لو أنهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسئلون عن أنبيائكم) أي عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما فاتوا الا قليلا) يعني يقاتلون قليلا يجمعون به عذرهم فيقولون قد فاتنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رباعية من غير احتساب ﴿وقوله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأذى بضروب الاذى فصبروا وسلكوا مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء

انصرفوا (وان بات الاحزاب) كره نانية (يودوا لو أنهم يادون في الاعراب) البادون جمع البادي أي يمتنى المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا ما فيه الخوف من القتال (يسئلون) كل قام منهم من جانب المدينة (عن أنبيائكم) عن أخباركم وعمالكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما فاتوا الا قليلا) رباعية من غير احتساب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أي قدوة وهو المؤمني به أي المقتهدي به كما تقول في البيضة عشر من متاخر يدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد أوفيه خصلة من حقه ان يؤتى بها حيث قاتل بنفسه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخاف الله ويخاف اليوم الآخر ويأمل ثواب الله وتعيم اليوم الآخر قالوا ان بدل من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البدل من ضمير الخطاب وقيل

ان يتعلق بحسنه أى أسرة حسنة كاثنة لمن كان (وذكر الله كثيرا) أى فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء (ولما رأى المؤمنون الأحزاب)
وعدهم الله ان يزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب
فلما جاء الأحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا ان الغلبة والنصرة قد وجبت
لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحجبه ان الأحزاب سائرون اليكم فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم
قد أقبلوا للمعية قالوا ذلك وهذا (٤٦٠) إشارة الى الخطب والبلاء (وما زادهم) مارأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومحببتهم (الايامنا)

بأنه وبواعيده (وتسليما)
لقضائه وقدره (من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه) أى فيما عاهدوه
عليه فذف الجار كفى المثل
صدقنى سن بكرة أى صدقنى
فى سن بكرة بطرح الجار
وايصال الفعل نذر رجال من
الصحابه انهم اذا القوا حربا
مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثبتوا وقالوا حتى
يستشهدوا وهم عثمان بن
عفان وطلحة وسعد بن زيد
وحزرة ومصعب وغيرهم
(فمنهم من قضى نحبه) أى
ما شهدا كحزرة ومصعب
وقضاء النجب صار عبارة
عن الموت لان كل حى من
المحدثان لا يبدله ان يموت
فكأنه نذر لازم فى رقبته
فاذا مات فقد قضى نحبه أى
نذره (ومنهم من ينتظر)
الموت أى على الشهادة
كعثمان وطلحة (وما بدلوا)
العهد (تبديلا) ولا غيره
لا المستشهد ولا من ينتظر
الشهادة وفيه تعريض
بان بدلوا من اهل النفاق
ومرض القلوب كما مر فى
قوله تعالى واقد كانوا

(وذكر الله كثيرا) أى فى جميع المواطن على السر والضميمة ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال
تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أى قالوا ذلك تسليما بالامر الله وتصديقا
بوعده (وصدق الله ورسوله) أى فيما وعدوا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وقولهم وصدق الله ورسوله ليس إشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما
هو إشارة الى البشارة فى جميع ما وعد فيقع الكل مثل فقع مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان
تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
(وما زادهم الايمانا) أى تصديقا لله (وتسليما) أى لامر الله بقوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه) أى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره ووفى
بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعنى أجله فقتل على الوفاء يعنى حزة وأصحابه وقيل
قضى نحبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعنى
من بقى بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة أو النصر على الأعداء (وما بدلوا) يعنى
عهدهم (تبديلا) (ق) عن أنس قال غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول
قتال فأتت المشركين اثنى عشر يوم فى الله قتال المشركين اثنى عشر يوم فى الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف
المسلمون قال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم
يقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة تورب النضرانى أجدر يحجهم دون أحد قال سعد
فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو
رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فاعرفه أحد الأخته بينانه قال أنس كنا نرى أنظن
ان هذه الآية نزلت فيه وفى اشباههم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن
خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجهه الله فوق أجرا على الله فنامن
مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك ثمرة وكنا اذا غطينا به رأسه بدت رجلاه
واذا غطينا رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه من
الاذخر ونامن أينعت له ثمرة فهو يهدبها النمرة كساء ما لون من صوف وقوله ونامن أينعت أى أدركت
ونضحت له ثمرة وهذه استعار لما فجع الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أى يجتنيها ويقطفها عن أبي موسى
ابن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا أبرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة من قضى
نحبه أخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وفى يها
النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بقوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أى جزاء صدقهم وصدقهم
هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) أى فيهدبهم الى الايمان ويشرح له صدورهم
(ان الله كان غفورا رحيمًا) ورد الله الذين كفروا (اي من قريش وغطفان) (بغضظهم) أى لم يشف صدورهم
بنيل ما ارادوا (لم ينالوا خيرا) أى ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) أى بالملائكة والريح (وكان الله قويا)

عاهدوا الله من قبل لا يولون الاذيبار (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) اذا
لم يتوبوا (او يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) يقبول التوبة (رحيما) بعفو الخوبة جعل المنافقون كما أنهم قصدوا عاقبة السوء
وارادوها بتبديلهم كما عد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبتهم من الثواب والعقاب فكأنهم استويا فى
طلبها والسعى فى تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) (بغضظهم) حال اى مغضبين كقوله تثبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أى لم يظفروا
بالمسلمين وساء خبر ابرعهم وهو حال اى غير ظافرين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا)

عزيراً) قادراً على (واُنزل الله الذين ظاهروهم) عادوا الاحزاب (من اهل الكتاب) من بني قريظة (من صياصيم) من خصوصهم الصبيحة
ما تحسن به روى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصبيحة اللبنة التي (٤٦١) انهم زعم فيها الاحزاب ورجع المسلمون

الى المدينة ووضعوا سلاحهم
على فرسه الحيزوم والغبار
على وجه الفرس وعلى
السرّج فقال ما هذا
يا جبريل قال من متبوعة
قريش فقال يا رسول الله
ان الله يامرُك بالسير الى
بني قريظة وانا علمد اليهم
فان الله دافعهم دق البيض
على الصفا وانهم لكم طعمة
فاذن في الناس ان من كان
سامعاً مطعماً لا يصلي
العصر الاقْبى بنى قريظة
فخاصروهم ثمان وعشرين
ليلة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنزلون على
حكمى فابوا فقال على
حكم سعد بن معاذ فرضوا
به فقال سعد حكمت فيهم
ان تقتل مقاتلتهم وتسيب
ذرايعهم ونساءهم فكبر
النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لقد حكمت بحكم الله
من فوق سبعه اربعة ثم
استزلهم وخندق في سوق
المدينة خندقاً وقدمهم
فخرب اعناقهم وهم من
ثمانمائة الى تسعمائة وقيل
سكانوا ستمائة مقاتل
وسبعمائة أسير (وقذف
في قلوبهم الرعب) الخوف
و بضم العين شامى وعلى
ونصب (قريظة) بقوله
(تقتلون) وهم الرجال
(وتأسرون قريظة) وهم
النساء والذري (وأورثكم
أرضهم وديارهم وأموالهم)

أى فى ملكه (عزيراً) أى فى انقامه ﴿قوله تعالى﴾ (واُنزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب) أى عادوا
الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من
صياصيم) أى من خصوصهم ومعاقبتهم واحدها صيصة (وقذف في قلوبهم الرعب) أى الخوف (قريظة
تقتلون) يعنى الرجال يقال كانوا ستمائة (وتأسرون قريظة) يعنى النساء والذري يقال كانوا سبعمائة
قبل وخسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضالم تطوؤها) يعنى بعد قسيل هى خيبر ويقال انها
مكة وقيل فارس والروم وقيل هى كل أرض تفض على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شى قديراً)
* (ذ ك ر غ ز و ب ن ي ق ر ي ظ تة) *

قيل كانت فى آخوذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم فى غزوة الخندق عن موسى بن عقبه أنها
كانت فى سنة أربع وبع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لأصبح من الليلة التى انصرف
الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح
فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمماً بعمامة من استبرق على بغلة
بيضاء عليها رحالة وعليها قافية من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زنب بنت جحش وهى تغسل
رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت
الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الا الآن الامن طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه
جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسمع الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرُك
بالسير الى بنى قريظة وانا علمد الى بنى قريظة فانهز اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفجحت أبراجهم وتركتهم فى
زلزال ولبلال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً فاذا ان من كان سامعاً مطعماً فلا يصلي العصر الاقْبى بنى
قريظة وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب يرايه اليهم وابتدوها الناس وسار على حتى اذا
دنا من الحصون وسمع منها ما قاله فيجئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا علمك ان لا تدن من هؤلاء الا نابت قال أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم
يا رسول الله قال لو قدر أوفى لم يقولوا من ذلك شىء أفلا دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خصوصهم قال
يا اخوان القردة قد أخزاكم الله وأرسل بكم نعمته قالوا بآب القاسم ما كنت جهوراً ولا مرسول الله صلى الله عليه
وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال هل منكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا ناحية بنى
خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قافية ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام بعث
الى بنى قريظة لزلزلهم وخصوصهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة
نزل على بئر من آبارها فى ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فأتاه رجال بعد صلاة المشاء الاخيرة ولم يصلوا
العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلي أحد العصر الاقْبى بنى قريظة فصلا العصر بهم بعد العشاء
الاخيرة فساء عليهم الله بذلك ولا عفتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثمان وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حى بن أخطب دخل
على بنى قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود انكم قد نزل
بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلا لا نلنا نخذوا أيها شتم قالوا وما هن قال تتابع هـ ذال الرجل
ونصدقه فوالله قد تبين الحكم انه نبي مرسل وانه الذى تجردونه فى كتابكم فتأمنون على دياركم وأموالكم وانا ناسكم
ونسائكم فقالوا الانفارق حكم التوراة أبداً ولا تستبدل به غيره قال فاذا أبيتتم هذه فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا
ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالاً مسلمين بالسيف ولا نترك وراءنا ثلماً لهم من ارضنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد

أى المواشى والنقود والامعة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم فى منازلكم
(وأرضالم تطوؤها) بقصد القتال وهى مكة أو فارس والروم أو خيبر أو كل أرض تفض الى يوم القيامة (وكان الله على كل شى قديراً) قادراً

فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان نظهر فاعمرى اتخذت النساء والابناء قالوا ان قتل هؤلاء
المساكين في العيش بعدهم خير قال فان ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد
أمروا فارتلوا فاعلمنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا
الامن قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازم ليلة من الدهر ثم
انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعت لنا بالبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا
حلفاء الاوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رآه قام اليه الرجال والنساء
والصبيان يبكون في وجهه ففرق لهم فقالوا يا أبا البابة اترى ان نزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقة
انه الذبح قال أبو البابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو البابة على وجهه
ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد الى عمود من عمده وقال والله لا أبرح مكاني حتى يتوب الله
علي مما صنعت وعاهد الله لا يبطأ أرض بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره واطأ عليه قال أمارا لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعلت فإنا أنا بالذي
أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت
أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم يضحك يا رسول الله اضحك الله
منك قال تيب على أبي لبابة فقلت الا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها
وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا البابة أبشرف قد تاب الله عليك قال ذنار الناس اليه ليطلقوه
فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما سر عليه خار جالي الصبح أطلقه قال ثم ان ثعلبة
ابن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق
ذلك هم بنو عجم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج
في تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فخرج من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة
الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة
في غدوهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم
لا تخرمنى من عثرات الكرام نفلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من أرض الله فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال
ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة فبين أوثق من بني قريظة حين نزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصحت رمته ملقاة ولا يدري اين ذهب فقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوابع الاوس وقالوا يا رسول الله انهم
موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل بني قريظة حاصر بني قريظة وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمهم فسأله اياهم عبد الله بن أبي اسود
فوجههم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل
منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة
امرأته من المسلمين يقال لها قبيدة وكانت تداوى الجرحى وتحنسب بنفسها على خدمته من كانت به ضيقة من
المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق اجعلوه في خيمتي قبيدة
حتى أعود من قريبة فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق في بني قريظة أمة قومه فمخاهه على حمار قد
وطواؤه وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا
عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اولك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثر واعاياه
قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني الاشهل فذهب
لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كاهته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد ولاك مواليك فحكمت فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال
 وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اجلاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال
 ونسبي الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة اربعة
 ثم استنزلوا فبسطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فنقدق بها خنادق ثم بعث اليهم فضررت أعناقهم في تلك
 الخنادق يخرجهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حبي بن أخطاب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو
 سبعمائة والمكتر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أفى كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي
 لا يترع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه
 وسلم وأتى بحبي بن أخطاب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الأتلة أئمة الأئمة
 لئلا يسلم بمجموعة يدها الى عنقه مجبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في
 عدائتي ولكنني من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بامر الله كذب وقد ر
 وملمحة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة
 الا امرأة واحدة قالت والله انها عندى تحدث معي وتضعك ظهر او بطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقتل رجلا منهم بالسيف اذ هتفتها تف باسها أي من فلانة قالت انار الله قلت وبالك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت
 حدثنا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقه وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبها من طيب نفس وكثرة ضحك
 وقد عرفت انها قتلت قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خالدا بن سويد
 قال وكان على والزبير بضر بان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم جالس هناك وروى محمد بن
 اسحق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على نابت بن قيس بن شماس
 في الجاهلية يوم بعث أخذه فجزأ نصيبته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل
 تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال انى اريد ان اجزيك بذلك عندى قال ان الكرم يجزي الكرم قال
 ثم أتى نابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندى يدوله على منة وقد أحببت
 ان اجزيه بهما ذهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هولك فانه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد وهب لى دمه قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى نابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فانه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك وولدت
 فيهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فباقوا وهم على ذلك فأتى نابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله
 يا رسول الله قال هولك فانه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أى نابت
 ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا
 شددنا وجامعتنا اذا كرونا وعزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب بن قريظة وبني عمرو
 ابن قريظة قال قتلوا قال فانى أسألك بيدي عندك يا نابت الاما الحقنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعدهم ولاء
 من خير فسانا نابصار حتى ألقى الاحبة تقدمه نابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى يلقي
 الاحبة قال يلغاهم والله فى نار جهنم خالد المخلد أبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من
 أثبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم فى ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال
 فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفارس ولغار سه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة
 وثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري

يقوله من في المكان المرتفع
لمن في المكان المستوي
ثم كثر حتى استوى في
استعماله الامكنة ومعنى
تعالين أقبلن بارادتك
واختيارك لاحد الامرين
ولم يرد نهوضهن اليه
بانفسهن كقوله قام يهددي
(أمتعكن) أعطكن
متعته الطلاق وتستحب
المتعنة لكل مطلقة الا
المفوضة قبل الوطء
(وأسرحكن) وأطلقتكن
(سرا حجيلا) لاضرار فيه
اردن شيئا من الدينام
ثياب وزياذة نفقة وتغاري
فعم ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فبدأ
بعائشة رضي الله عنها
وكانت أحسن اليه فغيرها
وقرأ عليها القرآن فاخترت
الله ورسوله والدار الآخرة
فرؤى الفرح في وجهه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اختار جميعهن
اختيارها وروى انه قال
لعائشة اني اذا كرلك أمرا
ولا عليك أن لا تجلي فيه
حتى تستأمرى ابويك ثم
قرأ عليها القرآن فقالت
أني هذا استأمر ابوي فاني
أريد الله ورسوله والدار
الآخرة وحكم التخيير في
الطلاق انه اذا قال لها
اختارى فقالت اخترت
نفسى ان تقع طليقة بائنة
واذا اخترت زوجها لم يقع

أخا بنى الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاعه بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رجحانة بنت عمرو بن خنانة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس على ان
يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعلى فتر كهوا وقد
كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه
بذلك من أمرها نبيذ ما هو بين أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا الثعلبية بن شعبة يبشرني باسلام
رجحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت رجحانة فصره ذلك فاما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن
معاذ وذلك انه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الي ان
اجاهد هم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فبقني له وان كنت
قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كما فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي
ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد
بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابى بكر وانى لنى حجرى قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رجاء بينهم (خ)
عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الا ان تغزوهم ولا
يغزوهم وننا نحن نسير اليهم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له اعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا تثنى بعده ﷺ قوله تعالى (بأبها النبي قل لازواجك
ان كنتم تردن الحيوة الدنيا ورتبها فتعالين امتعكن) اي متعة الطلاق (واسرحكن سرا حجيلا) اي من غير
ضرر (وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجر اعظيما) سبب نزول
هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألهن من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه
بغيره بعضهن على بعض فمحرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهر او لم يخرج الي اصحابه
فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لعلم لسك شأنه قال فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله طلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد
والمساكين يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأترلق فخرجهم انك لم تطلقتهن قال نعم ان شئت
فعمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية
ولورده الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت هذا الامر ونزل
الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت ابي
بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت ابي سفيان وأم سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة وأربع غير قريشيات
وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي من اخطاب الخيبرية وجويرية
بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحسن اليه
فغيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتابعها على ذلك فلما اخترت الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك
النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
الناس جالوسا بساياه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالوسا وحوله نساؤه واجاسا اكتافا فقال لا قنوان شيئا أضحكك به النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت بها فوجأت عندها فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال هن حولى كما ترى يسألني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنها وقام عمر الى حفصة
فوجأ عنها كلاهما يقول نسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لبس عنده قلن والله لا نسأل رسول الله صلى

الله
شيء وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة
(وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن) من البيان لا لبعض (أجر اعظيما)

بأنساء النبي من بات منسكناً بفاحشة (سبحة بليغة في القبح) ظاهرة فحشها من بين بمعنى تبين وبفتح الباء معى وأبو بكر قبل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (٤٦٥) (يضاعف لها العذاب) يضعف لها

العذاب مكي وشأى فضعف أبو عمرو يزيد ويعقوب (ضعفين) ضعف عذاب غيرهن من النساء لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح ممن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرحم الكافر (وكان ذلك) أى تضعف العذاب عليهم (على الله يسيراً) هيناً (ومن يقنت منسكناً لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحاً نونهاً) وبالبياء فيها ما حذرت وعلى (أجرها مرتين) مثلى ثواب غيرها (وأعدنا لها رزقاً كريماً) جليل القدر وهو الجنة (بأنساء النبي) لستن كاحد من النساء (أى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد ممن جماعة واحدة تساويك في الفضل وأحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث

الله عليه وسلم لم يشأ أبداً ليس عنده ثم اعترهن شهر أو تسعاً وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنة منسكناً أجزاً عظيماً قال قيساً ببعائشة فقال يا عائشة انى أريدان أعرض عليك أمراً أحب أن لا تجلى فيه حتى تستشيرى أوبى بك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفبك يا رسول الله أستشيرى أوبى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ان لا تختبر امرأه من نسائك بالذى قلت قال لا تسألنى امرأه ممن الأختبرتها ان الله لم يعنى معنتاً ولا متعنتاً ولكن يعنى معلماً مبشراً قوله واجبا أى مهمماً والواجب الذى أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أى دقته وقوله لم يعنى معنتاً الغت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أقسم ان لا يدخل على أزواجه شهراً قال الزهري فاخبرني عروفة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأى فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وانك دخلت من تسع وعشرين بن أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون

* (فصل في حكم الآية) * اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويض الطلاق وانما خبرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعنكم وأسرحنكم بديل لانه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تجلى حتى تستشيرى أوبى بك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقاً * التفويض على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمرو بن مسعود بن عباس واذا خيرا الرجل امرأه فانخارت زوجها لا يقع شئ وان اختارت نفسها يقع طلاقاً واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعى وأصحاب الرأى الا أن عند أصحاب الرأى يقع طلاقاً واحدة اذا اختارت نفسها وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلاقاً واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي انها اذا اختارت زوجها يقع طلاقاً واحدة واذا اختارت نفسها فطلاقاً بانهن تقوى أكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ (ق) عن مسروق قال ما أبالى خيرت امرأتى واحدة أو مائة أو ألفاً بعد ان تخارتني ولقد سألت عائشة رضيت الله عنها فقالت خيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقاً في رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئاً قوله تعالى (بأنساء النبي من بات منسكناً بفاحشة مبينة) أى بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لان منهن من أتت بفاحشة فان الله تعالى صان أزواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن اشرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالموثنيين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحررة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيراً) أى عذابها (ومن يقنت منسكناً لله ورسوله) أى تطع الله ورسوله (وتعمل صالحاً نونهاً) أى مثلى أجر غير هاقيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة الى انهن أشرف نساء العالمين (وأعدنا لها رزقاً كريماً) أى الجنة قوله تعالى (بأنساء النبي لستن كاحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدر كمن عندى مثل قدر غير كمن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى (ان اتقين) يعنى الله فاطعته فان الاكرم عند الله هو الاتقى (فلا تخضعن بالقول) أى لا تلتن بالقول للرجال ولا ترقن الكلام (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقان قولاً لا يجرد المناقاة والفاجرة سبيلاً الى الطامع فيكن والمرأة مندوبة

(٥٩ - (خازن) - ثالث) والواحد وما وراءه (ان اتقين) ان أردت التقوى أو ان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) أى اذا كلمت الرجال من وراء الحجاب فلا تجتن بقواك خاضعاً أى لبناختنا مثل كلام المريات (فيطمع) بالنصب على جواب النهى (الذى فى قلبه مرض) ريبة وفجور

والخبر عما يشترط ودل ذلك على ان الامر للزوج (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل لا مبينا) فان كان العصيان عيبا ردوا ما شاع عن
القبول فهو ضلال كفر وان كان (٤٦٨) عصيان فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ فسق (واذ تقول للذي أنعم

الذي صلى الله عليه وسلم خطب زينب اولاد زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في
الجاهلية بهكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وطمنت أنه يخطبها
لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبى وقالت أنا ابنة عمك يا رسول الله فلا أرضاه لثمة سبي وكانت
بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان المؤمن بعني عبد الله بن جحش ولا
مؤمنة بعني أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمرا يعني نكاح زيد بن زينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم
أى الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غيرا أمرا لله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل لا مبينا) أى أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زيد وأخوها رضيا وسالما جعلت
أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فانتكحها زيدا ودخل بها واتفق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها
عشرة دنان وسنتين درهم ما وخر او درع والمحفة وخمس من مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله عز
وجل (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زيد بن زينب وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزوجهما من زيد بن حارثة عند حبيباتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا
ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخر وانصرف فلما جاء زيد ذكرته ذلك ففطن زيد وألقى في نفسه
وآعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرته ذلك ففطن زيد وألقى في نفسه
كراهيتها في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتي فقال له مالك أرايت
منها شئى قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرها وتؤذي نبي بلسانها فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتفق الله في أمرها ثم ان زيد اطلقها فاذك قوله عز وجل واذا
تقول للذي أنعم الله عليه أى بالاسلام وأنعمت عليه أى بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولد أمسك عليك
زوجك يعني زينب بنت جحش (واتق الله) أى فيها ولا تفارقها (وتخفى في نفسك) أى تسرو وتضمر في نفسك
(ما الله مبديه) أى مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجهما قال ابن عباس جها وقيل ودأبه طلقها (وتخشى
الناس) قال ابن عباس تسخيمهم وقيل تخفى لانهم أن يقولوا أمرمر جلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله
أحق أن تخشاه) قال عروان مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من
هذه الآية وعن عائشة قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكنتم هذه الآية واذا تقول للذي
أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
* (فصل) * فان قامت ما ذكره في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله
عليه وسلم عند ما آراها ورادته طلاق زيد ليلها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعيه
لمن سى عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائله وقوله معرفت بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وبفضله وكيف يقال رأها فاعجبته وهى بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحجبين منه صلى الله
عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تزويجه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بما ساء كها وهو يجب
نظامه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن علي بن
زيد بن جدعان قال سألت ابا زين العابدين عن علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفى في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله انى أريد أن أطلق زينب أعجبه بذلك وقال أمسك عليك زوجك واتفق الله فقال علي بن الحسين
ليس كذلك فان الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وان زيد اسبها لعلها فلما جاء زيد قال انى أريد
أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون

الله عليه) بالاسلام الذى
هو أجل النعمة (وأنعمت
عليه) بالاعتاق والتبني
فهو مقلب في نعمه الله
ونعمة رسوله وهو زيد بن
حارثة (أمسك عليك
زوجك) زينب بنت جحش
وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أبصرها بعد
ما أنكحها اياه فوقع في
نفسه فقال سبحان الله
مقلب القلوب وذلك ان
نفسه كانت تحبوه عنها قبل
ذلك لا تريد بها وسعت
زينب بالتسبيح فذكرتها
لزيد ففطن وألقى في
نفسه كراهة محبتها والرغبة
عنه لرسول الله فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انى
أريد أن أفارق صاحبتي
فقال مالك أرايت منها شئى
قال لا والله ما رأيت منها الا
خيرا ورايتها تتعظم على
لشرفها وتؤذي نبي فقال له
أمسك عليك زوجك
(واتق الله) فلا تعلقها وهو
نهي تستر به اذا اولى ان
لا يطلق أو واتق الله فلا
تذمها بالنسبة الى الكبير
وأذى الزوج (وتخفى في
نفسك ما الله مبديه) أى
تخفى في نفسك نكاحها ان
طلقها زيد وهو الذى أبداه
الله تعالى وقيل الذى أخفى
في نفسه تعلق قلبه بها

ومودة منارفة زيدا باها والواو في وتخفى في نفسك (وتخشى الناس) أى قاله الناس انه نكح امرأته (والله أحق أن
تخشاه) واو الحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك تخفيا في نفسك ارادة أن لا يسكها وتخفى خاشعا بقالة الناس وتخشى الناس حقيقيا في
ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضى الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية

من أزواجك وهذا هو الاولى والالتي بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجها كما قالوا كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتبه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخذها ما أعلمه الله انها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحياء من يخبر زيدان التي تحتك وفي ذلك كماله استكون زوجتي وهذا قول حسن مرضى وكمن شئ يحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح منسوخ وحلال لما قاله في نفسه ولا عيب عند الله ورعا كان الدخول في ذلك المباح مسلما الى حصول واجبات بعقدهم أمره في الدين ودوامه جعل الله طلاق زيدا هو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لانه حرمة النبي واباط الله سنته كما قال الله تعالى ما كان محمدا با أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنین حرج في أزواج ادعيائهم فان قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بما ساكها قالت هو ان الله تعالى أعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيدا خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامر الله تعالى بزواجها اليباح مثل ذلك لانه وقيل كان في أمره بما ساكها نكاح الشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها ونكاحها الوطيقها زيد مثل ذلك لا يقدح في حال الانبياء مع ان العبد غير مالم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وانه رأى الخافقها تحسسها مثل هذه لانكرهه في نفسه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها مالم يقصد ما عملان الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أسكنك الله زوجك واقتى الله أمره بالعرف وهو حسن لانه في وقوله والله احق أن تحشاهم برديه انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاهم الله وأتقاكم ولكنه ما إذا كره الخشيعة من الناس ذكر ان الله أحق بالخشيعة في عموم الاحوال في جميع الاشياء قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يقله فيها أرب وتفاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذلك قضاء الوطير لعلم ان زوجة النبي تحمل بعد الدخول بها (زوجنا كها) قال انس كانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجك ان أبأؤكن وزوجتي الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من امرأة من نساءك تدل بهن جدى وجدك واحدا وانى انك تحبنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن انس قال لما انقضت عدته زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذا كرهها على قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجبها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليها طهرى ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدك كركك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى فقامت الى مسجد ها وتزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فاقدرأيتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى اناس يتحدثون في البيت بعد الغاء فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نساته يسلم عليهن ويقنن برسول الله كيف وجدت أهالك قال فما أدري أنا اخبرته ان القوم قد خرجوا ام غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالتى الستر بيني وبينه وتزل الحجاب (ق) عن انس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شئ من نساته ما أولم على زينب اولم بشاة وفي رواية اكثر وافضل ما أولم على زينب قال ثابت بن ابي ابيهم خبزوا لجام حتى تركوه قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنین حرج) أي اثم (في أزواج ادعيائهم) جمع الدعوى وهو المتبني (اذا قضوا منهن وطرا) يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته لعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان امر الله مفعولا) أي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ما كان على النبي

(فلما قضى زيد منها وطرا) الوطير الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يقبل زيد فيها حاجة وتفاصرت عنها همة وطلقها وانقضت عدتها (زوجنا كها) روى انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجده أحد أو ثق في نفسى منك انخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وأولم على امرأته نساته ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (لكيلا يكون على المؤمنین حرج في أزواج ادعيائهم) م اذا قضوا منهن وطرا) قيل قضاء الوطير ادراك الحاجة وتو بلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكرهه (مفعولا) مكرهنا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبي

من حرج فيما فرض الله له وأمره وهو نكاح زينب امرأة زيد أو قدر له من عدد النساء (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر
كقولهم تراها وجد لا مؤكده لوقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو أن لا يخرج عليهم في الاقدام
على ما أباح لهم ووسع علمهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاتر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة تسرية واسليمان
ثلاثمائة حرة وسبع مائة تسرية (٧٠) (في الذين خلوا من قبل) في الانبياء الذين مضوا من قبل (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء

مقضية وحكما مبتونا ولا
وقف عليه ان جعلت
(الذين يبلغون رسالات
الله) بدلا من الذين الاول
وقف ان جعلته في محل الرفع
أو النصب على المدح أي هم
الذين يبلغون أو اعني
الذين يبلغون (ويخشونه
ولا يخشون أحدا الا الله)
وصف الانبياء بانهم لا
يخشون الا الله تعريض
بعد التصريح في قوله
وتخشى الناس والله احق
أن تخشاه (وكفي بالله
حسبي) كافي للمخاوف
ومحاسبها على الصغيرة
والكبيرة فكان جسديرا
بان تخشى منه (ما كان
محمد ابا احد من رجالكم)
أي لم يكن ابا رجل منكم
حقيقة حتى ثبت بينه وبينه
ما يثبت بين الاب وولده من
حرمة الصهر والنكاح
والمراد من رجالكم البالغين
والحسن والحسين لم يكونا
بالغين حينئذ والطاهر
والطيب والقاسم وابراهيم
توفوا صبيانا (ولكن) كان
(رسول الله) وكل رسول
ابو امته فيما يرجع الى
وجوب التوقير والتعظيم

من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن
الله سنة في الانبياء وهو أن لا يخرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه كان
لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة واسليمان ثلاثمائة امرأة وسبع مائة تسرية
فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي
قضاء مقضيا لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أنشأ الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات
الله) أي فرائض الله وسننه وأمره ونواهيته الى من أرسلوا اليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون
أحدا الا الله) أي لا يخافون قالة الناس ولا تختمهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفي بالله حسبي) أي حافظا
لاعمال خلقه ومحاسبهم وقوله عز وجل (ما كان محمد ابا أحد من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات تزوج زينب قال الناس ان محمد تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد
ابن حارثة والمعنى انه لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابني هذا سيد
قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهو لم يبلغوا مبلغ الرجال وقبل اراد بالرجال الذين لم
يلد لهم (ولكن رسول الله) أي ان كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له
ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن
عباس يريد لولم أختم به النبيين لجعلته ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبى بعده لم يعطه
ولد اذ كرا يصير رجلا (وكان الله بكل شيء عليم) أي دخل في علمه انه لا نبى بعده فان قلت قد صح ان عيسى
عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام من نبى قبله وحين ينزل في آخر
الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته (ق) من أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثلي مثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنافا حسنة
وأجمله الاموضع لبنة من زاوية من زوايا فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه
البنة فاننا لبنة وأنا خاتم النبيين وعنه حديث نختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماسح الذي يحو الله الكفر بي وأنا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبى وقد سماه الله رؤفا رحما (م) عن أبي
موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا الملقى وأنا الماسح
ونبي التوبة ونبي الرحمة الملقى هو المولى الذاهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفي فلانبي بعده ^{قوله} تعالى
(يا أيها الذين آمنوا ذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا
جعل لها حدا معلوما ثم عذرها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحد اني
تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذا ذكروا الله فبما وقعدوا على جنوبكم وقال
تعالى واذا ذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل
الذكرا كثيرا أن لا ينسأ أبدا (وسبحوه) معناه اذا ذكروه ينبغي لكم أن يكون ذكركم اياه على وجه
التعظيم والتزويه عن كل سوء (بكرة وأصيل) فيه إشارة الى المداومة لان ذكرا الطرفين يفهم منه الوسط أيضا

له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافي سائر الاحكام الثابتة بين الاء والانباء
وزيدوا حد من رجالكم الذين يسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والتبني من باب الاختصاص والتقرير بلا غير (وخاتم
النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أي آخرهم يعني لا نبيا بعده وعيسى من نبى قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى
الله عليه وسلم كانه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقوية قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل
شيء عليما أي الذين آمنوا ذكروا الله ذكرا كثيرا) اتوا عليه بضروب الشناعات أكثر واذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا)

آخر النهار وخصا بالذكر لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيها وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والفعلان أي اذكر والله وسبحوه ووجهان الى البكرة والاصيل كقولنا صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكرو انما اخص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجزآن يراد بالذكروا كثاره تكثير الطاعات والعبادات فان من جملة الذكروا شخص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر وأصلا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وأصلاة الفجر والعشاء من (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) لما كان من شأن المصلي ان يعطف في ركوعه وسجوده استعير بان يعطف على غيره محنو عليه وترؤفا كعائد المرئض في اعطافه عليه والمرأة في محنو ها على ولدها ثم حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا الكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم وترأف حين يدعوكم الى الخير ويأمركم بما كثار الذكرو والتوفير على الصلاة والطاعة (يخرجكم من الظلمات (٤٧١) الى النور) من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين

وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح وأصليا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سجدوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كتبها هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عبادته والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الأرقداً شر كنافسه فارتل الله هذه الآية (يخرجكم من الظلمات الى النور) يعني انه رحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخر جكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيماً) فيه بشارة لجميع المؤمنين وشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحييتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يرون الله يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال رب بل يقربك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم (وأعد لهم أجرا كريماً) يعني الجنة قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً أي للرسول بالتبليغ وقيل شاهداً على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشراً) أي لمن آمن بالجنة (ونذيراً) أي لمن كذب بالنار (وداعياً الى الله) أي الى توحيده وطاعته (بأذنه) أي بامرهم (وسراجاً منيراً) سماه سراجاً منيراً لانه جلالة ظلمات الشرك واهتدي به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالنارة لان من السراج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجاً ولم يسمه شمساً والشمس أشد اضاءة من السراج وأتور قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً) أي ما يفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) قال ابن عباس اصبر على أذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بأية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكبيراً)

رحيماً) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروى انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحييتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونه) يرويه (سلام) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريماً) يعني الجنة (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً) على من بعث اليهم على تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولاً وقولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر

صانداً به أي مقدره الصبيد غداً (ومبشراً) للمؤمنين بالجنة (ونذيراً) للكافرين بالنار (وداعياً الى الله بأذنه) بامرهم أو بتيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجاً منيراً) جلالة الله ظلمات الشرك واهتدي به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدي به والجمهور على انه القرآن فيكون التقدير وذا سراج منير أو والياسراج منير ووصف بالنارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليله ودقت فتيلته أو شاهد ابوحداً انبثنا ومبشراً بوجتنا ونذيراً بنقمتنا وداعياً الى عبادتنا وسراجاً طاهرة لحضرتنا (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً) ثواباً عظيماً (ولا تطع الكافرين والمنافقين) المراد به النهي أو اللوام والثبات على ما كان عليه (ودع أذاهم) هو بمعنى الايذاء فيجتمل أن يكون مضافاً الى الفاعل أي اجعل ايذاءهم اياك في جانب ولا تنال بهم ولا تخف من ايذائهم أو الى المفعول أي دع ايذاءهم اياهم مكافأة لهم (وتوكل على الله) فانه يكفيهم (وكفى بالله وكبيراً) وكفى به مقوض اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسبه قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهداً على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا عرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسيب للبشارة والنذر يدع أذاهم

لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتدبيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفا به وكيل الان من اناره الله يروها ناعلى جميع خلقه كان جديرا بان يكتب في به عن جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أي تزوجتم والنكاح هو الوطء في الاصل وتسمية العقد نكاحا لملاسته من حيث انه طريق اليه كسمية النجرات لانها سببه وكقول الرازي * أسنة الأبال في صحابه * سمي الماء باسمه الأبال لانه سبب من الأبال وارتفاع أسنمته ولم يدلف النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الحكاية عنه بلفظ الملاسة والمماسرة والقربان والتغشى والابان وفي تخصيص المؤمنات مع ان الحكايات تساوي المؤمنات في هذا الحكم اشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلو الصريحة كالمس (فالمسك عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على ان العدة تجب على النساء (٤٧٢) للرجال ومعنى تعدنهم اتسوفون عددها فتعلمون من العدة (فتموهن) والتمعة

تجب لانتى طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها (وسرحوهن سرحا جيلا) أي لا تمسكوهن ضرارا أو أخرجهن من منازلكم اذ اعدة لكم عليهن (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن اذ المهر أجز على البضع ولهذا قال الكرخي ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأييد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة رايها اعطاؤها عاجلا أو فرضها وتسميتها في العقد (وما ملكت عينك مما آفاه الله عليك) وهي صفة وجودية فاعقها ما تزوجها (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ومع ليس للقران بل وجودها بحسب كقوله وأسأت مع

أى حافظا ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن في الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والمقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسالم بن يسار ومجاهد والشعبي وقادة وأكثرا أهل العلم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال البيهقي ومالك والاوزاعي ان عين امرأه وقع وان عمه فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تمك ولا عتق فيما لا تمك ولا بيع فيما لا تمك أخرجه أبو داود والترمذي بهناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فالمسك عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها بالاقرار والشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلو فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلو توجب العدة والصدقات (فتموهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا الم يكن سمي لها صدا فافلها المنعتوان كان قد فرض لها صدا فافلها نصف الصداق ولا تمعة لها وقال قادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالتمعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها مستحق للتمعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سرحا جيلا) أي خلوها سبيلهن بالمعروف من غير اضراء من قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت عينك مما آفاه الله عليك) أي من السبي فمما كها مثل صفة وجودية وقد كانت مارية مما ملكت عينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فن لم يجر له نكاحها عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت فقلت لم أكن أحل له لاني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التعليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها

سليمان وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فانزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهاجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) وأحلنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهر من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا نكحها قال ابن عباس هو بيان حكم في المسنة قبل ولم يكن عنده أحد ممنن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحارث أو زينب بنت جحيمه أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان (ان أراد النبي أن يستنكحها) استنكحها طلب نكاحها والريضة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال هبتها لنفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحلناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به يتم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأتمه سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل (خاصة) بلا مهر حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤ كد أي خلص لك الحلال ما أحلنا لك
خالصة بمعنى خلوصها والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعاقبة والكاذبة (لكن من دون المؤمنين) (٤٧٣) بل يجب المهر لغيرك وإن لم يسمه أو

نفاه عدل عن الخطاب إلى
الغيبه في قوله إن أراد النبي
ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن
أن الاختصاص تسكرمة
له لاجل النبوة وتكرره
أي تكرر بالنبي تفخيمه
(قد علمنا ما قرضنا عليهم في
أزواجهم) أي ما أوجبنا
من المهور على أمتك في
زواجهم أو ما أوجبنا عليهم
في أزواجهم من الحقوق
(وما ملكت أيماهم) م
بالشراء وغيره من وجوه
الملك وقوله (لكيلا يكون
عليك حرج) ضيق متصل
بخالصة لك من دون المؤمنين
وقوله قد علمنا ما قرضنا
عليهم في أزواجهم وما
ملكنا أيماهم جملة
اعتراضية (وكان الله غفورا
رحيما) بالتوسعة على
مدنى وحزرة وعلى وخلف
وحطص وهم خزيرهم
تؤخر (من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء)
تضم بمعنى تترك مضاجعة
من تشاء منهن وتضاجع
من تشاء أو تطلق من تشاء
وتسكن من تشاء أو لا تقسم
لا يهن شئت أو تترك
تزوج من شئت من نساء
أمتك وتزوج من شئت
وهذه قسمة جماعة ما هو

خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحلنا لك امرأه مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل
له إذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكفاية بالمهر فذهب جماعة إلى أنها لا تحل له لقوله وامرأه مؤمنة فدل
ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح يقع في حقه بمعنى
الهيئة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع وجوب تخيير
النساء واختلافها في انعقاد النكاح بلقظ الهيئة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ النكاح
أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء بن ربه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال إبراهيم
الثخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التملك والهيئة ومن قال بالقول الأول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه
وسلم فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهيئة لقوله تعالى خالصة لك من دون
المؤمنين وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ النكاح أو التزويج كما في حق سائر الأمة لقوله تعالى إن أراد
النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لافي اللفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى
الله عليه وسلم وهل كانت عنده 'مرأته' منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة
وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعد نكاح أو بملك يمين وقوله إن وهبت نفسها على سبيل الفرض
والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلافها فيها فقال الشعبي هي زينة بنت خزيمة الأنصارية
الاهلالية أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم
شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم ﴿وقوله تعالى﴾ (قد علمنا
ما قرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الأحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من
أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيماهم) أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين
(لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع إلى الآية معناه أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك
والموهوبة لكي لا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أي للواقع في الحرج (رحيما) أي بالتوسعة على
عباده ﴿قوله تعالى﴾ (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي اليك) أي تضم اليك (من تشاء) قيل هذا
للقسم بينهن وذلك أن التوسية بينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية
سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فبين وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي
صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فبجهرن شهر حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى أن
يتخيرهن فمن اختارت الدنيا فارتها وبمسكن من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا
وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهن وترجي من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون
بعض أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الأمر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه
فرضين بذلك واختارته على هذا الشرط واختلفوا في أنه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم
لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله من ذلك يسوي بينهن في القسم الأسود فانها
رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها العائشة وقيل أخرج بعضهن روى عن أبي رزق قال لما نزل
التخيير أشفقن أن يطلعن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فأرسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وأوى اليه بعضهن فكان من آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان
يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خنساء حبيبة وميمونة وسودة وجو برة وصفية فكان يقسم لهن ما يشاء
وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتسكن من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنفك من شئت
من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن غيره يخطبها حتى يتركها رسول الله

الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يسكن فإذا أسكن ضاجع أو ترك
(٦٠ - خازن) - ثالث)
وتسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهن جو برة وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة
وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت من آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خنساء وأوى أرجى من غيرها وكان يسوي مع ما

أطلق له وخبر فيه الأسود فأنها وهبت ليلتها العاشرة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نساءك (و من ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك) أي ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها من عزلت عن نفسك بالأزواج فلا ضيق عليك في ذلك أي ليس إذا عزلتها لم يجز لك ردها إلى نفسك ومن رفع بالابتناء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض إلى مشيئتك (أدنى أن تقر عينهن ولا يحزنن ورضين بما آتيتهن كلهن) أي اقرب إلى فترة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمانت نفوسهن وذهب التغابر وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تأكيداً (٤٧٤) لنون رضين وقرئ ورضين كما آتيتهن على التقديم وقرئ شاذاً كلهن بالنصب تأكيداً كيدا

لهن في آتيتهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعدان لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئته رسوله (وكان الله عليماً) بذات الصدور (حليماً) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقوى ويحذر (لا تحل لك النساء) بالنساء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالذكي لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذ اجاز بغير فصل فمع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما ان الرابع نصاب أمته (ولان تبدل بين من أزواج) بالطلاق والمعنى ولان تستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً أخرى بكنهن أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي ماتت عن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن في من أزواج لتأكيد

صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من نساء من المؤمنات اللاتي يمين أنفسهن فتوؤ بهما اليك وتترك من نساء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما تزوت رجعي من نساء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواله (ومن ابتغيت من عزلت) أي طلبت أن تؤوي اليك امرأة من عزلت عن القسم (فلا جناح عليك) أي لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها وطأ من يشاء منهن في غير نوبتها وبرد في فراشه من عزلت منهن تفضيلاً له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن) أي ذلك التخبير الذي خبيرتك في صحبتك أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى (ورضين بما آتيتهن) أي أعطيتهن (كلهن) من تقر يب وارجاه وعزل واولاء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن (وكان الله عليماً) أي بما في ضمائركم (حليماً) أي عنكم ﴿ قوله تعالى (لا تحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خبرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك ورحم عليهن النساء سواهن ونها عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيع له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنساء عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنع من ذلك قبل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال إنما أحل له ضرباً من النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا أحل لنا لك أزواجك الآيات ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولأن تبدل بين من أزواج) أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية الاما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولان تبدل بين من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي فانزل الله تعالى ولان تبدل بين من أزواج أي تبادل أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك الاما ملكت يمينك أي لا بأس ان تبادل بغيرك فاما الحرائر فلا (ولو أعجبتك حسنهن) يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نساءك وتنتكح بغيرها أخرى ولو أعجبتك جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخيمية امرأه جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهى عن ذلك (الامام ملكت يمينك) قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء عامرية (وكان الله على كل شيء رقيباً) أي حافظاً وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فان استماع أن ينظر إلى ما يدعهو إلى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة ان رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فان في عين الانصار شيئاً قال الجدي يعني هو

النفي وفائدته استعراق جنس الأزواج بالتحريم (ولو أعجبتك حسنهن) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل الصغير أي تبدل لامن المفعول الذي هو من أزواج لتوعد له في التذكير وتقدره مفروضاً أعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس امرأه جعفر بن أبي طالب فانها من أعجبه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء يعني ان الآية نسخت ونسخها ما بالسنة أو بقوله انا أحل لنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المحقق (الامام ملكت يمينك) استثنى من حرم عليه الاماء وحل ما رفع بدل من النساء (وكان الله على كل شيء رقيباً) حافظاً وهو تحذر عن مجاوزة حدوده

(بأئمة الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظر من إناه) أن يؤذن لكم في موضع الحال أي لا تدخلوا إلا ما دونكم
 لكم أو في معنى الفارق تقديره الأوقات أن يؤذن لكم وغير ناظر من حال من لا تدخلوا أو وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كأنه قيل لا تدخلوا
 بيوت النبي الأوقات إلا أن يؤذن لكم ولا تدخلوها إلا غير ناظر من أي غير منتظر من وهو لا يقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فيدخلون ويقعدون منتظرين لا دراهمه ومعناه لا تدخلوا بأئمة المتحينون للطعام إلا (٤٧٥) أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظر من
 إناه وإني الطعام ادراكه

الصغير عن المغيرة بن شعبة قال دخلت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت البهاق قلت لا قال فانظر
 البهاق انه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل (بأئمة الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم)
 الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولجة زينب بنت جحش حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم هانئ تواطئني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فخدمته عشرين سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب
 حين أنزل وكان أول ما نزل في مهنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله
 عليه وسلم معروفا وسأفد القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا
 المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فغشى النبي صلى الله عليه وسلم
 ومشيت معه حتى جاء عتبة بحجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجمت معه حتى إذا دخل على زينب
 فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجمت حتى إذا بلغ عتبة بحجرة عائشة وظن أنهم قد
 خرجوا فرجع ورجمت معه فاذا هم قد خرجوا فاضرب النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه بالسستر وأنزل
 الحجاب زادني رواية قال دخل بعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجر وهو يقول
 بأئمة الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله والله لا يستحي من الحق (ق) عن عائشة أن
 أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفضح وكان عمر
 رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احب نسائك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت
 سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد
 عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لتقضاء الحاجة من البول
 أو الغائط والصعيد وجه الأرض والأفصح الواسع (ق) عن انس وابن عمر قال واقتربني في ثلاث
 قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقالت يا رسول الله
 يدخل على نسائك البر والطاهر فلو أمرتهم أن يستحيين فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه
 وسلم في الغيرة فقالت عيسى ربه ان طلاقك أن يبده أزواجنا خيرامنكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها
 نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل
 الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت
 الآية بأئمة الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم يعني إلا أن تدعوا (إلى طعام) فيؤذن
 لكم فتأكلون (غير ناظر من إناه) يعني منتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن إذا دعيتهم فادخلوا فإذا
 طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانتشروا) أي فخرجوا من منزله وتفرقوا (ولامستأنس من الحديث) أي
 لا تأكلوا الجلوس ليستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به (ارزلكم) كان يؤذى النبي فيستحي منكم (من إخراجكم) والله
 ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم) أي فيستحي من إخراجكم (والله لا يستحي من الحق) أي
 لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الأفعال قال لا يستحي من الحق
 بمعنى لا يمنع منه ولا يترك الحي منكم وهذا أدب الله به الثقلان وعن عائشة رضي الله عنها أحسبت في الثقلان أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا
 طعمتم فانتشروا

يقال إني الطعام إني كقولك
 قلاء قلى وقيل إناه وقتها أي
 غير ناظر من وقت الطعام
 وساعة إناه وروى ان
 النبي صلى الله عليه وسلم أولم
 على زينب بقر وسويق
 وشاة وأمر أنسا أن يدعو
 بالناس فترادفوا أفواجا
 يا كل فوج ويخرج ثم
 يدخل فوج إلى ان قال
 يا رسول الله دعوت حتى
 ما أجد أجدا أدعوه فقال
 ارفعوا طعامكم وتفرق
 الناس وبقي ثلاثة نفر
 يتحدثون فاطالوا فقام
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ليخرج فوافطاف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 بالحجرات وسلم عليهن
 ودعون له ورجمت فاذا
 الثلاثة جلوس يتحدثون
 وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم شديدا لحياء فتولى
 فصار أوه متوليا يخرجوا
 فرجمت وزالت (ولكن
 إذا دعيتهم فادخلوا فإذا
 طعمتم فانتشروا) فتفرقوا
 (ولا مستأنس من الحديث)
 هو مجرور معطوف على
 ناظر من أو منصوب أي ولا
 تدخلوها مستأنس منهن أو

عن أن يطالوا الجلوس ليستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به (ارزلكم) كان يؤذى النبي فيستحي منكم (من إخراجكم) والله
 يستحي من الحق) يعني ان إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيامنه ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الأفعال قبل لا يستحي من الحق أي
 لا يمنع منه ولا يترك الحي منكم هذا أدب الله به الثقلان وعن عائشة رضي الله عنها أحسبت في الثقلان أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا
 طعمتم فانتشروا

(واذا سألتوهن) الضمير لئساء رسول الله صلى الله عليه وسلم للدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عارية أو حاجة (فاسئلهن) المتاع (من وراء حجاب ذاكم) أظهر لقلوبكم وقلوبهن (من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عرضي الله عنهن يجب ضرب الحجاب عليهن ويودأن ينزل فيه وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر أن بعضهم قال أنهى أن نسكلم بنات عمنا الامن ووراء حجاب لئن مات محمد لاترورجن فلانة فنزل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أي وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده موته (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما (ان تبدوا شيئا) من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن (أو تخفوه) في أنفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شيء عليما) فيعاقبكم به ولما (٤٧٦) نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب

فنزلهن (لا جناح عليهن في آياتهن ولا أبناهن ولا بناتهن ولا أخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نساءهن) أي نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) أي لائم عليهن في أن لا يتحجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والنحال لانهم ما يجربان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم بأقال الله تعالى واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق واسماعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل (واتقين الله) فيما أمرت به من الاحجاب وأترل فيه الوحي من الاستتار واحتقان فيه (ان الله كان على كل شيء شهيدا) علما قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطر ان القلوب كما يعلم حر كانت الجوارح

ان الله لم يحتملهم (واذا سألتوهن متاعا) أي واذا سألتن نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متعقبة كانت او غير متعقبة (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي اميس لكم أذاه في شيء من الاشياء (ولأن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله رسوله صلى الله عليه وسلم ويجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيره على حرمته حتى يمتني لها الموت قبله لثلاث تنكح بعده (ان تبدوا شيئا) أي من أمر نكاحهن على أنفسكم (أو تخفوه) أي في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليما) أي يعلم سركم وعلايتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا منع من الدخول على بنات أمنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن أيضا يارسول الله نكلمهن من وراء حجاب فنزل الله عز وجل (لا جناح عليهن في آياتهن ولا أبناهن ولا بناتهن ولا أخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نساءهن) أي لائم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولان نساءهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابات وانما قال (ولان نساءهن لانهن من أجناسهن) (ولما ملكت أيمانهن) اختلفوا في ان عبد المرأة اهل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد (واتقين الله) أي ان راكن احد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شيء) أي من أعمال العباد (شهيدا) قوله عز وجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس اراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (بأئيم الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بخيبة الاسلام

* (فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها) * انفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل يجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل يجب في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد وقيل يجب كلما ذكر ٢ واختاره الطحاوي من

(ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي قولوا اللهم صل على محمد وأصلى الله على محمد (وسلموا تسليما) أي قولوا اللهم سلم على محمد وأناقدا ولا امره وحكمه انقيادا ووسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال ان الله وكل بي ملائكتين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على الاقال ذانك الملائكة غفر الله لك وقال الله وملائكته جوا بالدينك الملائكة أمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الاقال ذانك الملائكة لا غفر الله لك قال الله وملائكته جوا بالدينك الملائكة أمين ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي وكما ذكر اسمه عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التسبح كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الرافض

٣ قوله واختاره الطحاوي الخضعيف والمعتمد قول الكرخي انها واجبة مرة وأما كلما ذكر فمستحبة أفاده في مجمع الانهر وبه تعلم ما في كلام النسفي اه

الحنفية والخليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال
لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا
كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد
(ق) عن أبي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه
وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد
(م) عن أبي مسعود البدرى قال أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد فقال له
بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تخيننا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك جيد مجيد والسلام كما قد
علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا
* عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت
عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات أخرجه الترمذي وله عن أبي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلت أنا لئرى البشرى في وجهك قال أتأني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول
أما برضيك انه لا يصلي عليك أحد الا صليت عليه عشر اولايه صلى الله عليه وسلم عشر اوله عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام
* عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولي الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخبيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح * عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكال الا رضى اذا صلى علينا أهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك
جيد مجيد أخرجه ابوداود ﷺ قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير بن الله ويد الله
مخالوه وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا
الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقول له لن يعيدني كما بد أني
وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقول له اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذونني ابن آدم
بسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقاب الليل والنهار معنى هذا الحديث أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن
ينمو الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي
أنا الذي أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله بالجدون في
أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق تكليفي فليخلقوا ذرة أو يخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أي يؤذون
أولياء الله كإروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال
تعالى من أهان لي وليا فقد آذنته بالحرب ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذلك
على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزوع أن يلحقه أذى من أحد واما ايداء الرسول فقال ابن عباس
هو أنه شج وجهه وكسرت ربا عينه وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

(ان الذين يؤذون الله
ورسوله) أي يؤذون رسول
الله وذلك باسم الله للتشريف
أو عبر بايداء الله ورسوله
عن فعل ما لا يرضى به الله
ورسوله كالكفر وانكار
النبوة مجازا وانما جعل
مجازا فيها حقيقة الايداء
يتصور في رسول الله لئلا
يجتمع المجاز والحقيقة في
لفظ واحد (لعنهم الله في
الدنيا والاخرة) طردهم
الله عن رحمة في الدارين
(وأعد لهم عذابا مهينا)
في الاخرة (والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير

ما اكتبوا) اطلق ايداء الله ورسوله وقدم ايداء المؤمنين والمؤمنات لان ذلك يكون غير حق ابدأ وأما هذا فتمحق بالحد والتعزير ومنه باطل قيل زلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وسمعوه وقيل في زناه كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً غير حق فكيف ايداء المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا) تحموا (بهمانا) كذبا عظيما (واثمنا مينا) ظاهرا (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الجلابيب ما يستر السكك مثل المحفة عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زال الثوب عن وجه المرأة ادن ثوبك على وجهك ومن للتبعيض أي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها تتفتح حتى تميز من الامة أو المراد أن يعجلن ببعض ما لهن من الجلابيب وأن لا تكون المرأة متبدلة في درع وخمار كالامة ولها جلبابان فصاعدا في بيتهما وذلك ان النساء في أول الاسلام على هجرتهن في الجاهلية متبدلات تبر المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرمة والامتنان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في الخليل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرمة حسب الامتياز من يخالفن (٤٧٨) يزيمهن عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرأس والوجه فلا يطمع فيهن طامع وذلك

قوله (ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين) أي أولى وأجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفسيط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فجور وهم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض (والمرجعون في المدينة) هم أناس كانوا يرجعون اخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كبت وكبت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرحف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا منزلا غير ثابت من الرجفة وهي

ما اكتبوا) أي من غير أن عملوا ما أوجب أذا هم وقيل يععون فيهم ويرمونهم بغير حرم (فقد احتملوا) بهمانا (واثمنا مينا) قيل انها زلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه وسمعوه وقيل زلت في شأن عائشة وقيل زلت في الزناة الذين كانوا يعيشون في طرف المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكنت تبعوها وان زحرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطالبون الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرمة من الامة لان زى السكك كان واحدا تخرج الحرمة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرث ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) عليهن من جلابيبهن جمع جلباب وهو الملاعة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وهو المحفة وكل ما يستره من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الاعيان واحدة ليعلم انهن حرثا وهو قوله تعالى (ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين) أي لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيمًا) أي لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متعفة فعلاها بالبرة وقال بالكاع أنتشبهين بالحرث اثنى القناع لكاع كثة تقال بان يستحق به مثل العبد والامة وانحامل والقليل العقل مثل قولك ياخسيس قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي فجور وهم الزناة (والمرجعون في المدينة) أي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد آتانا كم العدو ونحو هذا من الارجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وتفسوا الاخبار (لنغر ينك بهم) أي لنحرسنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) أي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا أي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتختلي منهم المدينة (مأعونين) أي مطرودين (أي بما تقفوا) أي وجدوا أو أدركوا (أخذوا وقتلوا وقتلوا) أي الحكم فيهم هذا على الاصريه (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما تقفوا (وان تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (يسئلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم

الزلا (لنغر ينك بهم) لنأمرنك بقتالهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) في المدينة وهو عطف على لنغر ينك لانه يجوز عن أن يجابه القسم لعمدة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بهم بعد حاله عن حال المعطوف عليه (الا قليلا) زمانا قليلا لا المعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجعون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل الافعال التي تسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ثم يتحلون فسمى ذلك اغراعه وهو التحريض على سبيل المجاز (مأعونين) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك الا ما عاونين فالاستثناء دخل على الطرف والحال معا كما ولا ينتصب عن أخذ والآن ما بعد حرف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أي بما تقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) في موضع مصدر مؤكداً أي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا أينما وجدوا (في الذين خلوا) مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا يبدل الله سنته بل يجري بها مجرى واحد في الامم (يسئلك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استنجالاً على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحاناً لان الله تعالى عسى

وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسوله بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به ثم بين الرضوخه انها قريبة الوقوع ثم سديد اللمستجيبين واسكانا للممتحنين بقوله (قل انما علمها عند الله وما يدرك لعل الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا اولان الساعة في معنى الزمان (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) هذا برمذهب الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار تفتيان ولا وقف على سعير الان قوله خالدين فيها سال عن الضمير في لهم (لا يجردون وليا ولا نصيرا) (٤٧٩) فاصرا عندهم اذ كر (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في الجهات

كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت ونخصت الوجوه لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجله (يقولون) حال (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فنخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التمني (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وجمع سيد ساداتنا شامى وسهل ويعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوههم الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوى الاسنان منا أو علماءنا (فأضالونا السبيل) يقال ضل السبيل وأضله اياه وز يادة الاف لا طلاق الصوت جعلت فواصل الآتى كقوافى الشعر وفانتهما الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) للضلال والاضلال (والعنههم لعنا كبيرا) بالباء عاصم ليدل على أسد اللعن وأفظمه وغيره بالباء تكثير الاعداد اللعان ونزل

عن وقت قيام الساعة استجاب الاعلى سبيل الهزم وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعنى ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدرك لعل الساعة متى يكون قيامها) لعل الساعة تكون قريبا) أى انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستجيبين واسكان للممتحنين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجردون وليا ولا نصيرا) يوم تقلب وجوههم في النار (أى تقلب ظهر البطن حين يستحبون عليها) يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (أى في الدنيا) (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنى رؤس الكفر الذين لقنوههم الكفر وزينوه لهم (فأضالونا السبيل) يعنى عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعنى ضعفي عذاب غيرهم (والعنههم لعنا كبيرا) أى لعنا متتابعين قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أى فظهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) أى كبريا ما اجابه وقد قال ابن عباس كان حقايا عند الله لا يسأل الله شيئا الا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أذى موسى فروى أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمع موسى باثوه يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى فقالوا والله ما يمنع موسى من باس فقام الحجر حتى انظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرب قال أبوهريرة والله ان بالحجر نداء ستة أو سبعة من ضرب موسى بالحجر أخرجه البخارى ومسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حيا ستره الا يرى شئ من جسده استحيا منه فآذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستر هذا السر الا من عجب بجلده اما برص واما أذرة واما آفتون الله أراد ان يبرئه مما قالوا موسى فخلا وما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بنى اسرائيل ورأوه عزبنا أحسن ما خلق الله و برأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه و طفق بالحجر ضرب بابعصاه فواته ان بالحجر نداء من أثر الضرب ثلاثا أو أربعين وخمساف ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الأذرة عظام الخسفة لنفخة فيها قوله بجمع أى أسرع وقوله ثوبي حجر أى دع ثوبي يا حجر قوله و طفق أى جعل يضرب الحجر وقوله نداءه بفتح النون والدال وهو الواح وأصله أثار الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشببه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون نداء بسكون الدال وقيل في معنى الآية ان آذاهم اياه انه لمسامات هرون في التيسه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بنى اسرائيل فعر فوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملاء فقصها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حين أن تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مئثل ذلك واعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أرى يداه واجه الله فقلت والله لا تخبرن

في شأنه يزود بيب وما سمع فيه من قاله بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول وموؤداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها أو آثرهاهم اياه بقتل هرون فأحياه الله تعالى فأخبرهم براءة موسى عليه السلام كما رأينا عليه السلام بقوله ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم (وكان عند الله وجيها) اذا جاء بمنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعشى وكان عبد الله وجيها

وقيل معنى الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام واقواء فابي حله وأشفق منه وخجله الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا ولا حيث جل الامانة ثم لم يفهمها ثم خاف فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاءه القرآن الاعلى أساليبهم من ذلك قولهم لويل للشعير أين تذهب لقال أسوى العوج (٤٨١) واللام في (ليعذب الله المنافقين والمنافقات

والمشركين والمشركات) والتعليل لان التعذيب هنا نظير التأديب في قولك ضربته للتأديب فلا تعذب على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وقرأ الاعشى ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل وينبئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحمله لانه اذا تيب على الوافي كان نوعا من عذاب الغادر أو للعاقبة أي حملها الانسان فال الامر الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء (وكان الله غفورا للتايبين رحيمًا) بعباده المؤمنين وانه الموفق للصواب

والتعذيب هنا نظير التأديب في قولك ضربته للتأديب فلا تعذب على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وقرأ الاعشى ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل وينبئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحمله لانه اذا تيب على الوافي كان نوعا من عذاب الغادر أو للعاقبة أي حملها الانسان فال الامر الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء (وكان الله غفورا للتايبين رحيمًا) بعباده المؤمنين وانه الموفق للصواب

* (سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية) *
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
(الحمد) ان أجرى على المعهود فهو بما حده نفسه محمود وان أجرى على الاستغراق فله لكل الحمد الاستحقاق (لله) بسلام التملك لانه خالق ناطق الحمد أصلا فكان ملكه مالك الحمد للتحميد أهلا (الذي له مافي السموات وما في الارض) خالقها وملكها

ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا باحرر به وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث جل الامانة ثم لم يفهمها ولم يفهمها ثم خاف فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاءه القرآن الاعلى أساليبهم من ذلك قولهم لويل للشعير أين تذهب لقال أسوى العوج (٤٨١) واللام في (ليعذب الله المنافقين والمنافقات

والمشركين والمشركات) والتعليل لان التعذيب هنا نظير التأديب في قولك ضربته للتأديب فلا تعذب على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وقرأ الاعشى ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل وينبئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحمله لانه اذا تيب على الوافي كان نوعا من عذاب الغادر أو للعاقبة أي حملها الانسان فال الامر الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء (وكان الله غفورا للتايبين رحيمًا) بعباده المؤمنين وانه الموفق للصواب

* (تفسير سورة سبأ وهي مكية) *
* (وأربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة ٣ وألف وخمسة وثمانون واثنان عشر حرفا) *
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الحمد لله الذي له مافي السموات وما في الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيقي بأن يحمدوا بنى عليهم من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له مافي السموات وما في الارض أي ملكا وخلقا (وله الحمد في الآخرة) أي كاهوله في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه فكأنه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو جرد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد

(٦١ - (خازن) - ثالث) وقهر افكان حقيقا بان يحمد سر او جهر (وله الحمد في الآخرة) كاهوله في الدنيا اذا النعم في الدارين من المولى غير أن الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثلما لعدم التكليف وانما يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما اتوا من الاجر قوله وثلاث وثلاثون كذا ببعض نسخ الخازن وفي بعضها بدون ثلاث وفي الخطيب ثلاث وثمانون وعلم الصواب عن ذلك عند العليم الخبير اه

العظيم بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وهدانا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (وهو الحكيم) بتدبير ما في السماء والأرض (الخبير) بضمير من
 يحمده ليوم الجزاء والعرض (يعلم) مستأنف (ما يلج) ما يدخل (في الأرض) من الأموات والدفائن (وما يخرج منها) من النباتات وجواهر
 المعادن (وما ينزل من السماء) من الأمطار وأنواع البركات (وما يرج فيها) بصعد الهام من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بانزال ما
 يحتاجون إليه (الغفور) لما يجترؤن عليه (وقال الذين كفروا) أي منكر والبعث (لأننا نبينا الساعة) نفى للبعث وانكار للحجج الساعة
 (قل بلى) أو جيب ما بعد النفي بيلي على معنى أليس الأمر الايمانها (وربى لتأتينكم) ثم أعيد بيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد
 والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسبي بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لأن عظمة حال
 المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة تباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكما كان المستشهد به ارفع منزلة كانت
 الشهادة أقوى وأكثر كدوا المستشهد عليه ثبت وارسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع
 الى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدني وشأى أي هو عالم الغيب - لام الغيب حزة وعلى على المبالغة (لا يعزب عنه) وبكسر الزاي على
 يقال عزب يعزب ويعزب اذا غاب (٤٨٢) وبعد (مقال ذرة) مقدار اصغر اذلة (في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك) من مقال

ذرة (ولا أكبر) من
 مقال ذرة (الا في كتاب
 مبين) الا في اللوح المحفوظ
 ولا اصغر ولا أكبر بالرفع
 عطف على مقال ذرة
 ويكون الاعمى لكن أو
 رفعا بالابتداء والخبر في
 كتاب واللام في (ليجزى
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 أولئك لهم مغفرة) لما
 قصروا فيه من مدارج
 الايمان (ورزق كريم)
 لما صبروا عليه من مناهج
 الاحسان متعاقبا لتأتينكم
 تعليله (والذين سعوا في
 آياتنا) جاهدوا في رد
 القرآن (معاجزين)
 مسابقين طائفتين منهم

كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) أي الذي أحكم أمور الدارين (الخبير) أي بكل ما كان وما يكون (يعلم
 ما يلج في الأرض) أي من المطر والكنوز والأموات (وما يخرج منها) أي من النباتات والشجر والعيون
 والمعادن والأموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة
 (وما يرج فيها) أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أي للمفطر طين في أداء
 ما وجب عليهم من شكر نعمه ﴿وقوله تعالى﴾ (وقال الذين كفروا) أي الذين كفروا (لأننا نبينا الساعة) معناه انهم انكروا البعث
 وقيل استبطوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخر به (قل بلى وربى لتأتينكم) يعني الساعة
 (عالم الغيب) أي لا يفوت علمه شيء من الخفيات واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها
 آتية (لا يعزب عنه) أي لا يغيب عنه (مقال ذرة) أي وزن ذرة (في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من
 ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر الا في كتاب مبين) أي في اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 أولئك لهم مغفرة) أي لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي في ابطال أدلتنا
 (معجزين) أي يحسبون انهم يفوتونا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى
 الذين أوتوا العلم) يعني مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 (الذي أوتى البين من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني انه من عند الله (وهم يهدى) يعني القرآن (الى
 صراط العزيز الحميد) أي الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعني المنكرين للبعث المنجيين منه (هل
 ندلكم) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبتكم) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم معناه يحددكم
 بالمعجزة من الاعاجيب وهي انكم (اذا مضى كل منزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفریق وصرتم
 ترابا (انكم اتي خلق جديد) أي يقول انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا
 (أفترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (أم به جنه) أي جنون يوهمه

يفوتوننا معجزين مكي وأوعمر وأي مشيطين الناس عن اتباعها وتاملها أو ناسين الله الى ذلك
 العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب أي عذاب أليم من سبي العذاب قال قتادة الرجز سوء
 العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (ويرى) في موضع الرفع بالاستئناف أي ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومن بطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذي أوتى البين من ربك)
 يعني القرآن (هو الحق) أي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو في موضع النصب معطوف على ليعجزى وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة
 أنه الحق علم لا يزداد عليه في الايقان (وهم يهدى) الله أو الذي أوتى البين (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وقال
 قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم وانما انكروه مع انه كان مشهورا عالميا قريشا وكان انبأؤه
 بالبعث شاعرا عندهم تجاهل به وبامرء باب التجاهل في البلاغة والى سحرها (ينبتكم اذا مضى كل منزق) أي يحددكم
 بالمعجزة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا وعمرق أجسادكم البلاء كل بمنزق أي يفرقكم كل تفریق
 فالمعزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل في اذا ما دل عليه انكم لفي خلق جديد أي تبعثون والجديد فعل بمعنى فاعل عند البصر بين تقول جدهو
 جديد كقل فهو قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام في خبره (أفترى على الله كذبا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهمزة
 للاستفهام وهمزة الوصل حذف استغناء عنها (أم به جنه) أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على اسائه

(بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهم ما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤدبهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم في العذاب وسبب وقوعهم في الضلال كأنهم ما كانوا في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعل كأنهم ما قدرنا ان وصف الضلال بالبعث من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم) وبالادغام على التقارب بين الفاعل والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاعل على الباء (الارض أو نسقط) الثلاثة بالباء كوفي غير عاصم لقوله أفترى على الله كذبا (عليهم كسفا) كسفا خفض (من السماء) أي أعما ولم ينظر والى السماء والارض وانهما حينما كانوا وإنما سار وأمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدر ان ينفذوا من أقطارهما وان يخترجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم (٤٨٣) بالرسول وبما جاءه كما فعل بقارون وأصحاب

الايكة (ان في ذلك) النظر الى السماء والارض والعكر فيها ما تدلان عليه من قدرة الله تعالى (لاية) للدلالة (اسكل عبد منيب) راجع الخبره مطيع له اذا المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد آتينا داود منافذ لاجبال) بدل من فضلا ومن آتينا بتقدير قولنا يا اجبال أو قولنا يا اجبال (أو تبي معه) من التاويب رجعي معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يتخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسح بمحجرة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محمل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفحامة ما لا يخفى حيث جعلت

ذلك و يلقبه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد صلى الله عليه وسلم - لم من الافتراء والجنون شيء وهو مبرأ منهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكري البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي فيعلمون انهم حيث كانوا في ارضي وتحت سمائي فان ارضي وسمائي محيطتان بهم لا يخترجون من أقطارها أو أن قادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) أي كما نخسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي كما فعلنا بأصحاب الايكة (ان في ذلك) أي فيما ترون من السماء والارض (لاية) أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (اسكل عبد منيب) أي نائب راجع الى الله بقلبه قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منافذ) يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا اجبال أو تبي معه) أي وقلنا يا اجبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ونوحى معه اذا نوح (والطير) أي وأمرنا الطير ان تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملأ أو فتورا أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (وأنا لله الحديد) يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كاللحمين يعمل منهما بشيء من غير نار ولا ضرب مطرقة وقيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تؤول في داود واليك هذا أي رجل هو فيشنون عليه ويقولون خيرا فيقبض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا اخصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ماهي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عباده من بيت المال قال فنتبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسببه سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عباده فالان الله الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفا شق وقيل انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عباده ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (ان اعلم سابعات) أي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قبل ان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقا فانتقلت ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (ان يمتاعوا بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي

الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعار بانها مامن حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال آتينا داود منافذ لا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفحامة (وأنا لله الحديد) وجهنا له لنا كالطين المحجون بصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة (أن اعلم) أي أو أمرناه ان اعلم (سابعات) دروعا واسعة تامة من السبع وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعباده ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيشتموا عليه فقبض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل هو لولا اخصلة فيه وهو انه يطعم عباده من بيت المال قال فنتبه لذلك به ان يسببه ما يستغني به عن بيت المال فعمله صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقا فانتقلت ولا غلاظا فتكسر الحلق والسرد نسج الدرع (واعملوا) الضمير لداود وآله (صالحا) خالصا يصلى للقبول (ان يمتاعوا بصير) فأجاز بكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبار ورفع

الريح أبو بكر وجاد والفضل أي (٤٨٤) وسليمان الريح مسخرة (غدوها شهر ور واحها شهر) جريم بالغدادة سيرة شهر وجريها

بالعشى كذلك وكان يغدو
من دمشق فيقبل باصطخر
فارس وبينهما سيرة شهر
وروح من اصطخر فيبيت
بكايل وبينهما سيرة شهر
للراكب المسرع وقيل
كان يتغدى بالري ويتعشى
بسمرقند (وأسلناه عين
القطر) أي معدن النحاس
فالقطر النحاس وهو الصفر
ولكنه أساله وكان يسيل
في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل
الماء وكان قبيل سليمان
لا يذوب وسماه عين القطر
باسم ما آل اليم (ومن
الجن من يعمل) من في
موضع نصب أي وسخرنا
من الجن من يعمل (بين
يديه بأذن ربه) بأمر ربه
(ومن يزغ منهم) ومن
يعدل منهم (عن أمرنا)
الذي أمرنا به من طاعة
سليمان (نذقه من عذاب
السعير) عذاب الآخرة
وقيل كان معه ملك بيده
سوط من نار فن زاع عن
أمر سليمان عليه السلام
ضربه ضربة أحرقته
(بعمالون له ما يشاء من
مخاريب) أي مساجد أو
مساكن (وتماثيل) أي
صور السباع والطيور وروى
أنهم عملوا له أسدين في
أسفل كرسيه ونسرين
فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط
الأسدان له ذراعيهما وإذا
قعد أطلعه النسيران
باجتنتهما وكان التصوير

وسخرنا سليمان الريح (غدوها شهر ور واحها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر
ومسير واحها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحده مسيرة شهر من قيل كان يغدو من دمشق
فيقبل باصطخر وبينهما سيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكايل وبينهما سيرة شهر للراكب المسرع
وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند (وأسلناه عين القطر) أي أذنبه عين النحاس قال أهل
التفسير أجزيت له عين النحاس ثلاثة أيام لبلىهين كجرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان
النحاس كما ألان داود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله
الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) أي يعدل (منهم) من
الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة
وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل لهم ملكا بيده سوط من نار فن زاعغ منهم عن طاعة سليمان ضربه
بذلك السوط ضربة أحرقته (بعمالون له ما يشاء من مخاريب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة
والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه
الصلاة والسلام ابتدأه ورفع قامته وجل فأوحى الله اليه ألم أقض ذلك عليك وإنك أملكه بعد ذلك
اسمه سليمان أقضى اتمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام
أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فارس الجن
والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالصفايح وجعلها اثني عشر
ر بضاوا أنزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه
الشياطين فر قام منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر والياقوت
والدر الصافي من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أماكنها فأتى من ذلك شئ كثير
لا يحصىه الا الله تعالى ثم أحضر الصانع وأمرهم بنحت تلك الاجار وتصويرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر
ونقب الياقوت واللاكي فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعجده باسطين البور الصافي
وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللاكي والياقوت وسائر الجواهر وبسط أرضه
بالواح الفير وزج فلم يكن على وجه تلك الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أفر من ذلك المسجد فكان يضيء في
الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أخبار بني اسرائيل وأعلمهم انه بناه الله تعالى وان كل شئ
فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما وافق حكمه فأوتيه وسأل
الله تعالى ما كالا ينبغي لاحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه أحد
لا ينهزه الا الصلاة فيه الا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النساء وغير النساء سأل ربه ثلاثا
فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحو قوله لا ينهزه أي لا ينهزه الا الصلاة قالوا فلم يزل
بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه تختصر فحرب المدينة وهدم المسجد وأخذ
ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن
قصورا وحصونا عجيبية من الصخر وقوله عز وجل (وتماثيل) أي ويعملون له تماثيل أي صورامن
نحاس ورخام وزجاج قبل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة
والانبياء والصالحين في المساجد ليراهم الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في
شريعته وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالتماثيل والقلم
والكذب ونحوها مما يقع في كل الشرائع قبل عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد
بسط له الاسدان ذراعيهما وإذا جلس أطله النسيران باجتنتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبات
والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من أراد ان يؤمنه (وجفان) أي قصاع (كالجواب)

رجل كالجوابي في الوصل والوقف مكي وبعقوب وسهل وافق أبو عمر وفي الوصل الباقر بن بغير باء كقطاه بالكسرة (وقد ورر اسيات)
ثابتات على الاثافي لاتزل عنها العظماء وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أي ارجوا أهل البلاد واسأوا ربكم العافية
عن الفضيل وشكرا مفعوله أحوال أي شاكرين أو اشكر واشكر الان اعمالوا فيه معنى اشكر وامن حيث ان العمل للامنم شكره أو
مفعوله به يعني انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ماشتم فاعلموا انتم شكر اوس مثل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدي المعبود
(وقليل من عبادي) بسكون الياء جزء وغيره بفتحها (الشكور) المتوفر على أداء الشكر (٤٨٥) البازل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه

وجوارحه اعتقادا واعتقافا
وكذا وعن ابن عباس رضي
الله عنه ممن يشكر على
أحواله كلها وقيل من
يشكر على الشكر وقيل
من يرى عجزه عن الشكر
وحكى عن داود عليه السلام
انه خزا ساعات الليل والنهار
على أهله فلم تكن تأتي ساعة
من الساعات الا وانسان
من آل داود قائم يصلي
(فلما قضينا عليه الموت)
أي على سليمان (مادلهم)
أي الجن وآل داود (على
موته الادابة الارض) أي
الارضة وهي دووية يقال
لهاسرسة والارض فعلها
فاضيغت اليه يقال أرضت
الخسبة أرضا اذا أكلتها
الارضة (تأكل منسأته)
والعصا تسمى منسأته
ينسأها أي يطردو منسأته
بغير همز مدني وأبو عمر و
(فلما سخر) سقط سليمان
(تبينت الجن) علمت الجن
كلهم علما بينا بعد التباس
الامر على علمتهم وضعفتهم
(أن لو كانوا يعلمون الغيب
مالبثوا) بموت سليمان

أي كالحياض التي يجبي فيها الماء أي يجتمع قبل كان يعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يا ككون منها
(وقد ورر اسيات) أي ثابتات على أنافها لا تحرك ولا تنزل عن أما كنها العظمهن وكان يصعد اليها بالسلام
وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعلموا بطاعة الله تعالى شكر اعل نعمة قبل المراد
من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البشاني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام
قد خزا ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي
(وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكر النعمتي قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت)
أي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجدد للعبادة في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل
من ذلك وأكثر فدخل فيه ومعه طعامه وشرا به فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصح
يوما الا وقد نبتت في محرابه بيت المقدس شجرة فيسألها ما لك فقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت
فقول لك كذا وكذا فأمروهم اقتطع فان كانت لغرس أمرها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت
الخروبة فقال لهما أنت قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبتت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان
الله يخبره وأنا حى أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ثم زعها وغرسها في حائطها ثم قال اللهم
عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب
شيا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متمكنا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى
من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان
ويفكرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احبسا من الخروج الى الناس لطول صلواته وانقطاعه
قبل ذلك فكثروا يدعون بعد موته حولا كما لاحتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته
قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (مادلهم
على موته الادابة الارض) يعنى الارضة (تأكل منسأته) قال البخاري يعنى عصاه (فلما سخر تبينت
الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) معناه علمت الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون
الغيب مالبثوا في التعب والشقاء سخر من سليمان وهو ميت ويطنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم
الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية انه ظهر أمر الجن
وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ أن
سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع
سنتين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين قوله عز وجل (لقد كان لسباني مسكنهم آية) عن
فروة بن مسعود قال لما أنزل في سليمان أنزل قال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس
بارض ولا امرأة وليكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتسائم منهم أربعة فاما الذين تشاءموا
فلطمهم وجزاهم وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والاشعريون وحسير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل

(في العذاب المهين) وروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به
الى سليمان فأمر الشياطين بأتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ربه أن يعي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان
عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
وروى ان أفريدون جاء لصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعده ان يذون منه (لقد كان لسبيا) بالصرف
بتأويل الحى وبعدهم أبو عمر وتأويل القبيلة (في مسكنهم) حزة وحفص مسكنهم على وخاف وهو موضع سكنهم وهو بلدهم وأرضهم
التي كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مسكنهم (آية) اسم كان

(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونها آية أن أهلها لما أعرضوا عن شكر الله سلهم الله النعمة
ليعتبروا ويعتادوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وعظ النعم أو جعلها آية أي علامة تدل على قدرة الله وحسنه ووجوب شكره
(عن عيين وشمال) أراد جماعتين من البساتين جماعة عن عيين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها
كانت ساجنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستان كل رجل منهم عن عيين مسكنه وشماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له)
حكاية لما قال لهم أنبياء الله المعرفون (٤٨٦) اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحق بعبادهم بذلك ولما أمرهم بذلك اتبعوه

يا رسول الله وما انما قال الذين منهم خشعهم وبجيلة أخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غير يب
وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أي بمأرب من أرض اليمن آية أي دلالة على وحدانيتنا
وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أي بستانان (عن عيين وشمال) أي عن عيين الوادي وشماله وقيل
عن عيين من أناهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أي قبل لهم كلوا (من رزق
ربكم) أي من ثمار الجنتين فيسئل كانت المرأة تحمل مكنتها على رأسها وتربى بالجنتين فيميتلئى المكنتل من أنواع
الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئا (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة واعملا بطاعته (بلدة طيبة)
أي أرض مارب وهي سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسجدة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا
برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب
غفور) قال وهب أي وربكم أن شكرتم على ما رزقكم رب غفور ران شكره ﴿ قوله عز وجل (فاعرضوا)
قال وهب أرسل الله إليهم ثلاث عشرة نبيا فدعوهم إلى الله تعالى وذكرهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع فذلك أعراضهم
(فارسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذي لا يطاق قيل كان ماء أحرأ أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل
العرم السكر الذي يحبس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس وهب وغيرهما كان لهم سدبنته بلقيس
وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ما عوادهم فأمرت بوادهم فسد بالصحخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم
ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر شخرا على عدة أنهم سارهم
يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن
فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجري ماؤه إلى البركة فكانوا يسقون من الباب
الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم
على ذلك فبقوا بعدها مدة لما طغوا وكفروا وسلط الله عليهم جزا يسمى الخلد فنقب السدم أسفل فغرق
الماء جنتهم وأحرب أرضهم وقال وهب رأو فيها زرعون ويحدون في علمهم أن الذي يخرب سددهم فأرسل
يتركوا فرجة بين حجرين من الأربطوا عند هاهنا فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما
يذكرون فأرسلت حرا كبيرة إلى هرة من تلك الهرة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي
كانت عندها فتغلقت في السد وحفرت حتى أدهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد دخلا
فدخل منه حتى اقتنع السد وقاض الماع حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومن قوا كل
ممنزق حتى صاروا مثل عند العرب يقولون ذهبوا أي سبوا وتفرقوا أي أبادى سبأ فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم
سيل العرم) وبدلناهم بجنتين ذواتي أكل لحظ) قيل هو شجر الأراك وعمره البربر وقيل كل نبت أخذ
طعمها من الحرارة حتى لا يمكن أكله فهو حط وقيل هو عر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش
بتفرك ولا ينتفع به (واثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه (وشي من سدر قليل)
هو شجر معروف ينتفع بورق في الغسل وعمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدر

قوله (بلدة طيبة ورب غفور) أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أصحاب البلاد تخرج المرأة على رأسها المكنتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيميتلئى المكنتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بهما من الغرباء يموت قبله لطيب هوائها (فاعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة (فارسلنا عليهم سيل العرم) أي المطر الشديد أو العسرم اسم الوادي أو هو الجر الذي نقب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجر فنقبه من أسفل فغرقهم (وبدلناهم بجنتين) المذكورتين (جنتين) وتسمية البدل جنتين للمساواة وازدواج الكلام كقوله وجزأ سيئة

سنة مثلها (ذواتي أكل لحظ) الأكل الثمر ينقل ويخفف وهو قرعة نافع ومكي والحظ شجر الأراك وقيل كل شجر ذي شوك ربا (واثل وشي من سدر قليل) الأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود وودادو وجه من فون الأكل وهو غير أبي عمرو أن أصله ذواتي أكل كل لحظ خذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالحظ كأنه قيل ذواتي أكل بشع ووجه أبي عمرو أن كل الحظ في معنى البربر وهو عر الأراك إذا كان غضا فكانه قيل ذواتي بربر والأثل والسدر معطوفان على أكل لعل الحظ لان الأثل لا أكله وعن الحسن قال السدر لانه أكرم ما بدلوا لانه يكون في الجنان

ذلك جزيناهم عما كفر وا) أي جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وهل يجازى الالكفور) كوفي غير أبي بكر وهل يجازى الالكفور غيرهم يعني وهل يجازى مثل هذا الجزاء الامن كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله وهل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى الابانة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام (وجعلنا بينهم) بين سبا (وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة ترى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لا عين الناظر من أوطاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهي أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا هذه القرى على مقدار (٤٨٧) معلوم يقبل المسافر في قرية بقرى روح في

أخرى إلى أن يبلغ الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول نعمة ولكنهم لما مكثوا من السير وسويت لهم أسبابه فكانهم أمروا بذلك (ليالي وأياما آمنين) أي سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أي سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا (سبأ واما ما لبسنا) وان تقاوت مدة سفركم وامدت أياما وليالي (فقالوا ربنا يا عبدنا أسفارنا) قالوا يا ليتنا كانت بعيدة فسير على نجابتنا ونرجع في التجارات ونفخر في الدواب والأسباب بطر والنعمة وملاوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكي وأبو عمرو (وظلوا) بما قالوا (أنفسهم) فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (ومرقتناهم كل مرق) ومرقتناهم تفرقناهم تفرقنا

بريلا يصلح لشي قبل كان شجر القوم من خير الشجر فبصره الله من شر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم عما كفروا) أي ذلك الذي فعلناهم جزاء كفرهم (وهل يجازى إلى الكفور) أي هل يكافأ بعمله الالكفور لله في نعمه قبل المؤمن يجزي ولا يجازى يجزي بحسناته ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقرىها منها قبل كان متجرهم من لين إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبا إلى الشام وقيل كانت قرىهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغد والراح على قدر نصف يوم فإذا ساروا النصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أي وقلنا لهم سيروا (فيها ليالي وأياما) أي في أي وقت شئتم (آمنين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطر والنعمة وتسموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقلوا لو كانت جناتنا أبعدهم ما كنا نشتتها وطأوا الكد والتعب في الأسفار (فقالوا ربنا عبدنا أسفارنا) وقرى باعدين أسفارنا أي اجعل بيننا وبين الشام مقارز وفلوات لتركب فيها الزاحل ونتردد الأرزاد فلما تم ذلك جعل الله لهم الاجابة (وظلموا أنفسهم) أي بالبطر والطغيان (فجعلناهم أحاديث) أي عبرة ان بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومرقتناهم كل مرق) أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفرق قبل لما عرفت قرىهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلهقوا بالشام ومر الأزد إلى عمان وخراعة إلى تهامة ومر الأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمر بن عامر وهو جد الأوس والخزرج ولحق آل خزاعة بالعراق (ان في ذلك لايات) أي عبرة ودلالات (لكل صبار) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قبل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر ﴿قوله عز وجل﴾ (واقصد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على أهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فرى بقاء من المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظره فانظره الله قال لا غوينهم ولا ضلهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنهم فيهم وقال الحسن انه لم يسئل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاعتروا (وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسلطنا اياه عليهم (الان تعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك) أي لنرى وغير المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذا كان معلوما عنده لانه عالم الغيب (وربك على كل شيء حفيظا) أي رقيب وقيل حفيظا بمعنى حافظ ﴿قوله تعالى﴾ (قل) أي قل يا محمد

اتخذوا الناس مثالا ضروريا يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا ابادى سبا فلهق غسان بالشام وانما يثرب وجزام بتهامة والأزد بعمان (ان في ذلك لايات لكل صبار) عن المعاصي (شكور) للنعم أول كل مؤمن لان الامان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (واقصد صدق عليهم ابليس ظنه) بالتشديد كوفي أي صدق عليهم ظنه أو وجد صدقوا بالتخفيف غيرهم أي صدق في ظنه (فاتبعوه) الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبا وأولئى آدم وقال المؤمنون بقوله (الافر بقاء من المؤمنين) لغائتهم بالاضافة إلى الكفار ولا تجردا كثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا (من سلطان) من تسلط واستيلاء بالسوسة (الان تعلم) موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك) من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ووربك على كل شيء حفيظا) يحافظ عليه وفعل ومفاعيل متاخمات (قل) لمشرك قومك

ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي زعمتم مؤنثهم آلهة من دون الله فالمفعول الاول الضمير الراجع الى الموصول وحذف كاحذف في قوله
أهدا الذي بعث الله استخفا فالاول الموصول بصحته والمفعول الثاني آلهة وحذف لانه موصوف صفة من دون الله والموصوف يجوز
حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا لمفعول لازم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام
والملائكة وسميتموهم باسمه والتجوا اليهم فيما يعرفونكم كما تجتئون اليه وانتظروا واستجابتم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أحبب عنهم بقوله (لا
يملكون مثقال ذرة) من خسر أو شرب أو فزع أو ضرر (في السموات ولا في الارض) وما لهم فيها من شرك) وما لهم في هذين الجنسين من شركة في
الخلق ولا في الملك (وماله) تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) من عوين بعينه على تدبير خلقه يريدانهم على هذه الصفة من العجز فكيف
يصح ان يدعوا كما يدعي ويرجوا (٤٨٨) كما يرجي (ولا تنتفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أي أذن له الله بمعنى الامن وقع الاذن للشفيع

لاجله وهي اللام الثانية
في قولك أذن لزيد لعمر
أي لاجله وهذا تكذيب
لقولهم هو لاء شفعاؤنا عند
الله أذن له كوفي غير عاصم
الا لعاش (حتى اذا فرغ
عن قلوبهم) أي كشف
الفرغ عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بكامة يتكلم
بهم ارب العزة في اطلاق
الاذن وفرغ شأى أي الله
تعالى والتفريع ازالة
الفرغ وحتى غاية لما فهم
من ان ثم انتظارا للاذن
وتوقفا وفرغا من الراجين
للشفاعة والشفعاء هل
يؤذن لهم أولا يؤذن لهم كانه
قبل يتر بصون ويتوقعون
مليافعين حتى اذا فرغ
عن قلوبهم (قالوا) سأل
بعضهم بعضا (ماذا قال
ربكم قالوا) قال (الحق)
أي القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة فان ارتضى

لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أي انهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي
تزل بكم في سنى الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض)
يعنى من خسر وشرب ونفع وضر (وما لهم) أي لا آلهة (فيهما) أي في السموات والارض (من شرك) أي
من شركه (وماله) أي الله (منهم) أي من الآلهة (من ظهير) عوين (ولا تنتفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
له) أي أذن الله في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هو لاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز ان يكون
المعنى الا لمن أذن الله في أن يشفع له (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) معناه كشف الفرغ وأخرج عن قلوبهم قبل
هم الملائكة وسبب ذلك من غشبية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فرغ عن قلوبهم
(قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلى الكبير) والترمذي اذا قضى الله في السماء أمرا
ضربت الملائكة باجنحتها خضعوا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق وهو العلى الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعوا جاع خاضع وهو المنقاد المعطش
والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة
كبر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا زالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فرغ عن قلوبهم فيقولون
يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أوداد الصلصلة صوت الاحراس الصلبة بعضها
على بعض وقيل انما يفرعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفتره بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
خمس مائة سنة أو ستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كام جبريل
بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة طنونا ثم الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند
أهل السموات من أسراط الساعة فصعقوا مسموعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل
كل سماء فكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو
العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفرغ عن قلوبهم عند نزول الموت قالت
الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لقامة انجبت عليهم قالوا الحق فاقرباه حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى
الكبير أي ذوالعلا والكبير باء قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والارض) يعنى المطر والنبات
(قل الله) يعنى ان لم يقولوا ان رزقنا هو الله فقل أنت ان رزقكم هو الله (وانا اياكم لهدى أو فى ضلال
مبين) معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الهدى يقين مهتد والآخر ضلال وهذا ليس على طريق

(وهو العلى الكبير) ذوالعلا والكبير باء ليس ملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم الا بذنه وأن يشفع
الان ارتضى (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله) أمره بان يقر وهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بان يتولى الاجابة والاقرار
عنهم بقوله رزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقولهم الا انهم رعبا أو ان يتكلموا به لانهم ان تفر هو ايمان الله رزقهم لانهم ان يقال
لهم فالكلم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم
بالسنتهم لم ينفعهم عنه (وانا اياكم لهدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفر يقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الامرين
من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصف صاحبك وفي درجه بعد تقدم
ما قدم من التفر برلالة غير خفية على من هو من الفر يقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض
ونحوه قولك لا كاذب ان أحدنا كاذب ونحوه بين حوى الجر الداخلين على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كانه مستعمل على فرس جواد

يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه (قل لا أنسئلون عما أجرمنا ولا نسئل من ساءت أعمالون) هذا أدخل في الانصاف
من الأوّل حيث أسند الاجرام الى المخاطبين وهو من جور عندهم محذور والرجوع الى المخاطبين وهو ما مور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا) يوم
القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتح) الحاكم (العليم) الحاكم (قل أروني الذين ألحقتم) أي الحقّة وهم (به)
بأنه (شركاء) في العبادة مع ومعنى قوله أروني وكان يراهم ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وأن يطاعهم على حالة الاشرار به
(كلا) ردع وتنبية أي اردعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو خير الشأن (الحكيم)
في تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الارسالة عامة لهم محيطتهم لانها اذا شملتهم فقد (٤٨٩) كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال

الزجاج معنى الكافة في اللغة
الاحاطة والمعنى أرسلناك
جامعا للناس في الانذار
والابلاغ فجعله حال من
الكاف والتاء على هذا
للمبالغة كتاء الراوية
والعلامة (بشيرا) بالفضل
لمن أقر (ونذرا) بالعدل
لمن أصر (ولكن أكثر
الناس لا يعلمون) فيجعلهم
جهلهم على مخالفتك
(ويقولون متى هذا الوعد)
أي القيامة المشار اليها في
قوله قل يجمع بيننا ربنا ان
كنتم صادقين قل انكم ميعاد
اليوم الميعاد ظرف الوعد
من مكان أو زمان وهو هنا
الزمان ويدل عليه قراءة
من قرأ ميعاد يوم فابدل منه
اليوم وأما الاضافة فاضافة
تبيين كما تقول بعير سانية
(لا تستأخرون عنه ساعة
ولا تستقدمون) أي لا
يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال
ولا التقدم اليه بالاستمهال
وروجه انطباق هذا الجواب
على سؤالهم انهم سألوا
عن ذلك وهم منكرون له

السلوك بل على جهة الالتزام والانصاف في الخراج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب
فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالكذب
ومنه بيت حسبان أتبعوه وولدت له بكف * فشر كالحير كما الفداء
وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية ان العلي هدى وانكم كن في ضلال مبين (قل لا أنسئلون عما أجرمنا) أي
لا تؤاخذون به (ولا نسئل عما تعملون) أي من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغائر والزلات
التي لا يتخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعني يوم القيامة (ثم يفتح)
أي يقضى ويحكم (بيننا بالحق) أي بالعدل (وهو الفتح) أي القاضي (العليم) أي بما يقضى (قل أروني)
أعلموني (الذين ألحقتم به) أي بالله (شركاء) أي الاصنام التي أشركوها معه في العبادة هل يخلقون أو
يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله (كلا) كتردد عنهم عن مذهبهم والمعنى
اردعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) أي في تدبير
خلقهم فإني يكون له شريك في ملكه ﴿قوله عز وجل﴾ (وما أرسلناك الا كافة للناس) أي للناس كالم عامة
أجرهم وأسودهم عرب بهم وعجمهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد
(ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فإني أوجئ من أمي أدركته الصلاة
فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي تخص الله بها نبياً محمداً صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء
وان هذه الخمسة لم تكن لأحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس
والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فعمت رسالته نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق
وهذه دوحية تخص بمداون سائر الانبياء عليه وعالمهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كفا
تكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذرا) أي لمن كفر
بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل)
انكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم
الموت ولا تتأخرون عنه ميان يرا في آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن به) هذا القرآن
ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والانجيل (ولو ترى) أي يا محمد (اذا الظالمون موقوفون عند ربهم
يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادون أطراف المحاورة
او يتراجعونها بينهم لم رأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم

(٦٢ - خازن) - ثالث) نعمت الاسترشاد اذ جاء الجواب على طريق التوسيد مطابقا للسؤال على الانكار والتعنت وأنهم
مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخر عنه ولا تقدم عليه (وقال الذين كفروا) أي أوجهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي
بين يديه) أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى انهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لمبادل عليه من
الاعادة للجزء حقيقة (ولو ترى اذا الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم الى بعض القول) في الجدل أخبر عن
عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولعنا بظنهم في الآخرة موقفهم وهم يتجادون أطراف
المحاورة يتراجعونها بينهم لم رأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) أي الاتباع (للذين استكبروا) أي للذين استكبروا

أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق (من يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم) ما شرطية في موضع النصب (من شيء) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المطعمين لان كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيره فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق خالق الاسباب التي هي منتفع الرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي أو جدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي (و يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) وبالبايع فيها حفص ويعقب هذا خطاب للملائكة وتقر بع لا كفار وورد على المثل السائر * اياك أعنى واسمعي يا جاره ونحوه قوله أنت قلت للناس اتخذوني الآية (قالوا) أي الملائكة (سبحانك) تنزيها لك أن يعبدوا عن غيرك (أنت ولينا) الموالاته خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالي والموالي جميعا والمعنى أنت (٤٩١) الذي نواليه (من دونهم) اذ لا موالاته بيننا وبينهم فينبوا باثبات موالاته الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها أو صور لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها

انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون) قوله عز وجل (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كثر لا ينفد واما بالثواب في الآخرة الذي كل خلفه دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك واسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا لامر اسكان يتزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط مسكنا خلفا (م) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى و رزق لان كل ما رزق غيره من سلطان رزق جنده أو سيد رزق بلو كه أو رجل رزق عباده فهو من رزق الله أجراه الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه (قوله تعالى) (و يوم نحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تقر بع وتقر بر لا كفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك (وهو قوله تعالى) (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاك ولا تتولاهم فينبوا باثبات موالاته ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صور والهم صور اذ قالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم) أي مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعاة (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لانفع عندهم ولا ضرر) ونقول للذين ظلموا واذوقوا عذاب النار التي كتبتم بها تكذيبون واذ اتبلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفتري) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا والحق لما جاءهم ان هذا الا صحر مبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدرونها) أي يقرؤها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التي كتبتم بها تكذيبون) في الدنيا (واذا تبلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الرجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الافك مفتري) وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن وأوامر النبوة كه (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بجهله (ان هذا) أي الحق (الاصح مبين) بتوه على انه صحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماء بحرا (وما آتيناهم من كتب يدرونها) أي ما أعطيناهم من كتب يدرونها فإني هو ان على حجة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذير يندرونها بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله

انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون) قوله عز وجل (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كثر لا ينفد واما بالثواب في الآخرة الذي كل خلفه دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك واسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا لامر اسكان يتزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط مسكنا خلفا (م) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى و رزق لان كل ما رزق غيره من سلطان رزق جنده أو سيد رزق بلو كه أو رجل رزق عباده فهو من رزق الله أجراه الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه (قوله تعالى) (و يوم نحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تقر بع وتقر بر لا كفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك (وهو قوله تعالى) (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاك ولا تتولاهم فينبوا باثبات موالاته ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صور والهم صور اذ قالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم) أي مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعاة (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لانفع عندهم ولا ضرر) ونقول للذين ظلموا واذوقوا عذاب النار التي كتبتم بها تكذيبون واذ اتبلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفتري) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا والحق لما جاءهم ان هذا الا صحر مبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدرونها) أي يقرؤها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التي كتبتم بها تكذيبون) في الدنيا (واذا تبلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الرجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الافك مفتري) وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن وأوامر النبوة كه (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بجهله (ان هذا) أي الحق (الاصح مبين) بتوه على انه صحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماء بحرا (وما آتيناهم من كتب يدرونها) أي ما أعطيناهم من كتب يدرونها فإني هو ان على حجة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذير يندرونها بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله

المراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التي كتبتم بها تكذيبون) في الدنيا (واذا تبلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الرجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الافك مفتري) وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن وأوامر النبوة كه (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بجهله (ان هذا) أي الحق (الاصح مبين) بتوه على انه صحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماء بحرا (وما آتيناهم من كتب يدرونها) أي ما أعطيناهم من كتب يدرونها فإني هو ان على حجة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذير يندرونها بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله

(وكذب الذين من قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرن الخالية الرسل كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتي الأتولون من طول الاعمار وقوة الاحرام وكثرة الاموال والارلاد (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) للمكذبين الأتولين فليحذر ومن مثله وبالبياء في الوصل والوقف يعقوب أي تخين كذبوا رسلهم جاههم انكارى باى التدمير والاستئصال ولم يعن عنهم استظهارهم بمسألهم مستظنون فبالهؤلاء وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وقع من الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل انما أعظمكم بواحده) بخصلة واحدة وقد فسرهاب قوله (أن تقوموا) على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير وهى أن تقوموا والنصب على تقدير وأراده بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده أقيام القصد الى الشئ ذون النهوض والانتصاب والمعنى انما أعظمكم بواحده ان فعلت بها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا (الله) أي لوجه الله خالصا للجمية ولا عصبية بل لطاب الحق (مثنى) اثنين اثنين (وفردى) فردا فردا (ثم تنفكروا) (٤٩٢) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتنفكران ويعرض كل واحد

منهما محصل فذكره على صاحبه وينظر ان فيه نظر الصدى والانصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفردية تنفكر في نفسه بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفردى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الزوية ويقبل الانصاف فيه ويؤثر الاعتراف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وتنفكروا معطوف على تقوموا (ما بصاحبكم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنه) واهنى ثم تنفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنه ان هو

نبي ولا أنزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أي من الامم السالفة رسلنا (وما بلغوا) يعنى هؤلاء المشركين (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم يحذر بذلك كفارهم هذه الامه عذاب الامم الماضية قوله عز وجل (قل انما أعظمكم) أي أمركم وأوصيكم (بواحده) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (أن تقوموا لله) أي لاجل الله (مثنى) أي اثنين اثنين (وفردى) أي واحدا واحدا (ثم تنفكروا) أي تجتمعا جميعا فتتفكروا وتتجاوزوا وتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن (ما بصاحبكم من جنه) ومعنى الآية انما أعظمكم بواحده ان فعلت بها أصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تنفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتنفكران ويعرض كل واحد منهما محصل فذكره على صاحبه لينظر افيه نظر متصادفين متنافسين لا يميل بهم ما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر في نفسه أيضا بعدل ونصفه هل رأيت في هذا الرجل جنونا فاقطأ أوجر بنا عليه كذا بقا وقد علمت ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنه بل قد علمت انه من أرحم قريش عقلا وأزهد حلما وأحدهم ذهنا وأرصنهم رأيا وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويدعون به واذا علمتم ذلك فكفاكم ان تطالبوا بآية واذا جاءها تبين انه نبي نذير من صادق فيما جاءه به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تنفكروا أي في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنه (ان هو الانذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (فهو لكم) أي لم أسألكم شيئا (ان أجرى) أي ثوابي (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق) أي يأتي بالوحى من السماء فيقذفه الى الانبياء (سلام الغيوب) أي خفيات الامور (قل جاء الحق) أي القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعبد) أي ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدي شيئا أو تعبدوه وقيل

الانذير لكم بين يدي عذاب شديد) قد ام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي الساعة نبيين انه الباطل لا يطلب أجر على الانذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على انذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط تقد ره أى شئ سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفي مسئلة الأجر رأسا نحو ما لى في هذا فهو لك أى ليس لى فيه شئ (ان أجرى) مدنى وشامى وأبو بكر وحفص ويسكون البياء غيرهم (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) فيعلم انى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف بالحق) بالوحى والقذف توجه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار اعنى الالتقاء ومنه وزف في قلوبهم الرعب ان قد فيه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يري به الباطل فيدمغه ويذقه (علام الغيوب) سرفوع على البدل من الضمير فى يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعبد) أى زال الباطل وهالك لان الابداء والاعادة من صفات الحى فعدمها عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يعانها بعدد معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعبد وقيل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل أولانه هالك كما قبل له الشيطان من شاط اذ هالك أى لا يخلق الشيطان

ولا الصنم أحد اوليها فأنشئ والباعث هو الله ولم قالوا قد ضللت بئر لادين آباءك قال الله تعالى (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على نفسي) ان ضللت فني وعلى (وان اهتديت فبما يوحى الى ربي) أي فينسد يده بالوحى الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فأنما اهتدي لها كقوله فن اهتدي فلنفسه ومن ضل فأنما يضل عليها ولكن هماما متقابلا بمعنى لان النفس كل ما هو وبال علمها واضرار لها فهو بها وبسببها لان الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فهداية زهره وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكاف وانما أمر رسوله أن يسدده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحتها مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أوله به (انه سميع) لما أقوله لكم (قريب) أي ومنكم يحجاز بنى ويحجازكم (ولو ترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما او حالها هائلة (اذ فرعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلا فون) فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا بسببه فونه (وأخذوا) مطلق على فرعوا وأخذوا فلا فون لهم أو على لا فون على معنى اذ فرعوا فمرفوقوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف الى النار اذا ذابوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنابه) محمد عليه السلام ار ورد ذكره في قوله ما يصاحبكم من جنه أو بالله (وإني لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريدان التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا

(٤٩٣)

الشئ من غلوه كما يتناول الآخرون من قيس ذراع التناوش بالهمزة أبو عمرو وكوفي غير حفص همز الواولان كل وارمضومة ضمها لازمة ان شئت ابدلتها همزة وان شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وان شئت قلت ادور وتقاوم وعن ثعلب التناوش بالهمزة التناول من بعددو بغير همز التناول من قرب (وقد كفر وابه من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويقذفون بالغيب) معطوف على قد كفر وعلى حكاية الحال

الباطل هو إبليس والمبني لا يخلق إبليس أحد ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقبل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فأنما أضل على نفسي) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آباءك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون أنتم فأنما أضل على نفسي أي اثم ضللت على نفسي (وان اهتديت فيما يوحى الى ربي) أي من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) قوله عز وجل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ فرعوا) أي عند البعث أي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فون) أي لا يفوتون ولا نجاة لهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحينما كانوا فانهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذ فرعوا لرأيت أمرا تعتبر به (وقالوا آمنابه) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وإني لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا اذ ضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وإني لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمد صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث ولا الجنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كفعل بشياعهم) أي بنظر انهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والايمان في وقت اليأس (انهم كانوا

الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا الجنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والصواب وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه حيرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعثي مما جاء به السحر والشعر وابعثشي من عادته التي عرفت بينهم وحيث الكذب ويقذفون بالغيب عن أبي عمرو وعلى البناء للمفعول أي تأتيتهم به شيئا طينهم وياقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنابه على انه مثاهم في طاهم تحصيل ما عدلوه من الايمان في الدنيا بقوله آمنابي الآخرة وذلك مطلب مستبعد عن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في حقوقه حيث يريدان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز ان يكون الضمير في آمنابه للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من ان يمدبنا قانسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تقاس على دار التكليف (وحيل) ويحجز (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاتيه من النار والنور بالجنة ومن رد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله ارجعنا نعمل ما جاور الافعال التي هي فرعوا وأخذوا وحيل كلها الماضي والمراد به الاستقبال لتحقيق وقوعه (كفعل بشياعهم من قبل) باشياهم من الكفرة (انهم كانوا

في شك) من أمر الرسل والبعث (مرئب) موقع في الرية من أراه إذا أوقفه في الرية هذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله أعلم
 * (سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الجليلة) حمداته تعاليمها وتعظيمها (فاطر السموات)
 مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري معنى الفاطر حتى اخصم الى اعرابيين في بئر فقال أحدهما أنا فاطرهما أي
 ابتدأتهما (والارض جاعل الملائكة رسلا) الى عبادته (أولى) ذوى اسم جمع لذرو وهو يدل من رسلا أو نعت له (أجنحة) جمع جناح (مثنى
 وثلاث ورباع) صفات لأجنحة وانما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك انها عدلت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ أخر كما عدل عمر عن
 عامر وعن تكرر برالى غير تكرر بروقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنتان اثنتان أى اكل واحد منهم
 جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في
 الخلق) أى يزيد في خلق الأجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في
 العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورته وتتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وحزله في
 الرأى وذلاقة في اللسان ومحبة (٤٩٤) في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفيض الله

في شك) أى من البعث ونزول العذاب بهم (مرئب) أى موقع الرية والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
 * (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة) *
 وهى مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفاً *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 قوله عز وجل (الجليلة فاطر السموات والارض) أى خالقةها ومبتدعها على غير ما شال سبق (جاعل الملائكة
 رسلا) أى الى الانبياء (أولى الأجنحة) أى ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى بعضهم له جناحان وبعضهم
 له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء قال عبد الله بن
 مسعود في قوله لا قدر أى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل في قوله يزيد في
 الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتتمامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز
 (ان الله على كل شئ قدير) أى مما يريد أن يخلقه وقوله تعالى (ما يفيض الله للناس من رحمة) قبل المطر وقيل
 من خير ورزق (فلا تمسك لها) أى لا يستطيع أحد حبسها (وما تمسك فلامرسله من بعده) أى لا يقدر
 أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أى فيما أمسك (الحكيم) أى فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبه ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على
 كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدم منك الجد والجد الغنى والخت أى
 لا ينفع المجتوث والغنى حظه وغناه لان ما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك وقوله عز وجل (يا أيها
 الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات
 عنهم (هل من خالق غير الله) أى لا خالق الا الله وهو استنفاهم تفر برؤوب (برزقكم من السماء) يعنى
 المطر (والارض) أى النبات (لا اله الا هو فاني توذكون) أى من أين يقع لكم الافل والتسكذيب بتوحيد
 الله وانكار البعث وأنتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسلك) (من قبلك)

للناس من رحمة) نكرت
 الرحمة للاشاعة والاهام
 كانه قال من آية رحمة رزق
 أو مطر أو حصة أو غير ذلك
 (فلا تمسك لها) فلا أحد
 يقدر على امساكها وحبسها
 واستعير الفتح للاطلاق
 والارسال الأثرى الى قوله
 (وما تمسك) يمنع ويحسب
 (فلا مرسل له) مطابقه
 (من بعده) من بعد امساكها
 وأنت الضمير الراجع الى
 الاسم المتضمن معنى الشرط
 على معنى الرحمة ثم ذكره
 جملاً على اللفظ المرجع
 اليه اذ لا نأينث فيه لان
 الاوّل فسر بالرحمة فحسن
 اتباع الضمير التفسير ولم
 يفسر الثاني فترك على
 أصل التذكير وعن

معاد مرفوع لا تزال يد الله مبسوطه على هذه الامّة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم
 وتعين قراؤهم أمراءهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم)
 الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمت الله عليكم) وهى التى تقدمت
 من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عمد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفته لديه والى زيادة في الخلق وفتح ابواب الرزق ثم نبه
 على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وحزرة على
 الوصف لفظاً (برزقكم) يجوز ان يكون مستأنفاً ويجوز ان يكون صفة لخالق (من السماء) بالمطر (والارض) بانواع النبات (لا اله الا
 هو) جملة مفصولة لا محل لها (فاني توذكون) فبأى وجه نصر فون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسلك) نعى به
 على قريش سوء تلقىهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له فى الانبياء قبله اسوة ولهذا نكر رسلك أى رسلك ذو وعدد كذبت رسلك وأولو آيات
 ونذر وأهل اعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلم له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لان الجزاء يتعقب
 الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقاً عليه ووضع فقد كذبت رسلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أى بالتكذيب عن

التأسي (والى الله ترجع الامور) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه وبجازاة المكذب والمكذب بما يستحقها
 ترجع بفتح التاء شأى وحزرة وعلى ويعقوب وخلف وسهل (يا أيها الناس ان وعد الله حق) كائن (فلا تغرنكم الحياة
 الدنيا) فلا تغد عنكم الدنيا ولا يذهبنكم المتعجب او التلذذ بما فيها من العمل لا تخزوه وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى
 الشيطان فإنه عنكم الايمان الكاذبه ويقول ان الله غفى عن عبادك وعن تكذيبك (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بآيكم ما فعل
 وانتم تعلمونه معاملة من لا علم له بأحواله (فانخذوه عدوا) فى عقائدكم وافعالكم ولا يوجد منكم الا ما يدل على معادته فى سرهم وجهركم
 ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى يؤممه فى دعوة شيعته هو ان يوردهم ورد الهالك بقوله (انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب
 السعير) ثم كشف الغطاء فى الامر كله على الاعيان وتركه فقال (الذين كفروا وهم عذاب شديد) أى فى آجابه حين دعاه فله عذاب شديد
 لانه صار من حزبه أى أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) ليكبر جهادهم
 ولما ذكر الغر يقين قال لئيبه عليه السلام (أئن زين له سوء عمله فرآه حسنا) بتزيين الشيطان لمن يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (٤٩٥) وذكر الزجاج ان المعنى أفن زين له
 سوء عمله ذهبت نفسك عليه

يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أى فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه ﴿قوله﴾
 تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد القيامة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى لا تغد عنكم بلذاتها
 وما فيها من عمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى لا يقل لكم اعمالوا ما شئتم فان الله يغفر
 كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى عادوه بطاعة
 الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (انما يدعوا حزبه) أى أشباعه واوليائه (ليكونوا من
 اصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا وهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) ﴿قوله عز وجل﴾ (أئن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت فى أبى جهل
 ومشركي مكة وقيل نزلت فى اصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم
 وايس اصحاب الكفار من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين
 له شبهه وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفى الآية حذف مجازة أفن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا
 كمن هده الله فرأى الحق حقا او الباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وقيل مجازا الآية
 أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء
 والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليهم بما يصنعون)
 فيه وعيسى بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا) أى ترجمه من مكانه وقيل تجمعه
 وتجي عبه (فسقناه) أى فسوقه (الى بلاد ميت فأحييناه الارض بعد موتها كذلك النشور) أى مثل
 احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن أبى رز بن العقبلى قال قلت لرسول الله كيف
 يحيى الله الموتي وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد أهلك بحلالتهم مررت به يترخصر قلت نعم قال
 كذلك يحيى الله الموتي وتلك آية من خلقه ﴿قوله﴾ تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من
 كان يريد أن يعلم ان العزة لله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء الى

حسرة فحذف الجواب
 دلالة فلا تذهب نفسك
 عليه أو أفن زين له سوء
 عمله كمن هده الله فحذف
 دلالة فان الله يضل من
 يشاء ويهدى من يشاء
 عليه فلا تذهب نفسك
 يزيد أى لانهم لم يحسرات
 مفعول له يعنى فلان تلك
 نفسك للحسرات وعليهم
 صلة تذهب كما تقول هلك
 عليه حيا ومات عليه حزنا
 ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
 لان المصدر لا يتقدم عليه
 صلته (ان الله عليهم بما
 يصنعون) وعيد لهم
 بالعقاب على سوء صنيعهم
 (والله الذى أرسل الرياح)
 الريح مكي وحزرة على (فتثير

سحابا فسقناه الى بلاد ميت) بالتشديد مدنى وحزرة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فأحييناه) بالمدار لتقدم ذكره ضمنا (الارض بعد
 موتها) يبسه او انما قيل فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها اثاره الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة البانية وهكذا يفعلون
 بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلاد الميت وحياء الارض بالمطر بعد موتها كما كان من الدليل على
 القدرة الباهرة قيل فسقناوا أحييناه معدولا لهم ما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكفاف فى محل
 الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه اجساد الخلق (من كان يريد
 العزة فلله العزة جميعا) أى العزة كلها مختصة بالله عزة الانبياء وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله
 آلهة ليكونوا لهم عزوا الذين آمنوا بالسنتهم من غير موأطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
 المؤمنين أيتبعون عندهم العزفات العزة لله جميعا فىين أن لا عزة الا بالله والمعنى فلما طلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضع استغناء عنه
 به لادلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه وما لكم نظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الارار تريد فاطلبها عندهم الا انك أقت
 ما يدل عليه مقامه وفى الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العز زين من أراد عز الدارين فليطع العز زين ثم عرف ان ما يطلب به العزة هو الايمان
 قوله وقيل مجازا الآية الخ يعلم ما ذكره الامام النسفى عن الزجاج انه غير ما يهجر فليأمل اه

والعمل الصالح بقوله (اليه به عد السكام العليب والعمل الصالح برفعه) ومعنى قوله اليه الى محل القبول والرضا وكل ما ائصف بالقبول وصف
 بالرفعة والعود اوالى حيث لا ينفذ فيه الاحكامه والسكام الطيب كإمانات التوحيد أى لاله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس
 بينه وبين واحد الا التام يذكرون وتوالى العمل الصالح العباداة الخالصة يعنى والعمل الصالح برفعه السكام الطيب فالرافع السكام والمرفوع
 العمل لانه لا يقبل عمل الامن موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل أى العمل الصالح برفعه الله وقبه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع
 والسكام الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح برفع العامل ويشرفه أى من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فانه هو الذى يرفع العبد (والذين
 يكفرون السيئات) هى صفة لصدر صذوف أى المكبرات السيئات لان مكبر فعل غير متعد لا يقال مكبر فلان قوله والمراد مكبر قرئ بشبه عليه
 السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة (٤٩٦) كإمانات الله تعالى واذا يكبر بك الذين كفروا واليه تولى الآتية (لهم عذاب شديد)

طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز
 فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولا وليا لله المؤمنين (اليه) أى الى الله (به عد السكام الطيب) قيل هو قول
 لاله الا الله وقيل هو سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر روى البغوى باسناده عن ابن مسعود قال
 اذا حدثتكم حديثا أنبأ تكلمكم صدق من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه الله
 والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على
 جمع من الملائكة الاستغفر والقائلهن حتى يحجى بهن اوجع رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد
 السكام الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفى اسناده الخراج بن نصير ضعيف وقيل السكام الطيب
 ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه به عد أى يقبل الله السكام الطيب (والعمل الصالح برفعه) قال ابن عباس أى
 يرفع العمل الصالح السكام الطيب وقيل السكام الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فن ذكر الله ولم
 يؤذفرا. اضعد كلامه على عملة وليس الاعمان بالتمنى وليس بالتجلى واكن ما وفرى القلوب وصدفته الاعمال
 فن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا برفعه العمل ذلك أن الله يقول اليه
 يصعد السكام الطيب والعمل الصالح برفعه وجاء فى الحديث لا يقبل الله قولوا لا يعمل ولا قولوا ولا عملا الابنية
 وقيل الهاء فى برفعه واجعة الى العمل الصالح أى السكام الطيب برفع العمل الصالح فلا يقبل عملا
 الا أن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح برفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان
 الاخلاص سبب قبول الخبرات من الاقوال والافعال (والذين يكفرون السيئات) أى يعملون السيئات أى
 الشرية وقيل يعنى الذين مكفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وقيل هم أصحاب الربا (لهم عذاب
 شديد ومكبر أولئك هو بيور) أى يبطل وجهك فى الآخرة قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب)
 يعنى آدم (ثم من نطفة) يعنى ذريته (ثم جعلكم أزواجا) يعنى أصنافا ذكرانا وانانا وقيل زوج بعضهم بعضا
 (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) أى لا يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أى عمر
 آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب فى أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل
 من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا يقصر
 الا فى كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لاخر فقبل له ان الله
 تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز
 أن تزداد ذلك وتقرأ هذه الآية (الافى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أى كتابة الآجال
 والاعمال على الله هين قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعنى العذب والمالح ثم وصفها فقال (هذا
 عذب فرات) أى طيب يكسر العفاس (سائغ شرابه) أى سهل فى الخلق هنىء مرعى (وهذا ملح أبجاج) أى

فى الآخرة (ومكبر
 أولئك) مبتدأ (هو) فصل
 (بيور) خبر أى ومكبر
 أولئك الذين مكفروا وهو
 خاصة بيور أى يفسد
 ويبطل دون مكبر الله بهم
 حين أخرجهم من مكة
 وقتلهم وأثبتهم فى قلب
 بدر فجمع عليهم مكبراتهم
 جميعا وحقق فيهم قوله
 تعالى ويكفرون ويكفر الله
 والله خير الماكرين وقوله
 ولا يحق المكبر السبى الا
 بأهله (والله خلقكم) أى
 أبائكم (من تراب ثم)
 أنشأكم (من نطفة ثم
 جعلكم أزواجا) أصنافا أو
 ذكرانا وانانا (وما تحمل
 من أنثى ولا تضع الا بعلمه)
 هو فى موضع الحال أى الا
 معلومته (وما يعمر من
 معمر) أى وما يعمر من
 أحد وانما سماه معمر بما
 هو صائر اليه (ولا ينقص
 من عمره الا فى كتاب) يعنى
 اللوح أو صحيفة الانسان

ولا ينقص زيد فان قلت الانسان امام عمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصير فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه شديد
 ففعال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتساع فيه ثقة فى تأويله بافهام السامعين واتكالا على
 تسديد معناه بعبارة وهم وانه لا يلتبس عليهم حالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق
 أو تأويل الآية انه يكتب فى الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره فذلك نقصان عمره
 وعن قتادة المعمر من يبلغ سنين سنة والمنة ووص من عمره من يموت قبل سنين سنة (ان ذلك) أى احصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله يسير)
 سهل (وما يستوى البحران هذا) أى احدهما (عذب فرات) شديد العذوبة وقيل هو الذى يكسر العفاس (سائغ شرابه) مرعى سهل
 الانحدار العذوبة وبه يرتفع شرابه (وهذا ملح أبجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذى يحرق بملوحة

(ومن كل واحد منهما) (تأكون الجاطريا) وهو السمك (وتسخر جون حامية تلبسونها) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) في كل (مواخر) شواك الماء يجرمها يقال سخرت السفينة الماء أي شقته وهي جمع ماخرة (لتنبغوا من فضله) من فضل الله ولم يجره ذلك في الآتية ولكن فيما قبله ولولم يجرم بشكل للدلالة المعنى عليه (ولعلمك تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحر من العذب والمخ مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحر وما علق بهما من نعمه وعطائه ويحتمل غير طريفة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحر ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وحري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريفة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لياتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) يدخل من ساعات احدهما في الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وسخر الشمس والقمر) أي ذل أضواء صورته لاستواء سيره (كل يجري لأجل مسمى) أي يوم القيامة ينقطع حرمهما (ذلكم مبتدأ) الله بكم له الملك (أخبار مترادفة) والله بكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعني الاصنام التي تعبدونها من دون الله يدعون قتيبة (ما ملكون من قطعير) هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة (ان تدعوهم) أي الاصنام (لا يسمعون دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الغرض (ما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرون منها (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) بأشراككم (٤٩٧) لهم وعبادتكم اياهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبتك مثل خبير) (ولا ينبتك أيها الغتون) بأسباب الغرور كما ينبتك الله الخبير بخبايا الأمور وتحقيقه ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به ريدان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر الخبيرين به والمعنى ان هذا الذي أخبرتكم به من حال الاوتان هو الحق لاني خبير بما أخبرت به (يا أيها الناس أتمموا فقرائي الى الله) أي الى فضله وحسنه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغني) عن خاقه لا يحتاج اليهم (الجيد) أي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أي لا تخاذكم أندادوا وكفركم بآياته (ويات بخلق جديد) أي يخلق بعدكم من بعده ولا يشرك به شيأ (وما ذلك على الله بعزيز) أي بممتنع (ولا تزروا زوروا زوروا أخرى) أي ان كل نفس يوم القيامة لا تحتمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنوب غير هاتان قلت كيف الجمع بين هذه الآتية وبين قوله (ويحملن أثقالهم) وأثقالهم قلت هذه الآتية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك

شديد الملوحة يجرق الخلق بلوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعني من البحر من (تأكون الجاطريا) يعني السمك (وتسخر جون) أي من الملح دون العذب (حامية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) أي جوارى مقبله ومدبرة تخرج واحدة (لتنبغوا من فضله) أي بالتجارة (ولعلمك تشكرون) أي تشكرون الله على نعمه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله بكم له الملك (والذين تدعون من دونه) يعني الاصنام (ما ملكون من قطعير) هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (ان تدعوهم) يعني الاصنام (لا يسمعون دعاءكم) يعني انهم جماد (ولو سمعوا) أي على سبيل الغرض (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم وقيل مانفوعكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يتبرون منكم ومن عبادتكم اياها (ولا ينبتك مثل خبير) يعني نفسه أي لا ينبتك أحد مثلي لاني عالم بالاشياء (قوله تعالى) (يا أيها الناس أتمموا فقرائي الى الله) أي الى فضله وحسنه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغني) عن خاقه لا يحتاج اليهم (الجيد) أي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أي لا تخاذكم أندادوا وكفركم بآياته (ويات بخلق جديد) أي يخلق بعدكم من بعده ولا يشرك به شيأ (وما ذلك على الله بعزيز) أي بممتنع (ولا تزروا زوروا زوروا أخرى) أي ان كل نفس يوم القيامة لا تحتمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنوب غير هاتان قلت كيف الجمع بين هذه الآتية وبين قوله (ويحملن أثقالهم) وأثقالهم قلت هذه الآتية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك

(٦٣ - (خازن) - ثالث) الغني) عن الاشياء أجمع (الجيد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الاغنياء وذكر الجيد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غني نافع بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعموا واذا جاد وانعم حده المنعم عليهم قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغني ولهم بالفقر في ادعى الغني بحب عن الله ومن أظهر فقره وأصله فقره اليه فينبغي للعبد ان يكون مفتقرا بالسراية ومنقطعاعن العبر اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته ان لا يسأل من أحد وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقصد ار افتقار العبد الى الله يكون غنيا بالله وكما ازداد افتقار الازداد غني وقال يحيى الفخر خير للعبد من الغني لان المذلة في الفقر والكبر في الغني والرجوع الى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شيء والفقر اليه في كل شيء والرجوع اليه من كل شيء وقال الشبلي الفقر يجرب البلاء و بلاؤه كله عز (ان يشأ يذهبكم) كما تم الى العدم فان غناه بذاته لا يكم في القسدم (ويات بخلق جديد) وهو بدون حدكم جيد (وما ذلك) الانشاء والافناء (على الله بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبدوه لا يشرك به شيأ (ولا تزروا زوروا زوروا أخرى) ولا تحتمل نفس آثمة ثم نفس أخرى والوزر والوزر اخوان ووزر الشيء اذا حسله والوزر صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحتمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بنفس بذنب نفس كما تأخذ جبارة الدنيا الولي بالولي والجار واما

فيسل وازرة ولم يقل ولا تزرفس وزر أخرى لان المعنى ان النفوس الوازران لا ترى منهن واحدة الاحاملة وزرها الا وزر غيرها وقوله وليجعل
 انقالهم وانقالهم اتقالهم واردي الضالين المضلين فانهم يحمدون انتقال اضلال الناس مع انتقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شئ من
 وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ (وان تدع
 منقلبه) أي نفس منقلبه بالذنوب أحدا (الى حملها) نقلها أي ذنوبها التي تحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شئ ولو كان) أي المدعو وهو منهوم
 من قوله وان تدع (ذاقربي) ذاقربة تقر بيسة كاب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله ولا تزروا زرة وزر أخرى ومعنى وان تدع منقلبه الى حملها
 لا يحمل منه شئ ان الاول دال على عدل الله في حكمه وان لا يؤخذ بنفسا بغير ذنوبها والثاني في بيان انه لا ضيات يومئذ ان استغاث حتى ان نفسا
 قد انقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تحب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها (انما تنسذ الذين يخشون ربهم) أي
 انما ينتفع بانذارك هؤلاء (بالغييب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل
 بالغييب في السرح حيث لا اطلاع للغير عليه (واقاموا الصلاة) في مواقيتها (ومن تركها) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فانما يتزكى
 لنفسه) وهو اعتراض مؤكدهم (٤٩٨) واقامتهم الصلاة لانهم من جملة التزكي (والى الله المصير) المرجع وهو وعد لامتركي
 بالثواب (وما يستوى الا عمى

كله من كسبهم) (وان تدع منقلبه الى حملها) معناه وان تدع نفس منقلبه بذنوبها الى حل ذنوب غيرها (لا يحمل
 منه شئ ولو كان ذاقربي) أي ولو كان المدعو ذاقربة كلاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يعلق الاب
 والام بالابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي معالي (انما تنسذ الذين يخشون
 ربهم) أي يخافون ربهم (بالغييب) أي لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم (بالغييب
 واقاموا الصلاة ومن تركها) أي أصلح وعمل خيرا (فانما يتزكى لنفسه) أي لها ثوابه (والى الله المصير وما
 يستوى الا عمى والبصير) أي الجاهل والعالم وقيل الا عمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو
 المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار وقال ابن
 عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعني المؤمنين والكفار
 وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعني حتى يتعظ ويحجب (وما أنت بمسمع من في القبور)
 يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أي ما أنت الا منسذ
 تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أي بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وان
 من أمة) أي من جماعة كثيرة فقيم ماضى (الاخلا) أي سلف (فهانذروا) أي نبي منذر فان قلت كم من أمة
 في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آتار النذارة باقية لم تخل من نذير
 الا أن تندرس وحين اندرست آتار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآتار نذارته
 باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) أي
 بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف (وبالكتب المنيرة) أي الواضحة قيل أراد بالكتاب
 التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر كما كيدا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان
 تكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) يعني أجناسها من
 الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني ألوانها في الجررة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما

والبصير) مثل لكافر والمؤمن
 أو للجاهل والعالم (ولا
 الظلمات) مثل للكفر
 (ولا النور) للإيمان (ولا
 الظل ولا الحرور) الحق
 والباطل أو الجنة والنار
 والحرور الريح الحارة كالسموم
 الا ان السموم تكون
 بالنهار والحرور بالليل والنهار
 عن الفراء (وما يستوى
 الاحياء ولا الاموات) مثل
 للذين دخلوا في الاسلام
 والذين لم يدخلوا فيه وزيادة
 لالتأكيد معنى النفي
 والفرق بين هذه الواوات
 أن بعضها ضمت شفعا الى
 شفع وبعضها ترا الى وتر
 (ان الله يسمع من يشاء وما
 أنت بمسمع من في القبور)

يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فهدى من يشاء هدايته وأما أنت نفخي
 عليك أمرهم فذلك تحرص على اسلام قوم يخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينفعون بمسمعهم (ان أنت الا نذير) أي ما عليك الا ان
 تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك (انا أرسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محقا أو
 محقين أو صفة للمصدر أي ارسلنا المعصوم بالحق (بشيرا) بالوعد (ونذيرا) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أمتك والامة الجماعة الكثيرة
 وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آتار النذارة باقية فقيم ماضى عيسى ومحمد عليهما السلام فلم
 تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آتار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الاخلا) مضى (فهانذروا) بخوفهم وخامة الطغمان
 وسوء عاقبة الكفر ان واكتفى بالنذير عن البشيرة في آخر الآية بعدما ذكرهما لان النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذلك النذارة على ذكر
 البشارة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) (رسلمهم) جاءتهم رسلهم (بالبينات) بالمعجزات (وبالزبر) وبالصحف
 (والكتاب المنيرة) أي التوراة والانجيل والزبور وما كانت هذه الاشياء في جنسهم أسندا المجي عنها اللهم اسنادا مطلقة وان كان بعضها في
 جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبور والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت) عاقبت الذين كفروا (بأنواع
 العقوبة) فكيف كان تكبير) انكارى عليهم ونعدي لهم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها)

أجناسها من الزمان والنفاخ والتين والعنب وغيرهما مما لا يحصر أو هي اسمان الجرد والصفرة والخضرة ونحوها (ومن الجبال جدد) طرق
 مختلفة فاللون جمع جده كمد ومد (بيض وجرم مختلف ألوانها وغرابيب سود) جمع غرابيب وهو تاء كيد للاسود يقال أسود غرابيب وهو الذي
 أبيض في السواد وأغرابيبه ومنه الغراب وكان من حق التأكيديان يتبع المؤكد كقولك أصفر فافع الإنة أضمر المؤكد قبله والذي بعده
 تفسير للمضمر وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جمع اولاد من تقد ر حذف
 المضاف في قوله ومن الجبال جدد أي ومن الجبال ذو جدد بيض وجرم وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كقائل غرات مختلفا
 ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم
 تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدداً يات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من النظر المختلفة الاجناس وما استدله علمه وعلى صفاته
 اتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء به الذين علموه بصفاته فعضموه ومن (١٩٩) ازداد علمه بآزاد منه خوفاً ومن كان

علمه بآقل كان آمن وفي
 الحديث إعلمكم بالله
 أشدكم خشية وتقديم اسم
 الله تعالى وتأخير العلماء
 يؤذن ان معناه ان الذين
 يخشون الله من عباده العلماء
 دون غيرهم ولو عكس لكان
 المعنى انهم لا يخشون الا الله
 كقوله ولا يخشون أحد الا
 الله وبينهما نفاخ في الاول
 بيان ان الخاشعين هم العلماء
 وفي الثاني بيان ان الخشعي
 منه هو الله تعالى وقر أبو
 حنيفة وابن عبد العزيز
 وابن سيرين رضي الله عنهم
 انما يخشى الله من عباده
 العلماء والخشية في هذه
 القراءة استعارة والمعنى
 انما يعظم الله من عباده
 العلماء (ان الله عزيز
 غفور) تعليل لوجوب
 الخشية لدلالته على عقوبة
 العصاة وقهرهم وانما به أهل
 الطاعة والعفو عنهم

لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وجرم) يعني الخطط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) يعني منها
 ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرابيب سود) أي شديدة السواد كما يقال أسود غرابيب
 تشبيهاً بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أي خلق مختلف ألوانه (كذلك)
 أي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال
 ابن عباس يريد انما يخشى من خلق من علم جبروت وعزتي وسلطاني وقبيل عظموه وقدره وقدره وخشوه
 حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
 فرخص فيه ففتنه عنه قوم فباع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتزهون عن
 الشيء أصنعوه فوالله اني لأعلمهم بالله وأشهدهم له خشية قولها فرخص فيه أي لم يشدد فيه قولها ففتنه عنه أقوام
 أي تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلهما قط
 فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً فغطي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم
 خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفي بخشية الله علماً
 وكفي بالاعتزاز بالله جهلاً وقال رجل للشعبي أفنتي أيها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشى الله عز وجل
 وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عزيز
 أي في ملكه غفور) أي لذنوب عباده وهو تعادل لوجوب الخشية لانه المنيب المعاقب واذا كان كذلك
 فهو أحق أن يخشى وينقى قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعلمون
 ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أي ويقومون الصلوة في أوقاتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أي في سبيل
 الله (سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور) أي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب
 (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم تر عين ولم تسمع أذن (انه
 غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظم من ذنوبهم ويشكر البشير من أعمالهم (والذي أوحينا إليك
 من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدق لما بين يديه) أي من الكتب (ان الله بعباده خبير بصير) قوله
 تعالى (ثم أوردنا الكتاب) أي أوحينا إليك الكتاب وهو القرآن ثم أوردناه يعني حكمنا بتوريشه وقيل
 أوردناه يعني تورثه (الذين اصطفتيننا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله
 اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بأن جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم

والمعاقب المثيب حقه ان يخشى (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سراً
 وعلانية) أي مسرين النفس والعلانية الغرض يعني لا يفتنونه بتلاوته عن حلالة العمل به (برجون) خبران (تجارة) هي طلب
 الثواب بالطاعة (لن تبور) لن تسكد يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتنق عند الله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي ليوفيهم بنفاقها
 عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فمن أحسن لهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق
 وعد لقائه أو رجون في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفيهم تتعلق ببتلون وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة
 والانفاق لهذا الغرض وخبران (انه غفور) لفرط طمئنتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لا عمالهم أي يعطي الجزيل على العمل
 القليل (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن ومن للتبيين (هو الحق مصدقاً) حال مؤكدة لان الحق لا يفتك عن هذا التصديق (لما
 بين يديه) لما تقدم من الكتب (ان الله بعباده خبير بصير) فعملك وأبصر أحوالك وراك أهلالان يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
 هو عيار على سائر الكتب (ثم أوردنا الكتاب) أي أوحينا إليك القرآن ثم أوردناه من بعدك أي حكمنا بتوريشه (الذين اصطفتيننا من عبادنا)

وهم أمتهم من العصابة والتابعين ونايهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفى لهم على سائر الامم وجعلهم امة متوسط البكرو نوا شهد اعلى
الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله ثم تنبههم على مراتب فقال (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المراد بالاسرار الله (ومنهم مقتصد) هو الذي
خلط عملا صالحا وخرسا (ومنهم سابق بالخيرات) وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين والآية وقال
بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله الآية والحديث فقدر روى عن عمر رضى الله عنه انه قال على
المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله (٥٠٠) صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه السلام السابق

يدخل الجنة بغير حساب
والمقتصد يحاسب حسابا
يسيرا ثم يدخل الجنة وأما
الظالم لنفسه فيحسب حتى
يقظ انه لا ينجو ثم تناله الرحمة
فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء
والانرفعي بن عباس رضى
الله عنهما السابق المخلص
والمقتصد المرئي والظالم
الكافر بالنعمة غير الجاحد
لها لانه حكم للثلاثة بدخول
الجنة وقول السلف فقد قال
الربيع بن أنس الظالم
صاحب الكبائر والمقتصد
صاحب الصغائر والسابق
المجتنب لهما وقال الحسن
البصرى الظالم من رحمت
سياتته والسابق من رحمت
حسناته والمقتصد من استوت
حسناته وسياتته وسئل أبو
يوسف رحمه الله عن هذه
الآية فقال كلهم مؤمنون
وأما صفة الكفار بعد هذا
وهو قوله والذين كفروا وهم
نار جهنم وأما الطبقات الثلاث
فهم الذين اصطفى من عباده
فانه قال فيهم ومنهم ومنهم
والسكندر راجع الى قوله الذين
اصطفى من عباده واهل
الايمن وعلية الجهور وانما
قدم الظالم للايدان بكثرتهم
وان المقتصد قليل بالاضافة

فسيهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن اسامة بن زيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامم ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفيناه من عبادنا فيهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفيناه
من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قتابة
أحد رواه حدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا
دخل المسجد فقال اللهم ارحم غريبى وأنس وحشتى وسق الى جانيصا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت
صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذي
اصطفيناه من عبادنا فيهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل
الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحسب في المقام حتى يدخله اللهم ثم
يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبه بن صهبان
سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفيناه من عبادنا الآية فقالت يا بنى كلهم في
الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
وأما المقتصد فن تبع أثر من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فغلبت عليه فغلبت نفسه فغلبت نفسها معناه وقال ابن
عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرئي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة
بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق
هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رحمت حسناته على سياتته والمقتصد من
استوت سياتته وحسناته والظالم من رحمت سياتته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه
والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خيرا من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم
يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارى له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر
والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم
والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه
لا يقرب اليه الا بكرمه وان الظالم لا يؤثر في الاصفاء ثم نبى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم
بالسابقين لثلايا من أحد مكرهو كلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد
ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قرينة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في حيز المقتصدين
فاذا صحت توبته وكثرت عبادته وبجاهدته دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم
المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فهذا أخرجه ومعنى سابق سابق بالخيرات أى بالاعمال
الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله (باذن الله) أى بأمر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى
ابراهيم الكتاب واصطفاهم ثم أخبر بشواهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعنى الاصناف الثلاثة

اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء الله قدم الظالم لثلايا من فضل وقيل انما قدمه ليبرهان ذنبه لا يبعده من (يحلون
وبه وقيل ان أول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذى اشتغل
بعباده والمقتصد الذى اشتغل بعباده والظالم الذى اشتغل بعباده وقيل الظالم الذى يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد الذى
يعبد على الرغبة والرغبة والسابق الذى يعبد على الهيبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدين حلالا كانت أحوال المقتصد من يجتهد ان لا
يأخذها الا من حلال والسابق من أعرض عنها حيلة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (باذن الله) بأمره
أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أى ابراهيم الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) خبر ان لذلك أى خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر (يدخلونها) خبر

أى الفرق الثلاثة يدخلونها أبو عمر و (يحلون فيها من أساور) جمع أسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤ) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ
ولؤلؤ بالنصب والهمزة نافع وحذف علة على محل من أساور أى يحلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) لباسهم من اللذة والزينة
(وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا (ان ربنا الغفور) يغفر الجنايات وان كثرت (شكور)
يقبل الطاعات وان قلت (الذى أحلنا دار المقامة) أى الإقامة لانبرح منها ولا نفارقها يقال أفت إقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه
وافضاله لا يستحقا (لا يستنأفها نصب) تعب ومشقة (ولا يستنأفها الغوب) اعياء من التعب وفرة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى الغوب بفتح
اللام وهو شئ يلعب منه أى لا تتكاف عملا يلعبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فميتوا) جواب الذى ونصب باضمار ان أى
لا يقضى عليهم موت فان فيستر بجوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (٥٠١) (كذلك) مثل ذلك الجزاء (يجزى كل

كفور) يجزى كل كفور أبو
عمرو (وهم يصطرخون
فيها) يستغيثون فهو يفتعلون
من الصراخ وهو الصباح
بجهد ومشقة واستعمل في
الاستغاثة للجهر صوت
المستغيث (ربنا) يقولون
ربنا (أخرجنا نعمل صالحا
غير الذى كنا نعمل) أى
أخرجنا من النار وردنا
الى الدنيا نؤمن ببدل الكفر
ونقطع بعد المعصية فيجاريون
بعد قدر عمر الدنيا (أولم
نعمركم ما يتسد كرفيه من
تذكر) يجوز أن يكون
مانكره موصوفا أى تعمير
يتذ كرفيه من تذ كروهو
متناول لسلك عمر تمك من
المكاف من اصلاح شأنه
وان قصر الأنت التوب بفتح
المتناول أعظم ثم قيل هو
ثمان عشرة سنة وقيل أر بعون
وقيل ستون سنة (وجاء كم
الندى) الرسول عليه السلام
أو المشيب وهو عطف على
معنى أولم نعمركم لان لفظه

يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا
الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأهم
لا يدرون ما يصنعهم وقيل حزن زال النعم وتقلب القلوب وخوف العقاب وقيل حزن أهوال يوم القيامة
وهموم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان باعثا أو معارضا أو بغوى بسنده
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم
وكفى باهل لاله الا الله يفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (ان ربنا الغفور
شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى أحلنا) أى أنزلنا (دار المقامة) أى
الإقامة (من فضله) أى لا باعمالنا (لا يستنأفها نصب) أى لا يصيبنا فيها اعياء ولا مشقة (ولا يستنأفها الغوب)
أى اعياء من التعب قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فميتوا) أى فيستر بجوا بما
هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أى من عذاب النار (كذلك يجزى كل كفور وهم يصطرخون) أى
يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أى من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل)
أى فى الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى فوبخناهم (أولم نعمركم ما يتسد كرفيه من تذكر)
قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أر بعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروى ذلك عن على
وهو العمر الذى أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى
كل امرئ أخر أجله حتى يبلغ سنين ستة وعنه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي
ما بين الستين الى السبعين (وجاء كم النذير) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو
الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتهم ويقال الشيب نذر الموت وفى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لآخرها
استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) أى ما لهم من مانع
عنهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه علم بذات الصدور) يعنى انه اذا علم ذلك وهو أخفى
ما يكون فقد علم غيب كل شئ فى العالم قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) أى يخلف بعضكم
بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورات ما ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه
وملككم منافعها ومقابلها التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) أى جحد هذه النعمة
ونغطها (فعليه كفرة) أى وبال كفرة (ولا يزيد الكافر من كفرهم عند ربهم الا مقنتا) أى غضبا وقيل المقنت
أشد البغض (ولا يزيد الكافر من كفرهم الا خسارا) أى فى الآخرة (قل رأيتهم شركاء كم الذين تدعون
من دون الله) يعنى الاصنام جعلت موها شركاء بزعمكم (أرونى ماذا خلقوا من الارض) يعنى أى جزء

لفظ استحبار ومعناه اخبار كأنه قيل قد عمركم وجاء كم النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) ناصر يعينهم (ان الله عالم غيب
السموات والارض) مانع فيهما عنكم (انه علم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب
فى العالم وذات الصدور مضمر انتهى وهى تانيت ذوقى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذوق بطن طارحة تباريه أى ما فى بطنها من الحبل لان الحبل
يصعب البطن وكذا المضمرات تصعب الصدور وذو موضوع يعنى النجبة (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يقال للمستخلف خليفة وجمع
على خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاء فى أرضه قد ملككم مقابل التصرف فيها واسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد
والطاعة (فمن كفر) منكم ونغط مثل هذه النعمة السنية (فعليه كفرة) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال
(ولا يزيد الكافر من كفرهم عند ربهم الا مقنتا) وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافر من كفرهم الا خسارا) هلا كوخسارنا (قل رأيتهم شركاء كم)
آلهتكم التى أشركتموهم فى العبادة (الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض) أرونى بدل من رأيتهم لان معنى رأيتهم

الخبر وفي كانه قبل الخبر وفي من هؤلاء الشركاء وما استحقوا به الشركه أروى أي حزم من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركه في خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل ان بعد) ما بعد (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضاً) أي الاتباع (الاعرورا) هـ وقولهم هؤلاء شفعاءنا عند الله (ان الله عسك السموات والارض أن تزولا لان الامساك المنع) ولئن زالتا) على سبيل الفرض (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أي بعد امساكهم من الاولى مزبده لتأكيد النفي والثانية للابتداء (انه كان حلما مغفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانا جديرتين بان تهدها العظم كامة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الآية) وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي اقساموا بلبغا أو على الحال أي جاهدن في أيمانهم (لئن جاءهم نذير يكفون أهدى (٥٠٢) من احدى الامم) بلغ قرشيا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتاب كذبوا

وسلمهم فقالوا عن الله اليهود والنصارى أتتسم الرسل فكذبوهم فوالله لئن آتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم أي من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للذاهية العظيمة هي احدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازادهم الانفورا) أي مازادهم بحجة الرسول صلى الله عليه وسلم الاتباعا عن الحق وهو اسناد مجازي (استنكارا في الارض) مفعول له وكذا (ومكر السبي) والمعنى ومازادهم الانفورا والاستنكار ومكر السبي أو حال يعني مستكبرين وما كرين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السبي وأن مكروا

استبدوا بخلقه من الارض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق في السموات والارض (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي على حجة وبرهان من ذلك (بل ان بعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضاً الاعرورا) يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعاءنا عند الله قوله عز وجل (ان الله عسك السموات والارض أن تزولا) أي لم يكن لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانا جديرتين بأن تزولا وتهدها العظم كلمة الشرك (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أي ليس أمسكهما أحد سواه (انه كان حلما مغفورا) أي غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانا جديرتين بالعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسالهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتسم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى ديننا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فأنزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) أي رسول (ليكونن أهدى من احدى الامم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (مازادهم بحجته) (الانفورا) أي تباعدا عن الهدى (استنكارا في الارض) يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به (ومكر السبي) يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحق الذكر السبي الاباهله) أي لا يحل ولا يحيط الاباهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الابن أشرك (فهل ينظرون) أي ينتظرون (الاستنكارا في الارض) يعني ان ينزل العذاب بهم كقول ابن مضي من الكفار (فلن تجد لسنة الله تبديلا) أي تغييرا (ولن تجد لسنة الله تحويلا) أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليجزئه) أي ليفوت عنه (من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليا قدر اولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أي ظهر الارض (من دابة) أي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما هلك من كان في زمن نوح بالطوفان الامن كان في السفينة) (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعبادهم بصيرا) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة ومن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأمر ركنابه

* (تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة يس عليه الصلاة والسلام) *

السبي أي المكر السبي ثم ومكر السبي ثم ومكر السبي والدليل عليه قوله (ولا يحق) يحيط وينزل (المكر السبي الاباهله) ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لاخذ مجبا وقع فيه مكا (فهل ينظرون الاستنكارا في الارض) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا رسالهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا ان ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استنكارهم لذلك انتظارا لله منهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) بين ان سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدها في ذاتها ولا يجوز لها عن أوقاتها وان ذلك مفعول لا محالة (أولم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسابرةهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) اقتدارا فلم يتكفروا من الفرار (وما كان الله ليجزئه) ليس بمقو يفوته (من شيء) أي شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما بهم (قد برا) قادر عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله ليجزئه من شيء في السموات ولا في الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أي لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب

صفحة	صفحة
٢	(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام) ١٤٩ فصل في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج ومائة علق به
٨	ذكر قصة ذهاب اخوة يوسف بيوسف عليه الصلاة والسلام
٤٨	(تفسير سورة الرعد) ١٥١ فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء
٥٦	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة (أى قوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض الآية)
٦٩	(تفسير سورة ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) ١٦١ فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في البر والوالدين
٨٧	(تفسير سورة الحجر) ١٧٥ فصل في الاحاديث الواردة في همام الليل
٩١	فصل اختلاف العلماء هل كانت الشياطين ترحى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين
١٠٥	(تفسير سورة النحل) ٢١٤ (تفسير سورة صريم عليها السلام) فصل وسجدة سورة صريم من عزائم سجود القرآن (أى قوله تعالى اذا اتى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا وبكيا)
١٠٧	فصل احتج بهم هذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل (أى آية الخيل والبغال والحمير اتركوهن واهل بيوتهن)
١١٨	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن أى قوله تعالى (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض الآية)
١٣٦	فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه معطوف بالايمن)
١٤٣	فصل اختلاف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين (أى قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا الآية)
١٤٤	(تفسير سورة الاسراء) ٢٥٤ فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك (تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذكر القصة في ذلك (أى قوله تعالى قالوا اخرقوه وانصروا آلهمكم الآية)
١٤٥	فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه
١٤٩	فصل قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل خرجاً الا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس
٣٠٠	(تفسير سورة المؤمنين) ٣١٣ فصل في بيان التمثيل المذكور في قوله الله نور السموات والارض الآية

صفحة	صفحة
٤٤٤ (تفسير سورة السجدة)	٣٤٢ (تفسير سورة الفرقان)
٤٤٦ فصل في فضل قيام الليل والحث عليه	٣٥٤ فصل وهذه السجدة من عزائم السجدة (أى)
٤٤٩ (تفسير سورة الاحزاب)	قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
٤٥٣ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب	(الآية)
٤٦١ ذكر غزوة بنى قريظة	٣٥٧ (تفسير سورة الشعراء)
٤٦٥ فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى يا أيها النبي	٢٧٤ فصل في مدح الشعر
قل لا زالوا جاك ان كنتن تردن الحياة الدنيا	٢٧٥ (تفسير سورة النمل)
الآية	٣٨٢ فصل وهذه السجدة من عزائم السجود (أى)
٤٦٨ فصل فان قلت ماذا كروه في تفسير هذه	قوله ته الى الايسجد والله الآية)
الآية (أى قوله تعالى واذا تقول للذى أنعم	٣٩٥ (تفسير سورة القصص)
الله عليه الخ)	٣٩٦ ذكر القصة في ذلك (أى قوله تعالى وأوحينا
٤٧٦ فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه	الى أم موسى الخ
وسلم وفضلها	٤١٣ ذكر قصة فارون
٤٨١ فصل في الامانة	٤١٥ (تفسير سورة العنكبوت)
(تفسير سورة سبا)	٤٢٧ (تفسير سورة الروم)
٤٩٤ (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة	٤٣٠ فصل في فضل التسبيح
الملائكة)	٤٣٧ (تفسير سورة لقمان)

* (تمت) *